الجلد الاول من المواعظ والاعتبار
في ذكر الخطط والآثار للمقريزي عدد ٢٧



الأول من المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار

الشيخ
الامام العالم العلامة
الحافظ تقي الدين احمد بن
علي بن عبد القادر المقريزي



واله

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وهون واعن واختم بخير يا كريم وصلى الله على اسعد الخلق سيدنا محمد

قال الشيخ الامام العالم العلامه المتقن المحرر الفهامه قدوة المورخين حجة المتاخرين جامع اشتات الفضايل حاوي محاسن اللطايف والفواضل تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر المقريزي الشافعي تغمده الله برحمته واسكنه فسيح جنته بمنه وكرمه، الحمد لله الذي عرف وبصر وعلم الانسان ما لم يكن يعلم واسبغ على عباده نعما باطنه وظاهره ووالى عليهم من مزيد الايه منننا متظاهرة متواتره وبثهم في ارضه جميعا يتقلبون واستخلفهم فيما اتاهم به يتنعمون فهدى قوما الى اقتناص شوارد المعارف والعلوم وسوقهم للتفنن في مسارح التدبر والركض في ميادين الفهوم وارشد قوما الى الانقطاع من دون الخلق اليه ووفقهم للاعتماد في كل امر عليه وصد اخرين عن كل مكرمه وفضيله وبغضهم فزنا فادوهم الى كل ذميمه من الاخلاق ورذيله وطبع على قلوب اخرين فلا يكادون يفقهون قولا وثبطهم عن سبل الخيرات فما استطاعوا قوة ولا حولا ثم حكم على الكل بالفنا ونقلهم جميعا من دار التمحيص والابتلا الى برزخ البيود والبلا وسيحشرهم اجمعين الى دار الجزا ليوفي كل عامل منهم عمله ويسا له عما اعطاه وخوله وعن موقفه بين يديه سبحانه وما اعده له لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون احمده سبحانه حمد من علم انه الاه لا يعبد سواه ولا خالق للخلق الا اياه حمدا يقضي المزيد من النعما ويوالي المنن بتجدد الالا وصلى الله على محمد عبده ورسوله ونبيه وخليله سيد البشر وافضل من مضى وغبر الجامع لمحاسن الاخلاق والسير والمستحق لاسم الكمال على الاطلاق من البشر الذي كان نبيا وادم بين الماء والطين ورقم اسمه من الازل في عليين ثم تنقل من الاصلاب الفاضلة الزكيه الى الارحام الطاهرة المرضيه حتى ابتعثه الله عز وجل الى الخلايق اجمعين وختم به الانبيا والمرسلين واعطاه ما لم يعط من الفضل احدا من العالمين وعلى اله وصحابته والتابعين وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين وبعد فان علم التاريخ من اجل العلوم قدرا واشرفها عند العقلا مكانة وخطرا لما يحويه من المواعظ والانذار بالرحيل الى الاخرة عن هذه الدار والاطلاع على مكارم الاخلاق ليقتدى بها واستعلام مذام الفعال ليرغب عنها اولو النهى لا جرم ان كانت النفوس الفاضلة به وامقه والهمم العالية اليه مايله وله عاشقه وقد صنف الايمه فيه كثيرا وضمن الجلة كتبهم منه شيا كبيرا وكانت مصر هي مسقط راسي وملعب اترابي ومجمع ناسي ومغنى عشيرتي وحامتي وموطن خاصتي وعامتي وجوي الذي ربي جناحي في وكره وعش ماربي فلا تهوى النفس غير ذكره لا زلت مذ شدوت العلم واتاني ربي الفطانه والفهم ارغب في معرفة اخبارها واحب الاشراف على الكثير من اثارها واهوى مسايلة الركبان عن سكان ديارها فقيدت بخطي في الاعوام الكثيرة من ذلك فوايد قل ما يجمعها كتاب او يحويها

لعزتها

لعزتها وغرابتها اهاب الا انها ليست بمرتبة على مثال ولا مهذبة بطريقه واحدة ومنوال فاردت ان الخص منها انبا ما بديار مصر من الاثار الباقيه عن الامم الماضيه والقرون الخاليه وما بقي بفسطاط مصر من معاهد غيرها البلي والقدم ولم يبق الا ان يمحو رسمها الفنا والعدم واذكر ما بمدينة القاهره من اثار القصور الزاهره وما اشتملت عليه من الخطط والاصقاع وحوته من المباني البديعه الاوضاع مع التعريف بحال من اسس ذلك من اعيان الاماثل والتنويه بذكر الذي شادها من سراة الاعاظم والافاضل وانثر خلال ذلك نكتا لطيفه وحكما بديعة شريفه من غير اطالة ولا اكثار ولا اجحاف مخل بالغرض ولا اختصار بل وسط بين الطرفين وطريق بين بين فلهذا سميته كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والاثار

واني لارجو ان يحظى ان شا الله عند الملوك ولا ينبوا عنه طباع العامي الصعلوك ويجله العالم المنتهي ويحبه الطالب المبتدي وترضاه خلايق العابد الناسك ولا يمجه سمع الخليع الفاتك ويتخذه اهل الرفاهة والبطالة سمرا ويعده اولوا الراي والتدبير موعظة وعبرا يستدلون به على عظيم قدرة الله جل جلاله في تبديل الابدال ويعرفون به عجايب صنع ربنا سبحانه من تنقل الامور الى حال بعد حال فان كنت احسنت فيما جمعت واصبت في الذي صنعت ووضعت فذلك من عميم منن الله عز وجل وجزيل فضله وعظيم النعم علي وجليل طوله وان انا اسات فيما نقلت واخطات اذ صنعت فما احد من الانسان بالاساة والعيوب ان لم يعصمه او يحفظه علام الغيوب

وما ابرى نفسي انني بشر … اسهو واخطي ما لم يحمني قدر

ولا ترى عذرا اولى بذي زلل … من ان يقول مقرا انني بشر

فيا ايها الناظر في هذا التاليف على مولفه ذيل سترك ان مرت بك هفوه وليغضي تجاوزا وصفحا ان وقفت منه على زلة او نبوه فاي جواد وان عتق ما يكبو واي عضب مهند لا يكل ولا ينبو لا سيما والخاطر بالافكار مشغول والعزم لتوالي الامور وتعسرها فاتر محلول والذهن من خطوب هذا الزمن القطوب كليل والقلب لتوالي المحن وتواتر الاحن عليل

يعاندني دهري كاني عدوه … وفي كل يوم بالكريهة يلقاني

فان رمت شيا جاني منه ضده … وان راق لي يوما تكدر في الثاني

اللهم غفرا ما هو من البرم بالقضا ولا التضجر بالمقدور بل انه سقيم ولقته مصدور يستروح الى ابدا التوجع والانين ويجد خفا من ثقله اذا باح بالشكوى والحنين

ولو نظروا بين الجوانح والحشى … راوا من كتاب الحب في كبدي سطرا

ولو جربوا ما قد لقيته من الهوى … اذا عذروني او جعلت لهم عذرا

والله اسال ان يحلي هذا الكتاب بالقبول عند الجلة والعلما كما اعوذ به من تطرق ايدي الحساد اليه
والجهلا وان يهديني فيه وفيما سواه من الاقوال والافعال الى سوا السبيل فانه حسبنا ونعم
الوكيل وفيه جلت قدرته لي سلوة من كل حادث وعليه عز وجل التوكل في جميع الحوادث لا اله الا هو

ذكر الرووس الثمانية

اعلم ان عادة القدما من المعلمين قد جرت ان ياتوا بالرووس الثمانية
قبل افتتاح كل كتاب وهي الغرض والعنوان والمنفعة والمرتبة وصحة الكتاب ومن اي صناعة هو وكم فيه
من الاجزا واي انحا التعاليم المستعملة فيه فنقول اما الغرض في هذا التاليف فانه جمع ما تفرق
من اخبار ارض مصر واحوال سكانها كي يلتئم من مجموعها معرفة جمل اخبار اقليم مصر وهي التي اذا حصلت في
ذهن انسان اقتدر على ان يخبر في كل وقت بما كان في ارض مصر من الاثار الباقية والبايدة ويقص احوال
من ابتداها ومن حلها وكيف كانت مصاير امورهم وما يتصل بذلك على طريق الاتباع لها بحسب ما يحصل
منه الفايدة الكلية بذلك الاثر واما عنوان هذا الكتاب اعني الذي وسمته به فاني لما
تحصلت عن اخبار مصر وجدتها مختلطة متفرقة فلم يتهيا لي اذا جمعتها ان اجعل وضعها مرتبا على السنين
لعدم ضبط وقت كل حادثة لا سيما في الاعصر الخالية ولا ان اضعها على اسما الناس لعلل اخر تظهر عند
تصفح هذا التاليف فلهذا فرقتها في ذكر الخطط والاثار فاحتوى كل فصل منه على ما يلايمه ويشاكله
وصار بهذا الاعتبار قد جمع ما تفرق وتبدد من اخبار مصر ولم احاش من تكرار الخبر اذا احتجت اليه
بطريقة يستحسنها الاريب ولا يستهجنها الفطن الاديب كي يستغني مطالع كل فصل منه بما فيه
عما في غيره من الفصول فلذلك سميته كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار واما منفعة
هذا الكتاب فان الامر فيها يتبين من الغرض في وضعه ومن عنوانه اعني ان منفعته هي ان تشرف
المرو في زمن قصير على ما كان في ارض مصر من الحوادث والتغييرات في الازمنة المتطاولة والاعوام
الكثيرة فيتهذب بتدبر ذلك نفسه وترتاض اخلاقه فيحب الخير ويفعله ويكره الشر ويتجنبه ويعرف
فنا الدنيا فيحظى بالعزوف عنها والاقبال على ما يبقى واما مرتبة هذا الكتاب فانه من جملة احد
قسمي العلم اللذين هما العقلي والنقلي فينبغي ان يتفرغ لمطالعته وتدبر مواعظه بعد اتقان ما يجب معرفته
من العلوم النقلية والعلوم العقلية فانه يحصل بتدبره لمن ازال الله اكنة قلبه وغشاوة بصره نتيجة
العلم بما صار اليه ابنا جنسه بعد التخول في الاموال والجنود من الفنا والبيود فاذا مرتبته بعد
معرفة اقسام العلوم النقلية والعقلية ليعرف منه كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبل واما
واضع هذا الكتاب ومرتبه فاسمه سيدنا الشيخ الامام العالم العلامة تقي الدين احمد بن علي
بن عبد القادر بن محمد ويعرف بابن المقريزي رحمه الله تعالى ولد بالقاهرة المصرية من ديارها بعد
سنة ستين وسبعماية من سني الهجرة المحمدية ورتبته من العلم ما يدل عليه هذا الكتاب وغيره مما جمعه والفه

واما من اي علم

واما من اي علم هو هذا الكتاب فانه من علم الاخبار وبها عرفت شرايع الله التي شرعها وحفظت سنن
انبيا الله ورسله ودون هديهم الذي يقتدي به من وفقه الله الى عبادته وهداه الى طاعته وحفظه
من مخالفته وبها نقلت اخبار من مضى من الملوك والفراعنة وكيف حل بهم سخط الله لما اتوا ما نهوا عنه
وبها اقتدر الخليقة من ابنا البشر على معرفة ما دونوه من العلوم والصنايع وتاتى لهم علم ما غاب عنهم
من الاقطار الشاسعة والامصار المتباينة وغير ذلك مما لا ينكر فضله ولكل امة من امم العرب والعجم على
تباين ارايهم واختلاف عقايدهم اخبار معروفة عندهم مشهورة ذايعة بينهم ولكل مصر من امصار المعمور
حوادث قد مرت به يعرفها علما ذلك المصر في كل عصر ولو استقصيت ما صنفه علما العرب والعجم
في ذلك لتجاوز حد الكثرة وعجزت القدرة البشرية عن حصره واما اجزا هذا الكتاب
فانها سبعة اولها يشتمل على جمل اخبار ارض مصر واحوال نيلها وخراجها وجبالها وثانيها يشتمل
على كثير من مدنها واجناس اهلها وثالثها يشتمل على اخبار فسطاط مصر ومن ملكها ورابعها يشتمل
على اخبار القاهرة وخلفايها وما كان لهم من الاثار وخامسها يشتمل على ذكر ما ادركت عليه القاهرة
وظواهرها من الاحوال وسادسها يشتمل على ذكر قلعة الجبل وملوكها وسابعها يشتمل على ذكر
الاسباب التي نشا عنها خراب اقليم مصر وقد تضمن كل جزء من هذه الاجزا السبعة عدة اقسام
واما اي انحا التعاليم قصدت في هذا الكتاب فاني سلكت فيه ثلاثة انحا وهي النقل من الكتب
المصنفة في العلوم والرواية عمن ادركت من شيخة العلم وجلة الناس والمشاهدة لما عاينته ورايته
فاما النقل من دواوين العلما التي صنفوها في انواع العلوم فاني اعزو كل نقل الى الكتاب الذي نقلته
منه لاخلص من عهدته وابرا من جريرته فكثيرا ممن ضمني واياه العصر واشتمل علينا المصر صار لقلة
اشرافه على العلوم وقصور باعه في معرفة مقالات الناس يهجم بالانكار على ما لا يعرفه ولو انصف لعلم ان
العجز من قبله وليس ما تضمنه هذا الكتاب من العلم الذي يقطع عليه ولا يحتاج في الشريعة اليه
وحسب العالم ان يعلم ما قيل في ذلك ويقف عليه واما الرواية عمن ادركت من المشايخ والجلة فاني
في الاكثر والغالب اصرح باسم من حدثني الا ان لا احتاج الى تعيينه او اكون قد انسيته وقل ما يتفق
مثل ذلك واما ما شاهدته فاني ارجو ان اكون ولله الحمد غير متهم ولا ظنين وقد قلت في هذه
الرووس الثمانية ما فيه مقنع وكفاية ولم يبق الا ان اشرع فيما قصدت وعزمي ان اجعل الكلام في كل خط
من الاخطاط وفي كل اثر من الاثار على حدة ليكون العلم بما يشتمل عليه من الاخبار اجمع واكثر فايدة
واسهل تناولا والله يهدي من يشا الى صراط مستقيم وفوق كل ذي علم عليم فصل اول من رتب خطط
مصر وذكر اسبابها في ديوان جمعه ابو عمر محمد بن يوسف الكندي ثم كتب بعده القاضي ابو عبد الله محمد بن سلامة
القضاعي كتابه المنعوت بالمختار في معرفة الخطط والاثار ومات في سنة اربع وخمسين واربعماية

قبل سنى الشده قد ترا اكثر ما ذكراه ولم يبق الا المع وموضع بلمنع بما حل بمصر فى سنى الشده المستنصريه
من سنه سبع وخمسين الى سنه اربع وستين واربعمايه من الغلا والوبا فمات اهلها وخربت ديارها
وتغيرت احوالها واستولى الخراب على عمل فوق من الطرفين بجانب الفسطاط الغربى والشرقى فاما
الغربى فمن قنطره بنى وايل حيث الوراقات الان قريبا من باب القنطره خارج مدينه مصر الى الشرق
المعروف اليوم بالرصد وانت مار الى القرافه الكبرى واما الشرقى فمن طرف بركه الحبش الذى تلى
القرافه الى نحو جامع احمد بن طولون ثم دخل امير الجيوش بدر الجمالى الى مصر فى سنه ست وستين
واربعمايه وهذه المواضع خاويه على عروشها خاليه من ساكنها وانيسها قد اباد اهلها الوبا والتباب وشتتهم
الموت والخراب ولم يبق بمصر الا بقايا من الناس كانهم اموات قد اصفرت وجوههم وتغيرت سحنهم من غلا
الاسعار وكثره الخوف من العسكريه وفساد طوايف العبيد والملحيه ولم يجد من يزرع الاراضى هذا
والطرقات قد انقطعت برا وبحرا الا بالخفاره والكلفه الكبيره وصارت القاهره ايضا يبابا داثره فاباح
للناس من العسكريه والملحيه والارمن وكل من وصلت قدرته الى عماره ان يعمر ما شا فى القاهره مما
خلا من دور الفسطاط بموت اهلها فاخذ الناس فى هدم المساكن ونحوها بمصر وعمروا بها فى القاهره وكان
هذا اول وقت اختط الناس فيه بالقاهره ثم كان المنبه بعد القضاعى على الخطط والتعريف بها الكبد
ابو عبد الله محمد بن بركات النحوى فى تاليف لطيف نبه فيه الافضل ابا القاسم شاهنشاه بن امير
الجيوش بدر الجمالى على مواضع قد اغتصبت وتملكت بعد ما كانت احباسا ثم كتب الشريف محمد بن
اسعد الجوانى كتاب النقط لمعجم ما اشكل من الخطط فنبه فيه على معالم قد جهلت واثار قد دثرت واخر
من كتب فى ذلك القاضى تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوج كتاب ايقاظ المتغفل واتعاظ المتامل
فى الخطط بين فيه جمل احوال مصر وخططها الى اعوام بضع وعشرين وسبعمايه وقد تغير بعده معظم ذ
فى وبا سنه تسع واربعين وسبعمايه ثم فى وبا سنه احدى وستين ثم فى غلا سنه ست وسبعين وسبعمايه
وكتب القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر كتاب الروضه البهيه الزاهره فى خطط المعزيه
القاهره ففتح فيه بابا كانت الحاجه داعيه له ثم تزايدت العماره من بعده فى الايام الناصريه محمد بن قلاوون
بالقاهره وظواهرها الى ان كادت تضيق عن اهلها حتى حل بها وبا سنه تسع واربعين وسبعمايه ثم وبا سنه احدى
وستين ثم غلا سنه ست وسبعين فخربت بها عده اماكن فلما كانت الحوادث والمحن من سنه ست وثمانمايه
شمل الخراب القاهره ومصر وعامه الاقليم وساورد من ذكر الخطط ما تصل اليه قدرتى ان شا الله تعالى

ذكر طرف من هيئة الافلاك

اعلم انه لما كانت مصر قطعه من الارض تعين تنزل
التعريف بموقعها من الارض وتبيين موقع الارض من الفلك ان اذكر طرفا من هيئه الافلاك ثم اذكر هيئتها
صوره الارض وموقع الاقاليم منها واذكر محل مصر من الارض وموضعها من الاقاليم واذكر حدودها وا

وفضايلها

وفضايلها وعجايبها وكنوزها واخلاق اهلها واذكر نيلها وخلجانها وكورها ومبلغ خراجها وغير ذلك
مما يتعلق بها قبل الشروع فى ذكر خطط مصر والقاهره فاقول علم النجوم ثلثه اقسام الاول معرفه
تركيب الافلاك وكميه الكواكب واقسام البروج وابعادها وعظمها وحركتها ويقال لهذا القسم علم
الهيئه والقسم الثانى علم حل الزيج وعمل التقويم والقسم الثالث معرفه كيفيه الاستدلال بدوران
الفلك وطوالع البروج على الحوادث قبل كونها ويسمى هذا القسم علم الاحكام والغرض هنا ايراد نبذ
من علم الهيئه تكون توطيه لما ياتى ذكره اعلم ان الكواكب اجسام كريات والذى ادركه منها الحكما بالرصد
الف كوكب وتسعا وعشرين كوكبا وهى على قسمين سياره وثابته فالسياره سبعه وهى زحل
والمشترى والمريخ والشمس والزهره وعطارد والقمر وقد نظمت فى بيت واحد وهو

زحل شرى مريخه من شمسه فتزاهرت بعطارد اقمار

ويقال لهذه السبعه الخنس وقيل انها التى عناها
الله سبحانه بقوله فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والتى عناها بقوله تعالى فالمدبرات امرا وقيل
لها الخنس لاستقامتها فى سيرها ورجوعها وقيل لها الكنس لانها تجرى فى البروج ثم تكنس اى تستتر
كما يكنس الظبى وقيل الكنس والخنس منها خمسه وهى ما سوى الشمس والقمر سميت بذلك من الاخناس
وهو الانقباض فى الحديث الشيطان يوسوس للعبد فاذا ذكر الله خنس اى انقبض ورجع فيكون
الخنس على هذا فى الكواكب يعنى اختفايها تحت ضو الشمس ويقال لهذه الكواكب المتحيره لانها ترجع احيانا
عن سمت مسيرها بالحركه الشرقيه وتتبع الغربيه فى راى العين فيكون هذا الارتداد لها شبه التحير
وهذه الاسما التى لهذه الكواكب يقال انها مشتقه من صفاتها فزحل مشتق من زحل فلان اذا ابطا
سمى بذلك لبطو سيره وقيل الزحل والزحيل الحقد وهو بزعمهم يدل على ذلك ويقال انه المراد فى
قوله تعالى والسما والطارق وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب والمشترى سمى بذلك لحسنه
كانه اشترى الحسن لنفسه وقيل لانه نجم الشرا والبيع ودليل الربح والمال فى قولهم والمريخ
ماخوذ من المرخ وهو شجر يحتك بعض اغصانه ببعض فيورى نارا سمى بذلك لاحمراره وقيل المريخ
سهم لا ريش له اذا رمى به لا يستوى فى ممره وكذا المريخ فيه التواكثير فى سيره ودلالته بزعمهم تشبه
ذلك والشمس لما كانت واسطه بين ثلاثه كواكب علويه لانهم من فوقها وثلثه كواكب سفليه لانهم
من تحتها سميت بذلك لان الواسطه التى فى المخنقه تسمى شمسه والزهره من الزاهر وهو الابيض
النير من كل شى وعطارد هو النافذ فى كل الامور ولذلك يقال له ايضا الكاتب فانه كثير التصرف
مع ما يقارنه ويلابسه من الكواكب والقمر ماخوذ من القمره وهى البياض والاقمر الابيض ويقال لزحل
كيوان وللمشترى تير والبرجيس ايضا وللمريخ بهرام وللشمس مهر وللزهره اناهيد وبيدخت
ايضا ولعطارد هرمس وللقمر ماه وقد جمعت فى بيت وهو

لازلت تبقى وترقى للعلا ابدا ، مادام للسبعة الافلاك احكام ،
مهر وماه وكيوان وتير معا ، وهرمز واناهيد وبهرام ،

ويقال لما عدا هذه الكواكب السبعة من بقية نجوم السما الكواكب الثابتة سميت بذلك لثباتها في
الفلك بموضع واحد وقيل لبطو حركتها فانها تقطع الفلك بزعمهم بعد كل ست وثلثين الف سنة
مرة واحدة ولكل كوكب من الكواكب السبعة السيارة فلك من الافلاك يخصه والافلاك اجسام كريات
مشفات بعضها في جوف بعض وهي تسعة اقربها الينا فلك القمر وبعده فلك عطارد ثم فلك الزهرة
وبعده فلك الشمس وفوقه فلك المريخ ثم فلك المشتري وفوقه فلك زحل ثم فلك الثوابت وفيه
كل كوكب يرى في السما سوى السبعة السيارة ومن فوق فلك الثوابت الفلك المحيط وهو الفلك
التاسع ويسمى الاطلس وفلك الافلاك وفلك الكل وقد اختلف في الافلاك فقيل هي السموات وقيل
بل السموات غيرها وقيل هي كرية وقيل غير ذلك وقيل الفلك الثامن هو الكرسي والفلك التاسع
هو العرش وقيل غير ذلك وهذا الفلك التاسع دايم الدوران كالدولاب ويدور في كل اربع وعشرين
ساعة مستوية دورة واحدة ودورانه يكون ابدا من المشرق الى المغرب ويدور بدورانه جميع
الافلاك الثمانية وما حوته من الكواكب دورانا حركة قسرية لادارة التاسع لها وعن حركة
التاسع المذكور يكون الليل والنهار فالنهار مدة بقا الشمس فوق افق الارض والليل مدة غيبوبة
الشمس تحت افق الارض وفلك الكواكب الثابتة مقسوم باثني عشر قسما كحزم البطيخة كل قسم منها
يقال له برج وهي الحمل والثور والجوزا والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس
والجدي والدلو والحوت وكل برج من هذه البروج الاثني عشر مقسوم بثلثين قسما يقال لكل قسم منها
درجة وكل درجة من هذه الثلثين مقسومة بستين قسما يقال لكل قسم منها دقيقة وكل دقيقة
من هذه الستين مقسومة بستين يقال لكل قسم منها ثانية وهكذا الى الثوالث والروابع والخوامس
الى الثواني عشر وما فوقها من الاجزا وكل ثلثة بروج تسمى فصلا فالزمان على ذلك اربعة فصول
وهي الربيع والصيف والخريف والشتا وجهات الاقطار اربعة الشرق والغرب والشمال
والجنوب والاركان اربعة النار والهوا والما والتراب والطبايع اربعة الحرارة والبرودة
والرطوبة واليبوسة والاخلاط اربعة الصفرا والسودا والبلغم والدم والرياح اربع الصبا
والدبور والشمال والجنوب فالبروج منها ثلثة ربيعية صاعدة في الشمال زايدة النهار على
الليل وهي الحمل والثور والجوزا وثلثة صيفية هابطة في الشمال اخذة الليل من النهار وهي السرطان
والاسد والسنبلة وثلثة خريفية هابطة في الجنوب زايدة الليل على النهار وهي الميزان والعقرب
والقوس وثلثة شتوية صاعدة في الجنوب اخذة النهار من الليل وهي الجدي والدلو والحوت والفلك

المحيط

المحيط كما تقدم دايم الدوران كالدولاب يدور ابدا من المشرق الى المغرب فوق الارض ومن المغرب
الى المشرق تحتها فيكون دايما نصف الفلك وهو ستة بروج ماية وثمانين درجة فوق الارض
ونصفه الاخر وهو ستة بروج ماية وثمانين درجة تحت الارض وكلما طلعت من افق الشمس درجة
من درجات الفلك التي عدتها ثلثماية وستون درجة غربت نظيرتها في افق المغرب من البرج السابع
فلا يزال دايما ستة بروج طلوعها بالنهار وستة بروج طلوعها بالليل والافق عبارة عن الحد
الفاصل من الارض بين المرئي والخفي من السما والفلك يدور على قطبين شمالي وجنوبي كما يدور الحق
على قطبي المخرطة وتقسم الفلك خط من دايرة يقسمه بنصفين متساويين بعدها من كل القطبين سوا
وتسمى هذه الدايرة دايرة معدل النهار فهي تقاطع فلك البروج ودايرة فلك البروج تقاطع دايرة معدل
النهار ويميل نصفها الى الجانب الشمالي بقدر اربع وعشرين درجة تقريبا وفي هذا النصف تسمه البروج
الستة الشمالية وهي من اول الحمل الى اخر السنبلة ويميل نصفها الثاني عنها الى الجنوب بمثل ذلك
وفيه تسمه البروج الجنوبية وهي من اول برج الميزان الى اخر برج الحوت وموضع تقاطعها بين
الدايرتين اعني دايرة معدل النهار ودايرة فلك البروج من الجانبين هما نقطتا الاعتدالين اعني
راس الحمل وراس الميزان ومدار الشمس والقمر وساير النجوم على محاذاة دايرة فلك البروج دون
دايرة معدل النهار وتمر الشمس على دايرة معدل النهار عند حلولها بنقطتي الاعتدالين فقط لان
موضع تقاطع الدايرتين وهنا هو خط الاستوا الذي لا يختلف فيه الزمان بزيادة الليل على النهار
ولا النهار على الليل لان ميل الشمس عنه الى كلا الجانبين الشمالي والجنوبي سوا فالشمس تدور الفلك
وتقطع الاثني عشر برجا في مدة ثلثماية وخمسة وستين يوما وربع يوم بالتقريب وهذه هي مدة
السنة الشمسية وتقيم في كل برج ثلثين يوما وكسرا من يوم ويكون بلوغها ظاهرا فوق الارض
وبالليل بخلاف ذلك واذا حلت في البروج الستة الشمالية التي هي الحمل والثور والجوزا والسرطان
والاسد والسنبلة فانها تكون مرتفعة في الهوا قريبة من سمت رؤوسنا وذلك زمن فصل الربيع وفصل
الصيف واذا حلت في البروج الجنوبية وهي الميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت
كان فصل الخريف وفصل الشتا وانحطت الشمس وبعدت عن سمت الرؤوس وزعم وهب بن منبه
ان اول ما خلق الله تعالى من الازمنة الاربعة الشتا فجعله باردا رطبا وخلق الربيع فجعله حارا
رطبا وخلق الصيف حارا يابسا وخلق الخريف باردا يابسا واول الفصول عند اهل زماننا
الربيع ويكون فصل الربيع عندما تنتقل الشمس من برج الحوت وقد اختلف القدما في المبداية
من الفصول فمنهم من اختار فصل الربيع عندما تنتقل الشمس وصيره اول السنة ومنهم من اختار
تقديم الانقلاب الصيفي ومنهم من اختار تقديم الاعتدال الخريفي ومنهم من اختار تقديم الانقلاب الشتوي

السنة والاصل تستغرق فصلها ... مستوعبة ... الحر ... فان كمال السنة ... وقيل اصلها ... التعاقب بين ... كانت ... تقع ... كاملة ...

فاذا حلت اول جزو من برج الحمل استوى الليل والنهار واعتدل الزمان وانصرم الشتا وحل الربيع وطاب الهوا وهب النسيم وذاب الثلج وسالت الاودية ومدت الانهار فتباعدت مصر وينبت العشب وطال الزرع ونما الحشيش وتلالا الزهر واورق الشجر وتفتح النور واخضر وجه الارض وتنتجت البهايم ودرت الضروع واخرجت الارض زخرفها وازينت وصارت كصبية شابة قد تزينت للناظرين ولله در القايل وهو الحافظ جمال الدين يوسف بن احمد اليغموري ؛

؛ واستنشقوا الهوى الربيع فانه ؛ نعم الصديق وعنده الطاف ؛

؛ يغذي الجسوم نسيمه وكانه ؛ روح حواها جوهر شفاف ؛

وقال ابن قتيبة ومن ذلك الربيع يذهب الناس الى انه الفصل الذي يتبع الشتا وياتي فيه النور والورد ولا يعرفون الربيع غيره والعرب تختلف في ذلك فمنهم من يجعل الربيع الفصل الذي تدرك فيه الثمار وهو الخريف وفصل الشتا بعده ثم فصل الصيف بعد الشتا وهو الوقت الذي تدعوه العامة الربيع ثم فصل القيظ وهو الذي تدعوه العامة الصيف ومن العرب من يسمي الفصل الذي تدرك فيه الثمار وهو الخريف الربيع الاول ويسمي الفصل الذي يتلو الشتا وياتي فيه الكماه والنور الربيع الثاني وكلهم مجتمعون على ان الخريف هو الربيع فاذا حلت الشمس اخر برج الجوزا واول برج السرطان تناهى طول النهار وقصر الليل وابتدا انتقاص النهار وزيادة الليل وانصرم فصل الربيع ودخل فصل الصيف فاشتد الحر وحمي الهوا وهبت السمايم ونقصت المياه الا بمصر ويبس العشب واستحكم الحب وادرك حصاد الغلا ونضجت الثمار وسمنت البهايم واشتدت قوة الابدان ودرت اخلاف النعم وصارت الارض كانها عروس فاذا بلغت اخر برج السنبلة واول برج الميزان تساوى الليل والنهار مرة ثانية واخذ الليل في الزيادة والنهار في النقصان وانصرم فصل الصيف ودخل فصل الخريف فبرد الهوا وهبت الرياح وتغير الزمان وجفت الانهار وغارت العيون واصفر ورق الشجر وصرمت الثمار وديست البيادر واختزن الحب وفني العشب واغبر وجه الارض الا بمصر وهزلت البهايم وماتت الهوام وانجحرت الحشرات وانصرف الطير والوحش يريد البلاد الدافية واخذ الناس يخزنون القوت للشتا وصارت الدنيا كانها امراة كهلة قد ادبرت واخر شبابها يولي ولله در القايل وهو الامام عز الدين الحسن بن علي بن معقل الازدي المهلبي الحمصي حيث يقول ؛

؛ لله فصل الخريف المستلذ به ؛ برد الهوا فقد ابدا لنا عجبا ؛

؛ اهدى الى الارض اوراقا له ذهبا ؛ والارض من شانها ان تهدي الذهبا ؛ وقال

؛ لله فصل الخريف فصلا رقت حواشيه فهو رايق ؛ فالما يجري من قلب سال والدمع يبدو بوجه عاشق ؛ فبردها

؛ اني لفصل الخريف وكل طيب وحسن معجب قلبا وعينا ؛ ان انا الدوح مصفرا نضارا وضا في الما مبيضا لجينا ؛

فاحسن

؛ فاحسن كل احسان الينا وانعم كل انعام علينا ؛ وقال اخر يذم الخريف ؛

؛ خذ في التدبر في الخريف فانه مستوبل ونسيمه خطاف ؛ يجري مع الاجسام جري حياتنا كصديقها ومن الصديق يخاف ؛

؛ يا عايبا فصل الخريف وغايبا عن فضله في ذمه لزمانه ؛ لا شي الطف منه عندي موقعا ابدا يعري الغصن من قمصانه ؛

؛ وتراه يفرش تحته اثوابه فاعجب لرافته وفرط حنانه ؛ والمساعات الوصال اذا دنا وقت الرحيل وحان حين اوانه ؛

فاذا حلت الشمس اخر برج القوس واول برج الجدي تناهى طول الليل وقصر النهار واخذ النهار في الزيادة والليل في النقصان وانصرم فصل الخريف وحل فصل الشتا واشتد البرد وخشن الهوا وتساقط ورق الشجر ومات اكثر النبات وغارت الحيوانات في جوف الارض وضعف قوى الابدان وعري وجه الارض من الزينة ونشات الغيوم وكثرت الانداء واظلم الجو وكلح وجه الارض الا بمصر وامتنع الناس من التصرف وصارت الدنيا كانها عجوز هرمة قد دنا منها الموت فاذا بلغت اخر برج الحوت واول برج الحمل عاد الزمان كما كان عام اول وهذا دابه تقدير العزيز العليم وتدبير الخبير الحكيم لا اله الا هو وقد شبه بطليموس فصل الربيع بزمان الطفولية وفصل الصيف بالشباب والخريف بالكهولة والشتا بالشيخوخة وعن حركة الشمس ونقلها في البروج الاثني عشر المذكورة تكون ازمان السنة واوقات اليوم من الليل والنهار وساعاتهما وعن حركة القمر في البروج الاثني عشر تكون الشهور القمرية والسنة القمرية فالقمر يدور البروج الاثني عشر ويقطع الفلك كله في مدة ثمانية وعشرين يوما وبعض يوم ويقيم في كل برج يومين وثلث يوم بالتقريب ويقيم في كل منزلة من منازل القمر الثمانية والعشرين منزلة يوما وليلة فيظهر عند اهلاله من ناحية الغرب بعد غروب جرم الشمس ويزيد نوره في كل ليلة قدر نصف سبع حتى يكمل نوره ويمتلي في ليلة الرابع عشر من اهلاله ثم ياخذ من الليلة الخامسة عشر في النقصان فينتقص من نوره في كل ليلة نصف سبع كما بدا الى ان يمحق نوره في اخر ثمانية وعشرين يوما من اهلاله ويكمل في هذه المدة سيره مفارقا الشمس ويبدو في ناحية الغرب والى ان يجامعها ثمانية وعشرين منزلة وهي الشرطان ؛ والبطين ؛ والثريا ؛ والدبران ؛ والهقعة ؛ والهنعة ؛ والذراع ؛ والنثرة ؛ والطرف ؛ والجبهة ؛ والزبرة ؛ والصرفة ؛ والعوا ؛ والسماك ؛ والغفر ؛ والزبانا ؛ والاكليل ؛ والقلب ؛ والشولة ؛ والنعايم ؛ والبلدة ؛ وسعد الذابح ؛ وسعد بلع ؛ وسعد السعود ؛ وسعد الاخبية ؛ والفرغ المقدم ؛ والفرغ المؤخر ؛ وبطن الحوت ؛ ولحساب ذلك كتب موضوعة وفيما ذكر كفاية والله يعلم وانتم لا تعلمون ؛

ذكر صورة الارض وموقع الاقاليم منها

ولما تقدم من القول في الافلاك ما تبين به لمن الهمه الله كيف تكون الحركة التي بها الليل والنهار وتركب الشهور والاعوام منهما جاز حينيذ الكلام في الارض فاقول الجهات من حيث هي ست الشرق وهو حيث مطلع الشمس والقمر وساير الكواكب في كل قطر من الافق والغرب وهو حيث مغرب

لسما

والشمال وهو حيث مدار الجدي والفرقدين والجنوب وهو حيث مدار سهيل والفوق وهو ما يلي
والتحت وهو ما يلي الارض والارض جسم مستدير كالكره وقيل ليست بكرية الشكل وهي واقفه في مركز ح
الهوا بجميع جبالها وبحارها وعامرها وغامرها والهوا محيط بها من جميع جهاتها كالمح في جوف البيضه
وبعدها من السما متساو من جميع الجهات واسفل الارض ما تحقيقه هو عمق باطنها مما يلي مركزها
من اي جانب كان ذهب الجمهور الى ان الارض كالكره موضوعه في جوف الفلك كالمح في البيضه وانها
في الوسط وبعدها في الفلك من جميع الجوانب على التساوي وزعم هشام بن الحكم ان تحت الارض جسما
من شانه الارتفاع وهو المانع للارض من الانحدار وهو ليس يحتاج الى ما يعمده لانه ليس يطلب الانحدار
بل الارتفاع وقال اخران الله وقفها بلا عماد وقال ديمقراطيس انها تقوم على الما وقد حصر الما تحتها
حتى لا يجد مخرجا فيضطر الى الانتقال وقال اخر هي واقفه على الوسط على مقدار واحد من كل جانب
والفلك يجذبها من كل وجه فلذلك لا تميل الى ناحيه من الفلك دون اخرى لان قوة الاجزا متكافيه وذلك
كحجر المغناطيس في جذبه الحديد فان الفلك بالطبع مغناطيس الارض فهو يجذبها فهي واقفه في الوسط
وسبب وقوفها في الوسط سرعة تدوير الفلك ودفعه اياها من كل جهه الى الوسط كما اذا وضعت
ترابا في قارورة وادرتها بقوه فان التراب يقوم في الوسط وقال محمد بن احمد الخوارزمي الارض في
وسط السما والوسط هو السفل بالحقيقه وهي مدوره مضرسه من جهه الجبال البارزه والوهاد
الغائره وذلك لا يخرجها عن الكريه اذا اعتبرت جملتها لان مقادير الجبال وان شمخت يسيره بالقياس
الى كرة الارض فان الكره التي قطرها ذراع او ذراعان مثلا اذا نتا منها شي او غار فيها لا يخرجها عن الكره
ولا هذه التضاريس لاحاطه الما بها من جميع جوانبها وغمرها بحيث لا يظهر منها شي فحينئذ تبطل الحكمه
المودعه في المعادن والنبات والحيوان فسبحان من لا يعلم اسرار حكمه الا هو واما سطحها الظاهر
المماس للهوا من جميع الجهات فانه فوق والهوا فوق الارض يحيط بها من سائر الجهات ويحدبها من جميع الجهات
وفوق الهوا الافلاك المذكوره فيما تقدم واحدا فوق اخر الى الفلك التاسع الذي هو اعلا الافلاك ونهايه
المخلوقات باسرها وقد اختلف فيما ورا ذلك فقيل خلا وقيل ملا وقيل لا خلا ولا ملا وكل موضع يقف فيه
الانسان من سطح الارض فان راسه يكون مما يلي السما الى فوق ورجلاه ابدا يكون اسفل مما يلي مركز
الارض وهو دايما يرى من السما نصفها ويستر عنه النصف الاخر حدبه الارض وكلما انتقل من موضع
الى اخر ظهر له من السما مقدار ما خفي عنه والارض غامره بالما لكنه طافيه فوق الما وقد انحسر عنها
نحو النصف وانغمر النصف الاخر في الارض وصار المنكشف من الارض بنصفين كانما قسم بخط مسامت
لخط معدل النهار تحت دايرته وجميع البلاد التي على هذا الخط لا عرض لها البته والقطبان غير مرئيين
فيها ويكونان هناك على دايرة الافق من الجانبين وكلما بعد موضع لا عن هذا الخط الى ناحيه الشمال قدر

درجه

الجنوبي

درجه ارتفع القطب الشمالي الذي هو الجدي على اهل ذلك البلد درجه وانخفض القطب الجنوبي
الذي هو سهيل درجه وهكذا ما زاد ويكون الامر فيما بعد من البلاد الواقعه في ناحيه الجنوب كذلك
من ارتفاع القطب الجنوبي وانحطاط القطب الشمالي وبهذا عرف عروض البلدان وصار عرض البلد
عباره عن ميل دايرة معدل النهار عن سمت رووس اهله وارتفاع القطب عليهم وهو ايضا بعد ما
بين سمت رووس اهل ذلك البلد وسمت رووس اهل بلد لا عرض له فاما ما انكشف من الارض مما يلي
الجنوب من خط الاستوا فانه خراب والنصف الاخر الذي يلي الشمال من خط الاستوا فهو
الربع العامر وهو المسكون من الارض وخط الاستوا لا وجود له في الخارج وانما هو فرض توهمنا
انه خط ابتداوه من المشرق الى المغرب تحت مدار راس الحمل وسمي بذلك من اجل ان الليل والنهار هناك
ابدا مستويان لا يزيد احدهما على الاخر شيا البته في سائر اوقات السنه كلها ونقطتا هذا الخط ملازمتان
للافق احديهما على مدار سهيل في ناحيه الجنوب والاخرى مما يلي الجدي في ناحيه الشمال والعمارة من
المشرق الى المغرب مايه وثمانون درجه ومن الجنوب الى الشمال من خط الاستوا الى بنات نعش ثمان
واربعون درجه وهو مقدار ميل الشمس مرتين وخلف خط الاستوا بمقدار ست عشره درجه وجمله
معمور الارض نحو من سبعين درجه لاعتدال تسيير الشمس في هذا الوسط ومرورها على ما ورا الحمل
والميزان مرتين في السنه واما الشمال والجنوب فالشمس لا تحاذيهما الا مره واحده ولان اوج
الشمس في جهه الشمال كانت العماره فيه لارتفاعها وانخفاض فلكها عن ساكنيه ولان حضيضها
في الجنوب عدمت العماره هناك وقد اختلف الناس في مساحه الارض فقيل مساحتها خمسمايه
عام ثلث عمران وثلث خراب وثلث بحار وقيل المعمور من الارض مايه وعشرون سنه تسعون لياجوج
وماجوج واثنا عشر للسودان وثمانيه للروم وثلثه للعرب وسبعه لسائر الامم وقيل الدنيا سبعه
اجزا ستة لياجوج وماجوج وواحد لسائر الناس وقيل الارض خمسمايه عام البحار ثلثمايه ومايه خراب
ومايه عمران وقيل الارض اربعة وعشرون الف فرسخ للسودان اثنا عشر الف وللروم ثمانيه الاف ولفارس
ثلثه الاف وللعرب الف وعن وهب بن منبه ما العماره من الدنيا في الخراب الا كفسطاط في الصحرا وقال
ازدشير بن بابك الارض اربعة اجزا جز ومنها للترك وجز للعرب وجز للفرس وجز للسودان
وقيل الاقاليم سبعه والاطراف اربعه والنواحي خمسه واربعون والمداين عشرة الاف والرساتيق ما بينا
الف وسته وخمسون الفا وقيل المدن والحصون احد وعشرون الفا وستمايه مدينه وحصن ففي الاقليم
الاول ثلاثه الاف ومايه مدينه كبيره وفي الثاني الفان وسبعمايه وثلاث عشره مدينه وقريه كبيره
وفي الثالث ثلثه الاف وتسع وسبعون مدينه وقريه كبيره وفي الرابع وهو بابل الفان وتسعمايه
واربع وسبعون وفي الخامس ثلاثه الاف مدينه وست مدن وفي السادس ثلاثه الاف واربعمايه

وثمان مدن وفي السابع ثلاثة الاف وثلثمائة مدينة في الجزائر وقال الخوارزمي قطر الارض سبعة
الاف فرسخ وهو نصف سدس الارض والجبال والمفاوز والبحار والباقي خراب يباب لا نبات فيه
ولا حيوان وقيل المعمور مثل طائر رأسه الصين والجناح الايمن الهند والسند والجناح الايسر
الخزر وصدره مكة والعراق والشام ومصر وذنبه المغرب وقيل قطر الارض سبعة الاف واربعمائة
واربعة عشر ميلا ودورها عشرون الف ميل واربعمائة ميل وذلك جميع ما احاطت به من بر وبحر
وقال ابو زيد احمد بن سهل البلخي طول الارض من اقصى المشرق الى اقصى المغرب نحو اربعمائة مرحلة وعرضها
من حيث العمران الذي من جهة الشمال وهو مساكن ياجوج وماجوج الى حيث العمران الذي من جهة
الجنوب وهو مساكن السودان مائتان وعشرون مرحلة وما بين براري ياجوج وماجوج الى البحر
المحيط في الشمال وما بين براري السودان والبحر المحيط في الجنوب خراب ليس فيه عمارة ويقال ان
مسافة ذلك خمسة الاف فرسخ وهذه اقوال لا دليل على صدقها والطريق في معرفة مساحة الارض
انا لو سرنا على خط نصف النهار من الجنوب الى الشمال بقدر ما يميل دائرة معدل النهار عن سمت رؤوسنا الى
الجنوب درجة من درج الفلك التي هي جزء من ثلثمائة وستين جزءا وارتفع القطب علينا درجة نظير تلك
الدرجة فانا نعلم انا قد قطعنا من محيط جرم الارض جزءا من ثلثمائة وستين جزءا وهو نظير ذلك الجزء من
الفلك فلو قسنا من ابتداء مسيرنا الى انتهاء مكاننا الذي وصلنا اليه حيث ارتفع القطب علينا درجة فما
يخرج حصة الدرجة الواحدة من الفلك قد قطعت من الارض ستة وخمسين ميلا وثلثي ميل اعني خمسة
وعشرين فرسخا فاذا ضربنا حصة الدرجة الواحدة وهو ما ذكرناه من الاميال في ثلثمائة وستين خرج
من الضرب عشرون الفا واربعمائة ميل وذلك مساحة دور الارض فاذا قسمنا هذه الاميال التي هي مساحة
دور الارض على ثلثة وسبع خرج من القسمة ستة الاف واربعمائة واربعون ميلا وهي مساحة قطر
الارض فلو ضربنا هذا القطر في مبلغ دور الارض لبلغت مساحة بسيط الارض بالتكسير مائة الف
الف واثنان وثلثون الف الف وثمانمائة الف ميل بالتقريب فعلى ذلك مساحة الربع المسكون من الارض
بالتكسير ثلثة وثلثون الف الف ميل ومائة الف ميل وخمسون الف ميل وعرض المسكون من هذا الربع
بقدر تبعد مدار السرطان عن القطب وهو ستة وخمسون جزءا وسدس جزء وهذا هو سدس
الارض وانتهاؤه الى جزيرة تولي في برطانية وهي اخر المعمور من الشمال وهو من الاميال ثلثة الاف وسبعمائة
واربعة وستون ميلا فاذا ضربنا هذا السدس الذي هو مساحة العرض في النصف وهو قدر الطول ان
كان المعمور من الشمال قدر نصف سدس الارض واما الطول فانه يقل لتضايق اقسام كرة الارض و
مثل خمس الدور وهو بالتقريب اربعة الاف وثمانون ميلا وفي الربع المسكون من الارض سبعة ابحر
كبار في كل بحر منها عدة جزائر وفيه خمس عشرة بحيرة منها ملح وعذب وفيه مائتا جبل طوال ومائتا نهر

واربعون

واربعون نهرا طوالا ويشتمل على سبعة اقاليم يحتوي على سبع عشرة الف مدينة كبيرة وقال في
كتاب هرموسيوس لما استقام سطاغديوليس الملقب قيصر الملك في عامة الدنيا تخير اربعة من
الفلاسفة سماهم فامرهم ان يأخذوا له وصف حدود الدنيا وعدة بحارها وكورها ارباعا فولي
احدهم اخذ وصف جزء المشرق وولي اخر اخذ وصف جزء المغرب وولي اخر وصف جزء الشمال وولي
الرابع وصف جزء الجنوب فتمت كتابة الجميع على ايديهم في نحو من ثلثين سنة فكانت جملة البحار المسماة
في الدنيا تسعة وعشرين قد سموها منها الجزء الشرقي ثمانية والجزء الغربي ثمانية والجزء الشمالي
احد عشر والجزء الجنوبي اثنان وعدة الجزائر المعروفة الامهات احدى وسبعون جزيرة منها في
الشرق ثمان وفي الغرب ست عشرة وفي جهة الشمال احدى وثلثون وفي جهة الجنوب ست عشرة
وعدة الجبال الكبار المعروفة في جميع الدنيا ستة وثلثون وهي امهات الجبال وقد سموها فيما فسروه منها
في جهة الشرق سبعة وفي الغرب خمسة عشر وفي الشمال اثنا عشر وفي الجنوب اثنان والبلدان
الكبار ثلثة وستون منها في المشرق سبعة وفي الغرب خمسة وعشرون وفي الشمال تسعة عشر
وفي الجنوب اثنا عشر وقد سموها والكور الكبار المعروفة تسع ومائتان منها في المشرق خمسون
وفي الغرب ست وستون وفي الشمال ست وفي الجنوب اثنان وستون والانهار الكبار المعروفة
في جميع الدنيا ستة وخمسون منها الجزء الشرقي سبعة عشر والجزء الغربي ثلثة عشر والجزء الشمالي
تسعة عشر والجزء الجنوبي سبعة والاقاليم السبعة كل اقليم منها كانه بساط مفروش قد مد طوله
من المشرق الى المغرب وعرضه من الشمال الى الجنوب وهذه الاقاليم مختلفة الطول والعرض فالاقليم
الاول منها مر وسطه بالمواضع التي طول نهارها الاطول ثلث عشرة ساعة والسابع منها مر بالمواضع
التي طول نهارها الاطول ست عشرة ساعة لان ما جاز حد الاقليم الاول الى نحو الجنوب يشتمل عليه
البحر ولا عمارة فيه وما جاوز الاقليم السابع الى الشمال لا يعرف فيه عمارة لجمل طول جميع الاقاليم السبعة
من المشرق الى المغرب مسافة اثني عشرة ساعة من دور الفلك وصارت عروضها متفاضلة بنصف ساعة
نصف ساعة من ساعات النهار الاطول فاطولها واعرضها الاقليم الاول وطوله من المشرق الى المغرب
نحو ثلثة الاف فرسخ وعرضه من الشمال الى الجنوب مائة وخمسون فرسخا واقصرها طولا وعرضا الاقليم
السابع وطوله من المشرق الى المغرب الف ومائتا فرسخ وعرضه من الشمال الى الجنوب نحو من سبعين فرسخا
وبقية الاقاليم الخمسة فيما بين ذلك وهذه الاقاليم خطوط متوهمة لا وجود لها في الخارج وضعها القدماء
الذين جالوا في الارض ليقفوا على حقيقة حدودها ويتيقنوا مواقع البلدان منها ويعرفوا طرق ومسالكها
هذا حال الربع المسكون واما الثلاثة الارباع الباقية فانها خراب بجهة الشمال والتي تحت مدار
الجدي قد افرط هناك البرد وصارت ستة اشهر ليلا مستمرا وهي مدة الشتاء عندهم لا يعرف فيها نهار

الجبال وقد سموها فيما قسروه منها في جهة الشرق سبعة وفي الغرب خمسة عشر
وفي الشمال اثنى عشر وفي الجنوب اثنان والبلدان الكبار ثلثه وستون منها
في المشرق سبعة وفي المغرب خمسة وعشرون وفي الشمال تسعة عشر وفي
الجنوب اثني عشر وقد سموها والكور الكبار المعروفه تسع ومايتان منها في الشرق
خمس وسبعون وفي الغرب ست وستون والانهار الكبار المعروفه في جميع
الدنيا ست وخمسون منها بجز الشرق سبعة عشر وبجز الغرب ثلثه عشر وبجز
الشمال تسعة عشر وبجز الجنوب سبعة والاقاليم السبعة كل اقليم منها
كانه بساط مفروش ممدود طوله من الشرق الى الغرب وعرضه من الشمال
الى الجنوب وهذه الاقاليم مختلفة الطول والعرض فالاقليم الاول منها يمر وسطه
بالمواضع التي طول نهارها الاطول ثلثه عشر ساعة والسابع منها يمر بالمواضع
التي طول نهارها الاطول ست عشر ساعة لان ما جاوز حد الاقليم الاول الى
نحو الجنوب يشتمل عليه البحر ولا عمارة عليه وما جاز الاقليم السابع الى الشمال
لا يعرف فيه عمارة فجعل طول الاقاليم السبعة من الشرق الى الغرب مسافة
اثني عشر ساعة من دور الفلك وصارت عروضها متفاضلة بنصف ساعة
من ساعات النهار الاطول فاطولها واعرضها الاقليم الاول وطوله من الشرق
الى الغرب نحو ثلثة الاف فرسخ وعرضه من الشمال الى الجنوب مايه وخمسون
فرسخا واقصرها طولا وعرضا الاقليم السابع وطوله من الشرق الى الغرب الف
وخمسمايه فرسخ وعرضه من الشمال الى الجنوب نحو من سبعين فرسخا وبقية
الاقاليم الخمسه فيما بين ذلك وهذه الاقاليم خطوط متوهمه لا وجود لها في الخارج
وضعها القدما الذين جالوا في الارض ليقفوا على حقيقة حدودها ويستثبتوا
مواضع البلدان منها ويعرفوا طرق مسالكها هذا حال الربع المسكون واما
الثلاثة ارباع الباقيه فانها خراب فجهة الشمال والتي تحت مدار الجدي
قد افرط هناك البرد وصارت ستة اشهر ليلا مستمرا وهي مدة الشتا عندهم
لا يعرف فيها نهار ويظلم الهوا ظلمة شديدة وتجمد المياه لقوة البرد فلا يكون هناك
نبات ولا حيوان ويقابل هذه الجهة الشمالية ناحية الجنوب حيث مدار سهيل
فيكون النهار ستة اشهر بغير ليل وهي مدة الصيف عندهم يحمى الهوا ويصير
سموها محرقا يحرق بشدة حره الحيوان والنبات فلا يمكن سلوكه ولا السكنى

ويظلم الهوا ظلمه شديده وتجمد المياه لقوه البرد فلا يكون هناك نبات ولا حيوان ويقابل هذه
الجهة الشماليه ناحية الجنوب حيث مدار سهيل فيكون النهار سته اشهر بغير ليل وهي مدة
الصيف عندهم يحمى الهوا ويصير سموما محرقا يهلك بشده حره الحيوان والنبات فلا يمكن سلوكه
ولا السكنى فيه واما ناحية الغرب فيمنع البحر المحيط من السلوك فيه لتلاطم امواجه وشده ظلمته
وناحية الشرق تمنع من سلوكه الجبال الشامخه وصار الناس باجمعهم قد انحصروا في الربع المسكون
من الارض ولا علم لاحد منهم بالثلاثة الارباع الباقيه والارض كلها بجميع ما عليها من الجبال والبحار
الى الفلك كنقطة في دايره وقد اعتبرت حدود الاقاليم السبعه بساعات النهار وذلك ان الشمس اذا
حلت براس الحمل تساوى طول النهار والليل في سائر الاقاليم كلها فاذا سفلت في درجات برج الحمل
والثور والجوزا اختلفت ساعات نهار كل اقليم فاذا بلغت اخر الجوزا واول برج السرطان بلغ طول
النهار في وسط الاقليم الاول ثلث عشرة ساعه سوا وصارت في وسط الاقليم الثاني ثلث عشره ساعه
ونصف ساعه وفي وسط الاقليم الثالث اربع عشره ساعه وفي وسط الاقليم الرابع اربع عشره ساعة
ونصف ساعه وفي وسط الاقليم الخامس خمس عشرة ساعه وفي وسط الاقليم السادس خمس عشرة
ساعه ونصف ساعه وفي وسط الاقليم السابع ست عشره ساعه سوا وما زاد على ذلك الى العرض
تسعين درجه تصير نهارا كله ومعنى طول البلد هو بعدها من اقصى العمارة في الغرب وعرضها هو بعدها
من خط الاستوا وخط الاستوا كما تقدم هو الموضع الذي يكون فيه الليل والنهار طول الزمان سوا
فكل بلد على هذا الخط لا عرض له وكل بلد في اقصى الغرب لا طول له ومن اقصى الغرب الى اقصى الشرق
مايه وثمانون درجه وكل بلد يكون طوله تسعين درجه فانه في وسط ما بين المشرق والمغرب
وكل بلد كان طوله اقل من تسعين درجه فانه اقرب الى الغرب وابعد من الشرق وما كان طوله
من البلاد اكثر من تسعين درجه فانه ابعد عن الغرب واقرب عن الشرق وقد ذكر القدما ان العالم السفلي
مقسوم سبعة اقسام كل قسم يقال له اقليم فاقليم الهند لزحل واقليم بابل للمشتري واقليم الترك
للمريخ واقليم الروم للشمس واقليم مصر لعطارد واقليم الصين للقمر وقال قوم ان الحمل والمشتري لبابل
والجدي وعطارد للهند والاسد والمريخ للترك والميزان والشمس للروم ثم صارت القسمة على اثني عشر
برجا فالحمل ومثلثه للمشرق والثور ومثلثه للجنوب والجوزا ومثلثها للمغرب والسرطان ومثلثه
للشمال قالوا وفي كل اقليم مدينتان عظيمتان بحسب بيتي كل كوكب الا اقليم الشمس واقليم القمر فانه
ليس في كل اقليم منها سوى مدينه واحده عظيمه وجميع مداين الاقاليم السبعه وحصونها احد وعشرون
الف مدينه وستمايه مدينه وحصن بقدر دقايق درج الفلك وقال هرمس اذا جعلت هذه البلاد
دوائر كانت بعدد اناسي هذه الاقاليم فاذا مات احد ولد نظيره ويقال ان عدد مدن الاقليم الاول

الذي

فيه واما ناحية الغرب فتمنع البحر المحيط من السلوك فيه لتلاطم امواجه وشدة
ظلماته وناحية الشمال تمنع من سلوكه الجبال الشامخة وصار الناس باجمعهم
قد انحصروا في الربع المسكون من الارض ولا علم لاحد منهم بالثلاثة ارباع الباقية
والارض كلها بجميع ما عليها من الجبال والبحار نسبتها الى الفلك كنقطة في دائرة
وقد اعتبرت حدود الاقاليم السبعة بساعات النهار وذلك ان الشمس اذا
حلت براس الحمل تساوي طول الليل والنهار في ساير الاقاليم كلها فاذا انتقلت
في درجات برج الحمل والثور والجوزا اختلفت ساعات نهار كل اقليم فاذا
بلغت اخر الجوزا واول برج السرطان بلغ طول النهار في وسط الاقليم الاول
ثلثة عشر ساعة سوا وصار في وسط الاقليم الثاني ثلث عشرة ساعة ونصف
ساعة وفي وسط الاقليم الثالث اربع عشره ساعة وفي وسط الاقليم الرابع
خمس عشرة ساعة ونصف ساعة وفي وسط الاقليم الخامس خمس عشر ساعة.
وفي وسط السادس خمس عشر ساعة ونصف ساعة وفي وسط الاقليم
السابع ستة عشر ساعة سوا وما زاد على ذلك الى عرض تسعين درجة
يصير نهارا كله ومعنى طول البلد هو بعدها من اقصى العمارة في الغرب
وعرضها هو بعدها من خط الاستوا وخط الاستوا كما تقدم هو الموضع
الذي يكون فيه الليل والنهار طول الزمان سوا فكل بلد على هذا الخط لا عرض
له وكل بلد في اقصى الغرب لا طول له ومن اقصى الغرب الى اقصى الشرق مائة
وثمانون درجة وكل بلد يكون طوله تسعين درجة فانه في وسط ما بين الشرق
والغرب وكل بلد كان طوله اقل من تسعين درجة فانه اقرب الى الغرب
وابعد من الشرق وما كان طوله من البلاد اكثر من تسعين درجة فانه ابعد عن
الغرب واقرب الى الشرق وقد ذكر العلما القدما ان العالم السفلي منقسم
سبعة اقسام كل قسم يقال له اقليم فاقليم الهند لزحل واقليم بابل للمشتري
واقليم الترك للمريخ واقليم الروم للشمس واقليم مصر لعطارد واقليم الصين
لعطارد للقمر وكذلك قوم الحمل والمشتري لبابل والجدي وعطارد للهند والاسد
والمريخ للترك والميزان والشمس للروم ثم صارت القسمة على اثني عشر برجا قالوا
فالحمل ومثلثته للجنوب والجوزا ومثلثها للغرب والسرطان ومثلثته للشمال
قالوا وفي كل اقليم مدينتان عظيمتان بحسب تبني كل كوكب الا اقليم الشمس واقليم
القمر

القمر فانه ليس في كل اقليم منها سوى مدينة واحدة عظيمة وجميع مداين الاقاليم
السبعة وحصونها احد وعشرون الف مدينة وستماية مدينة وحصن بعدد
دقايق درج الفلك وقال هرمس اذا جعلت هذه الدقايق روابع كانت
بعدد اناسي هذه الاقاليم فاذا مات واحد ولد نظيره ويقال ان عدد مدن
الاقليم الاول الذي مطلع الشمس وقراه ثلثة الاف وماية مدينة وقرية
كبيرة وفي الثالث سهو ثلثة الاف الثاني الفان وسبعماية وثلثة عشر مدينة وقرية
كبيرة وفي الثالث ثلثة الاف وتسع وسبعون وفي الرابع وهو بابل الفان ه
وتسعماية واربع وسبعون وفي الخامس ثلثة الاف وست مدن وفي السادس
ثلثة الاف واربعماية وثمان مدن وفي السابع ثلثة الاف وست مدن وفي
السابع ثلثة الاف وثلثماية مدينة وقرية كبيرة في الجزاير فالاقليم الاول يمر
وسطه بالمواضع التي طول نهارها الاطول ثلث عشر ساعة ويرتفع القطب
الشمالي فيها عن الافق ست عشر درجة وثلثا درجة وهو العرض وانتهاء عرض
هذا الاقليم من حيث يكون طول النهار الاطول فيه ثلثة عشر ساعة وربع
ساعة وارتفاع القطب الشمالي وهو العرض عشرين درجة ونصف درجة
وهو مسافة اربعماية واربعين ميلا وابتداه من اقصى بلاد الصين فيمر
فيها الى ما يلي الجنوب ويمر بسواحل الهند ثم ببلاد السند ويمر في البحر على جزيرة
العرب وارض اليمن ويقطع بحر القلزم فيمر ببلاد الحبشة وبمدينة دنقلة من
ارض النوبة ويمر في ارض المغرب على جنوب بلاد البربر الى بحر الغرب
المحيط وفي هذا الاقليم عشرون جبلا منها ما طوله من عشرين فرسخا الى الف
فرسخ وفيه ثلثون نهرا طوالا منها ما طوله الف فرسخ الى عشرين فرسخ وفيه
خمسون مدينة كبيرة وعامة اهل هذا الاقليم سود الالوان ولهذا الاقليم
من البروج الحمل والقوس وله من الكواكب المشتري وهو مع فرط حرارته
كثير المياه كثير المروج وزرع اهله الذرة والارز الا ان الاعتدال عندهم
معدوم فلا يثمر عندهم كرم ولا حنطة والبقر عندهم كثيرة لكثرة المروج وفي
مشرقه البحر الخارج وراء خط الاستوا بثلاث عشرة درجة وفي مغربه النيل
وبحر المغرب ومن هذا الاقليم ياتي نيل مصر ومشرقه معمور بالبحر الشرقي
الذي هو بحر الهند واليمن الاقليم الثاني حيث يكون طول النهار الاطول

ثلث عشرة ساعة ونصف ويرتفع القطب الشمالي فيه قدر اربعة وعشرين جزا وعشر جزو وحده من حد الاقليم الاول الى حيث يكون النهار الاطول ثلث عشر ساعة ونصف وربع ساعة وارتفاع القطب الشمالي وهو العرض سبعة وعشرين درجة ونصف درجه ومساحة هذا الاقليم اربعماية ميل ويبتدي من الشرق مارا ببلاد الصين الى بلاد الصين الهند والسند ثم يلتقي البحر الاخضر وبحر البصرة ويقطع جزيرة العرب في ارض نجد وتهامة فيدخل في هذا الاقليم اليمامة والبحرين وهجر ومكه والمدينه والطايف وارض الحجاز ويقطع بحر القلزم فيمر بصعيد مصر الاعلى ويقطع النيل فيصير فيه مدينة قوص واخميم واسنا وانصنا واسوان ويمر في ارض المغرب على وسط بلاد افريقيه فيمر على بلاد البربر الى البحر في المغرب وفي هذا الاقليم سبعة عشر جبلا وسبعة عشر نهرا طوالا واربعمايه وخمسين مدينة كبيره والوان اهل هذا الاقليم ما بين السمرة والسودا وله من البروج الجدي ومن السيارة زحل ويسكن هذا الاقليم الرحاله ففي المغرب منهم صداله وصنهاجه ولميونه ومسوفه ويتصل بهم رحاله مصر من الواح وفي هذا الاقليم يكون النخل وفيه مكه والمدينه ومنها السماوه من اهل العراق الى رحالة الترك والاقليم

الثالث وسطه حيث يكون طول النهار الاطول اربع عشرة ساعة وارتفاع القطب وهو العرض ثلثون درجة ونصف وخمس درجة وعرض هذا الاقليم من حد الاقليم الثاني الى حيث يكون النهار الاطول اربع عشرة ساعة وربع ساعة وارتفاع القطب وهو العرض ثلث وثلثون درجه ومسافته ثلثمائة وخمسون ميلا ويبتدي من الشرق فيمر بشمال الصين وبلاد الهند وفيه مدينه القندهار ثم شمال السند ويبتدي من الشرق فيمر بشمال الصين وبلاد الهند كابل وكرمان وسجستان الى سواحل بحر البصرة وفيه اصطخر وسابور وشيراز وسواف ويمر بالاهواز والعراق والبصره وواسط وبغداد والكوفه والانبار وهيت ويمر ببلاد الشام الى سلميه وصور وعكا ودمشق وطبريه ونابلس وبيت المقدس وعسقلان وغزه ومدين والقلزم ويقطع اسفل ارض مصر من شمال انصنا الى فسطاط مصر وسواحل البحر وفيه الفيوم والاسكندريه

والفرما

برقه الى

والفرما وتنيس ودمياط ويمر ببلاد افريقيه فيدخل فيه القيروان وينتهي الى البحر في الغرب وبهذا الاقليم ثلثه وثلثون درجه جبلا كبارا واثنان وعشرون نهرا طوالا ومايه وثمان وعشرون مدينه واهله سمر الالوان وله من البروج العقرب ومن السياره ابو مره وفي هذا الاقليم العماير الفاضله من اوله الى اخره والاقليم الرابع وسطه حيث يكون النهار الاطول اربع عشر ساعة ونصف ساعة وارتفاع القطب الشمالي وهو العرض ست وثلثون درجة وخمس درجة وحد هذا الاقليم من حد الاقليم الثالث الى حيث يكون النهار الاطول اربع عشرة ساعة ونصف وربع ساعه والعرض تسعا وعشرين درجه وثلث درجة ومسافة هذا الاقليم ثلثمائة ميل ويبتدي من الشرق فيمر ببلاد التبت وخراسان وخجنده وفرغانه وسمرقند وبخارا وهراه ومرو الروذ وسرخس وطوس ونيسابور وجرجان وقومس وطبرستان وقزوين والديلم والري واصفهان وهمدان ونهاوند ودينور والموصل ونصيبين وامد وراس العين وشمشاط والرقه ويمر ببلاد الشام فيدخل فيه بالس ومنبج وملطيه وحلب وانطاكيه وطرابلس والمصيصه وحماه وصيدا وطرسوس وعموريه واللاذقيه ويقطع بحر الشام على جزيرة قبرس ورودس ويمر ببلاد طنجه فينتهي الى بحر المغرب وفي هذا الاقليم خمسة وعشرون جبلا كبارا وخمسه وعشرون نهرا طوالا ومايتا مدينه واثنتا عشر مدينه والوان اهله ما بين السمرة والبياض وله من البروج الجوزا ومن السياره عطارد وفيه البحر الرومي من مغربه الى قسطنطينيه ومن هذا الاقليم ظهر شرف الانبيا والرسل صلوات الله عليهم ومنه اكثر العلما والحكما فانه وسط الاقاليم تليه شماليه وثلثة جنوبيه وهو في قسمة الشمس وبعده في الفضيلة الاقليم السادس والخامس فانهما عن جنبتيه وبقية الاقاليم اهلوها ناقصون منحطون عن الفضيلة لسماجة صورهم وتوحش اخلاقهم كالزنج والحبشه واكثر ام الاقليم الاول والثاني والسابع والسادس ياجوج وماجوج والتغزغز والصقالبه ونحو هم والاقليم الخامس وسطه حيث يكون النهار الاطول خمسة عشر ساعة وارتفاع القطب الشمالي وهو العرض احدى واربعين درجة ومسافته

وثلث درجه وابتداه من نهاية عرض الاقليم الرابع الى حيث يكون النهار
الاطول خمسة عشر ساعة ونصف ساعه والعرض ثلاثا واربعين درجة
ومسافته خمسون وماية ميل ويبتدي من الشرق الى بلاد ياجوج وماجوج
ويمر بشمال خراسان وفيه خوارزم واسبيجاب وادربيجان وبردعة وسجستان
وارزن وخلاط ويمر على بلاد الروم الى رومية الكبرى والاندلس حتى
ينتهي الى البحر في الغرب وفي هذا الاقليم من الجبال الطوال ثلثون
جبلا ومن الانهار الكبار خمسة عشر نهرا ومن المداين الكبار ماية
مدينه واكثر اهله بيض الالوان وله من البروج الدلو ومن السيارة
القمر **والاقليم السادس** وسطه حيث يكون النهار الاطول خمس عشرة
ساعة ونصف ساعه وارتفاع القطب الشمالي وهو العرض خمسا واربعين
درجه وخمسين درجة وابتداه من حد نهاية عرض الاقليم الخامس الى حيث
يكون النهار الاطول خمس عشرة ساعة ونصف وربع ساعة والعرض
سبعا واربعين درجة وربع درجة ومسافة هذا الاقليم ماية ميل
وعشرة اميال ويبتدي من الشرق فيمر بمساكن الترك من الخزخيز
والتغزغز الى بلاد الخزر من شمال بحرهم على اللان والسرير وارض
برجان والقسطنطينيه وشمال الاندلس الى البحر المحيط الغربي وفي
هذا الاقليم من الجبال الطوال اثنان وعشرون جبلا ومن الانهار
الطوال اثنان وثلثون نهرا ومن المدن الكبار تسعون مدينه واكثر
اهل هذا الاقليم الوانهم ما بين الشقرة والبياض وله من البروج
السرطان ومن السيارة المريخ **والاقليم السابع** وسطه حيث يكون
النهار الاطول ست عشر ساعة سوا وارتفاع القطب الشمالي وهو العرض
ثمانيا واربعين درجه وثلثي درجة وابتدا هذا الاقليم من حد نهاية الاقليم الى
حيث يكون النهار الاطول ست عشرة ساعة وربع ساعة والعرض خمسين
درجة ونصف درجة ومسافته ماية وخمسة وثمانون ميلا فتبين ان ما بين
اول حد الاقليم الاول واخر حد الاقليم السابع ثلث ساعات ونصف وان
ارتفاع القطب الشمالي ثمان وثلثون درجة يكون من الاميال الفين وماية
واربعين ميلا ويبتدي الاقليم السابع من الشرق على بلاد ياجوج وماجوج
ويمر

ويمر ببلاد الترك على سواحل بحر جرجان مما يلي الشمال ويقطع بحر الروم على
بلاد برجان والصقالبة الى ان ينتهي الى البحر المحيط في الغرب وبهذا الاقليم
عشرة جبال طوال واربعون نهرا طوالا واثنين وعشرين مدينة كبيرة واهله
شقر الالوان وله من البروج الميزان ومن السيارة العقرب وفي كل اقليم من
هذه الاقاليم السبعة امم مختلفة الالسن والالوان وعيرذ لك من الطبايع
والالوان والاخلاق والارا والديانات والمذاهب والعقايد والاعمال
والصنايع والعادات والعبادات لا يشبه بعضهم بعضا وكذلك الحيوانات
والمعادن والنبات مختلفة في الشكل والطعم واللون والريح بحسب اختلاف
اهوية البلدان وتربة البقاع وعذوبة المياه وملوحتها على ما اقتضته
طوالع كل بلد من البروج على افقه وممر الكواكب على مسامتة البقاع من
الارض ومطارح شعاعاتها على المواضع كما هو مقرر في مواضعه من كتب
الحكمه لتتدبر اولوا النهى وتعتبر ذوو الحجى بتدبير الله في خلقه وتقديره
لما ينشا وفعله لما يريد لا اله الا هو ومع ذلك فان الربع المسكون من
الارض على تفاوت اقطاره مقسوم بين سبع امم كبار وهم الصين والهند
والسودان والبربر والروم والترك والفرس فجنوب مشرق الارض في
يد الصين وشماله في يد الترك ووسط جنوب الارض في يد الهند
وفي وسط شمال الارض الروم وفي جنوب مغرب الارض السودان
وفي شمال مغرب الارض البربر وكانت الفرس في وسط هذه الممالك
قد احاطت بهم الامم الست **ذكر محل مصر من الارض وموضعها
من الاقاليم السبعة** واذ يسر الله تعالى بذكر جمل احوال الارض ومعرفة
ما في كل اقليم من الاقاليم فلنذكر محل مصر من ذلك فنقول ديار مصر
بعضها واقع في الاقليم الاول وبعضها واقع في الاقليم الثالث فما كان منها
في الصعيد الاعلى كقوص واخميم واسنا وانصنا واسوان فان ذلك واقع
في اقسام الاقليم الثالث وما كان من ديار مصر في جهة الشمال من انصنا
وهو الصعيد الادنى من سيوط الى فسطاط مصر والفيوم والقاهره
والاسكندرية والفرما وتنيس ودمياط فان ذلك من اقسام الاقليم
الثالث وطول مدينة مصر الفسطاط والقاهره وهو بعدهما عن

اول العمارة في جهة الغرب خمس وخمسون درجة والعرض وهو البعد من
خط الاستوا ثلثون درجة وطول النهار الاطول اربع عشر ساعة وغاية
ارتفاع الشمس في الفلك بها ثلث وثمانون درجة وثلث درجة وربع درجة
وفسطاط مصر مع القاهرة من مكة شرفها الله تعالى وافتعان في الربع ط
الجنوبي الشرقي والصعيد الاعلى اشد تشريقا لبعده عن مدينة الفسطا
ط بايام عديدة في جهة الجنوب فيكون ذلك مقابلا لمكة من غربها ومصر
لا يتوصل اليها الا من مفازة ففي شرقيها بحر القلزم من ورا الجبل الشرقي
وفي غربيها صحرا المغرب وفي جنوبيها مفاوز النوبة والحبشة وفي شماليها
البحر الشامي والرمال التي فيما بين بحر الروم وبحر القلزم وبين مصر
وبغداد على ما ذكره ابن خرداذبة في كتاب الممالك والمسالك الف وسبعمائة
وعشرة اميال يكون خمسمائة وسبعين فرسخا ومائة وبضعا واربعين
بريدا وبين مصر ودمشق ثلثمائة وخمسة وستون ميلا يكون من الفراسخ
مائة وعشرو واحدي وعشرين فرسخا وثلثي فرسخ منها ثلثون بريدا وكسر
وقال بن خرداذبة ارض الحبشة والسودان مسيرة سبع سنين وارض
مصر جزا واحدا من ستين جزا من ارض السودان وارض السودان
جزا واحدا من الارض كلها وفي كتاب هروشيش بلد مصر الادنى شرقيه
فلسطين وغربيه ارض لبيبة ومصر الاعلى ممتد الى ناحية الشرق وحده
في الشمال خليج الغرب وفي الجنوب البحر المحيط وفي الغرب مصر الادنى
وفي الشرق بحر القلزم وفيه من الاجناس ثمانية وعشرون جنسا ه

ذكر حدود ارض مصر وجهاتها اعلم ان التحديد هو صفة المحدود
على ما هو عليه والحد هو نهاية الشي والحدود تكثر وتقل بحسب المحدود
والجهات التي تحد بها المساكن والبقاع اربع جهات وهي جهات الشمال
التي هي اشارة الى جهة قطب الفلك الشمالي المعروف من كواكبه الجدي
والفرقدان ويقابل جهة الشمال الجهات الجنوبية والجنوب هو عبارة
عن قطب الفلك الجنوبي الذي يعرف منه سهيل وما يتبعه من كواكب
السفينة والجهة الثالثة جهة المشرق وهو مشرق الشمس في الاعتدالين
اللذين هما راس الحمل اول فصل الربيع وراس الميزان اول فصل الخريف

والجهة

والجهة الرابعة جهة المغرب وهو جهة المغرب في الاعتدالين المذكورين فهذه الجهات
الاربع ثابتة بثبوت الفلك غير متغيرة بتغير الافاق وبها تحد الاراضي ونحوها
من المساكن وبها يهتدي الناس في اسفارهم وبها يستخرجون سمت محاريبهم
فالمشرق والمغرب متعرفان والشمال والجنوب جهتان متقاطعتان
لجهتي المشرق والمغرب على تربيع الفلك فالخط المار بنقطتي الشمال والجنوب
يسمى خط نصف النهار وهو يقاطع الخط المار بنقطتي المشرق والمغرب المسمى
بخط الاستوا على زوايا قائمة وابعاد ما بين هذين الخطين متساوية فالمستقبل
للجنوب يكون ابدا مستدبرا للشمال ويصير المغرب عن يمينه والمشرق
عن يساره وهذه الجهات الاربع هي التي ينسب اليها ما يحد من البلاد والاراضي
والدور الا ان اهل مصر يستعملون في تحديدهم بدلا من الجهة الجنوبية
لفظة القبلية فيقولون الحد القبلي ينتهي الى كذا ولا يقولون الحد الجنوبي
وكذلك يقولون الحد البحري ينتهي الى كذا ويريدون بالبحري الحد الشمالي
وقد يقع في هاتين الجهتين الغلط في بعض البلاد وذلك ان البلاد التي
توافق عروضها عرض مكة اذا كانت اطوالها اقل من طول مكة فان القبلة
فيها يكون نفس المشرق بخلاف البلاد التي توافق عروضها عرض مكة الا
ان اطوالها اكثر من طول مكة فان القبلة في هذه البلاد تكون نفس المغرب
فمن حدد في شي من هذه البلاد ارضا ومسكنا بحدود اربعة فانه يصير
حدان منها حدا واحدا وكذلك جهة البحر لما جعلوها مقابلة جهة القبلة ه
وجدوا ما بينهما من الاراضي والدور بما يسامتهما منه فانهم ايضا ربما غلطوا
وذلك ان القبلة والبحر يكونان في بعض البلاد في جهة واحدة واذا عرفت
ذلك فاعلم ان ارض مصر لها حد ياخذ من ارض الروم من الاسكندرية
وزعم قوم من برقة في البر حتى ينتهي الى ظهر الواحات ويمتد الى بلاد النوبة
ثم يعطف على حدود النوبة في حد اسوان على ارض البجه في قبلي اسوان
حتى ينتهي الى بحر القلزم ويجاوز القلزم الى طور سينا ويعطف على تيه بني
اسرائيل مارا الى بحر الروم في الجفار خلف العريش ورفح ويرجع على الساحل
مارا على بحر الروم الى الاسكندرية ويتصل بالحد الذي تقدم ذكره من
نواحي برقة وقال ابو الصلت امية بن عبد العزيز الاندلسي في

رسالته المصريه ارض مصر باسرها واقعه في المعمورة في قسم الاقليم الثاني ٥
والاقليم الثالث ومعظمها في الثالث وحكى المعتنون باخبارها وتواريخها
ان حدها في الطول من مدينة برقه التي في البحر الرومي الى ايله من
ساحل البحر الخارج من بحر الحبشة والزنج والهند والصين ومسافة ذلك
قريب من اربعين يوما وحدها في العرض من مدينة اسوان وما سامتها من
بلاد الصعيد الاعلى المتاخم لارض النوبه الى رشيد وما حاذاها من
مساقط النيل في البحر الرومي ومسافة ذلك قريب من ثلثين يوما
ويكتنفها في العرض الى منتهاها جبلان احدهما في الصفة الشرقية من
النيل وهو المقطم والاخر في الصفة الغربية منه والنيل منسرب فيما
بينهما وهما جبلان اجردان غير شامخين يتقاربان جدا في وضعهما من
لدن اسوان الى ان ينتهيا الى الفسطاط ثم تتسع مسافة ما بينهما وتنفرج
قليلا وياخذ المقطم منهما مشرقا والاخر مغربا على وراي في ماخذيهما وتفرج
في مسلكيهما فتتسع ارض مصر من الفسطاط الى ساحل البحر الرومي الذي
عليه الفرما وتنيس ودمياط ورشيد والاسكندرية فهناك ينقطع في
عرضها الذي هو مسافة ما بين اوغلها في الجنوب واوغلها في الشمال
واذا نظرنا بالطرق البرهانية في مقدار هذه المسافة من الاميال لم
يبلغ ثلثين يوما بل ينقص منها نقصا ما له قدر وذلك لان فضل ما بين
عرض مدينة اسوان التي هي اوغلها في الجنوب وعرض مدينة تنيس
التي هي اوغلها في الشمال تسعة اجزا ونحو سدس جزء ليس بين بطليموس
فضل له قدر يعتد به وينوب ذلك نحو خمسمائة وعشرين ميلا بالتقريب
وذلك مسافة عشرين يوما او قريب منها وفي هذه المدة من الزمان
يقطع السفار ما بين البلدين بالسير المعتدل او اكثر من ذلك لما في
الطريق من التعريج وعدم الاستقامة وقال القضاعي الذي يقع عليه اسم
ارض من العريش الى اخر لوبيه ومراقيه وفي اخر ارض مراقيه تلتقي انطابلس
وهي برقه ومن العريش فصاعدا يكون ذلك مسيرة اربعين ليلة وهو
ساحل كله على البحر الرومي وهو بحر ارض مصر وكذلك مهب الشمال
منها الى القبلة شيا ما فاذا بلغت اخر ارض مراقية عدت ذات الشمال
واستقبلت

واستقبلت الجنوب وتسير في الرمل وانت متوجه الى القبله يكون الرمل
من مصبه عن يمينك الى افريقيه وعن يسارك من ارض مصر الى ارض
الفيوم منها ارض الواحات الاربعه فذلك غربي مصر وهو ما استقبلته
منه ثم تعوج من اخر ارض الواحات وتستقبل الشرق سايرا الى النيل
تسير ثمانى مراحل الى النيل ثم على النيل فصاعدا وهي اخر ارض الاسلام هناك
وتليها بلاد النوبه ثم تقطع النيل فتاخذ من اسوان في الشرق منكبا عن
بلد السودان الى عيذاب ساحل البحر الحجازي فمن عيذاب الى ارض الحجاز
اسوان الى عيذاب خمسة عشر مرحله وذلك كله قبلي ارض مصر ومهب
الجنوب منها ثم تقطع البحر الملح من عيذاب الى ارض الحجاز فتنزل الحورا
اول ارض مصر وهي متصلة باعراض مدينة الرسول صلى الله عليه
وسلم وهذا البحر الحد وهو بحر القلزم وهو داخل في ارض مصر شرقيه
وغربيه وبحريه فالشرقي منه ارض الحورا وطيبه والنيل وارض مدين
وارض ايله فصاعدا الى المقطم بمصر والغربي منه ساحل عيذاب
الى بحر النعام الى المقطم والبحري منه مدينة القلزم وجبل الطور ومن
القلزم الى الفرما مسيرة يوم وليله وهو الحاجز فيما بين البحرين بحر
الحجاز وبحر الروم وهذا كله شرقي ارض مصر من الحورا الى العريش
وهو مهب الصبا منها فهذا الحد ومن ارض مصر وما كان بعد هذا
من الحد الغربي فمن فتوح اهل مصر وثغورهم من برقة الى الاندلس

ذكر بحر القلزم

القلازم الدواهي والمصائب ومنه بحر القلزم
لانه مضيق بين جبال ولما كانت ارض مصر محصنة بين بحرين هما
بحر القلزم من شرقيها وبحر الروم من شماليها وكان بحر القلزم منحصرا
في ارض مصر كما تقدم صار من شرط هذا الكتاب التعريف فنقول
هذا البحر انما عرف في ناحية ديار مصر بالقلزم لانه كان بساحله
الغربي في ارض مصر مدينة تسمى القلزم وقد خربت كما نقف
عليه ان شا الله تعالى في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر قرى
مصر ومدنها تسمى هذا البحر باسم تلك المدينة وقيل له بحر
القلزم على الاضافة وتعالى له بالعبرانيه يم سوف وهذا البحر

انما هو خليج يخرج من البحر الكبير المحيط بالارض الذي يقال له بحر اقيانس ويعرف ايضا ببحر الظلمات لتكاثف البخار المتصاعد منه وضعف الشمس عن حله فيغلظ ويشتد الظلمة ويعظم موج هذا البحر ويكثر اهواله ولم يوقف من خبره سوى على ما عرف من بعض سواحله وما قرب من جزايره وفي جانب هذا البحر الغربي الذي يخرج منه البحر الرومي الاتي ذكره ان شا الله الجزاير الخالدات وهي فيما يقال ست جزاير يسكنها قوم متوحشون وفي جانب هذا البحر الشرقي مما يلي الصين ست جزاير ايضا تعرف بجزاير السيلي نزلها بعض العلويين في اول الاسلام خوفا على انفسهم من القتل ويخرج من هذا المحيط ست جزاير بحار اعظمها اثنان وهما اللذان عناهما الله بقوله مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان وقوله وجعل بين البحرين حاجزا احدهما من جهة الشرق والاخر من جهة الغرب فالخارج من جهة الشرق يقال له البحر الصيني والبحر الهندي والبحر الفارسي والبحر اليمني والبحر الحبشي بحسب ما يمر عليه من البلدان واما الخارج من الغرب فيقال له البحر الرومي فاما البحر الهندي الخارج من جهة الشرق فان مبدا خروجه من مشرق الصين وراء خط الاستوا بثلاث عشرة درجة ويجري الى ناحية الغرب فيمر على بلاد الصين وبلاد الهند الى مدينة كنبايه والى التيز من بلاد مكران فاذا صار الى بلاد مكران ينقسم هناك بقسمين احدهما يسمى بحر فارس والاخر يسمى بحر اليمن من ركن جبل خارج في البحر يسمى هذا الركن بحر الجمجمة ويمتد من هناك الى مدينة ظفار ويسير الى الشحر وسائر بلاد حضرموت الى عدن والى باب المندب وطول هذا البحر الهندي ثمانية الاف ميل في عرض الف وسبعماية ميل عند بعض المواضع وربما ضاق عن هذا القدر من العرض فاذا انتهى الى باب المندب يخرج بحر القلزم والمندب جبل طوله اثنا عشر ميلا وسعة فوهته قدر ما يرى الرجل الاخر من البر المقابل له فاذا فارق باب المندب مر في جهة الشمال بساحل زبيد والحروه الى عثر وكانت عثر مقر الملك في القديم ويمر من هناك على حلي الى عسفان والجار وهي فرضة المدينة النبوية ومنها على ما يقابل الجحفة حتى يسمى اليوم رابغ

الى الحورا

الى الحورا ومدين وايله والطور وفاران ومدينة القلزم فاذا وصل الى القلزم انعطف من جهة الجنوب ومر الى القصير وهي فرضة قوص ومن القصير الى عيذاب وهي فرضة بلاد البجه ويمتد من عيذاب الى بلاد الزيلع وهو ساحل بلاد الحبشة ويتصل ببربرا وطول هذا البحر الف وخمسماية ميل وعرضه من اربعماية ميل الى ماية وبها وهو بحر كريه المنظر والرايحة وفي هذا البحر مصب دجلة والفرات وعلى اطرافه بلاد السند وبلاد اليمن كانها جزيرة في وسطه احاط بها الما من جهاتها الثلاث وهو يردع بحر مصران كردع البحر الرومي لنيل مصر وفيه فيما بين مدينة القلزم ومدينة ايلة مكان يعرف بمدينة فاران وعندها جبل لا يكاد ينجو منه مركب لشدة اختلاف الريح وقوة ممرها من بين شعبي جبلين وهي بركة تسعة سته اميال تعرف ببركة الغرندل يقال ان فرعون غرق فيها فاذا هبت ريح الجنوب لا يمكن سلوك هذه البركة ويقال ان الغرندل اسم صنم كان في القديم هناك وضع ليحبس من خرج من ارض مصر مغاضبا للملك او فارا منه وان موسى عليه السلام لما خرج ببني اسراييل من مصر وسار بهم مشرقا امره الله تعالى ان يترك تجاه هذا الصنم فلما بلغ ذلك فرعون ظن ان الصنم قد حبس موسى ومن معه ومنعهم من المسير كما يعهد ونده منه فخرج بجنوده في طلب موسى وقومه لياخذهم بزعمه وكان من غرقه ما قصه الله تعالى وسيرد خبر موسى عند ذكر كنيسة دموه من هذا الكتاب في ذكر كنايس اليهود وفي بحر القلزم هذا خمسة عشر جزيرة منها اربع عامرة وهي جزيرة دهلك وجزيرة سواكن وجزيرة النعمان وجزيرة السامري ويخرج من هذا البحر خليجان خليج يطيف ببلاد الهند المتصلة بالبحر الاعظم وخليج يحول بين بلاد السودان وبلاد اليمن عرض فوهته نحو من فرسخين ويقرب هذا البحر من البحر الرومي في اعالي بلاد الشام وديار مصر حتى يكون بينهما نحو يوم

ذكر البحر الرومي

ولما كانت عدة بلاد من ارض مصر مطلة على البحر الرومي كمدينة الاسكندرية ودمياط وتنيس والفرما والعريش وغير ذلك وكان حد

ارض مصر ينتهي في الجهة الشمالية الى هذا البحر وكان النيل يصب فيه حسن
التعريف بشي من امثاله وقد تقدم ان مخرج البحر الرومي هذا من
جهة الغرب وهو يخرج في الاقليم الرابع بين الاندلس والمغرب سايرا
الى القسطنطينيه ويقال ان هركلش الجبار حفره واجراه من البحر المحيط
الغربي وان جزيرة الاندلس وبلاد البربر كانت ارضا واحدة يسكنها
الاشبان والبربر وكان بعضهم يغير على بعض الى ان ملك هركلش الجبار
بن ملكا بن سلقوس بن اغريقش بن يونان فرغب اليه الاشبان في
ان يجعل بينهم وبين البربر خليجا من البحر يمكن به احتراز كل طائفة من
الاخرى فحفر زقاقا طوله ثمانية عشر ميلا في عرض اثني عشر ميلا
وبنى بجانبيه سكرين وعقد بينهما قنطرة يجاز عليها وجعل عندها حرسا
يمنعون البربر من الجواز عليها الا باذن وكان قاموس البحر اعلا من هذا
الزقاق فطما الما حتى غطا السكرين مع القنطرة وساق بين يديه بلادا
كثيره وطغى على عدة بلاد ويقال ان المسافرين في هذا الزقاق بالبحر
يخبرون ان المراكب في بعض الاوقات يتوقف سيرها مع وجود الريح
ويجدون المانع لها كونها سلكت بين شرفات السور او بين حائطين ثم
عظم هذا الزقاق في الطول والعرض حتى صار بحرا عرضه ثمانية عشر
ميلا ويذكر ان البحر اذا اجزر ترى القنطرة وهذا الخبر عندي غير صحيح فان
اخبار هذا البحر وكونه بسواحل مصر لم يزل ذكره في الدهر الاول قبل
هركلش بزمان طويل فاما ان يكون ذلك قد كان في اول الدهر
مما عمله بعض الاوايل واما ان يكون خبرا واهيا والا فزمان هركلش
حادث بعد كون هذا البحر والله اعلم وهذا الزقاق صعب السلوك شديد
الهول متلاطم الامواج واذا خرج البحر من هذا الزقاق مر مشرقا في بلاد
البربر وشمال المغرب الاقصى الى اوسط بلاد المغرب على افريقية
وبرقة والاسكندرية وشمال التيه وارض فلسطين وسواحل
بلاد الشام ثم تعطف من هناك الى العلايا وانطاكية الى ظهر بلاد القسطنطينية
حتى ينتهي الى البحر المحيط الذي خرج منه وطول هذا البحر خمسة الاف ميل
وقيل ستة الاف ميل وعرضه من سبعمائة ميل الى ثلثمائة ميل وفيه
مائة

مائة وسبعون جزيرة عامرة فيها امم كثيرة معروفة منها صقلية وميورقه
واقريطش وقبالة البحر الهندي من جهة المغرب بحر خارج من المحيط
في مغرب بلاد الزنج ينتهي الى قرب من جبال القمر وفيه مصب النيل المار
على بلاد الحبشة وفي اسفله جزاير الخالدات التي هي منتهى الطول في المغرب
ويقابل البحر الشامي من ناحية المشرق بحر جرجان وقيل انه يتصل
بالبحر المحيط من بين جبال شامخة وبحر الصقالبة يخرج من جهة المغرب
من الاقليم السادس والاقليم السابع وهو متسع وفيه جزاير كثيرة منها
جزيرة الاندلس الا انها تتصل بالبر الكبير وهو جبل كالذراع يصلها
بهذا البر عند برشلونه ولهم بحر يعرف بياجوج وماجوج وفيه
عجايب الا انه ليس من شرط هذا الكتاب ذكرها ويقال ان
مسافة هذا البحر الرومي تجوار [illegible] اشهر وقال ابو الريحان
محمد بن احمد البيروني في كتاب تحديد نهايات الاماكن لتصحيح مسافة
المساكن وقد كان حرص بعض ملوك الفرس في بعض استيلايهم على
مصر على ان يحفروا ما بين البحرين القلزم والرومي ويرفعوا البرزخ
من بينهما وكان اولهم سسانيس طواطس الملك ثم من بعده داريوش
الملك فلم يتمكن لهم ذلك لارتفاع ما القلزم على ارض مصر فلما كانت
دولة اليونانيين جاء بطلميوس الثالث ففعل ذلك على يدي ارشميدس
بحيث يحصل الغرض بلا ضرر فلما كانت دولة الروم النصارى طموه
منعا لمن يصل اليهم من اعدايهم وذكر بعض اصحاب السير من الفلاسفه
ان ما بين الاسكندرية وبلادها وبين القسطنطينية كان في قديم الزمان
ارضا تسمى الجميرة وكانت مسكونة وخمة وكان قوما من اليونانية وان
الاسكندر خرق اليها البحر فغلبت امواهه على تلك الارض وكان بها
فيما يزعمون الطاير الذي يقال له ققنس وهو طاير حسن الصوت
واذا حان موته زاد حسن صوته قبل ذلك بسبعة ايام حتى لا يمكن
احد ان يسمع صوته لانه يغلب على حس قلبه من حسن صوته ما
يميت السامع وانه بعد ذلك يقبل موته بايام طرب عظيم وسرور فلا
يهدا من الصياح وزعموا ان عامل الموسيقى من الفلاسفة اراد ان يسمع

صوت ققنس في تلك الحال فخشي ان هجم عليه ان يقتله حسن صوته فسد
اذنيه سدًا محكما ثم قرب اليه فجعل يفتح من اذنيه شيا بعد شي حتى استكمل
فتح الاذنين في ثلاثة ايام يريد ان يتوصل الى سماعه رتبة بعد رتبة ولا يبغته
حسنه في اول من يأتي عليه وزعموا ان ذلك الطاير هلك ولم يتوفه
ولا من فراخه شي لهجوم ما البحر عليه وعلى رهطه بالليل في الاوكار فلم
يبق له بقية ويقال ان بعض الفلاسفة اراد ملك من الملوك قتله
فاعطاه قدحا فيه سم ليشربه واعلمه بذلك فظهرت منه مسرة وفرح فقال
له ما هذا ايها الحكيم فقال هل اعجز ان اكون مثل ققنس والله اعلم

ذكر اشتقاق مصر ومعناها وتعدد اسمايها فقال كان اسمها
في الدهر الاول قبل الطوفان جزله ثم سميت مصر وقد اختلف اهل
العلم في المعنى الذي من اجله سميت هذه الارض بمصر فقال قوم سميت
بمصر بن مركابيل بن دوابيل بن عرباب بن ادم وهو مصر الاول
وقيل بل سميت بمصر الثاني وهو مصرام بن نقراوش الجبار بن مصريم
الاول وبه سمي مصر بن بيصر بن حام بعد الطوفان وقيل بل سميت بمصر
الثالث وهو مصر بن بيصر بن حام بن نوح وهو اسم اعجمي لا ينصرف
وقال اخرون هو اسم عربي مشتق فاما من ذهب الى ان مصر اسم اعجمي
فانه استند الى ما رواه اهل العلم بالاخبار من نزول مصر بن بيصر بهذه
الارض وقسمتها بين اولاده فعرفت به وذكر الحسن بن احمد الهمداني ان
مصر بن حام هو مصرام وقيل ان مصر هو ابن هرمس بن هردوس جد
الاسكندر وقال ونكح قوط بن حام بخت بنت تابيل بن ترس بن يافث بن
نوح فولدت له بوقير ونبط ابا النبط قبط مصر ومن هاهنا ان مصر
بن حام وانما هو مصر بن هرمس بن هردوس بن ميطون بن رومي
بن ليطي بن يونان وبه سميت مصر فهي مقدونية وذكر ابو الحسن
المسعودي في كتاب اخبار الزمان ان بني ادم لما تحاسدوا وبغا عليهم
بنو قابيل بن ادم ركب نقراوش الجبار بن مصريم بن مركابيل بن دوابيل
بن عرباب بن ادم عليه السلام في نيف وسبعين راكبا من بني عرباب
جبابرة كلهم يطلبون موضعا من الارض يقطنون فيه فرارا من بني
ابيهم

ابيهم فلم يزالوا يمشون حتى وصلوا الى النيل فاطالوا المشي عليه فلما راوا سعة
الطول البلد فيه وحسنه اعجبهم وقالوا هذه بلد زرع وعمارة فاقاموا
فيه واستوطنوه وبنوا الابنية المحكمة والمصانع العجيبة وبنى نقراوش
مصر وسماها باسم ابيه مصريم وكان نقراوش جبارا له قوة وايد وبطش
وكان مع ذلك عالما وله ايثر الجن في هلاك بني امية ولم يزل سلطانا وقد كان
وقع اليه من العلوم التي كانت دوانيل علمها لادم عليه السلام ما قهر به
الجبابرة التي كانوا قبله وملوكهم ثم امر حين ملك ببنيان مدينة في موضع
خيمته فقطعوا الصخور من الجبال واثاروا معادن الرصاص وبنوا مدينة
سموها امسوس واقاموا فيها اعلاما طول كل علم منها مائة ذراع وزرعوا
وعمروا الارض ثم امرهم ببناء المداين والقرى واسكن كل ناحية من الارض
من راي ثم حفروا النيل حتى اخرجوا ماءه اليهم ولم يكن قبل ذلك معتدل الجري
انما كان ينبطح ويتفرق في الارض حتى وجهه الى النوبة فهندسوه وساقوا
منه انهارا الى مواضع كثيرة من مدنهم التي بنوها وساقوا منه نهرا الى مدينتهم
امسوس يجري في وسطها ثم سميت مصر بعد الطوفان بمصر بن بيصر بن
حام بن نوح وذلك ان اقليمون الكاهن خرج من مصر ولحق بنوح عليه
السلام وامن به هو واهله وولده وتلاميذه وركب معه في السفينة وزوج
ابنته بن بيصر بن حام بن نوح فلما خرج نوح من السفينة وقسم الارض
بين اولاده كانت ابنة اقليمون قد ولدت لبيصر ابنا سماه مصرايم فقال
اقليمون لنوح ابعث معي يا نبي الله ابني حتى امضي به بلدي واظهره على
كنوزها واوقفه على علومه ورموزه فانفذه معه في جماعة من اهل بيته
وكان غلاما مرهقا فلما قرب من مصر بنى له عريشا من اغصان الشجر وستره
بحشيش الارض ثم بنى له بعد ذلك في هذه المواضع مدينة وسماها
درسان الى باب الجنة فزرعوا وغرسوا الاشجار والاجنة من درسان
الى البحر فصارت هناك زروع واجنة وعمارة وكان الذي مع مصرايم
جبابرة فقطعوا الصخور وبنوا المعالم والمصانع واقاموا في ارغد عيش
ويقال ان اهل مصر اقاموا عليهم مصريم بن بيصر ملكا في ايام فالغ بن عابر
بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح فملك مصر وبنى مدينة منف

على النيل وسماها باسمه ويقال ان مصريم غرس الاشجار بيده وكانت ثمارها
عظيمة بحيث يشق الاترجة نصفين فيحمل البعير نصفها وكان القثا في طول
اربعة عشر شبرا ويقال انه اول من وضع السفن بالنيل وان سفينته
كانت ثلثمائة ذراع طولا في عرض مائة ذراع ويقال ان مصريم نكح امراة من
بني الكهنة فولدت له ولدا سماه قبطيم ونكح قبطيم بعد تسعين سنة من عمره
امراة فولدت له اربعة نفر قفطوريم واشمون واتريب وصا فكثروا وعمروا
الارض فبورك لهم فيها وقيل انه كان عدد من وصل معهم ثلثين رجلا فبنوا
مدينة سموها مافه ومعنى مافه ثلثون بلغتهم وهي منف وكشف اصحاب
فليمون الكاهن عن كنوز مصر وعلومهم واثاروا المعادن وعلموهم عمل
الطلسمات وصنعوا لهم عمل الصنعة وبنوا على غير البحر مدنا منها رقوده
مكان الاسكندرية ولما حضر مصرايم الوفاة عهد الى ابنه قبطيم وكان قد
قسم ارض مصر بين بنيه فجعل لقفطريم من قفط الى اسوان ولاشمون من
اشمون الى منف ولاتريب الجوف كله ولصا من ناحية صا البحيرة الى قرب
برقه وقال لاخيه فارق لك من برقة الى الغرب فهو صاحب افريقية
واولاده الافارق وامر كل واحد من بنيه ان يبني له مدينة في موضعه وامرهم
عند موته ان يحفروا له في الارض سربا وان يفرشوه بالمرمر الابيض وجعلوا
فيه جسده ودفنوا معه جميع ما في خزائنه من الذهب والجوهر وزبروا
عليه اسما الله تعالى المانعة تمنع من اخذه فحفروا له سربا طوله مائة
ذراع وخمسون ذراعا وجعلوا في وسطه مجلسا مصفحا بصفايح الذهب
وجعلوا له اربعة ابواب على كل باب منها تمثال من ذهب عليه تاج مرصع
بالجوهر وهو جالس على كرسي من ذهب قوايمه من زبرجد وزبروا
في صدر كل تمثال ايات مانعة وجعلوا جسده في جرن مرمر مصفح بالذهب
وجعلوا وزبروا على مجلسه مات مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح بعد سبعمائة
عام مضت من ايام الطوفان ومات ولم يعبد الاصنام اذ لا هرم ولا سقام
ولا حزن ولا اهتمام وحصنه باسما الله العظام لا يصل اليه الا ملك ولد له
سبعة ملوك يدين بدين الملك الديان ويومن بالمبعوث بالفرقان الداعي
الى الايمان اخر الزمان وجعلوا معه في ذلك المجلس الف قطعة من الزبرجد

المخروط

المخروط والف تمثال من الجوهر النفيس والف برنية مملوة من الدر الفاخر
والصنعة الالاهية والعقاقير والطلسمات العجيبة وسبايك الذهب
وسقفوا ذلك بالصخور وهالوا فوقها الرمال بين جبلين وولي ابنه قبطيم
الملك وذكر ابو محمد عبد الملك بن هشام في كتاب التيجان ان عبد
شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود اخا عابر بن عامر بن شالخ
بن ارفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام واسم عبد شمس هذا عامر
وعرف بعبد شمس لانه اول من عبد الشمس وقيل له ايضا سبا لانه
اول من سبا وهو سبا الاكبر ابو حمير وكهلان ملك بعد ابيه يشجب
بارض اليمن فجمع بني قحطان وبني هود عليه السلام وحثهم على الغزو
ثم سار بهم الى ارض بابل ففتحها وقتل من كان بها من النوار حتى بلغ ارض
ارمينية وملك ارض بني يافث بن نوح واراد ان يعبر من هناك الى
الشام وارض الجزيرة فقيل له ليس لك مجاز فعبر الرجوع في طريقك
فبنى قنطرة على البحر بناحية   وجاز عليها الى الشام فاخذ
تلك الاراضي الى الدرب ولم يكن خلف الدرب احد اذ ذاك احد ثم نهض
يريد بلاد المغرب فنزل على النيل وجمع اهل مشورته وقال لهم اني اردت
ان ابني مصرا الى حد ابين هذين البحرين يعني بحر الروم وبحر القلزم ويكون
فاصلا بين المشرق والمغرب فقالوا نعم الراي ايها الملك فبنى مدينة وسماها
مصر وولى عليها ابنه بابليون ومضى الى بني حام بن نوح وهم نزول في النوابك
الى قمونية وبقمونية القبط فاوقع بجميع تلك الطوايف وساق ذراريهم وسباهم
كما فعل ببلاد المشرق فقيل له من اجل ذلك سبا ثم عاد الى مصر ومضى
منها على الشام يريد الحجاز واوصى ابنه بابليون عند رحيله فقال

الا قل لبابليون والقول حكمة ٭ ملكت زمام الشرق والغرب فاحمل ٭
وخذ لبني حام من الامر وسطه ٭ فان صدفوا يوما عن الحق فانكل ٭
وان جنحوا للقول للرق طاعة ٭ يريدون وجه الحق والعدل فاعدل ٭
ولا يظهرن الراي في الباس يجتروا ٭ عليك به واجعله ضربة فيصل ٭
ولا تاخذن المال من غير وجهه ٭ فانك ان تاخذه بالرفق يسهل ٭
ولا تستنفد المال في غير حقه ٭ وان جاء ما لا بد منه فابذل ٭

وداوي ذوي الاحقاد بالسيف انه ، متى يلق منك العزم ذو الحقد يجمل ،
وخذ لذوي الاحساب لينا وشدة ، ولا تك جبارا عليهم وامهل ،
وكن لسوال الناس عونا ورحمة ، ومن يك ذا عرف من الناس يسال ،
واياك والسفر الغريب فانه ، سيغنيك بما تولبه في كل منهل ،
ثم عاد الى اليمن وبنى سد مارب وهو سد بينه سبعون نهرا وبصل
اليه السيل من مسيرة ثلثة اشهر في مثلها ثم مات عن خمسماية سنة
وقام من بعده ولده حمير بن سبا فغضبوا اخاه على بابليون وارادوا لحرب
مصر فاستدعا اخاه حمير لتنجده عليهم فقدم عليهم مصر ومضى الى بلاد المغرب
فاقام بها ماية عام بنى المداين ونحت المصانع فمات بابليون بن سبا بمصر
وولي بعده ابنه امرو القيس بن بابليون ثم مات حمير بن سبا عن اربعماية
وخمس واربعين سنة منها في الملك اربعماية سنة وقام من بعده وائل
بن حمير ثم مات فقام بعده ابنه سكسك بن وايل الذي يقال له مقعقع
العمد وقد افترق ملك حمير فحارب الثوار وسار الى الشام فلقيه عمرو
بن امرو القيس بن بابليون بن سبا بالرملة وقد ملك بعد ابيه وقدم
له هدية فاقره على مصر والمغرب ورجع الى بابل وملك فمات هناك واقام
عمرو بن امرو القيس على مصر حتى قدم عليه الخليل ابراهيم عليه السلام
ووهبه هاجر وقال ابو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم
في كتاب فتوح مصر واخبارها عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال
كان لنوح عليه السلام اربعة من الولد سام وحام ويافث ويحطون
وان نوحا رغب الى الله عز وجل وساله ان يرزقه الاجابة في ولده وفي
ذريته حين تكاملوا بالنما والبركة فوعده ذلك فنادى نوح ولده وهم
نيام عند السحر فنادى ساما فاجابه يسعى وصاح سام في ولده فلم يجبه
احد منهم الا ابنه ارفخشد فانطلق به معه حتى اتياه فوضع يده على
سام وشماله على ارفخشد بن سام وسال الله عز وجل ان يبارك في سام
افضل البركة وان يجعل الملك والنبوة في ولد ارفخشد ثم نادى حاما فتلفت
يمينا وشمالا فلم يجبه ولم يقم اليه احد من ولده فدعا الله عز وجل نوح
ان يجعل ولده اذلا وان يجعلهم عبيد الولد سام وكان مصر بن بيصر بن حام

نايما

نايما الى جنب جده حام فلما سمع دعا نوح على جده وولده قام يسعى الى نوح
وقال يا جدي قد اجبتك اذ لم يجبك ابي ولا احد من ولده فاجعل لي
دعوة من دعايك ففرح نوح ووضع يده على راسه وقال اللهم انه قد
اجاب دعوتي فبارك فيه وفي ذريته واسكنه الارض المباركة التي هي
ام البلاد وغوث العباد التي نهرها افضل انهار الدنيا واجعل فيها
افضل البركات وسخر له ولولده الارض وذللها لهم وقوهم عليها ثم دعا
ابنه يافث فلم يجبه ولا احد من ولده فدعا الله عليهم ان يجعلهم شرار الخلق
وعاش سام مباركا حتى مات وعاش ابنه ارفخشد بن سام مباركا حتى مات
وكان الملك الذي بعثه الله والنبوة والبركة في ولد ارفخشد بن سام وكان
اكبر ولد حام كنعان بن حام وهو الذي حمل نوح في الزجر في الفلك فدعا
عليه نوح فخرج اسود وكان في ولده الجفا والملك والجبروت وهو ابو
السودان والحبش كلهم وابنه الثاني كوش بن حام وهو ابو السند والهند
وابنه الثالث قوط بن حام وهو ابو البربر وابنه الرابع بيصر بن حام
وهو ابو القبط كلهم فولد بيصر بن حام اربعة مصر بن بيصر وهو اكبرهم
والذي دعا له نوح لما دعا له وفارق بن بيصر وماح بن بيصر وقبل ولد
مصر اربعة قفط بن مصر واشمن بن مصر واتريب بن مصر وصا بن مصر
وعن ابن لهيعة وعبد الله بن خالد اول من سكن مصر بيصر بن حام بن
نوح عليه السلام بعد ان غرق الله تعالى قومه واول مدينة عمرت بمصر
منف سكنها بيصر بولده وهم ثلثون نفسا منهم اربعة اولاد له قد
بلغوا وتزوجوا وهم مصر وفارق وماح وباج بنو مصر وكانوا اقاموا
قبل ذلك بسفح المقطم ونقروا هناك منازل كثيرة وكان نوح عليه
السلام قد دعا لمصر ان يسكنه الله الارض الطيبة المباركة ويسخر
له الارض ولولده ويذللها ويقويهم عليها فساله عنها فوصفها له واخبره
بها فلما كان مصر بن بيصر مع نوح في السفينة لما دعا له وكان بيصر بن
حام قد كبر وضعف فساق ولده مصر وجميع اخوته الى مصر فنزلوها
فبذلك سميت مصر فلما كثروا بيصر وبنيه بمصر قال لمصر اخوته
فارق وماح وباج بنو ابيصر قد علمنا انك اكبرنا وافضلنا وان هذه

الارض التي اسكنك اياها جدك نوح ونحن نضيق عليك ارضك وذلك حين
كثر ولده واولادهم ونحن نطالب اباك بالبركة التي جعلها فيك جدنا
نوح ان يبارك لنا في ارض نلحق بها ونسكنها ويكون لنا ولاولادنا فقال نعم
عليكم باقرب البلاد الي ولا تباعدوا مني فان لي في بلادي مسيرة شهر من
اربعة وجوه احوزها لنفسي ويكون لي ولاولادي ولاولادهم فحاز مصر بن
بيصر لنفسه ما بين الشجرتين التي بالعريش الى اسوان طولا ومن برقة الى
ايلة عرضا وحاز فارق لنفسه ما بين برقة الى افريقية فكان ولده الافارقة
فبذلك سميت افريقية وذلك مسيرة شهر وحاز ماح ما بين الشجرتين
من منتهى حد مصر الى الجزيرة مسيرة شهر وهو ابو قبط الشام وحاز ياج
ما وراء الجزيرة كلها ما بين البحر الى الشرق مسيرة شهر وهو ابو قبط العراق
ثم توفي بيصر بن حام ودفن في موضع ابي هرميس غربي الاهرام فهي
اول مقبرة قبر فيها بارض مصر وكثر اولاد مصر وكان الاكبر منهم قفط
واتريب واشمن وصا والقبط من ولد مصر هذا ويقال ان قبط اخو قفط
وهو بلسانهم قفطيم وقبطيم ومصرايم قال ثم ان بيصر بن حام توفي
واستخلف ابنه مصر وحاز كل واحد من اخوة مصر قطعة من الارض
لنفسه سوى ارض مصر التي حاز لنفسه ولولده فلما كبر ولد مصر
واولاد اولادهم قطع مصر لولده كل واحد قطيعة يحوزها لنفسه ولولده
وقسم لهم هذا النيل فقطع لابنه قفط موضع قفط فسكنها وبه سميت قفط
قفطا وما فوقها الى اسوان وما دونها الى اشمون في الشرق والغرب وقطع
لاشمن من اشمون فما دونها الى منف في الشرق والغرب فسكن اشمن
اشمون فسميت به وقطع لاتريب ما بين منف الى صا فسكن اتريب فسميت
به وقطع لصا ما بين صا الى البحر فسكن صا فسميت به وكانت مصر كلها
على اربعة اجزاء جزءين بالصعيد وجزءين باسفل الارض وقال البكري
ومصر مؤنثة قال تعالى اليس لي ملك مصر وقال تعالى ادخلوا
مصر وقال عامر بن واثلة الكناني يحاوره اما عمرو بن العاصي
فاقطعه مصرا واما قول الله تعالى اهبطوا مصرا فانه اراد مصرا من
الامصار وقرا سليم الاعمش اهبطوا مصر وقال هي مصر التي عليها
سليم

سليم بن علي فلم يجرها وقال القضاعي وكان بيصر بن حام قد كبر وضعف
فساقه ولده مصر وجميع اخوته الى مصر فنزلوها وبذلك سميت مصر وهو
اسم لا ينصرف في المعرفة لانه اسم مذكر سميت به هذه المدينة فاجتمع فيه
التانيث والتعريف فمنعاه الصرف ثم قيل لكل مدينة عظيمة يطرقها
السفار مصر فاذا اريد مصر من الامصار صرف لزوال احدى العلتين
وهي التعريف فاما قوله تعالى اخبارا عن موسى عليه السلام اهبطوا مصرا
فان لكم ما سالتم فانه مصروف في قراءة سائر القراء وفي قراءة الحسن والاعمش
غير مصروف فمن صرفه فله وجهان احدهما انه اراد اهبطوا مصرا من
الامصار لانهم كانوا يومئذ في التيه والاخر انه اراد مصر هذه بعينها
وصرفها لانه جعل مصرا اسما للبلد وهو مذكر سمي به مذكر فلم يمنعه
الصرف واما من لم يصرفه فانه اراد مصر هذه المدينة وكذلك
قوله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام ادخلوا مصر ان شاء الله
امنين وكذلك قول فرعون اليس لي ملك مصر انما يراد به مصر هذه
فاما المصر في كلام العرب فهو الحد بين الارضين ويقال ان هجر يقولون
اشتريت الدار بمصورها اي بحدودها وقال الجاحظ في كتاب حدود
مصر انما سميت مصر بمصير الناس اليها واجتماعهم بها كما سمي مصير
الجوف مصيرا ومصرانا لمصير الطعام اليه قال وجمع المصر من
البلدان امصار وجمع مصير الطعام مصران وليس لمصر هذه جمع
لانها واحدة قال وقال الاخطل هممت بالاسلام ثم توقفت عنه
قيل ولم ذاك قال اتيت امراة لي وانا جائع فقلت اطعميني شيئا فقالت
يا جارية ميلي لابي مالك مصيرا في التنور فعجلت فاستعجلته بالطعام فقالت
يا جارية ائتني مصير ابي مالك قالت في النار قال فنظرت وهممت
بان اسلم فتوقفت وقال الجوهري في كتاب الصحاح مصر هي المدينة
المعروفة تذكر وتؤنث عن ابن السراج والمصران الكوفة والبصرة
وقال ابن خالويه في كتاب مصر ليس احد فسر لنا لم سميت
مصر مقدونية قديما الا في اللسان العبراني قال مقدونية
مغيثة وانما سميت مصر لما سكنها بيصر بن حام وتزعم الروم ان بلاد

مقدونية جميعا وتقف على الكنيسة العظمى التي بالقسطنطينية ويسمون
بلاد مقدونية الاوصقية وهي عندهم الاسكندرية وما يضاف اليها
وهي مصر كلها باسرها الا الصعيد الاعلى ويقال لمصر ام خنور وتفسيره
النعمة والمصر الحد بين الشيئين قال الشاعر يصف الله تعالى

وجعل الشمس مصرا لا خفاء به ... بين النهار وبين الليل قد فصلا

هذا البيت قايله عدي بن زيد العبادي وهو من ابيات اولها ويروى
لامية بن ابي الصلت الثقفي

اسمع حديثا كما يوما تحدثه ... عن ظهر غيب اذا ما سايل سالا
كيف الاله رب الله نعمته ... فينا وعلمنا اياته الاولا
كانت رياح وماء ذو عرانية ... وظلمة لم تدع فتقا ولا خللا
فامر الظلمة السودا فانكشفت ... وعزل الماء عما كان قد شغلا
وبسط الارض بسطا ثم قدرها ... تحت السما سوا مثل ما نقلا
وجعل الشمس مصرا لا خفاء به ... بين النهار وبين الليل قد فصلا
وفي السما مصابيح تضي لنا ... ما ان تكلفنا زيغا ولا فشلا
قضى لستة ايام خليقته ... وكان اخرها صور الرجلا
فاختاره الله من طين فصوره ... لما راى انه قد تم واعتدلا
دعاه ادم صوتا فاستجاب له ... بنفخة الروح في الجسم الذي جبلا
ثمت اورثه الفردوس يسكنها ... وزوجه صنعة من ضلعه جعلا
لم ينهه ربه عن غير واحدة ... من شجر طيب ان شم او اكلا
وكانت الحية الرقشا اذ خلقت ... كما ترى ناقة في الخلق او جملا
فلاطها الله اذ اطغت خليقته ... طول الليالي لم يجعل لها اجلا
تمشي على بطنها في الارض ما عمرت ... والترب تاكله حزنا وان سهلا

وقال الحافظ ابو الخطاب مجد الدين عمر بن دحية ومصر احسن
بلاد الله وسماها الله بمصر وهي هذه دون غيرها باجماع القرا على ترك صرفها
وهي اسم لا ينصرف في معرفة لانه اسم مذكر سميت به هذه المدينة واجتمع
فيه التانيث والتعريف فمنعاه الصرف وهي عندنا مشتقة من مصرت
الشاه اذا اخذت من ضرعها اللبن وسميت مصر لكثرة ما فيها من الخير مما ليس

في غيرها

في غيرها من البلاد فلا يخلوا ساكنها من خير يدر عليه منها كالشاة التي ينتفع
بلبنها وصوفها ولا دنها وقال ابن الاعرابي المصر الوعا ويقال للوعا المصير
وجمعه مصران ومصادين وكذلك هي خزاين الارض قال ابو بصرة
الغفاري من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مصر خزاين الارض كلها
الا ترى الى قول يوسف عليه السلام اجعلني على خزاين الارض اني حفيظ عليم
فاغاث الله بمصر يوميذ وخزاينها كل حاضر وباد ذكره عن الحوفي في تفسيره
وقال البكري ام خنور بفتح اوله وتشديد ثانيه وبالرا المهملة اسم
لمصر قال ارطاة بن سمية

بالدبيان دود واعن دعايكم ... ولا تكونوا القوم ام خنور

يقول لا تكونوا ادلا لنا لكم من اراد او ما خذ منكم من احب كما تنال مصر
وهي ام خنور النعمة ولذلك سميت مصر ام خنور لكثرة خيرها وقال علي
بن حمزة سميت ام خنور لانها تساق اليها القصار الاعمار ويقال للضبع خنور
وخنوز بالراي وبالزاي وقال ابن قتيبة في غريب الحديث ومصر الحد
واهل هجر يكتبون في شروطهم اشترى فلان الدار بمصورها كلها اي
بحدودها وقال عدي بن زيد

وجعل الشمس مصرا لا خفاء به ... بين النهار وبين الليل قد فصلا

اي حدا

ذكر طرف من فضايل مصر

ولمصر فضايل كثيرة
منها ان الله عز وجل ذكرها في كتابه العزيز بضعا وعشرين مرة تارة
بصريح الذكر وتارة ايماء قال تعالى اهبطوا مصرا فان لكم ما سالتم قال
ابو محمد عبد الحق بن عطية في تفسيره للقران وجمهور الناس يقرون
مصرا بالتنوين وهو خط المصاحف الا ما حكي عن بعض مصاحف عثمان
رضي الله عنه وقال مجاهد وغيره ممن صرفها اراد مصرا من الامصار
غير معين واستدلوا بما اقتضاه القران من امرهم بدخول القرية وبما
تظاهرت به الرواية انهم سكنوا الشام بعد التيه وقالت طايفة ممن
صرفها اراد مصر فرعون بعينها واستدلوا بما في القران ان الله اورث
بني اسرايل ديار فرعون واثارهم واجازوا صرفها قال الاخفش لخفتها
وتشبيهها بهند ودعد وسيبويه لا يجيز هذا وقال غير الاخفش اراد

المكان فصرف وقرا الحسن وابان بن تغلب وغيرهما اهبطوا مصر بترك الصرف
وكذلك هي في مصحف ابي بن كعب وقال هي مصر فرعون قال الاعمش هي
مصر التي عليها صالح بن علي وقال اشهب قال لي مالك هي عندي مصر
قريتك مسكن فرعون وقال تعالى ادخلوا مصر ان شاء الله امنين قال
ابو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن فرقد السبخي قال خرج
يوسف عليه السلام يتلقى يعقوب عليه السلام وركب اهل مصر مع يوسف
وكانوا يعظمونه فلما دنا احدهما من صاحبه وكان يعقوب يمشي وهو يتوكا
على رجل من ولده يقال له يهودا فنظر يعقوب الى الخيل والناس فقال
يا يهودا اهذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك فلما دنا كل واحد منهما
من صاحبه قال يعقوب عليه السلام عليك يا ذاهب الاحزان عني
هكذا قال يا ذاهب الاحزان عني وقال تعالى واوحينا الى موسى
واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلاة
قال الطبري عن ابن عباس وغيره قال كانت بنو اسرائيل تخاف
فرعون فامروا ان يجعلوا بيوتهم مساجد يصلون فيها قال قتادة
وذلك حين منعهم فرعون الصلاة فامروا ان يجعلوا مساجدهم في بيوتهم
وان يوجهوا نحو القبلة وعن مجاهد بيوتكم قبلة قال نحو الكعبة حين خاف
موسى ومن معه من فرعون ان يصلوا في الكنائس الجامعة فامروا ان
يجعلوا في بيوتهم مساجد مستقبلة الكعبة يصلون فيها سرا وعن
مجاهد في قوله ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا قال مصر الاسكندرية
وقال تعالى مخبرا عن فرعون انه قال اليس لي ملك مصر وهذه
الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون قال ابن عبد الحكم وابو سعيد عبد
الرحمن بن يونس وغيرهما عن ابي رهم السماعي انه قال عن قول الله عز وجل
اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون قال ولم
يكن في الارض يومئذ ملك اعظم من ملك مصر وكان جميع اهل الارضين
يحتاجون الى مصر واما الانهار فكانت قناطر وجسور بتقدير وتدبير
حتى ان الما يجري من تحت منازلها وافنيتها يحبسونه كيف شاوا فهذا ما
ذكر الله سبحانه مصر من اي الكتاب العزيز بصريح الذكر واما ما وقعت
اليها

الاشارة فيه من الايات فعدة قال تعالى ولقد بوانا بني اسرائيل مبوا صدق
وقال تعالى واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين قال ابن عباس وسعيد
بن المسيب ووهب بن منبه هي مصر وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن
ابيه هي الاسكندرية وقال تعالى فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز
ومقام كريم وقال تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام
كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين قال ابن عباس وفي قول الله عز وجل
فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم قال ابو ادهم كانت الجنات
بحافتي النيل من اوله الى اخره في الجانبين جميعا ما بين اسوان الى رشيد وفيه
سبعة خلج خليج الاسكندرية وخليج سخا وخليج دمياط وخليج سردوس
وخليج منف وخليج الفيوم وخليج المنهى متصلة لا ينقطع منها شي عن
شي والزروع ما بين الجبلين كله من اول مصر الى اخرها مما يبلغه الماء وكان
جميع ارض مصر كلها تروى يومئذ من ستة عشر ذراعا لما قدروا ودبروا
من قناطرها وجسورها قال والمقام الكريم المنابر كان بها الف منبر
وقال مجاهد وسعيد بن جبير المقام الكريم المنابر وقال قتادة ومقام
كريم اي حسن ونعمة كانوا فيها فاكهين ناعمين قال اي والله اخرجه الله من
جناته وعيونه وزروعه حتى ورطه في البحر وقال سعيد بن كثير بن عفير
كنا نتحدث عند المامون لما قدم مصر فقال لنا ما ادري ما اعجب فرعون
من مصر حيث يقول اليس لي ملك مصر فقلت اقول يا امير المومنين
فقال قل يا سعيد فقلت ان الذي ترى بقية مدمرة لان الله تعالى يقول
ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون قال صدقت ثم
امسك وقال تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم
ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونري فرعون وهامان
وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وقال تعالى مخبرا عن فرعون انه قال
يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض وقال تعالى وتمت كلمة ربك
الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما
كانوا يعرشون وقال تعالى مخبرا عن قوم فرعون اتذر موسى وقومه
ليفسدوا في الارض يعني ارض مصر وقال تعالى حكاية عن يوسف عليه

السلام انه قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم روى ابن يونس عن ابي
بصرة الغفاري رضي الله عنه قال مصر خزائن الارض كلها وسلطانها سلطان
الارض كلها الا ترى الى قول يوسف عليه السلام لملك مصر اجعلني على خزائن
الارض ففعل فاغيث بمصر وخزائنها يومئذ كل حاضر وباد من جميع الارضين
وقال تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوا منها حيث يشا فكان
ليوسف بسلطانه مصر جميع سلطان الارض كلها لحاجتهم اليه والى ما تحت
يده وقال تعالى مخبرا عن موسى عليه السلام ربنا انك اتيت فرعون
وملاه زينة واموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على
اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يومنوا حتى يروا العذاب الاليم وقال
تعالى عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون
وقال تعالى وقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه اني اخاف ان
يبدل دينكم وان يظهر في الارض الفساد يعني ارض مصر وقال تعالى
ان فرعون علا في الارض يعني ارض مصر وقال تعالى حكاية عن بعض
اخوة يوسف فلن ابرح الارض يعني ارض مصر وقال تعالى ان تريد
الا ان تكون جبارا في الارض قال ابن عباس رضي الله عنه سميت مصر
بالارض كلها في عشر مواضع من القران فهذا ما حضرني مما ذكرت فيه
مصر من اي كتاب الله عز وجل وقد جا في فضل مصر احاديث روى عبد الله
بن لهيعة من حديث عمرو بن العاص انه قال حدثني عمر امير المومنين رضي
الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا فتح الله عليكم
بعدي مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا فذلك الجند خير اجناد الارض
فقال ابو بكر رضي الله عنه ولم ذاك يا رسول الله قال لانهم في رباط الى
يوم القيمة وعن عمرو بن الحمق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
تكون فتنة اسلم الناس فيها او خير الناس فيها الجند الغربي قال فلذلك
قدمت عليكم مصر وعن تبيع بن عامر الكلاعي قال اقبلت من الصائفة
فلقيت ابا موسى الاشعري رضي الله عنه فقال لي من اين انت قال
من اهل مصر قال من الجند الغربي قلت نعم قال الجند الضعيف
قال قلت اهو الضعيف قال نعم قال اما انه ما كادهم احد الا كفاهم

الله

الله مؤنته اذهب الى معاذ بن جبل حتى يحدثك قال فذهبت الى معاذ بن
جبل فقال لي ما قال لك الشيخ فاخبرته فقال لي اي شي تذهب بك الى بلادك
احسن من هذا الخبر في اسفل الواحك فلما رجعت الى معاذ اخبرني ان بذلك
اخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن وهب من حديث صفوان بن
عسان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فتح الله بابا للتوبة
في المغرب عرضه سبعون ذراعا لا يغلق حتى تطلع الشمس من نحوه وروى ابن
لهيعة من حديث عمرو بن العاص حدثني عمر امير المومنين رضي الله عنه
انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل سيفتح عليكم
بعدي مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لهم منكم صهرا وذمة وروى ابن وهب
قال اخبرني حرملة بن عمران التجيبي عن عبد الرحمن بن شماسة المهري
قال سمعت ابا ذر رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انكم ستفتحون ارضا يذكر فيها القيراط فاستوصوا باهلها خيرا فان
لهم ذمة ورحما فاذا رايتم رجلين يقتتلان في موضع لبنة فاخرج منها فمر
بربيعة وعبد الرحمن ابني شرحبيل يتنازعان في موضع لبنة فخرج منها وفي
رواية ستفتحون ارض مصر وهي ارض يسمى فيها القيراط فاذا فتحتموها
فاحسنوا الى اهلها فان لهم ذمة ورحما او قال ذمة وصهرا الحديث
ورواه مالك والليث وزاد فاستوصوا بالقبط خيرا اخرجه مسلم في
الصحيح عن ابي الطاهر عن ابن وهب قال ابن شهاب وكان يقال ان
ام اسمعيل عليه السلام منهم وقال الليث بن سعد قلت لابن شهاب
ما رحمهم قال ان ام اسمعيل بن ابراهيم صلوات الله عليهما منهم وقال
محمد بن اسحق قلت للزهري ما الرحم التي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كانت هاجر ام اسمعيل منهم وروى ابن لهيعة من حديث ابي سالم
الجيشاني ان بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبره انه
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انكم ستكونون اجنادا وان
خير اجنادكم اهل الغرب منكم فاتقوا الله في القبط لا تاكلوهم اكل الخضر وعن
مسلم بن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال استوصوا بالقبط خيرا
فانكم ستجدونهم نعم الاعوان على قتال عدوكم وعن يزيد بن حبيب ان ابا

سلمة بن عبد الرحمن حدثه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اوصى عند وفاته
ان يخرج اليهود من جزيرة العرب وقال الله الله في قبط مصر فانكم ستظهرون
عليهم ويكونون لكم عدة واعوانا في سبيل الله وروى بن وهب عن موسى
بن ايوب الغافقي عن رجل من الزبد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مرض فاغمي عليه ثم افاق فقال استوصوا بالادم الجعد ثم اغمي عليه الثانيه
ثم افاق فقال مثل ذلك فقال القوم لو سالنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم من الادم الجعد فافاق فسالوه فقال قبط مصر فانهم اخوال واصهار
وهم اعوانكم على عدوكم واعوانكم على دينكم قالوا كيف يكونون اعوانا على ديننا
يا رسول الله قال يكفونكم اعوان الدنيا وتتفرغون للعبادة فالراضي بما
يوتى اليهم كالفاعل بهم والكاره لما يوتى اليهم من الظلم كالمنزه عنهم وعن
عمرو بن الحرث وابي عبد الرحمن الحبلي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
انكم ستقدمون على قوم جعد رووسهم فاستوصوا بهم خيرا فانهم قوة لكم
وبلاغ الى عدوكم باذن الله يعني قبط مصر وعن بن لهيعة حدثني مولى
غفرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله الله في اهل الذمة اهل المدرة السودا
السحم الجعاد فان لهم نسبا وصهرا قال عمر مولى غفرة صهرهم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم تسرر فيهم ونسبهم ان ام اسمعيل عليه السلام منهم قال
بن وهب فاخبرني بن لهيعة ان ام اسمعيل هاجر ام العرب من قرية كانت امام
الفرما من مصر وقال مروان القصاص صاهر الى القبط من الانبيا ثلثة ابرهيم
خليل الرحمن عليه السلام تسرر هاجر ويوسف تزوج بنت صاحب عين
شمس وتسرر رسول الله صلى الله عليه وسلم مارية وقال يزيد بن ابي
حبيب قرية هاجر ياق التي عند ام دنين وقال بن هشام العرب تقول
هاجر واجر فيبدلون الالف من الها كما قالوا هراق الما واراق الما ونحوه وعن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال الامصار سبعة فالمدينة مصر
والشام مصر ومصر الجزيرة والبحرين والبصره والكوفة وعن مكحول قال اول
الارض خرابا ارمينية ثم مصر وقال عبد الله بن عمرو قبط مصر اكرم
الاعاجم كلها واسمحهم يدا واطولهم عنصرا واقربهم رحما بالعرب عامة وبقريش
خاصة ومن اراد ان يذكر الفردوس او ينظر الى مثلها في الدنيا فلينظر الى ارض
مصر

مصر حين يخضر زرعها وتنور ثمارها وقال كعب الاحبار من اراد ان ينظر الى
شبه الجنة فلينظر الى مصر اذا اخرفت وفي روايه اذا ازهرت ومن فضايل
مصر انه كان من اهلها السحرة وقد امنوا جميعا في ساعة واحدة ولا
نعلم جماعة اسلمت في ساعة واحدة اكثر من جماعة القبط وكانوا في قول
يزيد بن ابي حبيب وغيره اثني عشر ساحرا روساء تحت يد كل ساحر منهم
عشرون عريفا تحت يدي كل عريف منهم الف من السحرة وكان جميع السحرة
مايتي الف واربعين الف ومايتين واثنين وخمسين انسانا بالروسا والعرفا
فلما عاينوا ما عاينوا ايقنوا ان ذلك من السما وان السحر لا يقوم لامر الله
فخر الروسا الاثني عشر عند ذلك سجدا فاتبعهم العرفا واتبع العرفا من بقي
وقالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون وقال تبيع كانوا من اصحاب
موسى عليه السلام ولم يفتتن منهم احد مع من افتتن من بني اسرايل
في عبادة العجل وقال تبيع ما امن جماعة قط في ساعة واحدة مثل جماعة
القبط وقال كعب الاحبار مثل قبط مصر كالغيضة كلما قطعت نبتت حتى
يخرب الله عز وجل بهم وبصناعتهم جزاير الروم وقال عبد الله بن عمرو خلقت
الدنيا على خمس صور على صورة الطير براسه وصدره وجناحيه وذنبه
فالراس مكه والمدينة واليمن والصدر الشام ومصر والجناح الايمن
العراق وخلف العراق امة يقال لها واق وخلف واق امه يقال
لها واقواق وخلف ذلك من الامم ما لا يعلمه الا الله عز وجل والجناح الايسر
السند وخلف السند الهند وخلف الهند امه يقال لها ناسك وخلف
ناسك امه يقال لها منسك وخلف ذلك من الامم ما لا يعلمه الا الله عز
وجل والذنب من ذات الحمام الى مغرب الشمس وشر ما في الطير الذنب
وقال الجاحظ الامصار عشرة الصناعة بالبصره والفصاحة بالكوفة
والتخنيث ببغداد والعي بالري والجفا بنيسابور والحسن بهراة والطرمذة
بسمرقند والمروة ببلخ والتجارة بمصر والبخل بمرو والطرمذة الدولة كلام
ليس له فعل وعن بحير بن داخر العافري انه سمع عمرو بن العاص
يقول في خطبته واعلموا انكم في رباط الى يوم القيمة لكثرة الاعدا حولكم
ولاشراف قلوبهم اليكم والى داركم معدن الزرع والمال والخير الواسع

والبركه الناميه وعن عبد الرحمن بن غنم الاشعري انه قدم من الشام الى
عبد الله بن عمرو بن العاص فقال ما اقدمك الى بلادنا قال كنت تحدثني
ان مصر اسرع الارض خرابا ثم اراك قد اتخذت فيها وبنيت فيها القصور
والمباني فيها قال ان مصر قد اوفت خرابها حطمها بخت نصر فلم يدع فيها
الا السباع والضباع فهي اليوم اطيب الارضين ترابا وابعده خرابا ولا تزال
فيها بركة مادام في الارض شي من البركه ويقال مصر متوسطة الدنيا
قد سلمت من حر الاقليم الاول والثاني ومن برد الاقليم السادس والسابع
ووقعت في الاقليم الثالث فطاب هواها وضعف حرها وخف بردها
وسلم اهلها من مشاتي الاهواز ومصايف عمان وصواعق تهامة ودماميل
الجزيرة وجرب اليمن وطواعين الشام وبرسام العراق وعقارب عسكر
مكرم وطحال البحرين ومكايد الديلم وسرايا القرامطة ونزف الانصار وقحط
الامصار وبها ثمانون كورة ما منها كورة الا وبها طرايف وعجايب من انواع
البر والابنيه والطعام والشراب والفاكهه وساير ما ينتفع به الناس
ويدخره الملوك يعرف كل كورة وجهازها وينسب كل لون الى كورته فصعيدها
ارض حجازية حر كحر الحجاز وينبت النخل والاراك والقرظ والدوم والعشر
واسفل ارضها شامي يمطر مطر الشام وينبت ثمار الشام من الكروم
والزيتون واللوز والتين والجوز وساير الفواكه والبقول والرياحين
ويقع به الثلج والبرد وكورة الاسكندرية ولوبية ومراقية براري وجبال
وغياض ينبت الزيتون والاعناب وهي بلاد ابل وماشية ونتاج وعسل
ولبن وفي كل كورة من كور مصر مدينة في كل مدينة منها اثار كريمة من
الابنية والصخور والرخام والعجايب وفي نيلها السفن التي تحمل السفينة
الواحدة منها ما يحمله خمسماية بعير وفي كل قرية من قرى مصر يصلح ان تكون
مدينة يويد ذلك قول الله سبحانه وابعث في المداين حاشرين ويعمل بمصر
معامل كالتنانير ويعمل فيها البيض بصنعه يوقد عليه يحاكي نار الطبيعة
في حضانة الدجاجة البيض ويخرج في تلك المعامل الفراريج وهي معظم دجاج
مصر ولا يتم عمل هذا بغير مصر وقال عمرو بن ميمون خرج موسى عليه
السلام ببني اسرائيل فلما اصبح فرعون امر بشاة فاتي بها فامر ان تذبح ثم قال

لا

لا يفرغ من سلخها حتى يجتمع عندي خمسماية الف من القبط فاجتمعوا اليه فقال
لهم فرعون ان هولا لشرذمة قليلون وكان اصحاب موسى عليه السلام
ستماية الف وسبعين الفا ووصف بعضهم مصر فقال ثلثة اشهر لولوة
بيضا وثلثة اشهر مسكة سودا وثلثة اشهر زمردة خضرا وثلثة اشهر
سبيكة ذهب حمرا فاما اللولوة البيضا فان مصر في شهر ابيب ومسرى
وتوت يركبها الما فيرى الدنيا بيضا وضياعها على روابي وتلال مثل الكواكب
قد احدقت بها المياه من كل وجه فلا سبيل الى قرية من قراها الا في الزوارق
واما المسكة السودا فان في شهر بابه وهتور وكيهك ينكشف الما عن الارض
فتصير ارضا سودا وفي هذه الاشهر تقع الزراعات واما الزمردة الخضرا
فان في شهر طوبه وامشير وبرمهات يكثر نبات الارض وربيعها فتصير
خضرا كانها زمردة واما السبيكه الحمرا فان في شهر برموده وبشنس
وبونه يتورد العشب ويبلغ الزرع الحصاد فيكون كالسبيكة من الذهب
منظرا ومنفعة وسال بعض الخلفا الليث بن سعد عن الوقت الذي
يطيب فيه مصر فقال اذا غاض ماها وارتفع وباها وجف ثراها
وامكن مرعاها وقال اخر نيلها عجب وارضها ذهب وخيرها جلب
وملكها سلب ومالها رغب وفي اهلها صخب وطاعتهم رهب وسلامتهم شغب
وحروبهم حرب وهي لمن غلب وقال اخر مصر من سادات القرى ورؤسا
المدن وقال زيد بن اسلم في قوله تعالى فان لم يصبها وابل فطل هي مصر
ان لم يصبها مطر ازكت وان اصابها مطر اضعفت قاله المسعودي في تاريخه
ويقال لما خلق الله تعالى ادم عليه السلام مثل له الدنيا شرقها وغربها
وسهلها وجبلها وانهارها وبحارها وبنايها وخرابها ومن يسكنها من الامم ومن
يملكها من الملوك فلما راى مصر ارضا سهلة ذات نهر جار مادته من الجنه
تنحدر فيه البركه وراى جبلا من جبالها مكسوا نورا لا يخلوا من نظر الرب
اليه بالرحمه في سفحه اشجار مثمره وفروعها في الجنه تسقى بما الرحمه فدعا
ادم عليه السلام في النيل بالبركه ودعا في ارض مصر بالرحمه والبر
والتقوى وبارك في نيلها وجبلها سبع مرات قال يا ايها الجبل المرحوم سفحك
جنه وتربتك مسكه يدفن فيها غراس الجنه ارض حافظة مطيقة رحيمة

لا خليك يا مصر بركة ولا زال بك حفظ ولا زال منك ملك وعز يا ارض مصر
فيك الخبايا والكنوز ولك البر والثروة سال نهرك عسلا كثر الله زرعك
ودر ضرعك وزكا نباتك وعظمت بركتك وخصبت ولا زال فيك يا مصر خير
ما لم تتجبري او تتكبري او تخوني فاذا فعلت ذلك عراك سوء ثم يعود خيرك
وكان آدم اول من دعا لها بالرحمة والخصب والرافة والبركة وعن ابن عباس
ان نوحا عليه السلام دعا لمصر بن مصر بن حام فقال اللهم انه قد اجاب
دعوتي فبارك فيه وفي ذريته واسكنه الارض المباركة وسخر له ولولده
الارض وذللها لهم وقوهم عليها وقال كعب الاحبار لولا رغبتي في بيت
المقدس لما سكنت الا مصر فقيل له لم فقال لانها بلد معافاة من الفتن
ومن ارادها بسوء اكبه الله على وجهه وهو بلد مبارك لاهله فيه وقال
ابن وهب اخبرني يحيى بن ايوب عن خالد بن يزيد عن ابن ابي هلال ان كعب
الاحبار كان يقول اني لاحب مصر واهلها لان مصر بلد معافاة واهلها
اصحاب عافية وهم بذلك يعافون ويقال ان في بعض الكتب الالهية
مصر خزائن الارض كلها فمن ارادها بسوء قصمه الله وقال عمرو بن العاص
ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة يعني اذا جمع الخراج مع الامارة وقال
احمد بن مدبر يحتاج مصر الى ثمانية وعشرين الف الف فدان وانما يعمر
منها الف الف فدان وقد كسفت ارض مصر فوجد غامرها اضعاف عامرها
ولو اشتغل السلطان بعمارتها لوفت له بخراج الدنيا قال بعضهم ان خراج
العراق لم يكن قط اوفر منه في ايام عمر بن عبد العزيز فانه بلغ الف الف
درهم وسبعة عشر الف الف درهم ولم يكن مصر قط اقل من خراجها
في ايام عمرو بن العاص فانه بلغ اثني عشر الف الف دينار وكانت السامات
باربعة عشر الف الف سوى النقود ومن فضايل مصر انه ولد
بها من الانبيا موسى وهرون ويوشع عليهم السلام ويقال ان عيسى بن
مريم عليه السلام اخذ على سفح المقطم وهو سائر الى الشام فالتفت الى
امه وقال يا اماه هذه مقبرة امة محمد صلى الله عليه وسلم ويذكر انه
ولد في قرية اهناس من نواحي صعيد مصر وانه كان بها نخلة يقال لها
النخلة المذكورة في القران لقوله تعالى وهزي اليك بجذع النخلة وهذا
القول

القول وهم فانه لا خلاف بين علما الاخبار من اهل الكتاب ومن يعتمد عليه من علما
المسلمين ان عيسى صلوات الله عليه ولد بقرية بيت لحم من بيت المقدس ودخل
مصر من الانبيا ابراهيم خليل الرحمن وقد ذكر خبر ذلك عند ذكر خليج القاهرة من
هذا الكتاب ودخلها ايضا يعقوب ويوسف والاسباط وقد ذكر ذلك في خبر
الفيوم ودخلها ارميا وكان من اهلها مومن آل فرعون الذي اثنى الله عليه جل
جلاله في القران ويقال انه ابن فرعون لصلبه واظنه غير صحيح وكان منهم جلسا
فرعون الذين ابان الله فضيلة عقلهم بحسن مشورتهم في امر موسى وهرون
عليهما السلام لما استشارهم فرعون في امرهما فقال تعالى فقال للملا حوله ان
هذا الساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تامرون قالوا ارجه
واخاه وابعث في المداين حاشرين ياتوك بكل سحار عليم واين هذا من قول اصحاب
النمرود في ابراهيم صلوات الله عليه حيث اشاروا بقتله قال تعالى حكاية عنهم قالوا
حرقوه وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين ومن اهل مصر امراة فرعون التي مدحها
الله في كتابه العزيز بقوله وضرب الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون اذ قالت
رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين
ومن اهلها ماشطة ابنة فرعون وامنت بموسى عليه السلام فمشطها فرعون
بامشاط الحديد كما يمشط الكتان وهي ثابتة على ايمانها بالله وقال صاعد اللغوي
في كتاب طبقات الامم ان جميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان انما ظهرت عن
هرمس الاول الساكن بصعيد مصر الاعلى وهو اول من تكلم في الجواهر العلوية
والحركات النجومية واول من بنا الهياكل ومجد الله فيها واول من نظر في علم الطب
والف لاهل زمانه قصايد موزونة في الاشيا الارضية والسماوية ويقال انه
اول من انذر بالطوفان وراى ان آفة سماوية تصيب الارض من الماء والنار
فخاف دروس العلم وذهاب الصنايع فبنى الاهرام والبرابي التي في الصعيد الاعلى
وصور فيها جميع الصنايع والآلات ورسم فيها صفات العلوم حرصا على تخليدها
لمن بعده وخيفة ان يذهب رسمها من العالم وهرمس هذا هو ادريس عليه
السلام وقال ابو محمد الحسن بن اسمعيل بن الضراب في اخبار مصر ان الخضر
اجاز البحر مع موسى عليهما السلام وكان مقدما عنده وكان بمصر من الحكما جماعة
ممن عمرت الدنيا بكلامهم وحكمهم وتدبيرهم وكان من علومهم علم الطب وعلم

السماحة وعلم الهندسة وعلم الكيميا وعلم الطلسمات ويقال كانت مصر في الزمن الاول
يسيروا اليها طلاب العلم ليزكوا عقولهم وتجود اذهانهم وتتميز عندهم الذكا وتدقق
الفطنة ومن فضايل مصر انها تمير اهل الحرمين وتوسع عليهم ومصر فرضة
الدنيا يحمل خيرها الى ماسواها فساحلها بمدينة القلزم يحمل منه الى الحرمين واليمن
والهند والصين وعمان والسند والشحر وساحلها من جهة تنيس ودمياط والفرما
فرضة بلاد الروم والافرنج وسواحل الشام والثغور الى حدود العراق وثغر اسكندرية
فرضة اقريطش وصقلية وبلاد المغرب ومن جهة الصعيد يحمل الى بلاد المغرب
والنوبة والبجه والحبشة والحجاز واليمن وبمصر هذه من الثغور المعدة للرباط في سبيل
الله وهي البرلس ورشيد والاسكندرية وذات الحمام والبحيرة واخنا ودمياط
وشطا وتنيس والاشتوم والفرما والواردة والعريش واسوان وقوص والواحات
يتقى من هذه الثغور الروم والافرنج والبربر والنوبة والحبشة والسودان
وبمصر عدة مشاهد وكثير من المساجد وبها النيل والاهرام والبرابي والديارات
والكنايس واهلها مستغنون بها عن كل بلد حتى انه لو ضرب بينها عن كل بلد وبين بلاد
الدنيا بسور لاستغنى اهلها بما فيها عن ساير البلاد وبمصر دهن البلسان الذي
عظمت منفعته وصارت ملوك الارض تطلبه من مصر وتعتني به وملوك النصرانية
تترامى على طلبه والنصارى كافة تعتقد تعظيمه وترى انه لا يتم تنصير نصراني حتى
يوضع شي من دهن البلسان في ما المعمودية عند تغطيسه فيها وبها السنقور
ومنافعه لا تنكر وبها النمس والعرس ولهما في اكل الثعابين فضيلة لا تنكر فقد قيل
لولا العرس والنمس لما سكنت مصر من كثرة الثعابين وبها السمكة الرعادة ونفعها
في البرد من الحمى اذا علقت على المحموم وبمصر حطب السنط ولا نظير له في معناه
فلو وقد منه تحت قدر يوما كاملا لما بقي منه رماد وهو مع ذلك صلب المكسر سريع
الاشتعال بطي الخمود ويقال انما ينبوس غيرته نقعة مصر فصار احمر وبها الابنون
عصارة الحشايش ولا يجهل منافعها الا جاهل وبها اللبخ وهو ثمر قدر اللوز الاخضر
كان من محاسن مصر الا انه انقطع قبيل سنة سبعماية من الهجرة وبها الاترج قال
ابو داود صاحب السنن في كتاب الزكاة منه شبرت قثاه بمصر ثلثة عشر شبرا ورايت
اترجة على بعير قطعتين وصيرت على مثل عدلين قال المسعودي في التاريخ
والاترج المدور حمل من ارض الهند بعد الثلثماية من سني الهجرة وزرع بعمان ثم نقل
منها

منها الى البصرة والعراق والشام حتى كثر في دور الناس بطرسوس وغيرها من الثغور
الشامية وفي انطاكية وسواحل الشام وفلسطين ومصر وما كان يعهد ولا يعرف فقد
الروايح الخمرية الطيبة واللون الحسن الذي كان فيه بارض الهند لعدم ذلك الهوا والتربة
وخاصية البلد وفي مصر معدن الزمرد ومعدن النفط والشب والبرام ومقاطع الرخام
ويقال كان بمصر من المعادن نيف وستون معدنا واهل مصر ياكلون صيد بحر الروم وصيد بحر
اليمن طريا لان بين البحرين مسافة ما بين مدينة القلزم والفرما وذلك يوم وليلة وهو
الحاجز المذكور في القران قال تعالى وجعل بين البحرين حاجزا قيل هما بحر الروم وبحر
القلزم وقال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان قال بعض المفسرين البرزخ
ما بين القلزم والفرما ومن محاسن مصر انه لو وجد بها في كل شهر من شهور السنة
القبطية صنف من الماكول والمشروب دون ما عداه من بقية الشهور فيقال رطب
توت ورمان بابه وموز هتور وسمك كيهك وماء طوبة وخروف امشير ولبن برمهات
وورد برموده ونبق بشنس وتين بونه وعسل ابيب وعنب مسرى ومنها ان صيفها
خريف لكثرة فواكهه وشتاها ربيع لما يكون بمصر حينيذ من القرط والكتان ومن
محاسنها ان الذي ينقطع من الفواكه في ساير البلدان ايام الشتا يوجد حينيذ بمصر
ومنها ان اهل مصر لا يحتاجون في حر الصيف الى استعمال الخيش والدخول في جوف الارض
كما يعانيه اهل بغداد ولا يحتاجون في برد الشتا الى لبس الفرو والاصطلا بالنار
الذي لا يستغني عنه اهل الشام كما انهم في الصيف غير محتاجين الى استعمال
الثلج ويقال ان ترجمة مصر وقباطي مصر وحمير مصر وثعابين مصر ومنافعها في الدرياق
طيبة ومن فضايل مصر ان الرخامة الخضرا التي في الحجر من الكعبة من مصر بعث
بها محمد بن طريف مولى العباس بن محمد في سنة احدى واربعين ومايتين مع رخامة اخرى
خضرا هدية للحجر فجعلت احدى الرخامتين على سطح جدر الحجر مقابل الميزاب والرخامة
الاخرى هي الرخامة الخضرا التي تحت الميزاب مما يلي جدر الكعبة وهما من احسن الرخام
في المسجد خضرة وكان المتولي عليهما عبد الله بن محمد بن داود وذرعهما ذراع وثلث
اصابع قاله الفاكهي في اخبار مكة ومن فضايل مصر ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم تسرى من اهلها وولد له صلى الله عليه وسلم من نسا مصر ولم يولد له ولد من غير
نسا العرب الا من نسا مصر قال ابن عبد الحكم لما كانت سنة ست من مهاجر رسول
الله صلى الله عليه وسلم ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية بعث الى

الملوك فمضى حاطب بن بلتعة بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الى الاسكندرية
وجد المقوقس في مجلس مشرف على البحر فركب البحر فلما حاذى مجلسه اشار بكتاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم بين اصبعيه فلما راه امر بالكتاب فقبض وامر به فاوصل اليه
فلما قرا الكتاب قال ما منعه ان كان نبيا ان يدعو علي فيسلط علي فقال له حاطب
ما منع عيسى بن مريم ان يدعو على من ابى عليه ان يفعل به ويفعل فوجم ساعة ثم استعادها
فاعادها عليه حاطب فسكت فقال له حاطب انه قد كان قبلك رجل زعم انه الرب
الاعلى فانتقم الله منه ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر بك وان لك دينا لن تدعه
الا لما هو خير منه وهو الاسلام الكافي لفقد ما سواه وما بشارة موسى بعيسى
الا كبشارة عيسى بمحمد وما دعاؤنا اياك الى القران الا كدعائك اهل التوراة الى الانجيل
ولسنا ننهاك عن دين المسيح ولكنا نامرك به ثم قرا الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن
الرحيم من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى اما
بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام فاسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين يا اهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا
اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون فلما قراه اخذه فجعله في
حق من عاج وختم عليه وعن ابان بن صالح قال ارسل المقوقس الى حاطب ليلة
وليس عنده احد الا ترجمان له فقال الا تخبرني عن امور اسالك عنها فاني اعلم ان
صاحبك قد تخيرك حين بعثك قلت لا تسالني عن شيء الا صدقتك قال الى ما
يدعو محمد قال الى ان نعبد الله ولا نشرك به شيئا ونخلع ما سواه ويامر بالصلاة
قال كم تصلون قال خمس صلوات في اليوم والليلة وصيام شهر رمضان وحج
البيت والوفاء بالعهد وينهى عن اكل الميتة والدم قال من اتباعه قال الفتيان من
قومه وغيرهم قال وهل يقاتل قومه قال نعم قال صفه لي قال فوصفته بصفة
من صفاته لم ات عليها قال قد بقيت اشياء لم ار ذكرتها في عينيه حمرة قلما تفارقه
وبين كتفيه خاتم النبوة يركب الحمار ويلبس الشملة ويجتزي بالتمرات والكسر لا يبالي
من لاقى من عم ولا ابن عم قلت هذه صفته قال قد كنت اعلم ان نبيا قد بقي وقد كنت
اظن ان مخرجه الشام وهناك كانت تخرج الانبياء من قبله فاراه قد خرج في العرب في
ارض جهد وبؤس والقبط لا تطاوعني في اتباعه ولا احب ان اعلم بمحاورتي اياك وسيظهر
على البلاد وينزل اصحابه من بعده بساحتنا هذه حتى يظهروا على ما هاهنا وانا لا
اذكر

اذكر للقبط من هذا حرفا فارجع الى صاحبك قال ثم دعا كاتبا يكتب بالعربية فكتب
لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام اما بعد فقد قرات كتابك وفهمت
ما ذكرت وما تدعو اليه وقد علمت ان نبيا قد بقي وقد كنت اظن انه يخرج بالشام وقد
اكرمت رسولك وبعثت اليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم وبكسوة واهديت
اليك بغلة لتركبها والسلام وعن عبد الرحمن بن عبد القاري قال لما مضى حاطب
بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل المقوقس الكتاب واكرم حاطبا واحسن نزله
ثم سرحه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واهدى له معه كسوة وبغلة بسرجها
وجاريتين احداهما ام ابراهيم ووهب الاخرى لجهم بن قيس العبدي فهي ام
زكريا بن جهم الذي كان خليفة عمرو بن العاص على مصر ويقال بل وهبها رسول الله
صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة الانصاري ويقال بل لدحية بن خليفة الكلبي
ويقال بل لحسان بن ثابت وعن يزيد بن ابي حبيب ان المقوقس لما اتاه كتاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمه الى صدره وقال هذا زمان يخرج فيه النبي الذي
نجد نعته وصفته في كتاب الله تعالى وانا لنجد صفته انه لا يجمع بين اختين في
ملك يمين ولا نكاح وانه يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة وان جلساءه المساكين
وان خاتم النبوة بين كتفيه ثم دعا رجلا عاقلا ثم لم يدع بمصر احسن ولا اجمل من مارية
واختها وهما من اهل حفن من كورة انصنا فبعث بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
واهدى له بغلة شهباء وحمارا اشهب وثيابا من قباطي مصر وعسلا من عسل بنها
وبعث اليه بمال صدقة ويقال ان المقوقس اهدى لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اربع جوار وقيل جاريتين وبغلة اسمها الدلدل وحمارا اسمه يعفور وثيابا
والف مثقال ذهبا وعشرين ثوبا من قباطي مصر وخصيا يسمى مابور ويقال انه
ابن عم مارية وفرسا يقال له الكرار وقدحا من زجاج وعسلا من عسل بنها فاعجب
النبي صلى الله عليه وسلم ودعا فيه بالبركة وقال ظن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه فان
المقوقس قال خيرا واكرم حاطب بن ابي بلتعة وقارب الامر ولم يسلم قال ابن
سعد اخبرنا محمد بن عمر الواقدي انا يعقوب بن محمد بن ابي صعصعة عن عبد الله
بن عبد الرحمن بن ابي صعصعة قال اهدى المقوقس صاحب الاسكندرية الى
النبي صلى الله عليه وسلم في سنة سبع من الهجرة مارية واختها سيرين والف
مثقال ذهبا وعشرين ثوبا وبغلته الدلدل وحماره عفير وخصيا يقال له مابور

تعرض حاطب على مارية الاسلام فاسلمت هي واختها ثم اسلم الخصي بعد وكان الذي
بعثه المقوقس مع مارية اسمه جبر بن عبد الله القبطي مولى بني غفار قال ابن عبد
الحكم وامر رسوله ان ينظر من جلساه وينظر الى ظهره هل يرى شامة كبيرة ذات
شعر ففعل ذلك الرسول فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم اليه الاختين
والدابتين والعسل والثياب واعلمه ان ذلك كله هدية فقبل رسول الله صلى الله
عليه وسلم الهدية وكان لا يردها من احد من الناس قال فلما نظر الى مارية واختها
اعجبتاه وكره ان يجمع بينهما وكانت احداهما تشبه الاخرى فقال اللهم اختر لنبيك
فاختار الله له مارية وذلك انه قال لهما اشهدا ان لا اله الا الله وان محمدا عبده
ورسوله فبدرت مارية فتشهدت وامنت قبل اختها ومكثت اختها ساعة ثم
تشهدت وامنت فوهب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختها لمحمد بن مسلمة الانصاري
وقال بعضهم بل وهبها لدحية بن خليفة الكلبي وعن يزيد بن ابي حبيب
عن عبد الرحمن بن شماسة المهري قال عن عبد الله بن عمرو قال دخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم على ام ابراهيم ام ولده القبطية فوجد عندها نسيبا كان لها
قدم معها من مصر وكان كثيرا ما يدخل عليها فوقع في نفسه شي فرجع فلقيه عمر بن
الخطاب رضي الله عنه فعرف ذلك في وجهه فساله فاخبره فاخذ عمر السيف
ثم دخل على مارية وقريبها عندها فاهوى اليه بالسيف فلما راى ذلك كشف عن
نفسه وكان مجبوبا ليس بين رجليه شي فلما راه عمر رجع الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جبريل قد اتاني
فاخبرني ان الله عز وجل قد براها وقريبها وان في بطنها غلاما مني وانه اشبه الخلق
بي وامرني ان اسميه ابراهيم وكناني بابي ابراهيم وقال الزهري عن انس لما
ولدت ام ابراهيم ابراهيم كانه وقع في نفس النبي صلى الله عليه وسلم منه شي حتى
جاءه جبريل فقال السلام عليك يا ابا ابراهيم ويقال ان المقوقس بعث معها
بخصي كان ياوي اليها وقيل ان المقوقس اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم جوارا
منهن ام ابراهيم وواحدة وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي جهم بن حذيفة
وواحدة وهبها لحسان بن ثابت فولدت مارية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ابراهيم فكان من احب الناس اليه حتى مات فوجد به وكان سنه يوم مات ستة
عشر شهرا وكانت البغلة والحمار احب دوابه اليه وسما البغلة الدلدل وسمى الحمار

يعفور

يعفور واعجبه العسل فدعا في عسل بنها بالبركة وبقيت تلك الثياب حتى كفن في
بعضها صلى الله عليه وسلم وكان اسم اخت مارية قيصر ويقال بل كان اسمها سيرين
وقيل حنة وكلم الحسن بن علي معوية بن ابي سفيان في ان يضع الجزية عن جميع قرية
ام ابراهيم لحرمتها ففعل ووضع الخراج عنهم فلم يكن على احد منهم خراج وكان جميع
اهل القرية من اهلها واقربائها فانقطعوا ويروى عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال لو بقي ابراهيم ما تركت قبطيا الا وضعت عنه الجزية ثم ماتت مارية
في محرم خمس عشرة بالمدينة وقال ابن وهب اخبرني يحيى بن ايوب وابن
لهيعة عن عقيل عن الزهري عن يعقوب بن عبد الله بن المغيرة بن الاخنس عن
ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال دخل ابليس العراق فقضى حاجته منها
ثم دخل الشام فطردوه حتى بلغ جبال شباق ثم دخل مصر فباض فيها وفرخ وبسط
عبقريه حديث صحيح غريب وقال عالم بعضهم مصر فقال محاسنها مجلوبة
اليها حتى العناصر الاربعة الماء وهو النيل مجلوب من الجنوب والتراب مجلوب
في حمل الماء والا فهي رمل محض لا تنبت الزروع والنار لا توجد بها شجرة والهوا
لا يهب بها الا من احد البحرين اما من الرومي واما من القلزم وقد زاد هذا
في تحامله وقال كعب الاحبار الجزيرة امنة من الخراب حتى تخرب ارمينية
ومصر امنة من الخراب حتى تخرب الجزيرة والكوفة امنة من الخراب حتى تكون
الملحمة **ذكر العجايب التي كانت بمصر من الطلسمات والبرابي
ونحو ذلك** ذكر في كتاب عجايب الحكمات وغرايب المجربات انه كان بمصر
حجر من جمع كفيه عليه تقيا جميع ما في جوفه قال القضاعي ذكر الجاحظ
وغيره ان عجايب الدنيا ثلثون اعجوبة منها بسائر الدنيا عشر اعجوبات وهي
مسجد دمشق وكنيسة الرها وقنطرة سنجة وقصر غمدان وكنيسة رومية
وصنم الزيتون وايوان كسرى بالمداين وبيت الريح بتدمر والخورنق
والسدير بالحيرة والثلثة احجار ببعلبك وذكر ان بها بيت المشتري والزهرة
وانه كان لكل كوكب من السبعة بيت بها فتهدمت وبقي هذا ومنها بمصر
عشرون اعجوبة فمن ذلك الهرمان وهما اطول بنا واعجبه ليس على الارض
بنا باليد حجر على حجر اطول منهما واذا رايتهما ظننت انهما جبلان موضوعان
ولذلك قال بعض من راهما ليس من شي الا وانا ارحمه من الدهر الا الهرمان

ناني لارحم الدهر منها ومن ذلك صنم الهرمين وهو بلهوبه ويقال بلهيب
ويقال انه طلسم للرمل لئلا يغلب على اقليم الجيزه ومن ذلك بربا سمنود
وهو من اعاجيبها ذكر عن ابي عمر الكندي انه قال رايته وقد خزن فيه بعض
عمالها قرطا فرايت الجمل اذا دنا من بابه بحمله واراد ان يدخله سقط كل
دبيب في القرط لم يدخل منه شي الى البربا ثم خرب عند الخمسين والثلثمايه
ومن ذلك بربا اخميم عجيبا من العجب بما فيه من الصور والعجايب وصور
الملوك الذين يملكون مصر وكان ذو النون الاخميمي يقرا البرابي فقرا فيها
حكما عظيمة فافسد اكثرها ومن ذلك بربا دندره وهو بربا عجيب فيه مايتون
ومايه كوه تدخل الشمس كل يوم من كوه منها ثم الثانية حتى ينتهي الى اخرها
ثم تكر راجعة الى الموضع مبداته ومن ذلك حايط العجوز من العريش الى اسوان
محيط بارض مصر شرقا وغربا ومن ذلك الاسكندريه وما فيها من العجايب
فمن عجايبها المنار والسواري والملعب الذي كانوا يجتمعون فيه في يوم من
السنة ثم يرمون بكوره فلا تقع في حجر احد الا ملك مصر وحضر عيدا
من اعيادهم عمرو بن العاص فوقعت الكرة في حجره فملك البلد بعد ذلك في
الاسلام ثم يحضر هذا الملعب الف الف من الناس فلا يكون فيهم احد الا
وهو ينظر في وجه صاحبه ثم ان قري كتاب سمعوه جميعا او لعب لون من
الالوان راوه عن اخرهم لا يتظالمون فيه ما ذكرت من مراتب العلية والسفلية
ومن عجايبها المسلتان وهما حجران قايمان على سرطانات نحاس في اركانها
كل ركن على سرطان فلو اراد مريد ان يدخل تحتها شيا حتى يعبره رجا بها
الاخر لفعل ومن عجايبها عمود الاعما وهما عمودان ملقيان وراه عمود منها
جبل حصا كصبر الحمار يرمي بيت المعيني المنف المنصب بسبع حصيات حتى
يلتقي على احدهما ومر يرمي وراه بالسبع ويقوم ولا يلتفت ويمضي لطيته فكانما
يحمل حملا لا يحس من ثقله بشي ومن عجايبها القبة الخضرا وهي من
اعجب قبة ملبسة نحاسا كانه الذهب الابريز لا يبليه القدم ولا يخلقه
الدهور ومن عجايبها منية عقبه وقصر فارس وكنيسة اسفل الارض ثم
هي مدينة على مدينة ليس على وجه الارض مدينة في هذه الصنيعة سواها
ويقال انها ارم ذات العماد سميت بذلك لان ارضها ورخامها من الحجا

والاصطفيندس

والاصطفيدس المخطط طولا وعرضا ومن عجايب مصر ايضا الجبال التي
بصعيدها على نيلها وهي ثلثة اجبل فمنها جبل الكهف ومنها الطيلمون ومنها
جبل حما زر الساحره يقال ان فيه حلقة من الجبل ظاهرة مشرفة على النيل لا
يصل اليها احد يلوح فيها خط مخلوف باسمك اللهم ومن عجايبها شعب البوقيرات
بناحية اشمون من بلاد الصعيد وهو شعب في جبل فيه صدع ياتيه البوقيرات
في يوم من السنة كان معروفا تتعرض انفسها على الصدع فكلما ادخل بوقير منها
منقاره في الصدع مضى لطيته فلا تزال تفعل ذلك حتى يلتقي الصدع على بوقير
منها فتحبسه وتمضي كلها ولا تزال ذلك يحبسه متعلقا حتى يتعافى فيتساقط ويتلاشى
ومن عجايبها عين شمس وهي هيكل الشمس وبها العمودان اللذان لم ير اعجب
منهما ولا من شانهما طولهما في السما نحو من خمسين ذراعا وهما محمولان على وجه
الارض وفيهما صورة انسان على دابة وعلى راسيهما شبه الصومعتين من
نحاس فاذا جا النيل قطر من راسيهما ما تستبينه وتراه منهما واضحا ينبع
حتى يجري من اسافلهما فينبت في اصلهما العوسج وغيره واذا دخلت الشمس دقيقة
من الجدي وهو اقصر يوم في السنة انتهت الى الجنوبي منهما فطلعت عليه
على قمة راسه ثم اذا دخلت دقيقة من السرطان وهو اطول يوم في السنة انتهت
الى الشمالي منهما فطلعت على قمة راسه وهما منتهى الميلين وخط الاستوا في
الواسطة منهما ثم خطرت بينهما ذاهبة وجايته ساير السنه كذا يقول اهل
العلم بذلك ومن عجايبها تنيس وعجايبها واعمالها واصنافها وابنيتها ودفاينها
وكنوزها ومايذكر فيها اكثر من ان يحصى من اثار الملوك والحكما والانبيا لا
يدفع ذلك ومن عجايبها الفرما وهي اكثر عجايبا واكثر اثارا ومن عجايبها
التنوم ومن عجايبها نيلها ومن عجايبها الحجر المعروف بحجر الخل يطفو على الخل
ويسبح فيه كما تسبح السمكه وكان يوجد بها حجر اذا امسكه الانسان بكلتي
يديه تقيا كل شي في بطنه وكان بها خرزة تحملها المراة على حقوها فلا تحبل وكان
بها حجر يوضع على حرف التنور فيساقط خبزه وكان يوجد بصعيدها حجارة
رخوة تكسر فتقد كالمصابيح ومن عجايبها حوض كان بدلالات مدور من حجارة
يركب فيه الواحد والاربعة ويحركونه الماشي فيعبرون من جانب الى الجانب
لا يوجد من عمله فاخذه كافور الاخشيدي الى مصر فنظر اليه ثم اخرج من

ها
الما فالتي في البرو كان في اسفله كتابة لا يدرى ما هي ثم بطل ومن عجايبها ان بصعيد
ضيعة تعرف بدشنا فيها سنطة اذا قصدت بالقطع تذبل وتختمع وتضمر فيقال
لها قد عفونا عنك وتركناك فتراجع والمشهور وهو الموجود الان سنطة بالصعيد
اذا اوركت اليد عليها ذبلت واذا رفعت عنها تراجعت وقد حملت الى مصر وشوهدت
وبها نوع من الخشب يرسب في الما كالابنوس وبها الخشب السنط الذي يوقد
منه القدر الكبير في الزمن الطويل فلا يوجد له رماد وذكر ابن نصر المقريزي
انه كان على باب القصر الكبير الذي يقال له باب الريحان عند الكنيسة
المعلقة صنم من نحاس على خلقة الجمل وعليه رجل راكب عليه عمامة متنكب
قوسا عربية وفي رجليه نعلان كانت الروم والقبط وغيرهم اذا تظالموا
بينهم واعتدى بعضهم على بعض تحاكموا اليه حتى تقفوا بين يدي ذلك الجمل
فيقول المظلوم للظالم انصفني قبل ان يخرج هذا الراكب الجمل فياخذ الحق لي
منك شئت ام ابيت يعنون بالراكب النبي صلى الله عليه وسلم فلما قدم عمرو
بن العاص غيبت الروم ذلك الجمل لئلا يكون شاهدا عليهم قال ابن لهيعة
بلغني ان تلك الصورة في ذلك الموضع قد اتى عليها الاف سنين لا يدري
من عملها قال القضاعي فهذه عشرون اعجوبة من جملتها ما يتضمن
عدة عجايب فلو بسطت لجاءت عدد كبير ويقال انه ليس من بلد وفيه
شي غريب الا وفي مصر مثله او شبيه به ثم تفضل مصر على البلدان بعجايبها
التي ليست في بلد سواها وفي كتاب تحفة الالباب انه كان بمصر بيت
تحت الارض فيه رهبان من النصارى وفي البيت سرير صغير من خشب
تحته صبي ميت ملفوف في نطع قديم مشدود بحبل وعلى السرير مثال
الباطية فيها انبوب نحاس فيه فتيل اذا اشعل الفتيل بالنار وصار سراجا
خرج من ذلك الانبوب الزيت الصافي الحسن الفايق حتى يمتلي تلك الباطية
وينطفي السراج بكثرة الزيت فاذا انطفي لم يخرج من الدهن شي فاذا اخرج ذلك
الصبي الميت من تحت السرير لم يخرج من الزيت شي والباطية ترفعها الانسان
فلا يرى تحتها شيا ولا تحت موضعها ثقب واوليك الرهبان يعيشون من
ذلك الزيت يشترونه الناس منهم فينتفعون به وقال صاحب الاسناد ابراهيم
بن وصيف شاه غريم الملك بن قفطريم كان ملكا لا يطاق عظيم الخلق فامر
يقطع

يقطع الصخور ليبني اهراما كما عمل الاولون وكان في وقته الملكان اللذان اهبطا من السما
وكانا في بير يقال لها افناوه فكانا يعلمان اهل مصر السحر ويقال ان الملك عذيم
بن البودسير اسكنهما من عملهما ثم انتقلا الى بابل واهل مصر من القبط يقولون
انهما شيطانان يقال لهما مخله وبهاله وليس هما الملكين والملكان ببابل في بير
هناك يغشاها السحرة الى ان تقوم الساعة ومن ذلك الوقت عبدت الاصنام
وقال قوم كانت الشياطين تظهر وتنصبها لهم وقال قوم اول من نصبها له
تدورس واول صنم اقامه صنم الشمس وقال اخرون بل النمرود الاول
امر الملوك بنصبها وعبادتها وعذيم اول من صلب وذلك ان امراة زنت
برجل من اهل الصناعات وكان لها زوج من اصحاب الملك فامر بصلبهما على
منارين وجعل ظهر كل واحد منهما الى ظهر الاخر وزبر على المنارين اسميهما وما
فعلاه وتاريخ الوقت الذي عمل ذلك فيه بهما فانتهى الناس عن الزنا
وبنى اربع مداين واودعها صنوفا كثيرة من عجايب الاعمال والطلسمات وكنز
فيها كنوزا كثيرة وعمل في الشرق منارا واقام على راسه صنما موجها الى الشرق
مادا يديه يمنع دواب البحر والرمال ان تتجاوز حده وزبر في صدره تاريخ الوقت
الذي نصب فيه ويقال ان هذا المنار قايم الى وقتنا هذا ولولاه لغلب الما
الملح من البحر الشرقي على ارض مصر وعمل على النيل قنطرة في اول بلد النوبة
ونصب عليها اربعة اصنام موجهة الى اربع جهات الدنيا في يد كل صنم حربتان
يضرب بهما اذا اتاهم ات من تلك الجهة فلم تزل بحالها الى ان هدمها فرعون
موسى عليه السلام وعمل البربا على باب النوبة وهو هناك الى وقتنا هذا وعمل
في احدى المداين الاربع التي ذكرنا حوضا من صوان اسود مملوا ما لا ينقص
على الدهر ولا يتغير ماه لانه اجتلبه اليه من رطوبة الهوا وكان اهل تلك الناحية
واهل تلك المدينة يشربون منه ولا ينقص ماه وعمل ذلك لبعدهم عن النيل
وذكر بعض كهنة القبط ان ذلك انما تم لقربه من البحر الملح فان الشمس ترفع
بحرها بخار البحر فينحصر ذلك البخار زجرا بالهندسة او بالسحر ويحيله فيختلط
ذلك في ذلك الموضع بالجوهر مثل الطل وهذه الهوا فلا ينقص ماه على الدهر
ولو شرب منه العالم وعمل قدحا لطيفا على مثل هذا العمل واهداه حومل
الملك الى الاسكندر اليوناني وملكهم عذيم مايه واربعين سنة ومات وهو

ابن سبعمايه وثلثين سنة ودفن في احدى المداين ذات العجايب وقيل في صحرا اقفط
وذكر بعض القبط ان ناودس عديم عمل في صحرا اقفط على وجه الارض تحت قبة
عظيمة من زجاج اخضر براق معقود وعلى راسها كرة من ذهب عليها طاير من ذهب
موشح بجوهر منثور واجنحته تمنع من الدخول الى القبة وكان قطرها مايه
ذراع في مثلها وجعل جسده في وسطها على سرير من ذهب مسبك وهو مكشوف
الوجه وعليه ثياب منسوجة بالذهب المضفور بالجوهر المنظوم وطول القبة
اربعون ذراعا وجعل في القبة مايه وسبعين مصحفا من مصاحف الحكمة
وسبع موايد باوانيها منها مايدة ادرك رماني احمر واوانيها منه ومايدة من ذهب
قلموني واوانيها منها ومايدة من حجر الشمس المضي باوانيها ومايدة من ملح ابيض
مدبر براق باوانيها ومايدة من ذهب معقود وجعل في القبة جواهر كثيرة وبرابي
صنعة مدبرة وحوله سبعة اسياف وتروسا من حديد ابيض مدبر وتماثيل
افراس من ذهب عليها سروج من ذهب وسبعة توابيت من دنانير عليها
صورته وجعل معه من اصناف العقاقير والسمومات والادوية في برابي من
حجارة وقد ذكر من راى هذه القبة واقاموا اياما فما قدروا على الوصول
اليها وانهم اذا قصدوها وكانوا منها على ثمانية اذرع دارت القبة عن ايمانهم
او عن شمايلهم ومن اعجب ما ذكروه انهم كانوا يحاذون ازاجها ازجا ازجا
فلا يرون غير الصورة التي يرونها من الازج الاخر على معنى واحد وذكروا انهم
راوا وجه الملك قدر ذراع ونصف بالكبير ولحيته كبيرة مكشوفة وقدروا
طول بدنه عشرة اذرع وزيادة وذكر هولا الذين راوها انهم خرجوا لحاجة
فوجدوها اتفاقا وانهم سالوا اهل قفط عنها فلم يجدوا احدا يعرفها سوى شيخ منهم
واوصى عديم الملك ابنه شداث بن عديم ان ينصب في كل حيز من احيازه علما منه
منارا ويزبر عليه اسمه فانحدر الى الاشمونين وعمل منارا بها وزبر عليه اسمه
وعمل بها ملاعب وعمل في صحراها منارا اقام عليه صنما براسين على اسم كوكبين
كانا متقترنين في الوقت الذي خرج فيه الى اتريب وبنى فيها قبة من نفعة على
عمد واساطين بعضها فوق بعض وعلى راسها صنما صغيرا من ذهب وعمل
هيكلا للكواكب ومضى الى حرصا فعمل فيه منارا على راسه مراة من اخلاط
تورى الاقاليم ورجع وعمل شداث بن عديم هيكل ادمنت واقام فيه اصناما
باسمها

باسما الكواكب من جميع المعادن وزينه باحسن الزينة ونقشه بالجواهر والزجاج
الملون وكساه الوشي والديباج وعمل في المداين الداخلة من انصنا هيكلا واقام
فيه باتريب وهيكلا شرقي الاسكندرية واقام صنما من صوان اسود باسم زحل
على عبر النيل من الجانب الغربي وبنى في الجانب الشرقي مداين في احداها صورة
صنم قايم وله احليل اذا اتاه المعقود والمسحور ومن لا ينتشر ذكره فمسحه
بكلتي يديه انتشر ذكره وقوي على الباه وفي احداها نقرة لها ضرعان كبيران اذا انقطع
لبن امراة اتتها ومسحتها بيديها فانه يدر لبنها وجمع التماسيح بطلسم عمله بناحية
سنبوط فكانت تنصب من النيل الى اخميم انصبابا فيقتلها ويستعمل جلودها
في السفن وغيرها وعمل منقاوس الملك بمنف وزبر به تماثيل لجميع العلل وكتب
على راس كل تمثال ما يصلح من العلاج فانتفع الناس بها زمانا طويلا الى ان افسدها
بعض الملوك وعمل صورة امراة مبتسمة لا يراها مهموم الا زال همه ونسيه
فكان الناس ينتابونها ويطوفون حولها ثم عبدوها من بعد ذلك وعمل تمثالا
من صفر مذهب بجناحين لا يمر به زان وزانية الا كشف عورته بيده وكان
الناس يمتحنون به الزناة فامتنعوا من الزنا فرقا منه فلما ملك كلكن عشقت
خطيبة عنده رجلا من خدمه وخافت ان يمتحن بذلك الصنم فاخذت في
ذكر الزواني مع الملك واكثرت من سبهن وذمهن فذكر كلكن ذلك الصنم
وما فيه من المنافع فقالت صدق الملك غير ان منقاوش لم يصب في امره لانه
اتعب نفسه وحكماه فيما جعله لصلاح العامة دون نفسه وكان حكم هذا
ان ينصب في دار الملك حيث يكون نساه وجواريه فان اقترفت احداهن ذنبا
علم به فيكون رادعا لهن متى عرض تعلق بهن شي من الشهوة قال كلكن
صدقت وظن ان هذا منها نصح فامر بنزع الصنم من موضعه ونقله الى داره
فبطل عمله وعملت المراة ما كانت همت به وبنا هيكلا على جبل القصير للسحرة
يكونوا لا يطلقون الرياح للمراكب المقلعة الا بضريبة ياخذونها للملك منهم
وبنى مناوش بن منقاوش في صحرا الغرب مدينة بالغرب من مدينة
السحرة تعرف بتمنطر ذات عجايب وجعل في وسطها قبة عليها كالسحابة تمطر
شتا وصيفا مطرا خفيفا وجعل تحت القبة مطهرة منها ما اخضر يداوي
به من كل ذي ابرابه وعمل في شرقيها بربا بالطيف له اربعة ابواب لكل

باب عضادتان في كل عضادة صورة وجه يخاطب كل واحد منهما صاحبه بما
يحدث في يومه ممن دخل البربا على غير طهارة نفخا في وجهه فاصابته عدة مطبقة
لا تفارقه حتى يموت وكانوا يقولون ان في وسطه ممنطا النور في صورة العمود
من اعتنقه لم يحتجب عن نظره شي من الروحانيه وسمع كلامهم وراي ما يعملون
وعلى كل باب من ابواب هذه المدينة صورة راهب في يده مصحف فيه
علم من العلوم ممن احب معرفة ذلك العلم اتي تلك الصورة فمسحها بيديه
وامرهما على صدره فيثبت ذلك العلم في صدره ويقال ان هاتين المدينتين
بنيتا على اسم هرمس وهو عطارد وانهما بحالهما وحكي عن رجل انه
اتي عبد العزيز بن مروان وهو امير مصر فعرفه انه تاه في صحرا الشرق فوقع على
مدينة خراب فيها شجرة تحمل كل صنف من الفاكهه وانه اكل منها وتزود
فقال له رجل من القبط هذه احدي مدينتي هرمس وفيها كنوز كثيره
فوجه عبد العزيز معه جماعة معهم زاد وما فاقاموا يطوفون تلك الصحاري
شهرا فلم يقفوا لها على اثر وعملت ام ميلاطس الملك بركة عظيمة في صحرا
الغرب وجعلت في وسطها عمودا طوله ثلثون ذراعا وفي اعلاه قصعة من
حجارة يفور منها الما فلا ينقص ابدا ووضعت حول البركة اصناما من حجارة
ملون على صور الحيوانات من الوحش والطير والبهايم فكان كل صنف
ياتي الى صنفه ويالفه فياخذ باليد وينتفع به وعملت لابنها متنزها لانه
كان يحب الصيد فعملت فيه مجالس مركبة على اساطين من مرمر مصبغ بالذهب
مرصع بالجوهر والزجاج الملون وزخرفته بالتصاوير العجيبه والنقوش وكان
الما يطلع في فورات وينصب الى انهار قد صفحت بالفضه تجري الى حدايق
فيها بدايع الغروسات وقد اقيم حولها تماثيل تصفر باصناف اللغات وارخت
على المجلس ستورا من ديباج واختارت لابنها من حسان بنات عمه وبنات
الملوك وازوجته وحولته الى هذه الجنه وبنت حول الجنه مجالس للوزراء
والكهنة واشراف اهل الصناعات وكانوا يرفعون اليه جميع ما يعملونه فاذا
فرغوا من اعمالهم حمل اليهم الطعام والشراب وكان ميلاطس تقلد الملك بعد
ابيه مرقونس وهو صبي وكانت امه مدبرة للملك وهي حازمة مجربه فاجرت
الامور على ما كانت عليه في حياة ابيه واحسنت وعدلت في الرعية ووضعت
عنهم

عنهم بعض الخراج وكانت ايامه سعيدة كلها في الخصب الكثير والسعة للناس
والعدل وكان له يوم يخرج فيه الى الصيد ويرجع الى جنته فيامر لكل من معه
بالجوايز والاطعمة ويجلس يوما للنظر في مصالح الناس وقضا حوايجهم ويخلو
يوما بنسايه وكان ملكه ثلاث عشرة سنة ومات وملك قرسون بن قليمون
فابتنى منارا على بحر القلزم وعلى راسه مراة تجتذب المراكب الى شاطي
البحر فلا يمكنها ان تبرح او تعسر فاذا اعسرت سترت المراة حتى تجوز المراكب
واقام قرسون ملكا ماتي سنة وستين سنة وعمل لنفسه ناووسا خلف
الجبل الاسود الشرقي في وسطه قبة حولها اثنى عشر بيتا في كل بيت اعجوبة
لا تشبه الاخري وزبر عليها اسمه ومدة ملكه وكان مرقونس الملك حكيما
محبا للنجوم والعلوم والحكمة فعمل في ايامه درهم اذا ابتاع به صاحبه شيا
اشترط ان يزن له ما يبتاعه منه بوزن الدرهم ولا يطلب عليه زيادة فيغتر
البايع لذلك ويقبل الشرط فاذا تم البيع بينهما وقع في وزن الدرهم ارطال
كثيرة تساوي عشرة اضعافه وكان اذا احب ان يدخل في وزنه اضعاف تلك
الارطال دخل وقد وجد هذا الدرهم في كنوزهم ثم في خزاين بني
امية وكان الناس يتعجبون منه ووجد دراهم اخر مثل انها عملت في
وقته ايضا يكون الدرهم منها في ميزان الرجل فاذا اراد ان يبتاع حاجة
اخذ ذلك الدرهم وقبله وقال اذكر العهد وابتاع به ما اراد فاذا
اخذ السلعة ومضى الى بيته وجد الدرهم قد سبقه الى ميزانه ويجد البايع
موضع ذلك الدرهم ورقة آس او قرطاس او مثل ذلك بدور الدرهم
وفي وقته عملت الانية الزجاج التي توزن فاذا امليت ما او غيره ثم وزنت
لم يزد عن وزنها الاول شيا وعمل في وقتها الانية التي اذا جعل فيها
الما صار خمرا في لونه ورايحته وفعله وقد وجد من هذه الانية بالطبيح
في امارة هرون بن خمارويه بن احمد بن طولون شربة جزع بعروة
زرقا ببياض وكان الذي وجدها ابو الحسن الصانع الخراساني هو ونفر
معه فاقاموا على شاطي النيل وشربوا فيها الما فوجدوه خمرا سكروا منه وقاموا
ليرقصوا فوقعت الشربه انكسرت عدة قطع فاغتم الرجل وجا بها هرون
فتاسف عليها وقال لو كانت صحيحه لاشتريتها ببعض ملكي واما الانية

النحاسية التي تحمل الماخر فانها منسوبة الى قلوبطره بنت بطلميوس ملكة نس
الاسكندرية فكبير وفي زمنه عملت الصورة الحنتمية من الضفادع والحيا
والذباب والعقارب وسائر الحشرات وكانت اذا جعلت في موضع اجتمع اليها
ذلك الجنس ولا يقدر على مفارقة تلك الصورة حتى يقتل وكان يعمل اعمالها كلها
بصور درج الفلك واسمائها وطوالعها فيتم له من ذلك ما يريد وعمل في صحرا
الغرب ملعبا من زجاج ملون في وسطه قبة من زجاج اخضر صافي اللون فاذا
طلعت عليها الشمس القت شعاعها على مواضع بعيدة وعمل في اربعة جوانبه
اربعة مجالس عالية من زجاج كل مجلس لون ونقش عليها بغير لونها
طلسمات عجيبة ونقوشات غريبة وصور ابدعها كل ذلك من زجاج مطابق
يشف وكان يقيم في هذا الملعب اياما وعمل له ثلثة اعياد في كل سنة وكان
الناس يحجون اليه في كل عيد ويحجون له ويقيمون فيه سبعة ايام ولم يزل
هذا الملعب تقصده الامم فانه لم يكن له نظير ولا عمل في العالم مثله الى
ان هدمه بعض الملوك لعجزه عن عمل مثله وكانت ام مرقونس ابنة ملك
النوبة وكان ابوها يعبد الكوكب الذي يقال له السها ويسميه الاها
فسالت ابنها ان يعمل لها هيكلا يفردها به تعمله وصفحه بالذهب والفضة
واقام فيه صنما وارخى عليه الستور الحرير وكانت تدخل اليه بجواريها
وحشمها وتسجد له في كل يوم ثلث مرات وعملت لكل شهر عيدا تقرب
له قرابين وتبخره ليله ونهاره ونصبت له كاهنا من النوبة يقوم به ويقرب
له ويبخره ولم يزل بابنها حتى سجد له ودعا الى عبادته فلما راى الكاهن
الامر في عبادة الكواكب قد تم واختلم من جهة الملك احب ان يكون لكوكب
السها شان في الارض على صورة حيوان يتعبد له فاقام يعمل الحيلة في ذلك
الى ان اتفق ان الغربان كثرت بمصر واضرت بالناس فاحضر الملك ذلك
الكاهن وساله عن سبب كثرتها فقال له ان الاهك ارسلها ليعمل لها
نظيرا يسجد له فقال مرقونس ان كان يرضيه ذلك فانا افعله فقال
ان ذلك رضاه فامر بعمل عقاب طوله ذراعان في عرض ذراع من ذهب
مسبوك وعمل عينيه من ياقوتتين وعمل له وشاحين من لؤلؤ منظوم على انابيب
جوهر اخضر وفي منقاره درة معلقة وسوره بادرك احمر واقامه على
قاعدة

قاعدة من فضة منقوشة قد ركبت على قائمة زجاج ازرق وجعله في ازج عن يمين
الهيكل والقى عليه ستورا حرير وجعل له دخنة من جميع الافاويه والصموغ وقرب
له عجلا اسود ودجاجة الفراريج وباكورة الفواكه والرياحين فلما تمت له سبعة
ايام دعاهم الى السجود له فاجابه الناس ولم يزل الكاهن يجهد نفسه في عبادة
العقاب وعمل له عيدا فلما تم له اربعون يوما نطق الشيطان من جوفه وكان
اول من دعاهم اليه ان يبخروا له في انصاف الشهور بالمندل ويرش الهيكل بالخمر العتيقة
التي توخذ من رؤوس الخوابي وعرفهم انه قد ازال عنهم الغربان وضررها
وكذلك يفعل في غيرها مما يخافون فسر الكاهن بذلك ووجه الى ام الملك يعرفها
ذلك فصارت الى الهيكل وسمعت كلام العقاب فسرها ذلك واعظمته وبلغ الملك
فركب الى الهيكل حتى خاطبه وامره ونهاه فسجد له واقام له سدنة وامر ان
يزين باصناف الزينة وكان مرقونس يقوم بهذا الهيكل ويسجد لتلك الصورة
ويسالها عما يريد ويبخره وعمل من الكيميا ما لم يعمله احد من الملوك فيقال انه
دفن بصحرا الغرب خمسماية دفين ويقال انه عمل على باب مدينة صا عمودا
عليه صنم في صورة امراة جالسة وفي يدها مراة ينظر اليها وكان العليل ياتي
الى هذه المراة وينظر فيها او ينظر له احد فيها فان كان يموت من علته تلك روي
ميتا وان كان يعيش راه حيا وينظر فيها ايضا للمسافر فان راوه مقبلا بوجهه
علموا انه راجع وان راوه موليا علموا انه متماد في سفره وان كان مريضا او ميتا
راوه كذلك في المراة وعمل بالاسكندرية صورة راهب جالس على قاعدة وعلى
راسه كالبرنس وفي يده كالعكاز فاذا مر به تاجر جعل في يديه شيا من المال
على قدر بضاعته فان تجاوزه ولو عن بعد من غير ان يضع بين يديه المال لم
يقدر على الجواز وثبت قائما مكانه وكان يجتمع من ذلك مال عظيم يفرق في الزمنى
والفقرا وعمل في زمنه كل اعجوبة طريفة وامر ان يزبر اسمه عليها وعلى كل علم وكل
طلسم وكل صنم وعمل لنفسه ناووسا في داخل ارض الغرب عند جبل يقال له سدم
وعمل تحته ازجا طوله مائة ذراع وارتفاعه ثلثون ذراعا وعرضه عشرون
ذراعا وصفحه بالمرمر والزجاج الملون وسقفه بالحجارة وعمل فيما داره مصاطب
مبلطة بزجاج على كل مصطبة اعجوبة وفي وسط الازج دكة من زجاج على كل
ركن من اركانها صورة تمنع من الدنو اليها وبين كل صورتين منارة عليها حجر مضيء

مصر وفي وسط الدكة حوض من ذهب فيه جسده بعد ما ضمخ بالادوية الماسكة
ونقل اليه ذخائره من الذهب والجوهر وغيره وسد باب الازج بالصخور والرصاص
وهيل عليها الرمال وكان ملكه ثلاثا وسبعين سنة وعمره مائتين واربعين سنة
وكان جميلا ذا وفرة حسنة فتنسكت نساؤه ولزمن الهيكل من بعده وملك بعده
ابنه ابساد ثم صا ابن اساد وقيل صا ابن مرقونس بن اخو اساد لعمل دراهق في مدينة
منف يري الاوقات التي تخصب فيها مصر وتجدب وبنى بجانب الواحات مدينة ونصب
قرب البحر اعلاما كثيره وعمل خلف المقطم صنما يقال له صنم الحيلة وكان كل من تعذر
عليه امر ياتيه ويبخره فيتيسر ذلك الامر له وجعل بجانب البحر الملح منارا يعلم منه
امر البحر وما يحدث فيه من اقصى ما يصل اليه البصر على مسيرة ايام وهو اول من
اتخذها ويقال انه بنى اكثر مدينة منف وكل بنيان عظيم بالاسكندرية ولما
ملك تداروس بن صا الاخبار كلها بعد ابيه وصفي له ملك مصر بنى في غربي مدينة
منف بيتا عظيما للكوكب الزهرة واقام فيه صنما عظيما من لازورد مذهب وتوجه
بذهب ملوح بزرقة وسوره بسوارين من زبرجد اخضر وكان الصنم في صورة
امراة لها ظفيرتان من ذهب اسود مدبر وفي رجليها خلخالان من حجر احمر شفاف
ونعلان من ذهب وبيدها قضيب مرجان وهي تشير بسبابتها كانها مسلمة على من
في الهيكل وجعل حذاها تمثال بقرة ذات قرنين وضرعين من نحاس احمر مموه بذهب
موشحة بحجر اللازورد ووجه البقرة تجاه وجه الزهرة اللازورد وبينهما مطهرة
من اخلاط الاجساد على عمود رخام مجزع وفي المطهرة ماء مدبر يستشفى به من كل
داء وفرش الهيكل بحشيشة الزهرة يبدلونها في كل سبعة ايام وجعل في الهيكل
كراسي للكهنة قد صفحت بالذهب والفضة وقدم لهذا الصنم الف راس من الضان
والمعز والوحش والطير وكان يحضر يوم الزهرة ويطوف به وقوس الهيكل وستره
وجعل فيه تحت فيه صورة رجل راكب على فرس له جناحان ومعه حربة في سنانها
راس انسان معلق ولم يزل هذا الهيكل الى ان هدمه بخت نصر وفي ايام مالنوس بن تداروس
وكان موحدا على دين قبطيم ومصرايم خرج في جيش عظيم في البر والبحر فغزا البربر
وارض افرنجة وبلاد الاندلس وارض الافرنجة الى البحر وعمل على البحر اعلاما
زبر عليها اسمه ومسيره ورجع فهابه ملوك الارض وكان في غربي منف مدينة
يقال لها قرميده بها قوم من البربر قد ملكوا عليهم امراة ساحرة فغزاهم فلم
نل

نل منهم فقصد ادرجع فارادت ملكتهم افساد مصر فعملت من سحرها وامرت فالقي في النيل
ففاض الماء على المزارع حتى افسدها وكثرت التماسيح والضفادع وفشت الامراض في الناس
وانبثت فيهم الثعابين والعقارب فاحضر ما بقي الكهنة والحكماء في دار حكمتهم وامرهم
بالنظر لذلك فنظروا في نجومهم فراوا ان هذه الافة اتتهم من ناحية الغرب وان امراة
عملته والقته في النيل فعلموا حينئذ انه من فعل تلك الساحرة فاجتهدوا في دفع ذلك
بما عندهم من العلم حتى انكشف عنهم الماء الفاسد وهلكت الدواب المضرة وجهز
قايد الى جيش الى المدينة فلم يجدوا بها غير رجل واحد واخذوا من الاموال والجواهر
والاصنام ما لا يحصى فمن ذلك صورة كاهن من زبرجد اخضر على قاعدة من حجر
الاسباذ شم وصورة روحاني من ذهب راسه من جوهر احمر وله جناحان من در
وفي يده مصحف فيه كثير من علومهم في دفتين مرصعتين بجوهر ومطهرة من ياقوت
ازرق على قاعدة زجاج اخضر فيها ماء لدفع الاسقام ووزن سامن فضة اذا عزم عليه
بعوايه ودخن بدخنه وركبه احد طار به فاحضر ذلك وغيره من عجايب السحرة
واصنامهم والاموال والاصنام والجواهر الى مصر وشنعهم الرجل فساله الملك عن
اعجب ما لهم فقال قصدهم بعض ملوك البربر بجمع كثيف وتعاسل ها بلده فاغلق اهل
مدينتنا حصنهم ولجوا الى الاصنام فاتى الكاهن الى بركة عظيمة بجيرة القمر كانوا
يشربون منها فجلس على حافتها واحاط روسا الكهنة بها واخذ يزمزم على الماء حتى فاد
وخرج من وسطه نار وفي وسطها وجه كدارة الشمس فصاحوا نحو الجماعة لها سجودا
وتلك الصورة تعظم حتى صعدت وخرقت القبه وسمع منها قد كفيتكم شر عدوكم
ففتحوا واذا بعدوهم قد هلك وسائر من معه وذلك ان صورة الشمس التي ظهرت
منها الماء فصاحت فيهم صيحة هلكوا بها ولما هلك ملك مصر بعد ابيه حربيا
كان النمرود في وقته فاتصل بنمرود خبر حكمته وسحره فاستزاره ووجه اليه ان يلقاه
وكان النمرود يسكن سواد العراق وغلب على كثير من الامم فاقبل الملك على اربعة افراس
تحمله لها اجنحة وقد احاطت به كالنار وحوله صور هايلة قد خيل بها وهو متوشح
ثعبان ومحزم ببعضه وذلك التنين فاغر فاه ومعه قضيب اس اخضر كلما حرك
التنين راسه ضربه بالقضيب فلما راى النمرود ذلك هاله واعترف له بجليل
الحكمة ويقول القبط ان الملك كان يرتفع فيجلس على الهرم الغربي في قبة تلوح على
راسه وكان اهل البلد اذا دهاهم امر اجتمعوا حول الهرم ويقولون انه ربما اقام على

راس الهرم اياما لا ياكل ولا يشرب ثم انه استتر منهم حتى توهموا انه هلك فطمع الملوك في
مصر وقصدها ملك من الغرب يقال له سادوم في جيش عظيم الى ان بلغ وادي هيب فاقبل
كلكن وجللهم من سحره بشيء كالغمام شديد الحرارة وهم تحته اياما لا يهتدون اين يتوجهون
ثم ارتفع وصار بمصر فعرفهم ما عمل وامرهم فخرجوا اذاهم بالقوم هم ودوابهم قد هلكوا
فهابه جميع الكهنة وصوروه في سائر الهياكل وبنى هيكلا لزحل من صوان اسود في ناحية
الغرب وجعل له عيدا وفي ايام دارم بن الريان وهو الفرعون الرابع الذي يقال
له عند القبط ذريموش ظهر معدن فضة على ثلاثة ايام من النيل فاثار واثاره منه
شيئا عظيما وعمل منه صنما على اسم القمر لان طالعه كان برج السرطان ونصبه على
القصر الرخام الذي بناه ابوه في شرقي النيل ونصب حوله اصناما كلها من الفضة
والبسه الحرير الاحمر وعمل للصنم عيدا كلما دخل القمر برج السرطان ولما ولي الكسامس
الملك بعد ابيه معدان بن معادوس بن دارم بن ذريموش وهو الفرعون السادس
اقام اعلاما كثيرة حول منف وجعل عليها اساطين يمشي من بعضها الى بعض وعمل
برقوده وصا ومداين الصعيد واسفل الارض اعلاما ومنابر للوقود وطلسمات
كثيرة وعمل كرة من فضة ونقش عليها صورة الكواكب ودهنها بالدهن الصيني
واقامها على منار في وسط منف وعمل في هيكل ابيه روحاني زحل من ذهب اسود
مدبرو عمل في وقته ميزان يعتبر به الناس كفتاه من ذهب وعلاقته من فضة
وسلاسله من ذهب فكان معلقا في هيكل الشمس وكتب على احدى كفتيه حق
وعلى الاخرى باطل وتحته فصوص قد نقش عليها اسم الكواكب فيدخل الظالم
والمظلوم وياخذ كلا منهما فصا من تلك الفصوص ويسمي عليها ما يريد ويجعل احدى
الفصين في كفة والاخر في كفة فتثقل كفة الظالم وترتفع كفة المظلوم ومن اراد
سفرا اخذ فصين وذكر على احدهما اسم السفر وعلى الاخر الاقامة وجعل كل واحد
في كفة فان ثقلا جميعا ولم ترتفع احدهما على الاخر وان ارتفعا سافر وان ارتفع احدهما
اخر السفر ثم سافر وكذا من عليه دين او من له غائب او ينظر في صلاح امره وفساده
ويقال ان بخت نصر لما دخل الى مصر حمل هذا الميزان معه فيما حمل الى بابل وجعله في
بيت من بيوت النار وعمل في ايامه بضا تنور يشوي منه من غير نار وقدر يطبخ
فيه من غير نار وسكين تنتصب فاذا راها احد من البهائم اقبل حتى يذبح نفسه
بها وعمل ما يتخيل نارا وزجاج يتخيل هوا واسما من السرعة والنواميس واما
البرابي

البرابي فقد ذكر وصيف شاه ان سوريد الذي بنى الاهرام هو الذي بنى البرابي كلها
وعمل فيها الكنوز وزبر عليها علوما ووكل بها روحانية تحفظها ممن يقصدها وقال في كتاب
الفهرست وبمصر ابنية يقال لها البرابي من الحجارة العظيمة الكبيرة وهي على اشكال
مختلفة وفيها مواضع للسحق والسحق والحل والعقد والتقطير يدل على انها عملت
لصناعة الكيميا وفي هذه الابنية نقوش وكتابات لا يدرى ما هي وقد اصيبت تحت
الارض فيها هذه العلوم مكتوبة في التوز وفي صفائح الذهب والنحاس والحجارة
وذكر الحسن بن احمد الهمداني ان برابي مصر تنسب الى برابا بن الدرمشيل
بن محويل بن خنوخ بن قاين بن ادم عليه السلام وذكر ابو الريحان محمد بن احمد
البيروني في كتاب الاثار الباقية عن القرون الخالية ان كنيسة في بعض قرى
مصر قد شاهدها الموثوق بقولهم المأخوذ برايهم المامون من خضمهم التمويه عليهم
فيها سرداب ينزل اليه بنيف وعشرين مرقاة وفيه سرير تحته رجل وصبي
مستتر ودين في نطع وفوقه ثور رخام في جوفه باطية رخام داخلها فتيلة من
نحاس في جوفها فتيلة كتان توقد فيصب فيها زيت فلا يلبث ان يمتلي الباطية
الزجاج دنا دنا فيفيض الى الثور الرخام وينفق على تلك الفتيلة وقنا ديلها وذكر
الجيهاني انه صار اليه من وثق به ودفع الباطية عن الثور وافرغ الزيت عن
الباطية والثور جميعا واطفا النار واعادها جميعا الا الزيت فانه صب زيتا من
عنده واتى له فتيلة اخرى واشعلها فما لبث الزيت ان فاض الى الباطية الزجاج
ثم فاض الى الثور الرخام من غير مدد ظاهر ولا عنصر وذكر الجيهاني انه
اذا اخرج الميت من تحت السرير انطفات النار ولم يفض الزيت وذكر عن اهل
القرية ان المراة المتوهمة في نفسها حملا تتخال ذلك الصبي وتضعه في حجرها فيتحرك
ولدها في البطن ان كان الحمل حقيقة او تياس ان لم تحس حركة قال الشيخ
المقريزي مؤلفه رحمه الله وجامعه اخبرني داود بن رزق الله بن عبد الله
وكانت له سياحات كثيرة باراضي مصر ومعرفة باحوالها انه عبر في مغارة كبيرة
تقال لها مغارة شقلقيل بالوجه القبلي فاذا فيها كوم عظيم من سنبل دوس
وانه تخطاه ومضى فاذا شيء كبير الى الغاية من السمك وجميعها ملفوفة بثياب
كانها قد كفنت بعد الموت وانه اخذ منها سمكة وفتشها فاذا فيها دينار عليه
كتابة لا يحسن قراءتها وانه صار ياخذ سمكة بعد سمكة ويخرج من فم كل واحدة
دينارا حتى اجتمع له من ذلك عدة دنانير وانه اخذ تلك الدنانير ورجع ليخرج

حتى جا الى الكوم المسندروس واذا به قد انفتح حتى سد عليه الموضع فعاد الى السمك واعاد الدنانير الى موضعها وخرج فاذا المسندروس كما كان اولا فجعل يتجاوزه ويخرج فعاد واخذ الدنانير ومشى ليخرج فاذا المسندروس قد انفتح وحال بينه وبين خروجه فعاد والقى الدنانير في مواضعها وخرج فلم يمتنع من الخروج وانه كرر اخذ الدنانير واعادتها مرارا والحال ما ذكر حتى خشي الهلاك فتركها وخرج فلما كان بعد مدة سكن موضعا فراى فيه حجرا بني جدار وقد تثور روضع فيه حجرا اخر تحاول الحجر الاخرص دفعه فاذا تحته ستة دنانير من تلك الدنانير التي وجدها في افواه السمك فاخذ منها واحدا وترك البقية في مواضعها واعاد الحجر في الحجر كما كان وقدر الله بعد ذلك انه ركب النيل ليعدي من البر الشرقي الى البر الغربي قال فلما توسطنا البحر واذا بالاسماك تثب من الما وتلقي انفسها في المركب حتى كدنا نغرق من كثرتها فصاح الركاب خوفا من الهلاك قال فتذكرت الدينار الذي كان معي وان هذا ربما كان بسببه فاخرجته من جيبي والقيته في الما فتواثبت الاسماك في المركب والقت انفسها في الما حتى لم يبق منها شي قلت واخبرني قديما بعض من لا اتهم انه ظفر بطلسم من هذا المعنى وانه عنده واراد ان ينظره والسماك تثب الينا من الما فلم تقدر لي ان ارى ذلك وقال ابن عبد الحكم لما اغرق الله فرعون بقيت مصر بعد غرقهم ليس فيها من اشراف اهلها احد ولم يبق فيها الا العبيد والاجرا والنسا فاعظم اشراف من بمصر من النسا ان يولين منهم احدا واجمع رايهن ان يولين امراة منهن يقال لها دلوكة ابنة زبا وكان لها عقل ومعرفة وتجارب وكانت في شرف منهن وموضع وهي يوميذ بنت مائة سنة وستين سنة فملكوها فخافت ان يتناولها ملوك الارض فجمعت نسا الاشراف وقالت لهن ان بلادنا لم يكن يطمع فيها احد ولا يمد عينه اليها وقد هلك اكابرنا واشرافنا وذهب السحرة الذين كنا نقوى بهم وقد رايت ان ابني حصنا احدق به جميع بلادنا فاضع عليه المحارس من كل ناحية فانا لا نامن ان يطمع فينا الناس فبنت جدارا احاطت به على جميع ارض مصر كلها المزارع والمداين والقرى وجعلت دونه خليجا يجري فيه الما واقامت القناطر والترع وجعلت فيه محارس ومسالح على كل ثلثة اميال محرس ومسلحة وفيما بين ذلك محارس صغار على كل ميل وجعلت في كل محرس رجالا واجرت عليهم الارزاق وامرتهم ان يحرسوا بالاجراس فاذا اتاهم

احد

ابحدار صح

احد يخافونه ضرب بعضهم الى بعض بالاجراس فاتاهم الخبر من اي وجه كان في ساعة واحدة فنظروا في ذلك فمنعت بذلك مصر ممن ارادها وفرغت من بنائه في ستة اشهر وهو الذي يقال له جدار العجوز بمصر وقد بقيت منه بالصعيد بقايا كثيرة قال المسعودي وقيل انه انما بنته خوفا على ولدها وكان كثير القنص فخافت عليه سباع البر والبحر واغتيال من جاورها من الملوك والبوادي فحوطت الحايط من التماسيح وغيرها وقد قيل غير ما وصفنا فملكتهم ثلثين سنة قال مولفه رحمه الله قد بقي من حايط العجوز هذا في بلاد الصعيد بقايا اخبرني الشيخ المعمر محمد بن المسعودي انه سار في بلاد الصعيد على حايط العجوز ومعه رفقة فاقلع احدهم منه لبنة فاذا بها كبيرة جدا تخالف المعهود الان من اللبن في المعتاد فيها ولها القوم واحدا واحدا يتاملونها وبينما هم في رويتها اذ سقطت الى الارض فانفلقت عن حبة فول في غاية الكبر الذي يتعجب منه لعدم مثله في زماننا فقشروا ما عليها فوجدوها سالمة من السوس والعيب كانها قريبة عهد بحصادها لم يتغير منها شي البتة فاكلها الجماعة قطعة قطعة وكانها انما خبيت لهم من الزمن القديم والاعصار الخالية انه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها قال ابن عبد الحكم وكان بها عجوز ساحرة يقال لها تدوره وكانت السحرة تعظمها وتقدمها في علمها وسحرها فبعثت اليها دلوكة ابنة زبا انا قد احتجنا الى سحرك وفزعنا اليك ولا نامن ان يطمع فينا الملوك فاعملي لنا شيا نغلب به من حولنا فقد كان فرعون يحتاج اليك فكيف وقد ذهب اكابرنا يعني في الغرق مع فرعون موسى وبقي اقلنا فعملت بربا من حجارة في وسط مدينة منف وجعلت له اربعة ابواب كل باب منها الى جهة القبلة والبحر والشرق والغرب وصورت فيه صور الخيل والبغال والحمير والسفن والرجال وقالت لهم قد عملت لكم عملا يهلك به من ارادكم من كل جهة يوتون منها برا او بحرا وهذا ما يغنيكم عن الحصن ويقطع عنكم مونته فمن اتاكم من اي جهة فانهم ان كانوا في البر على خيل وبغال وحمير او ابل او في سفن او رجالة تحركت هذه الصور من جهتهم التي ياتون منها فما فعلتم بالصور من شي اصابهم ذلك في انفسهم على ما يفعلون بهم فلما بلغ الملوك حولهم ان امرهم قد صار الى ولاية النسا طمعوا فيهم وتوجهوا اليهم فلما دنوا من اعمال مصر تحركت تلك الصور التي في البربا فطفقوا لا يهيجون

تلك الصور بشيء ولا يفعلون بها شيئا الا اصاب ذلك الجيش الذي اقبل اليهم
مثله ان كانت خيلا فما فعلوا بتلك الخيل المصورة في البربا من قطع رؤوسها او سوقها
او فقؤوا اعينها او بقر بطونها اثر ذلك بالخيل التي ارادتهم وان كانت مثل ذلك سفنا
او رجالة فكمثل ذلك وكانوا اعلم الناس بالسحر واقواهم عليه وانتشر ذلك فتهابهم
الناس وكان نسا اهل مصر حين غرق فرعون وقومه ولم يبق الا العبيد والاجرا لم
يصبروا عن الرجال فطفقت المراة تعتق عبدها وتتزوجه وتتزوج الاخرى اجيرها
وشرطوا على الرجال ان لا يفعلوا شيئا الا باذنهن فاجابوهن الى ذلك فكان امر النسا
على الرجال قال يزيد بن ابي حبيب ان نسا القبط على ذلك الى اليوم اتباعا لما مضى منهم
لا يبيع احدهم ولا يشتري الا قال استامر امراتي فملكتهم دلوكة ابنة زبا عشرين
سنة تدبر امرهم بمصر حتى بلغ صبي من ابنا اكابرهم واشرافهم يقال له دركون
بن بلوطس فملكوه عليهم فلم تزل مصر ممتنعة بتدبير تلك العجوز نحوا من اربعمائة
سنة وكلما انهدم من ذلك البربا الذي فيه الصور لم يقدروا على اصلاحه الا تلك
العجوز وولدها وولد ولدها وكانوا اهل بيت لا يعرف ذلك غيرهم فانقطع اهل ذلك
البيت وانهدم من البربا موضع في زمان لقاس بن مرينوس فلم يقدر احد على اصلاحه
ومعرفة علمه وبقي على حاله وانقطع ما كانوا يقهرون به الناس وبقوا كغيرهم الا ان
الجمع كثير والمال عندهم فلما قدم بخت نصر بيت المقدس وظهر على بني اسرايل وسباهم
وخرج بهم الى ارض بابل قصد مصر وخرب مداينها وقراها وسبا جميع اهلها ولم يترك
بها شيئا حتى بقيت مصر اربعين سنة خرابا ليس فيها ساكن يجري نيلها ويذهب لا
ينتفع به ثم رد اهل مصر اليها بعد اربعين سنة فعمروها ولم تزل مقهورة من يومئذ
وقال بعض الحكما رايت البرابي واخترتها تاملها فوجدتها مشتملة على جميع اشكال الفلك
والذي ظهر لي انه لم يعملها حكيم واحد بل تولى عملها قوم بعد قوم حتى تكملت في دور
واحد وهو ستة وثلاثون الف سنة شمسية لان مثل هذه الاعمال لا يعمل الا بالارصاد
ولا يستكمل رصد المجموع في اقل من هذه المدة المذكورة وكانوا يجعلون الكتابة حفرا ونقرا
في الصخور ونقشا في الحجارة وخلقة مركبة في البنيان وربما كان الكتاب هو الباني وربما
كان الكتاب هو الحفر اذا كان تاركا لامر جسيم او عهد لامر عظيم او موعظة يرتجى
نفعها او احيا شرف يريدون تخليد ذكره وقد كتب غير المصريين كذلك كما كتبوا
على قبة غمدان وعلى باب القيروان وعلى باب القبط سمرقند وعلى عمود مارب وعلى ركن
المشتر

المشتقر وعلى الابلق الفرد وعلى باب الرها وكانوا يعمدون الى الاماكن المشهورة
والمواضع المذكورة فيضعون الخط في ابعد المواضع من الدثور وامنعها من الدروس
واجدر ان يراها من يريدها ولا ينسى على وجه الدهر قال المسعودي واتخذت
دلوكة بمصر البرابي والصور واحكمت الات السحر وجعلت في البرابي صور من
يرد من كل ناحية ودوابهم ابلا كانت او خيلا وصورت فيها من يرد من البحر من
المراكب من بحر الغرب والشام وجمعت في هذه البرابي العظيمة المشيدة البنيان
اسرار الطبيعة وخواص الاحجار والنبات والحيوان وجعلت ذلك في اوقات فلكية
واتصالات بالمؤثرات العلوية وكانوا اذا ورد اليهم جيش من نحو اليمن والحجاز
عورت تلك الصور التي في البربا من الابل وغيرها فيعور ما في ذلك الجيش وينقطع
عنهم ناسه وحيوانه واذا كان الجيش من نحو الشام فعل في تلك الصور
التي من تلك الجهة التي اقبل منها جيش الشام ما فعل بما وصفنا فيحدث في ذلك
الجيش من الافات في ناسه وحيوانه ما صنع في تلك الصور التي من تلك
الجهة وكذلك من ورد من جيوش الغرب ومن ورد في البحر من رومية
والشام وغير ذلك من الممالك فهابتهم الملوك والامم ومنعوا ناحيتهم من عدوهم
واتصل ملكهم بتدبير هذه العجوز واتقانها لزم اقطار المملكة واحكامها السياسة وقد
تكلم من سلف وخلف في هذه الخواص واسرار الطبيعة التي كانت ببلاد مصر
وهذا الخبر من فعل هذه العجوز مستفيض لا يشكون فيه والبرابي بمصر من
صعيدها وغيره باقية الى هذا الوقت وفيها انواع الصور مما اذا صورت في
بعض الاشيا احدثت افعالا على حسب ما رسمت له وصنعت من اجله على حسب
قولهم في الطباع التام والله اعلم بكيفية ذلك قال واخبرني غير واحد من
بلاد اخميم من صعيد مصر عن ابي الفيض ذي النون بن ابراهيم المصري الاخميمي
الزاهد وكان حكيما وكانت له طريقة اتاها ونحلة يعضدها وكان ممن يفسر عن اخبار
هذه البرابي وامتحن كثيرا مما صور فيها ورسم عليها من الكتابة والصور قال رايت
في بعض البرابي كتابا تدبرته فاذا هو احذروا العبيد المعتقين والاحداث والجند
المتعبدين والنبط المستعربين ورايت في بعضها كتابا تدبرته فاذا فيه يقدر
المقدر والقضا يضحك وفي اخر كتابة بينتها في ذلك العلم فوجدتها

تدبر بالنجوم ولست تدري ورب النجم يفعل ما يريد

قال وكانت هذه الامة التي احدثت هذه البرابي لهجة بالنظر في احكام النجوم مواظبين
على معرفة اسرار الطبيعة وكان عندها مما دلت عليه احكام النجوم ان طوفانا
سيكون في الارض ولم يقطع على ذلك الطوفان ما هو نار تاتي على الارض فتحرق ما عليها
او ما يغرقها او سيف يبيد اهلها فخافت دثور العلوم وفناها بفنا اهلها فاحدث
هذه البرابي واحدها بربا ورسمت فيها علومها من الصور والتماثيل والكتابة وجعلت
بناها نوعين طينا وحجارة وفرزت ما بني بالطين مما بني بالحجر وقالت ان كان
هذا الطوفان نارا استحجر ما بنينا بالطين وبقيت العلوم وان كان الطوفان
الوارد ماء اذهب ما بنينا بالطين وبقي ما بنينا بالحجارة وان كان الطوفان سيفا
بقي كل من النوعين ما هو من الطين وما هو من الحجر وهذا ما قيل والله اعلم انه كان
قبل الطوفان الذي كانوا يرتقبونه ولم يعينوه انار هو ام ماء ام سيف كان سيفا
اتى جميع اهل مصر من امة عشيتها ملك نزل عليها فاباد اهلها ومنهم من راى ان
ذلك الطوفان كان وباء عم اهلها ومصداق ذلك ما يوجد ببلاد بنبس من التلال
المنفضلة من الناس من صغير وكبير وذكر وانثى كالجبال العظام وهي المعروفة ببلاد
بنبس من ارض مصر بذات الكوم وما يوجد ببلاد مصر وصعيدها من الناس
المنكسين بعضهم على بعض في الكهوف والغيران والنواويس ومواضع كثيرة
من الارض لا يدرى من اي الامم فلا النصارى تخبر عنهم من اسلافهم ولا اليهود
تقول انهم من اوائلهم ولا المسلمون يدرون من هولاء ولا تاريخ ينبي عن حالهم وعليهم
اثوابهم وكثيرا ما يوجد في تلك الروابي والجبال من حليهم والبرابي ببلاد مصر
بنيان قائم عجيب كالبربا التي ببلاد اخميم والبربا الذي ببلاد سمنود وغير ذلك

ذكر الدفاين والكنوز التي تسميها اهل مصر المطالب

الاصل في جواز نبش الدفاين ما رواه ابو عمر بن عبد البر والبيهقي في الدلايل من
حديث بن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الطايف مر
بقبر ابي رغال فقال هذا قبر ابي رغال وهو ابو ثقيف كان اذا هلك لسد قوم
صالح في الحرم فمنعه الله فلما خرج من الحرم رماه الله تعالى عنه وانه ذلك انه
دفن معه عمود من ذهب فابتدر المسلمون قبره فنبشوه واستخرجوا العمود
منه ومن حديث عبد الله بن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
حين خرجنا معه الى الطايف مررنا بقبر فقال هذا قبر ابي رغال وكان بهذا
الحرم

الحرم يدفع عنه فلما خرج منه اصابته النقمة التي اصابت قومه بهذا المكان فدفن
فيه واية ذلك انه دفن معه غصن من ذهب ان انتم نبشتم عليه اصبتموه معه
فابتدره الناس فاخرجوا الغصن الذي كان معه **وبمصر** كنوز يوسف عليه
السلام وكنوز الملك من قبله والملوك من بعده لانه كان يكنز ما يفضل عن
النفقات والمؤن لنوايب الدهر وهو قول الله عز وجل فاخرجناهم من جنات
وعيون وكنوز وقال ان علم الكنوز في كنيسة قسطنطينية نقلت اليها من
طليطلة وقال ان الروم لما خرجت من الشام ومصر اكتنزت كثيرا من اموالها
في مواضع اعدتها لذلك وكتبت كتابا باعلام مواضعها وطرق الوصول اليها واودعت
هذه الكتب مكانا في كنيسة قسطنطينية ومنها يستفاد معرفة ذلك **وقيل**
ان الروم لم تكتب وانما ظفرت بكتب معالم كنوز من ملك قبلها من اليونانيين
والكلدانيين والقبط فلما خرجوا من مصر والشام حملوا تلك الكتب معهم
وجعلوها في الكنيسة وقيل انه لا يعطى من ذلك احد حتى يخدم الكنيسة مدة
فيدفع اليه ورقة تكون حظه قال المسعودي وللمصريين اخبار عجيبة من
الدفاين والبنيان وما يوجد في الدفاين من ذخاير الملوك التي استودعوها
الارض وغيرهم من الامم ممن سكن تلك الارض وتدعى بالمطالب الى هذه
الغاية وقد اتينا على جميع ذلك فيما سلف من كتبنا **فمن** اخبارها ما ذكره يحيى
بن بكير قال كان عبد العزيز بن مروان عاملا على مصر لاخيه عبد الملك بن مروان
فاتاه رجل متنصح فساله عن نصيحته فقال بالقبة الفلانية كنز عظيم
قال عبد العزيز وما مصداق ذلك قال هو ان يظهر لنا بلاط من المرمر والرخام
عند يسير من الحفر ثم ينتهي بنا الحفر الى باب من الصفر تحته عمود من الذهب
على اعلاه ديك عيناه ياقوتتان تساويان ملك الدنيا وجناحاه مصرجان بالياقوت
والزمرد وراسه على صفايح من الذهب على اعلا ذلك العمود فامر له عبد العزيز
بنفقة لاجرة من يحفر من الرجال في ذلك ويعمل فيه وكان هناك تل عظيم فاحتفروا
حفيرة عظيمة في الارض والدلايل المقدم ذكرها من الرخام والمرمر تظهر فازداد
عبد العزيز حرصا على ذلك واوسع في النفقة واكثر من الرجالة ثم انتهوا في حفرهم
الى ظهور راس الديك فبرق عند ظهوره لمعان عظيم لما في عينيه من الياقوت
ثم بان جناحاه ثم بانت قوايمه وظهر حول العمود عمود من البنيان بانواع الحجارة

والرخام وقناطر مقنطرة وطاقات على ابوابه معقودة وداخل منها تماثيل وصور اشخاص
من انواع الصور الذهب واجرنتم من الاحجار قد اطبق عليها اغطيتها وسكت،
فركب عبد العزيز بن مروان حتى اشرف على الموضع فنظر الى ما ظهر من ذلك فتسرع
بعضهم ووضع قدمه على درجة من نحاس تنتهي الى ما هنالك فلما استقر قدمه
على المرقاة ظهر سيفان عاديان عن يمين الدرجة وشمالها فالتقيا على الرجل فلم يدرك
حتى جزآه قطعا وهوى جسمه سفلا فلما استقر جسمه على بعض الدرج اهتز العمود
وصفر الديك صفيرا عظيما اسمع من كان بالبعد من هناك وحرك جناحيه وظهرت
من تحته اصوات عجيبة قد عملت باللوالب والحركات اذا مال وقع على بعض
تلك الدرج شي او ماسها شي انقلبت فيها وهوى من هنالك من الرجال الى اسفل تلك
الحفرة وكان فيها ممن يحفر ويعمل وينقل التراب وينظر ويجول ويامر وينهى نحو
الف رجل فهلكوا جميعا فخرج عبد العزيز وقال هذا ردم عجيب الامر ممنوع
النيل نعوذ بالله منه وامر جماعة من الناس فطرحوا ما اخرج هنالك من
التراب على من هلك من الناس فكان الموضع قبرا لهم قال المسعودي
وقد كان جماعة من اهل الدفائن والمطالب ومن قد اغتنى واغرى بحفر الحفائر
وطلب الكنوز وذخاير الملوك والامم السالفة المستودعة بطن الارض ببلاد
مصر قد وقع اليهم كتاب ببعض الاقلام السالفة فيه وصف موضع ببلاد مصر
على اذرع يسيرة من بعض الاهرام بان فيه مطلبا عجيبا فاخبروا الاخشيد محمد
بن طغج بذلك فامرهم بحفره واباحهم استعمال الحيلة في اخراجه فحفروا حفرا عظيما
الى ان انتهوا الى ازج واقباء وحجارة مجوفة في صخر منقورة فيه تماثيل قائمة على
ارجلها من الخشب قد طلي بالاطلية المانعة من البلى وتفرق الاجزاء والصور مختلفة
منها صور شيوخ وشبان ونساء واطفال اعينهم من انواع الجواهر كالياقوت
والزمرد والزبرجد والفيروزج ومنها ما وجوهها ذهب وفضة فكسر بعض
تلك التماثيل فوجد في اجوافها رمما بالية واجساما فانية والى جانب كل
تمثال منها نوع من الانية كالبرابي وغيرها من المرمر والرخام وفيه من الطلى
الذي قد طلي منه ذلك الميت الموضوع في التمثال الخشب والطلاء دواء مسحوق
واخلاط معمولة لا رائحة لها فجعل منه على النار ففاح منه ريح طيبة مختلفة
لا تعرف في انواع الطيب وقد جعل كل تمثال من الخشب على صورة ما فيه من الناس

على اختلاف

على اختلاف اسنانهم ومقادير اعمارهم وتباين صورهم وبازاء كل تمثال تمثال من الحجر
المرمر او من الرخام الاخضر على هيئة الصنم على حسب عبادتهم للتماثيل والصور عليها
انواع من الكتابات لم يقف احد على استخراجها من اهل الملل وزعم قوم من اهل الدراية
ان لذلك القلم منذ فقد من ارض مصر اربعة الاف سنة وفيما ذكرناه دلالة ان
هولا ليسوا يهودا ولا نصارى ولم يودهم الحفر الا لما ذكرنا من هذه التماثيل وكان
ذلك في سنة ثمان وعشرين وثلثمائة وقد كان من سلف وخلف من ولاة مصر
احمد بن طولون وغيره الى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلثين وثلثمائة لهم اخبار
عجيبة فيما استخرج في ايامهم من الدفائن والاموال والجواهر وما اصيب في هذه
المطالب من القبور قد اتينا على ذكرها فيما تقدم من تصنيفنا وركب احمد بن
طولون يوما الى الاهرام فاتاه الحجاب بقوم عليهم ثياب صوف ومعهم المساحي والمعاول
فسالهم عما يعملون فقالوا نحن قوم نطلب المطالب فقال لهم لا تخرجوا بعدها الا
بمنشور ورجل من قبلي فاخبروه ان في سمت الاهرام مطلبا قد عجزوا عنه
فضم اليهم الرافقي وتقدم الى عامل الجيزة في اعانتهم بالرجال والنفقات وانصرف
فاقاموا مدة يعملون حتى ظهر لهم فركب احمد بن طولون اليهم وهم يحفرون
فكشفوا عن حوض مملو دنانير وعليه غطا مكتوب عليه بالبربطية فاحضر من
قراه فاذا فيه انا فلان بن فلان الملك الذي ميز الذهب من غشه ودنسه فمن
اراد ان يعلم فضل ملكي على ملكه فلينظر الى فضل عيار ديناري على عيار دنانيره وان مخلص
الذهب من الغش مخلص في حياته وبعد وفاته فقال احمد بن طولون الحمد لله
ان ما نبهتني عليه هذه الكتابة احب الي من المال ثم امر لكل قوم من القوم المطالبية
بمائتي دينار منه ولكل من الصناع بخمسة دنانير بعد توفية اجرته وللرافقي
بثلثمائة دينار ولنسيم الخادم بالف دينار وحمل باقي الدنانير فوجدها اجود
من كل عيار وتشدد من حينئذ في العيار بمصر حتى صار عيار ديناره الذي عرف
بالاحمدي اجود عيار وكان لا يطلي الا به

ذكر هلاك اموال اهل مصر

قال الله تعالى وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة واموالا في الحياة
الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا
يومنوا حتى يروا العذاب الاليم قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان
سبيل الذين لا يعلمون هذا دعا من موسى عليه السلام على فرعون وقومه

من اهل مصر وقومه لكفرهم ان يهلك الله اموالهم قال الزجاج طمس الشي اذهابه عن صورته وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وعن محمد بن كعب القرظي انهما قالا صارت اموال اهل مصر ودراهمهم حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا واثلاثا وانصافا فلم يبق لهم معدن الا طمس الله عليه فلم ينتفع به احد من بعدهم وقال قتادة بلغنا ان اموالهم وزروعهم صارت حجارة وقال مجاهد وعطية اهلكها الله تعالى حتى لا ترى يقال عين مطموسة اي ذاهبة وطمس الموضع اذا عفي ودرس وقال ابن زيد صارت دنانيرهم ودراهمهم وفرشهم وكل شي لهم حجارة وقال محمد بن كعب وكان الرجل منهم يكون مع اهله في فراشه وقد صارا حجرين قال وسالني عمر بن عبد العزيز فذكرت ذلك فدعا بخريطة اصيبت بمصر فاخرج منها الفواكه والدراهم والدنانير وانها لحجارة وقال محمد بن شهاب الزهري دخلت على عمر بن عبد العزيز فقال يا غلام ايتني بالخريطة فجا بخريطة فترمى منها فاذا فيها دراهم ودنانير وتمر وجوز وعدس وفول فقال كل يا ابن شهاب فاهويت اليه فاذا هو حجارة فقلت ما هذا يا امير المومنين فقال هذا مما اصاب عبد العزيز بن مروان في مصر اذ كان عليها واليا وهو مما طمس الله عليه من اموالهم وقال الصادر بن عبد الله الشامي اخبرني من راى النخلة بمصر مصروعة وانها لحجر ولقد رايت ناسا كثيرا قياما وقعودا في اعمالهم لو رايتهم ما شككت فيهم قبل ان تدنو منهم انهم اناس وانهم لحجارة وقد رايت الرجل من دهاقينهم وانه لحارث على ثورين وانه وثوريه لحجارة ونقل وسيمة بن موسى في قصص الانبيا ان فرعون لما هلك وقومه وامنت به بنو اسرائيل تناول له بعث موسى عليه السلام من نقبائه الاثني عشر نقيبان احدهما كالب بن يوفنا والاخر يوشع بن نون مع كل واحد من سبطه اثنا عشر الفا وارسلهما الى مصر وقد خلت من حامية لغرق اهلها مع فرعون فاحتووا على دار فرعون وكنوزه وعادوا الى موسى فذلك توريثهم ارض مصر يعني قول الله تعالى عن قوم فرعون فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك واورثناها بني اسرائيل وقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التي كانوا يستضعفون باركنا فيها يعني ارض مصر واورثها بني اسرائيل لانهم هم المستضعفون الذين كانوا فيها بدليل قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ايمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض

قال

قال جامعه ومولفه رحمه الله تعالى اخبرني داود بن رزق الله بن عبد الله وكانت له سياحات كثيرة بارض مصر انه عبر الى واد بالقرب من القلمون بالوجه القبلي فراي فيه مقاثي كثيرة ما بين بطيخ وقثا وتفاح وكلها حجارة وكان قد اخبرني قديما بعض من اعيان الناس انه شاهد في سفرة الى بعض البلاد من ارض مصر بطيخا كبيرا كله حجارة وذلك الصنف من البطيخ الذي يقال له عبدلي

ذكر اخلاق اهل مصر وطبايعهم وامزجتهم

قال ابو الحسن علي بن رضوان الطبيب مصر اسم فيما نقلت الرواة يدل على احد اولاد بني نوح عليه السلام فانهم ذكروا ان مصر هذا نزل بهذه الارض فانسل فيها وعمرها فسميت باسمه والذي يدل عليه هذا الاسم اليوم الارض التي يفيض عليها النيل ويحيط به حدود اربعة وهو ان الشمس تشرق على اقصى العمارة بالمشرق قبل شروقها على هذه الارض بثماني ساعات وثلث وتغيب عنها قبل ان تغيب عن اخر العمارة بالمغرب بثلاث ساعات وثلثي ساعة فيجب من ذلك ان تكون هذه الارض في النصف الغربي من الربع العامر والنصف الغربي من الربع العامر على ما قال ابقراط وبطليموس اقل حرارة واكثر رطوبة من النصف الشرقي لانه قسم كواكب القمر والنصف الشرقي في قسم كوكب الشمس وذلك ان الشمس تشرق على النصف الشرقي قبل شروقها على النصف الغربي والقمر يهل على النصف الغربي قبل النصف الشرقي وزعم قوم من القدما ان ارض مصر في وسط الربع المعمور من الارض بالطبع فاما بالقياس فعلى ما ذكرنا من انها في النصف الغربي والحد الثالث هو ان اول بعد هذه الارض عن خط الاستوا في جهة الجنوب اسوان وبعدها عن خط الاستوا اثنان وعشرون درجة ونصف والشمس تسامت روس اهلها مرتين في السنة عند كونها في اخر الجوزا وفي اول السرطان وفي هذين الوقتين لا يكون للقايم باسوان نصف النهار ظل اصلا فالحرارة واليبس والاحتراق غالب على مزاجها لان الشمس تنشف رطوباتها ولذلك صارت الوانهم سودا وشعورهم جعدة لاحتراق ابدانهم والحد الرابع هو ان اخر بعد ارض مصر عن خط الاستوا في جهة الشمال طرف بحر الروم وعليه من ارض مصر بلدان كثيرة كالاسكندرية ورشيد ودمياط وتنيس والفرما وبعد دمياط عن خط الاستوا في الشمال احد وثلثون جزا وثلث وهذا البعد هو اخر

الاقليم الثالث واول الاقليم الرابع فالشمس لا تبعد عنهم كل البعد ولا تقرب منهم
كل القرب فالغالب عليهم الاعتدال مع ميل يسير الى الحرارة فان الموضع المعتدل
على الصحة من البلدان العامرة هو وسط الاقليم الرابع وايضا فمجاورة دمياط
للبحر واحاطته بها تجعلها معتدلة بين الحر والبرد خارجة عن الاعتدال الى الرطوبة
فيكون الغالب عليها المزاج الرطب الذي ليس بحار ولا بارد ولذلك صارت
الوانهم سمرا واخلاقهم سهلة وشعورهم سبطة واذا كان اول مصر من جهة الجنوب
الغالب عليه الاحتراق وآخرها من جهة الشمال الغالب عليه الاعتدال مع ميل
يسير نحو الحرارة فما بين هذين الموضعين من ارض مصر الغالب عليه الحرارة
ويكون قوة حرارته بقدر بعده عن اسوان وقربه من بحر الروم ومن اجل
هذا قال ابقراط وجالينوس ان المزاج الغالب على ارض مصر الحرارة قال
وجبل لوقا في مشرق هذه الارض يعوق عنها ريح الصبا فانه لم ير احد قط
بفسطاط مصر صبا خالصة لكن متى هبت الصبا عندهم هبت نكباء بين الشرق
والشمال او المشرق والجنوب وهذه الرياح يابسة مانعة من العفن فقد
عدمت ارض مصر هذه الفضيلة ومن اجل ذلك صارت الرياح المواضع التي
تهب فيها ريح الصبا من ارض مصر احسن حالا من غيرها كالاسكندرية
وتنيس ويعوق ايضا هذا الجبل اشراق الشمس على ارض مصر اذا كانت
على هذا الافق فيكون زمان لبث الشعاع على هذه الارض اقل من الطبيعي
ومثل هذا الحال سبب لركود الهوا وغلظه وارض مصر ارض كثيرة الحيوان
والنبات حتى لا تكاد تجد فيها موضعا خلوا من الحيوان والنبات وهي ارض متخلخلة
فانك تراها عند انصراف النيل يمتز له الحماة فاذا حللت الحرارة ما فيها من
الرطوبة تشققت شقوقا عظاما والمواضع الكثيرة الحيوان والنبات ارض كثيرة
العفونة وقد اجتمع على ارض مصر حرارة مزاجها وسخافتها وكثرة ما فيها من
الحيوان والنبات فاوجب ذلك احتراقها وسواد طينها فصارت ارضا سودا
وما قرب منها من الجبل سبخ اما بورقي او مالح وتظهر من ارض مصر
بالعشيات بخارا اسود او اغبر وخاصة في ايام الصيف وارض مصر ذات اجزاء
كثيرة وتختص كل جزء منها بشي دون غيره وعلة ذلك صغر عرضها
واشتمال طولها على عرض الاقليم الثاني والثالث فان الصعيد منه حار للنخل
والسنط

والسنط واجام القصب والبردي ومواضع احراق الفحم وغير ذلك شي كثير والفيوم فيه
من النقائع واجام القصب ومواضع تعطين الكتان شي كثير وارض مصر فيها من النبات
انواع كثيرة كالقلقاس والموز وغير ذلك وبالجملة فكل بقعة من ارض مصر لها
اشيا تختص بها وتنفصل عن غيرها قال والنيل يرطب يبس الصيف والخريف
بعد استبان ان الغالب على ارض مصر الحرارة والرطوبة الفضلية وانها ذات
اجزا كثيرة وان هواها وماها رديان وقد بين الاوايل ان المواضع الكثيرة العفن
يتحلل منها في الهوا فضول كثيرة لا تدعه يستقر على حالة لاختلاف تصعدها وقد
كان استبان ان هوا ارض مصر يسرع اليه التغير لان الشمس لا تثبت على ارض مصر
شعاعها المدة الطبيعية فمن اجل هذين كثر اختلاف هوا ارض مصر فصار يوجد
في اليوم الواحد على حالات مختلفة مرة حر ومرة برد ومرة يابس ومرة رطب
ومرة متحرك واخرى ساكن ومرة الشمس صاحية ومرة قد سترها الغيم وبالجملة هوا
مصر كثير الاختلاف غير لازم لطريقة واحدة فيصير من اجل ذلك ما في الاوعية
والعروق من اخلاط البدن لا يلزم حدا واحدا وايضا فان ما يتحلل كل يوم من
البخار الرطب بارض مصر يعوقه اختلاف الهوا وقلة سمك الجبال وكثرة حرارة
الارض عن الاجتماع في الجو فاذا برد الهوا برد الليل انحدر هذا البخار على وجه
الارض فتولد منه الضباب الذي يحدث عنه الطل والندا وربما تحلل هذا
البخار بالتحلل الخفي فاذا تحلل كل يوم ما كان اجتمع من البخار في اليوم الذي قبله
فمن اجل هذا لا يجتمع الغيم الممطر بارض مصر الا في الندرة وظاهر ايضا ان
ارض مصر ترطب هواها في كل يوم بما ترقى اليه من البخار الرطب وربما تحلل
وقد قال بعض الناس ان الضباب يكون من استحالة الهوا الى طبيعة الماء
فاذا انضاف هذا الى ما قلناه كان ازيد في بيان سرعة تغير الهوا بارض مصر
وكثرة العفونة فيه فقد استبان ان ارض مصر كثيرة الاختلاف كثيرة الرطوبة
الفضلية التي يسرع اليها العفن والعلة العظمى القصوى في ذلك هو ان
اخص الاوقات بالجفاف في الارض كلها يكثر فيه بمصر الرطوبة لانها ترطب في
الصيف والخريف بمد النيل وفيضه وهذا خلاف ما عليه البلدان الاخر وقد
اعلمنا ابقراط ان رطوبة الصيف والخريف فضلية اعني خارجة عن المجرى
الطبيعي كرطوبة المطر الحادث في الصيف ومن اجل هذا قلنا ان رطوبة ارض

مصر فضلية وذلك ان الحرارة واليبس هو بالحقيقة مزاج مصر الطبيعي وانما
عرض له ما اخرجه عن اليبس الى الرطوبة الفضلية مد النيل في الصيف والخريف
ولذلك كثرت العفونات بهذه الارض فهذا هو السبب الاول الاعظم في ان
صارت ارض مصر على ما هي عليه من سخافة الارض وكثرة العفن ورداءة الماء
والهوا الا ان هذه الاشيا لا تحدث في ابدان المصريين استحالة محسوسة اذا جرت
على عادتها من اجل الف المصريين لهذه الحال ومشاكلة ابدانهم لها فان كل ما
يتولد بارض مصر من الحيوان والنبات متشابه لما عليه مصر في سخافة الاجسام
وضعف القوى وكثرة التغير وسرعة الوقوع في الامراض وقصر المدة كالحنطة
بمصر فانها وشيكة الزوال سريع اليها العفن في المدة اليسيرة ولا نظن ان ابدان
الناس وغيرهم تخالف ما عليه الحنطة من سرعة الاستحالة وكيف لا يكون
الامر كذلك وابدانهم مبنية من هذه الاشيا فحال ما يتولد بارض مصر من النبات
والحيوان في السخافة وكثرة الفضول والعفن وسرعة الوقوع في الامراض كحال
سخافة ارضها وعفنها وفضولها وسرعة استحالتها لان النسبة واحدة ولذلك
امكن حياة الحيوان فيها ونبات النبات بها فان هذه الاشيا من حيث ناسبتها ولم
تبعد عن مشاكلتها امكن حياتها فاما الاشيا الغريبة فانها اذا دخلت الى مصر
تغيرت في اول لقايها لهذا الهوا حتى اذا استقرت والفت الهوا واستمرت عليه
صحت صحة مشاكلة لارض مصر واما جنس ما يوكل ويشرب بارض مصر
فان الغلات سريعة التغير سخيفة متخلخلة تفسد في الزمان اليسير كالحنطة
والشعير والعدس والحمص والباقلا والجلبان فان هذه تسوس في هذه المدة
القليلة وليس لشي من الاغذية التي تعمل منها لذاذة بالنظير في البلدان الاخر
وذلك ان الخبز المعمول بمصر متى لبث يوما واحدا بليلته لا يوكل وان اكل لم
يوجد له لذاذة ولا تماسك لبعضه ببعض ولا يوجد فيه علوكة ولكنه يتكرج
في الزمان اليسير وكذلك الدقيق وهذا بخلاف اخباز البلدان الاخر وكذلك
الحال في جميع غلات مصر وفواكهها وما يعمل منها فانها وشيكة الزوال سريعة
الاستحالة والتغير فاما ما يحمل من هذه الى مصر فظاهر ان مزاجها يفسد لاختلاف
الهوا عليها ويستحيل عما كانت عليه الى مشاكلة ارض مصر الا ان ما كان حديثا
قريب العهد بالسفر فقد تبقى فيه من جودته بقايا صالحة فهذا حال الغلات

واما

واما الحيوان الذي ياكله الناس فالبلدي منه مزاجه مشاكل لمزاج الناس بهذه
الامراض في السخافة وسرعة الاستحالة فهو على هذا ملايم لطبايعهم والمجلوب
كالكباش البرقية فالسفر يحدث في ابدانها تحللا ويبسا لا يخالط مزاج المصريين
ولهذا اذا دخلت مصر مرض اكثرها فاذا استقرت زمانا صالحا تبدل مزاجها ووافق
مزاج المصريين واهل مصر يشرب الجمهور منهم من ما النيل وقد قلنا في ما
النيل ما فيه كفاية وبعضهم يشرب مياه الابار وهي قريبة من مشاكلتهم والمياه
المخزونة فقل من يشربها بارض مصر واجود الاشربة عندهم الشمسي لان العسل
الذي فيه يحفظ قوته ولا يدعه يتغير بسرعة والزمان الذي يعمل فيه خالص
الحر فهو ينضجه والزبيب الذي يعمل منه مجلوب من بلاد اخر ذهوا واما
الخمر فقل من يعتصرها الا ويلقي معها عسلا وهي معتصرة من كرومهم فتكون
مشاكلة لهم ولهذا صاروا يختارون الشمسي عليها وما عدا الشمسي والخمر من
الشراب بارض مصر فردي لا خير فيه لسرعة استحالته من فساد مادته
كالنبيذ التمري والمطبوخ والمزر المعمول من الحنطة واغذية اهل مصر مختلطة
فان اهل الصعيد يغتذون فيه كثيرا بتمر النخل والحلاوة المعمولة من قصب
السكر ويحملونها الى الفسطاط وغيرها فتباع هناك وتوكل واهل اسفل الارض
يغتذون كثيرا بالقلقاس والجلبان ويحملون ذلك الى مدينة الفسطاط وغيرها
فتباع هناك وتوكل وكثير من اهل مصر يكثرون اكل السمك طريا ومالحا
وكثيرا يكثرون اكل الالبان وما يعمل منها وعند فلاحيهم نوع من الخبز يدعى
كعكا يعمل من جريش الحنطة ونخالتها وهو اكثر اكلهم السنة كلها وبالجملة فكل
قوم منهم قد نبتت ابدانهم من اشيا باعيانها والفتها ونشات عليها الا ان
الغالب على اهل مصر الاغذية الرديئة وليست تغير مزاجهم ما دامت جارية
على العادة وهذه ايضا مما يوكد امرهم في السخافة وسرعة الوقوع في
الامراض واهل الريف اكثر حركة ورياضة من اهل المدن ولذلك هم
اصح ابدانا لان الرياضة تصلب اعضاهم وتنوبها واهل الصعيد اخلاطهم
ارق واكثر دخانية وتحللا وسخافة لشدة حرارة ارضهم من اهل اسفل الارض
واهل اسفل الارض بمصر اكثر استفراغ فضولهم بالبراز والبول لفتور
حرارة ارضهم واستعمالهم للاشيا الباردة والغليظة كالقلقاس واما

اخلاق المصريين فبعضها شبيه ببعض لان قوى النفس تابعة لمزاج البدن وابدانهم
سخيفة سريعة التغير قليلة الصبر والجلد وكذلك اخلاقهم تغلب عليها الاستحالة
والرغبة في العلم وسرعة الخوف والحسد والنميمة والكذب والسعي الى السلطان
وذم الناس وبالجملة تتغلب عليهم الشرور الدنية التي تكون من دناءة النفس
وليس هذه الشرور عامة فيهم ولكنها موجودة في اكثرهم ومنهم من خصه الله
بالفضل وحسن الخلق وبراءة من الشرور ومن اجل توليد ارض مصر الجبن والشرور
الدنية في النفس لم تسكنها الاسد واذا دخلت ذلت ولم تتناسل وكلابها اقل
جراءة من كلاب غيرها من البلدان وكذلك ساير ما فيها اضعف من نظيره في
البلدان الاخر ما خلا ما كان في طبعه ملايما لهذه الحال كالحمار والارنب قال
ان جالينوس يرى ان فصل الربيع طبيعته الاعتدال وناقض من ظن انه حار
رطب ومن شان هذا الفصل ان تصح فيه الابدان وتجود هضمها وتشتد
الحرارة الغريزية فيه ويصفو الروح الحيواني لاعتدال الهوا وصفايه ومساواة
ليله لنهاره وغلبة الدم والهوا المعتدل هو الذي لا يحس فيه ببرد ظاهر
ولا حر ولا رطوبة ولا يبس ويكون في نفسه نقيا صافيا فيقوى فيه الروح
الحيواني لهذا السبب وتصح الابدان ويكثر نشاط الحيوان وتنمي الاشيا وتتولد
وتزيد واذا طلبنا بارض مصر مثل هذا الهوا لم نجده في وقت من السنة الا في
امشير وبرمهات وبرموده وبشنس عند ما تكون الشمس في النصف الاخير من
الدلو والحوت والحمل والثور فانا نجد بمصر في هذا الزمان اياما معتدلة نقية
من الغيوم والهوا ساكنا لا يتحرك الا ان يكون ذلك في برموده وبشنس فانه
يحتاج الى ان تهب ريح الشمال ليعتدل بردها حر الشمس وفي هذا الزمان
تكثر حركة الحيوان وسفاده وتحسن اصواته وتورق الاشجار وينعقد الزهر
وتقوى القوة المولدة ويغلب كيموس الدم وهذا الفصل في ارض مصر يتقدم
زمانه الطبيعي بمقدار ما ينقص عن اخره وعلة ذلك قوة حرارة هذه الارض
وقد يعرض في اول هذا الفصل ايام شديدة البرد وذلك يكون في امشير
اذا هبت ريح الشمال وكانت الشمس غير نقية من الغيوم وعلة ذلك
دخول فصل الربيع في فصل الشتا فاذا هبت ريح الشمال بردت ببردها الهوا
فاعادته بعد الاعتدال الى البرد ولكثرة ما يصعد من الارض في هذا الزمان
من البخار

من البخار الرطب يرطب الهوا ويعود الى حاله في فصل الشتا وربما برد الهوا من هبوب
رياح اخر فان ريح الجنوب التي هي اشد الرياح حرارة اذا هبت في هذا الزمان
اكتسبت برودة من الارض والما الذي قد برد هما هوا الشتا فاذا مرت بشي برد
برودتها العرضية حتى اذا دام هبوبها اياما كثيرة متوالية عادت الى حرارتها
واسخنت الهوا واحدثت فيه يبسا والدليل على ان برد رياح الجنوب الذي يعرفها
المصريون بالمريسي يتولد من برد مياه مصر وارضها لا في شي طبيعي فيها انه لا
يجتمع في الجو في ايام هبوبها الضباب الذي يجتمع من تحليل الحرارة للبخار الرطب
بالنهار وجمع البرودة له بالليل لحرارة ريح الجنوب تعوق البرودة عن جمعه
وتبدده في الهوا واذا دام هبوب هذه الريح اسخنت الما والارض وعادت الى
طبيعتها في الحرارة واذا كان فصل الربيع يتقدم زمانه الطبيعي ويختلف هذا الاختلاف
والهوا في الاصل بمصر مختلف بكثرة استحالته ولما يرقى اليه من البخار فما ظنك بغيره
من الفصول ولذلك كثرت فيه الرياح واخر الاطبا فيه سقي الادوية المسهلة
الى ان يستقر امره في برج الحمل مع الثور ثم يدخل فصل الصيف من اخر بشنس وبونه
وابيب وبعض مسرى عند ما تكون الشمس في الجوزا والسرطان والاسد وبعض
السنبلة فيشتد الحر واليبس في هذا الزمان وتحمى الغلات وتنضج الثمار
ويجتمع من اكلها في الابدان كيموسات كثيرة رديئة واذا نزلت الشمس السرطان
اخذ النيل في الزيادة والفيض على ارض مصر فتتغير مزاج الصيف الطبيعي
بكثرة ما يترقى الى الهوا من بخار الما ويوجد في اول هذا الفصل عند ما تكون
الشمس في الجوزا اياما يشاكل هواها هوا الربيع عند ما تكون الشمس مستورة
بالغيوم او تكون ريح الشمال هابة ولهذا يغلط كثير من الاطبا ويسقي الادوية
المسهلة في هذا الزمان لظنه ان فصل الربيع لم يخرج الا من كان منهم احذق فهو
يختار ما كان من هذه الايام اسكن حرارة والاكثر لا يشعرون البتة بهذه الحال
وفي اخر الصيف يكون فيض النيل فظاهر ان هذا الفصل يتقدم دخوله الزمان
الطبيعي بمقدار ما يتقدم اخره وانه كثير الاضطراب بكثرة ما يرقى اليه من بخار
الما فلولا استمرار ابدانهم على هذا الاختلاف ومشاكلتهم لهذه الحال لحدثت
فيهم الامراض التي ذكر ابقراط انها تحدث اذا كان الصيف رطبا ثم يدخل فصل
الخريف وطبيعته يابسة من النصف الاخير من مسرى ثم توت وبابه وبعض

ايام هتور ويكون الشمس في اخر السنبلة والميزان والعقرب فتكمل زيادة النيل
في اول هذا الفصل ويطلق على الارضين فيطبق ارض مصر ويرتفع منه في الجو بخار
كثير فينتقل مزاج الخريف عن اليبس الى الرطوبة حتى انه ربما وقع فيه الامطار وكثر
الغيم في الجو ويوجد في اول هذا الفصل ايام شديدة الحر لانها على الحقيقة صيفية فاذا
نقي الجو من البخار الرطب عادت الى طبيعتها من الحرارة وفيه ايضا ايام شديدة الشبه
بايام الربيع يكون عند ما يساوي النيل النهار ويرطب الماء يبس الهوا ويشتد في هذا
الفصل اضطراب الهوا لكثرة ما يرتقي اليه من البخار الرطب فيكون مرة حر واخرى
برد يابس واكثر اوقاته يغلب عليه الرطوبة ولا يزال كذلك يتمزج حتى يغلب ومنة
عليه رطوبة الماء في اخر الامر ويصاد في ايام الخريف من النيل اسماك كبيرة جدا يولد
اكلها في الابدان اخلاطا لزجة وكثيرا ما تستحيل الى الصفرا اذا صادفت في البدن
خلطا صفراويا فمن اجل ذلك يضطرب ما في الابدان من الروح الحيواني ويهيج
الاخلاط ويفسد الهضم في البطون والاوعية والعروق فيتولد من ذلك كيموسات
ردية كثيرة الاختلاف بعضها مرة صفرا وبعضها مرة سودا وبعضها بلغم لزج
وبعضها خلط خام وبعضها مرة محترقة وكثيرا ما تتركب هذه الاشيا فتثير الامراض
حتى اذا انصرف النيل في اخر الخريف وانكشفت الارض وبرد الهوا وكثرت الاسماك
واختنق البخار وكثر ما يرتفع من الارض من العفونة فحوا ستحكم عند ذلك وجود
العفن وتزايدت الامراض ولولا الف اهل ارض مصر لهذه الاشيا لكان ما يحدث
فيهم من الامراض اكثر من ذلك ثم يدخل فصل الشتا وطبيعته باردة والشمس في
القوس والجدي وبعض الدلو وذلك اول من ثلثة اشهر والعلة في ذلك نحو حرارة
ارض مصر وكون الابدان مضطربة وتنكشف الارض في هذا الفصل وتخرج بعفن
بالجملة لكثرة ما يلقى فيها من البزور وما فيها من ازبال الحيوان وفضولها ولانها
سخيفة وهي كالحماة في هذا الزمان يتولد فيها من انواع الفار والدود والنبات
والعشب وغير ذلك ما لا يحصى كثرة ويتحلل منها في الجو بخرة كثيرة حتى يصير الضباب
بالغدوات ساترا للابصار عن الالوان القريبة ويصاد ايضا من الاسماك المحبوسة
في المياه المخزونة شي كثير وقد داخلها العفن لقلة حركتها فيتولد اكلها في الابدان
فضولا كثيرة لزجة شديدة الاستعداد للعفن فيقوى الامراض في هذا الفصل
حتى اذا اشتد البرد وقوي الهضم في الابدان واستقر الهوا على شي واحد وعادت
الحرارة

الحرارة الغريزية الى داخل وتلبدت الارض بالنبات وسكنت عفونتها وصحت عند
ذلك الابدان وهذا يكون في اخر كيهك او في طوبه فقد استبان ان الفصول بارض
مصر كثيرة الاختلاف وان اراد وقت السنة عندهم واكدرها امراضا هي اخر الخريف
واول الشتا وذلك في شهر هتور وكيهك فاذا اختلاف الفصول مشاكل لما عليه ارضهم
من الرداة فمضرة الفصول اذا بالابدان في ارض مصر اقل منها في البلدان الاخر اذا
اختلفت هذا الاختلاف واستبان ايضا ان السبب الاول في ذلك هو مد النيل في
ايام الصيف وتطبيقه الارض في ايام الخريف بخلاف ما عليه مياه الانهار في العمارة
كلها فانها انما تمتد في احص الاوقات بالرطوبة وهو الشتا والربيع قال وقد
استبان فيما تقدم ان الرطوبة الفضلية بارض مصر كثيرة وظاهر ان امراضهم البلدية
يكون من نوع هذه الرطوبة فاني انا قل ما رايت امراضهم البلدية تكون من نوع هذه
الرطوبة كلها لا يشوبها في اول امرها البلغم والخلط الخام والامراض كلها تحدث عندهم
في الاوقات كلها كما قال ابقراط واكثر امراضهم هي الفضلية اعني العفنة عن اخلاط
صفراوية وبلغمانية على ما يشاكل مزاج ارضهم قال وما ذكرناه فيما تقدم يوجب
حدوث الامراض كثيرا الا ان مشاكلة هذه بعضها ببعض واتفاقها في سنة واحدة
يمنع ان تكون في انفسها ممرضة متى لزمت العادة فاما اذا خرجت عن عاداتها فهي
تحدث مرضا وخروجها عن عاداتها بمصر هو الذي اعنيه اختلافا ممرضا لا الاختلاف الموجود
فيها على الدايم والنيل ليس يحدث في الابدان في كل سنة مرضا ولكنه اذا افرطت زيادته
ودام مدة تزيد عن العادة كان ذلك سببا لحدوث المرض الوافد فان قيل اذا كانت
ابدان الناس بارض مصر من السخافة على ما ذكرت فلعلها بمرض دايم فالجواب
لسنا نبالي في هذا كيف كان لان المرض هو ما يضر بالفعل ضررا محسوسا من غير توسط
فمن اجل ذلك ليس ابدان المصريين في مرض دايم ولكنها كثيرة الاستعداد نحو الامراض
قال اما امراض مصر البلدية فقد ذكرنا من امرها ما فيه كفاية وظهر ان اكثرها
الامراض الفضلية التي يشوبها صفرا او خام على ان ما في الامراض تحدث عنهم بسرعة
وقرب وخاصة في اخر الخريف واول الشتا واما الامراض الوافدة ومعنى المرض
الوافد هو ما يعم خلقا كثيرا في بلد واحد وزمان واحد ومنه نوع يقال له الموتان
وهو الذي يكثر معه الموت وحدوث الامراض الوافدة يكون عن اسباب كثيرة يجتمع
في اجناس اربعة وهي تغير كيفية الهوا وتغير كمية الماء وتغير كيفية الاغذية وتغير

كيفية الاحداث النفسانية والهوا يتغير كيفيته على ضربين احدهما نعرفه الذي جرت
به العادة وهذا لا يحدث مرضا وافدا وليس تغيرا ممرضا والثاني التغير الخارج
عن مجرى العادة وهذا هو الذي يحدث المرض الوافد وكذلك الحال في الاجناس
الباقية وخروج تغير الهوا عن عادته يكون اما بان يسخن اكثر او يبرد او يرطب
او يجفف او يخالطه حال عفنية والحال العفنية اما ان تكون قريبة او بعيدة
فان ابقراط وجالينوس يقولان انه ليس يمنع مانع من ان يحدث ببلد اليونانيين مرض
وافد عن عفونة اجتمعت في بلاد الحبشة وترامت الى الجو وانحدرت على اليونانيين ه
فاحدث فيهم المرض الوافد وقد يتغير ايضا مزاج الهوا عن العادة بان يصل وفد
كثير قد انهك ابدانهم طول السفر وساءت اخلاطهم فيخالط الهوا منها شي كثير ويعم
الاعدا في الناس ويظهر المرض الوافد والما ايضا قد يحدث المرض الوافد اما بان
يفرط مقداره في الزيادة والنقصان او يخالطه حال عفنية ويضطر الناس الى شربه
ويعفن به ايضا الهوا المحيط بابدانهم وهذه الحال يخالطه اما قريبا او بعيدا ه
بمنزلة ما يمر في جريانه بموضع حرب قد اجتمع فيه من جيف الموتى شي كثير او
بماه نقائع عفنة فيحدرها معه ويخالط جسمه والاغذية تحدث المرض الوافد
اما اذا لحقها اليرقان وارتفعت اسعارها واضطر الناس الى اكلها واما اذا اكثر
الناس منها في وقت واحد كالذي يكون في الاعياد فيكثر فيهم التخم ويمرضون مرضا
متشابها واما من قبل فساد مرعى الحيوان الذي يوكل او فساد الما الذي يشربه
والاحداث النفسانية تحدث المرض الوافد متى حدث في الناس خوف عام من
بعض الملوك فيطول سهرهم وفكرهم في الخلاص منه وفي وقوع البلا فيسو هضم
اجوافهم ويتغير حرارتهم الطبيعية الغريزية وربما اضطروا الى حركة عنيفة في
هذه الحال او يتوقعوا قحط بعض السنين فيكثرون الحركة والاجتهاد في ادخار
الاشيا ويشتد غمهم بما يحدث فتجمع هذه الاشيا تحدث في ابدان الناس المرض
الوافد متى كان المتعرض لها خلق كثير في بلد واحد ووقت واحد وظاهر انه اذا
كثر في وقت واحد المرض بمدينة واحدة ارتفع من ابدانهم بخار كثير فيتغير مزاج
الهوا فاذا صادف بدنا مستعدا امرضه وان كان صاحبه لم يتعرض لما يتعرض
اليه الناس فالامراض الوافدة بمصر تحدث اما عن فساد لم تجر به العادة يعرض
للهوا سوا كان مادة فساده من ارض مصر او من البلاد التي تجاورها كالسودان
والحجاز

والحجاز والشام وبرقة او يعرض للنيل ان يفرط زيادته فيكثر زيادة الرطوبة والعفن
او يقل زيادته حتى يجف الهوا عن مقدار العادة ويضطر الناس الى شرب مياه
ردية او يخالطه عفونة عن حرب يكون بارض مصر او ببلاد السودان وغيرها يموت
فيها خلق كثير ويرتفع بخار جيفهم في الهوا فيعفنه ويتصل عفنه اليهم او يسيل الما ويحمل
معه العفن او يغلو السعر ويلحق الغلال آفة او يدخل على الكباش ونحوها مضرة
او يلحق الناس خوف عام او قنوط وكل واحد من هذه الاسباب يحدث في ارض مصر
امراضا وافدة يكون قوته بمقدار قوة السبب المحدث له وان كان اكثر من سبب واحد
كان ذلك المرض اشد واقوى ويسرع في القتل فان مزاج ارض مصر حار رطب
بالرطوبة الفضلية وما قرب من الجنوب بارض مصر كان اسخن واقل عفونة ممن
ما النيل ما كان منها في الشمال ولا سيما من كان في شمال الفسطاط مثل اهل السمور
فان طباعهم اغلظ والبلد عليهم اغلب وذلك لانهم يستعملون اغذية غليظة جدا
ويشربون من الما الردي واما اسكندرية وتنيس وامثالها هذه فقربها من
البحر وسكون الحرارة والبرودة عندهم وظهور الصبا فيهم مما يصلح امرهم ويرق
طباعهم ويرفع همهم ولا يعرض لهم ما يعرض لاهل السمور من غلظ الطبع والجماديه
واحاطة البحر بمدينة تنيس توجب غلبة الرطوبة عليها وما يسرا اخلاق اهلها
ف انه لما كانت ارض مصر وجميع ما فيها سخيفة الاجسام سريع اليها التغير
والعفن وجب على الطبيب ان يختار من الاغذية والادوية ما كان قريب العهد
حديثا لان قوته بعد باقية عليه لم تتغير كل التغير وان يجعل علاجه ملايما لما
عليه الابدان بارض مصر ويجتهد في ان يجعل ذلك الى الجهة المضادة اميل قليلا
ويجتنب الادوية القوية الاسهال وكلما له قوة مفرطة وان كانت هذه للابدان
سريعة سيما وابدان المصريين سريعة الوقوع في النكايات ويختار ما يكون من
الادوية المسهلة وغيرها الين قوة حتى لا يكون على طبيعة المصريين منها كلفة
ولا يلحق ابدانهم مضرة ولا يقدم على الادوية الموجودة في كتب اطبا اليونانيين
والفرس فان اكثرها عملت لابدان قوية البنية عظيمة الاخلاط وهذه الاشيا
قل ما يوجد بمصر فلذلك يجب على الطبيب ان يتوقف في اعطا هذه الادوية للمرضى
ويختار الينها وينقص من مقدار شربتها ويبدل كثيرا منها بما يقوم مقامه ويكون
الين منه فيتخذ السكنجبين السكري مكان العسلي والجلاب بدلا من ما العسل

واعلم ان هوا مصر يعمل في المعجونات وسائر الادوية ضعفا في قوتها فاعمار الادويه
المركبة والمفرده المعجون منها وغير المعجون بمصر اقصر من اعمارها في غير مصر فيحتاج
الطبيب بمصر الى تفقد ذلك وتمييزه حتي لا يشذ عليه شي مما يحتاج اليه واذا لم
يكتف في تنقية البدن بالدوا المسهل دفعة واحدة فلا باس باعادته بعد ايام
فان ذلك احمد من ايراد الدوا الشديد القوة في دفعة واحدة قال ولان ارض
مصر تولد في الابدان سخافة وسرعة قبول للمرض وجب ان يكون الابدان علي
الهيئة الفاضلة بارض مصر قليلة جدا فاما الابدان الباقية فكثيره وان تكون
الصحة التامه عندهم علي الامر الاكثر في القريب من الهيئة الفاضلة والطريق
الاولي التي تدبر بها الابدان التي في الهيئة الفاضلة تحتاج فيها بارض مصر الي
ان يدبر الهوا والغذا والما وسائر الاشيا بتدبير تبصر به في غاية الاعتدال
ولان الهضم كثيرا ما يسو بارض مصر وكذلك الروح الحيواني يجب صرف العناية
الي مراعاة امر القلب والدماغ والكبد والمعدة والعروق والاوراد وسائر الاعضا
الباطنه في تجويد الهضم واصلاح امر الروح الحيواني وتلطيف الاوساخ اللاحجة
وقال في شرح كتاب الاربع لبطليموس واما سائر اجزا الربع الذي يميل
الي وسط جميع الارض المسكونة اعني بلاد برقة وسواحل البحر من مربوط الي
الاسكندريه ورشيد ودمياط وتنيس والفرما واسفل الارض بمصر
ونواحي مدينة منف ومدينة الفسطاط وما يلي ذلك في النيل من صعيد مصر
والفيوم الي اعلا الصعيد مما في غرب النيل وارض الواحات وارض النوبه والبجه
والارض التي علي البحر في شرق بلاد النوبه وبلاد الحبشة فان هذه البلاد موضوعة
في الزاوية التي تونث جميع الربع الموضوع فيما بين الدبور والجنوب وهي من جملة
النصف الغربي من الربع المعمور والكواكب الخمسه المتحيره يشرك في تدبيرها
فصار اهلها يحبون الله ويعظمون الجن ويحبون النوح ويدفنون موتاهم في الارض
ويخفونهم ويستعملون سننا مختلفة وعادات واراسيم ليلهم الي الاسرار التي
تدعوا كل طايفة منهم الي امر من الامور الخفيه معتقده وموافقة عليه جماعه
ومن اجل هذه الاسرار كان المستخرج العلوم الدقيقة كالهندسة والنجوم
وغيرها في الزمان الاول اهل مصر ومنهم تفرقت في العالم واذا ساسهم غيرهم
كانوا اذلة والغالب عليهم الجبن والاستخذا في الكلام فاذا ساسوا غيرهم كانت
انفسهم

انفسهم طيبه وهممهم كبيرة ورجالهم يتخذون نسا كثيره وكذلك نساهم يتخذن
عدة رجال ومنهم منهمكون في الجماع ورجالهم كثيري النسل ونساهم سريعة
الحمل وكثير من ذكرانهم يكونون انفسهم ضعيفة مونثة وقال ابو الصلت واما
سكان ارض مصر فاخلاط من الناس مختلفوا الاصناف والاجناس من قبط وروم
وعرب واكراد وديلم وحبشان وغير ذلك من الاصناف الا ان جمهورهم قبط
والسبب في اختلاطهم تداول المالكين لها والمتغلبين عليها من العمالقة
واليونانيين والروم وغيرهم فلهذا اختلطت انسابهم فاقتصروا من التعريف
بانفسهم على الاشارة الي مواضعهم والانتما الي مساقطهم منها وحكي انهم كانوا
في الزمن السالف عباد اصنام ومدبري هياكل الي ان ظهر دين النصرانيه
وغلب علي ارض مصر فتنصروا وبقوا علي ذلك الي ان فتحها المسلمون فاسلم بعضهم
وبقي بعضهم علي دين النصرانية واما اخلاقهم فالغالب عليها اتباع الشهوات
والانهماك في اللذات والاشتغال بالتنزهات والتصديق بالمحالات وضعف
المراير والعزمات ولهم خبرة بالكيد والمكر وفيهم بالفطره قوة عليه وتلطف
فيه وهداية اليه لما في اخلاقهم من الملق والبشاشة التي اربوا فيها علي من
تقدم وتاخر وخصوا بالافراط فيها دون جميع الامم حتي صار امرهم في ذلك
مشهورا وصار المثل بهم مضروبا وفي هجوهم ومكرهم يقول ابو نواس

محضتكم يا اهل مصر نصيحتي ... الا فخذوا من ناصح بنصيب
رماكم امير المومنين بحيه ... اكول لحيات البلاد شروب
فان يك باق افك فرعون فيكم ... فان عصي موسي بكف خصيب

قال مولفه رحمه الله تعالي وقد تري قديما ان منطقة الجوزا
تسامت روس اهل مصر فلذلك تجدونها لا يسابقل كونها ويخبرون بما
يكون ويتذرون بالامور المستقبلة ولهم في هذا الباب اخبار مشهورة
قال ابن الطوير وقد ذكر استيلا الفرنج علي مدينة صور فعاد الحفظ
والحراسة علي عسقلان فما زالت محمية بالابدال المجردة اليها من العساكر
والاساطيل والدوله ضعف اولا فاولا باختلاف الآرا فتغلب علي الاجناد
وكبر امرها عندهم واشتغلوا عنها فضايقها الفرنج حتي اخذوها في سنة عشرين
واربعين وخمسماية ولقد سمعت رجلا قبل ذلك بسنتين يحدث بهذه

الامور ونقول في سنة ثمان توخذ عسقلان بالامان ومن هذا الباب واقعة الكنايس
التي للنصارى وذلك انه لما كان يوم الجمعة تاسع شهر ربيع الاخر سنة احدى وعشرين
وسبعمايه والناس في صلاة الجمعة كانما نودي في اقليم مصر كله من قوص الى اسكندرية
بهدم الكنايس فهدم في تلك الساعة بهذه المسافة الكبيرة عدد من الكنايس كما
ذكر في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر كنايس النصارى ومن هذا الباب واقعة
الدمر وذلك انه خرج الامير الدمر امير جندار بركب الحج من القاهرة في سنة ثلاث
وسبعمائة وكانت فتنة بمكة قتل فيها الدمر يوم الجمعة رابع عشر ذي الحجة فاشيع
في هذا اليوم بعينه في القاهرة ومصر وقلعة الجبل بان وقعة كانت بمكة قتل فيها
الدمر وطار هذا الخبر في ريف مصر واشتهر فلم يكترث السلطان الملك الناصر
محمد بن قلاون بهذا الخبر فلما قدم المبشرون على العادة اخبروا بالواقعة وقتل
الامير سيف الدين الدمر في ذلك اليوم الذي كانت فيه الاشاعة بالقاهرة
قال جامع السيرة الناصرية كنت مع الامير علم الدين الخازن بالقرافة وقد
خرج الينا كاشفها فلما صلينا الا وهو صلاة الجمعة وعدنا الى البيت قدم بعض
غلمانه من القاهرة فاخبرنا انه اشيع بانه كانت بمكة فتنة قتل فيها جماعة من
الاجناد وقتل الامير الدمر امير جندار فقال له الامير علم الدين هل حضر
احد من الحجاز بهذا الخبر قال لا قال ويحك الناس ما تحضر من منى الى مكة الى ثالث
يوم بعد عيد النحر فكيف صفتم هذا الخبر الذي لا يسمعه عاقل فقال قد استفيض
ذلك وكان الامر كما اشيع ووقع لي في شهر رمضان من شهور سنة احدى وتسعين
وسبعمايه اني مررت في الشارع من القصرين بالقاهرة بعد العتمة فاذا العامة
تحدث بان الملك الظاهر برقوق خرج من سجنه بالكرك واجتمع عليه الناس
فضبطت ذلك وكان اليوم الذي خرج فيه من السجن وفي هذا الباب من هذا
كثير ومن اخلاق اهل مصر قلة الغيرة وكفاك بما قصه الله تعالى من خبر يوسف
عليه السلام ومراودة امراة العزيز له عن نفسه وشهادة شاهد من اهلها عليها
بما بين لزوجها منها السوء فلم يعاقبها على ذلك سوى بقوله استغفري لذنبك
انك كنت من الخاطئين واخبرني الامير الفاضل الثقة ناصر الدين محمد بن محمد بن
الغرابيلي الكركي رحمه الله انه منذ سكن بمصر يجد في نفسه رياضة في اخلاقه
وترخصا لاهله ولينا ورقة طباع من قلة الغيرة وانه لم يزل يسمعه دايما بين الناس

ان

ان شرب ماء النيل ينسي الغريب وطنه ومن اخلاق اهل مصر الاعراض عن النظر
في العواقب فلا تجدهم يدخرون عندهم زادا كما هي عادة غيرهم من سكان البلدان
بل يتناولون اغذية كل يوم من الاسواق بكرة وعشيا ومن اخلاقهم الانهماك
في الشهوات والامعان من الملاذ وكثرة الاستهتار وعدم المبالاة قال لي
شيخنا الاستاذ ابو زيد عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله اهل مصر كانما فرغوا
من الحساب وقد روي عن عبد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انه سال كعب
الاحبار عن طبايع البلدان واخلاق سكانها فقال ان الله تعالى لما خلق الاشيا
جعل كل شي لشي فقال العقل انا لاحق بالشام فقالت الفتنة وانا معك
وقال الخصب انا لاحق بمصر فقال الذل وانا معك فقال الشقا انا لاحق بالبادية
فقالت الصحة وانا معك وقيل لما خلق الله الخلق خلق معهم عشرة
اخلاق الايمان والحيا والنجدة والفتنة والكبر والنفاق والغنا والفقر والذل
والشقا فقال الايمان انا لاحق باليمن فقال الحيا وانا معك وقالت النجدة انا
لاحقة بالشام فقالت الفتنة وانا معك وقال الكبر انا لاحق بالعراق فقال
النفاق وانا معك وقال الغنا انا لاحق بمصر فقال الذل وانا معك وقال
الفقر انا لاحق بالبادية فقال الشقا وانا معك وعن ابن عباس رضي
الله عنهما المكر عشرة اجزا تسعة منها في القبط وواحد في ساير الناس وقال
اربعة لا يعرف في اربعة السخا في الروم والوفا في الترك والشجاعة في القبط
والغم في الفرخ ووصف بعض العرب اهل مصر فقال عبيد لمن غلب اكيس
الناس صغارا واجهلهم كبارا وقال المسعودي لما فتح الله عمر بن الخطاب
رضي الله عنه البلاد على المسلمين من العراق والشام ومصر وغير ذلك كتب
الى حكيم من حكما العصر انا اناس عرب وقد فتح الله علينا البلاد ونريد ان
نتبوا الارض ونسكن البلاد والامصار فصف لي المدن واهويتها ومساكنها
وما تؤثره الترب والاهوية في سكانها فكتب اليه واما ارض مصر فارض
قوراء غوراء ديار الفراعنة ومساكن الجبابرة ذمها اكثر من مدحها هواها
كدر وحرها زائد وشرها بائد تكدر الالوان والفطن وتركب الاحن وهي
معدن الذهب والجوهر ومغارس الغلات غير انها تسمن الابدان وتسود
الابشار وتنمو فيها الاعمار وفي اهلها مكر ودنا وخبث ودها وخديعة

وهي بلدة مكسب ليست بلدة سكن لترادف فتنها وانصال شرورها وقال عمر بن شبة بن عبيدة في كتاب اخبار البصرة عن كعب الاحبار خير نساء على وجه الارض نساء البصرة الا ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من نساء قريش وشر نساء على وجه الارض نساء اهل مصر وقال عبد الله بن عمرو لما اهبط ابليس وضع قدمه بالبصرة وفرخ بمصر وقال كعب الاحبار مصر ارض نجسة كالمراة العارك تطهر بالنيل كل عام وقال معوية بن ابي سفيان وجدت اهل مصر ثلثة اصناف فثلث ناس وثلث اشبه الناس بالناس وثلث لا ناس فاما الثلث الذين هم الناس فالعرب والثلث الذين يشبهون الناس الموالي والثلث الذين لا ناس المسالمة يعني القبط

ذكر شي من فضائل النيل

خرج مسلم من حديث انس رضي الله عنه في حديث المعراج ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم رفعت لي سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل اذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى واذا اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل قال اما الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات وفي التوراة وخلق فردوسا في عدن وجعل الانسان فيه واخرج منه نهرا ينقسم اربعة اجزا سيحون المحيط بارض جويلا وجيحون المحيط بارض كوش وهو نيل مصر ودجلة الاخذ الى العراق والفرات وروى بن عبد الحكم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما انه قال ان نيل مصر سيد الانهار سخر الله له كل نهر بين المشرق والمغرب فاذا اراد الله ان يجري نيل مصر امر كل نهر ان يمده فامدته جميع الانهار بمائها وفجر الله له الارض عيونا فاذا انتهت جريته الى ما اراد الله عز وجل اوحى الله الى كل ماء ان يرجع الى عنصره وعن يزيد بن ابي حبيب ان معوية بن ابي سفيان رضي الله عنه سال كعب الاحبار هل تجد لهذا النيل في كتاب الله خبرا قال اي والذي فلق البحر لموسى اني لاجده في كتاب الله ان الله يوحي اليه في كل عام مرتين يوحي اليه عند جريته ان الله يامرك ان تجري فيجري ما كتب الله له ثم يوحي اليه بعد ذلك يا نيل عد حميدا وعن كعب الاحبار انه قال اربعة انهار من الجنة وضعها الله في الدنيا فالنيل نهر العسل في الجنة والفرات نهر الخمر في الجنة وسيحان نهر الماء في الجنة وجيحان نهر اللبن في الجنة وقال المسعودي نهر النيل من سادات

الانهار

الانهار واشراف البحار لانه يخرج من الجنة على ما ورد به خبر الشريعة وقد قالت ان النيل اذا زاد غاضت له الانهار والاعين والابار واذا غاض زادت فزيادته من غيضها وغيضه من زيادتها وليس في انهار الدنيا نهر يسمى بحرا غير نيل مصر لكبره واستبحاره وقال بن قتيبة في كتاب غريب الحديث وفي حديثه عليه السلام نهران مومنان ونهران كافران اما المومنان فالنيل والفرات واما الكافران فدجلة ونهر بلخ انما جعل النيل والفرات مومنين على التشبيه لانهما يفيضان على الارض ويسقيان الحرث والشجر بلا تعب في ذلك ولا مونة وجعل دجلة ونهر بلخ كافرين لانهما لا يفيضان على الارض ولا يسقيان شيا الا قليلا وذلك القليل بتعب ومونة فهذان في الخير والنفع كالمومنين وهذان في قلة الخير والنفع كالكافرين

ذكر مخرج النيل وانبعاثه

اعلم ان البحر المحيط بالمعمور اذا خرج منه بحر النيل افترق قطعا كما تقدم وكان منه قطعة تسمى بحر الزنج وهي مما يلي بلاد اليمن وبحر بربرا وفي هذه القطعة عدة جزاير منها جزيرة القمر بضم القاف واسكان الميم ثم را مهملة ويقال لهذه الجزاير ايضا جزيرة ملاي وطولها اربعة اشهر في عرض عشرين يوما الى اقل من ذلك وهذه الجزيرة تحاذي جزيرة سرنديب وفيها عدة بلاد كبيرة منها قمرية واليها ينسب الطاير القمري ويقال ان لهذه الجزيرة خشب ينحت من الخشبة شانى طوله ستون ذراعا يجذف على ظهره مايه وستون رجلا وان هذه الجزيرة ضاقت على اهلها فبنوا على الساحل محلات يسكنونها في سفح جبل يعرف بهم يقال له جبل القمر واعلم ان الجبال كلها متشعبة من الجبل المستدير بغالب معمور الارض وهو الجبل المسمى جبل قاف وهو ام الجبال كلها تتشعب منه فيتصل في موضع وينقطع في اخر وهو كالدايرة لا يعرف له اول اذا كانت الحلقة المستديرة لا يعرف طرفاها وان لم تكن استدارته كرية ولكنها استدارة احاطة او كالاحاطة وزعم قوم ان امهات الجبال جبلان خرج احدهما من البحر المحيط في المغرب واخذ جنوبا وخرج الاخر من البحر الرومي واخذ شمالا حتى يلتقيا عند السد وسموا الجنوبي قاف وسموا الشمالي جبل قافونا والاظهر انه جبل واحد محيط بغالب بسيط المعمور وانه هو الذي يسمى جبل قاف فيعرف بذلك في الجنوب ويعرف في الشمال بجبل قافونا ومبدا هذا الجبل المحيط من كنف السد احد امن ورا عسم الخط المحوج

اليه الى شعبته الخارجة منه المعمول بها باب الصين اخذا على غربي صين الصين
ثم ينعطف على جنوبه مستقيما في نهاية الشرق على جانب البحر المحيط مع الفرجة
المنفرجة بينه وبين البحر الهندي الداخلة ثم ينقطع عند مخرج البحر الهندي المحيط
مع خط الاستوا حيث الطول مايه وسبعون درجة ثم يتصل من شعبة
البحر الهندي الملاقي لشعبة المحيط الخارجة على بحر الظلمات من المشرق
بحوز كثير من ورا مخرج البحر الهندي في الجنوب وسمي الظلمات من ها بين
الشعبتين شعبة المحيط الحابسة على جنوب الظلمات شرقا مغرب ومخرج البحر
الهندي الحابسة على الظلمات حتى تتلاقى الشعبتان عند مخرج هذا الجبل
كتفصيل السراويل ثم ينفرج براس البحرين الملاقيين شعبتان على مبدا هذا
الجبل وسمي الجبل بهما كانه خارج من نفس الما ومبدا هذا الجبل هنا وورا
مية ارض غير منبوتة وبعد منها خمسة عشر درجة ويقال لهذا الجبل في اوله
المجرد ثم يمتد حتى ينتهي في القسم الغربي الى طول خمس وستين درجة من
اول المغرب وهناك ينشعب من الجبل المذكور جبل القمر وينصب منه النيل
وبه احجار براقة كالفضة تتلالا تسمى صبحة الناهت كل من نظر اليها ضحك
والتصق بها حتى يموت وسمي مغناطيس الناس وينشعب منه شعب تسمى
اسنى اهله كالوحوش ثم تنفرج منه فرجة ويمر منه شعبة الى نهاية المغرب
في البحر المحيط يسمى جبل وحشية به سباع لها قرون طوال لا يطاق وينعطف
دون تلك الفرجة من جبل قاف شعب منها شعبتان الى خط الاستوا
يكتنفان مجرى النيل من الشرق والغرب فالشرقي يعرف بجبل قاقولـ
وينقطع عند خط الاستوا والغربي يعرف بادمدمة تجري عليه نيل السودان
المسمى بجبل الدمادم وينقطع تلقا مجالات الحبشة ما بين مدينتي سمغرة وجيمي
وراهن الشعبة ويمتد شعبة منه هي الام من الموضع المعروف فيه الجبل
باسيني المذكور الى خط الاستوا حيث الطول هناك عشرون درجة ويعرف
هناك بجبل كرسفانه وبه وحوش ضاريه ثم ينتهي الى البحر المحيط وينقطع دونه
بفرجة وذلك ورا العكرور عند مدينة قلنبوا وورا هذا الجبل سودان يقال
لهم تميم ياكلون الناس ثم يتصل البحر من البحر الشامي في شماليه شرقي رومية
الكبرى مسامتا الشعبة المسماة ادمدمة المنقطعة بين سمغرة وجيمي لا يكاد
يخطيها

يخطيها حيث الطول خمس وثلاثون درجة ويقع منشا انفصال هذه الام على عرض خمسين
درجة وكذلك يقع شعبها الاخذة في الجنوب على عرض خمسين درجة عند اخذها
ما بين سودانيه والنسبة وشاهي وتصله هذه الام الى البحر المحيط في نهاية الشمال
فتاله حزين مركانه وسمي بسوسيه داخل الجبل ثم تمتد هذه الام بعد انقطاع لطيف
وينعطف مع انعطاف حرجة البحر المحيط في الغرب بشمال على الصقالبة المسماه بجو الانقلبشين
ممتد الى غاية الشرق ويسمى هناك بجبل قانونا ويسمى ورااه البحيرة الجامدة لشدة البرد ثم
ينعطف من الشمالي المشرق جنوبا بتغريب الى كهف السد الشمالي فيتلاقى هناك الطرفان
وبينهما في الفرجة المنفرجة ساوى ذو القرنين بين الصدفين وفي حزن القمر ثلثة
انهار اخذها في شرقيها اخذا من قنطوداو معلاو مانيها في غربيها ينصب من جبل قدم
ادم على مدينة سبايا وياخذ مارا على مدينة فرددار ويحفر هناك بحيرة في جنوبها مدينة
كيماما حيث يحل السودان الذين ياكلون الناس وثالثها في غربيها ايضا ويخرج من الجبل
المشبه بابا حذوقة الدبل بيطوق بمدينة ذهبي فينتي مدينة ذهبي بينه وبين البحر
الهندي ويقع مدينة فودانه في غربيه حيث يصب في البحر الهندي ومن جبل
القمر يخرج بحر النيل وقد كان ينبدد على وجه الارض فلما قدم بقراوش
الجبار بن مصريم الاول بن مركابيل بن دوابيل بن عرباب بن ادم عليه السلام
الى ارض مصر ومعه عدة من بني عرباب واستوطنوها وبنوا بها مدينة امسوس وغيرها
من المداين حفروا النيل حتى اجروا ماءه اليهم ولم يكن قبل ذلك معتدل الجري بل ينبطح
ويتفرق في الارض حتى وجه الى النوبة الملك بقراوش فهندسوه وساقوا منه
انهارا الى مواضع كثيرة من مدنهم التي بنوها وساقوا منه نهرا الى مدينة امسوس
ثم لما خربت ارض مصر بالطوفان وكانت ايام البودسير بن قفط بن مصر بن بيصر
بن حام بن نوح عليه السلام عدل جنبتي النيل تعديلا ثانيا بعد ما افسده الطوفان
قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه فملك البودسير وتجبر وهو اول من تكهن
وعمل بالسحر واحتجب عن العيون وقد كان اعمامه اشمن واتريب وصا ملوكا على
اجبارهم الا انه قهرهم بجبرته وقوته وكان الذكر له كما تجبر عليهم ابوه من قبله
لانه كان اكبرهم ولذلك اغضوا عنه فيقال انه ارسل هرمس الكاهن المصري الى
جبل القمر الذي يخرج النيل من تحته حتى عمل هناك هيكل التماثيل النحاس وعدل
البطيحة التي ينصب اليها ما النيل ويقال ان الذي عدل جنبتي النيل وقد كان ينبعص

وربما انقطع في مواضع وهذا القصر الذي فيه تماثيل النحاس يشتمل على خمس وثلثين صورة
جعلها هرمس جامعة لما يخرج من ما النيل بمعاقد ومصاب مدبرة وقنوات يجري فيها
الماو ينصب اليها اذا خرج من تحت جبل القمر حتى يدخل من تلك الصور ويخرج من
حلوقها وجعل لها قياسا معلوما بمقاطع واذرع مقدرة وجعل ما يخرج من هذه الصور
من الما ينصب الى الانهار ثم ينصب منها الى بطيحتين ويخرج منهما حتى ينتهي الى البطيحة
الجامعة للما الذي يخرج من تحت الجبل وعمله لتلك الصور مقادير من الما الذي
يكون معه الصلاح بارض مصر وينتفع به اهلها دون الفساد وذلك الانتها المصلح
ثمانية عشر ذراعا بالذراع الذي مقداره اثنان وثلثون اصبعا وما فضل عن ذلك
عدل عن يمين الصور وشمالها الى مسارب تخرج وتصب في رمال وغياض لا ينتفع بها
من خلف خط الاستوا ولولا ذلك لغرق ما النيل البلدان التي يمر عليها قال وكان
الوليد بن دومع العمليقي قد خرج في جيش كثيف تنتقل في البلدان ويقهر ملوكها
ليسكن ما يوافقه منها فلما صار الى الشام انتهى اليه خبر مصر وعظم قدرها وان
امرها قد صار الى النسا وباد ملوكها فوجه غلاما له يقال له عون الى مصر وسار
اليها بعده واستباح اهلها واخذ الاموال وقتل جماعة من كهنتها ثم سنح له ان يخرج
ليقف على مصب النيل ويعرف ما بناحيته من الامم فاقام ثلث سنين يستعد لخروجه
وخرج في جيش كثيف فلم يمر بامة الا ابادها ومر على امم السودان وجاوزهم ومر
على ارض الذهب فراى فيها قضبانا نابتة من ذهب ولم يزل يسير حتى بلغ البطيحة
التي ينصب ما النيل فيها من الانهار التي تخرج من تحت جبل القمر وسار حتى بلغ
هيكل الشمس وجاوزه حتى بلغ جبل القمر وهو جبل عال وانما سمي جبل القمر لان القمر
لا يطلع عليه لانه خارج من تحت خط الاستوا ونظر الى النيل يخرج من تحته فيمر
في طرايق كانها ادقاق حتى ينتهي الى حظيرتين ثم يخرج منهما في نهرين حتى ينتهي
الى حظيرة اخرى فاذا جاز خط الاستوا امدته عين تجري من ناحية نهر مكران
بالهند وتلك العين ايضا تخرج من تحت جبل القمر الى ذلك الوجه ويقال ان نهر
مكران مثل النيل يزيد وينقص وفيه التماسيح والاسماك التي مثل اسماك النيل
ووجد الوليد بن دومع القصر الذي فيه التماثيل النحاس التي عملها هرمس الاول
في وقت البودسير بن قفطريم بن قبطيم بن مصرايم وقد ذكر قوم من اهل الاثر
ان الانهار الاربعة تخرج من اصل واحد من قبة في ارض الذهب التي من ورا البحر

المظلم

المظلم وهي سيحون وجيحون والفرات والنيل وان ملك الارض من ارض الجنة وان
ملك القبة من زبرجد وانها قبل ان يسلك البحر المظلم احلى من العسل واطيب رايحة
من الكافور وممن جا بهذا رجل من ولد العيص بن اسحق بن ابراهيم عليهما السلام
وصل الى تلك القبة وقطع البحر المظلم وكان يقال له حايد وقال اخرون يقسم هذه
الانهار على اثنين وسبعين قسما على اثنين وسبعين لسانا للامم وقال اخرون هذه الانهار
من لوح سحايف ويدنيها البحر فيسيل الى هذه الانهار وتسقي من عليها لما يريد الله
عز وجل من تدبير خلقه قالوا ولما بلغ الوليد جبل القمر راى جبلا عاليا فاعمل
الحيلة الى ان صعد اليه ليرى ما خلفه فاشرف على البحر الاسود الزفتي المنتن ونظر الى
النيل يجري عليه كالانهار الرقاق فاتته من ذلك البحر روايح منتنة هلك كثير من
اصحابه من اجلها فاسرع النزول بعد ان كاد يهلك وذكر قوم انهم لم يروا هناك
شمسا ولا قمرا الا نورا احمر كنور الشمس عند غيابها واما ما ذكر عن حايد وقطعه
البحر المظلم ماشيا عليه لا يلصق بقدميه منه شي وكان فيما ذكر بنا واوتي حكمة
وانه سال الله تعالى ان يريه منتهى النيل فاعطاه قوة على ذلك فيقال انه اقام يمشي
عليه ثلثين سنة في عمران وعشرين سنة في خراب قالوا واقام الوليد في غيبته
اربعين سنة وعاد ودخل منف واقام بمصر فاستعبد اهلها واستباح حريمهم
واموالهم وملكهم مائة وعشرين سنة فابغضوه وسئموه الى ان ركب في بعض ايامه
للصيد فالقاه فرسه في وهدة فقتله واستراح الناس منه وقال قدامة
بن جعفر في كتاب الخراج انبعاث النيل من جبل القمر وراء خط الاستوا من عين تجري
منها عشرة انهار كل خمسة منها الى بطيحة ثم يخرج من كل بطيحة نهران وتجري
الانهار الاربعة الى بطيحة كبيرة في الاقليم الاول ومن هذه البطيحة يخرج نهر
النيل وقال في كتاب نزهة المشتاق الى اختراق الافاق ان هذه البطيحة
البحيرة تسمى بحيرة كورا منسوبة لطايفة من السودان يسكنون اليها متوحشين
ياكلون من وقع اليهم من الناس ومن هذه البحيرة يخرج نهر غانة وبحر الحبشة فاذا
خرج النيل منها شق بلاد كوري وبلاد ننه وهم طايفة من السودان بين كانم والنوبة
فاذا بلغ دنقلة مدينة النوبة عطف من غربها وانحدر الى الاقليم الثاني فيكون
على شطيه عمارة النوبة وفيه هناك جزاير متسعة عامرة بالمدن والقرى ثم يشرف
الى الجنادل وقال المسعودي رايت في كتاب جعفر انما النيل مصور ظاهرا

من تحت جبل القمر ومنبعه ومبدا ظهوره من اثنتي عشرة عينا فيصب تلك المياه
التي تجري من هنالك كالبطايح ثم يجتمع الماء منها جاريا فيمر برمال هناك وجبال ويخرق
بلاد السودان فيما يخرق بلاد الزنج فيتشعب منه خليج يصب في بحر الزنج ويجري على
وجه الارض بتسعماية فرسخ وقيل الف فرسخ في عامر وغامر من عمران وخراب حتى
ياتي اسوان من صعيد مصر وقال في كتاب هروشيوش نهر النيل مخرجه من ريف
بحر القلزم ثم يميل الى ناحية الغرب فتصير في وسطه جزيرة واخر ذلك يميل الى ناحية
الشمال فيسقي ارض مصر وقيل ان مخرجه من عين فيما يجاوز الجبل ثم يغيب في
الرمال ثم يخرج غير بعيد فيصير له محبس عظيم ثم يساير البحر المحيط على قفار الحبشة
ثم يميل على اليسار الى ارض مصر فنحن ما نظن بهذا النهر انه عظيم اذ كان مجراه على ما
حكيناه ك ونهر النيل وهو الذي يسمى باون مخرجه خفي ولكن ظاهرا اقباله من
ارض الحبشة ويصير له هناك محبس عظيم مجراه اليه ما ثنا ميل وذكر مخرجه حتى
ينتهي الى البحر ك وكثيرا ما يوجد في نهر النيل التماسيح واقبل النيل من ارض الحبشة
ليس يختلف فيه احد وعدة اميال من مخرجه المعروف الى موقعه مايه الف
وتسعون الفا وتسعماية وثلثون ميلا وما النيل عكر مرمل وهو عذب د في
انتهى والنيل اذا وصل الى الجنادل كان عندها انتهى مراكب النوبة انحدارا ومراكب
الصعيد اقلاعا وهناك حجارة مضرسة لا تمر المراكب عليها الا في ايام زيادة
النيل ثم ياخذ على الشمال فيكون على شرقيه اسوان من الصعيد الاعلى ويمر بين
جبلين يكتنفان اعمال مصر احدهما شرقي والاخر غربي حتى ياتي فسطاط مصر
فيكون في عبره الشرقي فاذا تجاوز فسطاط مصر بمسافة يوم [illegible] صار فرقتين فرقة
تمر حتى تصب في بحر الروم عند دمياط وتسمى هذه الفرقة بحر الشرق والفرقة
الاولى هي عمود النيل ومعظمه يقال لها بحر الروم الغرب تمر حتى تصب في بحر
الروم ايضا عند رشيد وكانت مدينة كبيرة في قديم الزمان ويقال ان مسافة
النيل من منبعه الى ان يصب في البحر عند رشيد سبعماية وثمانية واربعون فرسخا
وانه يجري في الخراب اربعة اشهر وفي بلاد السودان شهرين وفي بلاد الاسلام
مسافة شهر وذهب بعضهم الى ان زيادة ما النيل انما يكون بسبب المد الذي يكون
في البحر فاذا فاض ماؤه تراجع النيل وفاض على الاراضي ووضع في ذلك كتابا حاصله
ان حركة البحر الذي يقال لها المد والجزر توجد في كل يوم وليلة مرتين وفي كل
سنة

شهر قمري مرتين وفي كل سنة مرتين فالمد والجزر اليومي تابع لفرص القمر
ومخرج الشعاع عنه عن جنبتي جرم الماء فاذا كان القمر وسط السما كان البحر في غاية
المد وكذا اذا كان القمر في وتد الارض فاذا نزع القمر الى الطالع المشرق او غرب كان
الجزر والمد الشهري يكون عند استقبال القمر للشمس في نصف الشهر ويقال
له الامتلا ويكون ايضا عند الاجتماع ويقال له السرار والجزر يكون ايضا في وقتين
عند تربيع القمر للشمس في سابع الشهر وفي ثاني عشرينه والمد السنوي يكون
ايضا في وقتين احدهما عند حلول الشمس باخر برج السنبله والاخر عند حلول
الشمس باخر برج الحوت فان اتفق ان يكون ذلك في وقت الامتلا او الاجتماع فانه
حينيذ يجتمع الامتلاان الشهري والسنوي ويكون عند ذلك البحر في غاية الفيض
لا سيما ان وقع الاجتماع والامتلا في وسط السما ووقع مع النيرين او مع احدهما احد
الكواكب السيارة فانه يعظم الفيض فان وقع كوكبا فصاعدا مع احد النيرين تزايد
عظم الفيض فكانت زيادة النيل تلك السنة العظيمة جدا وزاد ايضا نهر مهران
فان كان الاجتماع او الامتلا زايلا عن وسط السما وليس مع احد النيرين كوكب فان
النيل ونهر مهران لا يبلغان غاية زيادتهما لعدم الانوار التي تثير المياه ويكون بمصر
في تلك السنة الغلا والجزر السنوي يكون عند حلول الشمس براس الجدي والسرطان
فاما المد اليومي الدافع من البحر المحيط فانه لا ينتهي في البحر الخارج من المحيط اكثر
من درجة واحدة فلكية ومساحتها من الارض نحو من ستين ميلا ثم ينصرف وانصرافه
هو الجزر وكذلك في الاودية اذا كانت الارض وهدة والمد البحري ينتهي الى اقاصي
البحار وهو يمسكها حتى لا تنصب في البحر المحيط وحيث ينتهي المد الشهري فهناك
منتهى ذلك البحر وطرفه واما المد السنوي فانه يزيد في البحار الخارجة من
البحر المحيط زيادة بينة وعن هذه الزيادة يكون زيادة النيل وامتلاؤه وامتلاء
نهر مهران والدسلوا الذي ببلاد الهند والسند ك ولما جا ارسطو الى
بلاد مصر مع الاسكندر وراى مصب النيل وعلم انه من المحال ان يكون النيل
في اسوان واد من الاودية وما استحال اتسع حتى ان عرضه في اسفل ديار مصر لتنتهي
الى مائة ميل عند غاية الفيض وله افواه كبيرة شارعة في البحر تصل كل ما يهبط
من المزن في ذلك الصقع فراى محالا ان يكون الوادي يجي فيضيق اسفله عن حمل
ما ياتي به اعلاه مع ضيق اعلاه وسعة اسفله فلما راى ذلك ك قال ان رياحا

تستقبل جرية الما وتردعه فيفيض لذلك وقال الاسكندر الافرودسي ان
من المحال ان يكون الريح يردع الما السايل في الوادي حتى يفيض اكثر من مايه ميل
ولو كانت الريح تفعل ذلك لكان الما ينقلب من اسفل الى فوق الوادي ويسيل الى
البحر لان الريح لا تمسك الا اعلاه ولكن الرياح تقذف الرمل في افواه تلك الشوارع
التي تفضي الى البحر فيغتر بها شبه الردم فيفيض قال واعقل ان الرمل جسم
متخلل فالما يتخلله وينفذه سايلا الى البحر مع ان الرمل لم يغفل اعقلا يظهر للحس
والما في كل حين سايل على خلق بنبليس ودمياط وخلق رشيد وخلق الاسكندرية
فغلطوا الاستحالة كونه سايلا عن سيل حامل ونسبوا توقفه الى الريح والرمل
وهما استقص الهوا واستقص الارض واغفلوا الاستقص الثالث وهو الما لانهم
لم يعرفوا حركة البحر السنويه لانها لا تبلغ الغاية الا في ثلثة اشهر فلا تظهر عند
صعودها في كل يوم للحس ولذلك وضع امير مصر المقياس بديار مصر قال والمد
كله واحد وهو ان القمر يقابل الما كما تقابل الشمس الارض فنور القمر اذا قابل كرة
الارض يسخنه كما يسخن الشمس الهوا المحيط بالارض فيعتري الهوا المحيط بالما بعض
تسخين بدنه الما وتنفش ويمي بخاصيه كالمراه المحرقه الملهبه للجو حتى يحرق القطنه
الموضوعة بين المراة والشمس فيحصل امتثاله في المقابله ومثاله في السرار كون الزجاجة
المملوة ما تلقى الشعاع الى حلتها فتخرق القطنه ايضا فالقمر جسم نوري باكتسابه
ذلك من الشمس فاذا حال بين الشمس والارض خرج عن جانبي الما شعاع نافذ يمد
مع خشبتي الما يسخن ما قابله فيمي والما جسم شفاف يخرج عن جانبيه الشعاع
كما يخرج عن جانبي الزجاجة فيحدث لها نور يسخن الهوا الذي يحيط بالزجاجة او
بالارض فيعتري الما شبه تسخين يمي به ويزيد وذلك قبالة الفرض وقبالة
مخرج الشعاع من قباله ونور القمر فهذا هو المد دايما ويستدير باستدارة الفلك
وتدويره لفلك القمر وتدوير فلك القمر للقمر والمد الشهري هو ان يقابل القمر
الشمس او يستتر تحتها لانه ليس كون القمر قبالة الشمس لكونه في تربيع الشمس
لانه في تربيع الشمس اضعف وفي المقابلة اقوى وكذلك اذا قابلها على وسط كرة
الارض يحدث الحر كما اشد والاختلاف للما والارض اعم فذلك هو المد السنوي والله اعلم

فصل في الرد على من اعتقد ان النيل يسيل عن سيل فيفيض واما العامة
فليس عندهم ما يجي على وجه الارض الا سيل ومن تفطن الى عظم النيل واتساعه

في اسفله

في اسفله وضيقه في اعلاه ولم ينظر الى ما ولا ارض ولا هوا نسب ذلك الى الجبال المحض
كما فعل صاحب كتاب المسالك والممالك الذي زعم ان الما يسافر من كل ارض وموطن
الى النيل من تحت الارض فيمده لان النيل انما يفيض في الخريف والعيون والابار في
ذلك الوقت تقل ماها والنيل يكثر فزاد كثره وقلته فاضافوا احدهما الى الاخر بالخيال
وقال اخر انما ذلك ملك يضع رجله في الما فيكثر ويزيله من الما فيقل ومما يدلك انه
ليس عن سيل ان السيل يكون في غير وقت البحر فلا يفيض النيل يكون البحر في الجزر
فيصل السيل ويمر نحو البحر فلا يرده عنه رادع ومنها ان فيض النيل على تدريج مدة
ثلثة اشهر من حلول الشمس براس السرطان الى حلولها باخر برج السنبلة والناس
يحسون به قبل فيضه بشهرين ولعامل النيل في وسط مصر مقياس موضوع وهو
سارية فيها خطوط بينها اذرع يعلم به مقدار صعوده في كل يوم ومنها ان
فيضه ابدا في وقت واحد فلو كان بالسيل لاختلف بعض الاختلاف ومنها انه
قد يجي السيل في غير ذلك الوقت فلا يفيض ومنها ان الحذاق بمصر اذا اراد الحر
تزيد علموا ان النيل سيزيد لان شدة الحر يذيب الهوا فيذيب الما ولا يكون الا
عن زيادة كوكب ودنو نور ومنها ان موضع مصبه من اسوان انما هو واد من
الاودية وما اسجل اتسع حتى يكون عرض اتساعه نحوا من مائة ميل واسوان
هو منتهى بلوغ الردع فما ظنك بسيل يسير نصف شهر لا سنة بين
مصر اعلاه واسفله كيف كان يكون اعلاه لو كان امتلا اسفله عن السيل
ومنها ان اهل اسوان انما يرقبون بلوغ الردع اليهم مراقبه ويحافظون عليه
بالنار محافظة فاذا جن الليل اخذ واحد منهم خرق فوضعوا فيه مصابحهم ووضعوا
على حجر معد عندهم لذلك وجعلوا يرقبونه فاذا اطفا المصباح نطفوا الما عليه
علموا ان الردع قد وصل غايته المعهوده عندهم باخذه في الجزر فكتبوا بذلك الى
امير مصر يعلمونه ان الردع قد وصل غايته المعهوده عندهم وانهم قد اخذوا له
تبسطهم من السرب بحبسه بامر يكسروا الاسداد التي على افواه فرض المشارب
فيفيض الما على ارض مصر دفعة واحدة ومنها ان جميع تلك المشارب تسد
عند ابتدا صعود النيل بالخشب والتراب ليجتمع ما يسيل من الما العذب في
النيل ويكثر ويعم جميع ارضهم وليمنع بحملته دخول الما الملح عليه فلو كان سيلا لما
احتاج الى ذلك وتفتح له افواه فرض المشارب عند ابتدا ظهوره ومنها

ان الخلجان اذا سدت ولم يكن لها رادع من البحر كان السيل يمد من جنبيه الى البحر اذا
اسفل النيل اتسع واخفض من اعلاه ومنها ان ما البحر يصعد اكثر من عشرين ميلا
في حلوق رشيد وتنيس ودمياط كما يفعل في ساير الاودية التي يدخلها المد والجزر
فلو كان النيل خاليا من الما العذب وصل البحر من اسوان الى منتهى بلوغ الردع لان الما
يطلب بطبعه ما انخفض من الارض وان يكون صحفته كرة مستوية الخطوط الخارجة
من النقطة الى المحيط خطوطا متساوية ومنها ايضا اذا انفتحت تلك الاسداد وكسرت
الخلج وفاض النيل على بطايح ارض مصر شعر بذلك اهل اسوان للحين وقالوا في
هذه الساعة كسر الخليج وفاض ما النيل على ارض مصر لان ذلك بين لهم بحوات
الما دفعة فلو كان سيلا وهم على اعلا المصب لما وافق ارتفع المطر عن الارض التي
يسيل منها السيل ومنها ان قسمها الذي يمر ببلاد الحبشة المنبعث واياه من جبل
القمر لا ينقص لمدة فيض النيل ثلاثة اشهر ولا ينقص على وجه الارض مقامه
لكنه اذا اكبر على وجه الارض ثبته السيل عمر جوانبه على قدر انبساطها واذا انصبت
مادته ارتدع عليه فلو كان فيض النيل عن السيل وهما من مبعث واحد لكان رشانهما
واحدا ولا يقول ان سبب فيض النيل البحر فقط اذ لولا كونه مسيل ما الما دخل ردع
البحر اليه ولكان شاطىء بلاد مصر كساير السواحل المجاورة له ولولا السيل السايل
فيه لردمه البحر اذ عادة البحر ردم السواحل وانما دخل الشك على اهل مصر
في امر النيل لانهم لم يشاهدوا منشاه ولا عاينوا امداده من جبل القمر لانه في موضع
لا ساكن عليه ولم يحققوا المد السنوي الرادع له فلم يحققوا شيا من امره لانه
بعيد من اذهان العامة ان يعلموا ان ما البحر يعظم في ايام الصيف لان المعهود
عندهم في البحار ان تعظم في ايام الشتا وطموا البحر في الشتا انما يكون عن الريح الهابة
عليه من احد جانبيه فيفيض ويخرج الى الجانب الاخر الا ما كان من البحر المحيط فانه
يتحرك ابدا من دواخل البحر الى البر وهو ان المحيط يطلب بطبعه ان يكون على وجه الارض
والارض ليست بسيطة فهي بما تعده بما فيها من التركيب فهو يطلب ابدا ان يعلوها
ويركبها ويسوزها ولـ والسبب في عظم المد والجزر كثرة الاشعة فاذا اجتمعت
الشمس والقمر الكواكب السيارة عظم فيض البحر واذا عظم فيض البحر فاضت الانهار
وكذلك اذا انخفض القمر لمقابلة احد السيارة ارتفع البخار وصعد الى كرة الزمهرير
ونزل القمر فاذا فارق القمر الكوكب ارتفع المطر لكثرة التحليل كما يكون في نصف
النهار

النهار عند توسط الشمس لرووس الخلق وكما يكون عند حلول الكواكب الكثيرة على
وسط خط ادين والله اعلم قلت مولفه رحمه الله الذي تحصل من هذا القول ان
النيل مخرجه من جبل القمر مسلم اذ لا نزاع في ذلك واما ان زيادته لا تكون الا من
ردع البحر له بما حصل فيه من المد فليس كذلك نعم توالي هبوب الرياح الشمالية
معينة على وفور الزيادة وردع البحر له اعانة على الزيادة ومن تامل النيل علم ان
سيلا سال فيه ولا بد فانه لا تزال ايام الشتا واوايل فصل الربيع ماه صافيا
من الكدر فاذا اقتربت ايام زيادته وكان في غاية نقصه تغير طعمه ومال لونه
الى الخضرة وصار بحيث اذا وضع في انا رسب منه شبه اجزا صغيرة من طحلب
وسبب ذلك ان البطيحة التي في اعالي الجنوب تردها الفيلة ونحوها
من وحوش البر حتى تتغير ماها فاذا ادرت امطار الجنوب في فصل الصيف
وعظمت السيول الهابطة في هذه البطيحة فاض منها ما تغير من الما وجرى الى
ارض مصر فيقال عند ذلك توحم النيل فلا تزال كذلك حتى يعقبه ما
متعكر ويزداد عكره بزيادة الما فاذا وضع منه ايام الزيادة شي في انا رسب
باسفله طين لم يعهد فيه قبل ايام الزيادة وهذا الطين هو الذي تحمله السيول
الذي تنصب في النيل حتى يكون زيادته منها وفيه يكون الزرع بعد هبوط
النيل والا فارض مصر سبخة لا تنبت ولا ينبت منها الا ما مر عليه ما النيل
وركد منه هذا الطين وقوله ان السيل يكون في غير وقت فيض البحر
ولا يفيض النيل لكون البحر في الجزر فيصل السيل ويمر نحو البحر فلا يردعه
رادع غير مسلم وان العادة ان السيول الذي عليها زيادة ما النيل لا يكون الا
عن غزارة الامطار ببلاد الجنوب وامطار الجنوب لا تكون الا في الصيف ولم
يعهد قط زيادة النيل في الشتا وهذا دليل على كون زيادته عن سيل يسيل
فيه انه انما يسيل فيتدرج على قدر ما يهبط فيه من السيول واما اشتداده لانه
يضيق مصب النيل في اسوان واتساعه في اسفل الارض فانما ذلك لانه يصب
من علو في متخرق بين جبلين تعالى لما الجنادل ويتسطح في اراضي حتى يصب
في البحر فاتساعه حيث لا يجد حاجزا يحجزه عن الانبساط واما قوله ان الاسداد
اذا كسرت فاض الما على الارض دفعة فليس كذلك بل يصير الما عند كسر
كل سد من الاسداد في خليجه يفتح ترعة من الخليج الى الخليج الما على جانبيه

من الاراضي حتى تروى فمن تلك الاراضي ما يروى سريعا ومنها ما تروى بعد ايام ومنها
ما لا يروى لعلوه واما قوله ان جميع تلك المشارب تسد عند ابتدا صعود النيل
ليجتمع ما يسيل من الماء في النيل ويكثر ويعم جميع اراضيهم وليمنع نحمله دخول الما الملح عليه
فغير مسلم ان يكون السد لذلك بل اراضي مصر اقسام كثيرة منها عال لا يصل اليه
الما الا من زيادة كثيرة ومنها منخفض يروى من يسير الزيادة والاراضي متفاوتة في
الارتفاع والانخفاض تفاوتا كبيرا ولذلك احتيج في بلاد الصعيد الى حفر الترع وفي اسفل
الارض الى عمل الجسور حتى تحبس الما المنصرف فيه اهل النواحي على قدر حاجتهم اليه
عند الاحتياج والا فهو يزيد اولا في غير وقت سقي الاراضي حتى اذا اجتمع من زيادته المقدار
الذي هو كفاية للاراضي في وقت خلو الارض من الغلال وذلك غالبا في ابتدا شهر مسرى
فتح سد الخليج حتى يجري فيه الما الى حد معلوم ويقف حتى يروي ما تحت ذلك الحد
الذي وقف عنده الما من الاراضي ثم فتح ذلك الحد في يوم النوروز حتى يجري الما الى حد اخر
ويقف عنده حتى يروي ما تحت هذا الحد الثاني من الاراضي ثم يفتح هذا الحد في يوم
عيد الصليب بعد النوروز بسبعة عشر يوما حتى يجري الما ويقف على حد ثالث حتى
يروي ما تحت هذا الحد الثالث من الاراضي ثم يفتح هذا الحد فيروي الما ما هنالك من
الاراضي وينصب في البحر الملح هذا هو الحال في سد واراضي مصر وقوله ان ما البحر
يصعد اكثر من عشرين ميلا في حلق رشيد وتنيس ودمياط فلو كان النيل خاليا من
الما العذب لوصل البحر من اسوان الى منتهى بلوغ الردع فيقول هذا قول من لم يعرف ارض
مصر فان النيل عند مصبه الى اسوان باعا يكون اعلا منه عند كونه اسفل الارض
بقامات عديدة فاذا فاض ما البحر حبسه ان يتدافع هو وما النيل وربما غلب ما البحر
ما النيل في ايام نقصان النيل حتى يملح ما النيل فيما بين دمياط وفارسكور واما في ايام
زيادة النيل فاني شاهدت مصب النيل في البحر من دمياط وكل منهما يدافع الاخر
ملابطيقه حتى صار اشمانين وفي منظرهما حينئذ عبرة لمن اعتبر وقوله ان الاسداد
اذا فتحت علم اهل اسوان بذلك في الحال فغير مسلم بل لم نزل نشاهد النيل في الاعوام
الكثيرة اذا فتح منه خليج او انقطع منه منقطع فاغرق مياه اراضي كثيرة لا يظهر النقص
فيه الا فيما قرب من ذلك الموضع وما برح المنزد يخرج من قوص حيا ناه وفا النيل
وقد اوفى عندهم ستة عشر ذراعا فلا يوفي ذلك بمقياس مصر الا بعد ثلاثة ايام
او نحوها واما قوله ان ما كان من النيل يمر ببلاد الحبشة مخالفة فليس كذلك بل

الزيادة

الزيادة في النيل ايام زيادته تكون ببلاد النوبة وما وراها في الجنوب كما يكون في
ارض مصر ولا فرق بينهما الا في شيئين احدهما انه في نيل مصر يجري في اخدوده
وهناك يتبدد على الاراضي والثاني ان زيادته يعتبر بالقياس في ارض مصر وهناك
لا يمكن قياسه لتبدده ومن عرف اخبار مصر علم ان زيادة ما النيل يكون عن
امطار الجنوب ويقال ان النيل ينصب عشرة انهار من جبل القمر المتقدم
ذكره كل خمسة انهار من شعبة ثم تنتهي تلك الانهار العشرة في بحيرتين كل خمسة انهار
نحو بحيرة بذاتها ثم تخرج من البحيرة الشرقية بحر الطيفا ياخذ شرقا على جبل قاقوني
ويمتد الى مدن هناك ثم ينصب في البحر الهندي ويخرج من البحيرتين ايضا ستة
انهار من كل بحيرة ثلثة انهار وتجتمع الانهار الستة في بحيرة متسعة تسمى البطيحة
وفيها تضريسة جبل يفرق بها الما نصفين يخرج احدهما من بحيرة البطيحة وهو
نيل السودان ويصير نهرا يسمى بحر الدمادم ياخذ مغربا ما بين سمغرة وغانة
على جنوبي سمغرة وشمالي غانة ثم ينعطف هناك منه فرقة ترجع جنوبا الى غانة
ثم تمر على مدينة برنسة وياخذ تحت جبل في جنوبيها خارج خط الاستوا الى د
رقيله ثم تنحدر هنالك في بحيرة وتسمى الفرقة الثانية تعز به الى بلاد مالي ومالي
التكرور حتى ينصب في البحر المحيط شمالي مدينة قلنبو ويخرج النصف الاخر
متشاملا اخذا على الشمال الى شرقي مدينة جيمي ثم تتشعب منه هناك شعبة
تاخذ شرقا الى مدينة سحرته ثم ترجع جنوبا ثم ينعطف شرقا بجنوب الى مدينة
سحرته ثم الى مدينة مركه وتنتهي الى خط الاستوا حيث الطول خمس وستون
درجة وتتحدر هناك بحيرة ويستمر عمود النيل من قبالة تلك الشعبة شرقي
مدينة شيمي متشاملا اخذا على اطراف بلاد الحبشة ثم يتشامل على بلاد السودان
الى مدينة دنقله حتى يرمي على الجناد الى اسوان وينحدر وهو يشق بلاد الصعيد
الى مدينة فسطاط مصر ويمر حتى يصب في البحر الشامي وقد استفاض ببلاد
السودان ان النيل في اصله ينحدر من جبال سود تبان على بعد كان عليها الغمام
ثم يتفرق نهرين يصب احدهما الاخر في البحر المحيط الى جهة بحر الظلمة الجنوبي والاخر
يصل الى مصر حتى يصب في البحر الشامي ويقال انه في الجنوب يتفرق سبعة انهار
يدخل في صحرا منقطعة ثم تجتمع الانهار السبعة ويخرج من تلك الصحرا نهرا واحدا
في بلاد السودان

ذكر مقاييس النيل وزيادته قال

ابن عبد الحكم اول من قاس النيل بمصر يوسف عليه السلام ووضع مقياسًا بمنف ثم
وضعت العجوز دلوكة ابنة زبا وهي صاحبة حايط العجوز مقياسًا بانصنا وهو صغير
الذرع ومقياسًا باخميم ووضع عبد العزيز بن مروان مقياسًا بحلوان وهو صغير
ووضع اسامة بن زيد التنوخي في خلافة الوليد مقياسًا بالجزيرة وهو اكبرها
قال يحيى بن بكير ادركت القياس يقيس في مقياس منف ويدخل بزيادته الى الفسطاط
وقال القضاعي كان اول من قاس النيل بمصر يوسف عليه السلام وبنى مقياسًا
بمنف وهو اول مقياس وضع وقيل ان النيل كان يقاس بارض
علوة الى ان بني مقياس منف وان القبط كانت تقيس عليه الى ان بطل ومن بعده
دلوكة العجوز بنت مقياسا بانصنا وهو صغير الذراع ومقياسا اخر باخميم
وهي التي بنت الحايط المحيط بارض مصر وقيل انهم كانوا يقيسون الماء قبل ان يوضع
المقياس بالرصاصة فلم يزل المقياس فيما مضى قبل الفتح بقيسارية الاكسية ومعالمه
هناك الى ان ابتنى المسلمون بين الحصن والبحر ابنيتهم الباقية الان وكان للروم ايضا
مقياس بالقصر خلف الباب يمنة من يدخل منه في داخل الزقاق اثره قايم الى
اليوم وقد بني عليه وحوله ثم بنى عمرو بن العاص عند فتحه مصر مقياسا باسوان
ثم بني بموضع يقال له دندرة ثم بنى في ايام معوية مقياسًا بانصنا فلم يزل يقاس
عليه الى ان بنى عبد العزيز بن مروان مقياسا بحلوان وكانت منزله وكان هذا
المقياس صغير الذراع فاما المقياس القديم الذي بني في الجزيرة فالذي وضعه اسامة
بن زيد وقيل انه كسر فيه الفا قنطار وهو الذي بنى بيت المال بمصر وبنى ابو اصبجة
ثم كتب اسامة بن زيد التنوخي عامل خراج مصر لسليمن بن عبد الملك ببطلانه
فكتب اليه سليمن بان يبني مقياسا في الجزيرة فبناه في سنة سبع وتسعين ثم بنى المتوكل
فيها مقياسًا في اول سنة سبع واربعين ومايتين في ولاية يزيد بن عبد الله التركي
على مصر وهو المقياس الكبير المعروف بالجديد وامر بان يعزل النصارا عن
قياسه فجعل يزيد بن عبد الله على المقياس ابا الرداد المعلم واسمه عبد الله بن
عبد السلام بن عبد الله بن الرداد المؤذن كان يقول العمر اصله من البصرة
قدم مصر وحدث بها وجعل على قياس النيل واجري عليه سليمن بن وهب
صاحب خراج مصر يوميذ سبعة دنانير في كل شهر فلم يزل القياس منذ ذلك
الوقت في يد ابي الرداد وولده الى اليوم وتوفي ابو الرداد سنة ست وستين

ومايتين

ومايتين ثم ركب احمد بن طولون سنة تسع وخمسين ومايتين ومعه ابو ايوب صاحب
خراجه وبكار بن قتيبة القاضي فنظر الى المقياس وامر باصلاحه وقدر له الف دينار
وعمره وبني الخازن في الصناعة مقياسا واثره باق لا يعتمد عليه وقال ابن عبد الحكم
ولما فتح عمرو بن العاص مصر اتى اهلها الى عمرو حين دخل بوونه من اشهر العجم فقالوا
له ايها الامير ان لنيلنا هذا سنة لا يجري الا بها فقال لهم وما ذاك فقالوا انه اذا كان
لثنتي عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر من ابويها فارضينا ابويها
وجعلنا عليها من الحلي والثياب افضل ما يكون ثم القيناها في هذا النيل فقال لهم
عمرو ان هذا لا يكون في الاسلام وان الاسلام يهدم ما قبله فاقاموا بوونه وابيب
ومسرى لا يجري قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلا فلما راى ذلك عمرو كتب الى عمر بن
الخطاب رضي الله عنه بذلك فكتب اليه عمر ان قد اصبت ان الاسلام يهدم ما
كان قبله وقد بعثت اليك ببطاقة فالقها في النيل اذا اتاك كتابي فلما قدم الكتاب
على عمرو فتح البطاقة فاذا فيها من عبد الله عمر امير المومنين الى نيل اهل مصر
اما بعد فان كنت انما تجري من قبلك فلا تجري وان كان الله الواحد القهار هو
الذي يجريك فنسال الله الواحد القهار ان يجريك فالقى عمرو البطاقة في النيل
قبل يوم الصليب بيوم وقد تهيا اهل مصر للجلا والخروج منها لانه لا يقوم
بمصلحتهم فيها الا النيل واصبحوا يوم الصليب وقد اجراه الله ستة عشر ذراعا
في ليلة وقطع تلك السنة السو عن اهل مصر وذكر بعضهم ان حاجب الصدفي
هو الذي قرا بطاقة عمر رضي الله عنه الى النيل على النيل حتى توقف تجري باذن
الله تعالى وقال يزيد بن ابي حبيب ان موسى صلى الله عليه وسلم دعا على آل فرعون
فحبس الله عنهم النيل حتى ارادوا الجلا فطلبوا الى موسى ان يدعو الله لهم فدعا
لهم رجا ان يومنوا وذلك في ليلة الصليب فاصبحوا وقد اجراه الله في تلك الساعة
ستة عشر ذراعا فاستجاب الله تطوله لعمر بن الخطاب رضي الله عنه كما استجاب
لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام وقال القضاعي ووجدت في رسالة
منسوبة الى الحسن بن محمد بن عبد المنعم قال لما فتحت العرب مصر عرف عمر بن الخطاب
ما يلقى اهلها من الغلا عند وقوف النيل عن حده في مقياس لهم فضلا عن تقاصره وان
فرط الاستشعار يدعوهم الى الاحتكار ويدعو الاحتكار الى تصاعد الاسعار لغير
قحط فكتب عمر الى عمرو يساله عن شرح الحال فاجابه اني وجدت ما تروى به مصر

حتى لا يحيط اهلها اربع عشرة ذراعا والنهايتان المخوفتان في الزيادة والنقصان وهما
الظما والاستبحار اثنا عشر ذراعا في النقصان وثمان عشرة في الزيادة هذا والبلد
في ذلك الوقت محفور الانهار معقود الجسور عند ما تسلموه من القبط وخميرة العمارة
فيه فاستشار عمر امير المومنين رضي الله عنه عليا رضي الله عنه في ذلك فامره ان
يكتب اليه ان يبني مقياسا وان ينقص ذراعين على اثني عشر ذراعا وان يقر ما بعدها
على الاصل وان ينقص من كل ذراع بعد الستة عشر ذراعا اصبعين ففعل ذلك وبناه
بحلوان فاجتمع له بذلك كلما اراد من حل الارجاف وزوال ما منه كان يخاف بان
جعل الاثني عشر ذراعا اربع عشر ذراعا لان كل ذراع اربع وعشرون اصبعا فجعلها
ثمانيا وعشرين من اولها الى الاثني عشر ذراعا يكون مبلغ الزيادة على الاثني عشر
ثمانيا واربعين اصبعا وهي الذراعان وجعل الاربعة عشر ستة عشر والستة
عشر ثمانية عشر والثمانية عشر عشرين قال القضاعي وفي هذا الباب نظر في
وقت الزيادة وفساد الانهار وانتقاض الاحوال وشاهد ذلك ان المقاييس القديمة
الصعيد من اولها الى اخرها اربع وعشرون اصبعا كل ذراع والمقاييس الاسلامية
على ما ذكرته المقياس الذي بناه اسامة بن زيد التنوخي بالجزيرة وهو الذي يقاس
عليه الى الان وقد تقدم ذكره قال ابن عفير عن القبط المتقدمين اذا كان الماء في
اثني عشر يوما من مسرى اثني عشر ذراعا فهي سنة ما والا فالماء ناقص واذا تم
ستة عشر ذراعا قبل النوروز فالماء تام فاعلم ذلك وقال ابو الصلت واما
النيل ونبوعه فهو من وراء خط الاستوا من جبل هناك يعرف بجبل القمر فانه يبتدي
بالتزيد في شهر ابيب والمصريون يقولون اذا دخل ابيب كان للما دبيب وعند
ابتدائه في التزيد يتغير جميع كيفياته ويفسد والسبب في ذلك مروره بنقايع
مياه اجنة يخالطها فيحتملها معه الى غير ذلك مما يحتمله فاذا بلغ الماء خمسة عشر اصبعا
وزاد من السادسة عشر اصبعا واحدا كسر الخليج ولكسره يوم معدود ومقام
مشهود ومجمع غاص يحضره العام والخاص واذا كسر فتحت الترع وهي فوهات الخلجان
ففاض الما وساح وعم القيعان والبطاح وانضم الناس الى اعالي مساكنهم من الضياع
والمنازل وهي على اكام وربا لا ينتهي الما اليها ولا يتسلط السيل عليها فتعود ارض
مصر باسرها بعد ذلك بحرا غامرا لما بين جبليها ربما بلغ الحد المحدود في مشية
الله عز وجل له واكثر ذلك يحوم حول ثماني عشر ذراعا ثم ياخذ عائدا في صبه الى

مجرا

مجرا النيل ومسربه فينصب اولا فاولا عما كان من الارض عاليا ويصير فيما كان منها
منخفضا فيترك كل قرارة كالدرهم ويغادر كل تلعة كالبرد المسهم وقال القاضي
ابو الحسن علي بن محمد الماوردي في كتاب الاحكام السلطانية واما الذراع
السودا فهي اطول من ذراع الدور باصبع وثلثي اصبع واول من وضعها امير المومنين
هرون الرشيد قدرها بذراع خادم اسود كان على راسه قايما وهي التي يتعامل
الناس بها في ذرع البز والتجارة والابنية وقياس نيل مصر واكثر ما وجد في
المقياس في النقصان سنة سبع وتسعين ومايه فانه وجد في المقياس تسع
اذرع واحدى وعشرون اصبعا واقل ما وجد فيه سنة خمس وستين ومايه فانه
وجد فيه ذراع واحد وعشر اصابع واكثر ما بلغ في الزيادة سنة تسع وتسعين
ومايه فانه بلغ ثمانية عشر ذراعا وتسع عشر اصبعا واقل ما كان في سنة ست
وخمسين وثلثماية الهلالية فانه بلغ اثني عشر ذراعا وتسع عشرة اصبعا وهي
ايام كافور الاخشيدي والمقياس عمود ابيض رخام مثمن في موضع ينحصر
فيه الما عند انسيابه اليه وهذا العمود مفصل على اثنين وعشرين ذراعا كل
ذراع مفصل على اربعة وعشرين قسما متساوية تعرف بالاصابع ما عدا الاثني
عشر ذراعا الاولى فانها مفصلة على ثمانية وعشرين اصبعا كل ذراع وقال
المسعودي قالت الهند زيادة النيل ونقصانه بالسيول ونحن نعرف ذلك
بتوالي الانوا وكثرة الامطار وقالت الروم لم يزد قط ولم ينقص وانما زيادته
ونقصانه من عيون كثرت واتصلت وقالت القبط زيادته ونقصانه من عيون
في شاطيه يراها من سافر ولحق باعاليه وقيل لم يزد قط ولم ينقص وانما
زيادته بريح الشمال اذا كثرت واتصلت تحبسه فيفيض على وجه الارض وقال
قوم سبب زيادته هبوب ريح تسمى الملتثن وذلك انها تحمل السحاب الماطر
من خلف خط الاستوا فيمطر ببلاد السودان والحبشة والنوبة فياتي مدده
الى مصر بزيادة النيل ومع ذلك فان البحر الملح تقف ماه في وجه النيل فيتوقف
حتى تروى البلاد وفي ذلك يقول

فاسمع وللسامع اعلا يد ، عندي واسمى من يد المحسن
فالنيل ذو فضل ولكنه ، الشكر في ذلك للملتثن

ويبتدي النيل بالتنفس والزيادة بقية بونه وهو حزيران وابيب

وهو تموز ومسرى وهو اب فاذا كان الما زايدا ازداد شهر توت كله وهو ايلول
الى انقضايه فاذا انتهت الزيادة الى ذراع ثمان عشره نقبه تمام الخراج وخصب
الارض وهو ضار بالبهايم لعدم المرعى والكلا واتم الزيادات كلها العامة النفع
للبلد كله سبع عشرة ذراعا وفي ذلك كفايتها وروي جميع ارضها واذا زاد على
ذلك وبلغ ثمان عشر ذراعا وعلاها استبحر من ارض مصر الربع وفي ذلك
ضرر لبعض الضياع لما ذكرنا من الاستبحار واذا كانت الزيادة على ثمان عشر
ذراعا وقد بلغ في خلافة عمر بن عبد العزيز تسع عشر ذراعا ومساحة
الذراع الى ان يبلغ اثني عشر ذراعا ثمان وعشرون اصبعا ومن اثني عشر ذراعا
الى ما فوق ذلك تكون الذراع اربع وعشرون اصبعا واقل ما يبقى في قاع المقياس
من الما في سنة ثلثة اذرع وفي تلك السنة يكون الما قليلا والاذرع التي يستسقا
عليها بمصر هي ذراعان يسمى منكرا ونكيرا وهي الذراع الثالثة عشر والذراع
الرابعة عشر فاذا انصرف الما في هذين الذراعين زيادة نصف ذراع
من الخمسة عشر ذراعا استسقا الناس بمصر وكان الضرر الشامل لكل
البلدان واذا تم خمس عشره ودخل في ستة عشر ذراعا كان فيه صلاح لبعض
الناس ولا يستسقا فيه وكان ذلك نقصا من خراج السلطان والنبيذ
يتخذ بمصر من ماطوبة وهو كانون الثاني بعد الغطاس وهو لعشر
يمضي من طوبة واصفا ما يكون ما النيل في ذلك الوقت واهل مصر يتخذون
نصفا ما النيل في هذا الوقت وفيه تختزن الما اهل تنيس ودمياط وتونه
وساير قرى البحيرة وقد كانت مصر ترى كلها من ستة عشر ذراعا غامرها
وعامرها لما احكموا من جسورها وبنا قناطرها وتنقية خلجانها وكان الما اذا بلغ في
زيادته تسع اذرع دخل خليج المنهى وخليج الفيوم وخليج سردوس وخليج
سخا ... والمعمول عليه في وقتنا هذا وهو سنة خمس واربعين وثلثماية
انه ان زاد على الستة عشر ذراعا او نقص عنها نقص من خراج السلطان وقد
تغير في زمننا هذا عامة ما تقدم ذكره لفساد حال الجسور والترع والخلجان
وقانونه اليوم انه يزيد في القبط اذا حلت الشمس برج السرطان والاسد
والسنبلة حتى تنقص عامة الانهار التي في المعمور ولذلك قيل ان الانهار
تمده بمايها عند غيضها فتكون زيادته ويبتدي الزيادة من خامس بوونه

ويظهر

ويظهر في ثامن عشره واول دفعة في الثاني من ابيب وينتهي زيادته في ثامن
بابه وياخذ في النقصان من العشرين منها فيكون مدة زيادته من ابتدايها الى
ان ينقص ثلثة اشهر وخمسة وعشرين يوما وهي ابيب ومسرى وتوت
وعشرون يوما من بابه ومدة مكثه بعد انتها زيادته اثنا عشر يوما ثم
ياخذ في النقصان ومن العادة ان ينادي عليه دايما في اليوم السابع والعشرين
من بوونه بعدما يوخذ قاعه وهو ما بقي من الما القديم في ثالث عشر بوونه
ويفتح الخليج الكبير اذا بلغ الما ستة عشر ذراعا وادركت الناس يقولون نعوذ
بالله من اصبع من عشرين وكنا نعهد الما اذا بلغ اصابع من عشرين ذراعا
فاض ما النيل وغرق الضياع والبساتين وفاضت البلا ليبق وها نحن في زمن
منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمايه اذا بلغ الما في سنة اصبعا من
عشرين لا يعم الارض كلها لما فسد من الجسور وكان الى بعد الخمسمايه من
الهجرة قانون النيل ستة عشر ذراعا في مقياس الجزيرة وهي في الحقيقة ثمان
عشر ذراعا وكانوا يقولون اذا زاد على ذلك ذراعا واحدا زاد خراج مصر
مايه الف دينار لما يروى من الاراضي العالية فان بلغ ثمان عشر ذراعا كانت
الغاية القصوى فان الثمانية عشر في مقياس الجزيرة اثنان وعشرون ذراعا
في الصعيد الاعلى فان زاد على الثمانية عشر ذراعا واحدا نقص من الخراج
مايه الف دينار لما يستبحر من الاراضي المنخفضة قال ابن ميسر في حوادث
سنة ثلث واربعين وخمسمايه ومنها بلغت زيادة النيل تسع عشر ذراعا
واربعة اصابع وبلغ الما الباب الجديد اول الشارع خارج القاهرة وكان
الناس يتوجهون الى القاهرة من مصر من ناحية المقابر فلما بلغ الخليفة الحافظ
لدين الله ابو الميمون عبد المجيد بن محمد ان الما وصل الى الباب الجديد اظهر
الحزن والانقطاع فدخل اليه بعض خواصه وساله عن السبب فاخرج له
كتابا فاذا فيه اذا وصل الما الى الباب الجديد انتقل الامام عبد المجيد ثم قال
هذا الكتاب الذي يعلم منه احوالنا واحوال دولتنا وما ياتي بعدها فتمرض
الحافظ في اخر هذه السنة ومات في اول سنة اربع واربعين وخمسمايه
وقال العلمي الفاضل في متجددات سنة سبع وسبعين وخمسمايه وفي ه
يوم الاثنين السادس والعشرين من شهر ربيع الاول وهو السادس عشر

من مسرى صار النيل على ستة عشر ذراعا وهو الوفا ولا يعرف وفاه بعد ا
التاريخ في زمن متقدم وهذا ايضا مما يغير فيه قانون النيل في زماننا فانه
صار يوفي اول مسرى ولقد كان الوفا في سنة اثني عشر وثمانمايه في اليوم
التاسع والعشرين من ابيب قبل مسرى بيوم وهذا من اعجب ما يورخ في زيادة
النيل واتفق وفا النيل ان في حادي عشر جمادى الاولى سنة تسع وسبعمايه
اوفي النيل وكان ذلك اليوم التاسع عشر من بابه بعد النوروز بتسعة واربعين
يوما قال وفي تاسع عشره يعني شوال سنة اثنين وتسعين وخمسمايه
كسر بحر ابو المنجا وباشر الملك العزيز عثمان كسره وزاد النيل فيه اصبعا وهي
الاصبع الثامنه عشر من ثمانية عشر ذراعا وهذا الحد يسمى عند اهل مصر
اللجة الكبرى فانظر كيف يسمي القاضي الفاضل هذا القدر اللجة الكبرى وفي انه
والعياذ بالله لو بلغ ما النيل في سنة هذا القدر ونقص لحل بالبلاد الغلا لما
منه ان يهلك الناس وما ذاك الا لما اهمل من عمل الجسور ويحصل لاهل مصر
بوفا النيل ستة عشر ذراعا فرح عظيم فان ذلك كان قانون الري في القديم
واستمر ذلك الى يومنا هذا يتخذ ذلك اليوم عيدا ويركب السلطان فيه بعساكره
وينزل للتخليق المقياس وقد ذكر ما كان في الدولة الفاطمية من الاهتمام
بفتح الخليج عند ذكر مناظرة اللولوة وقال بعض المفسرين ان يوم وفا النيل
هو اليوم الذي وعد فرعون موسى عليه السلام بالاجتماع في قوله تعالى
قال موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى وقد جرت العادة ان اجتماع
الناس للتخليق يكون في هذا الوقت ومن احسن السياسات في امر
الندا على النيل ما حكاه الفقيه بن زولاق في سيرة المعز لدين الله قال
وفي هذا الشهر يعني شوال سنة اثنين وستين وثلثمايه منع المعز لدين الله
من الندا بزيادة النيل والا يكتب بذلك الا اليه والى القايد جوهر فلما تم
اباح الندا يعني لما تم ستة عشر ذراعا وكسر الخليج فتامل ما ابدع هذه
السياسة فان الناس دايما اذا توقف النيل في ايام زيادته او زاد قليلا
يقلقون ويحدثون انفسهم بعدم طلوع النيل فيقبضون ايديهم على الغلات
ويمتنعون من بيعها رجا ارتفاع السعر ويجتهد من عنده مال في اختزان
الغلات اما لطلب الربح او لادخار قوت عياله فيحدث بعض الغلا فان زاد
الما

الما انحل السعر والا كان الجدب والقحط ففي كتمان الزيادة عن العامة اعظم فايدة واجل
عايدة وقال السبحي في تاريخ مصر وخرج امر صاحب القصر الى ابن خيران بتحرير ما يستفتح
به القياسون كلامهم اذا نادوا على النيل فقال نعم لا تحصى من خزاين لا تفنى زاد الله
في النيل المبارك كذا وكذا ومن عادة نيل مصر اذا كان عند ابتدا زيادة النيل اخضر ماوه
يقول عامة اهل مصر قد توحم النيل ويرون ان المشروب منه حينيذ يضر ويقال
في سبب اخضراره ان الوحوش سيما الفيلة ترد البطيحات التي في اعالي النيل ويستنقع
فيها مع كثرة عددها لشدة الحر هناك فيتغير ما تلك البطيحات فاذا وقع المطر
في الجهة الجنوبية في اوقاته عندهم تكاثرت السيول حينيذ في البطيحات فخرج ما
كان فيها من الما الذي قد تغير ومر الى مصر وجا عقيبه الما الجديد وهو الزيادة
بمصر وحينيذ يكون الما احمر لما تخالطه من الطين الحر الذي تاتي به السيول فاذا انتهت
زيادته غشي ارض مصر فتصير القرى التي في الاقاليم فوق التلال والروابي
قد احاط بها الما فلا يوصل اليها الا في المراكب او من فوق الجسور والجسور الممتدة
التي يصرف عليها اذا عملت كما ينبغي ربع الخراج ليحفظ عند ذلك ما النيل حتى ينتهي
ري كل مكان الى الحد المحتاج اليه فاذا كمل ري ناحية من النواحي قطع اهلها الجسور
المحيطة بها من امكنة معروفة عند حولة البلاد ومشايخها في اوقات محدوده
لا تتقدم ولا تتاخر عن اوقاتها المعتادة على حسب ما تشهد به قوانين كل ناحية
من النواحي ويروى كل جهة مما يليها مع ما يجتمع فيها من الما المختص بها ولولا اتقان
ما هنالك من الجسور وحفر الترع والخلجان لقل الانتفاع بما النيل كما جرى في زمننا
هذا وقد حكي انه كان يرصد لعمارة جسور اراضي مصر في كل سنة ثلث
الخراج لعنايتهم في القديم بها من اجل انه يترتب على عمارتها البلاد الذي
به مصالح العباد وستقف ان شا الله عما قريب على ما كان من اعمال القدما ومن
بعدهم في ذلك وكان للمقياس في الدولة الفاطمية رسوم منها الكنس مجاري الما
خمسون دينارا في كل سنة يطلق لابن ابي الرداد

ذكر الجسر الذي كان يعبر عليه في النيل

اعلم ان في النيل جسر من سفن فيما بين الفسطاط
والجزيرة التي تعرف اليوم بالروضة وكان فيما بين الجزيرة والجيزة ايضا جسر في
كل جسر منهما ثلثون سفينة

ذكر ما قيل في ما النيل من مديح وذم

قال
الرييس ابو علي بن سينا عفا الله عنه وقوم يفرطون في مدح النيل افراطا

شديدا وجمعون محامده في اربعة بعد منبعه وطيب مسلكه وغمورته واخذه على الشمال
عن الجنوب فاخذه الى الشمال عن الجنوب ملطف لما يجري فيه من المياه واما غمورته
فيشاركه فيها غيره ﻫ لـ فافضل المياه ماء العيون ولا كل العيون ولكن ماء العيون
الحرة الارض التي لا يغلب على تربتها شي من الاحوال والكيفيات الغريبة او تكون حجرية
فتكون اولى لئلا تعفن عفونة الارضية لكن التي هي من طينة حرة خير من الحجرية
ولا كل عين حرة بل التي لا تعفن عفونة الارضية التي مع ذلك جارية ولا كل جارية بل
الجارية المكشوفة للشمس والرياح وان هذه مما تكتسب به الجارية فضيلة ولعل الراكدة
فربما اكتسبت بالكشف رداءة لا يكسبها بالغور والستر **واعلم** ان المياه التي تكون
طينية المسيل خير من التي تجري على الاحجار فان الطين ينقي الماء وياخذ منه الممزوجات
الغريبة وتروقه والحجارة لا تفعل ذلك لكنه يجب ان يكون طين مسيله حرا لا حماة
ولا سبخة ولا غير ذلك فان اتفق ان كان هذا الماء غمرا شديد الجرية يحيل بكثرته ما
يخالطه الى طبيعته فان كان ياخذ الى الشمس في جريانه يجري الى المشرق وخصوصا
الى الصيفي منه فهو افضل لا سيما اذا بعد جدا من مبدايه ثم ما يتوجه الى الشمال
والمتوجه الى المغرب والجنوب ردي خصوصا عند هبوب ريح الجنوب والذي ينحدر
من مواضع عالية مع ساير الفضايل افضل وما كان بهذه الصفة كان عذبا يخيل انه
حلو ولا يحتمل الخمر اذا امتزج به منه الا قليلا وكان خفيف الوزن سريع البرد والتسخين
بحيلة باردا في الشتاء حارا في الصيف لا يغلب عليه طعم البتة ولا رايحة ويكون
سريع الانحدار من الشراسيف سريع تهري ما تهريه وطبخ ما يطبخ فيه ﻫ لـ
الرييس علاء الدين علي بن ابي الحزم بن نفيس في شرح القانون هذه المحامد التي
ذكرها الشيخ علامة للجيد بل هي من الاشياء التي توجب كونه محمودا واحد هذه
الاربعة تجد منبعه وقد بينا ان ذلك يوجب لطافة الماء بسبب كثرة حركته
واعلم ان منبع النيل من جبل يقال له جبل القمر وهذا الجبل وراء خط
الاستوا باحدى عشرة درجة وثلثين دقيقة حيث نهاية اعظم دايرة في الارض ثلثماية
درجة وستون وابتدا هذا الجبل من السادسة والاربعين درجة وثلثين دقيقة
من اول العمارة من جهة المغرب واخره عند اخر احدى وستين درجة وخمسين
دقيقة فيكون امتداد هذا الجبل مقدار خمس عشرة درجة وخمسين دقيقة
حيث نهاية اعظم دايرة في الارض ثلثماية وستون درجة ويخرج من هذا الجبل عشرة
انهار

انهار من اعين فيه ترمي كل خمسة منها الى بحيرة عظيمة مدورة واحدى هاتين البحيرتين
مركزها حيث البعد من ابتدا العمارة بالمغرب خمسون درجة والبعد من خط
الاستوا الى الجنوب سبع درج واحدى وثلثون دقيقة ومركز الثانية حيث البعد عن
اول العمارة بالمغرب سبع وخمسون درجة وحيث البعد من خط الاستوا الى الجنوب
سبع درج واحدى وثلثون دقيقة وهاتان البحيرتان متساويتان وقطر كل
واحدة منهما مقدار خمس درج ويخرج من كل واحدة من هاتين البحيرتين اربعة
انهار ترمي باجمعها الى بحيرة صغيرة مدورة في الاقليم الاول بعد مركزها عن
اول العمارة بالمغرب ثلث وخمسون درجة وثلثون دقيقة وعن خط الاستوا الى
الشمال درجتان من الاقليم الاول ومقدار قطرها درجتان وينصب كل واحد
من هذه الانهار الثمانية في هذه البحيرة نهر واحد منها وهو نيل مصر ويمر ببلاد
النوبة وينصب اليه نهر اخر ابتداه من غير مركزها على خط الاستوا كبيرة
مستديرة مقدار قطرها ثلث درج وبعد مركزها من اول العمارة بالمغرب
احدى وسبعون درجة ويلتقي نهر هذه العين لنهر النيل حيث البعد
من اول العمارة بالمغرب احدى وسبعون درجة وثلث واربعون درجة واربعون
دقيقة فاذا تعدى النيل مدينة مصر الى بلد يقال لها شطنوف تفرق هناك
الى نهرين يرميان الى البحر المالح احدهما يعرف بحر رشيد ومنه يكون خليج
الاسكندرية وثانيهما يعرف بحر دمياط وهذا البحر اذا وصل الى المنصورة
تفرع منه نهر يعرف بحر اشمون يرمي الى بحيرة هناك وباقيه يرمي الى بحر
الملح عند دمياط وزيادة ماء النيل هي من امطار كثيرة ببلاد الحبشة والله اعلم
واعلم ان الوزن من الدستورات المنجحة في حال الماء فان الاخف في اكثر الاحوال
افضل فهذا ما ذكره الرييس بن سينا من صفات المياه الفاضلة واعتبر ما قاله
تجد ذلك قد اجتمع في ماء النيل فاوله ان ماء النيل عين يمر على اراضي حرة ولا
يغلب على تربتها ما يمر به شي من الاحوال والكيفيات الردية كمعادن النفط
والشب والاملاح والكباريت ونحوها بل يمر على الاراضي التي تنبت الذهب بدليل
ما يظهر في الشطوط من قراطات الذهب وقد عانا جماعة تصويل الذهب من الرمل
الماخوذ من شطوط النيل من نواحيه ما الا وفضيلة كون الذهب في الماء لا تنكر
الثاني ان النيل في جريانه مكشوف للشمس والرياح الثالث ان طينه من طين

مسيل مياه مجتمعة من امطار تمر علي اراضي حرة ونظهر لك ذلك من عطرية روايح
الطين اذ اابتله بما الرابع غموزه نما النيل وشدة جريته التي تكاد تتقصف
العمد اذا اعترضته وتدفع الاثقال العظيمه اذا عارضتها الخامس بعد مبدا
خروجه من مصبه في البحر الملح وقد تقدم من طول مسافته ما لا نجده في نهر
غيره من انهار المعمور السادس انحداره من علو فان الجنوب مرتفع عن الشمال
لاسيما واذا صار الي الجنادل انحط من اعلي جبل مرتفع الي وادي مصر **وذكر**
بن قتيبة في كتاب غريب الحديث من حديث جرير بن عبد الله البجلي حين ساله
رسول الله صلي الله عليه وسلم عن منزله ببيشة فذكره الي ان قال ومانا
سنمع اي يجري من علو فقال النبي صلي الله عليه وسلم خير الما السنم اي ما كان ظاهرا
علي الارض والسنم الماعلي وجه الارض وكل شي علا شيا فقد تسنمه ماخوذ
من سنام البعير لعلوه وقال بعض المفسرين في قوله تعالي ومزاجه من
تسنيم انه ممزوج بما ننزل من علو السابع انه يمر من الجنوب الي الشمال يستقبله
ريح الشمال الطيبه دايما الثامن خفته في الوزن وقد اعتبر ذلك غير مرة مع
غيره من المياه فخف عنه في الوزن التاسع عذوبة طعمه وحسن اثره في هضم
الغدا واحداره عن المعدة بحيث انه يحدث بعد شربه جشا وهذه صفات ان
كنت ممن مارس العلم الطبيعي وعرف الطب فانه يعظم عندك قدر ما النيل ه
ويتبين لك غزارة نفعه وكثرة محاسنه ويقال ان ذا القرنين كتب كتابا فيه
ما شاهده من عجايب الدنيا فضمنه كل عجيبه ثم قال في اخره وليس ذلك
بعجب وانما العجب نيل مصر وقال بعض الحكما لولا ما جعل الله في نيل مصر من
حكمة الزيادة في زمن الصيف علي التدريج حتي يتكامل ري البلاد وهبوط الما
عنه عند بدو الزراعة لفسد نيل مصر وتعذر سكناه لانه ليس فيه امطار اقليم مصر
كافيه ولا عيون جارية تعم ارضه الا في بعض اقليم الفيوم **ولله در القايل**

واها لما النيل اي عجيبة ، تكره بمثل حديثها لا يسمع ،
يلقي الثري في العام وهو مسلم ، حتي اذا ما مل عاد مودع ،
مستقبل مثل الهلال فدهره ، ابدا يزيد كما يزيد ويرجع ،

وقال اخر

كان النيل ذو فهم ولب ، لما يبدو العيش الناس منه

حاني

فياتي حين حاجتهم اليه ويمضي حين يستغنون عنه

وقال تميم بن المعز

يوم لنا بالنيل مختصر ، ولكل يوم مسرة قصر
والسفن تجري كالخيول بنا ، صعدا وجيش الما ينحدر
فكانما امواجه عكن ، وكانما داراته سرر

وقال تميم بن المعز

اما تري الرعد بكي واشتكي ، والبرق قد اومض واستضحكا
فاشرب علي غيم كصبغ الدجي ، اضحك وجه الارض لما بكا
وانظر لما النيل في مده ، كانما صندل او مسكا

وقال اخر

ولله مجري النيل منه اذا الصبا ، اريتنا به من مرها عسكرا مجرا
فشط بهر السمهرية ذبلا ، وموج بهز البيض هندية بترا
اذا مد حاكي الورد غضا وان صفا ، حكي ماه لونا ولم يعده نشرا

وقال ابو الحسن محمد بن الوزير في تدرج زيادة النيل وعظم منفعته

اري ابدا كثيرا من قليل ، وبدرا في الحقيقة من هلال
فلا تعجب فكل خليج ما ، بمصر مسبب لخليج مال
زيادة اصبع في كل يوم ، زيادة اذرع في كل حال

وقال الشهابي احمد بن علي بن فضل الله العمري

لمصر فضل باهر لعيشها الرغد النضر ، في سفح روض يلتقي ما الحياة والخضر ،

وقال بن قلاقس

انظر الي الشمس فوق النيل غاربة ، وانظر لما بعدها من حمرة الشفق ،
غابت واتت شعاعا منه يخلفها ، كانما احترقت بالما في الغرق
والهلال فهل وافي ليتقدها ، في اثرها زورق قد صيغ من ورق

وقال بن المنجم شنو الملك ،

، يارب سابحة في الجو قمت بها ، امد طرفي في ارض من الافق ،
، حيث العشية في التمثيل معركة ، اذا راها جبان مات بالعرق ،
، الشمس هاديه للغرب ذاهبة ، والنيل يصغره من حمرة الشفق ،

وللهلال انعطاف كالسنان بدا من صورة الطعن لا يلفى في دم الشفق
وقال القاضي الفاضل واما النيل فقد ملا البقاع وانتقل من الاصبع الى
الذراع فكانما غار على الارض واغار عليها فاستعبدها وما تخطاها فما يوجد
بمصر قاطع طريق سواه ولا مرغوب مرهوب الا اياه ونيل مصر يخالف في
جريه لغالب الانهار فانه يجري من الجنوب الى الشمال وغيره ليس كذلك
الا نهران فانهما يجريان كما يجري النيل وهما نهر مكران بالسند ونهر الاربط
وهو الذي يعرف اليوم بنهر القاضي في حماه احد مداين الشام وقد عاب ما النيل
قوم قال ابو بكر بن وحشية في كتاب الفلاحة النبطية واما ما النيل
فمخرجه من جبل وراء بلاد السودان يقال لها جبال القمر وحلاوته وزيادته بدلا
على موقعه من الشمس وانها احرقته لا كل الاحراق بل اسخنته اسخانا طويلا
لينا لا من جهة الحرارة ولا تقوى عليه بحيث تبدد اجزاه الرطبه وتبقي اجزاه الراسخه
بل يعتدل عليه فصار ماه لذلك حلوا جدا وصار كثرة شربه تعفن البدن
وتجدب البثور والدماميل والقروح وصار اهل مصر الشاربون منه دهرا
محتاجين الى استفراغ الدم عن ابدانهم في كل مدة قصيرة فمن كان منهم
عالما بالطبيعة فهو يحسن مداراة نفسه حتى يدفع عن جسمه ضرر ما النيل
والا فهو يقع فيما ذكرنا من العفونات وانتشار البثور والدماميل وذلك ان
هذا الما ناقص البرد عن ساير المياه فيصير لها لطبخ قوا ما هو احر من قوام
الما فصار اذا خالط الطعام في الابدان كثرت فيها الفضول الرديه العفنة فيحدث
من ذلك ما ذكرنا ودوا اهل مصر الذي يدفع عنهم ضرر ما النيل ادمان
شرب رب الفاكهة الحامضة القابضة واخذ الادوية المستفرغة للفضول
ولو زادت حرارة الشمس على ما النيل وطال طبخها له لصار ما لحا بمنزلة ما البحار
الراكدة التي لا يحركها الا ذمت حزر البحر وهبوب الرياح وهو اوفق للزروع
والمنابت من الحيوان وقال ابن رضوان والنيل يمر بآجام كثيرة من السودان ثم
يصير الى ارض مصر وقد غسل ما في بلاد السودان من العفونات
والاوساخ ويشق مارا بوسط ارض مصر من الجنوب الى الشمال الى ان يصب
في بحر الروم ومبدا زيادة هذا النيل في زمن الصيف ومنتهى زيادته في
فصل الخريف ويلقى في الجو منه في اوقات مدة رطوبات كثيرة فالتحلل الخفي

يرطب

فيرطب ذلك يبس الصيف والخريف واذا امد النهر فاض على ارض مصر فغسل
ما فيها من الاوساخ نحو جيف الحيوان او زبالها وفضول الاجام والنبات ومياه
النقاع واحدر جميع ذلك معه وخالطه من تراب هذه الارض وطينها مقدار
كثير من اجل سخافتها وما يجتمع فيهما من السمك التي تربي فيه وفي مياه النقاع ومن
قبل ذلك نراه في اول مدة يخضر لونه بكثرة ما يخالطه من مياه النقايع العفنة
التي قد اجتمع فيها العرمض والطحلب واخضر لونها من عفنها ثم يتعكر حتى يصير
اخر امره مثل الحماة واذا صفا اجتمع منه في الاناء طين كثير ورطوبة لزجة لها سهوكة
ورايحة منكرة وهذا من اوكد الاشيا في ظهور رداة هذا الما وعفنه وقد بين
بقراط وجالينوس ان اسرع المياه الى العفن ما لطفته الشمس بمياه الامطار
ومن شان هذا الما ان يصل الى ارض مصر وهو في الغاية من اللطافة من
شدة حرارة بلاد السودان فاذا اختلطت به عفونات ارض مصر زاد ذلك
في استحالته ولذلك تتولد معه من انواع السمك شي كثير جدا فان فضول
الحيوان والنبات وعفونته هذا الما وبيض السمك يصير جميعها موادا تتكون
هذه الاسماك كما قال ارسطاليس في كتاب الحيوان وذلك ايضا شي ظاهر
للحس فان كل شي يتعفن يتولد من عفونته الحيوان ولهذا صار ما يتولد من
الدود والفار والثعابين والعقارب والزنابير والذباب وغيرها بارض مصر
كثيرا فقد استبان ان المزاج الغالب على ارض مصر الحرارة والرطوبة الفضلية
وانها ذات اجزا كثيرة وان هواها وماها رديان وربما انقطع النيل في اخر
الربيع واول الصيف من جهة الفسطاط فيعفن بكثرة ما يلقى فيه الى ان يبلغ
عفنه الى ان يصير له رايحة منكرة محسوسة فظاهر ان هذا الما اذا صار
على هذه الحال غير مزاج الناس تغيرا محسوسا وينبغي ان يستقي ما النيل من
الموضع الذي فيه جريه اشد والعفونة فيه اقل ويصفي كل انسان هذا الما
بحسب ما يوافق مزاجه اما المحرورين في ايام الصيف فبالطباشير والطين الارمني
والمغرة والنبق المرضوض والزعرور المرضوض والخل واما المبرودين
في ايام الشتا فباللوز المر وداخل نوى المشمش والصعتر والشب وينبغي ان
يصفى ما يروق ويشرب وان شيت ان تصفيه بان تجعله في انية الخزف
والفخار والجلود وما يحصل من ذلك بالرشح وان شيت طبخته بالنار ثم برده

وجعلته في هوا النيل حتى يروق ثم قطعت منه ما يروق واستعملته واذا طهرت
منه كيستان ردبات فاطبخه بالنار ثم برده تحت السما في برودة الليل وصفه
ما خلاط الادوية التي ذكرناها واجود ما اتخذ هذا الما ان يصفى مرارا وذلك بان
تسخنه او تطبخه ثم تبرده في هوا الليل وانعطف ما يروق منه تصفيه ايضا
ببعض الادوية ثم تاخذ ما يروق فتجعله في انية تتصل في برد الليل وتاخذ
الوشح فتشربه واجل انية هذا الما في الصيف الخزف والفخار المحمولين في
طوبه والظروف الحجرية والقرب ونحوها مما يبرد وفي الشتا الانية الزجاج
والمدهون وما يجعل في الصيف من الفخار والخزف وتكون مواضعه في الصيف
تحت الاسراب وفي مخاريق ريح الشمال وفي الشتا المواضع الحارة وتبرد في
الصيف بان تخلط معه ما الورد وتاخذ خرقة نظيفة وتشد فيها طباشير وبزر
رجلة او خشخاش ابيض او طين ارمني او مختوم وتلقى فيه كيما تاخذ من بردها
ولا تخالطه جسمها وتغسل ظروفه في الصيف بالخزف المدقوق ودقيق الشعير
والباقلا والصندل وفي الشتا تغسل بالاشنان والسعد وتبخر بالمصطكا والعود
واذا ما يكون ما النيل بمصر عند نقصه وعند وقوف حركته فعند ذلك ينبغي
ان يطبخ ويبالغ في تصفيته بعلو نوى المشمش وساير ما يقطع لزوجته
واجود ما يكون في طوبة عند تكامل البرد ومن اجل هذا عرف المصريون
بالتجربة ان ما طوبة اجود المياه حتى صار كثير منهم يخزنه في القرابات
الزجاج والصيني ويشربه السنة كلها ويزعم انه لا يتغير وصار وا ايضا
لا يصفونه في هذا الزمان لظنهم انه على غاية الخلاص واما انت فلا تسكن
الى ذلك وصفه على اي حالة كان فالما المخزون لا بد ان يتغير فهذا لما عندهم
من ذم ما النيل وحاصله ان الما يتغير كيفيته بما يمر عليه لان ذاته رديه
فلا يهولنك ما تسمع فالامر الاما قلت لك واذا كان الضرر بحسب ما يتغير
من كيفيته لا من كميته فقد عرفت ما تعالجه به كي يزول ما خالطه من
الكيفيات الرديه والله الموفق

ذكر عجايب النيل

ومن عجايب النيل فرس البحر قال عبد الله بن احمد بن سليم الاسواني في
كتاب اخبار النوبه ومسافة ما بين دنقله الى اول بلد علوه اكثر مما
بين دنقله واسوان وفي ذلك من القرى والضياع والجزاير والمواشي
والنخل

والنخل والمواشي والشجر والمقل والزرع والكرم اضعاف ما في الجانب الذي يلي ارض
الاسلام وفي هذه الاماكن جزاير عظام مسيرة ايام فيها الجبال والوحش والسباع
ومفاوز يخاف فيها العطش والنيل ينعطف من هذه النواحي الى مطلع الشمس والى
مغربها مسافة ايام حتى يصير المصعد كالمنحدر وهي الناحية التي تبلغ العطوف
من النيل الى المعدن المعروف بالشنكه وهو بلد يعرف بشنقير ومنه خرج العمري
وفرس البحر يكثر في هذا الموضع وحدثني سيمون صاحب عهد علوه انه احصى
في جزيرة سبعين دابة منها وهي من ذوات الشطوط وخلق الفرس في غلظ الجاموس
قصيرة القوايم لها خف وهي في الوان الخيل باعراف واذان صغار كاذان الخيل
واعناقها كذلك واذنابها مثل اذناب الجواميس ولها خطم عريض يظن الناظر اليها
ان عليها مخلاة لها صهيل وانياب لا يقوم حداها تمساح وتعترض المراكب عند الغضب
فتغرقها وترعى في البر العشب وجلدها ثخين ثخانة عظيمة يتخذ منه دبابيس انتهى
وهو كفرس البر الا انه اكبر عرفا وذنبا واحسن لونا وحافره مشقوق كحافر البقر وجثته
اكبر من الحمار بقليل وهو ياكل التمساح اكلا ذريعا ويقوى عليه قوة ظاهرة وربما خرج
من الما ونزا على فرس الحا في البر فتولد بينهما فرس في غاية الحسن واتفق ان بعض الناس
نزل على طرف النيل ومعه حجر فخرج من الما فرس ادهم عليه نقط بيض فنزا على
الحجر فحملت منه وولدت مهرا عجيب الصورة فطمع في مهر اخر وجا بالحجر والمهر الى
ذلك الموضع فخرج الفرس من الما وشم المهر ساعة ثم وثب في الما وتبعه المهر فصار الرجل
يتعاهد ذلك المكان كثيرا فلم يعد الفرس والمهر اليه قال المسعودي وفي نيل
مصر وارضها عجايبا كثيرة من الحيوانات فمن ذلك السمك المعروف بالرعاد وهي
نحو الذراع اذا وقعت في شبكة الصياد ارعدت يده وعضده فيعلم بوقوعها فيبادر
الى اخذها واخراجها من شبكته ولو امسكها بخشب او قصب فعلت ذلك وقد
ذكرها جالينوس وانها ان جعلت على راس من به صداع شديد او شقيقة وهي
في الحياة هدا من ساعته قال ابن البيطار عن جالينوس هو الحيوان البحري الذي
يحدث الخدر وزعم قوم انه اذا ادني من راس من يشتكي الصداع سكن صداعه
واذا ادني من مقعدة من انقلبت مقعدته اصلحها ولكن انا جربت الامرين جميعا
فلم اجده يفعل ولا واحدا منهما فكرت اني ادنيته من راس صاحب الصداع والحيوان
بعد حي لاني ظننت انه على الحال يكون دوا يمكن ان يسكن الصداع بمنزلة الادوية

الاخر فوجدته ينفع مادام حيا وقال ديسقوريدوس هو سمكة بحرية مخدرة
واذا عرضت على الراس الذي عرض له الصداع المزمن سكن شدة وجعه واذا
احتمل شدة المقعدة التي تبرز الى الخارج وقال يونس الزيت الذي يطبخ فيه
يسكن اوجاع المفاصل المزمنة اذا دهنت به وقال ابن البيطار رايت بساحل
مالقة من بلاد الاندلس سمكة عريضة لونها ظاهرها لون رعاد مصر سوا
وباطنها ابيض وفعلها في تخدير ماسكها كفعل رعاد مصر او اشد الا انها لا توكل
وقال بعضهم اذا علقت المراة شيا من الرعاد عليها لم يطق زوجها البعد عنها
وكذلك ان علق منها الرجل عليه لم تكد المراة ان تفارقه والسقنقور هو صنف
يتولد من السمك والتمساح فلا يشاكل السمك لان له يدين ورجلين ولا يشاكل
التمساح لان ذنبه اجرد املس عريض غير مضرس وذنب التمساح مسيف
مضرس وينفع بتحمم السقنقور الجماع ولا يكون بمكان الا في النيل او بنهر مهران
من ارض الهند ولقد بلغني ان اقواما انشوه واكلوا منها فماتوا كلهم في ساعة
واحدة والسقنقور قال ابن سينا هو ورل ماي يصطاد في نيل مصر يقولون انه من
نسل التمساح واجوده ما يصطاد في الربيع وقال اخر انه فرخ التمساح فاذا اخرج من
البيض فما قصد الما صار تمساحا وما قصد الرمل صار سقنقورا وقال ابن البيطار
هو جنس من الحرادين يجفف في الخريف اذا شرب منه وزن درهمين من الموضع
الذي يلي كلاه بشراب انهض شهوة الجماع وهو شديد الشبه بالورل يوجد في
الرمال التي تلي نيل مصر في نواحي صعيدها وهو مما يسعى في البر ويدخل في الما
يعني النيل ولهذا قيل له الورل الماي لشبهه به ولدخوله في الما وهو يتولد
من ذكر وانثى ويوجد للذكر خصيتان كخصيتي الديك في خلقتهما وموضعهما والانثى
تبيض فوق العشرين بيضة وتدفنها في الرمل وللذكر من السقنقور احليلان
وللانثى فرجان والسقنقور يعض الانسان ويطلب الما فان وجده دخل فيه وان
لم يجده بال وتمرغ في بوله فاذا فعل ذلك مات المعضوض لوقته وسلم السقنقور
وان اتفق ان سبق المعضوض الى الما فيدخله قبل دخول السقنقور الما او تمرغه
في بوله مات السقنقور لوقته وسلم المعضوض والافضل منه الذكر والابلغ
في نفع الباه بل هو المخصوص بذلك دون الانثى والمختار واعضايه ما يلي اصل
ذنبه ومحاذي سرته والوقت الذي يصاد فيه الربيع فانه يكون فيه هايجا

للسفاد

للسفاد فيكون في هذا الوقت ابلغ نفعا فاذا اخذ ذكي في يوم صيده فانه ان ترك
جاذاب شحمه وهزل لحمه وضعف نفعه ثم تقطع راسه وطرف ذنبه من غير استيفا
ويشق جوفه طولا ويلقى ما فيه الا الكلية وكلاه فاذا قطع حشي ملحا وخيط الشق وعلق
منكوسا في ظل معتدل الهوا حتى يجف ويومن فساده ثم يرفع في انا متخرقة للهوا كالسلال
المطعونة من قضبان شجر الصفصاف والخوص ونحوه الى وقت الحاجة ولحمه طريا
حار رطب والمجفف اشد حرارة واقل رطوبة ولا يوافق استعماله من مزاجه حار
يابس وانما يوافق ذوي الامزجة الرطبة الباردة وخاصة شحمه ولحمه الناهض شهوة الجماع
ويهيج الشبق ويقوي الانعاظ وينفع امراض العصب البارد وخاصة ما يلي سرته
ومحاذي ذنبه وينفع مفردا او مركبا واستعماله مفردا ابلغ والمقدار منه بعد تجفيفه
من مثقال الى ثلثه مثاقيل بحسب السن والمزاج والبلد والوقت الحاضر ويسحق
ويذاف بشراب او بما العسل او نقيع الزبيب ويذر على صفرة بيض الدجاج النيمبرشت
ويحسى وكذلك يفعل ملحه اذا اخذ منه من درهم الى درهمين ويذر على صفرة
البيض بمفرده او مع مثله بزرجرجير مسحوق ولا يوجد السقنقور الا في بلد الفيوم
خاصة واكثر صيده في الاربعانيات اذا اشتد البرد وخرج من الما الى البر فحينئذ
يصاد وقال المسعودي والفرس الذي يكون في نيل مصر اذا خرج من الما وانتهى
وطيه الى بعض المواضع من الارض علم اهل مصر ان النيل يزيد الى ذلك الموضع
بعينه غير زايد عليه ولا مقصر عنه لا يختلف ذلك عندهم بطول العادات والتجارب
وفي ظهوره من الما ضرر بارباب الارض والغلات لرعيه الزرع وذلك انه يظهر من
الما في الليل فينتهي الى موضع من الزرع ثم يولي عايدا الى الما فيرعى في حال رجوعه
من الموضع الذي انتهى اليه مسيره ولا يرعى من ذلك الذي قد رعاه شيا في ممره
واذا رعى ورد الما وشرب ثم قذف ما في جوفه في مواضع شتى فينبت ذلك مرة
ثانية واذا اكثر ذلك من فعله واتصل ضرره بارباب الضياع طرحوا له من الترمس
في الموضع الذي يعرف خروجه منه مكاكي كثيرة منبذرا مبسوطا فياكله ثم يعود
الى الما فاذا شرب منه ربا الترمس في جوفه وانتفخ فينشق جوفه ويموت فيطفو
على الما وتقذفه به الى الساحل والموضع الذي يرى فيه لا يرى فيه تمساح وهو على
صورة الفرس الا ان حوافره وذنبه بخلاف ذلك وجبهته واسعة وقال
المسبحي ان الصنف المعروف بالبلطي من اصناف السمك اول ما عرف بنيل مصر

في ايام الخليفة العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله ولم يكن يعرف قبله في النيل وظهر
ايضا في ايامه سمك يعرف باللبيس وانما سمي باللبيس لانه يشبه البوري الذي يخرج
بالبحر الملح فالتبس به وغالب الظن انها من اسماك البحر الملح دخلت في الحلو ومن
حيوان البحر التمساح قال ابن البيطار التمساح حيوان معروف يكون في الانهار الكبار وفي
النيل كثير ويوجد في نهر مهران وقد يوجد في بلاد السودان وهو الورل النيلي
قال ابن زهر ان كل حيوان يحرك فكه الاسفل اذا اكل ما خلا التمساح فانه يحرك فكه
الاعلى دون الاسفل وشحم التمساح اذا عجن بالسمن وجعل فيه فتيله واسرج في نهر
او اجمة لم ينق ضفادعها ما دامت تتقد وان طيف بجلد تمساح حول قرية ثم علق
على سطح دهليزها لم يقع البرد في تلك القرية واذا عض التمساح انسانا فوضع على العضة
شحم التمساح برا من ساعته وان لطخ بشحمه جبهة كبش نطاح نفر كل كبش يناطحه
وهرب منه ومرارته يكتحل بها للبياض في العين فيذهب به وكبده يتبخر بها المجنون
فيبرا وزبل التمساح يزيل البياض من العين الحديث والقديم في العين وان قلعت عيناه
وهو حي وعلقت على من به جذام اوقفه ولم يزد عليه وان شد من الثني بالجانب الايمن
على رجل زاد في جماعه وعينه اليمنى لمن يشتكي عينه اليمنى وعينه اليسرى لمن يشتكي
عينه اليسرى وشحمه اذا اذيب بدهن ورد نفع من وجع الصلب والكليتين وزاد
في الباه واذا اخذ دم التمساح وخلط به بليلج واملج وطلي به على الوضح اذهبه وغير
لونه واذا طلي به على الجبهة والصدغين نفع من وجع الشقيقة واذا اكل لحمه اسمن باجا
سمن البدن النحيف وشحمه اذا قطر بعد ان يذاب في الاذن الوجعة نفعها وان ادمن
تقطيره في الاذن نفع من الصمم واذا ادهن به صاحب حمى الربع سكن عنه ولحمه ردي
الكيموس وقال المسعودي وكذلك التمساح افته من دويبة تكون في سواحل النيل
وجزائره وهو ان التمساح لا دبر له وما ياكله يتكون في بطنه دود فاذا اذاه ذلك
خرج الى البر فاستلقى على قفاه فاغر فاه فتنقض اليه طير الماء وقد اعتاد منه ذلك
فتاكل ما يظهر من جوفه من ذلك الدود العظيم وتكون تلك الدويبة قد كمنت في الرمل
فتثب الى حلقه وتصير الى جوفه فيخبط بنفسه الارض ويطلب قعر النيل حتى تاتي
الدويبة على حشوة جوفه ثم تخرق جوفه وتخرج وربما قتل نفسه قبل ان تخرج فتخرج
بعد موته وهذه الدويبة تكون نحو الذراع على صورة ابن عرس ذات قوايم
وسني ومخالب ويقال انه كان بحيال فسطاط مصر طلسم معمول لها وكان

التمساح

التمساح لا يمر حوله بل كان اذا بلغ حدوده انقلب واستلقى على ظهره فيعبث به الصبيان
الى ان يجاوز نهاية المدينة ثم يعود فيستوي ويعود الى طباعه ثم ان هذا الطلسم كسر
وبطل فعله ويقال ان التمساح يبيض كبيض الاوز وربما يولد منه حراذين صغار
ثم يكبر حتى يبلغ طولها عشرة اذرع ويزداد طولا كلما عمرت والتمساح يجامع ستين
مرة في حركة واحدة ومحل واحد وسنه اليسرى نافعة للنافض

ذكر طرف من تقدمة المعرفة بحال النيل في كل سنة قال

ابن رضوان في شرح الاربع وقد يحتاج امر النيل الى شروط منها ان يكون الامطار
متوالية في نواحي الجنوب مل مده وفي وقت مده ولذلك وجب ان يكون النيل
متى كانت الزهرة وعطارد مقترنين في مدخل الصيف كثير الزيادة لرطوبة الهوا
ومتى كان المريخ او بعض المنازل في ناحية الجنوب في مدخل الربيع او الصيف قليلا
لقلة الامطار في تلك الناحية ومنها ان يكون الريح شمالية ليوقف جريه فاما الجنوبية
فانها تسرع انحداره ولا تدعه يلبث فاذا علمت ما يكون في ناحية الجنوب من
كثرة الامطار او قلتها وفي ناحية مصر من هبوب الرياح في فصلي الربيع والصيف
فقد علمت حال النيل كيف يكون وتعلم من حاله ما يعرض بمصر من الخصب
والقحط وقال ابو   بن يونس المنجم عن بطليموس اذا اردت ان تعلم
مقدار مد النيل في الزيادة والنقصان فانظر حين تحل الشمس برج السرطان
الى الزهرة وعطارد والقمر فان كانت احوالها جيدة وهي بريئة من النحوس فالنيل
يمد ويبلغ الحاجة به وان كانت احوالها بخلاف ذلك وهي ضعيفة فانكس القول
فان ضعف بعضها وصلح البعض توسط الحال في النيل والضابط ان قوة الثلثة
يدل على تمام النيل وضعفها على توسطه وانحباسه او احتراقها او وقوعها في بعدها
الابعد من الارض على النقص وانه قليل جدا الا ان احتراق الزهرة في برج
الاسد يستنزل الماء من الجنوب وقال ابو معشر ينظر عند انتقال الشمس الى
برج السرطان للزهرة وعطارد والقمر فان كانت في سيرها الاكبر فان زيادة
النيل عظيمة وان كانت في سيرها الاوسط فاعرف كم اكثر مسيرها وكم اقله واقسمه
بحسب ما تراه وان كانت بطيئة السير فزيادة النيل قليلة وان اختلف مسير
هذه الثلثة فكان بعضها في مسيره الاكبر وبعضها بطي السير فغلب اقواها وامزج
الدلالة وقل بحسب ذلك وقالت القبط انظر اول يوم من شهر توت يوم ما

الذي يوافقه من ايام الشهر العربي فما كان من الايام فزد عليه خمسة وثمانين فما بلغ
خذ سدسه فانه يكون عدد مبلغ النيل في تلك السنة من الاذرع قالوا ومن
المعتبر ايضا في امر النيل ان ينظر اليوم الذي يفطر فيه النصارى اليعاقبة بمصر
ما بقي من الشهر العربي فزد عليه اربعا وثلثين فما بلغ اسقطه اثني عشر اثني عشر
فان بقي بعد الاسقاط من العدد زيادة على اثني عشر فهو زيادة النيل من الاذرع
في تلك السنة مع الاثنا عشر وان بقي اثنا عشر فهي سنة ردية قالوا واذا كان العاشر
من الشهر العربي موافقا لشهر ابيب والقمر في برج العقرب فان كان مقارنا لقلب العقرب
كان النيل مقصرا والا فهو جيد قالوا وينظر اول يوم من بونه فان هبت الريح
شمالا في بكرة النهار كان النيل عاليا وان هبت وسط النهار فانه متوسط وان
هبت اخر النهار كان نيلا قاصرا وان لم تهب لم تطلع تلك السنة وقيل يعتبر ذلك
اول خميس من بونه ومن المعتبر الذي جربته انا سنين واخبرني بعض شيوخنا انه
جربه واخبره به من جربه فصح ان ينظر اول يوم من مسرى كم مبلغ النيل فزده
عليه ثمانية عشر ذراعا فما بلغ فهو زيادة النيل في تلك السنة ومما يزعم نصارى
الوجه القبلي انه مجرب في امر النيل ان يوخذ قبل عيد ميكائيل بيوم في وقت
الظهر من الطين الذي مر عليه ماء النيل قطعة زنتها ستة عشر درهما سوا
وترفع في اناء مغطى الى بكرة يوم عيد ميكائيل وتوزن فما زاد على زنتها من
الخراريب كان مبلغ النيل في تلك السنة بعدد تلك الخراريب لكل خروبة
ذراع ومع ذلك فلا بد من اخذ شي من دقيق القمح وعجنه بماء النيل في اناء
فخار وقد عمل من طين مر عليه النيل وتركه مغطى ليلة عيد ميكائيل فاذا وجد
مغطى طول ليلة عيد ميكائيل بكرة يوم العيد قد اختمر بنفسه كان النيل تاما
وافيا وان وجد فطيرا لم يختمر دل على قصور هذا النيل ثم ينظرون مع ذلك بكرة
يوم عيد ميكائيل الى الهوا فان هب طيبا باصوات كثيرة وان هب غير طيب فهو نيل
مقصر لا سيما ان هب مريسيا فانه يكون نيلا غير كاف والشان عندهم انما هو في
دلالة العلامات الثلاث على شي واحد فاما اذا اختلفت فالحكم للاكثر وقد ذكر
ابو الريحان محمد بن احمد البيروني في كتاب الاثار الباقية عن القرون الخالية وذكر
اصحاب التجارب انه اذا اتخذ مربعة الى اللوح وزرع عليه من كل زرع ونبات حتى
اذا كانت الليلة الخامسة والعشرون من شهر تموز احد شهور الروم وهي اخر

ايام

ايام الباحور ثم وضع اللوح بارزا لطلوع الكواكب وغروبها لا حائل بينه وبين السماء
شي فان كان ما لا يزكوا في تلك السنة من الزروع يصبح اصفر وما يصلح ريعه منها
يبقى اخضر وكذلك كانت القبط تفعل ذلك وقد جربت انا على ما افادنيه بعض الكتاب
انه اذا حصل مطر ولو قل في شهر بابه فانه ينظر ما ذلك اليوم من الشهر القبطي فانه
يبلغ سعر الويبة القمح في تلك السنة من الدراهم بعدد ما مضى من ايام شهر بابه واول
ما جربت هذا انه وقع مطر في بابه يوم الخميس الخامس عشر منه فبيعت الويبة
تلك السنة بخمسة عشر درهما **ذكر عيد الشهيد** ومما كان يعمل بمصر
بمصر عيد الشهيد وكان من انزه فرج مصر وهو اليوم الثامن من شهر بشنس
احد شهور القبط ويزعمون ان النيل بمصر لا يزيد في كل سنة حتى يلقي النصارى فيه
تابوتا من خشب فيه اصبع من اصابع سلفهم الموتى ويكون ذلك اليوم عيدا
يرحل اليه النصارى من جميع القرى ويركبون فيه الخيل ويلعبون عليها ويخرج
عامة اهل القاهرة ومصر على اختلاف طبقاتهم وينصبون الخيم على شطوط النيل
وفي الجزائر ولا يبقى مغن ولا مغنية ولا صاحب لهو ولا رب ملعوب ولا بغي ولا
مخنث ولا ماجن ولا خليع ولا فاتك ولا فاسق الا ويخرج لهذا العيد فيجتمع عالم
لا يحصيهم الا خالقهم وتصرف اموال لا تنحصر ويتجاهر هناك بما لا يحتمل من المعاصي
والفسوق وتثور فتن ويقتل اناس ويباع من الخمر خاصة في ذلك اليوم بما
ينيف على مائة الف درهم فضة عنها خمسة الاف دينار ذهبا وباع نصراني في
يوم واحد باثني عشر الف درهم من الفضة من الخمر وكان اجتماع الناس لعيد
الشهيد دائما بناحية شبرا من ضواحي القاهرة وكان اعتماد فلاحي شبرا دائما
في وفاء الخراج على ما يبيعونه من الخمر في عيد الشهيد ولم يزل الحال على ما ذكر من
الاجتماع لذلك الى ان كانت سنة اثنتين وسبعمائة والسلطان يومئذ بديار مصر
الملك الناصر محمد بن قلاون والقائم بتدبير الدولة الامير ركن الدين بيبرس
الجاشنكير وهو يومئذ استادار السلطان والامير سيف الدين سلار نائب
السلطنة بديار مصر فقام الامير بيبرس في ابطال ذلك قياما عظيما وكان
اليه امور ديار مصر هو والامير سلار والناصر تحت حجرهما لا يقدر على
شبع بطنه الا من تحت ايديهما فتقدم امر الامير بيبرس الا يرمى الاصبع في النيل
ولا يعمل له عيد وندب الحجاب ووالي القاهرة لمنع الناس من الاجتماع بشبرا

على عادتهم وخرج البريد الى سائر عمال مصر ومعهم الكتب الى الولاة باجهار النداء
واعلانه في الاقاليم بان لا يخرج احد من النصارى ولا يخرج لعمل عيد الشهيد فشق
ذلك على اقباط مصر كلهم من اظهر منهم الايمان وزعم انه اسلم ومن هو باق على
نصرانيته ومشى بعضهم الى بعض وكان منهم رجل يعرف بالتاج بن سعيد الدولة
يعاني الكتابة وهو يومئذ في خدمة الامير بيبرس وقد احتوى على عقله
واستولى على جميع اموره كما هي عادة ملوك مصر وامرائها واتراكها من الانقياد الى
كتابهم من القبط سواء منهم من اسر الكفر ومن جهر به وما زال الاقباط بالتاج
الى ان تحدث مع مخدومه الامير بيبرس في ذلك وخيله من تلاف مال الخراج
اذا بطل هذا العيد فان اكثر خراج شبرا انما يحصل من ذلك وقال له متى لم يعمل
العيد لا يطلع النيل ابدا ويخرب اقليم مصر لعدم طلوع النيل ونحو ذلك من
هذيان القول وتمويه المكر فثبت الله بيبرس وقواه حتى اعرض عن جميع ما
زخرفه من القول واستمر على منع عمل العيد وقال للتاج ان كان النيل لا يطلع
الا بهذا الاصبع فلا يطلع وان كان الله سبحانه هو المتصرف فيه فنكذب النصارى
فبطل العيد من تلك السنة ولم يزل منقطعا الى سنة ثمان وثلثين وسبعماية
وعمر الملك الناصر محمد بن قلاون الجسر في بحر النيل ليرمي قوة التيار عن
بر القاهرة الى ناحية الجيزة كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب فطلب الامير يلبغا
اليحياوي والامير الطنبغا المارداني من السلطان ان يخرجا الى الصيد ويغيبا
مدة فلم تطب نفسه بذلك لشدة غرامه بهما وتهتكه في محبتهما واراد صرفهما
عن السفر فقال لهما نحن نعيد عمل عيد الشهيد ويكون تفرجكم عليه عوضا من
خروجكما الى الصيد وكان قد قرب اوان وقت عيد الشهيد فرسم منه بذلك
واشيع في الاقليم اعادة عمل عيد الشهيد فلما كان اليوم الذي كانت العادة
بعمل عيد الشهيد فيه ركب الامراء النيل في الشخاتير بغير حراريق واجتمع الناس
من كل جهة وبرز ارباب الغناء واصحاب اللهو والخلاعة فركبوا النيل وتجاهروا بما
كانت عادتهم المجاهرة به من انواع المنكرات وتوسع الامراء في تنوع الاطعمة
مما وصل اليهم من الخبزات والحلاوات وغيرها توسعا خرجوا فيه عن الحد في الكثرة
البالغة وعم الناس منهم ما لا يمكن وصفه لكثرته واستمروا على ذلك ثلثة ايام
وكانت مدة انقطاع عمل الشهيد منذ ابطله الامير بيبرس الى ان اعاده الملك
الناصر

الناصر ستا وثلثين سنة واستمر عمله في كل سنة بعد ذلك الى ان كانت سنة خمس
وخمسين وسبعماية تحرك المسلمون على النصارى وعملت اوراق بما قد وقف من اراضي
مصر على كنايس النصارى ودياراتهم والزم كتاب الامراء بتحرير ذلك وحمل الاوراق
الى ديوان الاحباس فلما تحررت الاوراق اشتملت على خمسة وعشرين الف فدان
كلها موقوفة على الديارات والكنايس فعرضت على امراء الدولة القايمين بتدبير
الدولة في ايام الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاون وهم الامير شيخو العمري
والامير صرغتمش والامير طاز فتقرر الحال على ان ينعم بذلك على الامراء زيادة على
اقطاعاتهم والزم النصارى بما يلزمهم من الصغار وهدمت لهم عدة كنايس كما هو
مذكور في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر الكنايس فلما كان العشر الاخير من شهر
رجب من السنة المذكورة خرج الحاجب والامير علاء الدين علي بن الكوراني والي
القاهرة الى ناحية شبرا الخيام من ضواحي القاهرة وهدمت كنيسة النصارى
واخذ منها اصبع الشهيد في صندوق واحضر الى الملك الصالح واحرق بين
يديه في الميدان وذري رماده في البحر حتى لا ياخذه النصارى فبطل عيد الشهيد
من يومئذ الى هذا العهد ولله الحمد والمنة

ذكر الخلجان التي شقت من النيل اعلم ان النيل اذا انتهت زيادته
فتحت منه خلجان وترع يتخرق الماء فيها يمينا وشمالا الى البلاد البعيدة عن
مجرى النيل واكثر الخلجان والترع والجسور والاحوار بالوجه البحري واما
الوجه القبلي وهي بلاد الصعيد فان ذلك قليل منه وقد ذهبت معالمه
ودرست رسومه من هناك والمشهور من الخلجان خليج سخا وخليج منف
وخليج المنهى وخليج اشموم طناح وخليج سردوس وخليج الاسكندرية
وخليج دمياط وخليج القاهرة وبحر ابي المنجا والخليج الناصري ظاهر
القاهرة قال ابن عبد الحكم عن ابي رهم السماعي قال كانت مصر ذات قناطر
وجسور بتقدير وتدبير حتى ان الماء يجري تحت منازلها وافنيتها فيحبسونه كيف
شاءوا ويرسلونه كيف شاءوا فذلك قوله عز وجل فيما حكى عن فرعون اليس
لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون ولم يكن في الارض
يومئذ اعظم من ملك مصر وكانت الجنات بحافتي النيل من اوله الى اخره
في الجانبين جميعا ما بين اسوان الى رشيد وسبع خلج خليج الاسكندرية وخليج

سخا وخليج دمياط وخليج منف وخليج الفيوم وخليج المنهى وخليج سردوس
جنات متصلة لا ينقطع منها شي عن شي والزرع ما بين الجبلين من اول مصر الى اخرها
مما يبلغه الما وكان جميع ارض مصر كلها تروى من ست عشر ذراعا لما قدروا
ودبروا من قناطرها وخلجها وجسورها فذلك قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون
وزروع ومقام كريم قال والمقام الكريم المنابر كان بها الف منبر **خليج سخا** وخليج
سخا حفره تدارس بن صا بن قفطيم بن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح وهو احد
ملوك القبط القدما الذين ملكوا مصر في الدهر الاول قال ابن وصيف شاه تدارس
الملك اول من ملك الاحياز كلها بعد ابيه صا وصفا له ملك مصر وكان تدارس
محنكا ذا ايد وقوة ومعرفة بالامور فاظهر العدل واقام الهياكل واهلها قياما حسنا
ودبر جميع الاحياز ويقال انه الذي حفر خليج سخا وارتفع مال البلد على يده مايه
الف الف دينار وخمسون الف الف دينار وقصده عمالقة الشام فخرج اليه
واستباحهم ودخل فلسطين وقتل بها خلقا وسبى بعض حكمايها واسكنهم مصر
وهابته الملوك وعلى راس ثلثين سنة من ملكه طمع السودان من الزنج والنوبه
في ارضه وعاثوا وافسدوا فجمع الجيوش من اعمال مصر واعد المراكب ووجه قايدا
يقال له بلوطس في ثلثماية الف وقايدا اخر في مثلها ووجه في النيل ثلثماية سفينة
في كل سفينة كاهن يعمل اعجوبة من العجايب ثم خرج في جيوش كثيره فلقي جموع
السودان وكانوا في زها الف الف فهزمهم وقتل اكثرهم ابرح قتل واسر منهم
خلقا كثيرا واتبعهم جيوشه حتى وصلوا الى ارض الفيله من بلاد الزنج فاخذوا منها
عدة من الفيول والوحوش وساقوها الى مصر فذللها وعمل على حدود بلده منارا
وزبر عليه مسيره وظفره والوقت الذي سار فيه ومات بمصر ودفن في ناووس
نقل اليه شيا كثيرا من اصناف الكواكب ومن الذهب والجوهر والصنعة
والتماثيل وزبر عليه اسمه وتاريخ هلاكه وجعل عليه طلسمات تمنع منه وعهد
الى ابنه ماليق بن تدارس **خليج سردوس** حفره هامان قال ابن وصيف
شاه ظلما بن قومس الملك جلس على سرير الملك وحاز جميع ما كان في خزاينهم وهو
الذي يذكر القبط انه فرعون موسى فاما اهل الاثر فيزعمون ان اسمه الوليد
بن مصعب وانه من العمالقة وذكروا ان المراغنه سبعة وكان ظلما فيما حكوا
عنه قصيرا طويل اللحية اشهل العين صغير العين اليسرى في جبينه شامه وكان

اعوج وزعم قوم انه من القبط ونسبه اهل بيته مشهور عندهم وذكر اخرون انه
دخل منف على اتان عليها نطرون جاء به ليبيعه وكانوا قد اضطربوا في تولية الملك
فرضوا ان يملكوا عليهم اول من يطلع من الناس فلما راوه ملكوه عليهم فلما جلس في
الملك بذل الاموال وارغب من اطاعه وقتل من خالفه فاعتدل امره واستخلف
هامان وكان يتفرد منه في نفسه واثار بعض الكنوز وصرفها في بنا المداين والعمارات
وحفر خلجانا كثيره ويقال انه الذي حفر خليج سردوس وكان كلما عرجه الى قرية من
القرى للجوف حمل اليه اهلها مالا فاجتمع من ذلك شي كبير فامر برده على اهله
وقال ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ان فرعون استعمل
هامان على حفر خليج سردوس فلما ابتدا حفره اتاه اهل كل قرية يسالونه ان يجري
الخليج تحت قريتهم ويعطونه مالا قال وكان يذهب به الى هذه القرية من
نحو المشرق ثم يرده الى قرية من نحو دبر القبلة ثم يرده الى قرية في الغرب ثم
يرده الى اهل قرية في القبلة وياخذ من اهل كل قرية مالا حتى اجتمع له في ذلك
مايه الف دينار فاتى بذلك يحمله الى فرعون فساله عن ذلك فاخبره بما فعل
في حفره فقال له فرعون ويحك انه ينبغي للسيد ان يعطف على عباده ويفيض
عليهم ولا يرغب فيما بايديهم رد على اهل كل قرية ما اخذت منهم فرده كله على
اهله قال فلا يعلم بمصر خليجا اكثر عطوفا منه لما فعل هامان في حفره وكان
هامان نبطيا **خليج الاسكندرية** قال ابن عبد الحكم ويقال ان الذي بنا
منارة الاسكندرية قلبطرة الملكه وهي التي ساقت خليجها حتى ادخلته الاسكندرية
وهي التي بلطت قاعه وقال الكندي انا الحرث بن مسكين فامتي مصر حفر خليج
الاسكندرية وقال الاسعد بن مماتي في كتاب قوانين الدواوين خليج الاسكندرية
عليه عدة نواع وطوله من فم الخليج ببوني الف قصبة وستماية قصبه وعرضه
من قصبتين ونصف الى ست قصبات ونصف ومقام الما فيه بالنسبة الى النيل
فان كان متقصرا قصرت مدة اقامته فيه وان كان عاليا اقام فيه ما يزيد على شهرين
ورايت جماعة من اهل الخبرة وذوي المعرفة يقولون انه اذا عملت من قبالة منية
سنج الى البحر زلاقة استقر الما فيه صيفا وشتا ورويت البحيرة جميعها وحوف رمسيس
والكفور الشاسعه وزرع عليه القصب والنيله وانواع زراعة النيل الصيفي
وحركت مجرى بحر الشرق والمحله وبضاعت عشر البلاد وعظم ارتفاعها واقا مدهن

الزلاقة ممكنة لوجود الحجارة في دروة والطوب في البحيرة وانهم قدروا ما يحتاج
اليه فوجدوه ما هو عشرة الاف دينار ويقال انه كان الماء فيه جاريا طول السنة
وكان السمك فيه غاية من الكثرة بحيث تصيده الاطفال بالخرق فضمنه بعض الولاة
بمال ومنع الناس من صيده فعدم منه السمك ولم يوجد بعد ذلك فيه سمكة
فصار يخرج بالشباك **خليج الفيوم والمنهى** مما حفره نبي الله يوسف
الصديق صلوات الله عليه عندما عمر الفيوم كما هو مذكور في خبر الفيوم من
هذا الكتاب وهو مشتق من النيل لا ينقطع جريه ابدا اوله فم النيل ناحية
ذروة سربام التي تعرف اليوم بذروة الشريف يعني بن تغلب الثائر في
الايام الظاهرية بيبرس يتشعب منه في غربيه شعبة تسمى المنهل يستقل نهرا
يصل الى الفيوم وهو الان يعرف ببحر يوسف وهو نهر لا ينقطع جريانه في جميع
السنة فيسقي الفيوم عامة سنيا دائما بحر فاضل مائه في البحيرة هناك ومن
العجب انه ينقطع ماه من فوهته ثم يكون له بلل دون المكان المنهي ثم يجري
جريا ضعيفا دون مكان البلل ثم يستقل نهرا جاريا لا ينقطع الا بالسفن ويتشعب
منه انهار ويقسم قسما تعم الفيوم بسقي قراه ومزارعه وبساتينه وعامة [illegible]
والله اعلم **خليج القاهرة** هذا الخليج بظاهر القاهرة من جانبها الغربي فيما
بينها وبين المقس عرف في اول الاسلام بخليج امير المومنين وتسميه العامة اليوم
بالخليج الحاكمي وبخليج اللؤلؤة وهو خليج قديم اول من حفره طوطيس بن ماليا احد
ملوك مصر الذين سكنوا مدينة منف وهو الذي قدم ابراهيم خليل الرحمن
صلوات الله عليه في ايامه الى مصر واخذ منه امرأته سارة عليها السلام واخدمها
هاجر ام اسمعيل صلوات الله عليه فلما اخرجها ابراهيم هي وابنها اسمعيل عليهما
السلام الى مكة بعث الى طوطيس تعرفه انها بمكان جدب وتستغيثه فامر
بحفر هذا الخليج وبعث اليها فيه بالسفن تحمل الحنطة وغيرها الى جدة فاحيا بلد
الحجاز ثم ان اندرومانوس الذي يعرف بايليا احد ملوك الروم بعد الاسكندر
بن فيلبس المجدوني جدد حفر هذا الخليج وجرت فيه السفن وذلك قبل
الهجرة النبوية بنيف واربعماية سنة ثم ان عمرو بن العاص رضي الله عنه جدد حفره
لما فتح مصر واقام في حفره ستة اشهر وجرت فيه السفن تحمل الميرة الى الحجاز
فسمي خليج امير المومنين يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه فانه هو الذي اشار

بحفره

بحفره ولم تزل تجري فيه السفن من فسطاط مصر الى مدينة القلزم التي كانت على ضفة
البحر الشرقي حيث الموضع الذي يعرف اليوم على البحر بالسويس وكان يصب ماء النيل
في البحر من عند مدينة القلزم الى ان امر الخليفة ابو جعفر المنصور بطمه في سنة
خمسين ومائة فطم وبقي منه ما هو موجود الان وسياتي الكلام عليه مبسوطا
ان شاء الله تعالى عند ذكر ظواهر القاهرة من هذا الكتاب **بحر ابي المنجا**
هذا الخليج تسميه العامة بحر ابي المنجا والذي حفره الافضل بن امير الجيوش في سنة
ست وخمسماية وكان على حفره ابو المنجا بن شعيا اليهودي فعرف به وقد ذكر
حفر هذا الخليج عند ذكر مناظر مواضع الخلفا ومواضع نزههم من هذا الكتاب
الخليج الناصري هذا الخليج في ظاهر المقس حفره الملك الناصر محمد بن
قلاوون في سنة خمس وعشرين وقد ذكر في موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله

ذكر ما كانت عليه ارض مصر في الزمن الاول قال المسعودي

وقد كانت ارض مصر على ما زعم اهل الخبرة والعناية باخبار شان العالم يركب
ارضها ما النيل وينبسط على بلاد الصعيد الى اسفل الارض وموضع الفسطاط
في وقتنا هذا وقد كان بدو ذلك من موضع يعرف بالجنادل بين اسوان والنوبة
الى ان عرض لذلك موانع من انتقال الماء وجرياته وما ينتقل من البرية بتيارها من
موضع الى موضع فينصب الماء عن بعض المواضع من بلاد مصر فسكن الناس
بلاد مصر ولم يزل الماء ينصب عن ارضها قليلا قليلا حتى امتلات ارض مصر من
المدن والعماير وطرقوا الما وحفروا له الخلجانات وعقدوا في وجهه المسنيات
الى ان خفي ذلك على ساكنيها لان طول الزمان ذهب بمعرفة اول سكناهم
كيف كان انتهى قلت ذكر ارسطوطاليس في كتاب الاثار العلوية ان ارض
مصر قد كان النيل ينبسط عليها فيطبقها كانها بحر ولم يزل الماء ينصب عليها
ويبس ما علا منها اولا فاولا ويسكن الى ان امتلات بالمدن والقرى والناس
ويقال ان الناس كانوا قبل السكنى بمدينة منف يسكنون سفح جبل المقطم
في منازل كثيرة نقروها وهي المغاير التي في الجبل المقابل لمنف من قبل المقطم
في الجبل المتصل بدير القصير الذي يعرف بدير البغل المطل على ناحية طرا
ومن وقف على اهرام ناحية بوصير راى المغاير في الجبل الشرقي بينهما النيل ومن
صعد من طرا الى الجبل وسار فيه دخلها وهي مغاير متسعة وفيها مغاير تنفذ الى

القلزم نسع المغارة منها اهل مدينة واذا دخلها احد ولم يهتد بعلامات تدله على
الخروج هلك في حيرة وتيه وقال كانت ارض مصر جرداء لا نبات بها فاقطعها نقراوش
بن حنوخ بن برد بن مهلاييل بن قينان بن انوش بن شيث بن آدم لطايفة من
اولاد برد بن مهلاييل فلما نزلوها وجدوا نيلها قد سد ما بين الجبلين فنضب
الماء عن اراضي زرعوها فاخرجت الارض بركاتها ثم بعد زمان اخذها عنقام
الاول بن عرباب بن ادم بالغلبة ونسل بها خلقا عظيما وجنود لقتال اولاد برد
سبعين الف مقاتل وحفر من البحر الى الجبل نهرا عرضه اربعون قصبة ليمتنع
من باتيه فاتاه بنو برد فلم يجدوا له سبيلا ففزعوا الى الله تعالى فبعث على
ارض مصر نارا **ذكر اعمال الديار المصرية وكورها** اعلم ان ارض
مصر كانت في الزمن الغابر مايه وثلاثا وخمسين كورة في كل كورة مدينة وثلثماية
وخمس وستون قرية فخرب منها قبل تخريب بخت نصر ثمان وخمسون كورة في كل
كورة مدينة وثلثماية وخمس وستون قرية فلما عمرت ارض مصر بعد بخت نصر
صارت على خمس وثمانين كورة ثم تناقصت حتى جا الاسلام وفيها اربعون كورة
عامرة بجميع قراها لا تنقص شيا ثم استقرت ارض مصر كلها في الجملة على قسمين
الوجه القبلي وهو ما كان في جهة الجنوب من مدينة مصر والوجه البحري وهو
ما كان في شمال مدينة مصر وقد قسمت ارض مصر جميعها قبليها وبحريها على
ستة وعشرين عملا وهي الشرقية والمرتاحية والدقهلية والابوانية وثغر
دمياط **الوجه البحري** جزيرة قويسنا والغربية والسمنودية والدنجاوية
والمنوفية والفتراوية وفوه والمزاحمتين وجزيرة بني نصر والبحيرة واسكندرية
وضواحيها وحوف رمسيس **الوجه القبلي** الجيزية والاطفيحية والبوصيرية
والفيومية والبهنساوية والاشمونين والمنفلوطية والاسيوطية والاخميمية
والقوصية وهي ايضا ثلثون كورة وهي كورة الفيوم وفيها مايه وست وخمسون
قرية ونقال انها كانت ثلثمايه وستون قرية وكورة منف ووسيم خمس
وخمسون قرية وكورة الشرقية وتعرف بالاطفيحية سبع عشر قرية وقرى
اهناس ومنها قمن ثمان قرى وكورة دلاص وبوصير ست قرى وكورة
اهناس خمس وتسعون قرية سوى الكفور وكورة البهنسى مايه وعشرون
قرية كورة القيس سبع وثلثون قرية كورة طحا سبع وثلثون قرية حبنو
سنودة

سنودة ثمان قرى كورة الاشمونين مايه وثلث وثلثون قرية كورة اسفل انصنى
احدى عشرة قرية كورة اعلا انصنا اثنا عشرة قرية كورة قفقوه سبع وثلثون
قرية كورة اخميم والدير ثلث وستون قرية كورة اسنا والواحات ثلث وستون
قرية سوى الكفور كورة هو عشرون قرية كورة قنا وثماني قرا كورة قنا سبع
قرى كورة دندرة عشر قرى كورة قفط اثنان وعشرون قرية كورة الاقصر
خمس قرى كورة اسنا خمس قرى كورة ارمنت سبع قرى كورة اسوان سبع
قرى فجميع قرى الصعيد الف وثلث واربعون قرية سوى المنا والكفور في بلبين
قرية كور اسفل الصعيد الارض للحوف الشرقي خمس وستون قرية كورة اتريب
مايه وثماني قرى سوى المنى والكفور كورة تنوا سبع وثمانون قرية سوى المنى
والكفور كورة بمنى مايه وخمسون قرية سوى المنى والكفور كورة بسطه ست
وثلثون قرية كورة طرابية ثمان وعشرون قرية منها السدير والهامة وفاقوس
كورة قربيط ثماني عشر قرية سوى المنى والكفور كورتا صان وابليل ست واربعون
قرية منها سهور والفرما والعريش فجميع قرى الحوف الشرقي خمس مايه وتسع
وعشرون قرية سوى المنى في تسع كور بطن الريف كورتا دسنيس ومنوف
مايه واربع قرى سوى المنى والكفور كورتا طوه ومنوف اثنان وسبعون قرية
سوى المنى والكفور كورة سخا مايه وخمس عشر قرية كورتا تيده والافراجون
ثلث وعشرون قرية سوى المنى والكفور كورة البشرود اربع وعشرون قرية
كورة تعيره اثنا عشر قرية سوى المنى كورتا بنا وبوصير ثمان وثمانون قرية
سوى المنى والكفور كورة سمنود مايه وعشرون وثمان قرية سوى المنى
والكفور كورة نوسا احدى وعشرين قرية سوى المنى كورة الاوسية اربعون
قرية سوى المنى كورة النجوم اربعون قرية سوى المنى بينس ودمياط ثلث
عشر قرية سوى المنى وهي شي كثير الاسكندرية الحوف الغربي كورة صا
ثلث وستون قرية سوى المنى والكفور كورة شباس اثنان وعشرون قرية
سوى المنى والكفور كورة البرذنون ثلث واربعون قرية سوى المنى والكفور
حيز الغذقون ست وعشرون قرية سوى المنى والكفور الشراك تسع قرى
كورة ترنوط ثماني قرى كورة حزمتا اثنتان وستون قرية سوى المنا كورة قرطسا
اثنان وعشرون قرية سوى المنى والكفور كورتا مصيل والمليدس تسع واربعون

قرية سوى المناخ كورتا اخنو ورشيد سبع عشرة قرية البحيرة والحصص بالاسكندرية
والكرومات والبغل ومريوط ومدينة الاسكندرية ولوبيه ومراقيه مائة واربع
وعشرون قرية سوى المناخ الحوف الغربي اربعمائة وتسع وسبعون قرية سوى
المناخ ثلث عشر كورة قال المسيحي فيها دبغة تصير قرى اسفل الارض الفا واربعمائة
وتسعا وثلثين قرية ويكون جميع ذلك بالصعيد واسفل الارض الفين وثلثمائة وخمسا
وتسعين قرية وقال القاضي ابو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي ارض مصر
قسمين فمن ذلك صعيدها وهو يلي مهب الجنوب منها واسفل ارضها وهو يلي
مهب الشمال منها فقسم الصعيد على ثماني وعشرين كورة فمن ذلك كورة الفيوم
كلها وكورتا منف ووسيم وكورة الشرقيه وكورة دلاص وبوصير وكورة اهناس
وكورتا الفيس والبهنسي وكورتا طحا وجبر سنوده وكورة بويط وكورتا الاشمونين
واسفل انصنا واعلاها وسطف قوص قام وكورة سيوط وكورة قهقوه
وكورتا اخميم والدير واشايه وكورة هو وافنا وفاو ودندره وكورة قفط
والاقصر وكورة اسنا وارمنت وكورة اسوان فهذه كور الصعيد ومن
ذلك كور اسفل الارض وهي خمس وعشرون كورة وفي نسخة ثلث وثلثون وفي
نسخة ثمان وثلثون كورة فمنها كورة الحوف الشرقي كورتا اتريب وعين شمس
وكورة بنا وتمي وكورتا بسطه وطرابيه وكورة قربيط وكورة صان وابليل
وكورة الفرما والعريش والجفار ومن ذلك كور بطن الريف من اسفل الارض ه
كورة بنا وبوصير وكورتا سمنود وبوسا وكورتا الاوسيه والنجوم وكورة
دقهله وكورتا تنيس ودمياط ومنها كور الجزيرة من اسفل الارض كورة دسيس
ومنوف وكورة طوه ومنوف وكورة سخا وتيده والامراجون وكورة نقيزه
ودبصا وكورة النشرود ومن ذلك كور الحوف الغربي كورة صا وكورة
شباس وكورة البدقون وحيزها وكورة الخيس والشراك وكورة خربتا
وكورتا قرطسا ومصيل والمليدس وكورتا اخنا ورشيد والبحيره وكورة
الاسكندرية وكورة مريوط وكورة لوبيه ومراقيه ومن كور القبلة قرى
الحجاز وهي كورة الطور وفاران وكورة رايه والقلزم وكورة ايله وحيزها
ومدين وحيزها والعويند والحورا وحيزهما ثم كورة بدا وشغب وذكر من له
معرفة بالخراج وامر الديوان انه وقف على جريدة عتيقة بخط ابي عيسى بيطر

مرسى

بن بسقا الكاتب القبطي المعروف بالنويس متولي خراج مصر للدولة الاخشيدية
يشتمل على ذكر كور مصر وقراها الى سنه خمس واربعين وثلثمائة ان قرى مصر
بالصعيد بن واسفل الارض الفان وثلثمائة وخمس وتسعون قرية منها بالصعيد
تسعمائة وست وخمسون قرية وباسفل الارض الف واربعمائة وتسع وثلثون
قرية وهذا عددها في الوقت الذي جردت فيه الجرائد المذكورة وقد تغيرت
بعد ذلك بخراب ما خرب منها وقال ابن عبد الحكم عن الليث بن سعد لما ولي
الوليد بن رفاعة مصر خرج ليحصي عدة اهلها وينظر في تعديل الخراج عليهم
فاقام في ذلك ستة اشهر بالصعيد حتى بلغ اسوان ومعه جماعة من الاعوان
والكتاب يكفونه ذلك بجد وتشمير وثلثة اشهر باسفل الارض واحصوا من
القرى اكثر من عشرة الاف قرية فلم يحص في اصغر قرية منها اقل من خمسمائة
من الرجال الذين يفرض عليهم الجزية يكون ذلك وجملته خمسة الاف الف
رجل والذي استقر الحال عليه في الروك الناصري محمد بن قلاوون ان
الوجه القبلي تسعة اعمال وهو عمل قوص وهو اجلها ومنه اسوان وعرب
قمولة وعمل اخميم وعمل اسيوط وعمل منفلوط وعمل الاشمونين وبها الطحاوية
وعمل البهنسا ومنه الغرابي وهو عبارة عن قرى على غربي المنهى الماد الى الفيوم
وعمل الفيوم وعمل اطفيح وعمل الجيزه والوجه البحري ستة اعمال
عمل البحيرة وهو متصل البر بالاسكندرية وبرقة وعمل الغربية جزيرة واحدة
يشتمل عليها ما بين البحرين وهما البحر المار ومسكبه عند دمياط ويسمى الشرقي
والبحر الثاني ومسكبه عند رشيد ويسمى الغربي والمنوفيه ومنها ابيار وجزيرة
بني نصر وعمل قليوب وعمل الشرقيه وعمل اشموم طناح ومنها الدقهلية
والمرتاحية وهنا موضع ثغر البرلس وثغر رشيد والمنصورة وفي هذا
الوجه الاسكندرية ودمياط ولا عمل لها واما الواحات فمنقطعة وراء
الوجه القبلي مغاربة لم تعد في الولايات ولا في الاعمال ولا حكم عليها والي
للسلطان وانما حكم عليها من قبل مقطعها والله اعلم

ذكر ما كان يعمل في اراضي مصر من حفر الترع وعمارة الجسور ونحو ذلك من اجل ضبط ماء النيل وتصريفه في اوقاته

قال ابن عبد الحكم
عن يزيد بن ابي حبيب وكانت فريضة مصر بحفر خلجها واقامة جسورها وبناء

قناطرها وقطع جزايرها مائة الف وعشرين الفا معهم الطور والمساحي والادارة
يعتقبون ذلك لا يدعون ذلك شتاء ولا صيفا وعن ابي قبيل قال زعم بعض مشايخ
اهل مصر ان الذي كان يعمل به بمصر على عهد ملوكها انهم كانوا يقرون القرى في
ايدي اهلها كل قرية بكرا معلوم لا ينقض عليهم الا في كل اربع سنين من اجل الظما
وتنقل اليسار فاذا مضت اربع سنين نقض ذلك وعدل تعديلا جديدا فيرفق
بمن استحق الرفق ويزاد على من احتمل الزيادة ولا يحمل عليهم من ذلك ما يشق عليهم
فاذا جبي الخراج وجمع كان للملك من ذلك الربع خالصا لنفسه يفعل بذلك ما
يريد والربع الثاني لجنده ومن يتقوى به على حربه وجباية خراجه ودفع عدوه
والربع الثالث في مصلحة الارض وما تحتاج اليه من جسورها وحفر خلجها وبنا قناطرها
والقوة للمزارعين على زرعهم وعمارة ارضهم والربع الرابع يخرج منه ربع ما
يصيب كل قرية من خراجها فيدفن ذلك فيها لنايبة تنزل او جايحة باهل القرية
فكانوا على ذلك والذي يدفن في كل قرية من خراجها هي كنوز فرعون التي يتحدث
الناس بها انها ستظهر فيطلبها الذين يتبعون الكنوز وذكر ان بعض فراعنة
مصر جبى خراج مصر اسنة وسبعين الف الف دينار وان من عمارته انه ارسل
ربية قمح الى اسفل الارض والى الصعيد في وقت تطبيق الارض والتراع من
العمارة فلم توجد لها ارض فارغة تزرع فيها وذكر انه كان عند تناهي العمارة
يرسل باربع ويبات برسم الى الصعيد والى اسفل الارض والى كورة وجد لها
موضعا خاليا فزرعت فيه ضرب عنق صاحب الكورة وكانت مصر يومئذ عمارة
متصلة اربعين فرسخا في مثلها والفرسخ ثلثة اميال والبريد اربعة فراسخ فتكون
عشرة برد في مثلها ولم تزل الفراعنة يسلك هذا المسلك الى ايام فرعون
موسى فانه عمرها عدلا وسماحة وتتابع الظما بمصر ثلث سنين في ايامه فترك
لاهل مصر خراج ثلث سنين وانفق على نفسه ثم على عساكره من خزاينه ولما
كان في السنة الرابعة اضعف الخراج واستمر فاعتاض ما انفق قال وكتب
عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى عمرو بن العاص ان يسال المقوقس عن مصر
من اين عمارتها وخرابها فساله عمرو فقال له المقوقس تاتي عمارتها وخرابها
من وجوه خمسة ان يستخرج خراجها في ابان واحد عند فراغ اهلها من زروعهم
ويرفع خراجها في ابان واحد عند فراغ اهلها من عصر كرومهم ويحفر كل سنة
خلجها

خلجها وتسد ترعها وجسورها ولا يقتل محل اهلها يريد البغي فاذا فعل فيها هذا
عمرت وان عمل فيها بخلافه خربت وعن زيد بن اسلم عن ابيه قال لما استبطا عمر
بن الخطاب رضي الله عنه عمرو بن العاص في الخراج كتب اليه ان ابعث الي رجلا من اهل
مصر فبعث اليه رجلا قديما من القبط فاستخبره عمر رضي الله عنه عن مصر وخراجها
قبل الاسلام فقال يا امير المومنين كان لا يوخذ منها شي الا بعد عمارتها وعاملك
لا ينظر الى العمارة وانما ياخذ ما ظهر له كانه لا يريدها الا لعام واحد فعرف
عمر رضي الله عنه ما قال وقبل من عمرو ما كان يعتذر به وقال عمرو بن العاص
للمقوقس انت ولين مصر فبم تكون عمارتها فقال بخصال ان يحفر خلجها وتسد جسورها
وترعها ولا يوخذ خراجها الا من غلتها ولا يقتل مطل اهلها ويوفي لهم بالشروط
وتدر الارزاق على العمال لئلا يرتشوا وترفع عن اهلها المعاون والهدايا
ليكون قوة لهم فبذلك تعمر ويرجى خراجها ويقال ان ملوك مصر من القبط كانوا
يقسمون الخراج اربعة اقسام قسم لخاصة الملك وقسم لارزاق الجند وقسم
لمصالح الارض وقسم يدخر لحادثة تحدث فينفق فيها ولما ولي عبد الله بن الحبحاب
خراج مصر لهشام بن عبد الملك خرج بنفسه فمسح ارض مصر كلها غامرها
وعامرها مما يركبه النيل فوجد فيها مائة الف الف فدان ويقال ان احمد بن مدبر
اعتبر ما يصلح للزراعة بارض مصر فوجده اربعة وعشرين الف الف فدان والباقي
استبحر وتلف واعتبر مدة الحرث فوجدها ستين يوما والحرث يحرث خمسين فدانا
فوجدها وكانت محتاجة الى اربعمائة الف وثمانين الف حراث **ذكر مقدار خراج
مصر في الزمن الاول قال** ابن وصيف شاه وكان منقاوش قسم خراج البلاد
ارباعا فربع للملك خاصة يعمل فيه ما يريد وربع ينفق في مصالح الارض وما يحتاج
اليه من عمل جسورها وحفر خلجها وتقوية اهلها على العمارة وربع يدفن لحادثة
تحدث ونازلة تنزل وكان خراج البلد مائة الف الف وثلاثة الاف الف دينار
وقسمها على ثلاث كور ومائة بعدة الالاف ويقال ان كل دينار عشرة مثاقيل
من مثاقيلنا الاسلامية وهي اليوم خمس وثمانون كورة اسفل الارض خمس
واربعون كورة والصعيد اربعون كورة وفي كل كورة كاهن يدبرها وصاحب
حرث وانتهى مال البلد على يد تداوس بن ما مائة الف الف دينار وخمسين
الف الف دينار وفي ايام ملكن بن حرسا بن مالبق بن تداوس مائة الف الف

وبضعة عشر الف الف دينار ولما زالت دولة القبط الاولى من مصر وملكها العمالقة
اختل امرها وكان فرعون الاول يجبيها تسعين الف الف دينار لمصالح الناس من
اولاد الملوك واهل التعفف وعشرة الف الف دينار للاولياء والجند والكتاب وعشرة
الف الف لمصالح فرعون ويكنزون لفرعون خمسين الف الف دينار وبلغ خراج مصر
في ايام الريان بن الوليد وهو فرعون يوسف عليه السلام سبعة وتسعين الف
الف دينار فاحب ان يتممه مائة الف الف دينار فامر بوجوه العمارات واصلاح
جسور البلد والزيادة في استنباط الارض حتى بلغ ذلك وزاد عليه وقال ابن وحبة
وجبيت مصر في ايام الفراعنة تسعون الف الف دينار بالدينار الفرعوني وهو
ثلثة مثاقيل من مثاقيلنا المعروفة الان بمصر الذي هو اربعة وعشرون قيراطا
كل قيراط ثلث حبات من قمح فيكون بحساب ذلك مايتي الف الف وسبعين الف الف
دينار مصرية ذكر الشريف الجواني انه وجد في بعض برابي الصعيد مكتوبا باللغة
الصعيدية مما نقل بالعربية مبلغ ما كان يستخرج لفرعون يوسف وهو الريان بن
الوليد من اموال مصر بحق الخراج مما يوجبه الخراج وساير وجوه الجبايات لسنة
واحدة على العدل والانصاف والرسوم الجارية من غير تاول ولا اصطهار ولا مناقشة
على عظم فضل وبعد وضع ما يجب وضعه لحوادث الزمان نظرا للعاملين وتقوية مجالهم
من العين اربعة وعشرون الف الف دينار واربعمائة الف الف دينار وذكر نايبه
كما في خبر الحسن بن علي الاسدي وقال الحسن بن علي الاسدي اخبرني ابي قال وجدت
في كتاب قبطي باللغة الصعيدية مما نقل الى اللغة العربية ان مبلغ ما كان يستخرج لفرعون
مصر بحق الخراج الذي يوخذ وساير وجوه الجبايات لسنة كاملة على العدل والانصاف
والرسوم الجارية من غير اصطهار ولا مناقشة على عظيم فضل كان في يد المودي لرسمه
وبعد وضع ما يجب وضعه لحوادث الزمان رفقا بالعاملين وتقوية لهم من العين اربعة
وعشرين الف الف دينار واربعمائة الف دينار وان جهات مصروف ذلك ما يصرف
في عمارة البلاد لحفر الخليج وانفاق الجسور وسد الترع واصلاح السبل والسابية
ثم في تقوية ما يحتاج التقوية من غير رجوع عليه بها لاقامة العوامل والتوسعة في
البذار وغير ذلك وثمن الالات واجرة من يستعان به من الاجراء لحمل الاصناف وساير
نفقات تطرق اراضيهم من العين ثمانمائة الف دينار ولما يصرف في ارزاق الاولياء
الموسومين بالسلاح وحملته والغلمان واشياعهم مع الف كاتب موسومين بالدواوين

سوى

سوى اتباعهم من الخزان ومن يجري مجراهم وعدتهم مائة الف واحد عشر الف رجل من
العين ثمانية الاف الف دينار ولما يصرف في الارامل والايتام فرضا لهم من بيت
المال وان كانوا غير محتاجين اليه حتى لا يخلوا امثالهم ممن يصل اليهم من العين اربعمائة
الف دينار ولما يصرف في كهنة برابيهم وابنيتهم وساير بيوت صلواتهم من العين مائتا
الف دينار ولما يصرف في الصدقات وينادي في الناس برئت الذمة من رجل كشف
وجهه لفاقة فليحضر فلا يرد عنه ذلك احد والامناء جلوس فاذا روي رجل لم تجر
عادته بذلك افرد بعض ثقاته يتبعه حتى اذا فرق المال واجتمع من هذه الطايفة
عدة دخل امناء فرعون اليه وعرفوه بتفرقة المال ودعوا له بالبقاء والسلامة وانهت
حال الطايفة المذكورة فيامر بتغيير شعثهم بالحمام واللباس وتمد السماط فياكلون
ويشربون ثم يستعلم من كل واحد سبب فاقته فان كان من آفة الزمان رد عليه
مثل ما كان واكثر وان كان من سوء راي وضعف تدبير ضمه الى من يشرف عليه
ويقوم بالامر الذي يصلح له من العين مائتا الف دينار وما يصرفه فرعون البرانية
لسنة كاملة من العين مائتا الف دينار ويحصل بعد ذلك ما يتسلمه فرعون
في بيوت امواله عدة لنوايب الدهر وحادثات الزمان من العين اربعة عشر الف
الف دينار وستمائة الف دينار وقيل لبعضهم متى عقدت مصر تسعين الف
الف دينار قال في الوقت الذي ارسل فرعون يوسف فيه الى اسفل الارض والى
الصعيد فلم يجد لها موضعا يتدرقه لتشغل جميع البلد بالعمارة والله اعلم

ذكر ما عمله المسلمون عند فتح مصر في الخراج وما كان من امر مصر في ذلك مع القبط

قال زهير بن معاوية ثنا سهيل
عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت
العراق درهمها وقفيزها ومنعت الشام مديها ودينارها ومنعت مصر اردبها
وعدتم من حيث بداتم قال ابو عبيد قد اخبر صلى الله عليه وسلم بما لم يكن وهو
في علم الله كان قد خرج بلفظه عن لفظ الماضي لانه ماض في علم الله وفي اعلامه
بهذا قبل وقوعه ما دل على اثبات نبوته ودل على رضاه من عمر رضي الله عنه ما
وظفه على الكفرة من الجزية في الامصار وفي تفسير المنع وجهان احدهما انه علم انهم
سيسلمون ويسقط عنهم ما وظف عليهم فصاروا له مانعين باسلامهم عما وظف عليهم
يدل عليه قوله وعدتم من حيث بداتم وقيل معناه انهم يرجعون عن الطاعة

والاول احسن وقال ابن عبد الحكم عن عبد الله بن لهيعة لما فتح عمرو بن العاص مصر
صولح على جميع من فيها من الرجال من القبط ممن راهق الحلم الى ما فوق ذلك ليس فيهم
امراة ولا صبي ولا شيخ على دينارين دينارين فاحصوا لذلك فبلغت عدتهم ثمانية
الاف الف وعن هشام بن ابي رقية اللخمي ان عمرو بن العاص لما فتح مصر قال
لقبط مصر ان من كتمني كنزا عنده فقدرت عليه قتلته وان قبطيا من اهل
الصعيد يقال له بطرس ذكر لعمرو ان عنده كنزا فارسل اليه وساله فانكر وجحد
فحبسه في السجن وعمرو يسال عنه هل يسمعونه يسال عن احد فقالوا لا انما سمعناه
يسال عن راهب في الطور فارسل عمرو الى بطرس فنزع خاتمه ثم كتب الى
ذلك الراهب ان ابعث الي بما عندك وختمه بخاتمه فجاء الرسول بقلة شامية مختومة
بالرصاص ففتحها عمرو فوجد فيها صحيفة مكتوب فيها مالكم تحت الفسقية الكبيرة
فارسل عمرو الى الفسقية فحبس عنها الماء فقلع البلاط الذي تحتها فوجد فيها
اثنين وخمسين اردبا ذهبا مصريا مضروبا فضرب عمرو راسه عند باب المسجد
فاخرج القبط كنوزهم شفقا ان يبغا على احد منهم فيقتل كما قتل بطرس وعن يزيد
بن ابي حبيب ان عمرو بن العاص استحل مال قبطي من قبط مصر لانه استقر عنده
انه يظهر الروم على عورات المسلمين ويكتب اليهم بذلك فاستخرج منه
بضعة وخمسين اردبا دنانير لابن عبد الحكم وكان عمرو بن العاص يبعث الى
عمر بن الخطاب بالجزية بعد حبس ما كان يحتاج اليه وكانت فريضة مصر لحفر خلجها
واقامة جسورها وبناء قناطرها وقطع جزائرها مائة الف وعشرين الفا معهم الطور
والمساحي والاداة يعتقبون ذلك لا يدعون ذلك شتاء ولا صيفا ثم كتب اليه عمر
بن الخطاب رضي الله عنه ان يختم في رقاب اهل الذمة بالرصاص ويظهروا مناطقهم
ويجزوا نواصيهم ويركبوا على الاكف عرضا ولا يضربوا الجزية الا على من جرت عليه
المواسي ولا يضربوا على النساء والولدان ولا يدعوهم يتشبهوا بالمسلمين في لبوسهم
وعن زيد بن اسلم ان عمر رضي الله عنه كتب الى امراء الاجناد ان لا يضربوا الجزية
الا على من جرت عليه المواسي وجزيتهم اربعون درهما على اهل الورق واربعة دنانير
على اهل الذهب وعليهم من ارزاق المسلمين من الحنطة والزيت مدين من
حنطة وثلاثة مناقبل اقساط من زيت في كل شهر لكل انسان كان من اهل الشام
والجزيرة وودك وعسل لا ادري كم هو ومن كان من اهل مصر فاردب كل شهر لكل
انسان

انسان ولا ادري كم الودك والعسل وعليهم من البز الكسوة التي يكسوها امير
المومنين الناس ويضيفون من نزل بهم من اهل الاسلام ثلث ليال وعلى اهل الورق
خمسة عشر صاعا لكل انسان ولا ادري كم لهم من الودك وكان لا يضرب الجزية على
النساء والصبيان وكان يختم في اعناق رجال اهل الجزية وكانت ويبة عمر في ولاية عمرو
بن العاص ستة امداد قال وكان عمرو بن العاص لما استوسق له الامر اقر قبطها
على جباية الروم وكانت جبايتهم بالتعديل اذا عمرت القرية وكثر اهلها زيد عليهم وان
قل اهلها وخربت نقص فيجتمع عرافوا كل قرية وماروتها ورؤساء اهلها يتناظرون
في العمارة والخراب حتى اذا اقروا من القسم بالزيادة انصرفوا بتلك القسمة الى الكور ثم
اجتمعوا هم ورؤساء القرى فوزعوا ذلك على احتمال القرى وسعة المزارع ثم يرجع
كل قرية بقسمهم فيجمعون قسمهم وخراج كل قرية وما فيها من الارض العامرة فيبدو
ويخرجون من الارض فدادين لكنائسهم وحماماتهم ومعدياتهم من جملة الارض ثم
يخرج منها عدد الضيافة للمسلمين ونزول السلطان فاذا فرغوا نظروا الى كل قرية
وما فيها من الصناع والاجراء فقسموا عليهم بقدر احتمالهم فان كانت فيها جالية قسموا
عليها بقدر احتمالها وقل ما كانت تكون الا لرجل الشاب او المتزوج ثم ينظروا ما بقي
من الخراج فيقسمونه بينهم على عدد الارض ثم يقسمون ذلك بين من يريد الزرع
منهم على قدر طاقتهم فان عجز احد وشكا ضعفا عن زرع ارضه وزعوا ما عجز
عنه على الاحتمال وان كان منهم من يريد الزيادة اعطي ما عجز عنه اهل الضعف فان
تشاحوا قسموا ذلك على عدتهم وكانت قسمتهم على قيراط الدينار اربعة وعشرين
قيراطا يقسمون الارض على ذلك ولذلك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انكم
ستفتحون ارضا يذكر فيها القيراط فاستوصوا باهلها خيرا وجعل عليهم
لكل فدان نصف اردب وويبتين من شعير الا القرط فلم يكن عليه ضريبة والويبة
ستة امداد وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ياخذ ممن صالحه من المعاهدين ما
سمى على نفسه لا يضع من ذلك شيئا ولا يزيد عليه ومن نزل منهم على الجزية ولم
يسم شيئا يوديه نظر عمرو في امره فاذا احتاجوا خفف عليهم وان استغنوا زاد
عليهم بقدر استغنائهم وقال هشام بن ابي رقية اللخمي قدم صاحب اخنا على
عمرو بن العاص فقال له اخبرنا ما على احدنا من الجزية فنصير لها فقال عمرو وهو
يشير الى ركن كنيسة لو اعطيتني من الارض الى السقف ما اخبرتك انما انتم خزانة

لنا ان كثر علينا اكثرنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم ومن ذهب الى هذا الحديث
ذهب الى ان مصر فتحت عنوة وعن يزيد بن ابي حبيب قال قال عمر بن عبد العزيز ايما ذمي
اسلم فان اسلامه يحوز له نفسه وماله وما كان من ارض فانها من في الله على المسلمين
وايما قوم صالحوا على جزية يعطونها فمن اسلم منهم كان ارضه وداره لبقيتهم وقال الليث
كتب الي يحيى بن سعيد ان ما باع القبط في جزيتهم وما يوجدون به من الحق الذي
عليهم من عبد او وليدة او بعير او بقرة او دابة فان ذلك جايز عليهم فمن
ابتاعه منهم فهو غير مردود اليهم ان ايسروا وما اكروا من ارضهم فجايز كراه
الا ان يكون يضر بالجزية التي عليهم فلعل الارض ان ترد عليهم اذا اضرت بجزيتهم وان
كان فضلا بعد الجزية فانا نرى كراها جايزا لمن يكرها منهم قال يحيى فنحن نقول
الجزية جزيتان جزية على رووس الجبال وجزية جملة تكون على اهل القرية يوخذ
بها اهل القرية فمن هلك من اهل القرية التي عليهم جزية مسماة على القرية
ليست على رووس الجبال فانا نرى ان من هلك من اهل القرية ممن لا ولد له
ولا وارث ان ارضه ترجع الى قريته في جملة ما عليهم من الجزية ومن هلك ممن
جزيته على رووس الجبال ولم يدع وارثا فان ارضه للمسلمين وقال الليث عن عمر
بن عبد العزيز الجزية على الرووس ليست على الارضين يريد اهل الذمة وكتب
عمر بن عبد العزيز الى حيان بن سريح ان يجعل جزية موتى القبط على احيايهم وهذا
يدل ان عمر كان يرى ارض مصر فتحت عنوة وان الجزية انما هي على القرى فمن
مات من اهل القرى كانت تلك الجزية ثابتة عليهم وان موت من مات منهم لا
يضع عنهم من الجزية شيا قال ويحتمل ان يكون مصر فتحت بصلح فذلك الصلح
ثابت على من بقي منهم وان موت من مات منهم لا يضع عنهم ما صالحوا عليه شيا قال
الليث وضع عمر بن عبد العزيز الجزية عمن اسلم من اهل الذمة من اهل مصر
والحق في الديوان صلح من اسلم منهم في عشاير من اسلموا على يديه وكانت توخذ
قبل ذلك ممن اسلم واول من اخذ الجزية ممن اسلم من اهل الذمة الحجاج بن يوسف
ثم كتب عبد الملك بن مروان الى عبد العزيز بن مروان ان يضع الجزية على من
اسلم من اهل الذمة فكلمه ابن حجيرة في ذلك فقال اعيذك بالله ايها الامير ان
تكون اول من سن ذلك بمصر فوالله ان اهل الذمة ليتحملون جزية من ترهب منهم
فكيف نضعها على من اسلم منهم فتركهم عند ذلك وكتب عمر بن عبد العزيز الى حيان

بن سريح

بن سريح ان يضع الجزية عن من اسلم من اهل الذمة فان الله تبارك وتعالى قال فان تابوا
واقاموا الصلاه واتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم وقال تعالى قاتلوا الذين
لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين
الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وكتب حيان
بن سريح الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان الاسلام قد اضر بالجزية حتى سلفت من
الحرث بن نابتة عشرين الف دينار اتممت بها عطا اهل الديوان فان راى امير المومنين
ان يامر بقضايها فعل فكتب اليه عمر اما بعد فقد بلغني كتابك وقد وليتك جند
مصر وانا عارف بضعفك وقد امرت رسولي يضربك على راسك عشرين سوطا
فضع الجزية عن من اسلم قبح الله رايك فان الله انما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم
هاديا ولم يبعثه جابيا ولعمري لعمر اشقى من ان يدخل الناس كلهم الاسلام على يديه
قال ولما استبطا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخراج من قبل عمرو بن العاص كتب
اليه بسم الله الرحمن الرحيم من عند عبد الله عمر امير المومنين الى عمرو بن
العاص سلام عليك فاني احمد الله اليك الذي لا اله الا هو اما بعد فاني فكرت
في امرك والذي انت عليه فاذا ارضك ارض واسعة عريضة رفيعة قد اعطا
الله اهلها عددا وجلدا وقوة في بحر وبر وانها قد عالجتها الفراعنة وعملوا فيها
عملا محكما مع شدة عتوهم وكفرهم فعجبت من ذلك واعجب مما عجبت انها لا تودي
نصف ما كانت تودي به من الخراج قبل ذلك على غير قحوط ولا جدوب وقد اكثرت
في مكاتبتك في الذي على ارضك من الخراج وظننت ان ذلك سياتينا على غير نزر ورجوت
ان تفيق فترفع الي ذلك فاذا انت تاتيني بمعاريض تغتالها لا توافق الذي في نفسي
ولست قابلا منك دون الذي كانت يوخذ به من الخراج قبل ذلك ولست ادري
مع ذلك ما الذي انفرك من كتابي وقبضك فلين كنت مجربا كافيا صحيحا ان البراة
لنافعة وان كنت مضيعا نطعا ان الامر لعلى غير ما تحدث به نفسك وقد تركت
ان ابتلي ذلك منك في العام الماضي رجا ان تفيق فترفع الي ذلك وقد علمت انه
لم يمنعك من ذلك الا عمالك عمال السو وما توالس عليه وتلفف اتخذوك كهفا
وعندي باذن الله دوا فيه شفا عما اسالك عنه فلا تجزع ابا عبد الله ان يوخذ
منك الحق وتعطاه فان النهر يخرج الدر والحق ابلج ودعني وما عنه تلجلج فانه قد برح
الخفا والسلام فكتب اليه عمرو بن العاص بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عمر

امير المومنين من عمرو بن العاص سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد فقد بلغني كتاب امير المومنين في الذي استبطاني فيه من الخراج والذي ذكر فيها من عمل الفراعنة قبلي واعجابه من خراجها على ايديهم ونقص ذلك منها مذ كان الاسلام ولعمري للخراج يومئذ اوفر واكثر والارض اعمر لانهم كانوا على كفرهم وعتوهم ارغب في عمارة ارضهم منا مذ كان الاسلام وذكرت ان النهر يخرج الدر فحلبتها حلبا قطع درها واكثرت في كتابك وانبت وعرضت وثربت وعلمت ان ذلك عن شي تخفيه على غير خبر فجئت لعمري بالمفظعات المقذعات ولقد كان لك فيه من الصواب من القول رصين صارم بليغ صادق وقد عملنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن بعده فكنا بحمد الله مودين لاماناتنا حافظين لما عظم الله من حق ايمتنا نرى غير ذلك قبيحا والعمل به شينا فيعرف ذلك لنا ونصدق فيه قيلنا معاذ الله من تلك الطعم ومن شر الشيم والاجترا على كل ماثم فامض عملك فان الله قد نزهني من تلك الطعم الدنية والرغبة فيها بعد كتابك الذي لم تستبق فيه عرضا ولم تكرم فيه اخا والله يا ابن الخطاب لانا حين يراد ذلك مني اشد لنفسي غضبا ولها انزاها واكراما وما عملت من عمل ارى علي فيه متعلقا ولكني حفظت ما لم تحفظ ولو كنت من يهود يثرب ما زدت يغفر الله لك ولنا وسكت عن اشيا كنت بها عالما وكان اللسان بها مني ذلولا ولكن الله عظم من حقك ما لا يجهل فكتب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه من عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص سلام عليك فاني احمد الله اليك الذي لا اله الا هو اما بعد فقد عجبت من كثرة كتبي اليك في ابطايك بالخراج وكتابك الي بثنيات الطرق وقد علمت اني لست ارضى منك الا بالحق البين ولم اقدمك الى مصر اجعلها لك طعمة ولا لقومك ولكني وجهتك لما رجوت من توفيرك الخراج وكتابك الي بثنيات الطرق وقد علمت اني لست ارضى منك الا بالحق البين فاذا اتاك كتابي هذا فاحمل الخراج فانما هو في المسلمين وعندي من قد تعلم قوم محصورون والسلام فكتب اليه عمرو بن العاص بسم الله الرحمن الرحيم لعمر بن الخطاب من عمرو بن العاص سلام عليك فاني احمد الله اليك الذي لا اله الا هو اما بعد فقد اتاني كتاب امير المومنين يستبطيني في الخراج ويزعم اني اعند عن الحق وانكب عن الطريق واني والله لا ارغب عن صالح ما تعلم ولكن اهل الارض استنظروني الى ان تدرك غلتهم فنظرت للمسلمين فكان الرفق خيرا لهم من ان يخرق بهم فيصيروا الى بيع ما لا غنا بهم عنه والسلام وقال الليث

بن سعد

بن سعد جباها عمرو بن العاص اثني عشر الف الف دينار وجباها المقوقس قبله بسنة عشرين الف الف دينار فعند ذلك كتب اليه عمر بن الخطاب بما كتب وجباها عبد الله بن سعد بن سرح حين استعمله عثمان رضي الله عنه على مصر اربعة عشر الف الف دينار فقال عثمان لعمرو بن العاص بعدما عزله عن مصر يا ابا عبد الله درت اللقحة باكثر من درها الاول فقال اضررتم بولدها فقال ذلك ان لم يمت الفصيل وكتب معوية بن ابي سفيان الى وردان وكان قد ولي خراج مصر ان زد على كل رجل من القبط دينارا فكتب اليه وردان كيف نزيد عليهم وفي عهدهم ان لا يزاد عليهم فعزله معوية وقيل في عزل وردان غير ذلك وقال بن لهيعة كان الديوان في زمان معوية اربعين الفا وكان منهم اربعة الاف في مايتين مايتين فاعطى مسلمة بن مخلد اهل الديوان عطياتهم وعطيات عيالاتهم وارزاقهم ونوايبهم ونوايب البلاد من الجسور وارزاق الكتبة وحملان القمح الى الحجاز ثم بعث الى معوية بستماية الف دينار فضل قال بن عفير فلما نهضت الابل لقيهم برح بن حسكل فقال ما هذا ما بال مالنا يخرج من بلادنا ردوه فردوه حتى وقف على باب المسجد فقال اخذتم اعطياتكم وارزاقكم وعطا عيالاتكم ونوايبكم قالوا نعم قال لا بارك الله لهم فيه خذوه فسارت به وقال بعضهم جبا عمرو بن العاص مصر عشرة الف الف دينار فكتب اليه عمر بن الخطاب يعجزه ويقول له جباية الروم عشرون الف الف دينار فلما كان العام المقبل جباها عمرو اثني عشر الف الف دينار وقال بن لهيعة جبا عمرو بن العاص الاسكندرية الجزية ستماية الف دينار لانه وجد فيها ثلثماية الف دينار من اهل الذمة فرض عليهم دينارين دينارين

قيراطا

ذكر انتقاض القبط وما كان من الاحداث في ذلك

خرج الامام ابو عبد الله محمد بن اسمعيل البخاري من حديث ابي هريرة قال كيف انتم اذا لم تجتبوا دينارا ولا درهما فقيل له وكيف ترى ذلك كاينا يا ابا هريرة قال اي والذي نفس ابي هريرة بيده عن قول الصادق المصدوق قالوا عم ذلك قال تنتهك ذمة الله وذمة رسوله فيشد الله عز وجل قلوب اهل الذمة فيمنعون ما في ايديهم قال ابو عمر محمد بن يوسف الكندي في كتاب امرا مصر وفي امرة الحر بن يوسف امير مصر كتب عبيد الله بن الحبحاب صاحب خراجها الى هشام بن عبد الملك بان ارض مصر تحتمل الزيادة فزاد على كل دينار قيراطا فانتقضت كورة تنو ونمي

وقربيط وطرابيه وعامة الحوف الشرقي فبعث اليهم الحر اهل الديوان فحاربوهم فقتل
منهم بشر كثير وذلك اول انتقاض القبط بمصر وكان انتقاضهم في سنة سبع ومائة
ورابط الحر بن يوسف بدمياط ثلثة اشهر ثم انتقض اهل الصعيد وحارب القبط عمالهم
في سنة احدى وعشرين ومائة فبعث اليهم حنظلة بن صفوان امير مصر اهل الديوان
فقتلوا من القبط ناسا كثيرا وظفر بهم وخرج يحنس رجل من القبط من سمنود
فبعث اليه عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير امير مصر فقتل يحنس وكثير
من اصحابه وذلك في سنة اثنين وثلثين ومائة وخالفت القبط برشيد فبعث
اليهم مروان بن محمد الجعدي لما دخل مصر فارا من بني العباس عثمان بن ابي
نسعة فهزمهم وخرج القبط على يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن ابي
صفرة امير مصر بناحية سخا ونابذوا العمال واخرجوهم وذلك في سنة خمسين
ومائة وصاروا الى شبراسنباط وانضم اليهم اهل البشرود والاوسية والنجوم
فاتى الخبر يزيد بن ابي حاتم فعقد لنصر بن حبيب المهلبي على اهل الديوان ووجوه
اهل مصر فخرجوا اليهم فبيتهم القبط وقتلوا من المسلمين فالقى المسلمون النار
في عسكر القبط وانصرف المسلمون الى مصر منهزمين وفي ولاية موسى بن علي
بن رباح على مصر خرج القبط ببلهيب في سنة ست وخمسين ومائة فخرج
اليهم عسكر فهزمهم ثم انتقضوا مع من انتقض في سنة ست عشرة ومائتين فاوقع
بهم الافشين في ناحية البشرود حتى نزلوا على حكم امير المومنين عبد الله المامون
فحكم فيهم بقتل الرجال وبيع النساء والاطفال فبيعوا وسبي اكثرهم ومن حينئذ اذل
الله القبط في جميع ارض مصر وضعفت شوكتهم فلم يقدر احد منهم على الخروج
ولا القيام على السلطان وغلب المسلمون على القرى فعاد القبط من بعد ذلك
الى كيد الاسلام واهله باعمال الحيلة واستعمال المكر وتمكنوا من النكاية بوضع
ايديهم في كتابة الخراج وكان للمسلمين فيهم وقايع ياتي خبرها في موضعه من
هذا الكتاب ان شا الله تعالى **ذكر نزول العرب بريف مصر واتخاذهم
الزرع معاشا وما كان في نزولهم من الاحداث قال الكندي** وفي ولاية
الوليد بن رفاعة الفهمي على مصر نقلت قيس الى مصر في سنة تسع ومائة
ولم يكن بها احد منهم قبل ذلك الا من كان من فهم وعدوان فوفد ابن الحبحاب
على هشام بن عبد الملك فساله ان ينقل الى مصر منهم ابياتا فاذن لهم هشام في

الحاق

الحاق ثلثة الاف منهم وتحويل ديوانهم الى مصر على ان لا ينزلهم بالفسطاط ففرض
ابن الحبحاب وقدم بهم فانزلهم الحوف الشرقي وفرقهم فيه ويقال ان عبيد الله بن
الحبحاب لما ولاه هشام بن عبد الملك مصر قال ما ارى لقيس فيها حظا الا ناسا
من جديلة وهم فهم وعدوان فكتب الى هشام ان امير المومنين اطال الله بقاه قد
شرف هذا الحي من قيس ونعشهم ورفع من ذكرهم واني قدمت مصر فلم ار لهم حظا
الا ابياتا من فهم وفيها كور ليس فيها احد وليس يضر باهلها نزولهم معهم ولا يكسر
ذلك خراجا وهي بلبيس فان راى امير المومنين ان ينزلها هذا الحي من قيس فليفعل
فكتب اليه هشام انت وذاك فبعث الى البادية فقدم عليه مائة اهل بيت
من بني نصر ومائة اهل بيت من بني سليم فانزلهم بلبيس وامرهم بالزرع ونظر
الى الصدقة من العشور فصرفها اليهم فاشتروا ابلا فكانوا يحملون الطعام الى القلزم
وكان الرجل يصيب في الشهر العشرة دنانير واكثر ثم امرهم باشترا الخيول فجعل
الرجل يشتري المهر فلا يمكث الا شهرا حتى يركب وليس عليهم مونة في علاف ابلهم
ولا خيلهم لجودة مرعاهم فلما بلغ ذلك عامة قومهم تحملوا اليهم فوصل اليهم خمسمائة اهل
بيت من البادية فكانوا على مثل ذلك فاقاموا سنة فاتاهم نحو من خمسمائة اهل
بيت فصار ببلبيس الف وخمسمائة اهل بيت من قيس حتى اذا كان زمن مروان
بن محمد وولي الحوثرة بن سهيل الباهلي مصر مالت اليه قيس فمات مروان
وبها ثلثة الاف اهل بيت ثم توالدوا وقدم عليهم من البادية من قدم وفي
سنة ثمان وسبعين ومائة كشف اسحق بن سليمن بن علي بن عبد الله بن عباس
امير مصر امر الخراج وزاد على المزارعين زيادة اجحفت بهم فخرج عليه اهل
الحوف وعسكروا فبعث اليهم الجيوش وحاربهم فقتل من الجيش جماعة فكتب
الى امير المومنين هرون الرشيد يخبره بذلك فعقد لهرثمة بن اعين في جيش
عظيم وبعث به الى مصر فنزل الحوف وتلقاه اهله بالطاعة فاذعنوا باداء الخراج
فقبل هرثمة منهم واستخرج خراجه كله ثم ان اهل الحوف خرجوا على الليث بن الفضل
البيوردي امير مصر وذلك انه بعث بمساح يمسحون عليهم اراضي زرعهم
فانتقصوا من القصب اصابع فتظلم الناس الى ليث فلم يسمع منهم فعسكروا
وساروا الى الفسطاط فخرج اليهم ليث في اربعة الاف من جند مصر في شعبان
سنة ست وثمانين ومائة فالتقى معهم في رمضان فانهزم عنه الجند في ثاني عشره

ونفر في نحو الخمسين فحمل بمن معه على اهل الحوف فهزمهم حتى بلغ بهم غيفة وكان
التقاهم على ارض جب عميرة وبعث الليث الى الفسطاط بثمانين راسا من رؤوس
القيسية ورجع الى الفسطاط وعاد اهل الحوف الى منازلهم ومنعوا الخراج فخرج
ليث الى امير المومنين هرون في محرم سنة سبع وثمانين ومائة وساله ان يبعث
معه بالجيوش فانه لا يقدر على استخراج الخراج من اهل الاحواف الا بجيش معه
وكان محفوظ بن سليم بباب الرشيد فرفع محفوظ الى الرشيد يضمن له خراج مصر
عن اخره بلا سوط ولا عصا فولاه الخراج وصرف ليث بن الفضل عن صلاة مصر وخراجها
وفي ولاية الحسين بن جميل امتنع اهل الحوف من اداء الخراج فبعث امير المومنين
هرون الرشيد يحيى بن معاذ في امرهم فنزل بلبيس في شوال سنة احدى وتسعين
ومائة وصرف الحسين بن جميل عن امارة مصر في ربيع الاخر سنة اثنين وتسعين
ومائة وولي مالك بن دلهم وفرغ يحيى بن معاذ من امر الحوف وقدم الفسطاط
في جمادى الاخرة فورد عليه كتاب الرشيد يامره بالخروج اليه فكتب الى
اهل الاحواف ان اقدموا حتى اوصي بكم مالك بن دلهم وادخل بينكم وبينه في امر
خراجكم فدخل كل رئيس منهم من اليمانية والقيسية وقد اعد لهم القيود
فامر بالابواب فاخذت ثم دعا بالحديد فقيدهم وتوجه بهم للنصف من
رجب منه وفي امارة عيسى بن يزيد الجلودي على مصر ظلم صالح بن شيراز ال
عامل الخراج الناس وزاد عليهم في خراجهم فانتقض اهل اسفل الارض وعسكروا
فبعث عيسى بابنه محمد بن عيسى في جيش لقتالهم فنزل بلبيس وحاربهم فنجا
من المعركة بنفسه ولم ينج احد من اصحابه وذلك في صفر سنة اربع عشرة ومائتين
فعزل عيسى عن مصر وولي عمير بن الوليد التميمي فاستعد لحرب اهل الحوف وسار
في جيوشه في ربيع الاخر فجمعوا اليه واقتتلوا فقتل من اهل الحوف جمع وانهزموا
فتبعهم عمير في طائفة من اصحابه فعطف عليه كمين لاهل الحوف فقتلوه لست
عشرة خلت من ربيع الاخرة فولي عيسى الجلودي ثانيا وسار اليهم فلقيهم بمنية مطر
فكانت بينهم وقعة الى ان انهزمت منهم طائفة الى الفسطاط واحرقه ما ثقل
عليه من رحله وخندق على الفسطاط وذلك في رجب وقدم ابو اسحق بن
الرشيد من العراق فنزل الحوف وارسل الى اهله فامتنعوا من طاعته فقاتلهم في
شعبان ودخل وقد ظفر بعدة من وجوههم الى الفسطاط في شوال ثم عاد الى العراق

في المحرم

في المحرم سنة خمس عشرة ومائتين بجمع من الاسارى فلما كان في جمادى الاخرة
سنة ست عشرة ومائتين انتقض اسفل الارض باسره عرب البلاد وقبطها
واخرجوا العمال وخلعوا الطاعة لسوء سيرة عمال السلطان فيهم فكانت بينهم
وبين عساكر الفسطاط حروب امتدت الى ان قدم الخليفة عبد الله امير المومنين
المامون الى مصر لعشر خلون من المحرم سنة سبع عشرة ومائتين فسخط على
عيسى بن منصور الرافقي وكان على امارة مصر وامر بحل لوائه واخذه بلباس
البياض عقوبة له وقال لم يكن هذا الحدث العظيم الا عن فعلك وفعل
عمالك حملتم الناس ما لا يطيقون وكتمتني الخبر حتى تفاقم الامر واضطرب البلد
ثم عقد المامون على جيش بعث به الى الصعيد وارتحل هو الى سخا وبعث
بالافشين الى القبط وقد خلعوا الطاعة فاوقع بهم في ناحية البشرود وحصرهم
حتى نزلوا على حكم امير المومنين فحكم فيهم المامون بقتل الرجال وبيع النساء
والاطفال فبيعوا وسبي اكثرهم وتتبع المامون كل من يومى اليه بخلاف فقتل ناسا
كثيرا ورجع الى الفسطاط في صفر ومضى الى حلوان وعاد فارتحل لثمان عشرة
خلت من صفر وكان مقامه بالفسطاط وسخا وحلوان تسعة واربعين يوما
وكان خراج مصر قد بلغ في ايام المامون على حكم الانصاف في الجباية اربعة
الاف الف دينار ومائتي الف دينار وسبعة وخمسين الف دينار ويقال
ان المامون لما سار في قرى مصر كان يبنى له بكل قرية دكة يضرب عليها سرادقه
والعساكر من حوله وكان يقيم في القرية يوما وليلة فمر بقرية يقال لها طا
النمل فلم يدخلها لحقارتها فلما تجاوزها خرجت اليه عجوز تعرف بمارية
القبطية صاحبة القرية وهي تصيح فظنها المامون مستغيثة متظلمة فوقف
لها وكان لا يمشي ابدا الا والتراجمة بين يديه من كل جنس فذكروا له ان
القبطية قالت امير المومنين نزل في كل ضيعة وتجاوز ضيعتي والقبط تعيرني
بذلك وانا اسال امير المومنين ان يشرفني بحلوله في ضيعتي ليكون لي الشرف
ولعقبي ولا تشمت الاعداء بي وبكت بكاء كثيرا فرق لها المامون وثنى عنان
فرسه اليها ونزل فجاء ولدها الى صاحب المطبخ وساله كم يحتاج من الغنم والدجاج
والفراخ والسمك والتوابل والسكر والعسل والطيب والشمع والفاكهة والعلوفة
وغير ذلك مما جرت به عادته فاحضرت جميع ذلك بزيادة وكان مع المامون

اخوه المعتصم وابنه العباس واولاد اخيه الواثق والمتوكل ويحيى بن اكثم والقاضي
احمد بن داود فاحضرت لكل واحد منهم ما يخصه على انفراده ولم تخل احدا
منهم ولا من القواد الى غيرهم ثم احضرت للمامون من فاخر الطعام ولذيذه شيا
كثيرا حتى انه استعظم ذلك فلما اصبح وقد عزم على الرحيل حضرت اليه
ومعها عشرة وصايف مع كل وصيفة طبق فلما عاين المامون من بعد قال
لمن حضر قد جاءتكم القبطية بهدية الريف الكامخ والصحناة والصير فلما
وضعت ذلك بين يديه اذا في كل طبق كيس من ذهب فاستحسن ذلك
وامرها باعادته فقالت لا والله لا افعل فتامل الذهب فاذا به ضرب عام
واحد كله فقال هذا والله اعجب ربما عجز بيت مالنا عن مثل ذلك فقالت
يا امير المومنين لا تكسر قلوبنا ولا تحقر بنا فقال ان في بعض ما صنعت لكفاية
ولا نحب التثقيل عليك فردي مالك بارك الله فيك فاخذت قطعة من الارض
وقالت يا امير المومنين هذا واشارت الى الذهب من هذا واشارت الى الطينة
التي تناولتها من الارض ثم من عدلك يا امير المومنين وعندي من هذا شي كثير
فامر به فاخذ منها واقطعها عدة ضياع واعطاها من قريتها طا النمل مائتي
فدان بغير خراج وانصرف متعجبا من كبر مروتها وسعة حالها والله اعلم

ذكر ما لات ارض مصر بعد ما فشى الاسلام في القبط ونزلت العرب في القرى وما كان من ذلك الى الروك الاخير الناصري

وكان من خبر اراضي مصر بعد نزول العرب بارياقها واستيطانهم واهاليهم
فيها واتخاذهم الزرع معاشا وكسبا وانقياد جمهور القبط الى اظهار الاسلام
واختلاط انسابهم بانساب المسلمين لنكاحهم المسلمات ان متولي خراج مصر
كان يجلس في جامع عمرو بن العاص من الفسطاط في الوقت الذي تتهيا فيه
مبالة الاراضي وقد اجتمع الناس من القرى والمدن فيقوم رجل ينادي
على البلاد صفقات صفقات وكتاب الخراج بين يدي متولي الخراج يكتبون
ما ينتهي اليه مبالغ الكور والصفقات على من يتقبلها من الناس وكانت
البلاد يتقبلها متقبلوها لاربع سنين من اجل الظما والاستبحار وغير
ذلك فاذا انقضى هذا الامد خرج كل من يتقبل ارضا وضمنها الى ناحيته
فتولى زراعتها واصلاح جسورها وسائر وجوه اعمالها بنفسه واهله ومن
ينتدبه

يتعدبه لذلك ويحمل ما عليه من الخراج في اوانه على اقساط ويحتسب له من مبلغ قبالته وضمانه
لتلك الاراضي ما انفقه على عمارة جسورها وسد ترعها وحفر خلجها بضرائب مقررة في ديوان
الخراج ويتاخر من مبلغ الخراج في كل سنة شي في جهات الضمان والمتقبلين ويقال لما
تاخر من الخراج البواقي وكانت الولاة تشدد في طلب ذلك مرة وتسامح به مرة فاذا مضى
من الزمان اربع سنين حلوا السنة وراكوا البلاد كلها وعدلوها تعديلا جديدا فزيد
فيما تحتمل الزيادة من غير ضمان البلاد ونقص فيما تحتاج الى النقيصة منها وكان ذلك يعمل
في جامع عمرو الى ان عمر احمد بن طولون جامعه وصار العسكر منزلا لامرا مصر فنقل الديوان
الى جامع احمد بن طولون ثم نقل في ايام العزيز بالله نزار الى دار الوزير يعقوب بن كلس
فلما مات الوزير نقل الديوان الى القصر بالقاهرة فاستمر به مدة الدولة الفاطمية
ثم نقل منه بعد ها قال ابن زولاق في كتاب اخبار الماذرائيين كتاب مصر وحضر
ابو الحسن وهب بن اسمعيل مجلس ابي بكر محمد بن علي الماذرائي في المسجد الجامع وهو
يعقد الضياع فقال له ابو بكر الساعة امر بالندا على صفقة تجدها تركز بيني
وبينك فنودي على صفقة فقال ابو بكر اعقدوها على ابي الحسن فعقدت عليه
وعملها فافضلت له اربعين الف دينار واستنض عشرين الف دينار ولم يدر ما
يعمل فيها الى ان اجتمع مع ابي يعقوب كاتب ابي بكر ليتخذها فقال ابو بكر رايت الشيخ يعني
ابا بكر الماذرائي اليوم مشغول القلب اراد جمع مال وقد عجز عنه فقال له ابو الحسن
عندي عشرين الف دينار فقال جيني بها فانفذ بها اليه وجاه خطه بالمبلغ فاتفق
ان مضى ابو الحسن الى ابي بكر الماذرائي فقال له تلك الصفقة علقت ما عليها وفضل
اربعين الف دينار وقد حصل عندي عشرين الف دينار حملتها الى ابي يعقوب وه
وارسلت في استخراج الباقي واحمله فقال له الماذرائي ما هذا العجز انما اردت لك
يكون بيني وبينك حرفا من تفريطك وانما اردت حفظ المال عليك ثم امر ابا يعقوب
ان يرد اليه ما دفعه اليه وقال لابي الحسن رد عليه خطه فقبض ما دفعه الى ابي
يعقوب وبلغ خراج مصر في السنة التي دخل فيها جوهر القايد ثلثة الاف
دينار واربعماية الف دينار ونيف وقال في كتاب سيرة المعز لدين الله معد
ولستة عشر بقيت من المحرم سنة ثلث وستين وثلثماية قلد المعز لدين الله
الخراج ووجوه الاموال وغير ذلك يعقوب بن كلس وعسلوج بن الحسن وجلسا
عند هذا اليوم في دار الامارة في جامع ابن طولون للندا على الضياع وساير

وجوه الاموال وحضر الناس للقبالات وطالبوا بالبقايا من الاموال مما على المالكين
والمتقبلين والعمال وقال جامع سيرة الوزير الناصر للدين الحسن بن علي اليازوري
واراد ان يعرف قدر ارتفاع الدولة وما عليها من النفقات ليقايس بينهما فتقدم
الى اصحاب الدواوين بان يعمل كل منهم ارتفاع ما يجري في ديوانه وما عليه من النفقات
فعمل ذلك وسلمه الى متولي ديوان المجلس وهو زمام الدواوين فنظم عليه عملا جامعا
واحضره اياه فراى ارتفاع الدولة الفي الف دينار منها الشام الف الف دينار و
بازا ارتفاعه ومنها الريف وباقي الدولة الف الف دينار ينفق منها عن معلول
ومنكسر عن موتى وهراب ومفقود مائتا الف دينار ويبقى ثمانمائة الف دينار ينصرف
منها للرجال عن واجباتهم وكساويهم ثلثمائة الف دينار وعن ثمن غلة للقصور مائة
الف دينار وعن نفقات القصور مائتا الف دينار وعن عمائر وما يقام للضيوف
الواصلين من الملوك وغيرهم مائة الف دينار ويبقى بعد ذلك مائتا الف دينار حاصله
يحملها كل سنة الى بيت المال المصون فحظي بذلك عند سلطانه وخف على قلبه
وقال وانتهى ارتفاع الارض السفلى الى ما لا نسبة له من ارتفاعها الاول يعني
بعد موت اليازوري وحدوث الفتن وهو قبل سني هذه الفتن يعني في ايام
اليازوري ستمائة الف دينار كانت تحمل في دفعتين في السنة في مستهل رجب
ثلثمائة الف وفي مستهل المحرم ثلثمائة الف دينار فانضبط الارتفاع وعظمت الواجبات
وقال ابن ميسر وامر الافضل ابن امير الجيوش بعمل تقدير ارتفاع ديار مصر فجا
خمسة الاف الف دينار وكان متحصل الاهرا الف الف اردب وقال الامير
جمال الملك موسى بن المامون البطائحي في تاريخه من حوادث سنة احدى وخمسمائة
ثم راى القايد ابو عبد الله محمد بن فاتك البطائحي من اختلال احوال الرجال العسكرية
والمقطعين وتضررهم من كون اقطاعاتهم قد حسن ارتفاعها وساءت احوالهم
لقلة المتحصل منه وان اقطاعات الامرا قد تضاعف ارتفاعها وزادت عن عبرها
وان في كل ناحية من الفواضل للديوان جملة تجبى بعسف وتتردد الرسل من
الديوان بسببها فخاطب الافضل بن امير الجيوش في ان يحل الاقطاعات جميعها
ويروكها وعرفه ان المصلحة تعود في ذلك على المقطعين والديوان لان الديوان
يحصل له من هذه الفواضل جملة تحصل بها بلاد متوفرة فاجاب الى ذلك وحل
جميع الاقطاعات وراكها واخذ كل من الاقويا والمعتبرين يتضررون ويذكرون

ان لهم

ان لهم بساتين واملاك ومعاصر في نواحيهم فقال له من كان له ملك فهو باق عليه
لا يدخل في الاقطاع وهو يحكم ان شا باعه وان شا اجره فلما حلت الاقطاعات امتد
الضعفا من الاجناد ان تتزايد وانفقا فوقعت الزيادة في اقطاعات الاقويا الى ان
انتهت الى مبلغ معلوم وكتبت السجلات بابقائها في ايديهم الى مدة ثلثين سنة
لا يقبل عليهم فيها زايد واحضر الاقويا وقال لهم ما تنكرهون من الاقطاعات التي
كانت بيد الاجناد فقالوا كثرة عبرها وقلة متحصلها وخرابها وقلة الساكن بها فقال
لهم ابذلوا في كل ناحية ما تحمله وتقوى رغبتكم فيه ولا تنظروا في العبرة الاولى
فعند ذلك طابت نفوسهم وتزايدوا فيها الى ان بلغ الى الحد الذي رغب كل منهم فيه
فاقطعوا به وكتبت لهم السجلات على الحكم المتقدم فشملت المصلحة الفريقين وطابت
نفوسهم وحصل للديوان بلاد متوفرة مما كان في الاقطاعات بما مبلغه خمسون الف
دينار وقال في حوادث سنة خمس عشرة وخمسماية وكان قد تقدم امر الاجل
المامون بعمل حساب الدولة من الهلالية والخراجي ونظم على جملتين احدهما الى سنة
عشر وخمسماية الخراجية الهلالية والجملة الثانية الى اخر سنة خمس عشرة وخمسماية
هلالي وما يوافقها من الخراجية فانعقدت على جملة كثيرة من العين والاصناف وشرحت
باسما اربابها وتعيين بلادها فلما احضرت امر بكتب سجل يتضمن المسامحة بالبواقي
الى اخر سنة عشر وخمسماية ونسخت بعد التصدير ولما انتهى الينا حال المعاملين والضمنا
والمتصرفين وما في جهاتهم من بقايا معاملاتهم ارتمضنا لما تضمنه هذا السجل
من المسامحة قصدا الى استخلاص ضامن طالت عطلته وخربت ذمته وانقاد عامل
اجحف به من الديوان طلبته وتوفير الرغبة على عمارتها وجريها فيها على قديم عادتها
ولما كان ذلك من جميل الاحدوثة التي لم يسبق اليها ولا شارك ملك فيها اقتضت
الحال ايرادها في هذا الكتاب وابداعها هذا الباب لما اطلعنا عليه مما انتهت اليه
احوال الضمنا والمعاملين بالمملكة من الاختلال وتجدد البقايا في جهاتهم والاموال
عطفنا عليهم برافتنا ورحمتنا وطالعنا المقام الاشرف النبوي بما تتفصل من امورهم
والجملة واستخرجنا الامر العالي بوضع ذلك في الحال وانشا السجلات الكريمة معمومة
على ذكر هذا الاحسان وتنفيذها الى جميع البلدان لتقرا على رؤوس الاشهاد بسائر
البلاد ومبلغ ما انتهت اليه هذه المسامحة الواحي ضمن هذا السجل من العين
الفا الف وسبعماية الف وعشرون الف وسبعماية وسبعة وستون دينارا ونصف

وثلث وثلثا وربع قيراط ومن الفضة النقره اربع دراهم ومن الورق سبعة
وستون الفا وخمسة دراهم ونصف وسدس درهم ومن الغلة ثلثة الاف الف
وثمانماية الف وعشرة الاف ومايتان وتسعة وثلثون اردبا وثمن ونصف سدس
وثلثي قيراط ومن العناب اربع اراذب ومن دقيق الضياع الفان واربعماية
وثلثة اراذب ونصف ومن زريعة الوسمة عشرة ارادب وربع ومن
الصباغ الف واربعماية وثمانون قنطارا ورطل ونصف ومن العفوه اربعماية
وسبعون رطلا ومن الشب تسعماية وثلثة عشر قنطارا ونصف ومن الحديد
خمسماية واحد وثلثون رطلا ومن الزفت الف وثلثماية وثلثة ارطال وربع
وسدس ومن القطران تسعة عشر رطلا وسدس ومن الثياب الحلبي ثلثة
اثواب ومن المبازر ماية مبزر صوف ومن الغرابيل ماية وسبعون
غربالا ومن الاغنام مايتا الف وخمسة وثلثون الفا وثلثماية وخمسة رؤوس
ومن العشر ثلثماية وثلثة عشر قنطارا وثمانية وثلثون رطلا ومن السجل
ثلثماية الفا وخمسة وسبعون الفا وخمسماية وخمسون باعا ومن الجريد اربعماية
الف وثمانية وثلثون الفا وسبعماية وثلثة وخمسون جريدة ومن السلب الف
واربعماية وثلثة وعشرون سلبة ومن الاطراف ستة الاف وسبعماية وثلثة
اطراف ومن الملح الفان وسبعماية وثلثة وتسعون اردبا وثلث ومن الاسباب
احد عشر اردبا ومن الرمان الفاخرة ومن العسل النحل خمسماية واحد واربعون
قنطارا وسدس ومن الشهد اثنان وثلثون زيراوقا دوستا واحدا ومن الشمع
اربعماية واربعون رطلا ومن الحلايا ثلثة الاف واربعماية وخليتان ومن
عسل القصب ماية وثمانية وثمانون قسطا ومن الانقاذ اثنان وعشرون الفا
وماية واربعة وستون راسا ومن الدواب اربعة وسبعون راسا ومن السمن
الفان وتسعماية وستة وتسعون مطرا وسدس وثمن ومن الجبن ثلثماية
وعشرون رطلا ومن الصوف اربعة الاف وماية وثلثة وعشرون جزة ومن
الشعر ستة الاف وخمسون رطلا وربع ومن سوت الشعر بيتان وفصل ذلك
بجهاته ومعاملته ولما انتهى الى المامون ما يعتمد في الديوان من قبول
الزيادات وفسخ عقود الضمانات واشتراعها لما كابد فيها المشقة والتعب وتسليمها
الى باذل الزيادة من غير كلفة ولا نصب انكر ذلك ومنع من ارتكابه ونهى عن
الربع

الولوج في بابه وخرج امره باعفا الكافة اجمعين والضمنا والمعاملين من قبول
الزيادة فيما يتصرفون فيه ويستولوا عليه ما داموا متعلقين وباقساطهم قايمين
وتضمن ذلك منشور قرئ في الجامعين الازهر بالقاهرة والعتيق بمصر ودواوين
المجلس والخاص الامرين السعيدين ونسخته بعد التصدير ولما انتهى الينا
ولي حضرتنا ما يعتمد في الدواوين ويقصده جماعة من المتصرفين والمستخدمين في
تضمين الابواب والرباع والبساتين والحمامات والقياصر والمساكن وغير ذلك
من الضمانات للراغبين فيها ممن يستمر معاملته ولا ينكر طريقته فما هو الا ان يحضر
من يزيد عليه في ضمانه حتى قد نقض عليه حكم الضمان وقبل ما بذل من
الزيادة كاينا ما كان وقبضت يد الضامن الاول عن التصرف ومكن الضامن الباقي
من التصرف من غير رعاية للعقد على الضامن الاول ولا تحرز في فسخه الذي لا
يبيحه الشرع ولا تناول انكرنا ذلك على معتمد به وذممناه من قصد فاعليه
ومرتكبيه اذ كان للحق محاببا وعن مذاهب الصواب ذاهبا وعرضنا ذلك بالمواقف
المقدسة المطهرة ضاعف الله انوارها وعلى ابد امتدادها واستخرجنا الاوامر
المطاعة في كتب هذا المنشور الى ساير الاعمال بانه اي احد من الناس ضمن
ضمانا من باب او ربع او بستان او ناحية او كفر وكان لاقساط ضمانه موديا ولما
يلزمه من ذلك مبديا وللحق متبعا فان ضمانه باق في يده لا يقبل زيادة عليه مدة
ضمانه على العقد المعقود عملا بالواجب والنظام المحمود واتباعا لما امر الله تعالى
به في كتابه المجيد اذ يقول جل من قايل يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود والى ان
تنقضي مدة الضمان ويزول حكمها ويذهب وضعها ورسمها حملا على قضية الواجب
وسننها واعتمادا على حكم الشريعة التي ما ضل من اهتدى بغرايبها وسننها
فاما من ضمن ضمانا ولم يقم بما يجب عليه فيه واصر على المدافعة والمغالطة
التي لا يعتمدها الا كل ذميم الطباع سفيه فذلك الذي يفسخ حكم ضمانه وينقضه
الشروط المشروطة عليه وحكمه حكم من اذا زيد في ضمانه نقل عنه واخرج من
يديه لانه الذي بدا بالفسخ واوجد السبيل اليه فليعتمد كافة ارباب
الدواوين وجميع المتصرفين والمستخدمين العمل بما تضمنه هذا المنشور
وامتثال المامور وحمل هولا الضمنا والمعاملين على ما نص فيه والحذر
من تجاوزه وتعديه بعد ثبوته في دواوين المجلس والخاص الامرين السعيدين

ويحيث ببنت مثله ان شا الله تعالى ذلك ووصلت المكاتبه من الوالي والمشارف ومن
كان بديه صحبته لكشف الاراضي والسواقي ومساحة متضمنة ما اظهره الكشف
واوضحته المساحة على من بيده السواقي وهم عدة كبيرة من جملتها ساقيه مساحتها
بلثمانية وستون فدانا تشتمل على النخل والكرم وقصب السكر بمدينة اسنا خراجها
في السنة عشرة دنانير وما يجري في الاعمال هذا المجرى وانهم وضعوا يد الديوان
على جميع وطلبوا من ارباب السواقي ما يدل على ما بايديهم فذكروا انها استغلت
اليهم ولم يظهروا ما يدل عليها وقد سيروا املاكها الى الباب تحت الحوطة ليخرج
الامر بما يعتمد عليه في امرهم وعند وصولهم اوقع الترسيم بهم الى ان يقوموا
بما يجب من الخراج عن هذه السواقي فان الاملاك بجملتها لا تقوم بما يجب عليها فوقف
المذكورون للمامون في يوم جلوسه للمظالم فامر بحضورهم بين يديه وتقدم
الى القاضي جلال الملك ابي الحجاج يوسف بن ابي ايوب المغربي وهو يومئذ قاضي
القضاه بمحاكمتهم فجرى له معهم مفاوضة اوجبت الحق عليهم والزمهم القيام
بما يستغرق حالهم واملاكهم فحصل من مقصودهم ما اوجب العاطفة عليهم
واخذهم بالخراج من بعد وان يضرب عما تقدم صفحا وكتب منشور نسخته
قد علم الكافه ما نراه من افاضة سحب العدل عليهم والاحسان والنظر في مصالح
كل قاص منهم ودان وانا لا ندع ضررا يتوجه الى احد من الرعية الا حسمناه ولا
نعلم صلاحا يعود نفعه عليهم الا فوينا سببه ووصلناه حسب ما يتعين على
رعاة الامم وعملا بالواجب في البعيد والامم وسلوكا لمحجة الدولة الفاطمية خلد
الله ملكها القويمة واستمرارا على قضاياها وسجاياها الكريمة ولما كنا نرى النظر
في مصالح الرعية امرا واجبا ونصرف الى سياستهم عزما ماضيا ورايا ثاقبا كذلك
نرى النظر في امور الدواوين واستيفا حقوقها المصروفه الى حماية البيضة
والمحاماة عن الدين وجهاد الكفرة والملحدين ليكون ما نراعيه وننظر فيه جاريا
على سنن الواجب محروسا من الخلل باذن الله من جميع الجوانب ومن الله نستمد
مواد التوفيق في الحل والعقد ونساله الارشاد الى سوا السبيل والقصد
وما توفيقنا الا بالله عليه نتوكل وهو حسبنا ونعم الوكيل وكان القاضي
الرشيد بن الزبير ايام مشارفته الصعيد الاعلى قد طالع المجلس الافضلي
بحال ارباب الاملاك هناك وانهم قد استضافوا الى ما كان من املاك الدواوين

اراضي

اراضي اغتصبوها ومواضع مجاورة لاملاكهم تعدوا عليها وخلطوها بها وحازوها ورسم
له كشفها ونظم المشارح بها وارتجاعها للديوان وان يعتمد في ذلك ما يوجبه حكم
العدل المبثوث في كل قطر واوان وتاخر ذلك سيرنا من الباب من يكشف ذلك
على حقيقته وانهايه على طيته فاعتمد وامتثل امرنا به من الكشف في هذه الاملاك
ووردت المطالعة منهم بانهم التمسوا ممن بيده ملك او ساقية ما يشهد بصحة ملكه
ومبلغ فدنه وذكر حدوده فلم يحضر احد منهم كتابا ولا اوضح جوابا واصدروا
للديوان المشارح بما كشفوه واوضحوه فوجد التعدي فيه ظاهرا وباب الحيف
والظلم غير متقاصر والشرع يوجب وضع اليد على ما هذه حاله ومطالبة صاحبه
بريعه واستغلاله لاسيما وليس بيده كتاب يشهد بصحة الملك راسا ولا يستند في
ذلك الى حجة ادخرها احترازا مما هذه سبيله واحترا ساكن بحكم ما نراه من المصلحة
للرعية والعدل الذي اقمنا مناره واحيينا معالمه واثاره مع الرعية في عمارة
البلاد ومصالح احوالها واستنباط الارضين الداثرة وانشا الغروس واقامه السواقي
بها امرنا بكتب هذا المنشور وتلاوته باعمال الصعيد الاعلى باقرار جميع الاملاك
والارضين والسواقي بايدي اربابها الان من غير انتزاع شي منها ولا اخراجه
وان يقوم عليها من الخراج ما يجب تقريره ويشهد الديوان على امثالهم بمثله احسانا
اليهم لم نزل نتابع مثله ونواليه وانعاما ما برحنا نفيضه عليهم ونبديه وقد ابتغينا
وتجاوزنا عما سلف وعفينا من يستانف وسامحنا من خرج الى التعدي عن
المالوف وجرينا على سنتنا في العفو المعروف وجعلناها توبة مقبولة من الجماعة
الجانين ومن عاد من الكافه اجمعين فلينتقم الله منه وطولب بمستانفه واسيه
وبرئت الذمة من ماله ونفسه وتضاعفت عليه الغرامة والعقوبة وسدت
في وجهه ابواب الشفاعة والسلامه وقد فسحنا مع ذلك لكل من رغب في عمارة
ارض طعا داثره واداره بير مهجورة معطلة في ان يسلم اليه ذلك ويقاس عليه
ولا يوخذ منه خراج الا في السنة الدايرة الرابعة من تسليمه اياه وان يكون المقرر
على كل فدان ما يوجبه زراعته لمثله خراجا موبدا وامرا موكدا فليعتمد ذلك
النواب وحكام البلاد ومن جرت العادة بحضوره مجلس عقده واحضار جميع
ارباب الاملاك والسواقي واشعارهم ما شملهم من هذا الاحسان التي تجاوز امالهم
في اجابته الى ما كانوا انيسالون فيه ويقرر ما يجب على الاملاك المذكورة من الخراج

على الوضع الذي مثلناه وتخير الديوان تعويضه ويرضاه مع تضمين الاراضي الدائرة
والآبار المعطلة لمن يرغب في ضمانها ونضم المشارح بذلك واصدارها الى الديوان لتخلد
فيه على حكم امثالها بعد ثبوت هذا المنشور بحيث يثبت مثله قال ولما سرت
هذه المصالح الى جميع اهل الاعمال حصل الاجتهاد في تحصيل مال الديوان وعمارة
البلاد واعلم انه لم يكن في الدولة الفاطمية بديار مصر ولا فيما مضى قبلها من
دول امرا مصر لعساكر البلاد اقطاعات بمعنى ما عليه الحال اليوم في اخبار الدولة
التركية وانما كانت البلاد تضمن بقبالات معروفة لمن شاء من الامرا والاجناد
والوجوه واهل النواحي من العرب والقبط وغيرهم ولا تعرف هذه الابنة التي
تقال لها اليوم الفلاحة ويسمى المزارع المقيم في البلد فلاحا فيصير عبدا قنا لمن
اقطع تلك الناحية الا انه لا يرجو قط ان يباع ولا ان يعتق بل هو قن ما بقي ومن
ولد له كذلك بل كان من اجاز زراعة ارض يتقبلها كما تقدم وحمل ما عليه لبيت
المال فاذا صار مال الخراج بالديوان انفق في طوائف العسكر من الخزاين وكان
مع ذلك اذا انحط ما النيل عن الاراضي وتعلقت نواحي مصر باصناف الزراعات
ندب من الحضرة من فيه نباهة وخرج معه عدول يوثق بهم وكانت له معرفة
بعلم الخراج وكثيرا ما كان هذا الكائن من النصارى الاقباط ويخرج الى كل ناحية
من ذكرنا يحررون مساحة ما شمله الري من الاراضي مما لعله بار او شرق
ويكتب بذلك مكلفات واضحة بالعدد والقطايع على جميع الاصناف المزدرعة
ويحضر الى دواوين الباب فاذا مضى من السنة القبطية اربعة اشهر ندب من
الاجناد من عرف بالحماسة وقوة البطش وعين معه من الكتاب العدول
من قد اشتهر بالامانة وكانت من نصارى القبط غير من خرج عند المساحة
وساروا الى كل ناحية كذلك فاستخرج مباشرو اهل كل بلد ما وجب من مال
الخراج على ما شهدت به المكلفات فاذا حضر هذا الثلث صرف في واجبات
العساكر وهكذا العمل في استخراج كل قسط طول الزمان من كل سنة وكانت
تبقى في جهات الضمان والمتقبلين جملة بواق وكانت بلاد مصر اذ ذاك تتقبل
بعين وغلة واصناف وقد عرفت ذلك من نسخة المسموح الذي تضمن
ترك البواقي في ايام الخليفة الامر باحكام الله ووزارة المامون البطايحي
ورايت بخط الاسعد بن مهذب بن زكريا بن مماتي الكاتب المصري سالت

الافضل

القاضي الفاضل عبد الرحيم كم كانت عدة العسكر في عرض ديوان الجيش لما كان سيدنا
يتولى ذلك ايام رزيك الصالح فقال اربعين الف فارس وستة وثلثين الف راجل
السودان وقال ابو عمرو عثمن النابلسي في كتاب حسن السيرة في اتخاذ الحصن
بالجزيرة ان ضرغام لما ثار على شاور وقرشا والى السلطان نور الدين محمود
بن زنكي بدمشق يستنجد به على ضرغام ويعده بانه يكون نايبا عنه بمصر ويحمل
اليه الخراج انشا لنور الدين عزما لم يكن فجهز الف فارس وقدم عليهم اسد
الدين شيركوه وامره بالتوجه فابا وقال لا امضي ابدا فان هلاكي ومن
معي وسو سمعة السلطان معلوم من هنا وكيف امضي بالف فارس الى اقليم
فيه عشرة الاف فارس ومايه سمي فيه عشرة الاف مقاتل واربعين
الف عبد وقوم مستوطنين في اوطانهم قريب خزائنهم ونحن نايبهم من تعب
السفر بهذه القلة القليلة قلت ثم اجابه بعد ذلك هذا اعزك الله بعد
ما كانت عساكر احمد بن طولون كما ستراه في ذكر القطايع ان شا الله تعالى ثم
ما كان من عساكر الامير ابي بكر محمد بن طغج الاخشيد وهي على ما حكاه غير واحد
منهم ابن خلكان انها كانت اربعمايه الف ولما انقضت دولة الفاطميين بدخول
الغز من بلاد الشام واستولى صلاح الدين يوسف بن ايوب على مملكة مصر
تغير الحال في ذلك كله قال القاضي الفاضل في متجددات سنة سبع وستين
وخمسمايه انه في المحرم خرجت الاوامر الصلاحية بركوب العساكر قديمها وجديدها
بعد ان اندر حاضرها وغايبها وتوافى وصولها وتكامل سلاحها وجيوبها لحضر
في هذا اليوم من جموع شهد كل حر علا سنه وفرطس ظنه ان الملكا من
ملوك الشام لم يحز مثله وشاهدت رسل الروم والفرنج ما ارغم انوف
الكفر ولم يتكامل اختبار العساكر موكبا بعد موكب وطلبا بعد طلب والطلب
بلغة الغز هو الامير المقدم الذي له علم معقود وبوق مضروب وعدة
من مايتي فارس الى مايه فارس الى سبعين فارس الى ان مضى النهار ودخل
الليل وعادوا ولم يكمل عرضهم وكانت العدة الحاضرة مايه سبعة واربعين
طلبا والغايب منها عشرون طلبا وتقدير العدة شاهر اربعة عشر الف
فارس اكثرها طواشيه والطواشي من رزقه الى سبعمايه الف الى مايه
وعشرين وما بين ذلك وله برك من عشرة روس الى ما دونها ما بين فرس

وبودون وبغل وجمل وله غلام يحمل سلاحه وقراغلاميه تتمة الجملة قال وفي هذه
السنة عرض العربان الجذاميين فكانت عدتهم سبعة الاف فارس واستقرت
عدتهم على الف وثلثمايه فارس لا غير واخذ بعد الحكم عشر الواجب وكان اصله
الف الف دينار على حكم الاعتداد الذي يتاصل ولا يتحصل وكلف الثعالبه ذلك
فاستعصوا او لوحوا بالتحيز الى الفرنج قال في متجددات شهر رجب سنة سبع
وسبعين وخمسمايه استمر انتصاب السلطان صلاح الدين في هذه السنة
للنظر في امور الاقطاعات ومعرفة عبرها والنقص منها والزيادة فيها
واساءة المحروم وزيادة المشكور الى ان استقرت العدة على ثمانية الاف وستماية
واربعين فارسا امرا مايه واحد عشر امرا طواشيه ستة الاف وسبعمايه
ستة وسبعون قراغلاميه الف وخمسمايه ثلثه وخمسون والمستقر لهم
من المال ثلثه الاف الف وستماية الف وسبعون الفا وخمسماية دينار
وذلك سوي المحلولين من الاجناد الموسومين بالحواله علي العشر وعن
عدة العربان المقطعين بالشرقيه والبحيره وعن الكنانيين والمصريين والفقها
والقضاة والصوفيه وعما يجري في الدواوين ولا ينقص عن الف الف دينار
قال في متجددات سنة خمس وثمانين وخمسمايه اوراق بما استقر عليه
عبر البلاد من اسكندرية الى عيذاب الى اخر الربع والعشرين من شعبان
سنة خمس وثمانين وخمس مايه خارجا عن العقود وارباب الاموال
الديوانيه والاحكار والحبس ومغلوط ومسقاط وعدة نواحي اوردت
اسماها ولم يعين لها في الديوان عبرة من جملة اربعة الاف الف وستماية
الف ثلثه وخمسين الفا وتسعة عشر دينارا بعد ما يجري في الديوان
العادلي السعيد وغيره عن الشرقيه والمرتاحيه والدقهليه وبوش
وغير ذلك وهو الف الف ومايه الف وتسعون الفا وسبعماية ثلثه وعشرون
دينارا يفصل ذلك الديوان العادلي سبعماية الف وثمانيه وعشرون
الفا ومايتين ثمانيه واربعين دينارا الامرا والاجناد المرسوم باقطاعهم
بالاعمال المذكوره مايه الف وثمانيه وخمسون الفا ومايتين وثلثه دنانير
ديوان السور المبارك والاشراف ثلثه عشر الفا وثمانماية واربعة دنانير
العربان ماتنا الف واربعه وثلثون الفا ومايتين وسته وتسعون
دينارا

دينارا الكنانيه خمسة وعشرون الفا واربعمايه واثني عشر دينارا القضاة والشيوخ
سبعة الاف واربعمايه وثلثه دنانير القيمازيه والصالحيه والاجناد المصريين اثنا عشر
الفا وخمسماية واربعة دنانير الغزله والعساكره المركزه بدمياط وتنيس وغيرهم عشرة
الاف وسبعمايه وخمسة وعشرون دينارا البارز ثلثه الاف الف واربعماية الف
واثنان وستون الفا وخمسه وتسعون دينارا الوجه البحري الف الف ومائة
الف واحد وخمسون الفا وستمايه وثلثه وخمسون دينارا تفصيله ضواحي ثغر
الاسكندريه ثمانماية الف ومائة وثمانين وثلثين دينارا ثغر رشيد
الف دينار البحيره مائة الف وخمسة عشر الف وخمسمايه وستة وسبعين دينارا
حوف رمسيس اثنان وتسعون الفا وخمسمايه وستة وسبعين واربعمايه وثلثه
دنانير فوه والمزاحمتين عشرة الاف ومايه خمسه وعشرين دينارا النستر وبه
خمسة عشر الفا وثلثماية وخمسة دنانير جزيرة بني نصر مائة الف واثنا
عشر الفا وستمايه وستة واربعون دينارا جزيرة قويسنا مائة الف وثلثون
الفا وخمسماية واثنان وتسعون دينارا الغربيه ستماية الف واربعة وسبعون
الفا وستمايه وخمسة دنانير السمنوديه مائتا الف وخمسة واربعون الفا
واربعماية وتسعه وسبعون دينارا الدنجاويه سته واربعون الفا ومائتان
واربعه وسبعون دينارا المنوفيه مايه الف وثمانيه واربعون الفا وثلثماية
وتسعة واربعون دينارا الوجه القبلي الف الف وستماية الف وعشرة
الاف واربعماية واحد واربعون دينارا تفصيل ذلك الجيزه مائة الف وثلثه
وخمسون الفا ومائتان واربعة دنانير الاطفيحيه تسعون تسعة وخمسون
الفا وسبعماية وثمانيه وعشرون دينارا البوصيريه ستون الفا واربعماية وستة
وستون دينارا الفيوميه مائة الف واثنان وخمسون الفا وسبعماية وثلثة
دنانير البهنسيه ثلثماية الف واثنان وخمسون الفا وستماية واربعة وثلثون
دينارا الواحات الداخله والخارجتين ونواح البهنسا خمسة وعشرون الف
دينار الاشمونين مائة الف وسبعة واربعون الفا وسبعماية واثنان وثلثون
دينارا السيوطيه خارجا عن مغلوط ومسقاط اثنان وسبعون الفا وخمسماية
واربعة دنانير الاخميميه مائة الف وثمانية الاف وثمان مايه واثنا عشر دينارا
الاعمال القوصيه ثلثماية الف واثنان وستون الفا وخمسماية دينار ثغر اسوان

خمسة وعشرون الف دينار تغير عبرة اب يجري في عبرة هذا الديوان وقال في
مجدد لك سنة ثمان وثمانين وخمسمائة الذي انعقد عليه ارتفاع الديوان السلطاني
بلثمانية الف واربعة وخمسون الفا واربعمائه واربعة واربعون الفا دينارا والذي
تميز ساير الارتفاع لسنة سبع وثمانين وخمسمائة على ارتفاع سنة ست وثمانين اثنان
وعشرون الفا وستمائة واربعمائة وخمسة واربعون دينارا والذي انساق من الباقي
للسنة المذكورة احد وثلثون الفا وستمائة واثنان وعشرون دينارا والذي اشتمل
عليه متحصل ديوان الخاص الملكي الناصري بالديار المصرية لسبع وثمانين وخمسمائة
ثلثمائة الف واربعة وخمسون الفا واربعمائة واربعة وخمسون دينارا ونصف
وثلث وثمن ذكر الروك الاخير الناصري وكان الجندي اقطاعه بمفرده
وله منه واحد من عشرين الف درهم الى ثلثين ومنهم من اقطاعه خمسة عشر الف درهم
واقلهم عشرة الاف وذلك سوى الضيافة ويبلغ خمسة الاف درهم في الاقطاع النبيل
وكان الجندي يخرج الى البيكار وله خيل وقطار جمال ويخرج مقدم الحلقة كامير
عشرة ويكون مضافيه اذا نزل حوله واكثرهم ياكل على سماطه ولا يمكن الامير ان
ياكل الا وجميع اجناده معه وياخذ غلمان اجناده كل يوم الطعام من مطبخه واذا
راى نارا انقد سال عنه فيقال ان فلانا اشتهى كذا فانه يغضب ممن لا ياكل عنده
ومع ذلك كانت اسمطتهم متسعة وملابسهم غير طائلة الى ان فنيت السلطنة
الى المامون لاجين راك البلاد وذلك ان ارض مصر كانت اربعة وعشرين قيراطا
يخص السلطان منها اربع قراريط ويخص الامرا عشرة قراريط ويخص الاجناد عشرة
قراريط وكان الامرا ياخذون كثيرا من اقطاعات الاجناد فلا يصل الى الاجناد منها كبير شي
ويصير ذلك الاقطاع في دواوين الامير ويحمي بها قطاع الطريق ويثور بها الفتن
ويقوم الهوشات ويمنع منها الحقوق والمقررات الديوانية ويصير كله لغوان الامرا
ويستخدمونهم ومضرة على اهل البلاد التي تجاورها فابطل السلطان ذلك ورد تلك
الاقطاعات على اربابها واخرجها باسرها من دواوين الامرا واول ما بدا به ديوان نائبه
الامير سيف الدين منكوتمر نايب السلطنة فاخرج منه ما كان فيه من هذه الاقطا
وكان يتحصل له منها مائة الف اردب غلة في كل سنة فاقتدى به جميع الامرا واخرجوا
ما في اقطاعاتهم من ذلك فبطلت الحمايات وجعل السلطان في هذا الروك للامرا
والاجناد احد عشر قيراطا وافرد تسعة قراريط ليستخدم عسكرا ويقطعه اياها ثم رتب

اوراقا

اوراقا سكنه الامرا والاجناد بعشرة قراريط ووفر قيراطا الزيادة من عساه يطلب زيادة
لقلة متحصل اقطاعه وافرد لخاص السلطان عدة اعمال جليلة وافرد النايب منكوتمر
اقطاعا جليلا فانتهى عمل ذلك في ثامن شهر رجب سنة سبع وتسعين وستمائة وجلس
النايب منكوتمر لتفرقة المثالات في تاسعه فنكرت قلوب الامرا حتى كان من قتل
المنصور لاجين ونائبه منكوتمر ما كان فلما كانت الايام الناصرية محمد راك البلاد
قال جامع السيرة الناصرية وفي سنة خمس عشرة وسبعمائة اختار السلطان
الملك الناصر محمد بن قلاوون ان يروك الديار المصرية وان يبطل منها مكوسا
كثيرة ويفضل لخاص مملكته شيا كثيرا من اراضي مصر وكان سبب ذلك انه اعتبر
كثيرا من اجناد المماليك والحاشية الذين كانوا للملك المظفر ركن الدين بيبرس
الجاشنكير والامير سلار وساير المماليك البرجية فاذا هي ما بين الف دينار الى ثمان
مائة دينار وخشي من قطع اجنادهم المذكورين فولد له الراي مع القاضي فخر الدين
محمد بن فضل الله ناظر الجيش ان يروك ديار مصر ويغير اقطاعات ما يختاره ويكتب
بها مثالات سلطانية فتقدم الفخر ناظر الجيش لدواوين الجيش بعمل اقطاعات اوراق
بما عليه عبرة النواحي ومساحتها وعين السلطان لكل اقليم من اقاليم ديار مصر
اناسا وكتب مرسوما للامير بدر الدين جنكلي بن البابا ان يخرج لناحية الغربية
ومعه اقول الحاجب ومن الكتاب المكين بن قرونيه وان يخرج الامير عز الدين ايدمر
الخطيري الى ناحية الشرقية ومعه الامير ايتمش المحمدي ومن الكتاب امين الملك
قرموط وان يخرج الامير بلبان الصرخدي والقلنجقي وابن طرنطاي وبيبرس
الجمدار الى ناحية المنوفية والبحيرة وان يخرج التليلي والمرتيني الى الوجه القبلي
وندب معهم كتابا ومستوفين وقياسين فساروا الى حيث ذكر وكان كل منهم اذا نزل
باول عمله طلب مشايخ كل بلد ودلالها وعدولها وقضاتها وسجلاتها الذي بايدي
مقطعيها وفحص عن متحصلها من عين وغلة واصناف ومقدار ما تحوي عليه من
الفدن ومزدرعها وبورها وما فيها من باق وراتب وخرس ومستبحر وعبرة الناحيه
وما عليها لمقطعها من غلة ودجاج وخراف وبرسيم وكشك وكعك وغير ذلك من
الضيافة فاذا حرر ذلك كله ابتدا بقياس تلك الناحية وضبط بالعدول والقياسين
وقاضي العمل ما يظهر بالقياس الصحيح وطلب مكلفات تلك القرية وقندافها وفصل ما
فيها من الخاص السلطاني وبلاد الامرا واقطاعات الاجناد والرزق حتى ينتهي الى اخر

عمله ثم حضر وابعد خمسة وسبعين يوما وقد تحرر في الاوراق المحضرة حال جميع
ديار ارض مصر ومساحتها وعبرة اراضيها وما يتحصل عن كل قرية من عين وغلة وصنف
وطلب السلطان الفخر ناظر الجيش والتقي الاسعد بن امير الملك المعروف بكاتب برلغي
وسائر مستوفي الدولة والزمهم بعمل اوراق تشتمل على بلاد الخاص السلطاني التي
عينها لهم وعلى اقطاعات الامرا واضاف على كل بلد ما كان على فلاحيها من ضيافة لمقطعها
ولتضاف الى العبرة ما في الاقطاع من الحوالي وكتبت مثالات للاجناد باقطاعات على
هذا الحكم واعتد منها بما كان يصرف في كلف حمل الغلال من النواحي الى ساحل القاهرة
وما كان عليها من المكس وابطل السلطان عدة مكوس **منها** مكس ساحل الغلة
وكان جل متحصل الديوان وعليه اقطاعات للامرا والاجناد ويتحصل منه في السنة
اربعة الاف الف وستمائة الف درهم وعليه اربعمائة مقطع لكل منهم من عشرة الاف
الى ثلثة الاف ولكل من الامرا من اربعين الفا الى عشرة الاف وكانت جهة عظيمة
لها متحصل كبير جدا وينال المباشرين منها منافع لا تحصى ويحل بالناس من ذلك بلاء شديد ابد
وتعب عظيم من المغارم والظلم فان مظالمها كانت تتعدد ما بين نواتية تسرق وكيالين
تبخس وشادين وكتاب يريد كل منهم شيا وكان مقرر الاردب درهمين السلطاني ه
وللجهة نصف درهم غير ما ينهب ويسرق وكان لهذه الجهة مكان يعرف بحصن الكيالة
في ساحل بولاق يجلس فيه شاد ومستوفون متعمما بين كتاب ومستوفيين وناظر
ومعتا ويلتون جنديا مباشرين ولا يمكن احد من الناس ان يبيع قدحا من غلة في
سائر النواحي بل يحمل الغلات حتى تباع في حصن الكيالة ببولاق ومما ابطل ايضا نصف
السمسرة وهو عبارة عن ان من باع شيا من الاشيا فانه يعطي اجرة الدلال على
ما تقرر من القديم عن كل مائة درهم درهمين فلما ولي ناصر الدين الشيخي الوزارة قرر
على كل دلال من دلالته درهما من كل درهمين فصار الدلال يعمل بعد له ويجتهد حتى يحصل
عادته ويصير الغرامة على البايع فتضرر الناس من ذلك وتاذوا فلم يغاثوا حتى ابطل
ذلك السلطان ومما ابطل **رسوم الولاية** وكانت جهة تتعلق بالولاة والمقدمين
فيجبيها المذكورون من عرفا الاسواق وبيوت الفواحش ولهذه الجهة ضامن تحت
يده عدة صبيان وعليها جند مستقطعون وامرا وغيرهم وكانت تشتمل على ظلم شنيع
وفساد قبيح وهتك قوم مستورين وهجم بيوت اكثر الناس ومما ابطل **مقرر الخاص**
والبغال من المدينة وسائر معاملات مصر كلها من الوجه القبلي والبحري فكان على كل
ن

من الولاة والمقدمين مقرر يحمل في كل قسط من اقساط السنة الى بيت المال عن
ثمن خياطة ثلثمائة درهم وعن ثمن بغل خمسمائة درهم وعلى هذه الجهة عدة مقطعين
ويفضل منها ما يحمل وكان يصيب الناس من هذه الجهة ما لا يوصف ويحل بهم من عسف
الرقاصين ما يهون معه الموت ومن ذلك **مقرر السجون** وهو عبارة عما
يوخذ من كل من سجن فللسجان على حكم المقرر ستة دراهم سوى كلف اخرى وعلى هذه
الجهة عدة مقطعين ويرغب فيها الضمان ويتزايدون في مبلغ ضمانها لكثرة ما
يتحصل منها فانه كان لو تخاصم رجل مع امراته او ابنه رفعه الوالي الى السجن فبمجرد
ما يدخل السجن ولو لم يقم به الا لحظة اخذ منه المقرر وكذلك كان على سجن القضاة
ايضا ومن ذلك **مقرر طرح الفراريج** ولها ضمان عدة في سائر نواحي ارض
مصر يطرحون على الناس الفراريج فيمر بضعفا الناس من ذلك بلاء ويقاسي الارامل
من العسف والظلم شيا نكرا وكان على هذه الجهة عدة مقطعين ولا يمكن احد من
الناس في جميع الاقليم ان يشتري فروجا فما فوقه الا من الضامن ومن عثر
عليه انه اشترى او باع فروجا من سوى الضامن جاه الموت من كل مكان وما هو
بميت ومن ذلك **مقرر الفرسان** وهو عبارة عما يجبيه ولاة النواحي من
سائر البلدان فلا يوخذ درهم مقرر حتى يغرم عليه صاحبه درهمين ويقاسي الناس
فيه اهوالا صعبة ومن ذلك مقرر الاقصاب **والمعاصر** وهو ما يجبى من مزارع قصب
السكر ومن المعاصر ورجال المعاصر ومن ذلك رسوم الافراح ويجبى من سائر
النواحي ولهذه الجهة عدة ضمان ولا يعرف لهذه الجهة اصل البتة ولعا يجبى بضرايب
ينال الناس فيها مع المقرر غرامات وروعات ومن ذلك **حماية المراكب**
وهي عبارة عما يوخذ من كل مركب تتقرر معين يعرف بمقرر الحماية وكانت هذه
الجهة اشد ما ظلم به الناس فيوخذ من كل من ركب البحر للسفر حتى من السوال
والمكديين ومن ذلك **حقوق القينات** وهو عبارة عما يجبى من الفواحش والمنكرات
يجبيه ضمان الطشت خانه السلطانية من اوباش الناس ومن ذلك **نشد الزعما**
وهي جهة مفردة وحقوق السودان وكشف المراكب ومقرر ما على كل جارية او عبد
حين نزولهم بالخانات لعمل الفواحش فيوخذ من كل ذكر وانثى تقرر معين ومتوفر
الجراريف وهو ما يجبى من ساير النواحي فيحمل ذلك بعد سد البلاد الى بيت المال
باعانة الولاة لهم في تحصيل ذلك وعلى هذه الجهة عدة مقطعين من الجند **ومقرر**

المشاعلية وهو عبارة عما يوخذ من كسح الافنية وحمل ما يخرج منها من الوسخ الى
الكيمان وكان اذا امتلا سراب حمام او مسمط او جامع او مدرسة او تربه او منزل من
منازل ساير الناس لا يمكنه ولو بلغ من العظمة ما عسى ان يبلغ التعرض لذلك
حتى يا تيه ضامن الجهة ويقاوله على كسح ذلك بما يريد وكان من عادة الضامن
الاشتطاط فى السوم وطلب اضعاف القيمة فان لم يرض رب المنزل بما طلب
الضامن والا تركه وانصرف فلا يقدر على مقاساة ترك الوسخ ويضطر الى سواله ثانيا
فيتعاظم بحكمه ويستد باسه الى ان يراضيه بما يختار حتى يتمكن من كسح قناته ورفع
ما هناك من الاقذار ومن ذلك ابطال المباشرين من النواحى وكانت بلاد
مصر كلها من الوجهين القبلى والبحرى ما من بلد صغيرا وكبيرا الا وفيه عدة من كتاب
وشاد ونحو ذلك فابطل السلطان المباشرين وتقدم بمنعهم من مباشرة النواحى
الا من بلد فيها مال السلطان فقط فاراح الله سبحانه الخلق بابطال هذه الجهات
من بلا لا يقدر قدره ولا يمكن وصفه ولما ابطل السلطان هذه الجهات وفرغ
من تعيين اقطاعات الامرا واخباز الاجناد افرز لخاص السلطان من بلاد ارض
مصر عدة نواحى مما كان فى اقطاعات البرجية وهى الجيزه واعمالها وهو والكوم
الاحمر ومنفلوط والمرج والخصوص وغير ذلك مما يبلغ عشر قراريط من الاقليم
وصار لاقطاعات الامرا والاجناد وغيرهم اربعة عشر قيراطا ومكر الاقباط فيما
مكرهم فيه بيد وابان اضعفوا عسكر مصر ففرقوا الاقطاع الواحد فى عدة جهات
فصار بعض الخبز فى الصعيد وبعضه فى الشرقية وبعضه فى الغربية ابغا با للجندى وتكثيرا
لكلفه وافردوا الجوالى الذمه من الخاص وفرقوها فى البلاد التى اقطعت للامرا والاجناد
فان النصارى كانوا مجتمعين فى ديوان واحد كما سنقف عليه ان شا الله وصار نصارا
كل بلد يدفعون جاليتهم الى مقطع تلك الضيعة فانسع مجال النصارا وصاروا ينتقلون
فى القرى ولا يدفعون من جزيتهم الا ما يريدون فقل متحصل هذه الجهة بعد كثرتها
وافردوا ما بقى من جهات المكوس برسم الحوايج خاناه التى تصرف فى السماط ثمنا ولولا
ذلك ويورد واسمه ما شاوا ثم تتولوا صرف ما يحصل منه فى جهات تصرف ويستهلك
بالاكل وصارت جهات المكوس مما تحدث فيه الوزير وشاد الديوان ثم نظر السلطان
فيما كان بيد الاميرين بيبرس الجاشنكير وسلار نايب السلطنة من البلاد فاخذ
ما كان باسم كل منهما وباسم حواشيه ولم يدع من ذلك شيا مما كانوا قد وقفوه حتى

حله وعمل الجميع اقطاعات واعتد فى ساير الاقطاعات بما كان يستشهد به المقطع من
فلاحه فحسب ذلك واقامه من جملة عبرة الاقطاع وابطل الهدية فلم يتهيا له
الفراغ من ذلك الى اخر السنة فلما اهل المحرم من سنة ست عشرة وسبعماية
وقد نظمت الحسبانات على ثلث مغل سنة خمس عشره جلس السلطان فى الايوان
الذى استجده بقلعة الجبل وقد تقدم لساير نقبا الاجناد على لسان نقيب الجيش
بالحضور باجنادهم وجعل للعرض فى كل يوم اميرين من الامرا المقدمين بمضافيهما
فكان الامير مقدم الالف يقف ومعه مضافوه وناظر الجيش يستد عيهم من
مقدمة ذلك الامير باسمايهم على قدر منازلهم فيتقدم نقيب الجيش الواحد بعد
الواحد من يد نقيبه الى بين يدى السلطان فاذا امتثل بحضرته ساله السلطان
بنفسه من غير واسطة عن اسمه واصله وجنسه ووقت حضوره الى ديار مصر
ومع من قدم والى من صار من الامرا وغيرهم وعن مشاهده التى حضرها فى الغزو
وعن ما يعرفه من صناعة الحرب ونحو ذلك من الاستقصا فاذا انتهى استفهامه
اياه ناوله بيده مثالا من غير تامل بحسب ما قسم الله له فلم يمر به فى مدة العرض
احد الا وعرفه واشار الى الامرا بذكر شى من خبره هذا وقد تقدم الى ساير
الامرا باسرهم بان يحضروا الى الايوان عند العرض ولا يعارض احد منهم السلطان
فى شى يفعله فكانوا يحضرون وهم سكوت لا يتكلم احد منهم خوفا من مخالفة السلطان
لما تقوله واخذ السلطان فى مواراتة الامرا فما اسوا على احد فى مجلس العرض
الا واعطاه مثالا باقطاع ردى فلما علموا ذلك امسكوا عن الكلام معه جملة
وانفرد بالاستبداد بامورهم دونهم فما عرف عنه انه قدم اليه احد الا وساله
ان كان مملوكا عن من اقدمه من التجار وساير ما تقدم وان كان شيخا عن اصله وعن
سنه وكم مصاف حضره حتى اتى على الجميع وافرد المشايخ العاجزين فلم يعطهم اقطاعا
وجعل لكل منهم مرتبا تقوم به فانتهى العرض فى طول شهر المحرم وتوفر كثير من
مثالات الاجناد بلغ عدة مايتى مثال ثم اخذ فى عرض اطباق المماليك السلطانية
ووفر من جوامكهم كثيرا وقطع عدة رواتب من رواتبهم وعوض عن ذلك اقطاعات
وجعل جهة مكس قطيا لضعفا الاجناد ممن قطع خبزه فجعل لكل منهم فى السنة
ثلثة الاف درهم وكان لبيبرس وسلار والجوكندار تعلقات كبيرة فى بيت
المال وفى الاعمال كالجيزه واسكندرية من دواليب وجامات فارتجع ذلك

وابطله وما شابهه واضاف ما لم يقطعه الى ديوان الخاص ومما امر به في مدة
العرض ان لا يرد احد مثالا اخذه من السلطان ولو استقله ولا يشفع امير في
جندي وان من خالف ذلك ضرب وحبس وقطع خبزه فعظمت مهابة السلطان
وقويت حرمته ولم يجسر احد ان يرد عليه مثالا ولا استطاع امير ان يتكلم لاحد وصار
كثير ممن كان اقطاعه مثلا الف دينار الى اقطاع من مايتي دينار ونحوها وكثير ممن
كان اقطاعه قليلا الى اقطاع معتبر فانه كان يعطي المثال من غير تامل لكن كيف
ما وقعت يده عليه وقدر الله ان السلطان كان من جملة صبيان مطبخه رجل مضحك
يهزل بحضرة السلطان فيضحك منه ويعجب به ولا يعترضه فيما يقول من السخف
فجلس السلطان في بعض ايام العرض في البستان بقلعة الجبل وعنده الخاصة من
الامرا فدخل هذا المضحك واخذ في السخرية على عادته ليضحك السلطان الى ان قال
وحدث بعض اجناد الروك الناصري وهو راكب الاكديش وخرجه طرفه ورمحه
فوق كتفه يتقصد بهذا السخرية والطنز فغضب السلطان غضبا شديدا وصاح
خذوه وعروه ثيابه فتبادره الاعوان وجروه برجله ونزعوا ثيابه وربطوه في الساقية
مع القواديس واكثروا من ضرب الابقار حتى اسرعت بدوران الساقية فصار المسكين
ينقلب مع القواديس ويغطس في الماء تارة ويرتفع اخرى ثم ينتكس والماء عليه بمر
مقدار ساعة الى ان انقطع حسه واشفى على الهلاك واشتد رعب الامرا مما راوا من
قوة غضب السلطان ثم تقدم الامير طغاي الدوادار في طايفة من الامرا الخاصكية
واعتذروا عن هذا المسكين بانه لم يرد الا ان يضحك السلطان من كلامه ولم يقصد
عيب الاجناد ولا انتقاصهم ونحو هذا من القول الى ان امر بحله فاذا ليس فيه حركة
فسحب ورسم السلطان بانه ان كان حيا لا يبيت بمصر فاخرج من وقته منفيا وحمد الله
كل من الامرا على ما وفقه من السكوت عن الكلام في حال العرض وما زال الامر بمصر
على ما رسمه الملك الناصر في هذا الروك الى ان زالت دولة بني قلاوون بالملك
الظاهر برقوق في شهر رمضان سنة اربع وثمانين وسبعمايه فابقى الامر على ذلك
الا ان اشانه اخذت تتلاشى شيا قليلا قليلا الى ان كانت الحوادث والمحن من سنة
ست وثمانمايه حدث من انواع التغيرات وتنوع المظالم ما لم يخطر ببال احد وسيمر
بك جمل من ذلك عند ذكر اسباب خراب اقليم مصر ان شا الله تعالى وكانت اراضي
مصر نواحي مختلفة في نواحيها وهي على قسمين نواحي سلطانية ونواحي بلدية

فالنواحي

فالنواحي السلطانية وضعها الملوك في النواحي وكان الامير والجندي عند ما يستقر
على الاقطاع يقبض ما له من النواحي السلطانية فاذا اخرج الاقطاع عنه طولب
بها فلما كان الروك الناصري خلدت نواحي كل ناحية بها وضبط في الديوان
السلطاني فبلغت جملتها مايه الف وستين الف اردب سوى النواحي البلدية

ذكر الديوان قال اقضى القضاه ابو الحسن الماوردي الديوان
موضوع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطنة من الاعمال والاموال ومن يقوم بها من
الجيوش والعمال وفي تسميته ديوانا وجهان احدهما ان كسرى اطلع ذات يوم على
كتاب ديوانه فراهم يحسبون مع انفسهم فقال ديوانه اي مجانين فسمي
موضعهم بهذا الاسم ثم حذفت الها عند كثرة الاستعمال تخفيفا للاسم فقيل
ديوان والثاني ان الديوان اسم بالفارسية للشياطين فسمي الكتاب باسمهم
لحذقهم بالامور ووقوفهم على الجلي والخفي وجمعهم لما شذ وتفرق واطلاعهم على
ما قرب وبعد ثم سمي مكان جلوسهم باسمهم فقيل ديوان انتهى واعلم ان كتابة
الديوان على ثلثة اقسام كتابة الجيوش والعساكر وكتابة الخراج وكتابة الانشا
والمكاتبات ولا بد لكل دولة من استعمال هذه الاقسام الثلاثة وقد افرد العلما
في كتابة الخراج وكتابة الانشا عدة مصنفات ولم ار احدا جمع شيا في كتابة الجيوش
والعساكر وكانت الدواوين في صدر الاسلام تجعل ما يكتب فيه صحفا مدرجة
فلما انقضت ايام بني امية وقام عبد الله بن محمد ابو العباس السفاح استوزر
خالد بن برمك بعد ابي سلمة حفص بن سليمان الخلال فجعل الدفاتر في الدواوين
من الجلود وكتب فيها وترك الدروج الى ان تصرف جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك
في الامور ايام هرون الرشيد فاتخذ الكاغد وتداوله الناس من بعده الى اليوم
وذكر ابو النمر الوراق قال حدثني ابو حازم القاضي قال قال لي ابو الحسن
بن المدبر لو عمرت مصر كلها لوفت باعمال الدنيا وقال ان ارض مصر مساحتها
للزراعة ثمانية وعشرون الف الف فدان انما يعمر منها الف الف فدان وقال
بن المدبر انه كان يتقلد بالعراق ديوان المشرق وديوان المغرب قال ولم ابت قط
ليلة من الليالي وعلي عمل او بقية منه وتقلدت مصر فكنت ربما نمت وقد
بقي علي شي من العمل فاستتمه اذا اصبحت ٨

ذكر ديوان العساكر والجيوش يقال ان اول من وضع ديوان

الجند كلهم اسعف احد ملوك الطبقة الثانية من الفرس وان كنعباد قبله كان قد
اخذ العشر من الغلات وصرفه في ارزاق جنده واما في الاسلام فما اخرجه البخاري
ومسلم من حديث حذيفة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم اكتبوا لي
من يلفظ بالاسلام من الناس فكتبنا له الفا وخمسماية رجل الحديث ذكره البخاري
في باب كتابة الامام الناس وللبخاري من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه
قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اكتتبت في غزوة
كذا وكذا وامراتي حاجة فقال ارجع فاحجج مع امراتك وقال عمر بن شبة عن معمر
عن قتادة قال اخر مال اتي به النبي صلى الله عليه وسلم مال ماية الف درهم من
البحرين فما قام من مجلسه حتى امضاه ولم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم بيت مال ولا
لابي بكر واول من اتخذ بيت مال عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ابن شهاب عمر
اول من دون الدواوين وروى ابن سعد عن عائشة رضي الله عنها قالت قسم ابي الفي
عام اول فاعطى الحر عشرة والمملوك عشرة والمراة عشرة وامتها عشرة ثم قسم
العام الثاني فاعطاهم عشرين عشرين وقيل سببه ان ابا هريرة رضي الله عنه
جا بمال من البحرين الى عمر رضي الله عنه فقال له عمر ماذا جيت به فقال خمس ماية
الف درهم فاستكثره عمر وقال اتدري ما تقول قال نعم ماية الف خمس
مرات فقال عمر اطيب هو قال لا ادري فصعد عمر المنبر فحمد الله واثنى
عليه ثم قال ايها الناس قد جانا مال كثير فان شيتم كلنا لكم كيلا وان شيتم
عددنا لكم عدا فقام اليه رجل فقال يا امير المومنين قد رايت الاعاجم يدونون
ديوانا لهم فدون انت ديوانا فدون عمر وقيل بل سببه ان عمر بعث بعثا
وعنده الهرمزان فقال لعمر هذا بعث قد اعطيت اهله الاموال وان تخلف منهم
رجل من اين يعلم صاحبك به فاثبت لهم ديوانا فساله عن الديوان حتى فسره له
فاستشار المسلمين في تدوين الدواوين فقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه تقسم
كل سنة ما اجتمع عندك من المال ولا تمسك منه شيا وقال عثمن بن عفان رضي
الله عنه ارى مالا كثيرا يسع الناس فان لم يحصروا حتى تعرف من اخذ ممن لم ياخذ خشيت
ان ينتشر الامر وقال خالد بن الوليد رضي الله عنه قد كنت بالشام فرايت ملوكها
دونوا ديوانا وجندوا اجنادا فدون ديوانا وجند جنودا فاخذ بقوله ودعا
عقيل بن ابي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا كتاب قريش فقال

اكتبوا

اكتبوا الناس على منازلهم فبدوا ببني هشام وكتبوهم واتبعوهم اولاد ابي بكر وقومه ثم عمر وقومه
وكتبوا القبايل ووضعوها على الخلافة ثم رفعوا ذلك الى عمر رضي الله عنه فلما نظر فيه
قال لا ولكن ابدوا بقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الاقرب فالاقرب حتى تضعوا
عمر حيث وضعه الله فشكره العباس رضي الله عنه على ذلك وقال وصلتك رحم وقد
اختلف في السنة التي فرض فيها عمر رضي الله عنه الاعطية ودون الدواوين فعن
ابن الكلبي في سنة خمس عشرة وحكى ابن سعد عن محمد بن عمر الواقدي انه فعل
ذلك في سنة عشرين وقال الزهري وكان ذلك في المحرم سنة عشرين من الهجرة
وقيل لما فتح الله على المسلمين القادسية وقدمت على عمر رضي الله عنه الفتوح من
الشام جمع المسلمين فقال ما يحل للوالي من هذا المال فقالوا جميعا اما الخاصة
فقوته وقوت عياله لا وكس ولا شطط وكسوته وكسوتهم للشتا والصيف ودابتان
الى جهاده وحوايجه وحملانه الى حجه وعمرته والقسم بالسوية وان يعطي اهل البلا على
قدر بلائهم ويرم امور الناس بعد ويتعاهدهم في الشدايد والنوازل
حتى تنكشف ويبدا باهل الفي ثم يجوزهم الى كل مغلوب ما بلغ الفي وقال الضحاك
عن ابن عباس رضي الله عنه لما افتتحت القادسية وصالح من صالح من اهل السواد
وافتتحت دمشق وصالح اهل الشام قال عمر رضي الله عنه للناس اجتمعوا فاحضروني
علمكم فيما افا الله على اهل القادسية واهل الشام فاجتمع راي علي وعمر رضي الله عنه
ان ياخذوه من قبل القران فقالوا ما افا الله على رسوله من اهل القرى فلله
وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فلله وللرسول يعني
من الله الامر وعلى الرسول القسم ولذي القربى واليتامى والمساكين ثم فسروا
ذلك بالاية الاخرى التي تليها للفقرا والمهاجرين الاية فاخذوا الاربعة اخماس
على ما قسم عليه الخمس فيمن بدي به وثني وثلث واربعة اخماس لمن افا الله عليه
المغنم ثم استشهد وا على ذلك ايضا بقوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شي فان
لله خمسه الاية من تلك الطبقات الثلاث واربعة اخماس لمن افا الله عليه فقسم
الاخماس على ذلك فاجتمع على ذلك عمر وعلي وعمل به المسلمون بعد ذلك فبدا
بالمهاجرين ثم الانصار ثم التابعين الذين شهدوا معهم واعانوهم ثم فرض الاعطية
من الجزا على من صالح او دعا الى الصلح من جزايه فرده عليهم بالمعروف وليس في
الجزا اخماس الجزا لمن منع الذمة ووفى لهم ممن ولي ذلك منهم ولمن لحق بهم

فاعانهم باسوه الا ان يواسوه بفضلهم عن طيب انفس منهم من لم ينل مثل الذي نالوا
وعن ابي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال عمر رضي الله عنه اني مجند المسلمين على
الاعطية ومد ونهم ومتحرى الحق قال عبد الرحمن بن عوف وعثمن وعلي رضي الله عنه
ابدا بنفسك قال لا ابدا بعم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الاقرب فالاقرب منهم
من رسول الله ففرض للعباس وبدا به ثم فرض لاهل بدر خمسة الاف خمسة الاف
ثم فرض لمن بعد بدر الى الحديبية اربعة الاف اربعة الاف ثم فرض لمن بعد الحديبية
الى ان قلع ابو بكر رضي الله عنه عن اهل الردة ثلثة الاف ثلثة الاف دخل في ذلك
من شهد الفتح وقاتل عن ابي بكر ومن ولى الايام قبل القادسية كل هولا على ثلثة الاف
ثلثة الاف ثم فرض لاهل القادسية واهل الشام اصحاب اليرموك الفين الفين وفرض
لاهل البلا البارع منهم الفين الفين وخمسماية الفين وخمسماية فقيل له لو الحقت اهل
القادسية باهل الايام فقال لم اكن لالحقهم بدرجة من لم يدركوها الله اذن وقيل
له قد سويتهم على بعد دارهم بمن قد قربت داره وقاتلهم عن فنايه فقال هم
كانوا احق بالزيادة لانهم كانوا ردا الحتوف وشجى العدو وايم الله ما سويتهم حتى
استطبتهم فهلا قال المهاجرون مثل قولهم حين سوينا بين السابقين من
المهاجرين ومن الانصار وقد كانت نصرة الانصار بفنايهم وهاجر اليه المهاجرون
من بعد وفرض للروادف الذين ردفوا بعد افتتاح القادسية واليرموك بعد
الفتح ثلث ثلث مايه ثلث مايه سوى كل طبقة في العطا ليس بينهم تفاضل قويهم
وضعيفهم عربيهم وعجميهم في طبقاتهم سوا حتى اذا احوى اهل الامصار من حوى
من سباياهم وردفت المربع من الروادف فرض لهم على خمسين ومايتين وفرض
لمن ردف من الروادف الخمس على مايتين وكان اخر من فرض له عمر رضي الله عنه
اهل هجر على مايتين ومات عمر على ذلك وادخل في اهل بدر اربعة من غير اهل
بدر الحسن والحسين واباذر وسلمان وقال ابو اسلمة فرض عمر للعباس على
خمسة وعشرين الفا وقال ابو اسلمة فرض عمر للعباس على خمسة وعشرين الفا
وقال الزهري على اثني عشر الفا وجعل نسا اهل بدر الى الحديبية على اربعماية
اربعماية ونسا من بعد ذلك الى الايام قبل القادسية على ثلثماية ثلثماية ثم
نسا اهل القادسية على مايتين مايتين ثم سوى بين النسا بعد ذلك وجعل
للصبيان من اهل بدر وغيرهم مايه مايه ثم دعا ستين مسكينا فاطعمهم

جزا

جزا ابلج واحصوا ما اكلوه فوجدوه يخرج من جريبين ففرض لكل انسان منهم ولعياله
لكل انسان منهم جريبين جريبين في كل شهر مسلمهم وكافرهم وفرض لازواج رسول الله صلى
الله عليه وسلم عشرة الاف عشرة الاف الا من جرى عليه البيع فقالت امهات المومنين
ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضلنا عليهن في القسمة ولكن كان يسوي بيننا فسو
بيننا فجعلهن على عشرة الاف عشرة الاف وفضل عايشة رضي الله عنها بالفين فابت
فقال لفضل منزلتك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا اخذتها فشانك وكان
الناس اعشارا وكانت العرفا ثلثة الاف عريف كل عريف على عشرة ورزق الجبل على
اعنافها فما زالوا كذلك حتى اختطت الكوفة والبصرة فغيرت العرفا والاعشار وجعلت
اسباعا وجعل عريف مايه على مايه الف درهم عريف وكانت كل عرافة من القادسية
خاصة ثلثة واربعين رجلا وثلاثا واربعين امراة وخمسين من العيال لهم مايه الف
درهم وكل عرافة من اهل الايام عشرين رجلا على ثلثة الاف وعشرين امراه وكل
عيل مايه على مايه الف درهم وكل عرافة من الروادفة الاولى ستين رجلا وستين
امراة واربعين من العيال ممن كان عيالهم الحقوا على الف وخمس مايه على مايه الف
درهم وكان العطا يدفع الى امرا الاسباع واصحاب الرايات والرايات على ايادي العرب
فيدفعونه الى العرفا والنقبا والامنا فيدفعونه الى اهله في دورهم ومات عمر رضي
الله عنه والامر على ذلك وقد عزم قبل موته ان يجعل العطا اربعة الاف
اربعة الاف وقال لقد هممت ان اجعل العطا اربعة الاف اربعة الاف يجعل الف
يخلفها الرجل في اهله والف يتزودها معه في سفره والف يتجهز بها والف يترفق
بها فمات وهو في ارتياد ذلك قبل ان يفعل وكان يغزي البعوث على قدر
المسافة ان كان بعيدا فسنة وان كان دون ذلك فستة اشهر فاذا احدث
الرجل بثغره نزع عمامته واقيم في مسجد حيه فقيل هذا فلان قد احدث وقال
سيف بن عمر اول عطا اخذ سنة خمس عشرة وكان عمرو بن العاص رضي الله
عنه يبعث من مصر الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالجزية بعد حبس ما كان
يحتاج اليه فلما استخلف عثمن رضي الله عنه لثلث مضين من المحرم سنة اربع
وعشرين زاد الناس مايه وكان اول من زاد الناس ووفد اهل الامصار وهو
ايضا اول من وفدهم وصنع فيهم الصنايع فاستن به الخلفا في الزيادة وكان
عمر قد فرض لكل نفس منفوسة من اهل الفي في رمضان درهما في كل يوم

وفرض لامهات المومنين درهمين فقيل له لو وضعت لهم به طعاما فجمعتهم عليه فقال
اشبعوا الناس في بيوتهم فاقر عثمن رضي الله عنه ذلك وزاد فوضع طعام رمضان
وقال هو للمتعبد الذي يتخلف في المسجد ولابن السبيل وللمعترين بالناس في رمضان
فاقتدى به الخلفا من بعده وكان ديوان مصر في خلافة معوية بن ابي سفيان اربعين الفا
وكان منهم اربعة الاف في مايتين مايتين وكان انما يحمل الى معوية ستماية الف دينار
عن فضل اعطيات الجند وما يصرف الى الناس وكان معوية قد جعل على كل قبيلة
من قبايل العرب بمصر رجل يصبح كل يوم فيدور على المجالس فيقول هل ولد الليلة
فيكم مولود وهل نزل بكم نازل فيقال ولد لفلان غلام ولفلان جارية فيكتب
اسماهم ويقال نزل بها رجل من اهل كذا بعياله فيسميه وعياله فاذا فرغ من
القبيل اتى الديوان حتى يثبت ذلك واعطى مسلمة بن مخلد الانصاري امير مصر اهل
الديوان اعطياتهم واعطيات عيالاتهم وارزاقهم ونوايبهم ونوايب البلاد من الجسور
وارزاق الكتبة وحملان القمح الى الحجاز وبعث الى معوية بستماية الف دينار فضلا
واول من دون كان بمصر على يد عمرو بن العاص ثم دون عبد العزيز بن مروان تدوينا
ثانيا ودون قرة بن شريك التدوين الثالث ثم دون بشر بن صفوان تدوينا رابعا
ثم لم يكن بعد تدوين بشر شي له ذكر الا ما كان من الحاق قيس بالديوان في خلافة
هشام بن عبد الملك بن مروان فلما انقرضت دولة بني امية وغلبت المسودة بني
العباس احدثوا اشيا حتى اذا مات عبد الله المامون بن هرون الرشيد لتسع بقين
من رجب سنة ثمان عشرة ومايتين وبويع اخوه المعتصم ابو اسحق محمد بن
هرون كتب الى كيدر بن نصر الصغدي امير مصر يامره باسقاط من في ديوان
مصر من العرب وقطع العطا عنهم ففعل ذلك وكان مروان بن محمد الجعدي اخر
خلايف بني امية قطع عن اهل مصر العطا سنة ثم كتب اليهم كتابا يعتذر فيه اني انما
حبست عنكم العطا في السنة الماضية لعدو حضرني فاحتجت الى المال وقد وجهت
اليكم بعطا السنة الماضية وعطا هذه السنة فكلوه هنيا مريا واعوذ بالله ان اكون
انا الذي يجري قطع العطا على يدي ولما قطع كيدر عطا اهل مصر خرج يحيى بن الوزير
الجروي في جمع من لخم وجذام وقال هذا امر لا نقوم في افضل منه لانا منعنا حقنا
وفينا فانضم اليه نحو من خمسماية رجل ومات كيدر في ربيع الاخر سنة تسع عشرة
ومايتين وولي ابنه المظفر مصر من بعده فسار الى يحيى وقاتله في بحيرة تنيس واخذه

اسيرا

اسيرا فانقرضت دولة العرب من مصر وصار جندها العجم والموالي من عهد المعتصم الى ان
ولي الامير ابو العباس احمد بن طولون مصر فاستكثر من العبيد وبلغت عدتهم زيادة على
اربعة وعشرين الف غلام تركي واربعين الف اسود وسبعة الاف حر مرتزق ثم استجد
ابنه الامير ابو الجيش خمارويه بعده عدة من شبان الحوف مصر فلما كانت امارة الامير
ابي بكر محمد بن طغج بن جف الاخشيد على مصر بلغت عدة عساكره بمصر والشام اربعماية
الف تشتمل على عدة طوايف ثم ان الاستاذ ابا المسك كافور الاخشيدي استجد عدة
من السودان في ايام تحكمه بمصر فلما غلب الامام المعز لدين الله ابو تميم معد الفاطمي
على مصر صارت عساكرها ما بين كتامة وزويلة ونحوها من طوايف البربر وفيهم
الروم والصقالبة وهم في العدد كما قيل ومنهم معد ولم يكن جوشة تعد
ولا املا او بينه كان حد من كل ما يسعد فيه حد وحتى قيل انه لم يطا الارض
بعد جيش الاسكندر بن فلبش المجدوني اكثر عددا من جيوش المعز فلما قام من بعده في
الخلافة بمصر من بعده ابنه العزيز بالله ابو منصور نزار استخدم الديلم والاتراك
واختص بهم وذكر الامير المختار المسبحي في تاريخه ان خزانة الخاص حملت لما
خرج العزيز الى الشام عشرون الف حمل خارجا عن خزاين القواد ووجوه الدولة
وذكر ابن ميسر في تاريخه ان عبيد الشرى ام الامام المستنصر بالله ابي تميم
معد بن الظاهر لاعزاز دين الله ابي الحسن علي بن الحاكم بامر الله ابي علي منصور بن العزيز
بالله خاصة كانت عدتهم خمسين الف عبد سوى طوايف العسكر ورايت بخط
الاسعد المماتي ان عدة الجيوش بمصر في ايام رزيك بن الصالح طلايع بن رزيك كانت
اربعين الف فارس وستة وثلاثين الف راجل وزاد غيره وعشرة جواني بحرية
فيها عشرة الاف مقاتل وهذا عند انقراض الدولة الفاطمية فلما زالت دولتهم
على يد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب ازال جند مصر من
العبيد السود والامرا المصريين والعربان والارمن وغيرهم واستجد عسكرا من
الاكراد والاتراك خاصة وبلغت عدة عساكره بمصر الى اثني عشر الف فارس لا غير
فلما مات افترقت من بعده ولم يبق بمصر مع ابنه الملك العزيز عثمن سوى ثمانية
الاف فارس الا ان فيهم من له عشرة اتباع وفيهم من له عشرون وفيهم من له
اكثر من ذلك الى ماية تبع لرجل واحد من الجند وكانوا اذا ادركوا الظاهر القاهرة
يزيدون على ماتين الف ثم لم يزالوا في افتراق واختلاف حتى زالت دولتهم بقيام

عبيدهم المماليك الاتراك الجند فجند واحد ومواليهم بنو ايوب وانفردوا على الاتراك وشيئ
من الاكراد واستجدوا من المماليك التي تجلب ببلاد الترك شيا كبيرا حتى يقال ان عدة
مماليك الملك المنصور قلاوون كانت سبعة الاف مملوك ويقال اثني عشر الفا وكانت
عدة مماليكه ولده الاشرف خليل بن قلاوون اثنى عشر الف مملوك ثم لم يبلغ بعد
ذلك قريبا من هذا الى ان زالت دولة بني قلاوون في شهر رمضان سنة اربع وثمانين
وثمانمايه بالملك الظاهر برقوق اخذ في محو المماليك الاشرفية وانشا لنفسه دولة
من المماليك الجراكسة بلغت عدتهم ما بين مشترى ومستخدم اربعة الاف او يزيد
قليلا فلما قام من بعده ابنه الناصر فرج افترقوا واختلفوا فلم يزل حتى هلك كثير منهم
بالقتل وغيره وعساكر مصر بالدولة التركية على قسمين اجناد الحلقة والمماليك السلطا[نية]
واكثر ما كانت اجناد الحلقة في ايام الملك الناصر محمد بن قلاوون وانما بلغت على ما
رايته في جرايد ديوان الجيش باوراق الروك الناصري الى اربعة وعشرين الف
فارس ثم ما زالت تتنقص حتى صارت اليوم مع قلة عدتها سوا منهم الالف والواحد
فانها لا تنفع ولا تدفع واما المماليك فانها اليوم قليل عددها جدا لو جمعت اجناد
الحلقة مع المماليك السلطانية لا تكاد ان تبلغ خمسة الاف فارس يصلح منهم لان
باشر القتال الف او دونها وهي اليوم قسمان اجناد الحلقة والمماليك ثلثة اقسام
ظاهرية وناصرية ومويدية والمويدية ما بين حكمية ونوروزية ومن استخدمه المويد
ثم لما ملك السلطان الملك الاشرف برسباي صارت المماليك سبع طوايف
ظاهرية وناصرية ومويدية ونوروزية وحكمية وططرية واشرفية كل طايفة منها
مباينة لجميعها فلذلك خضدت شوكتهم وانكسرت حدتهم وامنت على السلطان
عادتهم ولم تخف توثبهم لتفرقهم وان كانوا مجتمعين وتباينهم وان كانوا في الظاهر
متفقين واعلم انه كانت عادة خلفا الاسلام من بني العباس وبني امية والفاطميين
من لدن امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان تجبا اموال الخراج ثم تفرق
من الديوان في الامرا والعمال والاجناد على قدر رتبهم وبحسب مقاديرهم وكان يقال
لذلك في صدر الاسلام العطا وما زال الامر على ذلك الى ان كانت دولة العجم فغيروا
هذا الرسم وفرقت الاراضي اقطاعات على الجند واول من عرف انه فرق الاقطاعات
على الجند نظام الملك ابو علي الحسن بن علي بن اسحق بن العباس الطوسي وزير الب ارسلان
بن داود بن ميكايل بن سلجوق ثم وزير ابنه ملكشاه بن الب ارسلان وذلك ان مملكته

اتسعت

اتسعت فراى ان يسلم الى كل مقطع قرية او اكثر او اقل على قدر اقطاعه لانه راى ان في
تسليم الاراضي الى المقطعين عمارتها لاعتنا مقطعيها بخلاف ما اذا شمل جميع اعمال المملكة
ديوان واحد فان الخرق يتسع وتتخلل في البلاد ففعل نظام الملك ذلك وعمرت به
البلاد وكثرت الغلات واقتدى بفعله هذا من جا بعده من الملوك من اعوام بضع وثمانين
واربعمايه الى يومنا وكانت الخلفا ترزق من بيت المال فذكر عطا بن السايب في حديث ان
ابا بكر رضي الله عنه لما استخلف فرض له كل يوم شطر شاة وما كسوه في الراس والبطن
وذكر عن حميد بن هلال انه فرض له بردان اذا اخلقهما وضعهما واخذ مثلهما
وظهره اذا سافر ونفقته على اهله كما كان ينفق قبل ان يستخلف وذكر ابن الاثير
في تاريخه ان الذي فرضوا له ستة الاف درهم في السنة وفرض لعمر بن الخطاب
رضي الله عنه لما استخلف ما يصلحه ويصلح عياله بالمعروف وقال له علي رضي الله
عنه ليس لك غيره فقال القوم القول ما قال علي فاخذ قوته وفرض عمر لمعاوية
بن ابي سفيان على عمله في الشام عشرة الاف دينار في السنة وقيل بل رزقه الف
دينار وهو اشبه والله اعلم ، **ذكر القطايع والاقطاعات** يقال اقتطع
طايفة من الشي اخذها والقطيعة ما اقتطعه منه واقطعني اياها اذن لي في اقتطاعها
واستقطعه اياها ساله ان يقطعه اياها واقطعه نهرا وارضا اباح له ذلك وقد
اقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتالف على الاسلام قوما واقطع الخلفا من بعده
من راوا في اقطاعه صلاحا روى ابن ابي نجيح عن عمرو بن شعيب عن ابيه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اقطع ناسا من مزينة او جهينة ارضا فلم يعمروها فجا قوم فعمروها
فخاصم الجهنيون او المزنيون الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال عمر لو كانت مني
او من ابي بكر لرددتها ولكنها قطيعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال من كانت
له ارض ثم تركها ثلث سنين لا يعمرها فعمرها قوم اخرون فهم احق بها وقال
هشام بن عروة عن ابيه اقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير ارضا
فيها نخل من اموال بني النضير وذكر انها ارض يقال لها الجرف وان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه اقطع العقيق اجمع الناس حتى جاوزت قطيعة عروة فقال ابن الزبير
المستقطعون منذ اليوم فان يك فيه خير فتحت قدمي قال خوات بن جبير اقطعنيه
فاقطعه اياه وقال سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال لما قدم النبي صلى
الله عليه وسلم المدينة اقطع ابا بكر واقطع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وقال

اشعث بن سوار عن حبيب ابن ابي ثابت عن صلتنا المكي عن ابي رافع قال اعطا النبي صلي
الله عليه وسلم قوما ارضا فعجزوا عن عمارتها فباعوها في زمن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه بثمانية الاف دينار او بثمانية الاف درهم فوضعوا اموالهم عند علي بن ابي طالب
رضي الله عنه فلما اخذوها وجدوها ناقصة فقالوا هذا ناقص فقال احسبوا
زكاته فحسبوا زكاته فوجدوه وافيا فقال احسبتم ان امسك مالا ولا ازكيه
وسال تميم الداري رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقطعه عيون البلد الذي كان
منه بالشام قبل فتحه ففعل وساله ابو ثعلبة الخشني ان يقطعه ارضا كانت
بيد الروم فاعجبه ذلك وقال الا تسمعون ما يقول فقال والذي بعثك بالحق
ليفتحن عليك وكتب له بذلك كتابا وقال ثابت بن سعد عن ابيه عن جده
ان الابيض بن حمال استقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملح مارب فاقطعه فقال
الاقرع بن حابس التميمي يا رسول الله اني وردت هذا الملح في الجاهلية وهو بارض
ليس بها ملح من ورده اخذه وهو مثل الما العد بالارض فاستقال الابيض فقال
قد اقلتك على ان تجعله مني صدقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو منك صدقة
وهو مثل الما العد من ورده اخذه وقال كثير بن عبد الله بن عوف المزني
عن ابيه عن جده اقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم بلال ابن الحارث المعادن القبلية
جلسيها وغوريها وقال مالك عن ربيعة عن قوم من علمايهم ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اقطع بلال بن الحرث المزني معادن بناحية الفرع وعن ربيعة عن الحرث
بن بلال عن ابيه بلال بن الحرث ان النبي صلى الله عليه وسلم اقطعه العقيق اجمعه وعن
حماد بن سلمة عن ابي مكين عن ابي عكرمة مولى بلال بن الحرث قال اقطع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بلالا ارضا فيها جبل ومعادن فباع بنو بلال عمر بن عبد العزيز
ارضا منها فظهر فيها معدن او قال معدنان فقالوا انما بعناك ارض حرث ولم نبعك
المعادن وجاوا بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم لهم في جريدة فقبلها عمر ومسح بها عينه
وقال لقيمه انظر ما خرج منها وما انفقت فقاصهم بالنفقة ورد عليهم الفضل
واصطفى عمر بن الخطاب رضي الله عنه من ارض السواد اموال كسرى واهل بيته
وما هرب عنه اربابه او هلكوا فكان مبلغ غلته تسعة الاف الف درهم كان يصرفها
في مصالح المسلمين ولم يقطع شيا منها ثم ان عثمن بن عفان رضي الله عنه اقطعها لانه
راى اقطاعها اوفر لغلتها من تعطيلها وشرط على من اقطعها ان ياخذ منه حق الفي

فكان

فكان مبلغ غلته خمسين الف الف درهم كان منها صلاته وعطاياه ثم تناقلها الخلفا
من بعده فلما كان عام الجماجم سنة اثنتين وثمانين في فتنة عبد الرحمن بن الاشعث
احرق الديوان واخذ كل قوم ما يليهم واقطع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابن
سندر منية الاصبغ فحازها لنفسه الف فدان وقال وكيع عن سفين عن
جابر الجعفي عن عامر لم يقطع ابو بكر ولا عمر ولا علي رضي الله عنهم واول من اقطع
القطايع عثمن رضي الله عنه وبيعت الارضون في خلافة عثمان وقال الليث بن
سعد ولم يبلغنا ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اقطع احدا من الناس شيا
من ارض مصر الا ابن سندر فانه اقطعه ارض منية الاصبغ فلم تزل له حتى مات
فاشتراها الاصبغ بن عبد العزيز بن مروان من ورثته فليس بمصر ارض اقدم منها
ولا افضل وقال الاعمش عن ابراهيم بن المهاجر عن موسى بن طلحة قال اقطع
عثمن رضي الله عنه عبد الله بن مسعود في النهرين ولعمار بن ياسر استينيا واقطع
خبابا صنبيا واقطع سعد بن ابي وقاص قرية هرمز وكان عبد الله بن مسعود
وسعد يعطيان ارضهما بالثلث والربع وقال عثمن بن ابي شيبة حدثنا وكيع عن
سفين عن عامر عن جابر قال لم يقطع ابو بكر ولا عمر ولا علي واول من اقطع
القطايع عثمن وبيعت الارضون في خلافة عثمن رضي الله عنهم وقال سعيد
بن عمرو عن عمرو بن محمد عن عامر قال اقطع الزبير وخباب وعبد الله بن
مسعود وعمار بن ياسر وابن هبار ازمان عثمن فان يكن عثمن اخطا فالذين قبلوا
منه الخطا اخطا وهم الذين اخذنا عنهم ديننا واقطع عمر بن الخطاب رضي الله
عنه طلحة وجرير بن عبد الله والربيل بن عمرو واقطع ابا مفرز دار الفيل في
عدة ممن اخذنا عنهم وانما القطايع على وجه النفل مما افا الله على رسوله وكتب
عمر رضي الله عنه الى عثمن بن حنيف مع جرير بن عبد الله البجلي اما بعد
فاقطع جرير بن عبد الله قدر ما يقوته لا وكس ولا شطط فكتب عثمن الى عمر
ان جريرا قدم علي بكتاب منك تقطعه ما يقوته فكرهت ان امضي ذلك حتى اراجعك
فيه فكتب اليه صدق جرير فانفذ ذلك وقد احسنت في مراجعتي واقطع ابا
موسى الاشعري واقطع علي بن ابي طالب رضي الله عنه كردوس بن هاني واقطع سويد
بن غفلة الجعفي قال سيف عن ثابت بن هريمة عن سويد بن غفلة قال
استقطعت عليا فقال اكتب هذا ما اقطع علي سويدا ارضا لداذويه ما بين

كذا الى كذا ما شا الله وذكر ابو القسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ما اقطعه معوية بن ابي سفين ومن بعده من الخلفا من دور مصر فاورد شيا كثيرا وقد كانت خلايف بني امية وخلفا بني العباس يقطعون الاراضي من ارض مصر النفر من خواصهم لا كما هو الحال اليوم بل يكون مال خراج ارض مصر يصرف منه اعطية الجند وساير الكلف ويحمل ما يفضل منه لبيت المال وما اقطع من الاراضي فانه يسير فلما كانت ايام السلطان صلاح الدين يوسف الى يومنا هذا فان اراضي مصر كلها صارت تقطع للسلطان وامرايه واجناده وارض مصر اليوم **سبعة اقسام** قسم يجري في ديوان السلطان وهذا القسم ثلثة اقسام منه ما يجري في ديوان الوزارة ومنه ما يجري في ديوان الخاص ومنه ما يجري في الديوان المفرد وقسم من اراضي مصر قد اقطع للامرا والاجناد وقد ذكر تفصيل ذلك عند ذكر الروك الناصري وقسم ثالث جعل وقفا محبسا على الجوامع والمدارس والخوانك وعلى جهات البر وعلى ذراري واقفي تلك الاراضي وعتقاهم وقسم رابع يقال له الاحباس يجري فيه اراضي بايدي قوم يأكلونها اما عن قيامهم بمصالح مسجد وجامع واما ان يكون لهم لا في مقابلة عمل وقسم خامس قد صار ملكا يباع ويشترى ويوهب ويورث لكونه اشتري من بيت المال وقسم سادس لا ينزرع للعجز عن زراعته من علو الموانع او نبت الحطب ونحوه وقسم سابع لا يشمله ماء النيل فهو قفر وهذا القسم منه ما لم يزل كذلك منذ عرفنا احوال الخليقة ومنه ما كان عامرا في الدهر الاول ثم خرب وساير هذه الاقسام مذكورة اخبارها في هذا الكتاب تجدها ان انت تأملته ان شا الله تعالى وقال ابو عبيد القسم بن سلام في كتاب الاموال في الكلام على حديث معمر عن عبد الله بن طاوس عن ابيه طاوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عادي الارض لله ولرسوله ثم هي لكم فان قلت ما يعني بذلك قلت نكون اقطاعا هذا الحرف اصل في الاقطاع والعادي كل ارض كان لها سكان فانقرضوا اي فصارت خرابا فان حكمها الى الامام قال ولما الارض التي جعلها النبي صلى الله عليه وسلم لبعض الناس وهي عامرة لها اهل فاعطا الامام لها يكون على وجه النفل ومن ذلك ما اعطاه النبي صلى الله عليه وسلم تميم الداري فانه اعطاه ارضا بالشام من قبل ان تفتح الشام وقبل ان يملكها المسلمون فجعلها له نفلا من اموال اهل الحرب اذا ظهر عليهم كما فعل بابنة نفيلة لما وهبها للشيباني قبل افتتاح الحيرة فامضاها لخالد بن الوليد رضي الله عنه وكذلك امضا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتميم الداري

الشيباني

الشيباني لما افتتحت فلسطين ما كان النبي صلى الله عليه وسلم نفله اياه فقد خرج ابو عبيد هذه العطية المعلقة مخرج النفل الذي ينفله الامام بعض المقاتلة وقال ابو الحسن علي بن … الماوردي في كتاب الاحكام السلطانية والاقطاع ضربان اقطاع استغلال واقطاع تمليك والثاني ينقسم الى موات وعامر والثاني ضربان احدهما ما تعين مالكه فلا نظر للسلطان فيه الا ما لك الارض من حق لبيت المال اذا كانت في دار الاسلام فان كانت في دار الحرب حيث لم يثبت للمسلمين عليها يد فاراد الامام ان يقطعها ليملكها المقطع عند الظفر بها فانه يجوز فقد سال تميم الداري رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقطعه عيون البلد الذي كانت منه قبل ان يفتح الشام ففعل وساله ابو ثعلبة الخشني ان يقطعه ارضا كانت بيد الروم فاعجبه ذلك وقال الا تسمعون ما يقول هذا فقال والذي بعثك بالحق ليفتحن عليك فكتب له بذلك كتابا قال الماوردي وهكذا لو استوهب احد من الامام مالا في دار الحرب وهو على ملك اهلها او استوهبه شيا من سبيه او ذراريها ليكون احق به اذا فتحه جاز وصحت العطية منه مع الجهالة بها لتعلقها بالامور العامة وقد روى الشعبي ان خريم بن اوس الطائي قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان فتح الله عليك الحيرة فاعطني بنت نفيلة فلما اراد خالد صلح اهل الحيرة قال له خريم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطاني بنت نفيلة فلا تدخلها في صلحك فشهد له بشير بن سعد ومحمد بن مسلمة فاستثناها من الصلح ودفعها الى خريم فاشتريت منه بالف درهم وكانت عجوزا قد حالت عما عهد منها فقيل له قد ارخصتها وكان اهلها يدفعون لك اضعاف ما سالت بها فقال ما كنت اظن ان عددا يكون اكثر من الف قال الماوردي واذا صح الاقطاع والتمليك على هذا الوجه نظر حال الفتح فان كان صلحا خلصت الارض لمقطعها وكانت خارجة عن حكم الصلح بالاقطاع السابق وان كان الفتح عنوة كان المقطع والمستوهب احق بما استقطعه او استوهبه من الغانمين ونظر في الغانمين فان كانوا علموا بالاقطاع او الهبة قبل الفتح فليس لهم المطالبة بعوض وان لم يعلموا احتى تحوا عاوضهم الامام بما يستطيب به نفوسهم كما يستطيب نفوسهم عن غيره ذلك من الغنايم وقال ابو حنيفة رحمه الله لا يلزم الامام استطابة نفوسهم عنه ولا عن غيره من الغنايم اذا راى المصلحة في ذلك

ذكر ديوان الخراج والاموال

يقال لكتابة الخراج قلم التصريف واول ما دون هذا الديوان في الاسلام بدمشق والعراق على ما كان عليه قبل الاسلام

وكان ديوان الشام بالرومية وديوان العراق بالفارسية وديوان مصر بالقبطية
فنقلت دواوين هذه الأمصار إلى العربية والذي نقل ديوان مصر من القبطية إلى
العربية عبد الله بن عبد الملك بن مروان أمير مصر في خلافة الوليد بن عبد الملك
سنة سبع وثمانين ونسخها بالعربية وصرف أثناس عن الديوان وجعل عليه
ابن يربوع الفزاري من أهل حمص وأول من نقل الدواوين من الفارسية إلى العربية
الوليد بن هشام بن قحذم بن سليمن بن ذكوان وتوفي سنة اثنين وعشرين ومائتين
والأكثرون على أن الذي نقل ديوان العراق إلى العربية صالح بن عبد الرحمن كاتب الحجاج
وكان مولى لبني سعد وهو يومئذ صاحب دواوين العراق وذلك بعد سنة ثمانين
وسبب ذلك أن صالح بن عبد الرحمن هذا كان أبوه من سبي سجستان ومهر صالح
في الكتابة وكتب لزاذان فروخ كاتب الحجاج بن يوسف الثقفي وخط بين يديه بالفارسية
والعربية فخف على قلب الحجاج فخاف من زاذان وقال له أنت الذي رمقتني حتى وصلت
إلى الأمير وأراه قد استخف بي ولا آمن أن يقدمني عليك فتسقط منزلتك فقال
زاذان لا تظن ذاك هو أحوج إلي مني إليه لأنه لا أحد من يكفيه حسابه غيري فقال
صالح والله لو شئت أن أحول الحساب إلى العربية لحولته قال فحول منه أسطرا حتى أرى
ففعل فقال له تمارض فتمارض فبعث إليه الحجاج بطبيب فشق ذلك على زاذان وأمره
أن لا يظهر للحجاج فاتفق عقيب ذلك أن زاذان قتل في فتنة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث
وهو خارج من موضع كان فيه إلى منزله فاستكتب الحجاج بعده صالحا فأعلم الحجاج بما
جرى له مع زاذان في نقل الديوان فأعجبه ذلك وعزم عليه في إمضائه فنقله من
الفارسية إلى العربية وشق ذلك على الفرس وبذلوا له مائة ألف درهم على أن لا يظهر
النقل فأبى عليهم فقال له مردانشاه بن زاذان فروخ قطع الله أصلك من الدنيا
كما قطعت أصل الفارسية وكان عبد الحميد بن يحيى يقول لله در صالح ما أعظم منته
على الكتاب وأما ديوان الشام فإن الذي نقله من الرومية إلى العربية أبو ثابت
سليمن بن سعد كاتب الرسائل واختلف في نقله فقيل نقل في خلافة عبد الملك
بن مروان وقيل في خلافة هشام بن عبد الملك وكان الذي يكتب على ديوان الشام
سرجون بن منصور النصراني في أيام معوية بن أبي سفين وكتب بعده ابنه منصور بن
سرجون **ذكر خراج مصر في الإسلام** أول من جبى خراج مصر في الإسلام
عمرو بن الخطاب رضي الله عنه العاص وكانت جبايته اثني عشر ألف ألف دينار بفريضة
دينارين

دينارين دينارين من كل رجل ثم جبى عبد الله بن سعد بن أبي سرح مصر أربعة عشر
ألف ألف دينار فقال عثمن بن عفان رضي الله عنه لعمرو بن العاص يا أبا عبد الله
درت اللقحة بأكثر من درها الأول فقال أضررتم بولدها وهذا الذي جباه
عمرو وثم عبد الله إنما هو من الجماجم خاصة دون الخراج وانحط خراج مصر بعدهما
لنمو الفساد مع الزمان وسريان الخراب في أكثر الأرض ووقوع الحروب فلم يجبها بنو
أمية وخلفاء بني العباس إلا دون الثلاثة آلاف ألف ما خلا أيام هشام بن عبد الملك
فإنه وصى عبيد الله بن الحبحاب عامل خراجه على مصر بالعمارة فيقال إنه لم يظهر من خراج
مصر بعد ناقصة كثيرة إلا في وقتين أحدهما في خلافة هشام بن عبد الملك عند
ما ولي الخراج بمصر عبيد الله بن الحبحاب فخرج بنفسه ومسح العامر من أراضي مصر
والغامر مما يركبه ماء النيل فوجد فيه ثلثين ألف ألف فدان ببسيط ارتفاع
الجرف وسيح الأرض فراكها كلها وعدلها غاية التعديل فعقدت معه أربعة آلاف
ألف فدان دينار هذا والسعر راخ والبلد بغير مكس ولا ضريبة وفي سنة سبع
ومائة لأول أيام هشام بن عبد الملك وصف ابن الحبحاب بمصر طبقات معلومة
منسوبة في الدواوين ولم يزل إلى بعد ذهاب بني أمية ومبلغها ألف ألف دينار
وسبعمائة ألف دينار وثمان مائة وسبعة وثلثين دينارا منها على كور الصعيد ألف
ألف دينار وأربعمائة ألف وتسعة وأربعون ألف وأربعمائة وعشرون دينارا ونصف
والباقي على كور أسفل الأرض ويقال إن أسامة بن زيد جباها في خلافة سليمن
بن عبد الملك مبلغ اثني عشر ألف ألف دينار والوقت الثاني في إمارة أحمد بن
طولون لما تسلم أرض مصر من أحمد بن محمد بن مدبر وقد خرب أرض مصر حتى بقي
خراجها ثمان مائة ألف ألف دينار فاستقصى أحمد بن طولون في العمارة وبالغ فيها
فعقدت معه أربعة آلاف ألف دينار مع رخاء الأسعار أيام أذفانه ربما أبيع في
الأيام الطولونية القمح كل عشرة أرادب بدينار وذكر ابن خرداذبه أن خراج مصر
في أيام فرعون كان ستة وتسعين ألف ألف دينار وأن ابن الحبحاب جباها ألفي
ألف وسبعمائة ألف وعشرين ألفا وثمانمائة وتسعة وثلثين دينارا وهذا وهم منه
فإن هذا القدر هو ما حمله إلى بيت المال بدمشق بعد أعطية أهل مصر وكلفها
قال وحمل منها موسى بن عيسى الهاشمي ألفي ألف ومائة ألف وثمانين ألف دينار
يعني بعد العطاء والمؤن وسائر الكلف قال وكان خراج مصر إذا بلغ النيل

سبع عشر ذراعا وعشرة اصابع اربعة الاف الف دينار ومايتي الف وسبعة وخمسين
الف دينار والمقبوض عن الفدان دينارين في خلافة المامون وغيره وبلغ خراج مصر
في ايام الامير ابي بكر محمد بن طغج الاخشيد الفي الف دينار سوي ضياعه التي كانت
ملكا له والاخشيد اول من عمل الرواتب بمصر وكان كاتبه ابن كلا قد عمل تقديرا عجز
فيه المرتب عن الارتفاع مايتي الف دينار فقال الاخشيد كيف نعمل ما نحط من الجرايات
والادرار فليس هولا اولي من الواجب فقال غدا تجيني وندبر هذا فلما اتاه من
الغد قال له الاخشيد قد فكرت فيما قلت فاذا اصحاب الرواتب ضعفا وفيهم المستورون
وابنا النعم ولست اخذ هذا النقص الا منك فقال ابن كلا سبحان الله فقال تسبيحا
وما زال به الاخشيد حتي اخذ خطه بالقيام بذلك تعويضا علي ما صنعه فقال يا
قوم اسمعوا ايش كان يعمل جاه احمد بن محمد المادراني فقالت له ما بيني وبين
السلطان معاملة ولا للاخشيد علي طريق وهذه هدية عشرة الاف دينار للاخشيد
والف دينار لك فجاني وقال الك قبل ابن المادراني مطالبة قلت لا فقال هذه
الف دينار قد جاتك علي وجه الما فاعطاني الفا واخذ عشرة الاف دينار واهدي
الي محمد بن علي المادراني في وقت عشرين الف دينار وعلي بن فاستقللتها فلما اجتمعنا
عاتبته وقال لي ارسلت اليك ماية الف دينار ولابن كلا كانت عشرين الف دينار
فاخذت الماية واعطاني عشرين الفا فذكرت قول محمد بن علي له فقال ما اردت هذا انا
حفظت لك الماية الف لوقت حاجتك تريدها خذها وانا اعلم انك تتلفها وبلغت الرواتب
في ايام كافور الاخشيدي خمس ماية الف دينار في السنة لارباب النعم والمستورين
واجناس الناس ليس فيهم احد من الجيش ولا من الحاشية ولا من المتصرفين في الاعمال
فحسن له علي بن صالح الروذباري الكاتب ان يوفر من مال الرواتب شيا ينقصه من
ارزاق الناس فساعة جلس يعمل ذلك حكه جبينه فحكه بقلمه والحكاك يزيد
بها الي ان قطع العمل وقام لما به فعولج جبينه بالحديد حتي مات في رمضان سنة
تسع واربعين وثلثماية وهذه موعظة من الله تعالي لمن توسط للناس بالسوء قال
تعالي ولا يحيق المكر السيي الا باهله ولما مات كافور نزلت بمصر شدة كبيرة من
الغلا والفنا والفتن فاتضع خراجها وقدم جوهر القايد من بلاد المغرب بعساكر
مولاه المعز لدين الله ابي تميم معد فجبي الخراج لسنة ثمان وخمسين وثلثماية ثلثة
الاف الف دينار ومايتي الف دينار وجباها في سنة تسع وخمسين وثلثماية ثلثة الاف
الف

الف واربعماية الف دينار ونيف وامر الوزير الناصر للدين ابو الحسن عبد الرحمن اليا زوري
وزير مصر في خلافة المستنصر بالله بن الظاهر ان يعمل قدر ارتفاع الدولة وما عليها
من النفقات فعمل ارباب كل ديوان ارتفاعه وما عليه وسلم الجميع لمتولي ديوان المجلس
وهو زمام الدواوين فنظم عليه عملا جامعا واتاه به فوجد ارتفاع الدولة الفي الف
دينار منها الشام الف الف دينار ونفقاته باز ارتفاعه والريف وباقي الدولة
الف الف دينار وقال القاضي ابو الحسن في كتاب المنهاج في علم الخراج وقفت علي
مقايسة عملت لامير الجيوش بدر الجمالي حين قدم مصر في ايام الخليفة المستنصر
وغلب علي امرها وقهر من كان بها من المفسدين شرح فيها ان الذي اشتمل عليه الارتفاع
في الهلالي لسنة ثلث وثمانين واربعماية وفي الخراجي علي ما تقتضيه الديوان فيه مما
كان جاريا في الاعمال الديوانية المصرية من الخراج وما يجري معه والمضمون والمقطع
والمورد تعيينه والحلول بالقاهرة ومصر وضواحيهما وناحيتي الشرقية والغربية من
اسفل الارض واعمالها وتنيس ودمياط وما معهما والاسكندرية والبحيرة والاعمال
الصعيدية العالية والدانية والواحات وعيذاب لسنة ثمانين واربعماية الخراجية
علي الرسوم المصرية وما كان من الاعمال الشامية التي اولها من حد الشجرتين وهو
اول الاعمال الفلسطينية والاعمال الطرابلسية ولسنة ثمان وسبعين واربعماية
الخراجية علي ما استقرت عليه الجملة عينا ثلثة الاف الف وماية الف دينار
وان الذي استقرت عليه جملة ما كان مستادي في سنة ست وستين واربعماية
الهلالية قبل نظر امير الجيوش الموافقة في سنة ثلث وستين واربعماية
الخراجية وكان مبلغها العين الفي الف وثمان ماية الف دينار وكان الزايد للسنة
الجيشية عما قبلها ثلثماية الف دينار مما اعرب عنه حسن العمارة وشمول العدل
وكان نظم هذه المقايسة في ذي الحجة سنة ثلث وثمانين واربعماية وذكر ابن ميسر
ان الافضل بن امير الجيوش امر بعمل تقدير ارتفاع ديار مصر فجا خمسة الاف الف
دينار ثم تناقصت الي ان جباها القاضي الموفق ابو الكرم بن معصوم العاصمي التنيسي
عينا خالصا الي بيت المال بعد المون والكلف الفي الف دينار ومايتي الف دينار
الي اخر سنة اربعين وخمسماية ثم من بعده لم يجبها هذه الجباية احد حتي انقرضت
الدولة الفاطمية وسبب انضاع خراج مصر بعد ما بلغ مع الروم في اخر سنة
ملكوا مصر قبل فتح مصر عشرين الف الف دينار ان الملوك لم تسمح نفوسهم بما

كان ينفق في كلف عمارة الارض فانها تحتاج ان ينفق عليها ما بين ربع متحصلها الى ثلثه
واخر من اعتبر حال ارض مصر فوجد مدة حرثها ستين يوما ومساحة ارضها مائة الف
الف فدان وانه لا يتم خراجها حتى يكون فيها اربعمائة الف وثمانين الف حراث يلزمون
العمل فيها دايما فاذا اقيم بها هذا القدر من العمال في الارض تمت عمارتها وتحمل
خراجها واخر ما كان بها مائة الف وعشرين الف مزارع في الصعيد سبعين الفا وفي
اسفل الارض خمسين الفا وقد تغير الان جميع ما كان بها من الاوضاع القديمة واختلت
اختلالا فاضحا **ذكر اصناف اراضي مصر واقسام زراعتها** اعلم ان اراضي
مصر عدة اصناف اعلاها قيمة واوفاها سعرا واعلاها قطيعة الباق وهو اثر القرط
والمقاثي فانه يصلح لزراعة القمح وبعد الباق ري الشراقي وهو الارض التي طميت
في الحالية فلما رويت في الاتية وكانت مستريحة من الزرع ثم زرعت انجب
زرعها والبرابي وهو اثر القمح والشعير وسعرها دون الباق لضعف الارض بزراعة
هذين الصنفين فمتى زرعت على اثر احدهما لم تحمل كحمالة الباق والبرابي صالح
لزراعة القرط والقطاني والمقاثي فان الارض تستريح بزراعة هذه الاصناف وتصير
في القابلة ارضا باقا والنقاوي هي اثر الكتان وان زرعت قمحا حسن والشتونيه
اثر ما روى وبار في السنة الماضية وهو دون الشراقي والسلايح ما روى وبار
وحرث وتعطل وهو مثل ري الشراقي فان زرعه يكون ناجبا والنقا كل ارض خلت
عن اثر ما زرع فيها ولم يبق بها شاغل عن قبول ما يزرع فيها من اصناف الزراعات
والوسخ كل ارض لم يستحكم وسخها ولم يقدر الزارعون على ازاحته كله من اثار حرثها او زرعوا
فيها فجاء زرعها مختلطا بالحلفاء ونحوها والغالب كل ارض حصل فيها نبات شغلها عن
قبول الزراعة ومنع كثيره من زراعتها وصارت مراعي والخرس كل ارض فسدت بما
استحكم فيها من موانع قبول الزرع وكانت بها مراعي وهو اشد من الوسخ الغالب وازداد من
على ازالة ما فيها من الموانع تعبا اصلاحها والشراقي كل ارض لم يصل اليها الما اما لقصور
ما النيل وعلو الارض او لسد طريق الما عنها او غير ذلك والمستبحر كل ارض وطية حصل
بها الما ولم يجد مصرفا حتى فات اوان الزرع وهو باق في الارض والسباخ كل ارض
غلب عليها الملح حتى ملحت ولم ينتفع بها في زراعة الحبوب وربما زرعت ما لم يستحكم
السباخ فيه غير الحبوب كالهليون والباذنجان ويزرع فيها القصب الفارسي
ومما لا غنا لاراضي مصر عنه الجسور وهي على قسمين سلطانية وبلدية

فالجسور

فالجسور السلطانية هي العامة النفع في حفظ النيل على البلاد كافة الى حين تستغني
عنه ولها رسوم مقطعة على الاعمال الشرقية والاعمال الغربية وكانت في القديم تعمل
من اموال النواحي ويتولى عملها مستقبلوا الارض وتعتد لهم بما يصرف عليها من قبالات
الاراضي ثم صار بعد ذلك يستخرج برسم عملها من هذين العملين مال بايدي المستخدمين
من الديوان ويصرف عليها ويفضل من المال شيء يحمل الى بيت المال ثم صار
يتولى ذلك اعيان امرا الدولة الى ان حدثت الحوادث في ايام الناصر فرج فصار
يجبى من البلاد مال عظيم ولا يصرف منه شيء البتة بل يرفع الى السلطان ويتفرق
كثير منه بايدي الاعوان ويسخر اهل البلاد في عمل الجسور فتجيء في غاية الخلل كما
ستقف عليه ان شا الله تعالى عند ذكر اسباب الخراب واما الجسور البلدية
فانها عبارة عما يختص نفعها ناحية دون ناحية ويتولى اقامتها المقطعون والفلاحون
من اصل مال الناحية ومحل الجسور السلطانية من القرى محل سور المدينة
التي يتعين على السلطان الاهتمام بعمارته وكفاية الرعية امره ومحل الجسور
البلدية محل الدور التي من داخل سور المدينة يلزم صاحب كل دار ان يصلحها
ويزيل ضررها ومن العادة ان المقطع اذا انفصل وكان قد انفق شيا من مال
اقطاعه في اقامة جسور لاجل عمارة السنة التي انتقل الاقطاع عنه فيها ان له
ان يستعيد من المقطع الثاني نظير ما انفقه من مال سنته في عمارة سنة غيره
واصلح ما زرع القمح في اثر الباق والشراقي وكان يزرع بالصعيد القمح على اثر القمح
لكثرة الطرح وربما زرع هناك على اثر الكتان والشعير ويزرع القمح من نصف شهر بابه
الى اخر هتور وهذا في العوالي من الارض التي تخرج بدريا واما البحاير المتاخرة فيمتد
وقت الزرع فيها الى اخر شهر كيهك ويبذر ما يحتاج اليه الفدان الواحد من بذر
القمح يختلف بحسب قوة الارض ودقتها وتوسطها وما يزرع في التلويق وما يزرع في
الحرث واكثر البذر من اردب الى خمس ويبات الى اربع ويبات ايضا ويوجد في
الصعيد اراضي يحمل دون هذا او في حوف رمسيس اراضي يكفي الفدان منها نحو
الويبتين ويدرك الزرع بمصر في شهر برمهات وهو نيسان ويختلف ما يخرج من
فدان القمح بحسب الارض فيزكي من اردبين الى عشرين اردبا وقال ابو بكر بن
وحشية في كتاب الفلاحة النبطية وذكر ان في مصر اذا زرعوا يخرج من المدك
مايه مدى والعلة في ذلك حرارة هوا بلادهم مع سمن اراضيهم وكثرة ندوتها

ما النيل ولما كان في سنة ست وثمان مائة انحسر الماء عن قطعة ارض من بركة
الفيوم التي يقال لها اليوم بحر يوسف فزرعت وجاء زرعها عجيب ادى الفدان منها احد
وسبعين اردبا من شعير بكيل الفيوم وارديها اتسع ويبات وكانت قطيعة الفدان القمح
ببلاد الصعيد في الايام الفاطمية ثلثة ارادب فلما مسحت البلاد في سنة اثنين وسبعين
وخمس مائة تقرر على كل فدان اردبان ونصف ثم صار يوخذ عن الفدان اردبين واما
اراضي اسفل الارض فيوخذ عنها عين لا غلة ويزرع الشعير اثر القمح وغيره في الارض
التي عرفت وهي وطئه ويتقدم زراعته على زراعة القمح بايام وكذلك حصاده فانه
يحصد قبل القمح ويحتاج الفدان منه ان يبذر فيه بحسب الارض ويكون اكثر من القمح
ويكون ادراكه في شهر برموده وهو ادارو نيسان ويزرع الفول في الحراث اثر البرسيم
من اول شهر بابه وتوكل وهو اخضر في شهر كيهك ويحتاج الفدان من البذار
الي ثلث ويبات ونحوها ويدرك في شهر برموده ويتحصل من فدانه ما بين عشرين
اردبا الي ما دون ذلك ويزرع العدس والحمص من شهر هتور الى كيهك والجلبان
لا يزرع الا في ارق الاراضي حرثا من الارض العالية ويزرع بلونها في الاراضي الخرس
ويبذر في كل فدان من الحمص من فدان الي ثماني ويبات ومن الجلبان من فدان الي
اربع ويبات ومن العدس من وسني الى ما دونهما وتدرك هذه الاصناف في برموده
ويحصل من الفدان الحمص من اربعة ارادب الي عشرة ارادب ومن الجلبان عشرة
ارادب الي ما دونها والعدس من عشرين اردبا الي ما دونها وانجب ما يكون الكتان اذا
زرع في البرش ويحتاج ان يسبخ سبخا ويسقى اذا طال ويقلع قضبانا ويبيبي
جبيبا اسلاقا وينشر في موضعه حتى يجف فاذا جف حمل وهدر وعزل حوزه فيخرج
منه بزر الكتان ويستخرج منه الزيت الحار ويزرع الكتان في شهر هتور ويحتاج الفدان
ان يبذر فيه من البزر ما بين اردب وثلث الى ما دون ذلك ويدرك في شهر برموده ويخرج
من الفدان ما بين ثلثين شدة الي ما دون ذلك ومن البزر ما بين ستة ارادب الي
ما دونها وكانت قطيعة الفدان منه في القديم بارض الصعيد من خمسة دنانير الى ثلثة
وفي دلاص ثلثة عشر دينارا وفيما عدا ذلك ثلثة دنانير ويزرع القرط عند اخذ ماء
النيل في النقصان ولا ينبغي تاخير زرعه الى اوان هبوب ريح الجنوب التي يقال لها الريح
المريسية واول ما يبدو في شهر بابه وربما زرع بعد النوروز والحراثي منه يزرع في
كيهك وطوبه وزرع احيانا في هتور ويبذر في كل فدان من وسني ونصف الى ما حولها

ويدرك

ويدرك الاخضر منه في اخر شهر كيهك ويدرك الحراثي في طوبه وامشير ويتحصل من الفدان
الحراثي ما بين فدان الى اربع ويبات ويزرع البصل والثوم من شهر كيهك الى نصف
هتور ويبذر في الفدان البصل من نصف وربع ويبه الى ويبة والثوم من مائة
حزمة الى مائة وخمسين حزمة ويدرك ذلك في شهر برموده والبصل الذي يخرج
لزرع زريعة فانه يزرع من اول كيهك الي اخر العاشر من طوبه ويخرج من زريعته
عشرة ارادب من الفدان ويدرك في شهر بشنس ويزرع الترمس في طوبه وزريعته
لكل فدان اردب ويدرك في برموده ويتحصل من الفدان ما بين عشرين اردبا الي ما
دونها وهذه هي الاصناف الشتويه واما الاصناف الصيفيه فان البطيخ
واللوبيا يزرعان من نصف برمهات الى نصف برموده ويزرع في الفدان قدحان ويدرك
في بشنس ويزرع السمسم في شهر برموده وزريعته ربع ويبة للفدان ويدرك في
ابيب ومسرى ويحصل من الفدان ما بين اردب الى ستة ارادب ويزرع القطن في
برموده وزريعته اربع ويبات حب للفدان ويدرك في توت فيخرج من الفدان من
ثمانية قناطير قطن بالجروي الى ما دونها ويزرع قصب السكر من نصف برمهات في
اثر الباقلا والبرش ويبرش ارضه سبع سكك وانجب ما كامل له ثلث عزقات قبل
انقضاء شهر بشنس ومقدار زريعته ثمن فدان وما حوله لكل فدان ويحتاج القصب
الى ارض جيدة دمثة قد شملها الري وعلاها ماء النيل وقلع ما بها من الحلفاء وطفنت
ثم برشت بالمقلقلات وهي محاريث كبار ستة وجوه ويحرف حتى يتمهد ثم تبرش
ستة وجوه اخرى ويحرف ومعنى البرش الحرث فاذا اصلحت الارض وطابت ونعمت
وصارت ترابا ناعما وتساوت بالتجريف نقبت جيدا بالمقلقلات ويرمي فيها القصب
قطعا قطعا وقطعة منفردة بعد ان تجعل الارض احواضا ويعرض لها جداول
تصل الماء الي الاحواض ويكون طول كل قطعة من القصب ثلثة انابيب كوامل
وبعض انبوبة من اعلا القطعة وبعض اخرى من اسفلها ويختار ما قصرت انابيبه
وكثرت عيونه من القصب ويقال لهذا الفعل النفس فاذا اكمل هذا النفس
اعيد التراب عليه ولا بد في القصب ان يكون القطعة ملقاة لا قائمة ثم يسقى من
حين نصبه في اول فصل الربيع لكل سبعة ايام مرة فاذا نبت القصب وصار اوراقا
ظاهرة نبت معه الحلفاء والبقلة الحمقاء التي تسميها اهل مصر الرجلة فعند ذلك
تعزق ارضه ومعنى العزاق ان تنكش ارض القصب وسطف ما نبت مع القصب

ولا يزال يتعاهد ذلك حتى يعمر القصب ويقوى ويتكاثف فيقال عند ذلك طرد القصب
عزاقه فانه لا يمكن عزاق الارض ولا يكون هذا حتى يبرز الانبوب منه ومجموع ما
يسقى بالقادوس ثمانية وعشرين ماء والعادة ان الذي ينصب من الاقطاعات على كل
محال بحرانى اى مجاور للبحر اذا كانت مراحة العلة بالابقار الجياد مع قرب رشا الابار
ثمانية افدنة ويحتاج الى ثمانية ارؤس بقر فان كانت الابار بعيدة عن مجرى النيل فلا
يمكن حينئذ ان يقوم المحال باكثر من ستة افدنة الى اربعة افدنة فاذا اطلع النيل وارتفع
سقى القصب عند ذلك ماء الراحة وصفة ذلك ان يقطع عليه من جانب جسر يكون قد
ادير عليه لتنقيه من الغرق عند ارتفاع الماء بالزيادة فيدخل الماء من ثلمة في ذلك الجسر
حتى يعلو اعلى ارض القصب نحو شبر ثم يسد عنه الماء حتى لا يصل اليه الماء ويترك الماء فوق
الارض قدر ساعتين او ثلاث الى ان يسخن ثم يصرف من جانب اخر حتى ينضب كله ويجدد
عليه ماء اخر كذلك يتعاهد ما ذكرنا مرارا في ايام متفرقة بعدد معلوم ثم يعظم بعد
ذلك فاذا اعمل ما قلناه وفى القصب حقه وان نقص عن ذلك حصل فيه الخلل ولا بد
للقصب من التطران قبل ان يعلو حتى لا يسوس ويكسر القصب في شهر كيهك ولا بد
من حرق اثار القصب بالنار ثم سقيه وعزقه كما تقدم فيصير قصبا يقال له الخلفة
ويقال للاول الراس وقنود الخلفة اجود غالبا من قنود الراس ووقت ادراك الراس
في طوبه والخلفة في بضع هتور وغاية ادارة معاصر القصب الى النوروز وتتحصل
من الفدان القصب ما بين اربعين ابلوجة والابلوجة تسع قنطارا او ما حوله ويزرع
القلقاس مع القصب ولكل فدان عشرة قناطير قلقاس جرويه ويدرك في هتور ويزرع
الباذنجان في برمهات وبرموده وبشنس وبؤونه ويدرك من بؤونه الى مسرى
ويزرع البسلة من بشنس والزريعة للفدان ويبه ويدرك من ابيب ويزرع النخل
طول السنة وزريعة الفدان من قدح واحد الى ويجزر ويزرع اللفت من ابيب وزريعة
الفدان قدح واحد ويدرك بعد اربعين يوما ويزرع الخس في طوبه شتلا ويوكل
بعد شهرين ويزرع الكرنب في بؤونه شتلا ويدرك في هتور ويغرس الكرم في امشير
نقلا وتحويلا ويغرس التين والتفاح في امشير ويقلم التوت في برمهات ويغرس نبات
اللوز والخوخ والمشمش في ماطوبة ثلاثة ايام وهي قضبان ثم يغرس ويحول شجرها في
طوبه ويزرع نوى التمر ثم يحول وذيا بالنقل ويدفن بصل النرجس في مسرى ويزرع
الياسمين في ايام النسئ وفي امشير ويزرع المرسين في طوبه وامشير غرسا ويزرع

الريحان

الريحان في برموده ويزرع حب المنثور في ايام النيل ويزرع الموز الشتوى في طوبه
والصيفي في امشير ويحول الجمار شتلا في برمهات ويقلم الاشجار في طوبه وامشير
الا السدر وهو شجر النبق فانه يقلم في برموده وتسقى الاشجار في طوبه ماء واحدا
ويسمونه ماء الحياة ويسقى في امشير ماء ثانيا عند خروج الزهر ويسقى في برمهات
ماء اخر الى ان ينعقد الثمر ويسقى في بشنس ثلث ميله ويسقى في بؤونه وابيب
ومسرى ماء في كل سبعة ايام ويسقى في توت وبابه مرة واحدة تقريبا وجميع
ارض مصر تقاس بالفدان وهو اربعمائة قصبة حاكمية طولا في عرض قصبة
واحدة والقصبة ستة اذرع وثلثا ذراع بذراع القياس وخمسة اذرع وثلثا
ذراع بذراع النجار تقريبا والله اعلم **ذكر اقسام مال مصر** اعلم ان مال
السلطان بمصر في زمننا ينقسم قسمين احدهما يقال له خراجي والاخر يقال له
هلالي فالمال الخراجي ما يوخذ مساحة من الاراضي التي تزرع حبوبا ونخلا
وعنبا وفاكهة وما يوخذ من الفلاحين هدية مثل الغنم والدجاج وطرف الريف
والمال الهلالي عدة ابواب كلها احدثها ولاة السوء شيا بعد شي واصل ذلك
في الاسلام ان امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغه ان تجارا من المسلمين
ياتون ارض الهند فيوخذ منهم العشر فكتب الى ابي موسى الاشعري وهو على البصرة
ان خذ من كل تاجر يمر بك من المسلمين من كل مائتي درهم خمسة دراهم وخذ من تجار
العهد يعني اهل الذمة من كل عشرين درهما درهما ومن تجار العرب من كل عشرة
دراهم درهما وقيل لابن عمر ان عمر ياخذ من المسلمين العشر قال لا ونهى عمر بن عبد
العزيز عن ذلك وكتب ضعوا عن الناس هذه المكوس فليس بالمكس ولكنه
البخس وروى انه اتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ناس من اهل الشام فقالوا
اصبنا دوابا واموالا فخذ منها صدقة تطهرنا بها فقال كيف افعل ما لم يفعله
من كان قبلي وشاور فقال علي رضي الله عنه لا باس به ان لم يوخذوا به بعدك
فاخذ من العبد عشرة دراهم وكذلك من الفرس ومن الهجين ثمانية ومن البرذون
والبغل خمسة واول من وضع على الحوانيت الخراج في الاسلام امير المومنين المهدي
ابو عبد الله محمد بن ابي جعفر المنصور في سنة سبع وستين ومائة وولي ذلك
سعيد الحرشي واول من احدث مالا سوى مال الخراج بمصر احمد بن محمد بن مدبر
لما ولي خراج مصر بعد سنة خمسين ومائتين فانه كان من دهاة الناس

وشياطين الكتاب فابتدع في مصر بدعا صارت مستمرة من بعده فاحاط بالنطرون وحجر
عليه بعد ما كان مباحا لجميع الناس وقرر على الكلا الذي ترعاه البهايم مالا وسماه
المراعي وقرر على ما يطعم الله من البحر مالا وسماه المصايد الى غير ذلك فانقسم من
حينيذ مال مصر الى خراجي وهلالي وعرف المال الهلالي بعهد ابن المدبر والمعاون
فلما ولي الامير ابو العباس احمد بن طولون الخراج بمصر مع الحرب بها
فاضيفت اليه الثغور الشامية تنزه عن ادناس المعاون والمرافق فكتب باسقاطها
في جميع اعماله وكانت تبلغ بمصر خاصة مايه الف دينار في كل سنة ولذلك
خبر فيه معتبر قد ذكرته في اخبار الجامع الطولوني من هذا الكتاب ثم اعيدت
الاموال الهلالية في ايام الدولة الفاطمية عند ما ضعفت وصارت تعرف بالمكوس
واحدها مكس فلما استبد السلطان الملك الناصر صلاح الدين ابو المظفر
يوسف بن ايوب بن شادي بملك مصر امر باسقاط مكوس مصر والقاهرة فكتب عنه
القاضي الفاضل عبد الرحيم مرسوما بذلك وكان جملة ذلك في كل سنة مايه الف
دينار تفصيلها مكس البهار وعمالته ثلثة وثلثون الفا وثلثمايه واربعه وستون
دينارا مكس البضايع والقوافل وعمالتها تسعة الاف وثلثمايه وخمسون دينارا
منفلت الصناعه عن مكس البز الوارد اليها والنحاس والقصدير والمرجان
والمفاضلات خمسة الاف ومايه وثلثه وتسعون دينارا الصادر عن الصناعة
بمصر ستة الاف وثمانمايه ستة وستون دينارا سمسرة التمر ثلثمايه دينار
الفندق بالمنية عن مكس البضايع ثمان مايه وستة وخمسون دينارا رسوم
دار الفندق ثلثة الاف ومايه وثمانية دينار رسوم الخشب الطوال والملح
ستمايه وستة وسبعون دينارا رسوم الفلت المنسوبة الى بلبيس والبورى
مايه دينار رسوم التفتيش بالصناعه عن البهار وغيره مايتان وتسعة عشر
دينارا فندق القطن الفا دينار سوق الغنم بالقاهرة ومصر والسمسرة
وعبور الاغنام بالجيزه ثلثة الاف وثلثمايه واحد عشر دينارا عبور الاغنام
والكتان والاتبان بباب القنطرة الف ومايتا دينار واجب ما يرد من
الكتان الحطب الى الصناعه مايتا دينار رسوم واجب الغلات كالحبوب
الواردة الى الصناعه والمقس والمنية والجسر والتنانير ومقالات جزيرة
الذهب وطموه وسر الدج ستة الاف دينار مكس ما يرد من الصناعة الى

الاغنام

الاغنام سته وثلثون دينارا الاغنام البينونيه اثنا عشر دينارا العرصة
والسرنساوي بالجيزه ومكس الاغنام مايه وتسعون دينارا منفلت الفيوم
عما يرد من الكتان من النيلة ومن البضايع الوارده من الفيوم وغيره اربعة
الاف ومايه وستون دينارا مكس الورق المجلوب الى الصناعة ورسم التفتيش
مايتا دينار الجفنه بساحل الغلة والاقوات والرسايل ستمايه وثمانيه وستون
دينارا فلت العريف بالصناعة الصادرة مايتا دينار دار التفاح والرطب
بمصر والعرصه بالقاهرة الف وسبعمايه دينار رسم ابن المليحي مايتا دينار دار
الجبن الف دينار مشارفه الخزائن مايتان واربعون دينارا واجب الحلي
الوارد من الوجه البحري والقطن الف وعشرون دينارا رسم سمسرة الصفا
الف ومايتا دينار منفلت الصعيد مايه واحد وستون دينارا خاتم الترب
والدستي الف وخمسمايه دينار مكس الصوف مايتا دينار نصف المورده
ساحل المقس اربعة عشر دينارا دكة الشمسار ثلث مايه وخمسون دينارا
فلت التعريف بالصناعه وجملة البهار والبضايع مايتان وستة عشر دينارا
الحلفا الوارده من النيله مايه وخمسه وثلثون دينارا الوند والترفيه
والطعم بدار التفاح ومنفلت النيله بالتنانير والجسر خمسه وثلثون دينارا
رسوم الصفا والحمرا ورسوم دار الكتان ستون دينارا حمايه الغلات بالمقس
ودار الجبن مايه واربعون دينارا الحلفا الوارده على الجسر ومعدية الناس
مايه دينار خمس البرنيه بالجيزه عشرون دينارا ثلث التعريف بالصناعه ثمانيه
وعشرون دينارا منفلت الغلات بمعدية جزيرة الذهب عشرة دنانير رسوم
الحمام بساحل الغله خمس مايه واربعه وثلثون دينارا واجب الحنا الوارد
في البر ثمانمايه دينار واجب الحلفا والقصاب ثلثه وستون دينارا مكس
ما يرد من البضايع الى المنيه مايه واربعه وثمانون دينارا مسلخه شطنوف
والبرانيه مايتا دينار سوق السكريين خمسون دينارا رسوم سمة الحلي
بالشارع وسوق وردان تسعة عشر دينارا واجب الفحم الوارد الى القاهرة
عشرة دنانير معدية الجسر بالجيزه مايه وعشرون دينارا سمة البقوتي
اربعون دينارا السمسه بدار الدباغ تسعة عشر دينارا سمسرة الحبش
الجيوشي ثلثمايه واثنا عشر دينارا دكان الدهن ومعصرة السيرج والخل

الحامض بالقاهره خمس مايه دينار الخل الحامض وما معه اربعمايه وخمسه
دنانير سوق الغزل والمصطبه ثلث مايه وخمسون دينارا ذباح الابقا
الف دينار سوق السمك بالقاهره ومصر الف وماتا دينار رسوم الدلالة
ثلث مايه دينار سمسرة الكتان ثلثمايه دينار رسوم حمايه الصناعتين اربعمايه
دينار مربعة العسل مايتان واثنان وثلثون دينارا معادي جزيرة الذهب
وغيرها ثلثمايه دينار خاتم الشمع بالقاهره ثلثمايه وستون دينارا زريبه
الذبيحه سبعمايه دينار معدية الناس وانابه مايتا دينار حموله السلجم
ثلثمايه وثلثون دينارا مكس دكة الدباغ ثمان مايه دينار سوق الرقيق خمس
مايه دينار معمل الطيري مايتان واربعون دينارا سوق توته ثمان مايه
واربعه وستون دينارا ذباح الضان بالجيزه ورسوم ساحل النطع عشره
دنانير مخ السمك خمسه دنانير تنور الشنوكي ماتا دينار نصف الرطل من
مطابخ السكر مايه وخمسه وثلثون دينارا خام الحلي مايه وعشرون دينارا
سوق الدواب بالقاهره ومصر اربعمايه دينار سوق الجمال مايتان وخمسون
دينارا اقنان الحنا ثلثون دينارا واجب طاقات الادم سته وثلثون دينارا
منفلت الخام بالعشاشين ثلثه وثلثون دينارا المولده للعصاد اربعون
دينارا اعوان المراكب المشاه والحضر والحلفاه سته وثلثون دينارا بيوت
الفروج ثلثون دينارا الشعر والطارات اربعة دنانير رسوم الصبغ
والحرير ثلثمايه واربعه وثلثون دينارا وزن الطفل مايه واربعون دينارا
معمل الموز اربعه وثمانون دينارا الفاخوريات بالقاهره ومصر مايتان
وسته وثلثون دينارا وذكر ابن ابي طي ان الذي استطلقه السلطان صلاح
الدين والذي سامح به لعده سنتين اخرها سنة اربع وستين وخمسمايه
مبلغه عن نيف الف الف دينار والفي الف اردب سامح بذلك وابطله من
الدواوين واسقطه من المعاملين فلما ولي السلطان الملك العزيز عثمن بن
صلاح الدين يوسف اعاد المكوس وزاد في شناعتها وقال القاضي الفاضل
في متجددات سنه تسعين وخمسمايه وكان قد بالغ في شعبان اهل مصر
والقاهره في اظهار المنكرات وترك الانكار لها واباحه اهل الامر والنهي لها
وتفاحش الامر فيه الى ان غلا سعر العنب لكثره من يعصره واقيمت طاحون تجاده

المحموديه

المجوديه لطحن حشيش المزر وافرد لها برسمه وحميت بيوت المزر والقيمين عليها
للضرايب المثقله فمنها ما انتهى امره في كل يوم الى سته عشر دينارا ومنع المزر
البيتوتي ليتوفر الشرب من سوق الحمى وحملت اواني الخمر على رؤس الاشهاد
وفي الاسواق من غير منكر وظهر من عاجل عقوبة الله عز وجل وقوف زيادة النيل
عن معتادها وزيادة سعر الغله في وقت مسيس ورودها وقال في متجددات سنة
اثنين وتسعين وخمسمايه والامر الى وقوف وطبقة الدار العزيزيه من خبز ولحم
والى ان تحمل في كل بعض الاوقات لاطرافها البعض ما يتبلغ به من خبز وكثر ضجيجهم وتكرم
فلم يسمح وضعف الحال فيما يتعلق بحارة السلطان وفيما يصرف الى عياله وفيما ينيات
به اولاده وبما بعضه من ارباب واقتضى هذا الى غلا الاسعار فان المتعيشين من
ارباب الدكاكين يرددون في اسعار المأكولات العامه بمقدار ما يوخذ منهم في الدار
السلطانيه فاقتضى ذلك الى المنظور في المكاسب الخبيثه وضمن باب المزر والخمر
باثني عشر الف دينار وفسح في اظهار منكره والاعلان به والبيع له في القاعات والحوانيت
مع قرب انتهائه الى رجب ومنها المستطاع اصعب من الحاميه الانكار لا باليد ولا باللسان
وصار هذا المنكر مما يفرد السلطان به لنفقته وطعامه واستقل ماله الشيء والحاله
الحوالي الحلال الطيب الان يضرحوا لا ان لا يبالي من اين اخذ المال ولا يفرق بين
الحلال والحرام وفي شهر رمضان غلا سعر الاعناب لكثره من يعصرها وتظاهر
به اربابها لكثيرة تضمنه السلطاني واستبعادهم بايدي مستبضعيه وبلغ
ضمانه ستة عشر الف مليا ويحصل منه شي حمل اليه فبلغني انه صنع به الالات
للشراب ذهبيات وفضيات وكثر اجتماع الناس والرجال في شهر رمضان لا
سيما على الخليج لما فتح وعلى مصر لما زاد الماء وبلغت مده النيل معاصي يسال الله
الا يواخذنا بها وان لا يعاقبنا بجراه اهلها وقال جامع السيرة التركيه ولما
استقل الملك المعز عز الدين ايبك التركماني الصالحي بمملكة مصر في سنه خمسين
وستمايه بعد انقراض دوله بني ايوب استوزر شخصا من نظار الدواوين
يعرف بشرف الدين هبة الله بن صاعد الفايزي احد كتاب الاقباط وكان قد
اظهر الاسلام من ايام الملك الكامل محمد وترقى في خدم الكتابه فتفرد في وزارته
امور الاعلى التجار وذوي اليسار وارباب العقار ورتب مكوسا وضمانات سماها
حقوقا ومعاملات ولما ولي الملك المظفر سيف الدين قطز مملكة مصر تجدد

خلعه الملك المنصور علي بن المعز أيبك بما حدث عنده بسفره الذي قتل فيه مظالم كثيرة لأجل جمع المال وصرفه في الحركة لقتال جمع الططر منها تقسيط الأملاك وتقويمها وزكاتها وأحدث على كل إنسان دينارا يؤخذ منه وأضعف ثلث التركات الأهلية فبلغ ذلك ستمائة ألف دينار في كل سنة فلما قتل قطز وجلس الملك الظاهر ركن الدين بيبرس بعده على سرير الملك بقلعة الجبل أبطل ذلك جميعه وكتب به مسامحة قرئت على المنابر ثم أبطل ضمان المزر وجهاته في سنة اثنتين وستين وستمائة وكتب وهو بالشام إلى الأمير عز الدين الحلي نائب السلطنة بمصر أن يبطل بيوت المزر ويعفي آثاره ويخرب بيوته ويكسر أوانيه ويسقط ارتفاعه من الديوان فإن بعض الصالحين حدثه معي في ذلك وقال الفتح الذي جعله الله تعالى قوته العلم يعامل بالأدحال وبعد نتقرب إلى الله تعالى بإبطاله ومن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه ومن كانت له على هذه الجهة شيء يعوضه الله من مال الحلال فأبطل الحلي ذلك وعوض المقطعين عليه بدله **وفي** سنة ثلث وستين أبطل حراسة النهار بالقاهرة ومصر وكانت جملة مستكثرة وكتب بذلك توقيعا وأبطل من أعمال الدقهلية والمرتاحية عن رسوم الولاية أربعة وعشرين ألفا **وفي** خامس عشرين رمضان سنة اثنتين وستين وستمائة قرئ بجامع مصر مكتوب بإبطال ما قرر على رسوم ولاية مصر من الرسوم وهي مائة ألف درهم وأربعة آلاف درهم نقرة فبطل ذلك وأبطل ضمان الحشيش من ديار مصر كلها في سنة خمس وستين وستمائة وأمر بإراقة الخمور وإبطال المنكرات وتعفية بيوت المسكرات ومنع الخانات والخواطئ بجميع أقطار مملكته مصر والشام وطهرت من ذلك البقاع ولما ورد هذا المراسيم بذلك على القاضي ناصر الدين أحمد بن المنير قال

ليس لإبليس عندنا أرب ، غير بلاد الأمير مأواه ،
حرمته الخمر والحشيش معا ، حرمته ماءه ومرعاه ،

وقال الجزار

قد عطل الكوب من حبابه ، وأخلى الثغر من رضابه ،
وأصبح الشيخ وهو يبكي ، على الذي فات من شبابه ،

وفي تاسع جمادى الآخرة سنة ست وستين وستمائة أمر الملك الظاهر

بيبرس

بيبرس بإراقة الخمور وإبطال الفساد ومنع النساء الخواطئ من التعرض للبغاء من جميع القاهرة ومصر وسائر الأعمال المصرية فتطهرت أرض مصر من هذا المنكر ونهبت الخانات التي كانت معدة لذلك وسلب أهلها جميع ما كان لهم ونفي بعضهم وحبس النساء حتى يتزوجن وكتب لجميع البلاد بمثل ذلك وحط المال المقرر على البغايا من الديوان وعوض الحاشية من جهاته حل بنظيره **وفي** سابع عشر ذي الحجة سنة تسع وستين وستمائة أريقت الخمور وأبطل ضمانها وكان كل يوم ألف دينار وكتب توقيع بذلك قرئ على المنابر وأصبح سنة سبعين بإراقة الخمور والتشدد في المنكرات وكان يوما مشهودا بالقاهرة وبلغه في سنة أربع وسبعين عن الطواشي شجاع الدين عنبر المعروف بصدر الباز وكان قد تمكن منه تمكنا كثيرا أنه شرب الخمر فشنقه تحت قلعة الجبل ولما ولي الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي مملكة مصر أبطل زكاة الدولبة وهو ما كان يؤخذ من الرجل عن زكاة ماله أبدا ولو عدم منه وإذا مات لا يزال يؤخذ من ورثته وأبطل ما كان يجبى من أهل إقليم مصر كلها إذا حضر مبشر بفتح حصن أو نحوه فيؤخذ من الناس بالقاهرة ومصر على قدر طبقاتهم ويجتمع من ذلك مال كثير وأبطل ما كان يجبى من أهل الذمة وهو دينار سوى الجالية برسم نفقة الأجناد في كل سنة وأبطل نصف وجبانة الدينار من التجار عند سفر العسكر إلى الغزاة وكان يؤخذ من جميع تجار القاهرة ومصر كل تاجر دينار وأبطل ما كان يجبى عند وفاء النيل مما يعمل به شوى وحلوى وفاكهة في المقياس وجعل مصروف ذلك من بيت المال وأبطل أشياء كثيرة من هذا النمط وأبطل الملك الناصر محمد بن قلاوون عدة جهات قد ذكرت في الروك الناصري وآخر ما أدركنا إبطاله ضمان المغاني وضمان القراريط في سنة ثمان وسبعين وسبعمائة على يد الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون **فأما** ضمان المغاني وكان بلاء عظيما وهو عبارة عن أخذ مال من النساء البغايا فلو خرجت أجل امرأة في مصر تريد البغاء حتى نزلت اسمها عند الضامنة وقامت بما يلزمها لما قدر أكبر أهل مصر على منعها من عمل الفاحشة وكان على النساء إذا تعرس أو عرس امرأة أو خضبت امرأة يدها حنا أو أراد أحد أن يعمل فرحا مال يتقدر تأخذه الضامنة ومن فعل فرحا بمغاني أو بغير امرأته من غير إذن الضامنة حل به بلاء لا يوصف وأما ضمان القراريط فإنه كان يؤخذ من كل من باع ملكا عن كل ألف درهم عشرون درهما

وكان يتحصل من هذين الجهتين مال كبير جدا وابطل الملك الظاهر برقوق ما كان
يوخذ من اهل البرلس وشورى وبلطيم شبه الجالية في كل سنة ستين الف درهم
وابطل ما كان على القمح من مكس يوخذ من الفقرا بثغور دمياط ممن يبتاع من اردب
الى ما دونه وابطل ما كان يوخذ مكسا من محمل الفروج بالبحر بريه والاعمال
الغربيه وابطل ما كان يوخذ بتقدمة لمن يسرح الى العباسه من الخيل والجمال
والغنم وغير ذلك وابطل ما كان يوخذ على الدريس والحلفاء بباب النصر خارج
القاهرة وابطل ضمان المغاني بمنية بني خصيب باعمال الاشمونين وبزفتا من
الاعمال الغربية وابطل الاتبان التي كانت ترمى بالوجه البحري عند فراغ
الجسور وابطل الامير يلبغا السالمي لما ولي استادار الملك الناصر فرج بن
برقوق في سنة احدى وثمانمائة تعريف الغلال بمنية بني خصيب وضمان
العرصة بها واخصاص الغسالين وكانت من المظالم القبيحة وابطل من القاهرة
ضمان بحيرة البغوم اعادة القبط من بعده وقد بقيت الى الان من المكوس
بقايا اخبرني الامير الوزير المشير الاستادار يلبغا السالمي رحمه الله في ايام
وزارته ان جهات المكوس بديار مصر تبلغ في كل يوم نيفا وسبعين الف
درهم وانه اعتبرها فلم يجدها تصرف في شي من مصالح الدولة انما هي منافع
للقبط وحواشيهم وقد كان عزم على ابطال المكوس كلها وعمل المال الهلالي
عبارة عما يستادى مشاهرة كاجر الاملاك المستغلة من الادر والحوانيت
والحمامات والافران وارحية الطواحين وعدادة الغنم والجهة الهوائيه المضمونه
والمحلولة وعد بعض الكتاب احكار البيوت وريع البساتين التي يستخرج اجرها
مشاهرة ومصايد السمك ومعاصر السيرج والزيت في المال الهلالي ومن
اصطلاح كتاب مصر القدما ان تورد جزية اهل الذمة من اليهود والنصارا
قلما واحدا مستقلا بذاته بعد الهلالي وقبل الخراجي وذلك انها تستادى
مسانهة وكانوا يوردون وجوها مشاهرة وفايدته فيمن اسلم او مات في اثنا
الحول فانهم كانوا يلزمونه بقدر ما مضى من السنة قبل اسلامه او وفاته ولذلك
اوردت فيما بين الهلالي والخراجي وكانوا في الاقطاعات الجيشية يجرونها
مجرى مال الهلالي عند خروج اقطاع من مقطع ودخولها لاخر على ذلك الاقطاع
فانها كانت تستخرج على حكم الشهور الهلالية لا الشمسية بحيث لو تنجلها مقطع
في

في غرة السنة على العادة في ذلك وخرج الاقطاع عنه في اثنا السنة بوفاة او نقله
الى غيره استحق منها بنظير ما مضى من شهور السنة الى حين انتقال الاقطاع عنه لا
على حكم ما استحق من المغل ويستحق المتصل من استقبال تاريخ منشوره كعادة النقود
والمتحصل منهما من المدة يستحق ذلك الديوان مفردا من جملة المحلولات من الاقطاعات
وكان من ابواب الهلالي جهات تسمى المعاملات وهي الزكاة والمواريث والثغور والمتجر
والشب والنطرون والمعبس الجيوشي ودار الضرب ودار العيار والجاموس وابقار
الحبش والاغنام والعرصة والسباخ والاحكار والرباع والمراكب وما يستادى من
الذمة عن الجوالي وساحل السنط والخراج والعرض ومقرر الجسور وموظف
الاتبان ومقرر القصب ومقرر البريد ومقرر السنط وعشر الحرف وغير ذلك
من جهات المكوس **فاما** الجزية وتعرف في زمننا بالجوالي فانها تستخرج سلفا
وتعجيلا في غرة السنة وكان يتحصل منها مال كبير فيما مضى لــ القاضي
الفاضل في متجددات الحوادث الذي انعقد عليه ارتفاع الجوالي لسنة سبع
وثمانين وخمسمائة مائة الف وثلثون الف دينار واما في زمننا هذا فان
الجوالي قلت جدا لكثرة اظهار النصارى للاسلام في الحوادث التي مرت لهم ولما
استبد الملك المؤيد شيخ بملك مصر بعد الخليفة العباس بن محمد بن امير المؤمنين
المستعين بالله ولي رجلا جباية الجوالي فكثر الاستقصا عن الذمة والكد
في الاستخراج منهم فبلغت الجوالي في سنة ست عشرة وثمانمائة احد عشر الف
واربعمائة دينار سوى ما غرم للاعوان وهو قدر كبير **واما** المراعي وهي
الكلا المطلق المباح الذي انبته الله سبحانه لرعي دواب بني ادم فاول من ادخلها
الديوان بمصر احمد بن مدبر لما ولي الخراج وصير لذلك ديوانا وعاملا حيله ا
حظر على الناس ان يتباعوا المراعي او يشتروها الا من جهته وادركنا المراعي
ببلاد الصعيد مما يضاف الى الاقطاعات فياخذ الامير ممن يرعى دوابه في ارض
بلده الكلا في كل سنة مالا عن كل راس فيجبي من صاحب الماشية بعدد اغنامه
فلما اختل امر الصعيد في الحوادث الكاينة منذ سنة ست وثمانمائة بطل شي
الامر في ذلك وكانت العادة القديمة ان يندب للمراعي مشد وشهود وكتاب
يعدون المواشي ويستخرجون من اربابها عن كل راس شيا ولا يكون ذلك الا بعد
هبوط النيل وثبات الكلا واستخراجه بالرعي **واما** المصايد فهي ما اطعم به

سبحانه من صيد البحر واول من ادخلها الديوان ايضا ابن مدبر وجعل لها ديوانا
واحتشم من ذكر المصايد وشناعة القول فيه فامر ان يكتب في الديوان خراج
مضارب الاوتاد ومغارس الشباك فاستمر ذلك وكان يندب لمباشرتها مشد
وشهود وكانت الى عدة جهات منها خليج الاسكندرية وبحيرة الاسكندرية
وبحيرة نستراوه وثغر دمياط وجنادل ثغر اسوان وغير ذلك من البرك والبحيرات
يخرجون عند هبوط النيل ورجوع الماء من المزارع الى بحر النيل بعد ما يكون
افواه الترع قد سكرت وابواب القناطر سدت عند انتهاء زيادة النيل فيما
يتراجع الماء ويتكاثف حيال المزارع ثم ينصب شباك ويتصرف المياه فيبقى السمك
وقد اندفع مع الماء الجاري فيصده الشباك عن الانحدار مع الماء ويجتمع فيها فيخرج
الى البر ويوضع على الانخاخ ويملح ويودع في الامطار فاذا استوى باع ويقال له
الملوحة والصير ولا يكون ذلك الا فيما كان من السمك في قدر الاصبع فما دونه
ويسمون هذا الصنف اذا كان طريا البسارية وكل مسويه ومملوح ويتصاد
من بحيرة نستراوه وبحيرة تنيس وبحيرة الاسكندرية اسماك تعرف
بالبوري وقيل لها ذلك لانها كانت تصاد عند قرية من قرى تنيس يقال
لها بوره وقد خربت والنسبة اليها البوري وينسب اليها جماعة من الناس
منهم بنو البوري وقيل لهذا السمك البوري اضافة الى القرية المذكورة
وقد بطل في زمننا اليوم امر هذه المصايد الا من بحيرة نستراوه والبرنس
وبحيرة تنيس ودمياط فقط وهاتان البحرتان يجريان في ديوان الخاص وهما
متضمنتان وما يخرج منهما من البوري وغيره من انواع السمك فللسلطان لا
يقدر احد ان يتعرض لصيد شي منه الا ان يكون من صيادها القايمين بالضمان
وما عدا هاتين البحرتين من البرك والاملاك والخلجان فليست للسلطان واما
بحر اسكندرية فقد خربت وثغر اسوان يخرج عن يد السلطنة ويتغلب
عليها اولاد الكنز وبرك ما بايدي امرائهم كبركة الفيل بيد اولاد الملك الظاهر
بيبرس وبركة الرطلي بيد اولاد الامير بكتمر الحاجب وغير ذلك فان اسماكها
مضمنة لهم يستغلونها ومع ذلك لا يمنع احد الصيد منها واما بحر النيل
فما يصاد منه يحمل الى دار السمك بالقاهرة ويباع ويوخذ منه مكس للسلطان
الى ان الامير جمال الدين يوسف الاستادار زاد فيما كان يوخذ من الصيادين
مكسا

مكسا ومن حينئذ قل السمك بالقاهرة وغلا سعره وقال ابو سعيد عبد الرحمن
بن احمد بن يونس في تاريخ مصر ان صنما كان بالاسكندرية يقال له شراحيل على
حشفة من حشف البحر مستقبل باصبع من كفه قسطنطينية لا يدري اكان
مما عمله سليمان النبي عليه السلام ام عمله الاسكندر فكان الحيتان يدورون
بالاسكندرية وتصاد عندها فيما زعموا قال زيد بن عبد الرحمن بن زيد
بن اسلم فاخبرني ابي عن ابيه انه انبطح على بطنه ومد يديه ورجليه وكان طوله
قدم الصنم فكتب رجل يقال له اسامة بن زيد كان عاملا على مصر للوليد
بن عبد الملك امير المومنين ان عندنا بالاسكندرية صنما يقال له شراحيل
من نحاس وقد غلت علينا الفلوس فان راي امير المومنين فان راى امير
المومنين ان ينزله ونضربه فلوسا فعل وان راى غير ذلك فليكتب الي من
امره فكتب اليه لا تنزله حتى ابعث اليك امناء يحضرونه فبعث اليه رجالا امناء
حتى انزل من الحشفة فوجدوا عينيه ياقوتتين حمراوين ليس لهما قيمة فضرب به
فلوسا فانطلقت الحيتان فلم ترجع الى ما هنالك واما الزكاة فان السلطان
صلاح الدين يوسف بن ايوب اول من جباها بمصر قال القاضي الفاضل
في متجددات سنة سبع وستين وخمسمائة ثالث عشر ربيع الاخر فرقت الزكاة
بعد ما جمعت على الفقراء والمساكين وابناء السبيل والغارمين بعد ان دفع الى بيت
المال السهام الاربعة وهي سهام العاملين والمولفة وفي سبيل الله وفي الرقاب
وقررت لها فريضة واستودي على الاموال والبضايع وعلى ما يتعدد عليه من
المواشي والنخل والخضراوات قال والذي انعقد عليه ارتفاع الحول الى سنة
سبع وثمانين وخمسمائة ثلاثون الف دينار والزايد في معاملتي الزكاة ودار الضرب
لسني ست وسبع وثمانين وخمسمائة احد وعشرون الف دينار وثمانمائة
واحد وستون دينارا وقال في سنة ثمان وثمانين واستخدم ابن حمدان في
ديوان الزكاة وكتب خطه بما مبلغه اثنان وخمسون الف دينار لسنة واحدة من
مال الزكاة وجعل الطواشي قراقوش الشاد في هذا المال وان لا يتصرف فيه
بل يكون مودعا في صندوق للمهمات التي يومر بها ولما قدم ابن عنين الشاعر
من عند الملك العزيز سيف الاسلام طغتكين بن نجم الدين ايوب بن شادي ملك
اليمن الى مصر وقد اجزل صلته عند ما وصل اليه وفاد فجوز فوجد اثرى به كثيرا

قبض ارباب ديوان الزكاه بمصر على ما قدم به من المتجر وكالبوه بزكاة ما معه
وكان ذلك في ايام السلطان الملك العزيز عثمن بن صلاح الدين يوسف بن ايوب
بن شادي فقيل

ما كل من يتسمى بالعزيز لها اهل ولا كل برق سحبه غدقه
بين العزيزين بون في فعالهما هاذاك يعطي وهذا ياخذ الصدقه

ثم ان العزيز كشف عن ما يستادى من الزكاة فانه انهى اليه انها اموال
سحت منها انه اخذ من رجل فقير يبيع الملح في قفة على راسه زكاة عما في القفه
وانه بيع جمل بخمسة دنانير فاخذ زكاتها خمسة دراهم فامر بتفويض امرها الى
ارباب الاموال ومن وجب عليه حق ثم لما كانت سلطنة الملك الكامل ناصر
الدين محمد بن الملك العادل ابي بكر بن ايوب بن شادي اخرج من زكاة الاموال
التي كانت بخاس الناس سهمي الفقرا والمساكين وامر بصرفها في مصارفها الشرعيه
ورتب من جملة هذين السهمين معاليم للفقها والصلحا واهل الخير تجري عليهم فاستمر
ذلك من فعله فيها وحمله الى ديوان الزكاة فقبل منه ومن لم يحمل لا تعرض اليه
فبخل الاغنيا باخراج زكاة اموالهم حتى تضرر الفقرا واضر السعاه ببدلون
في ضمانها الاموال للتعود على ما كانت عليه فولي النظر في ديوان الزكاه للقاضي
الاسعد شرف الدين ابي المكارم اسعد بن مهذب بن مماتي فاستخرج الزكوات
من اربابها تم لما ضمنت بمال كبير وعاد الامر فيها الى ما كان عليه من العسف
والجور وكانت اعوان متولي الزكاه تخرج الى منية بني خصيب واخميم وقوص
لكشف احوال المسافرين من التجار والحجاج وغيرهم فيجبون عن جميع ما معهم
ويدخلون ايديهم اوساط الرجال خشية ان يكون معهم مال ويحلفون الجميع
بالايمان الحرجه على ما بايديهم وما عندهم غير ما وجدوه ويقوم طايفة من
مردة هولا الاعوان وبايديهم المسال الطوال ذوات الانصبه فيصعدون
الى المراكب ويخسون بها جميع ما فيها من الاحمال والغرابر مخافة ان يكون
فيها شي غيب من بضاعة او مال ويبالغون في البحث والاستقصا بحيث يفتضح
ويستبشع فعلهم ويقف الحجاج بين هولا الاعوان مواقف خزي ومهانه
لا يصدعنهم من تفتيش اوساطهم وعرابر ازوادهم ويحل بهم من العسف
وسو المعامله ما لا يوصف وكذلك يفعل في جميع ارض مصر منذ عهد السلطان

صلاح الدين

صلاح الدين يوسف بن ايوب **واما** الثغور فهي تنيس ودمياط ورشيد وعيذاب
واسوان والاسكندريه وهي اعظمها قدرا فانه كان فيها عدة جهات منها الخمس
والمتجر فالخمس ما يستادى من تجار الروم الواردين في البحر عما معهم من البضايع
للمتجر بمقتضى ما صولحوا عليه وربما بلغ ما يستخرج منهم عما قيمته مايه دينار ما يناهز
خمسه وثلثين دينارا وربما انحط عن عشرين دينار ويسمى كلاهما خمسا ومن
اجناس الروم من يوخذ منهم العشر ولذلك ضرايب مقرورة قال القاضي
الفاضل والحاصل من خمس اسكندريه في سنة سبع وثمانين وخمسمايه ثمانية
وعشرون الف دينار وستمايه وثلثة عشر دينارا والمتجر عبارة عما يبتاع للديوان
من بضايع تدعو اليها الحاجة وتقتضيه طلب الفايدة قال جامع سيرة
الوزير اليازوري ونقص النيل بمصر في سنة اربع واربعين واربعمايه
ولم يكن في المخازن السلطانيه شي من الغلات فاشتدت المسغبه بمصر وكان
لسبب خلو المخازن سبب اوجب ذلك وهو ان الوزير الناصر للدين لما افضت
اليه القضا في ايام ابي البركات الوزير كان يبتاع للسلطان في كل سنة غلة
بماية الف دينار وتجعل متجرا فمثل القاضي بحضرة الخليفة المستنصر بالله
وعرفه ان المتجر الذي يقام بالغلة فيه اوفي مضرة على المسلمين وربما انحط السعر
عن مشتراها به فلا يمكن بيعها فتتغير في المخازن وتتلف وانه يقيم متجرا لا
كلفة على الناس فيه ويفيد اضعاف فايدة الغله ولا يخشى عليه من تغير في
المخازن ولا انحطاط سعر وهو الخشب والصابون والحديد والرصاص
والعسل وما اشبه ذلك فامضى السلطان له ما راه واستمر ذلك ودام
الرخا على الناس توسعوا فيه مدة سنين ثم عمل الملوك بعد ذلك ديوانا
للمتجر واخر من عمله السلطان الملك الظاهر برقوق **واما** الشب فان
معادنه ببلاد الصعيد وكانت عادة الديوان الانفاق في تحصيل القنطار منه
ما الليثي مبلغ ثلاثين درهما وكانت العربان تحضره من معادنه الى ساحل اخميم
واسيوط والبهنسا وتحمل الى الاسكندريه ايام النيل في الخليج وتشترى بالقنطار
الليثي ويباع بالقنطار الجروي فيباع منه على تجار الروم بقدر الفي قنطار
بسعر اربعة دنانير كل قنطار الى سته دنانير ويباع منه بمصر على اللبودين
والحصريين والصباغين نحو الفين قنطار بالجروي بسعر سبعة دنانير

ونصف قنطار ولا يقدر احد على ابتياعه من العربان ولا غيرهم فان عثر على احدٍ
انه اشترى منه شيا او باعه سوى الديوان نكل به واستهلك ما وجد معه وقد
بطل اليوم هذا واما النطرون فيوجد في البر الغربي من ارض مصر
بناحية الطرانه وهو احمر واخضر ويوصل منه بالفاقوسية شي دون ما يوجد
في الطرانه وهو ايضا مما حظر عليه بن مدبر من الاسبا التي كانت مباحة وجعله
في ديوان السلطان وكان من بعده على ذلك الى اليوم وقد كان الرسم فيه بالديوان
ان يحمل منه في كل سنة عشرة الاف قنطار ويعطى الضمان منه في كل سنة نحو
ثلثين الف قنطار يحملونها من الطرانه ويباع في مصر بالقنطار المصري وفي
بحر الصعيد والشرقية بالجروي وفي دمياط بالقنطار الليثي ولما
القاضي الفاضل وباب النطرون كان مضمونا الى اخر سنة خمس وثمانين وخمسمائة
بمبلغ خمسة عشر الف وخمسمائة دينار وحصل منه في سنة ست وثمانين وخمسمائة
عن مبلغ خمسة عشر مبلغ سبعة الاف وثمان مائة دينار واحد وكان النطرون منقطعا
لعدة اسناد فلما تولى الامير محمود بن علي الاستادارية وكان مدبر الدولة
في الايام الظاهرية برقوق حاز النطرون وجعل له مكانا لا يباع الا فيه وهو
الى الان على ذلك واما الحبس الجيوشي وكان في البرين الشرقي والغربي
في الشرقي بحبيب والامرية والمنية وكانت يتحصل هذه النواحي تعينت
وفي البر الغربي بسنط ونهيا وسيم وهذه النواحي حبسها امير الجيوش بدر
الجمالي على عقبه هي والبساتين ظاهر باب الفتوح فلما مات وطال العهد
استاجرها الوزرا باجرة يسيرة طلبا للفائدة ثم ادخلت في الديوان
بن المامون في تاريخه وجميع البساتين المختصة بالورثة الجيوشية مع البلاد التي
لهم لم تزل في مدة ايام الوزير المامون بن البطايحي بايديهم لم يخرج عنهم بستان
ولا بغيره فلما توفي الخليفة الامر باحكام الله وجلس ابو علي بن الافضل بن
امير الجيوش في الوزارة اعاد الجميع الى الاملاك لكون نصيبه في ذلك الاوفر
فلما قتل واستبد الخليفة الحافظ لدين الله امر بالقبض على جميع الاملاك
وحل الاحباس المختصة بامير الجيوش فلم يزل يانس به لانه غلام الافضل
والوزير في ذلك الوقت وعز الملك غلام الاوحد بن امير الجيوش يتلطفان
ويراجعان الخليفة مع الكتب التي احضرها الورثة وعليها خطوط الخلفا الى ان
ابقاها

ابقاها عليهم ولم يخرجا عنهم ثم اوقعت الحوطة عليها في سنة سبع وعشرين وخمسمائة
الديوان الحافظي والمخدوم الحظير والمريض في سنة احدى وثلثين وخمسمائة
في وزارة رضوان بن ولخشي اعاد البساتين خاصة دون البلاد على الورثة بحكم ما
الت اليه حالها من الاختلال ونقص الارتفاع ولما انقرض عقب امير الجيوش ولم
يبق منه سوى امراة كبيرة افتى فقها العصر ببطلان ذلك الحبس فقبضت النواحي
وصارت من جملة الاموال السلطانية فمنها ما هو اليوم في الديوان السلطاني
ومنها ما صار وقفا ورزقا احباسية وغير ذلك واما دار الضرب فكان بالقاهرة
دار ضرب وبالاسكندرية دار ضرب وبقوص دار ضرب ولا يتولى عيار دار الضرب
الا قاضي القضاة او من يستخلفه وتمرد ذلك في زمننا حتى صار يليها مسالمة فسقة
اليهود المصرين على الفسق مع ادعايهم الاسلام وكان يجتهد في خلاص الذهب وتحرير
عياره الى ان افسد الناصر فرج ذلك بعمل الدنانير الناصرية فجاءت غير خالصة
وكانت بمصر المعاملة بالورق فابطلها الملك الكامل محمد بن ابي بكر بن ايوب في سنة
بضع وعشرين وضرب الدرهم المدور الذي يقال له الكاملي وجعل فيه من
النحاس نحو الثلث ومن الفضة نحو الثلثين ولم تزل يضرب بالقاهرة الى ان
اكثر الامير محمود الاستادار من ضرب الفلوس بالقاهرة والاسكندرية فبطلت
الدراهم من مصر وصارت معاملة اهلها الى اليوم بالفلوس وبها تقوم الذهب
وساير المبيعات وسياتي ذكر ذلك ان شا الله تعالى عند ذكر خراب مصر وكانت
دار الضرب يتحصل منها للسلطان مال كبير فتعطل في زماننا لقلة الضرب ودار
الضرب اليوم جارية في ديوان الخاص واما دار العيار فكانت مكانا يختبر فيه
للرعية وتصلح موازينهم ومكاييلهم ويحصل منها للسلطان مال وجعلها السلطان
صلاح الدين من جملة اوقاف سور القاهرة وقد ذكرته في خطط القاهرة من
هذا الكتاب واما الاحكار فانها اجر مقررة على ساحات بمصر والقاهرة فمنها
ما صار دورا للسكنى ومنها ما اشتمل بساتين وكانت تلك الاجر من جملة الاموال
السلطانية وقد بطل ذلك من ديوان السلطان وصارت احكار مصر والقاهرة
وما بينهما اوقافا على جهات متعددة واما العروس فكانت في العزيزية فقط عن
اراضي يوضع عنها شبه الحكر عن كل فدان مقرر معلوم وقد بطل ذلك من الديوان
واما مقرر الجسور فكان على كل ناحية مقرر تعينه قطع معلومة يجبى منها عن كل

قطعة عشرة دنانير لتصرف في عمل الجسور فيتحصل منها مال كبير يحمل الى بيت المال
وقد بطل هذا ايضا وجدد الناصر فرج على الجسور حوادث قد ذكرت في اسباب
الخراب **واما** موظف الاتبان فكان جميع نواحي ارض مصر على ثلثة اقسام قسم
للديوان وقسم للمقطع وقسم للفلاح فيجبي التبن على هذا الحكم من سائر الاقاليم ويوخذ
في التبن عن كل مائة حمل اربعة دنانير وسدس دينار فيتحصل من ذلك مال كبير
وقد بطل هذا ايضا من الديوان **واما** الخراج فانه كان في البهنساوية وسفط
رشين والاشمونين والاسيوطية والاخميمية والقوصية اشجار لا تحصى من سنط
لها حراس يحمونها حتى يعمل منها مراكب الاسطول فلا يقطع منها الا ما تدعو اليه
الحاجة وكان فيه ما يبلغ قيمة العود الواحد منه مائة دينار وكان يستخرج
من اهل هذه النواحي مال يقال له رسم الخراج ويحتج في جبايته بانه نظير ما
لعل اهل النواحي ينتفع به من اخشاب السنط في عمائرها ومتفرد اخر كان يجبي منهم
يعرف بمتفرد السنط فيصرف من هذا المتفرد اجرة قطع الخشب وجره بمنزلة
عن كل مائة حمل دينار وعلى المستخدمين في ذلك ان لا يقطعوا من السنط ما يصلح
لعمل مراكب الاسطول لكنهم انما يقطعون الاطراف التي ينتفع بها في الوقود فقط
ويقال لهذا الذي يقطع حطب النار ويباع على التجار منه كل مائة حمل باربعة
دنانير ويكتب على ايديهم زنة ما بيع عليهم فاذا وردت المراكب بالحطب الى
ساحل مصر اعتبرته عليهم وقوبل بما فيها ما عين في الرسالة الواردة واستخرج
الثمن على ما في الرسالة وكانت العادة انه لا يباع مما في البهنسا الا ما فضل عن
احتياج المطابخ السلطانية وقد بطل جميع هذا واستولت الايدي على تلك
الاشجار فلم يبق منها شي البتة ونسي هذا من الديوان **واما** القرظ فانه ثمر
شجر السنط التي ذكرت وكان لا يتصرف فيه الا الديوان ومتى وجد عند احد
شي اشتراه من غير الديوان نكل به واستهلك ما وجد منه فاذا جمع مال القرظ
اقيم منه مراكب تباع ويوخذ من ثمنها الربع عندما تصل الى ساحل مصر بعد ما
يقوم او ينادى عليه وكان فيه حيف كبير وقد بطل ذلك **واما** ما يستادى من
اهل الذمة فانه كان يوخذ منهم عما يرد ويصدر معهم من البضايع في مصر والاسكندرية
واخميم خاصة دون بقية البلاد ضرايب تستقر في الديوان وقد بطل ذلك ايضا
واما متفرد الجاموس ومتفرد بقر الخيس ومتفرد الاغنام فانه كان للسلطان
من

من هذه الاصناف شي كبير جدا يوخذ من الجاموس للديوان على كل راس من الراتب
في نظير ما يتحصل منه في كل سنة من خمسة دنانير الى ثلثة دنانير ومن اللاحق بحق
النصف من الراتب واقل ما ينتج كل مائة راس خمسين راسا الى غير ذلك من ضرايب
مقررة على الجاموس وعلى ابقار الخيس وعلى الغنم البياض والغنم الشعاري والنحل
وقد بطل ذلك باجمعه لقلة مال السلطان واعراضه عن العمارة واسبابها
وتعاطي اسباب الخراب **واما** المواريث فانها في الدولة الفاطمية لم تكن كما
هي اليوم من اجل ان مذهبهم توريث ذوي الارحام وان البنت اذا انفردت استحقت
المال باجمعه فلما انقضت ايامهم واستولت الدولة الايوبية ثم الدولة
التركية صار من جملة مال السلطان مال المواريث الحشرية وهي التي يستحقها بيت
المال عند عدم الوارث فعدل فيها الوزراء مرة وتظلم اخرى **واما** المكوس
فقد تقدم حدوثها وما كان من الملوك فيها والذي بقي منها الى الان بديار مصر يلي
امره الوزير وهو في الحقيقة انما هو نفع للاقباط يتحولون فيه بغير حق وقد تضاعفت
المكوس في زمننا عما كانت عليه منذ عهد تحدث الامير جمال الدين يوسف الاستادار
في الاموال السلطانية كما ذكر في اسباب الخراب **واما** البراطيل وهي الاموال
التي توخذ من ولاة البلاد ومحتسبيها وقضاتها وعمالها فاول من عمل ذلك بمصر
الصالح بن رزيك في ولاة النواحي فقط ثم بطل ذلك في ايام العزيز عثمان بن
صلاح الدين وعمله الامير شيخو في الولاة فقط ثم افحش فيه الظاهر برقوق
كما ذكر في اسباب الخراب **واما** الحمايات والمستاجرات فشي حدث في ايام
الناصر فرج وصار لذلك ديوانا ومباشرين وعمل مثل ذلك الامرا وهو من
اعظم السياسات اسباب الخراب كما تقدم ذكره في موضعه من هذا الكتاب
ذكر الاهرام اعلم ان الاهرامات بارض مصر كانت كثيرة جدا منها
بناحية بوصير شي كثير بعضها كبار وبعضها صغار وبعضها طين ولبن واكثرها
حجر وبعضها مدرج واكثرها مخروط املس وقد كان منها بالجيزة تجاه مدينة
مصر عدد كثير كلها صغار هدمت في ايام السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب
على يدي قراقوش وبنى بها قلعة الجبل والسور المحيط بالقاهرة ومصر والقناطر
التي بالجيزة واعظم الاهرام الاهرامات الثلاثة التي هي اليوم قايمة تجاه مصر
وقد اختلف الناس في وقت بنائها واسم بانيها والسبب في بنائها وقالوا

في ذلك اقوالا متباينة اكثرها غير صحيح وسانقص من بنا ذلك ما يكفي ويشفي ان شا
الله تعالى قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه الكاتب في اخبار مصر
وعجايبها في اخبار سوريد بن سلهوق بن سرياق بن توميدون بن بدرسان بن هو صال
احد ملوك مصر قبل الطوفان الذين كانوا يسكنون في مدينة امسوس الاتي ذكرها
عند ذكر مدائن مصر من هذا الكتاب وهو الذي بنا الهرمين العظيمين بمصر
المنسوبين الى شداد بن عاد والقبط تنكر ان تكون العادية دخلت بلادهم لقوة سحرهم
وسبب بنا الهرمين انه كان قبل الطوفان بثلثماية سنة قد راى سوريد في منامه
كان الارض انقلبت باهلها وكان الناس هربوا على وجوههم وكان الكواكب تتساقط
ويصدم بعضها بعضا باصوات هايلة فاغمه ذلك ولم يذكره لاحد وعلم انه سيحدث
في العالم امر عظيم ثم راى بعد ذلك بايام كان الكواكب الثابتة نزلت الى الارض
في صور طيور بيض وكانها تخطف الناس وتلقيهم بين جبلين عظيمين وكان الجبلين
قد انطبقا عليهم وكان الكواكب النيرة مظلمة مكسوفة فانتبه مذعورا ودخل
الى هيكل الشمس وتضرع ومرغ خديه على التراب وبكى فلما اصبح جمع روسا
الكهنة من جميع اعمال مصر وكانوا ماية وثلثين كاهنا فخلا بهم وحكى لهم ما راه اولا
واخرا فاولوه بامر عظيم يحدث في العالم فقال عظيم الكهان ويقال له فليمون ان احلام
الملوك لا تجري على محال لعظم اقدارهم وانا اخبر الملك برويا رايتها منذ سنة ولم اذكرها
لاحد من الناس رايت كاني واياك مع الملك على وسط المنار الذي بامسوس وكان
الفلك قد انحط من موضعه حتى قارب روسنا وكان علينا كالقبة المحيطة بنا وكان
الملك قد رفع يديه نحو السما وكواكبها قد خالطتنا في صور شتى مختلفة الاشكال
وكان الناس قد هرعوا الى قصر الملك وهم يستغيثون به وكان الملك رفع يديه حتى
بلغتا راسه وامرني ان افعل كما فعل ونحن على وجل شديد اذ راينا منها موضعا
قد انفتح وخرج منه نور مضي وطلعت علينا منه الشمس فخاطبنا ان الفلك
سيعود الى موضعه فانتبهت مرعوبا ثم نمت فرايت كان مدينة امسوس قد انقلبت
باهلها والاصنام تهوي على روسها وكان اناسا نزلوا من السما بايديهم مقامع من حديد
يضربون الناس بها فقلت لهم ولم يفعلون بالناس كذا فقالوا لانهم كفروا بالههم فقلت
فما بقي لهم من خلاص قالوا نعم من اراد الخلاص فليلحق بصاحب السفينة فانتبهت
مرعوبا فقال الملك خذوا الارتفاع للكواكب وانظروا هل من حادث فبالغوا في
غايتهم

غايتهم في استقصا ذلك واخبروا بامر الطوفان وبعده بالنار التي تخرج من برج الاسد
تحرق العالم فقال الملك انظروا هل تلحق هذه الافة بلادنا فقالوا نعم ياتي الطوفان
على اكثرها ويلحقه خراب يقيم عدة سنين فقال فانظروا هل تعود عامرة كما كانت او تبقى
مغمورة ابد الدهر فقالوا بل تعود البلاد كما كانت وتعمر فقال ثم ماذا قال يقصدها
ملك يقتل اهلها ويغنم مالها قال ثم ماذا قال يقصدها قوم مشوهون من
ناحية النيل ويملكون اكثرها قال ثم ماذا قالوا ينقطع نيلها ويخلو من اهلها فامر
عند ذلك بعمل الاهرام وان تعمل لها اسراب يدخل منها النيل الى مكان بعينه
ثم يفيض الى مواضع من ارض المغرب وارض الصعيد وملاها طلسمات وعجايب
واموالا واصناما واجساد ملوكهم وامر الكهان فزبروا عليها جميع ما قالته الحكما
وزبر فيها وفي سقوفها وحيطانها واسطواناتها جميع العلوم الغامضة التي تدعيها
اهل مصر وصور فيها صور الكواكب كلها وزبر فيها اسما العقاقير ومنافعها ومضارها دها
وعلم الطلسمات وعلم الحساب والهندسة وجميع علومهم مفسرا لمن يعرف كتابتهم
ولغتهم ولما شرع في بنايها امر بقطع الاسطوانات العظام ونشر البلاطات
الهايلة واستخراج الرصاص من ارض المغرب واحضار الصخور من ناحية
اسوان فبنا بها اساس الاهرام الثلاثة الشرقي والغربي والملون وكانت لهم
صحايف وعليها كتابة اذا قطع الحجر وتم احكامه وضعوا عليه تلك الصحايف وضربوه
بعدها ضربة فينقل بتلك الضربة قدر ماية سهم ثم يعاودون ذلك حتى يصل الحجر الى الاهرام
وكانوا يمدون البلاطة ويجعلون في ثقب بوسطها قطبا من حديد قايما ثم يركبون
عليها بلاطة اخرى مثقوبة الوسط ويدخلون القطب فيها ثم يذاب الرصاص
ويصب في القطب وحول البلاطة بهندام واتقان الى ان كملت وجعل لها ابوابا
تحت الارض باربعين ذراعا فاما باب الهرم الشرقي فانه من الناحية الشرقية
على بعد اربعماية ذراع من وسط حايط الهرم واما باب الهرم الغربي فانه من
الناحية الغربية على بعد اربعماية ذراع من وسط الحايط فاذا احتفر بعد هذا
القياس وصل الى باب الازج المبني ويدخله الى باب الهرم وجعل ارتفاع
كل واحد من الاهرام في الهوا ماية ذراع بالذراع الملكي وهو بذراعهم
وهو خمسماية ذراع بذراعنا الان وجعل طول كل واحد من جميع جهاته ماية
ذراع بذراعهم ثم هندمها من كل جانب حتى تحدد اعلاها من اخر طولها

على ملمابه ذراع بذراعنا الان وكان ابتدا بنايها في طالع سعيد اجتمعوا عليه وتخيروه
فلما فرغت كساها الديباج ملونا من فوقها الى اسفلها وعمل لها عيدا حضره اهل مملكته
باجمعهم ثم عمل في الهرم الغربي ثلثين مخزنا من حجارة صوان ملونة وملئت بالاموال
الجمة والالات والتماثيل المعمولة من الجواهر النفيسة والات الحديد الفاخر من
السلاح الذي لا يصدا والزجاج الذي ينطوي ولا ينكسر والطلسمات الغريبة واصناف
العقاقير المفردة والمولفة والسموم القاتلة وعمل في الهرم الشرقي اصناف القباب
الفلكية والكواكب وما عملها اجداده من التماثيل والدخن التي يتقرب بها الى الكواكب
ومصاحفها وكون الكواكب الثابتة وما يحدث في ادوارها وقتا وقتا وما عمل بها
من التواريخ والحوادث التي مضت والاوقات التي ينظر فيها ما يحدث وكل من
يلي مصر الى اخر الزمان وجعل فيه المطاهر التي فيها المياه المدبرة وما اشبه ذلك
وجعل في الهرم الملون اجساد الكهنة في توابيت من صوان اسود وجعل مع كل كاهن
مصحف فيه عجايب صناعاته واعماله وسيرته وما عمل في وقته وما كان وما يكون
من اول الزمان الى اخره وجعل في الحيطان من كل جانب اصناما تعمل بايديها جميع
الصناعات على مراتبها ومقاديرها وصفة كل صنعة وعلاجها وما يصلح لها ولم يترك
علما من العلوم حتى زبره ورسمه وجعل فيها اموال الكواكب التي اهديت الى الكواكب
واموال الكهنة وهو شي عظيم لا يحصى وجعل لكل هرم منها خازنا فخازن الهرم
الغربي صنم من حجارة صوان مجزع وهو واقف ومعه شبه حربة وعلى راسه
حية قد تطوقت يثب على من قرب منه وتثب اليه وتطوقت على عنقه وتقتله ثم تعود
الى مكانها وجعل خازن الهرم الشرقي صنما من جزع اسود مجزع باسود وابيض
له عينان مفتوحتان براقتان وهو جالس على كرسي ومعه حربة اذا نظر احد اليه
سمع من جهته صوتا تفزع منه فيخر على وجهه ولا يبرح حتى يموت وجعل خازن
الهرم الملون صنما من حجر البهت على قاعدة منه من نظر اليه اجتذبه حتى يلتصق
به فلا يفارقه حتى يموت فلما فرغ من ذلك حصن الاهرام بالارواح الروحانية
وذبح لها الذبايح لتمنع من انفسها من اراده الا من عمل لها اعمال الوصول اليها
وذكر القبط في كتبهم ان عليها كتابا من كتبهم منقوشا تفسيره بالعربية انا سوريد
الملك بنيت هذه الاهرام في وقت كذا وكذا واتممت بناها في ست سنين فمن اتى
بعدي وزعم انه ملك مثلي فليهدمها في ستمائة سنة وقد علم ان الهدم ايسر من
البيان

البنيان واني كسوتها عند فراغها بالديباج فليكسها بالحصر فنظروا فوجدوا انه لا يقوم
بهدمها شي من الازمان الطوال وحكى القبط في كتبهم ان روحانية الهرم الشمالي غلام
امرد اصفر عريان في فمه انياب كبار وروحانية الهرم الجنوبي امراة عريانة بادية الفرج
حسناء في فمها انياب كبار تستهوي الانسان اذا راته وتضحك له حتى يدنو منها فتسلبه
عقله وروحانية الهرم الملون شيخ في يده مجمرة من مجامر الكنايس يبخر بها وقد راي
غير واحد من الناس هذه الروحانيات مرارا وهي تطوف حول الاهرام وقت القايلة
وعند غروب الشمس قال ولما مات سوريد دفن في الهرم ومعه امواله وكنوزه
وقالت القبط ان سوريد هو الذي بنا البرابي واودع فيها كنوزا وزبر عليها علوما
ووكل بها روحانيات تحفظها ممن يقصدها قال واما الاهرام الدهشورية
فيقال ان شداد بن عديم هو الذي بناها من الحجارة التي كانت قطعت في زمن
ابيه وشداد هذا يزعم بعض الناس انه شداد بن عاد وقال من انكر ان يكون
العادية دخلت مصر انما غلطوا باسم شداد بن عديم فقالوا شداد بن عاد
لكثرة ما يجري على السنتهم شداد بن عاد وقلة ما يجري على السنتهم شداد بن عديم
والا فما قدر احد من الملوك يدخل مصر ولا قوي على اهلها غير بخت نصر والله اعلم
وذكر ابو الحسن المسعودي في كتاب اخبار الزمان ومن اباده الحدثان
ان الخليفة عبد الله المامون بن هرون الرشيد لما قدم مصر واتى على الاهرام
احب ان يهدم احدها ليعلم ما فيها فقيل له انك لا تقدر على ذلك فقال لا بد من
فتح شي منه ففتحت له الثلمة المفتوحة الان بنار توقد وخل يرش ومعاول وحدادين
يعملون فيها حتى انفق عليها اموالا عظيمة فوجد عرض الحايط قريبا من عشرين
ذراعا فلما انتهوا الى اخر الحايط وجدوا خلف النقب مطهرة خضراء فيها ذهب
مضروب وزن كل دينار اوقية وكان عددها الف دينار فجعل المامون يتعجب من
ذلك الذهب ومن جودته ثم امر بجملة ما انفق على الثلمة فوجد الذهب الذي
اصابوه لا يزيد على ما انفق منه ولا ينقص فتعجب من معرفتهم بمقدار ما ينفق عليه
ومن تركهم ما وازنه في الموضع عجبا عظيما وقيل ان المطهرة التي وجد فيها
الذهب كانت من زبرجد فامر المامون بحملها الى خزاينه وكان اخر ما عمل من عجايب
مصر واقام الناس سنين يقصدونه وينزلون فيه من الزلاقة التي فيه فمنهم
من سلم ومنهم من يهلك فاتفق عشرون من الاحداث على دخوله واعدوا لذلك

ما يحتاجون اليه من طعام وشراب وحبال وشمع ونحوه ونزلوا في الزلاقة فرأوا فيها من
الخفافيش ما يكون كالعقبان يضرب وجوههم ثم انهم ادلوا احدهم بالحبال فانطبق
عليه المكان نحو ما ولو احد به حتى اعياهم فسمعوا اصواتا ارعبتهم فغشي عليهم ثم قاموا
وخرجوا من الهرم فبينا هم جلوس يتعجبون مما وقع لهم اذ خرجت الارض صاحبهم
من بين ايديهم حيا يتكلم بكلام لم يعرفوه ثم سقط ميتا فحملوه ومضوا فأخذهم الخفراء
ومضوا بهم الى الوالي فحدثوه خبرهم ثم سألهم عن الكلام الذي قاله صاحبهم قبل
موته فقيل لهم معناه هذا جزاء من طلب ما ليس له وكان الذي فسر لهم معناه بعض
اهل الصعيد وقال علي بن رضوان الطبيب فكرت في بناء الاهرام فاوجب علم الهندسة
العملية ورفع الثقل الى فوق ان يكون القوم هندسوا سطحا مربعا ونحتوا الحجارة ذكرا
وانثى ودسموها بالجبس المحرك الى ان ارتفع البناء مقدار ما يمكن رفع الثقل وكانوا
كلما صعدوا اضمروا البناء حتى يكون السطح الموازي للمربع الاسفل مربعا اصغر من المربع
السفلاني ثم عملوا في السطح المربع السفلاني مربعا اصغر بمقدار ما بقي في الحاشية
ما يمكن رفع الثقل اليه وكلما رفعوا حجرا حشوا ما رصوه ذكرا وانثى الى ان ارتفع مقدار
مثل المقدار الاول ولم يزالوا يفعلون ذلك الى ان بلغوا غاية لا يمكنهم بعدها ان
يعلوا اذ ذلك فقطعوا الارتفاع ونحتوا الجوانب البارزة التي فرضوها لرفع الثقل
ونزلوا في النحت من فوق الى اسفل وصار الجميع هرما واحدا وقياس الهرم الاول
بالذراع التي تقاس بها اليوم الابنية بمصر كل حاشية منه اربعمائة ذراع يكون
بالذراع السوداء التي طول كل ذراع منه اربعة وعشرون اصبعا خمسمائة ذراع
وذلك ان قاعدته مربع متساوي الاضلاع والزوايا ضلعين منها على خط نصف النهار
وضلعين على خط المشرق والمغرب وكل ضلع بالذراع السوداء خمسمائة ذراع يكون
اذا تمم ايضا خمسمائة ذراع واحيط بالهرم اربع مثلثات وتربيع كل مثلث منها
متساوي الساقين كل ساق منها اذا تم خمسمائة وستين ذراعا والمثلثات الاربعة
تجتمع رؤوسها عند نقطة واحدة وهي راس الهرم اذا تم فيلزم ان يكون عموده
اربعمائة وثلثين ذراعا على هذا العمود مرا كراساله ويكون تكسير كل مثلث من
مثلثاته اربعمائة الف وخمسة وعشرين الف ذراع اذا اجتمع تكاسيرها كان مبلغ
تكسير سطح هذا الهرم خمسمائة الف ذراع بالسوداء وما احسب على وجه الارض
بناء احسن منه ولا اعظم هندسة ولا اطول ولست اعلمه وقد فتح المامون
نقبا

نقبا من هذا الهرم وجد فيه زلاقة تصعد الى بيت مربع مكعب وجد في وسطه قبر رخام
وهو باق فيه الى اليوم لم يتعد واحد بحطه وبذلك اخبر جالينوس انها قبور فقال في آخر
الخامسة من تدبير الصحة بهذا اللفظ وهم يسمون من كان في هذه السن الهرم
وهو اسم مشتق من الاهرام التي هي الباصارون عن قرب وقال الحوقلي
في صفة مصر وبها الهرمان اللذان ليس على وجه الارض لهما نظير في ملك مسلم
ولا كافر ولا عمل ولا يعمل كهما وقد رام بعض بني العباس على نقضهما ان يقدر بينهما
فمن كان يدعي قوة في ملكه فلم يقدر منها فالهدم ايسر من البنيان فهم بذلك واظنه
المامون او المعتصم فاذا خراج مصر لا يقوم به لو بيد وكان خراجها على عمله بالانصاف
في الجباية ورفق الرعايا بالرعية والمعدلة اذا بلغ النيل سبع عشرة ذراعا وعشر
اصابع اربعة الاف الف ومائتي الف وسبعة وخمسين الف دينار والمنقوض
على العقدانه دنانير فاعرض عن ذلك ولم يعد فيه شيئا وفي صف الفسطاط في غربي
النيل ابنية عظام يكثر عددها متفرقة في سائر الصعيد تدعى الاهرام وليست
كالهرمين اللذين تجاه الفسطاط وعلى فرسخين منه ارتفاع كل واحد منهما اربعمائة
ذراع وعرضه كارتفاعه مبني بحجارة الكذان التي سمك الحجر وطوله وعرضه
من العشر الاذرع الى الثمان بحسب ما دعت الحاجة الى وضعه في زيادته ونقصه
واوجبته الهندسة عندهم لانهما كلما ارتفعا في البناء ضاقا حتى تصير اعلى
كل واحد منهما مثل مبرك جمل وقد ملئت حيطانه بالكتابة اليونانية وقد
ذكر قوم انهما قبران وليس كذلك وانما اخذ اصحابهما في عملهما انه قضي بالطوفان
انه يهلك جميع ما على وجه الارض الا ما حصن في مثلهما فخزن ذخايره واموالهم
فيهما واتى الطوفان ثم نضب فصار ما كان فيهما الى مصر بن مصرايم بن حام بن نوح
وقد خزن فيهما بعض الملوك المتاخرين اموالا والله سبحانه اعلم وقال ابو يعقوب
محمد بن اسحق النديم الوراق في كتاب الفهرست وقد ذكر هرمس البابلي قد اختلف
في امره فقيل انه كان احد السبعة السدنة الذين رتبوا حفظ البيوت السبعة
وانه كان لهم بيت عطارد وباسمه سمي فان عطارد باللغة الطرد انه هرمس
وقيل انه انتقل الى ارض مصر باسباب وانه ملكها وكان له اولاد منهم
طاط وصا واسمن واتريب وقفط وانه كان حكيم زمانه وانه لما توفي دفن في البناء
الذي يعرف بمدينة مصر باي هرمس وتعرفه العامة بالهرمين وان احدهما

قبره والاخر قبر زوجته وقيل انه قبر ابنيه الذي خلفه بعد موته وهذه الابنيه يعني
الاهرام طولها بالذراع الهاشميه اربعمايه ذراع وثمانون ذراعا على مساحة اربعمايه
وثمانين ذراعا ثم تخرط البنا فاذا حصل الانسان في راسه كان مقدار سطحه اربعين
ذراعا في اربعين ذراعا هذا بالهندسه وفي وسط هذا السطح قبه لطيفه في وسطها
شبيه بالمقبره وعند راس ذلك القبر صخرتان في نهاية اللطافه والحسن وكثره
اللون وعلى كل واحد منهما شخص من حجاره صوره ذكر وانثى وقد تقابلا بوجهيهما
وبيد الذكر لوح من حجاره فيه كتابه وبيد الانثى مرآة وفي الوسط ذهب بينهما للمقاس
وبين الصخرتين برنيه من حجاره على راسها غطا ذهب فلما قلع فاذا فيه شبيه بالعقاد
بغير رايحة قد يبس وفيها حقه ذهب فنزعت راسها فاذا فيه دم عبيط ساعه
نزعه الهوا جمد كما يجمد الدم وجفو على القبور اغطيه حجارة فلما قلعت اذا رجل
نايم على قفاه على نهاية الصحة والحفاف بين الخلقه ظاهر الشعر والى جانبه
امراة على هيئته قال وذلك السطح مقعر نحو قامه كالمدور ومثله
ازاج من حجارة فيها صور وتماثيل مطروحه وقايمه وغير ذلك من الاله التي
لا تعرف اشكالها وقال العلامه موفق الدين عبد اللطيف بن ابي
العز يوسف بن ابي البركات محمد بن علي بن ابي سعيد البغدادي المعروف بابن
المطحن في سيرته وجاد جل جاهل عجمي تخيل الى الملك العزيز عثمن بن
صلاح الدين يوسف ان الهرم الصغير تحته مطلب فاخرج اليه الحجارين
واكثر العسكر واخذوا في هدمه واقاموا على ذلك شهورا ثم تركوه عن عجز
وخسران مبين في المال والعقل ومن يرى حجارة الهرم يقول انه قد استوصل
الهرم ومن يرى الهرم لا يجد به الا شعثا يسيرا او قد اسرفت على الحجارين
فقلت لمقدمهم هل تقدرون على اعادته قال لو بذل لنا السلطان عن كل
حجر الف دينار لم يمكنا ذلك وقال ابو الحسن المسعودي في كتاب مروج
الذهب والاهرام طولها عظيم وبنيانها عجيب عليها انواع من الكتابات
باقلام الامم السالفه والممالك الداثره لا يدرى ما تلك الكتابه ولا المراد بها وقد
قال من عني بتقدير ذرعها ان مقدار ارتفاع الهرم الكبيره ذهابا في الجو
نحو اربعمايه ذراع او اكثر وكلما علا به الصعود ادق ذلك والعرض نحو ما بيناه
ووصفنا عليه من الرسوم علوم وخواص وسحر واسرار الطبيعه وان من تلك
الكتابة

الكتابة مكتوب انا بنيناها فمن يدعي موازنتنا في الملك وبلوغ القدرة واتقنا امر السلطان
فليهدمها وليزل رسمها فان الهدم ايسر من البنا والتفريق اسهل من التفريق
وقد ذكر ان بعض ملوك الاسلام شرع في هدم بعضها فاذا اخراج مصر لا
يفي بقلعها وهي من الحجر والرخام وانما بنو دلوك وكان الملك منهم اذا مات وضع في
حوض من حجارة تسمى بمصر والشام الجرون واطبق عليه ثم نبنا من الهرم على قدر
ما يريدون من ارتفاع الاساس ثم يحمل الحوض ويوضع وسط الهرم ثم تنقطو عليه
البنيان والاقباب ويرفعون البنا على هذا المقدار الذي يرونه ويجعل باب الهرم
تحت الهرم ثم يحفر له طريق في الارض ويعقد ازج طوله تحت الارض مايه
ذراع او اكثر ولكل هرم من هذه الاهرام باب مدخله على ما وصفنا قال
وكان القوم يبنون الهرم من هذه الاهرام مدرجا ذا مراقي كالدرج فاذا فرغوا
منه نحتوه تحت الارض من فوق الى اسفل فهذه كانت حيلتهم وكانوا مع ذلك لهم
قوة وصبر وطاعة وقال في كتاب التنبيه والاشراف والهرمان اللذان
في الجانب الغربي من فسطاط مصر فهما من عجايب بنيان العالم كل واحد منهما اربعمايه
ذراع في سمك مثل ذلك مبنيان بالحجر العظيم على الرياح الاربع كل ركن من اركانها
تقابل ريحا منها فاتيراز ريح الجنوب وهو المريسي واحد هذين الهرمين قبر اغاذيمون
والاخر قبر هرمس وبينهما نحو الف سنه وانما دعون المتقدم وكان سكان مصر
وهم الانباط يعتقدون نبوتهما قبل ظهور النصرانيه فيهم على ما يوجبه راي
الصابيين في النبوات لا على طريق الوحي بل هم عندهم نفوس طاهره صفت
وتهذبت من ادناس هذا العالم فاتحدت بهم مواد علويه فاخبروا عن الكاينات
قبل كونها وعن سراير العالم وغير ذلك وفي العرب من اليمانيه من يرى انهما
قبرا شداد بن عاد وغيره من ملوكهم السالفة الذين غلبوا على بلاد مصر
في قديم الدهر وهم العرب العاديه من العماليق وغيرهم وهي عند من ذكرنا
من الصابيين قبور اجساد طاهره وذكر ابو زيد البلخي انه وجد مكتوب
على الاهرام بكتابتهم خط فعرب فاذا هو بنيا هذان الهرمان والنسر الواقع في
السرطان فحسبوا من ذلك الوقت الى الهجرة النبويه فاذا هو ستة وثلثون الف سنه
شمسية مرتان تكون اثنان وسبعون الف سنه شمسيه وقال الهمداني
في كتاب الاكليل لم يوجد مما كان تحت المادونت العرف من العزي قرية فيها

نقبة سوى نهاوند ترجمتها ووجدته كما هي لم تتغير واهرام الصعيد من ارض مصر
وذكر ابو عبد الله محمد بن عبد الرحيم القيسي في كتاب تحفة الالباب ان
الاهرام مربعة الجملة مثلثة الوجوه وعددها ثمانية عشر هرما في مقابلة مصر
الفسطاط ثلثة اهرام اكبرها دورة الفي ذراع في كل وجه خمسماية ذراع وعلوه
خمسماية ذراع وكل حجر من حجارتها ثلثون ذراعا في غلظ عشرة اذرع قد احكم
الصاقه ونحته ومنها عند مدينة فرعون يوسف اهرام اعظم واكبر دوره
ثلثة الاف ذراع وعلوه سبع ماية ذراع من حجارة كل حجر خمسون ذراعا
وعند مدينة فرعون موسى اهرام اكبر واعظم وهرم اخر يعرف بهرم ميدوم
كانه جبل وهو خمس طبقات وفتح المامون الهرم الكبير الذي تجاه الفسطاط
قال وقد دخلته ورايت داخله قبة مربعة الاسفل مدورة الاعلا كبيرة في
وسطها بير عمقها عشرة اذرع وهي مربعة ينزل الانسان فيها فيجد في كل وجه
من تربيع البير بابا يفضي الى دار كبيرة فيها موتى من بني ادم عليهم اكفان كثيرة
اكثر من ماية ثوب على كل واحد قد بليت بطول الزمان واسودت واجسامهم
مثلنا ليسوا طوالا ولم يسقط من اجسادهم ولا من شعورهم شي وليس فيهم شيخ
ولا من شعره ابيض واجسادهم قوية لا يقدر الانسان ان يزيل عضوا من
اعضايهم البتة ولكنهم خفوا حتى صاروا كالقتا لطول الزمان وفي تلك البير
اربعة من الدور مملوة باجساد الموتى وفيها خفاش كبير وكانوا يدفنون ايضا
جميع الحيوان في الرمال ولقد رايت يوما ثيابا ملفوفة كبيرة حزمة مقدار
اكثر من ذراع وقد اخرجت تلك الثياب من القدم فاذلت الثياب الى ان ظهر
خرق صحاح قوية بيض من كتان امثال العصايب فيها اعلام من الحرير الاحمر وفي
داخلها هدهد ميت لم يتناثر من ريشه ولا من جسده شي كانه قد مات
الان وفي القبة التي في الهرم باب يفضي الى علو الهرم وليس فيه درج عرضه
نحو خمسة اشبار فقال انه صعد فيه في زمان المامون فانتهوا الى قبة صغيرة
فيها صورة ادمي من حجر اخضر كالدهنج فاخرجت الى المامون فاذا هي منطبقة
فلما فتحت وجدوا فيها جسد ادمي عليه درع من ذهب مزين بانواع الجواهر
وعلى صدره نصل سيف لا قيمة له وعند راسه حجر ياقوت احمر كبيضة
الدجاجة تضي كلهيب النار فاخذه المامون وقد رايت الصنم الذي اخرج منه
ذلك

ذلك الميت ملقا عند دار الملك بمصر في سنة احدى عشرة وخمسماية وقال
القاضي الجليل ابو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي روى علي بن الحسن بن خلف
بن قديد عن يحيى بن عثمن بن صالح عن محمد بن علي بن صخر التميمي قال حدثني
رجل من عجم مصر من قرية من قراها يدعى نقط وكان عالما بامور مصر واحوالها
وطالبا لكتبها القديمة ومعادنها قال وجدنا في كتبنا القديمة قال واما
الاهرام فان قوما احتفروا فتروا في دير ابي هرميس فوجدوا فيه ميتا في اكفانه
وعلى صدره قرطاس ملفوف في خرقة فاستخرجوه من الخرق فراوا كتابا لا يعرفونه
وكان الكتاب بالقبطية الاولى فطلبوا من يقراه لهم فلم يقدروا عليه فقيل
لهم ان بدير القلمون من ارض الفيوم راهبا يقراه فخرجوا اليه وقد ظنوا
انه في الصنيعة فقراه لهم وكان فيه كتب هذا الكتاب في اول سنة من ملك
دقلطيانس الملك وانا استنسخناه من كتاب نسخ في اول سنة من ملك
فيلبش الملك وان فيلبش انتسخه من صحيفة من ذهب حرف كتابها حرفا
حرفا وكان من الكتاب الاول ترجمة له اخوان من القبط يقال لاحدهما ابلو
والاخر برنيا وان الملك فيلبش سالهما عن سبب معرفتهما بما جهله الناس
من قراته فذكرا انهما من ولد رجل من اهل مصر الاوايل لم ينج من الطوفان
من اهل مصر احد غيره وكان سبب نجاته انه اتى نوحا عليه السلام فامن
به ولم يامنه من اهل مصر غيره فحمله معه في السفينة فلما نضب الطوفان
اتى مصر معه نفر من ولد حام بن نوح عليه السلام وكان بها حتى هلك فورث
ولده علم كتاب اهل مصر الاول فورثناه عنه كابرا عن كابر وكان تاريخه
الذي مضى الى ان انتسخه فيلبش الفان وثلثمائة واثنين وسبعين سنة وان الذي
انتسخه في صحيفة من ذهب حرف كتابتها حرفا على ما وجده فيلبش وان
تاريخه الى ان انتسخه الف وسبعماية وخمس وثمانون سنة وكان الكتاب
المنسوخ انا وجدنا فيما يدل عليه علم النجوم فراينا ان افة نازلة من السما وخارجة
من الارض فلما بان لنا الكون نظرنا ما هو فوجدناه مما يفسد الارض وحيوانها
ونباتها فلما تم اليقين من ذلك عندنا قلنا للملك سوريد بن سهلوق
مر بنيان افرونيات وقبر الملك وقبور الاهل بيتك فبنى لهم الهرم الشرقي
وبنى لاخيه هوجيب الهرم الغربي وبنى لابن هوجيب الهرم المؤزر وثبت

الانزوثنات في اسفل مصر واعلاها فكتبنا في حيطانها علم غامض امور النجوم
وعلمها والصنعه والهندسة والطب وغير ذلك مما ينفع ويضر ملخصا مفسرا
لمن يعرف كلامنا وكتابنا وان هذه الافة نازلة باقطار العالم وذلك عند نزول
قلب الاسد في اول دقيقة من راس الحمل وفروليس زحل في درجه وثمان
وعشرين دقيقة من الحمل ودراوس في الحوت في تسع وعشرين درجة وثمانيه
وعشرين دقيقه وارس في الحوت في تسعه وعشرين دقيقه درجه وثلث
دقائق وافرودبطي في الحوت في ثمان وعشرين درجة ودقائق وهرمس
في الحوت في سبعه وعشرين درجه ودقائق والجوزهر في الميزان واوج
القمر في الاسد في خمس درج ودقايق ثم نظرنا هل تكون بعد هذه الافه
كون مضر بالعالم فاصبنا الكواكب تدل على ان افة نازلة من السما الى الارض
وانها ضد الافه الاولى وهي نار محرقة اقطار العالم ثم نظرنا متى يكون هذا
الكون المضر فرايناه يكون عند حلول قلب الاسد في اخر دقيقة من الدرجة
الخامسة عشر من الاسد ويكون ابليس معه في دقيقة واحدة متصلة
بفروليس من تثليث الرامي ويكون داوس في اول الاسد في اخر احتراقه
ومعه ارس في دقيقة ويكون سلس في الدلو مقابلا لابليس ومعه الذنب
في اثنين وعشرين ويكون كسوف شديد له مكث يواري القمر ويكون هرمس
في بعده الابعد امامهما ثلثين اما افرودبطي فللاستقامة واما هرمس
فللرجعة قال الملك فهل عندكم من خبر توقفونا عليه غيرها بين
الافتين قالوا اذا قطع قلب الاسد ثلثي سلس ادواره لم يبق من حيوان
الارض متحرك الا تلف فاذا استتم ادواره تحللت عقد الفلك وسقط
على الارض قال لهم واي يوم فيه انحلال عقد الفلك قالوا اليوم الثاني من
بدو حركة الفلك فحفظنا ما كان في القرطاس فلما مات الملك سوريد بن
دفن في الهرم الشرقي ودفن هوجيب في الهرم الغربي ودفن كرودس في
الهرم الذي اسفله من حجارة اسوان واعلاه كذان ولهذه الاهرام ابواب
في ازاج تحت الارض طول كل ازج ماية وخمسون ذراعا فاما باب الهرم
الشرقي فمن الناحية البحرية واما باب ازج الهرم الغربي فمن الناحية
الغربية واما باب ازج الهرم الموزر فمن الناحية القبلية وفي الاهرام من

الذهب

الذهب وحجارة الزمرد ما لا يحتمله الوصف وان مترجم هذا الكتاب من القبطي
الى العربي احمل التاريخات الى اول يوم من توت وهو يوم الاحد طلوع شمسه
سنه خمس وعشرين ومايتين من سني العرب فبلغت اربعة الاف وثلثماية
واحدى وعشرين سنة لسني الشمس ثم نظر كم مضى للطوفان الى يومه
هذا فوجده الف وسبعماية واحدى واربعين سنه وتسعه وخمسين يوما
وثلث عشر ساعة واربعة اخماس ساعة وتسعه وخمسين جزا من اربعماية
جز من ساعة فالقاها من الجمله فبقي بعده ثلثماية وتسع وتسعون سنه ومايتان
وخمسة ايام وعشر ساعات واحدى وعشرون جزا من اربعماية جز من ساعة
فعلم ان هذا الكتاب المورخ كتب قبل الطوفان بهذه السنين والايام والساعات
والكسر من الساعة واما الهرم الذي بحد بر ابي هرميس فانه قبر قرباس
وكان فارس اهل مصر وكان يعد بالف فارس فاذا لقيهم لم يقوموا له وانهزموا
وانه مات فجزع عليه الملك جزعا بلغ منه واكابت لموته الرعية فدفنوه
بدير هرميس وبنوا عليه الهرم مدرجا وكان طينته الذي بني به مع الحجارة
من الفيوم وهذا معروف اذا نظر الى طينته لم يعرف له معدن الا بالفيوم
وليس يمتنع ويسمى ليه شبه من الطين واما قبر الملك صاحب قرباس
هذا فانه الهرم الكبير من الاهرام التي في بحري دير ابي هرميس وعلى بابه
لوح كدان مكتوب فيه باللازورد يكون اللوح ذراعين في ذراع وكله يحلو
كتابا مثل كتاب البرابي الى باب الهرم يصعد اليه بدرج بعضها صحيح لم ينخرم
وفي هذا الهرم ذخاير صاحبه من الذهب وحجارة الزمرد وانما سد بابه
بحجارة سقطت من اعاليه ومن وقف عليه راه بينا وقال ابن عفير عن
اشياخه ان اجاد بن مياد بن شمر بن شداد بن عاد بن عوص بن ارم بن سام
بن نوح عليه السلام ملك الاسكندرية وكانت تسمى ارم ذات العماد فطال
ملكه وبلغ ثلثماية سنة وهو الذي سار وبنى الاهرام وزبر فيها انا جاد بن
مياد بن شمر بن شداد بن عاد بذراعه الواد المؤتفد الاوتاد الجامع الصخر في
البلاد المجيد الاجياد الناصب العماد المكيد الكياد بحرجه اسمه اسم سنه حماد
ابو ذلك اذا غشى بلد البلاد سبعة ملوك اجناس السواد تاريخ هذا الزبر
الف سنه واربعماية سنة عدادي قال ابن عفير وابن عبد الحكم وفي زمان

شداد بن عاد بنيت الاهرام فيما ذكر بعض المحدثين ولم نجد عند احد من اهل العلم
من اهل مصر معرفة في الاهرام ولا خبر يثبت وقال محمد بن عبد الله بن عبد
الحكم ما احسب الاهرام بنيت الا قبل الطوفان لانها لو بنيت بعد الطوفان لكان
علمها عند الناس وقال عبد الله بن شبرمة الجرهمي لما نزلت العماليق ارض
مصر حين اخرجها جرهم من مكة بنيت الاهرام واتخذت لها المصانع وبنيت
فيها العجايب ولم يزل بمصر حتى اخرجها مالك بن دعر الخزاعي وقال محمد
بن عبد الحكم كان من وراء الاهرام الى المغرب اربعماية مدينة سوى القرى
من مصر الى المغرب في غربي الاهرام وقال ابن عفير لم يزل مشايخ مصر يقولون
الاهرام بناها شداد بن عاد وهو الذي بنى المغار وجند الاجناد فالمغار
والاجناد هي الدفاين وكانوا يقولون بالرجعة واذا مات احدهم دفن معه
ماله كاينا ما كان وان كان صانعا دفن معه آلته وكانت الصابية تحج الى
الاهرام وقال ابو الريحان البيروني في كتاب الاثار الباقية عن القرون
الخالية والفرس والمجوس تنكر الطوفان واقر به بعض الفرس لكنهم قالوا
كان بالشام والمغرب منه شي في زمان طمهورث ولكنه لم يعم العمران كله
ولم يتجاوز عقبة حلوان ولم يبلغ ممالك الشرق وان اهل المغرب لما انذر به
حكماهم بنوا ابنية كالهرمين بمصر ليدخلوها عند الافة وان اثار ماء الطوفان
وتأثير الامواج كانت بينة على انصاف الهرمين لم تتجاوزهما انتهى ويقال
انه لما نضب ما الطوفان لم يوجد تحت الماء قرية سوى نهاوند وجدت كما
هي والاهرام بمصر والبرابي وهو الذي بناها هرمس الاول الذي تسميه
العرب ادريس وكان قد الهمه الله علم النجوم فدلته على ان سينزل
بالارض افة وانه سيبقى بقية من العالم يحتاجون فيها الى علم فبنى هو واهل
عصره الاهرام والبرابي وكتب علمه فيها وقال ابو الصلت الاندلسي
في رسالته وقد ذكر اخلاق اهل مصر الا انه يظهر من امرهم انه كان فيهم
طايفة من ذوي المعارف والعلوم وخصوصا علم الهندسة والنجوم ويدل
على ذلك ما خلفوه من الصنايع البديعة المعجزة كالاهرام والبرابي فانها من
الاثار التي حيرت الاذهان الثاقبة واستعجزت الافكار الراجحة وتركت
لها شغلا بالتعجب منها والتفكر فيها وفي مثلها يقول ابو العلا احمد بن سليمن
المعري

المعري من قصيدته التي يرثي بها اباه
تضل العقول الهبرزيات رشدها ولا يسلم الراي القويم من الافن
وقد كان ارباب الفصاحة كلما راوا حسنا عدوه من صنعة الجن
واي شي اعجب واغرب بعد مقدورات الله عز وجل ومصنوعاته من القدرة
على بنا جسم من اعظم الحجارة مربع القاعدة مخروط الشكل ارتفاع عموده ثلثماية
ذراع وتسعة عشر ذراعا يحيط به اربعة سطوح مثلثات متساويات الاضلاع
طول كل ضلع منها اربعماية ذراع وستون وهو مع هذا العظم من احكام الصنعة
واتقان الهندام وحسن التقدير بحيث لم يتاثر الى هلم جرا بعصف الرياح وهطل
السحاب وزعزعة الزلازل وهذه صفة كل واحد من الهرمين المحاذيين
للفسطاط من الجانب الغربي على ما شاهدناه منها وقد ذكرت عجايب مصر وان
ما على وجه الارض بنية الا وانا ارثي لها من الليل والنهار الا الهرمان فاني
ارثي الليل والنهار منهما وهذان الهرمان لهما اشراف على ارض مصر واطلال
على بطايحها واصعاد في جوها وهما اللذان اراد ابو الطيب المتنبي بقوله
اين الذي الهرمان من بنيانه من قومه ما يومه ما المصرع
تتخلف الاثار عن سكانها حينا ويدركها الفنا فتتبع
واتفق يوما ان خرجنا اليهما فلما طفنا بهما واستدرنا حولهما اكثر تعجبنا
منهما فقال بعضنا
بعيشك هل ابصرت احسن منظرا على طول ما ابصرت من هرمي مصر
انافا باعنان السما واشرفا على الجو اشراف السماك او النسر
وقد وافيا نشزا من الارض عاليا كانهما نهدان قاما على صدر
وزعم قوم ان الاهرام قبور ملوك عظام اثروا ان يتميزوا بها على ساير الملوك
بعد مماتهم كما تميزوا عنهم في حياتهم وتوخوا ان يبقى ذكرهم بسببها على تطاول
الدهور وتراخي العصور ولما وصل الخليفة المامون الى مصر امر بفتحها ففتح
احد الهرمين المحاذيين للفسطاط بعد جهد شديد وعنا طويل فوجد داخله
مراقي ومهاوي يهول امرها ويعسر السلوك فيها ووجد في اعلاه بيتا مكعبا
طول كل ضلع من اضلاعه نحو من ثمانية اذرع وفي وسطه حوض رخام مطبق
فلما كشف غطاه لم يجد فيه غير رمة بالية قد اتت عليها العصور الخالية فعند

ذلك امر المامون بالكف عن نقب ما سواه ويقال ان النفقة كانت على نقبه عظيمة
والمونة شديدة ومن الناس من زعم ان هرمس الاول المدعو بالمثلث بالنبوة
والملك والحكمة وهو الذي تسميه العبرانيون خنوخ بن برد بن مهلاييل بن
قينان بن انوش بن شيث بن ادم عليه السلام وهو ادريس عليه السلام استدل
من احوال الكواكب على كون الطوفان فامر ببنا الاهرام وايداعها الاموال
وصحايف العلوم وما يشفق عليه من الذهاب والدروس حفظا لها واحتياطا
عليها ويقال ان الذي بناها ملك اسمه سوريد بن سهلوق بن سرناق وقال
اخرون ان الذي بنى الهرمين المحاذيين للفسطاط شداد بن عاد لرويا راها
والقبط تنكر دخول العمالقة بلد مصر وتحقق ان بانيهما سوريد لرويا راها وهي
ان افة تنزل من السما وهو الطوفان وقالوا انه بناهما في مدة ستة اشهر وغشاهما
بالديباج الملون وكتب عليهما قد بنيناهما في مدة ستة اشهر فقل لمن ياتي من بعدنا
يهدمهما في ستماية سنة فالهدم ايسر من البنيان وكسوتهما الديباج الملون
فليكسهما حصرا فالحصر اهون من الديباج وراينا سطوح كل واحد من هذين
الهرمين مخطوطة من اعلاها الى اسفلها بسطور متضايقة متوازنة من كتابة
بايدينا لا يعرف اليوم احرفها ولا يفهم معانيها وبالجملة الامر فيهما عجيب حتى ان
غاية الوصف لهما والاغراق في العبارة عنهما وعن حقيقة الموصوف منهما
بخلاف ما قاله علي بن العباس الرومي وان تباعد الموصوفان وتباين المقصود ان
او يقول

اذا ما وصفت امرا لامري ، فلا تغل في وصفه واقصد
فانك ان تغل تغل الظنون فيه ، الى الغرض الابعد
فيصغر من حيث عظمته ، لفضل المغيب على المشهد

ويقال ان المامون امر من صعد الهرم الكبير وادلى حبلا طوله
الف ذراع بالذراع الملكي وهو ذراع وخمسان وتربيعه اربعماية ذراع في
مثلها وكان صعوده في ثلث ساعات من النهار وانه وجد معقد ارراس الهرم
قدر مبرك ثمانية جمال ويقال انه وجد على السطح المقصود في الهرم حلة
قد بليت ولم يبق منها سوى سلوكها من الذهب وان ثخانة الطلا الذي
عليه قدر شبر من مر وصبر ويقال انه وجد في موضع من هذا الهرم

ايوان

ايوان في صدره ثلثة ابواب على ثلثة بيوت طول كل باب منها عشرة اذرع في
عرض خمسة اذرع من رخام مخروطة محكم الهندام وعلى صفحاته خط ازرق لم
يحسنوا قراته وانهم اقاموا ثلثة ايام يعملون الحيلة في فتح هذه الابواب الى ان
راوا امامها على عشرة اذرع منها ثلثة اعمدة قايمة من مرمر وفي كل عمود دخرق في
طوله وفي وسط الخرق صورة طاير ففي الاول من هذه العمد حمام من حجر اخضر
وفي الثاني صورة بازي من حجر اصفر وفي العمود الثالث صورة ديك من حجر
احمر فحركوا البازي فتحرك الباب الذي في مقابلته فرفعوا البازي قليلا فارتفع
الباب وكان بحيث لا يرفعه مايتا رجل من عظمه فرفعوا التمثالين الاخرين
فارتفع البابان الاخران فدخلوا الى البيت الاوسط فوجدوا فيه ثلثة سرر
من حجارة شفافة مضيئة وعليها ثلثة من الاموات على كل ميت ثلثة حلل وعند
راسه مصحف بخط مجهول ووجدوا في البيت الاخر عدة رفوف من حجارة عليها
اسفاط من حجارة فيها اواني من الذهب عجيبة الصنعة مرصعة باصناف الجواهر
ووجدوا في البيت الثالث عدة رفوف من حجارة وعليها اسفاط من حجارة فيها
الة الحرب وعدد السلاح فقيل فقيس منها سيف فكان طوله سبعة اشبار
وكل شبر من تلك الذراع اثنا عشر شبرا ويدخل فامر المامون بحمل ما وجد
في البيوت وامر فحطت العمد فانطبقت الابواب كما كانت ويقال كان عدة
الاهرامات ثمانية عشر هرما منها تجاه مدينة فسطاط مصر ثلثة اكبرها
دوره الف ذراع وهو مربع في كل وجه من وجوهه الاربعة خمس ماية ذراع ويقال
ان المامون وجد فيه لما فتحه حوضا من حجر مغطا بلوح من رخام وهو مملوء
بالذهب وعلى اللوح مكتوب بقلم عرب وكان انا عمرنا هذا الهرم في الف يوم
وابحنا من يهدمه في الف يوم والهدم اسهل من العمارة وكسوناه جميعه الديباج
وابحنا لمن يكسوه الحصر والحصر ايسر من الديباج وجعلنا في كل جهة من
جهاته ما لا يتعدى ما لا ينصرف على الوصول اليه فامر المامون ان يحسب ما صرف
على النقب فبلغ قدر ما وجد في الحوض من غير زيادة ولا نقص ويقال
انه وجد فيه صورة ادمي من حجارة اخضر كالدهنج فيها طبق كالدواة ففتح
فاذا فيه جسد انسان عليه درع من ذهب مزين بانواع الجواهر وعلى
صدره نصل سيف لا قيمة له وعند راسه حجر من ياقوت احمر في قدر

بيضة الدجاج فاخذه للمامون وقال هذا خير من مراج الذهب وذكر
بعض مورخي مصر ان هذا الصنم الاخضر الذي وجدت الرمة فيه فلم يزل معلقا
عند دار الملك بمدينة مصر الى سنة احدى عشره وستمائة من سني الهجرة
ظهر بريه بوصير من ناحية الجيزة بيت هرمس ففتحه القاضي بن الشهرزوري
واخذ منه شيا من جملته كباش وقرود وضفادع من حجر بازهر وقوارير
من دهنج واصنام من نحاس وقال ابن خرداذبة ومن عجيب البنيان ان الهرمين
بمصر سمك كل واحد منهما اربعمائة ذراع وكلما ارتفع دق وهما من رخام ومرمر
والطول اربعمائة ذراع في عرض اربعمائة ذراع مكتوب عليهما بالمسند كل سحر
وكل عجيب من الطب ومكتوب عليهما اني بنيتهما فمن يدعي قوة في ملكه فليهدمهما
فان الهدم ايسر من البنيان فاعتبر ذلك فاذا خراج الدنيا لا يفي بهدمهما
وقال في كتاب عجايب البنيان عن الاهرام قد انفردت مصر بهذه الاشكال
فليس لها نظير وهما مثال يظنهما الناظر للديار المصرية بعدين ويحسبهما
القايلين ان متقادم اهلها قد اعدتهما للتنكر ابلوحتين تراهما العين على
بعد المسافه واذا حدثت عن عجايبها تظن انه حديث خرافي وقد اكثر الناس
في ذكر الاهرام ووصفها ومساحتها وهي كثيرة العدد جدا وكلها ببر الجيزة على
سمت حبر القديمة وعند نحو من مسافة ثلثة ايام وفي بوصير منها شي
كثير وبعضها كبار وبعضها صغار وبعضها طين ولبن واكثرها حجر وبعضها
مدرج واكثرها مخروط املس وقد كان منها بالجيزة عدد كثير كلها صغار
هدمت في زمن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب على يد الطواشي
بها الدين قراقوش اخذ حجارتها وبنى بها القناطر في الجيزة وقد بقي من
هذه الاهرام العدد منه قلتها واما الاهرام المتحدث عنها فهي ثلثة
اهرام موضوعة على خط مستقيم بالجيزة قبالة الفسطاط وبينها مسافات
كثيرة وزواياها متقابلة نحو المشرق واثنان عظيمان جدا في قدر واحد وهما
متقابلان ومبنيان بالحجارة البيض واما الثالث فيقصر عنهما نحو الربع
لكنه مبني بحجارة الصوان الاحمر المنقط الشديد القوه والصلابه ولا يكاد
يوثر فيه الحديد الا في الازمان الطوال وتجده صغيرا بالقياس الى ذينك فاذا
اتيت اليه وافردته بالنظر هالك مراه وحسن الناظر في تامله وقد سلك في
بنا

بنا الاهرام طريق عجيب من الشكل والاتقان ولذلك صبرت على ممر الايام لا بل
على ممرها صبر الزمان فانك اذا تاملتها وجدت الاذهان الشريفه قد استهلكت
فيها والعقول الصافيه قد افرغت عليها مجهودها والانفس النيره قد
افاضت عليها اشرف ما عندها والملكات الهندسية قد اخرجتها الى الفعل
مثالا في غاية امكانها حتى انها تكاد تحدث عن قومها وتخبر عن سيرتهم
بحالها وتنطق عن علومهم واذهانهم وتترجم عن سيرهم واخبارهم
وذلك اذ وضعها على شكل مخروط ويبتدي من قاعدة مربعة وتنتهي الى نقطة
ومن خواص الشكل المخروط ان مركز ثقله في وسطه يتساند على نفسه ويتواقع
على ذاته ويتحامل بعضه على بعض وليس له جهة اخرى يتساقط عليها
ومن عجيب وضعه انه شكل مربع قد قوبل بزواياه مهاب الرياح الاربع
وان الريح تنكسر سورتها عند مصادمتها الزاوية وليست كذلك عند ما تلقى
السطح وذكر المساح ان قاعدة كل من الهرمين العظيمين اربعمائة ذراع بالذراع
السود وينقطع المخروط في اعلاه عند سطح مساحته عشرة اذرع في مثلها
وذكر ان بعض الرماة رمى سهما في قطر احدهما وفي سمكه فسقط السهم دون
نصف المسافة وذكر ان ذرع سطحها احد عشر ذراعا بذراع اليد وفي احد
هذين الهرمين مدخل يلجه الناس يفضي بهم الى مسالك ضيقة واسراب
متنافذة وابار ومهالك وغير ذلك على ما يحكيه من يلجه وان اناسا كثيرين لهم
غرام به وتخيل فيه فيتوغلون في اعماقه ولا بد ان ينتهوا الى ما يعجزون عن
سلوكه فاما المسلوك فيه المطروق كثيرا فزلاقة تفضي الى اعلاه فيوجد
فيه بيت مربع فيه ناووس من حجر وهذا المدخل ليس هو الباب في اصل
البنا وانما هو منقوب تقبا صودف فيه اتفاقا وذكر ان المامون فتحه
وحكي من دخله وصعد الى البيت الذي في اعلاه فلما نزل تواحدثوا بعظيم
ما شاهدوه وانه مملوء بالخفافيش وابوالها وتعظم ما فيه حتى يكون قدر
الحمام وفيه طاقات وروازن نحو اعلاه كانها جعلت مسالك للريح ومنافذ
للضوء وحجارة جافيه يكون طول الحجر منها من عشرة اذرع الى العشرين ذراعا
وسمكه ذراعين الى ثلثة اذرع وعرضه نحو ذلك والعجب كل العجب من
وضع الحجر على الحجر بهندام ليس في الامكان اصح منه بحيث لا تجد بينهما مدخل

ابره ولا تخلل شعره وبينهما طين كانه الزرقه لا يدري ما هو ولا صنعته وعلى تلك الحجارة
كتابات بالقلم القديم المجهول الذي لم يوجد بديار مصر من يوجد انه سمع من
يعرفه وهذه الكتابات كثيرة جدا حتى لو نقل ما عليها فقط الى صحف لكانت تكون
قدر عشرة الاف صحيفة وقرات في بعض كتب الصابية القديمة ان احد هذين
الهرمين قبر اغاديمون والاخر قبر هرمس ويزعمون انهما نبيان عظيمان وان
اغاديمون اقدم واعظم وانه كان يحج اليهما ويهدى اليهما من اقطار البلاد وكان
الملك العزيز عثمن بن صلاح الدين يوسف بن ايوب لما استقل بالملك بعد
ابيه سول له جهلة اصحابه ان يهدم هذه الاهرام فبدا بالصغير الاحمر
فاخرج اليه النقابين والحجارين وجماعة امراء دولته وعظماء مملكته وامرهم
بهدمه فخيموا عنده وامروا الرجال والصناع ودفروا عليهم النفقات
واقاموا نحو ثمانية اشهر بخيلهم ورجلهم يهدمون كل يوم بعد الجهد واستفراغ
بذل الوسع الحجر والحجرين فقوم من فوق يدفعونه بالاسافين وقوم من اسفل
يجذبونه بالقلوس والاسطان فاذا اسقط سمع له وجبة عظيمة من مسافة
بعيدة حتى ترجف له الجبال وتزلزل الارض ويغوص في الرمل فيتعبون تعبا
اخر حتى يخرجوه ويضربون فيه الاسافين بعد ما ينقبون لها موضعا ويثبتونها
فيه فيتقطع قطعا ويسحب كل قطعة على العجل حتى يلقى في ذيل الجبل وهي
مسافة قريبة فلما طال نواهم ونفذت نفقاتهم وتضاعف نصبهم ووهت
عزايمهم كفوا محسورين لم ينالوا ابغية بل شوهوا الهرم وابانوا عن عجز
وفشل وكان ذلك في سنة ثلث وتسعين وخمس ماية ومع ذلك فان الراي
لحجارة الهدم تظن انه قد استوصل فاذا عاين الهرم ظن انه لم يهدم منه
شي وانما سقط بعض جانب منه وحين ما شوهدت المشقة التي يجدونها في
هدم كل حجر سيل مقدم الحجارين فقيل له لو بذل لكم السلطان الف دينار
على ان تردوا حجرا واحدا الى مكانه وهندامه هل كان يمكنكم فاقسم بالله تعالى
انهم يعجزوا عنه ولو بذل لهم اضعاف ذلك وبازا الهرم مغاير كثيرة العدد
وكبيرة المقدار عميقة الاغوار لعل الفارس يدخلها برمحه ويتخللها يوما اجمعه
ولا ينتهيه لكبرها وسعتها وبعدها ويظهر من حالها انها مقاطع حجارة الاهرام
واما مقاطع حجارة الاهرام الصوان الاحمر فيقال انها بالقلزم وباسوان

وعند هذه الاهرام اثار ابنية جبابرة ومغاير كثيرة متقنة وقلما ترى من ذلك
شيا الا وترى عليه كتابات بهذا القلم المجهول انتهى ولله در الفقيه عمارة
اليماني حيث يقول

خليلي ما تحت السما بنية ، تماثل في اتقانها هرمي مصر
بنا يخاف الدهر منه وكل ما ، على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر
تنزه طرفي في بديع بنايها ، ولم يتنزه في المراد بها فكري

احسن هذا من قول بعض الحكما كل شي يخشى عليه من الدهر الا
الاهرام فانه يخشى على الدهر منها وقال عبد الوهاب بن حسن بن جعفر
بن الحاجب ومات في ذي الحجة سنة سبع وثمانين وثلثماية

انظر الى الهرمان اذ برزا ، للعين في علو وفي صعد
وكانما الارض العريضة اذ ، ظمت لطول حرارة الكبد
حسرت عن الثديين بارزة ، تدعوا الالاه لفرقة الولد
فاجابها بالنيل منبعها ، ريا وسقيدها من الكمد
لكرامة المولى المقيم بها ، خير الانام وسوم الاسد

وقال سيف الدين بن جناده

لله اي غريبة وعجيبة ، في صنعة الاهرام للالباب
اخفت عن الاسماع قصة اهلها ، ونضت عن الابداع كل نقاب
فكانما هي كالخيام مقامة ، من غير ما عمد ولا اطناب
~~انظر الى الهرمين واسمع منهما~~

وقال اخر

انظر الى الهرمين واسمع منهما ، ما يرويان عن الزمان الغابر
وانظر الى سير الليالي فيهما ، نظر ابعين القلب لا بالناظر
لو ينطقان لخبرانا بالذي ، فعل الزمان باول وباخر
واذا هما بدوا العين ناظر ، وصفا له ادنى جواد عابر

وقال الامام ابو العباس احمد بن يوسف التيفاشي

الست ترى الاهرام دام بناهما ، ويفنى لديها العالم الانس والجن
كان الرحا الافلاك اكوارها على ، قواعدها الاهرام والعالم الطحن

وقال اخر

فقد كان للماضين من سكان مصرهم فالفضل عنهم فضله والعلم فيهم علم .
ثم انقضت اعلامهم وعلمهم واحتظموا وانظر تراها ظاهرًا ابادعليها الهرم

وقال اخر

خليلي لا باق على الحدثان من الاول الباقي فيحدث ثاني
الى هو في مصرنا هضبة فوق الورى وقد هرمت في دهرها الهرمان
فلا تعجبا ان قد هرمت فانما زماني تفقد الشباب زماني
وعوجا بقرطاجنة فانظرانها حباني العادين تحتباني
وايوان كسرى فانظراه فانه يخبركما بالصدق كل اوان
فلا تحسبا ان الفنا تخطئني الا كلما تحت البسيطة فان

وجدت بخط الشيخ شهاب الدين احمد بن يحيى بن ابي حجله التلمساني
انشدني القاضي فخر الدين عبد الوهاب المصري لنفسه في الاهرام سنه
خمس وخمسين وسبعمايه واجاد ما قال

اسماني الاهرام كم من واعظ صدع القلوب ولم يفه بلسانه
اذكرتني قولا تقادم عهده اين الذي الهرمان من بنيانه
هن الجبال الشامخات تكاد ان تمتد فوق الافق عن كيرانه
لو ان كسرى جالس في سفحها لاجل مجلسه على ايوانه
بقيت على مر الزمان ورده مددًا ولم تاسف على حدثانه
والشمس في احرافها والريح عند هبوبها والسيل في جريانه
هل عاند قد خصها بعناده فمباني الاهرام من اوثانه
او قائل تقضي بوحي نفسه من مجد فرقته الى جثمانه
فلخادها الكنوزة وجسمه فنرا الامن من اذى طوفانه
او انها للسايرات براصد يختار راصدها اعز مكانه
او انها وضعت بيوت كواكب احكام فرس الدهر او يونانه
او انهم نقشوا على حيطانها علما تحار الفكر في تبيانه
في قلب رايتها ليعلم نفسها فكر يعض عليه طرف بنانه

ذكر الصنم الذي يقال له ابوا الهول هذا
الصنم بين الهرمين عرف بابي الهول او بالبلهيب ويقول اهل مصر اليوم

ابوا الهول قال القضاعي صنم الهرمين وهو بلهويه صنم كبير من حجارة
فما بين الهرمين لا يظهر منه سوى راسه فقط تسميه العامة بابي الهول
وتقال بلهيب ويقال انه طلسم للرمل لئلا يغلب على بلد الجيزه وقال
في كتاب عجايب البنيان وعند الاهرام راس وعنق بارزه من الارض في غاية العظم
تسميه الناس ابا الهول ويزعمون ان جثته مدفونة تحت الارض ويقتضي
القياس بالنسبه الى راسه ان يكون طوله سبعين ذراعا فصاعدا وفي وجهه
حمرة ودهان يلمع عليه رونق الطراوه ومقبولها عليه مسحة بها وجمال
كانه يضحك تبسمًا وسيل بعض الفضلا عن عجيب ما راى فقال تناسب
وجه ابي الهول فان اعضا وجهه كالانف والعين والاذن متناسبة كما
تصنع الطبيعة الصور متناسبة فان انف الطفل مثلا مناسب له وهو
حسن به حتى لو كان ذلك الانف لرجل كان مشوها وكذلك الرجل لو كان
للصبي لشوهت صورته وعلى هذا ساير الاعضا فكل عضو ينبغي ان يكون
على مقدار ما هيته بالقياس الى ما هيته تلك الصورة وعلى نسبتها والعجب
من مصور كيف قدر ان يحفظ التناسب للاعضا مع عظمها وانه ليس في
اعمال الطبيعة ما يحاكيه ويقابله في بر مصر قريب من دار الملك صنم
عظيم الخلقه والهيئة متناسب الاعضا كما وصف وفي حجره مولود وعلى
راسها ماجور الجميع صوان مانع ويزعم الناس انه امراه وانها سرية ابي
الهول المذكور وهي بيد رب منسوب اليه ويقال لو وضع على راس ابي الهول
خيط ومد الى سريته ابي الهول لكان على راسها مستقيما ويقال ان ابا الهول
طلسم الرمل يمنعه عن النيل وان السرية طلسم الما يمنعه عن مصر وقال
ابن المتوج زقاق الصنم هو الزقاق الشارع اوله باول السوق الكبيرة
مجاور درب عمار ويعرف الصنم بسرية فرعون وذكر انه طلسم النيل
لئلا يغلب على البلد ويقال ان بلهيب الذي عند الاهرام يقابله وان
ظهر بلهيب الى الرمل وظهر هذا الى النيل وكل منهما مستقبل المشرق
وقد نزل في سنة احدى عشره وسبعمايه امير يعرف بيلاط في نفر
من الحجارين والقطاعين وكسروا الصنم المعروف بالسرية وقطعوه اعتابا
وقوا عند ظنا ان يكون تحته مال فلم يوجد سوى اعتاب من حجر

عظيمة فحفر تحتها الى الماء فلم يوجد شي وجعل من حجره قواعد لاعمدة الصوان التي بالجامع المستجد بظاهر مصر المعروف بالجامع الجديد الناصري واذيل عين هذا الصنم من مكانه والله اعلم وفي زمننا كان شخص يعرف بالشيخ محمد صايم الدهر من جملة صوفية الخانقاه الصلاحية سعيد السعدا قام في نحو من سنة ثمانين وسبعمايه يغير اشياء من المنكرات وسار الى الاهرام وشوه وجه ابي الهول وشعثه فهو على ذلك الى اليوم ومن حينيذ غلب الرمل على اراضي كثيرة بالجيزة واهل تلك النواحي يرون ان سبب غلبة الرمل على الاراضي فساد وجه ابي الهول ولله عاقبة الامور وما احسن قول ظافر الحداد

تامل هيئة الاهرام واعجب، وعندهما ابو الهول العجيب
كعماريتين قاما في نجيب، بمحبوبين بينهما رقيب
وما النيل بينهما دموع، وصوت الريح عندهما نحيب
وظاهر سجن يوسف مثل صب، تخلف فهو محزون كييب

ويقال ان اتريب بن قبط بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح اوصى اخاه صا عند موته ان يحمله في سفينة ويدفنه بجزيرة في وسط البحر فلما مات فعل ذلك من غير ان يعلم به اهل مصر فاتهمه الناس بقتل اتريب وحاربوه تسع سنين فلما مضى من حربهم خمس سنين مضى بهم حتى اوقفهم على قبر اتريب فحفروه فلم يجدوا فيه شيا وقد نقلته الشياطين الى موضع ابي الهول ودفنته هناك بجانب قبر اخيه وحده بيصر فازدادوا له تهمة وعادوا الى مدينة منف واخبروا فاتاهم ابليس فدلهم على قبر اتريب حيث نقله فاخرجوه من قبره ووضعوه على سرير فكلمهم الشيطان على لسانه حتى افتتنوا به وسجدوا له وعبدوه فهو اول صنم عبد من الاصنام وقتلوا صا ودفنوه على شاطي النيل فكان النيل اذا زاد لا يعلوا قبره فامنت به طايفة وقالوا انه قتل ظالما وصاروا يسجدون لقبره كما يسجدون لاتريب فيعدا اخرون الى حجر فنحتوه على صورة اشمون وكان يقال له ابو الهول ونصبوه بين الهرمين وجعلوا يسجدون له فصار اهل مصر ثلثة فرق ولم تزل الصابية تعظم ابا الهول وتقرب له الديكة البيض وتبخره بالصندروس

ذكر الجبال اعلم ان ارض مصر باسرها محصورة بين

جبلين

جبلين اخرين من الجنوب الى الشمال قليلي الارتفاع واحدهما اعظم من الاخر والاعظم منهما هو الجبل الشرقي المعروف بجبل لوقا والغربي جبل صغير وبعضه غير متصل ببعض والمسافة بينهما تضيق في بعض المواضع وتتسع في بعضها واوسع ما يكون باسفل ارض مصر وهذان الجبلان اقرعان لا ينبت فيهما النبات كما يكون في جبال البلدان الاخر وعلة ذلك انهما يوزقان ما لحان لان قوة طين مصر قوة تجذب منها الرطوبة الموافقة في التكون ولان قوة الحرارة تحلل منها الجوهر اللطيف العذب وكذلك مياه الابار فيها ما لحة وهذان الجبلان يحففان ما يدفن فيهما فان ارض مصر بالطبع قليلة الامطار وجبل لوقا في مشرق ارض مصر يعوق عنها ريح الصبا فعدمت مصر هذه الريح ويعوق ايضا اشراق الشمس على ارض مصر اذا كانت على الافق وتبعد اسما هذين الجبلين بحسب مواضعهما من الاقليم فيطلق على الفسطاط والقاهرة الجبل المقطم

ذكر الجبل المقطم اعلم ان الجبل المقطم اوله بالمشرق والقاهرة الجبل المقطم من الصين حيث البحر المحيط ويمر على بلاد الططر حتى ياتي فرغانه الى جبل البتم الممتد بها نهر السند الى ان يصل الجبل الى جيحون فيقطع ويمضي في وسطه بين شعبتين منه وما تقطع في وسطه ويسير الجبل الى الجوزجان ويا خذ على الطالقان الى اعمال مرو الروذ الى طوس فيكون جميع مدن طوس فيه ويتصل به جبال اصفهان وشيراز الى ان يصل الى البحر الهندي وينعطف هذا الجبل ويمتد الى شهرزور الى سمهور ورد ويمر على سابر دجلة ويتصل بجبل الجودي في موقف سفينة نوح عليه السلام في الطوفان ولا يزال هذا الجبل مستمرا من اعمال امد وميافارقين حتى يمر بسغور حلب ويسمى هناك جبل اللكام الى ان يعدي الثغور فيسمى بهرا حتى يجاوز حمص فيسمى لبنان ثم يمتد على الشام حتى ينتهي الى بحر القلزم من جهة ويتصل من الجهة الاخرى ويسمى المقطم ثم يتشعب ويتصل اواخر شعبه بنهاية المغرب ويقال انه عرف بمقطم بن بيصر بن مصر بن حام بن نوح عليه السلام وجبل المقطم يمر عن جانبي النيل الى النوبة ويعبر من فوق الفيوم فيتصل بالمغرب الى ارض بتراوه ويمضي مغربا الى سلجماسه ومنها الى البحر المحيط وسينم خمسة اشهر وذكر ابراهيم بن وصيف شاه وذكر بحي مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح الى ارض مصر وكشف اصحاب اقليمون الكاهن عن كنوز

مصر وعلومهم التي هي بخط البرابي واثاروا لهم المعادن من الذهب والزبرجد والفيروزج والاسبا
وغير ذلك وصنعوا لهم عمل الصنعة يعني الكيميا فجعل مصرايم امرها الى رجل من اهل
بيته يقال له مقيطام الحكيم كان يعمل فيه الكيميا واختصر من اسمه وبقي ما يدل عليه
فقيل له جبل المقطم يعني جبل مقيطام الحكيم وقال البكري المقطم بضم اوله
وفتح ثانيه وتشديد الطا المهملة وفتحها جبل متصل بمصر يوارون فيه موتاهم
وقال القضاعي المقطم ذكر ابو عبد الله اليمني ان هذا الجبل نسب الى المقطم
بن مصر بن بيصر وكان عبدا صالحا منفردا بعبادة الله عز وجل فبه سمي الجبل
باسمه وليس هذا بصحيح لانه لا يعرف لمصر ولد اسمه المقطم والذي ذكره العلما
ان المقطم ماخوذ من القطم وهو القطع فكانه لما كان منقطع الشجر والنبات سمي مقطما
ذكر ذلك علي بن الحسن الهناي الدوسي المعروف بكراع وغيره وروى عبد الرحمن بن
عبد الله بن عبد الحكم عن الليث بن سعد قال سال المقوقس عمرو بن العاص
ان يبيعه سفح الجبل المقطم بسبعين الف دينار وفي نسخة بعشرين الف دينار فعجب
عمرو من ذلك وقال اكتب بذلك الى امير المومنين فكتب بذلك الى عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فكتب اليه عمر سله لم اعطاك به ما اعطاك وهي لا تزدرع ولا تستنبط
بها ما فسأله فقال انا لنجد صفتها في الكتب ان فيها غراس الجنة فكتب بذلك الى
عمر فكتب اليه عمر انا لا نعلم غراس الجنة الا المومنين فاقبر فيها من مات قبلك
من المسلمين ولا تبعه بشي فكان اول من قبر فيها رجل من المعافر يقال له عامر فقيل
عمرت فقال المقوقس لعمرو وما ذلك وما على هذا عاهدتنا فقطع لهم الحد الذي
بين المقبرة وبينهم وذكر عمرو بن ابي عمر الكندي في كتاب فضايل مصر ان عمرو بن
العاص سار في سفح الجبل المقطم فقال له ما بال جبلكم هذا اقرع ليس عليه نبات
كجبال الشام فلو شققنا في اسفله نهرا من النيل وغرسناه نخلا فقال المقوقس
وجدنا في الكتب انه كان اكثر الجبال اشجارا ونباتا وفاكهة وكان منزله المقطم بن مصر
بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام فلما كانت الليلة التي كلم الله موسى عليه السلام
اوحى الى الجبال اني مكلم نبيا من انبيايي على جبل منكم فسمت الجبال كلها وشامخ
الا جبل بيت المقدس فانه هبط وتصاغر فاوحى الله اليه لم فعلت ذلك وهو به
اخبر فقال اعظاما واجلالا لك يا رب قال فامر الله سبحانه الجبال ان
يحبوه كل جبل بما عليه من النبت وجاد له المقطم بكل ما عليه من النبت حتى بقي كما
ترى

120
ترى فاوحى الله اليه اني معوضك على فعلك بشجر الجنة او غراس الجنة فكتب بذلك عمرو
بن العاص الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب اليه عمر بن الخطاب اني لا اعلم شجر الجنة
غير المسلمين فاجعله لهم مقبرة ففعل فغضب المقوقس من ذلك وقال لعمرو ما هذا اصالحتني
فقطع له عمرو قطيعا نحو الحبش يدفن فيه النصارى قال وروي ان موسى
عليه السلام سجد فسجدت معه كل شجرة من المقطم الى طرا وروي انه مكتوب واد ا
فتح مقدس يريد وادي مسجد موسى عليه السلام بالمقطم عند الحجارة منقطع وان
موسى عليه السلام كان يناجي ربه عند ذلك الوادي وروى اسد بن موسى قال
شهدت جنازة مع ابن لهيعة فجلسنا حوله فرفع راسه فنظر الى الجبل فقال
ان عيسى بن مريم عليه السلام مر بسفح هذا الجبل وعليه جبة صوف وقد شد وسطه
بشريط وامه الى جانبه فالتفت اليها وقال يا امه هذه مقبرة امة محمد عليه الصلاة
والسلام وروى عبد الله بن لهيعة عن عياش بن عباس ان كعب الاحبار سال رجلا
يريد الى مصر فقال له اهد لي تربة من سفح مقطمها فاتاه منه بجراب فلما حضرت
كعبا الوفاة امر به فجعل في لحده تحت جنبه وروى عن كعب انه سئل عن جبل
مصر فقال انه لمقدس ما بين القصير الى اليحموم وقال ابن لهيعة والمقطم ما بين
القصير الى منقطع الحجارة وما بعد ذلك فمن اليحموم وفي هذا الجبل جميع الجواهر وشي من
البلاد وهو ممتد الى اقاصي بلد السودان **الجبل الاحمر** هذا الجبل
مطل على القاهرة من شرقيها الشمالي ويعرف باليحموم قال القضاعي اليحاميم
هي الجبال المتفرقة المطلة على القاهرة من جانبها الشرقي وجانبها ويمشي هذه الجبال
الى بعض طريق الجب وقيل لها اليحاميم لاختلاف الوانها واليحموم في كلام العرب
الاسود المظلم وقال ابن عبد الحكم عن شيخ بن عبيد انه لما قدم مصر واهل
مصر قد اتخذوا مصلى بحذا ساقية ابي عون التي في العسكر فقال لهم ما وضعوا مصلاهم
في الجبل الملعون وتركوا الجبل المقدس يعني المقطم وقال ابن عبد الظاهر الجبل
الاحمر ذكر القضاعي ان اليحموم هو الجبل المطل على القاهرة ولا ارى جبلا يطل على
القاهرة غيره وقال البكري اليحموم بفتح اوله واسكان ثانيه قال الحربي اليحموم
جبل بمصر وروي من طريق ابي قبيل عن عبد الله بن عمر انه سال كعبا عن المقطم
املعون هو قال ليس بملعون ولكنه مقدس من القصير الى اليحموم وذكر
البكري ايضا ان عابد بالبا المعجمة بواحدة والدال المهملة على وزن فاعل جبل

بمصر قبلي المقطم **جبل يشكر** هذا الجبل فيما بين القاهرة ومصر عليه الجامع
الطولوني قال القضاعي جبل يشكر هو يشكر بن جديلة من لخم وهو الذي عليه
جامع احمد بن طولون ويشكر بن جديلة قبيلة من قبائل العرب اختطت عند الفتح
بهذا الجبل فعرف بجبل يشكر لذلك وقال ابن عبد الظاهر وجامع ابن طولون
على جبل يشكر وهو مكان مشهور باجابة الدعا ومكان مبارك وقيل ان موسى عليه
السلام ناجى ربه عليه بكلمات وكان هذا الجبل يشرف على النيل وليس بينه وبين
النيل شي وكان يشرف على البركتين اعني بركة الفيل والبركة التي تعرف ببركة قارون
وعلى هذا الجبل كانت تنصب المجانيق التي تجرب قبل ارسالها الى الثغور **الكبش**
جبل بجوار جبل يشكر كان قديما يشرف على النيل من غربيه ثم لما اختط
المسلمون مدينة الفسطاط بعد فتح ارض مصر صار الكبش من جملة خطة
الحمرا القصوى وسمي بالكبش **الشرف** اسم لثلاثة مواضع فاثنان منها فيما
بين القاهرة ومصر وواحد فيما بين بركة الحبش وفسطاط مصر فاما الذي بالقاهرة
فاحدهما عليه الان قلعة الجبل وهو من جملة الجبل المقطم والاخر فيما بين الجامع الطولوني
ومصر ويشرف غربيه على جهة الخليج الكبير ويصير فيما بين الكوم الجارح وخط الجامع
الطولوني وكان من خطة تجيب ثم صار من جملة العسكر واما الشرف الثالث فيعرف
اليوم بالرصد وهو يشرف على راشدة وكان يقال للشرف سند والسند ما قابلك
من الجبل وعلا عن السفح ويقال فلان سند اي معتمد **ذكر الرصد**
هذا المكان شرف يطل من غربيه على راشدة ومن قبليه على بركة الحبش ويحسبه من
راه من جهة راشدة جبلا وهو من شرقيه سهل يتوصل اليه من القرافة بغير ارتقا
ولا صعود وهو محاذ للشرف الذي كان من جملة العسكر والشرف الذي يعرف
بالكبش وكان يقال له قديما الجرف ثم عرف بالرصد من اجل ان الافضل ابا
القاسم شاهنشاه بن امير الجيوش بدر الجمالي اقام فوقه كرة لرصد الكواكب
فعرف حينئذ بالرصد قال في كتاب عمل الرصد وحمل الى الافضل شاهنشاه
بن امير الجيوش بدر الجمالي من الشام تقاويم لما يستانف من السنين لاستقبال
سنة خمس مائة من سني الهجرة قبل مائة تقويم او نحوها وكان منجموا الحضرة
ابو سعد بن الحلبي وابن الهيثم وسهلون وغيرهم تطلق لهم الجاري في كل شهر والرسوم
والكسوة على عمل التقويم في كل سنة وكان كل منهم تقويمه تقابل يجتهد في حسابه

وما

وما تصل قدرته اليه فاذا كان في غرة السنة حمل كل منهم تقويمه فيقابل بينهم وبين
التقويمات المحضرة من الشام فيجد بينهم اختلافا كبيرا فانكر ذلك **فلما** كان غرة
سنة ثلث عشرة وخمسمائة عند احضار التقاويم على العادة جمع المنجمين والحساب
واهل العلم وسالهم عن السبب في الخلف بين التقاويم فقالوا الشامي يحسب ويعمل
على راي الزيج الممتحن المامونى ونحن نعمل على راي الزيج الحاكمي لقرب عهده وبين
المتقدم والمتاخر تفاوت وخلف وقد اجمع القدما ان القريب العهد اصح من
المتقدم لتنقل الكواكب وتغير الحساب وتجديد في معنى ذلك مما هو مذكور في موضعه
واشاروا عليه بعمل رصد مستجد يصحح به الحساب ويخرج المعوز والتفاوت وتحصل
به المنقبة العظيمة والفائدة الجليلة والسمعة الشريفة والذكر الباقي فقال
من يتولى ذلك فقال صاحب دسته ومشيره الشيخ الاجل ابو الحسن بن
ابي اسامة هذا القاضي بن ابي العيش الطرابلسي المهندس العالم الفاضل وكان
بن ابي العيش صهره زوج ابنته وهو شيخ كبير السن والقدر كثير المال
وساعده على ذلك القايد ابو عبد الله الذي تقلد الوزارة بعد الافضل
ودعي بالمامون بن البطايحي فاستصوب الافضل ذلك وتقدم بامره بمهم بذلك
ويستدعي ما يحتاج اليه وكان اول ما بدا به لما احضر ذلك ان مدح نفسه وكان
الافضل غيورا على كل شي اشد ما عليه من يتجره او يلبس ثيابا بمذكور ثم قال
هذه الالات عظيمة وخطرها جسيم ولا لكل احد يقوم عليها ولا يحسنها واكثر الكلام
والتوسعة وقال يحتاج الذي يتولى ذلك يعتمد معه الانعام والاكرام لتطيب
نفسه للمباشرة وينشرح صدره ويتقد خاطره لما يعمل في صحته فضجر الافضل من
ذلك وقال لقد اكثر في مدح نفسه ولدده وما تعاملنا نعتقد لا حاجة الى
معاملته فاشار القايد بن البطايحي وقال هنا من يبلغ الغرض باسهل ما يجده واقرب
وقت واسرعه والطف معنى ابو سعيد بن قرقة الطبيب متولي خزائن السلاح
والسروج والصناعات وغير ذلك فاحضره للوقت فاتفق له من الحديث الحسن
السهل وما سبب عمل الالات ومن ابتداها من الاول وذكر القدما في ابتدا
العالم ومن رصد منهم واحدا واحدا الى اخرهم شرحا مستوفا كانه يحفظه ظاهرا
ويقراه من كتاب فاعجب الافضل والحاضرين وقال له اي شي يحتاج فقال
ما احتاج كبير امر والامور سهلة كلها الحاجة في خزائن السلطان خلد الله ملكه

النحاس والرصاص والالات وكلما احتاج استدعيه اولا فاولا والنفقات واجرة
الصناع يتولاها غيرك فاعجب به وقال يطلق له جار لنفسه فقال انا مستخدم
في عدة خدم بجواري يكفيني وانا مملوك الدولة ما احتاج الى جار واذا بلغت الغرض
وانقضت الاشغال فهو المقصود وكان قد قيل للافضل هذا الرصد يحتاج الى
اموال عظيمة فقال كم يقول يحتاج اليه فقال ما ينفق عليها لامثل ما ينفق على
مسجد او مستسطر فرجع يكرر عليه القول فقال ها توا ورقة فكتب فيها المملوك
يقبل الارض وينهي دعت الحاجة الى خروج الامر العالي الى دار الوكالة باطلاق
مايتي قنطار من النحاس المجر ومايتين قنطار من النحاس القضيب الاندلسي واربعين
قنطارا من النحاس الاحمر ومن الرصاص الف قنطار ومن الحطب ومن الحديد
الفولاذ من الصناعة ما لعله يحتاج اليه ومن الاخشاب ومن النفقة مايه دينار
على يد شاهد ينفق به فاذا فرغت استدعى غيرها واحتاج اختار موضعا يصلح
الرصد فيه ويكون العمل والصناع فيه ومباشرة السلطان فيما يتوقف عليه وما
يستامر فيه فاستصوب الافضل جميع ذلك واراد ان يخلع عليه فقال المغابيد
هذا انما بعد اذا شوهدت اعماله فخدم من اول الحال الى اخرها ولم يحصل له الدرهم
الفرد لانه كان يستحي ان يطلب وهو مستخدم عندهم وكانوا باجمعهم يأملون طول
المدة والبقاء فقيل للافضل باي سنة وتغيرت الاحوال انهم اختاروا للرصد
مسجد التنور فوق المقطم فوجدوه بعيدا عن الحوائج فاجمعوا على سطح الجرف
بالمسجد المعروف بالفيلة الكبير وكان قد اصرف على المسجد خاصة ستة
آلاف دينار فحضروا الى مسجد الفيلة فنظروا في الجبل بمكان الفضريح الان فعمل فيه
قالب الحلقة الكبيرة وقطرها عشرة اذرع ودورها ثلثين ذراعا وهندسوه
وجردوه اياما وعمل حوله عشر هرح على كل هرجة منفاخان وفي كل هرجة
احد عشر سعاح قنطارا نحاسا واول واكثر الجميع مائة قنطار وكسر فسبكوها
على الهرج وطرح فيها النار من العصر ونفخ الى الثانية من النهار وحضر الافضل
بكرة وجلس على كرسي فلما انفتحت الهرج ودارت امر الافضل بفتحها وقد وقف
على كل هرجة رجل وامر وابتحها في لحظة ففتحت وسال النحاس كلها الى القالب
وكان قد بقي فيه بعض النداوة فلما استقر به النحاس بحرارته تقعقع المكان
الذي فلم تتم الحلقة ولما بردت وكشف عنها اذا هي تامة ما خلا المكان

الذي

الذي فضجر الافضل وضاق صدره ورما الصناع بكيس فيه الف درهم فغضب
وركب فلاطفه ابن قرقة وقال مثل هذه الالة العظيمة التي ما سمع قط بمثلها
لو اعيد سبكها عشر مرات حتى تصح ما كان كبيرا فقال له الافضل اهتم في اعادتها
فسبكت وصحت ولم يحضر الافضل في المرة الثانية ففرح بصحتها وعملت ودفعت
الى سطح مسجد الفيلة واحضر لها جميع صناع النحاس وعمل لها كارز خشب من
السنديان وهو كار عجيب بني في وسط الحلقة مسطبة حجارة متقنة لرجل
البكار وهو قايم مثل عروس الطاحون وفيه ساعد مثل ناف الطاحون وقد
لبس بالحديد والجميع سنديان حديد وطرف الساعد مجصا لعنقه فنون تارة
لتصحيح وجه الحلقة وتارة لتعديل الاجناب وتارة للخطوط والحزوز واقام
في التصحيح بها واخذ زوايدها بالمبارد مدة مطولة وجماعة الصناع والمهندسين
وارباب هذا العالم العلم حاضرون واستدعى لهم خيمة عظيمة ضربت على الجميع
وعقد على الحلقة اتسا وسعه وارادوا اثباتها على سطح مسجد الفيلة فلم يصح
لهم فانهم وجدوا المشرق لاول بروز الشمس مسدودا فاتفقوا على نقلها الى المسجد
الجيوشي مجاور الانطاكي المعروف ايضا بالرصد وكان الافضل بناه لطف من
جامع الفيلة ولم يكمل فلما صار برسم الرصد كمل بحضرة الافضل في نقل الحلقة
من جامع الفيلة الى المسجد الجيوشي وقد احضرت السواري الطوال
العظام والسربافات والمخانات من الاسكندرية وغيرها وجمعت الاسطولية
ورجال السودان وبعض اصحاب الركاب والجند حتى دلوه وحملوه على العجل
الى المسجد الرصد الجيوشي وثاني يوم حضروا باجمعهم حتى رفعوه باجمعهم الى السطح
وحملوه واقاموا الحلقة وجعلوا تحت اكنافها عمودين من رخام سبكوهما بالرصاص
من اسفلها واعلاها حتى لا يرخي الثقل النحاس وجعل في الوسط عمود رخام
وباعلاه قطب العضادة مسبوك بالنحاس الكبير لتدور عليه العضادة وعملت
من نحاس فاتمار ست ولا داات فعملوها من خشب ساج وقطعها واطرافها
من نحاس صفائح لتخف الدوران ثم رصد وابها الشمس بعد كلفة وكانت الحلقة
ترخي الدرجة والدقايق كل دقيقة للثقل فعمل عمود من نحاس فوق العمود
الرخام لتمسك رخوها وغلبوا ابعد ذلك فكانت تختلف لشدة ما كانوا يجردونها
بالشواقيل والعضادة الخشب وتردد اليها الافضل مع كبر سنه وهو يرعش

والقايد يحمله الى فوق ويتعب زمانا من التعب لا يتكلم ويدعو بعيش فرصد واتفق انه
في خلال ذلك قتل الافضل ليلة عيد الفطر سنة خمس عشرة وخمسماية وقيل
للافضل عن ابن قرقة انه اسرف في كبر الحلقة وعظم مقدارها فقال له الافضل
لو اختصرت منها لكان اهون فقال وحق نعمتك لو امكنني ان اعمل حلقة يكون
رجلها الواحدة على الاهرام والاخرى على التنور لعملت فكلما كبرت الالة صح التحرير
ابن هذا في العالم العلوي ثم اكبروا علية فعمل حلقة دونها في الموضع المهندم بالطوب
الاحمر تحت المسجد الجيوشي كان قطرها اقل من سبعة اذرع ودورها نحو احد وعشرين
ذراعا فلما كملت قتل الافضل ولم ينفق من مال السلطان في الاجرة والمون ومالا
بد منه سوى نحو ماية وستين دينارا فلما تمت الوزارة للمامون البطايحي احب
ان يكملها ويقال له الرصد المامونى الصحيح كما قيل للرصد الاول المامونى الممتحن
فاخرج الامر بنقل الرصد الى باب النصر بالقاهرة فنقل على الطريق الاولى بالعجال
والاسطوانة وطوايف الرجال وكان يدفع لهم كل يوم برسم الغدا جملة دراهم
فلما صارت فوق العجال مضوا به على الخندق من درا الفتح على المشاهد الى مسجد
الذخيرة من ظاهر القاهرة وتعبوا في دخوله من باب النصر تعبا عظيما لخوفهم
ان ينصدم فيتغير فنصبوا الصواري على عقد باب النصر من داخل الباب وتكاثر
الرجال في جذب المناجيق من اسفل ومن فوق حتى وصل الى السطح الكبير ثم
نقلوه من السطح الكبير الى السطح الفوقاني واوقفوا اليه العمد كما تقدم ذكره
ورصد واما الحلقة الكبرى كما رصدوا بها على سطح الجوف فصح لهم ما ارادوا من
حال الشمس فقط ثم اهتموا بعمل ذات حلق يكون قطرها خمسة اذرع وسبكت
في بندق بالعطوفية من القاهرة وكان الامر فيها سهلا عند ما تقدم من العنا
العظيم في الحلقة الكبيرة والحلقة الوسطى وتجرد المامون لعملها والحث فيها
وكان ابن قرقة يحضر كل يوم دفعتين ويحضر ابو جعفر بن حسداي وابو البركات
بن ابى الليث صاحب الديوان وبيده الحل والعقد فقال له المامون اطلع اليهم
كل يوم واي شي طلبوه دفع لهم به من غير مؤامرة وكان قصده فيما المعجوه فيه
من ان يقال الرصد المامونى المصحح فلو اراد الله ان سعد المامون قليلا كان يكمل رصد
جميع الكواكب لكنه قبض عليه ليلة السبت ثالث شهر رمضان سنة تسع
عشرة وخمسمائة وكان من جملة ما عد من ذنوبه عمل الرصد المذكور والاتصال
وقيل

وقيل الطمعه نفسه في الخلافة بكونه سماه الرصد المامونى ونسبه الى نفسه ولم
ينسبه الى الخليفة الامر باحكام الله واما العامة والغوغا فكانوا يقولون
اراد ان يخاطبوا زحل واراد ان يعملوا الغيبوبة وقال اخرون منهم عمل هذا
للسحر ونحو ذلك من الشناعات فلما قبض على المامون بطل وانكر الخليفة على
عمله فلم يجسر احد ان يذكره وامر بكسره وحمل الى المناظر وهرب المستخدمون
ومن كان فيه وكان الحاضر فيه من المهندسين برسم خدمته وملازمته في كل
يوم بحيث لا يتاخر منهم احد الشيخ ابو جعفر بن حسداي والشيخ بن ابى العيش
والخطير ابو الحسن على بن سليمن بن البواب والشيخ ابو المنجى بن سند الساعاتي
الاسكندراني المهندس وابو محمد عبد الكريم الصقلي المهندس وغيرهم من
الحساب والمنجمين كابن الحلبي وابن العيثي وابي نصر تلميذ سهلون وابن دباب
والقلعي وجماعة يحضرون كل يوم الى الضحوة نهار فيحضر صاحب الديوان بن ابي
الليث وكان بن حسداي ربما تاخر في بعض الايام فانه كان امرا عظيما صاحب
كبريا وهيبة وفي كل يوم يبعث المامون من يتفقد الجماعة ويطالعه بمن غاب
منهم لانه كان كثير التفقد للامور كلها وله غمازون واصحاب اخبار لا ينام ولا
يكاد يفوته شي من احوال الخاصة والعامة بمصر والقاهرة ومن يتحدث وجعل
في كل بلد من الاعمال من يانيه بسائر اخبارها انتهى وانا ادركت هذا الموضع
الذي يعرف الى اليوم بالرصد حيث جامع الفيلة عامرا وفيه عدة مساكن ومساجد
وبه اناس مقيمون دايما وقد خرب ما هنالك وصار لا انيس به وكان الملك
الناصر محمد بن قلاوون قد انشا فيه سواقي لنقل الماء اماكن قد حفر لها
خليج من البحر بجوار رباط الاثار النبوية فاذا صار الماء في سفح هذا الجرف المسمى
بالرصد نقل بسواقي هناك قد انشئت الى ان يصير الى القلعة فمات ولم يكمل ما
اراده من ذلك كما ذكر في اخبار قلعة الجبل من هذا الكتاب وما زال
موضع هذا الرصد متنزها لاهل مصر ويقال ان المعز لدين الله معد
لما قدم من بلاد المغرب الى القاهرة لم يعجبه مكانها وقال للقايد جوهر
اذ فاتك بناها على النيل فهلا كنت بنيتها على الجرف يعني هذا المكان ويقال
ان اللحم علق بالقاهرة فتغير بعد يوم وليلة وعلق بقلعة الجبل فتغير بعد يومين
وليلتين وعلق في موضع الرصد فلم يتغير ثلثة ايام ولياليها لطيب هوايه والله اعلم

ولله در القائل

يا ليلة عاش سروري بها * ومات من حسدنا الكمد

وبت بالمعشوق في المشتهى * وبات من رقبنا بالرصد

ذكر مداين ارض مصر

قال ابن سيدة مدن بالمكان اقام والمدينة الحصن
يبنى في اصطمة الارض مشتق من ذلك والجمع مداين ومدن ومن هذا حكم ابو الحسن
فيما حكى الفارسي عنه ان مدينه فعيله وقال العلامة اثير الدين ابو حيان المدينه
معروفة مشتقة من مدن فهي فعيلة ومن ذهب الى انها مفعلة من دان فقوله
ضعيف لاجماع العرب على الهمز في جمعها فانهم قالوا مداين بالهمز ولا يحفظ مداين
بالياء ولا ضرورة تدعو الى انها مفعلة ويقطع بانها فعيلة جمعهم لها على فعل فانهم
قالوا مدن كما قالوا صحف في صحيفه واعلم ان مداين مصر كثيرة منها ما دثر
وجهل اسمه ورسمه ومنها ما عرف اسمه وبقي رسمه ومنها ما هو عامر واول
مدينة عرف اسمها في ارض مصر مدينة امسوس وقد محى الطوفان رسمها
ولها اخبار معروفة وبها كان ملك مصر قبل الطوفان ثم صارت مدينة مصر
بعد الطوفان مدينة منف وبها كان ملك القبط والفراعنة الى ان اخربها بخت
نصر فلما قام الاسكندر بن فيلبش المقدوني بمملكة الروم عمر مدينة الاسكندرية
عمارة جديدة وصارت دار المملكة بمصر الى ان قدم عمرو بن العاص بجيوش
المسلمين وفتح ارض مصر فاختط فسطاط مصر وصارت مدينة مصر الى ان قدم
جوهر القايد من المغرب بعساكر المعز لدين الله ابي تميم معد وملك مصر واختط
القاهره فصارت دار المملكة بمصر الى ان زالت الدولة الفاطمية على يد السلطان
صلاح الدين يوسف بن ايوب وبنى قلعة الجبل وصارت القاهرة مدينة مصر
الى يومنا هذا وفي ارض مصر عدة مداين ليست دار ملك وهي مدينة الفيوم
ومدينة دلاص ومدينة اهناس ومدينة البهنسى ومدينة القيس ومدينة
طحا ومدينة الاشمونين ومدينة انصنا ومدينة قوص ومدينة سيوط ومدينة
قاوه ومدينة اخميم ومدينة البلينا ومدينة هو ومدينة قنا ومدينة
دندره ومدينة قفط ومدينة الاقصر ومدينة اسنا ومدينة ارمنت
ومدينة ادفو وثغر اسوان وادركنا منه هذه مداين الوجه القبلي وكان
اهل مصر يسمون من سكن من القبط بالصعيد المريس ومن سكن منهم اسفل

الارض يسمون البيما وفي الوجه البحري مدينة توب من الحوف الشرقي باسفل الارض
ومدينة عين شمس ومدينة اتريب ومدينة بنو ومن قراها ناحية زنكلون ومدينة
نمي ومدينة بسطه ويعرف اليوم موضعها بتل بسطه ومدينة قربيط ومدينة
البتنون ومدينة منوف ومدينة طوه ومدينة منوف ايضا ومدينة سخا
ومدينة الاوسيه وهي دميره ومدينة تنله ومدينة الافراحون ومن جملة
قراها انشا ومدينة نقيزه ومدينة بنا ومدينة شبرابساط ومدينة سمنود
ومدينة نوسا ومدينة سنبتى ومدينة البحوم وقد غلب على كورة البحوم الرمال
والسباخ ويعرف اليوم فيها قرية اذكوا على ساحل البحرين سكندرية ورشيد
ومدينة تنيس ومدينة دمياط ومدينة الفرما ومدينة العريش ومدينة صا
ومدينة ترنوط ومدينة قرطسا ومدينة اخنو ومدينة رشيد ومدينة مريوط
ومدينة لوبيه ومراقيه وليس بعد لوبيه ومراقيه الارض انطابلس وهي برقه
وفي كور القبله مدينة فاران ومدينة القلزم ومدينة رايه ومدينة ايله
ومدينة مدين واكثر هذه المداين قد خرب ومنها ماله اخبار معروفة وقد
استجدت في الاسلام مداين وسياتي من اخبار ذلك ان شا الله تعالى ما يكفي
وديار مصر اليوم وجهان قبلي وبحري جملتها خمس عشرة ولاية فالوجه القبلي
اكبرهما وهي تسعة اعمال عمل قوص وهو اجلها ومنه اسوان وعيذب وقوله واسوان
حد المملكة من الجنوب وعمل اخميم وعمل سيوط وعمل منفلوط وعمل الاشمونين
وبها الطحاويه وعمل البهنسا وعمل الفيوم وعمل اطفيح وعمل الجيزه والوجه
البحري ستة اعمال عمل البحيره وهو متصل البر بالاسكندريه وبرقه وعمل
الغربيه وهي جزيرة واحدة يشتمل عليها ما بين البحرين بحر دمياط وبحر رشيد
والمنوفيه ومنها ابيار التي تسمى جزيرة بني نصر وعمل قليوب ومدينة الشرقيه
وعمل اشموم طناح ومنها الدقهلية والمرتاحيه وهما موضع ثغر البرلس وثغر رشيد
والمنصوره وفي هذا الوجه الاسكندرية ودمياط وهما مدينتان لا عمل لهما وذكر
ابو الحسن المسعودي في كتاب اخبار الزمان ان الكوكه وهي امة من اهل ابله ملكوا
الارض وقسموا الصعيد على ثمانين كورة وجعلوه اربعة اقسام وكان عدد
مدن مصر الداخله في كورها ثلاثين مدينة فيها جميع العجايب والكور مثل
اخميم وقفط وقوص والفيوم ويقال ان مصر بن بيصر قسم الارض بين اولاده

فاعطي ولده اشمون من حد ملله الي راس البحر الى دمياط واعطي لولده انصنا من حد
انصنا الى الجنادل واعطي لولده صا من صا الى الاسكندرية اسفل الارض واعطي
لولده منوف وسط الارض السفلي منف وما حولها واعطي لولده قفط قفط غربي
الصعيد الى الجنادل واعطي لولده اتريب شرقي الارض الى البرية برية فاران واعطي
لبناته الثلاثة وهي الفرما وسربام وبدوره تقاغا من ارض مصر محمد ودة فيما بين
اخوتهن **ذكر مدينة امسوس وعجايبها وملوكها قال الاستاذ** ابراهيم بن
وصيف شاه الكاتب في كتاب اخبار مصر وعجايبها وكانت مصر القديمة اسمها امسوس
واول من ملك ارض مصر **نقراوش** الجبار بن مصرايم معنا نقراوش ملك قومه الاول
بن مركابيل بن دوابيل بن عرباب بن ادم عليه السلام ركب في نيف وسبعين راكبا
من بني عرباب جبابرة كلهم يطلبون موضعا يتطنون فيه فرارا عن بني ابيهم عند
ما بغي بعضهم على بعض وتحاسدوا ونغت عليهم بنو قابيل بن ادم فلم يزالوا يسيرون حتى
وصلوا الى النيل فلما راوا سعة البلد فيه وحسنه اعجبهم فاقاموا فيه وبنوا الابنية
المحكمة وبنا نقراوش مصر وسماها باسم ابيه مصرايم ثم تركوها وامر ببنا مدينة سموها
امسوس وذلك بن وصيف شاه وكان قد وقع اليه علم ذلك من العلوم التي
يعملها دوابيل بن ادم عليه السلام وبني الاعلام واقام الاساطين وعمل الصنعة
واستخرج المعادن ووضع الطلسمات وشق الانهار وبني المداين فكل علم جليل كان
في ايدي المصريين انما هو من فضل علم نقراوش واصحابه كان ذلك مرموزا على
الحجارة فنسره فليمون الكاهن الذي ركب مع نوح عليه السلام في السفينة ونقراوش
هو الذي بنا مدينة امسوس وعمل بها عجايب كثيرة منها طاير يصفر كل يوم عند
طلوع الشمس مرتين وعند غروبها مرتين يستدلون بتصفيره على ما يكون
من الحوادث حتى يتهيوا لها ومنها صنم من حجر اسود في وسط المدينة تجاهه
صنم مثله اذا دخل الى المدينة سارق لا يقدر ان يزول حتى يسلك بينهما فاذا دخل
بينهما اطبقا عليه فيوخذ وعمل صورة من نحاس على منار عال لا تزال عليها سحاب
تطلع وكل من استمطرها امطرت عليه ما شا وعمل على حد البلاد اصناما من نحاس مجوفة
وملاها كبريتا ووكل بها روحانية النار فكانت اذا قصدهم قاصد ارسلت تلك
الاصنام من افواهها نارا احرقته وعمل فوق جبل بطرس منارا يفور بالما ويسقي ما
حوله من المزارع ولم يزل هذه الاثار حتى ازالها الطوفان ويقال انه هو الذي

اصلح

اصلح مجري النيل وكان قبله يتفرق بين الجبلين وانه وجه الى بلاد النوبة جماعة هندسوه
وشقوا انهرا عظيمة منه سوا عليه المدن وغرسوا الغروس واحب ان يعرف مخرج
النيل فسار حتى بلغ خط الاستوا ووقف على البحر الاسود الزفتي وراي النيل يجري
على البحر مثل الخيوط حتى يدخل تحت جبل القمر ويخرج منه الى بطايح ويقال انه
هو الذي عمل التماثيل التي هناك وعاد الى امسوس وقسم البلاد بين اولاده فجعل
لابنه الاكبر واسمه نقادس الجانب الغربي ولابنه شورب الجانب الشرقي وبنا
لابنه الاصغر واسمه مصرام مدينة برسان واسكنه فيها واقام ملكا على مصر مايه
وثمانين سنة ولما مات لطخ جسده بادوية ماسكة وجعل في تابوت من ذهب
وعمل له ناووس مصفح بالذهب ووضع فيه ومعه كنوز واكسير واواني من ذهب
لا تحصي لكثرتها وزبروا على الناووس تاريخ موته واقاموا عليه طلسما يمنعه من
الحشرات المفسدة وملك بعده ابنه **نقادش** بن نقراوش وكان كاهنا في علم
الكهانة والطلسمات وهو اول من عمل بمصر هيكلا وجعل فيه صور الكواكب
السبعة وكتب على هيكل كل كوكب منافعه ومضاره والبسه كلها الثياب الفاخرة
واقام لها خدمة وسدنة وخرج من امسوس غازيا حتى بلغ البحر المحيط واقام عليه
اساطين على رووسها اصنام تسرج عيونها في الليل ومضى على بلاد السودان الى
النيل وامر ببنا حايط على جانب النيل وعمل له ابوابا يخرج منها الما وبنا في صحرا الغرب
خلف الواحات ثلث مدن على اساطين بشرفات من حجارة ملونة شفافة وفي كل
مدينة منها خزاين من الحكمة وفي احدها صنم من حجارة للشمس على صورة انسان
وجسد طاير من ذهب وعيناه من جوهر اصفر وهو جالس على سرير من
مغناطيس وفي يده مصحف العلوم وفي احدها صنم راسه راس انسان بجسد
طاير ومعه صورة امراة جالسة قد عملت من زيبق معقود لها ذوابتان وفي
يديها مراة وعلى راسها صورة كوكب وقد رفعت المراة بيديها الى وجهها
وفي احدها مطهرة فيها سبعة الوان من سايل يرد اليها ولا يغير بعضها لون بعض
وفي بعضها صورة شيخ جالس قد عمل من العنبر وزج وبين يديه صبية جلوس كلهم
من عقيق وفي بعضها صورة هرمس يعني عطارد وهو ينظر الى ماية بين يديه
من نوشادر على قوائم من كبريت احمر وفي وسطها صحفة من جوهر وجعل فيها
صورة عقاب من زبرجد اخضر وعيناه من ياقوت اصفر وبين يديه حية زرقا

من فضة قد لوت ذنبها على رجليه ورفعت راسها كانها تنفخ عليه وجعل فيها صنعة المريخ وهو
راكب على فرس وفي يده سيف مسلول من حديد اخضر وجعل فيها عمودا من جوهر
اخضر وعليه قبة من ذهب فيها صورة المشتري وجعل فيها قبة من ادرك على
اربعة اعمدة من جزع ازرق في سقفها صورة الشمس والقمر متحاذيين في صورة
رجل وامراة متحاذيان وجعل فيها قبة من كبريت احمر فيها صورة الزهرة على هيئة
امراة ممسكة بطرفي شعرها وتحتها رجل من زبرجد اخضر في يده كتاب فيه علم من علومهم
كانه يقرا فيه عليها وجعل في تلك الخزاين من كنوز الاموال والجواهر والحلي والاكسير
الصنعة سوقا للادوية والسموم القاتلة ما لا يحصى كثرة وجعل على باب كل مدينة
طلسما يمنع من دخولها وانفذ لها اسرابا تحت الارض ينفذ بعضها الى بعض طول
كل سرب ثلثة اميال وبنى ايضا مدينة بارض مصر اسمها طلجة وعمل فيها جنة صفح
حيطانها بالجواهر الملونة وبالذهب وغرس فيها اصناف الاشجار واجرى تحتها
الانهار وغرس فيها شجرة مولدة تطعم ساير الفواكه وعمل فيها قبة من رخام احمر
على راسها صنم يدور مع الشمس ووكل بها شياطين اذا خرج احد من بيته
في الليل هلك واقام بها اساطين زبر عليها جميع العلوم وصور العقاقير ومنافعها فيها
ومضادها وجعل لهذه المدينة مسارب تتصل بمسارب تلك المدن الثلاث بين
كل سرب منها وبين هذه المدينة عشرون ميلا فلم تزل هذه المداين حتى
افسدها الطوفان ولما مات بعد مائة وتسع سنين من ملكه على مصر في ناوس
بطلسم ودفن فيه وملك بعده اخوه مصرايم بن نقراوش الجبار بن مصريم ويقال
به سميت مصر وكان حكيما فعمل هيكلا للشمس من مرمر مموه بذهب احمر وفي وسطه
فرس من جوهر ازرق عليه صورة الشمس من ذهب احمر وعلى راسه قنديل من
الزجاج فيه جوهر يضي اكثر من السراج ثم انه ذلل الاسد وركبها وسار الى
البحر المحيط وجعل في وسطه قلعة بيضا عليها صنم للشمس وزبر عليه اسمه
وصفته وعمل صنما من نحاس زبر عليه انا مصرايم الجبار كاشف الاسرار الغالب
القهار وضعت الطلسمات الصادقة واقمت الصور الناطقة ونصبت الاعلام الهايلة
على البحار السايلة ليعلم من بعدي انه لا يملك احد اشد من ايدي وعاد الى اسوس
واحتجب عن الناس ثلثين سنة واستخلف رجلا يقال له عنقام من ولد غرباب بن
ادم وكان كاهنا ساحرا فلما مضت المدة اجب اهل مصر ان يروه فجمعهم عنقام
بعد

بعدما اعلم مصرايم فظهر لهم في اعلا مجلس مزين باصناف الزينة في صورة هايلة
ملات قلوبهم رعبا فخروا له ساجدين ودعوا له ثم احضر لهم الطعام فاكلوا وشربوا
وامرهم بالرجوع الى مواضعهم ولم يروه بعدها فملك بعده خليفته عنقام
وقد حكي عنه اهل مصر حكايات لا تصدقها العقول ويقال ان ادريس
عليه السلام دفع في ايامه وانه راي في علمه كون الطوفان فبنا خلف خط الاستوا
قصرا في سفح جبل القمر من نحاس وجعل فيه خمسة وثمانين تمثالا من نحاس يخرج
ما النيل من حلوقها وتصب في بطيحة ثم الى مصر وسار اليه من اسوس فشاهد
حكمه ببنانه وزخرفة حيطانه وما فيها من النقوش من صور الافلاك وغيرها
وكان قصرا انشرح فيه المصابيح ونصب فيه الموايد وعليها من كل الاطعمة الفاخرة
في الاواني النفيسة ما لو اكل منه عسكر لما نقصت ذرة ولا يعرف من عملها ولا
من وضعها وفي وسط القصر بركة من ما طاهر وترى حركته من ورا ما
جمد منه فاعجب بما راي وعاد الى اسوس واستخلف ابنه عرباق وقلده الملك
واوصاه وعاد الى ذلك القصر واقام به حتى هلك والى عنقام هذا يعزى مصحف
القبط الذي فيه تواريخهم وجميع ما يجري في اخر الدهر فقام من بعده ابنه عرباق
عرباق بن غرباب ويقال ابان بن عنقام ويقال له الاسم فعمل اعمالا عجيبة
منها شجرة صغيرة لها اغصان من حديد بخطاطيف اذا قرب الظالم منها اخذته
تلك الخطاطيف ولا يفارقه حتى يقر بظلمه ويخرج منه لخصمه ومنها صنم من كدان
اسود سماه عبد زحل كانوا يتحاكمون اليه فمن زاغ عن الحق ثبت لمكانه ولم
يقدر على الخروج منه حتى ينصف من نفسه ولو اقام سنة ومن كانت له حاجة
قام ليلا ونظر الى الكواكب وتضرع وذكر اسم عرباق فاذا اصبح وجد حاجته
على بابه وعمل شجرة من حديد ذات اغصان ولها مدبر كانت تجلب
كل صنف من الدواب والسباع والوحوش اليها حتى يتمكن من صيدها وكان اذا
غضب على اهل اقليم سلط عليهم الوحوش والسباع وتاتيه بجعل ما لهم من الابذاق
ويقال انه هاروت وماروت كانا في زمنه وانه بنا جنة عظيمة واغتصب
النسا الحسان واسكنهن فيها فعملت عليه امراة منهن وسمته فهلك وملك بعده
لوجيم بن نقراوش ويقال بل هو من بني نقراوش الجبار ويعرف بلوجيم الغني
وهو الذي اخذ الملك من عرباق بن عنقام الكاهن ورده لبني نقراوش بعدما

خرج عنهم بلا حرب ولا قتل وكان عالما بالكهانة والطلسمات فعمل اعمالا عجيبة منها
ان الغداف والغراب كثر في ايامه واتلف الزرع فعمل اربع منارات في جوانب مدينة
امسوس الاربعة وعلى كل منارة صورة غراب وفي فمه حية قد التوت عليه
فنفرت عنهم الطيور المضرة من آخ ولم تقربهم حتى زالت المنارات بالطوفان
وكان حسن السيرة منصفا للرعية عادلا متقربا للكهنة ولما مات دفن في ناووس
ومعه كنوزه وعمل عليه طلسم يمنعه وملك بعده حصليم وكان فاضلا عالما
كاهنا فعمل اعمالا عجيبة وهو اول من عمل مقياسا لزيادة النيل بان جمع ارباب العلوم
والهندسة فقدروا وبنوا بنيانا من رخام على حافة النيل وفي وسطه بركة صغيرة من
نحاس احدهما ذكر والاخر انثى فاذا كان اول الشهر الذي يزيد فيه النيل فتح
هذا البيت وجمع الكهان فيه بين يديه وزمزم الكهان بكلامهم حتى يصفر احد
العقابين فان صفر الذكر كان الماء تاما وان صفرت الانثى كان الماء ناقصا فيستعدون
عند ذلك لغلاء الاسعار بما يصلحون به شانهم وهو الذي بنا القنطرة ببلاد النوبة
على النيل ولما مات عمل في ناووس ومعه كنوزه وعليه طلسم وملك بعده ابنه
هوصال ويقال هوصال ومعناه خادم الزهرة ويقال سواك بن
لوخيم الملك التراووشي من بني تتراوش الجبار ويقال ان نوحا عليه السلام ولد في
ايامه وكان فاضلا كاهنا عالما بالسحر والطلسمات فعمل عجايب منها انه بنا مدينة
عمل في وسطها صنما للشمس يدور بدورانها ويبيت مغربا ويصبح مشرقا وعمل
سربا تحت النيل يشق الارض ويخرج منه متنكرا حتى يبلغ مدينة بابل ويكشف
احوال الملوك وكان نوحا عليه السلام في زمانه وولد له عشرون ولدا فجعل مع
كل ولد منهم قاطر وهو راس الكهنة واقام في الملك مائة وسبع عشرة سنة ثم
لزم الهياكل واقام اولاده على حالهم كل منهم في قسمه الذي اعطاه اياه ابوه مدة
سبع سنين ثم اجتمعوا على واحد منهم وملكوه عليهم وكان اسمه تردشال ويقال
تدرسان فلما ملك نفى جميع اخوته الى المداين الداخلة في الغرب واقتصر
على امراة من بنات عمه وكانت ساحرة وعمل له قصرا من خشب منقوش فيه صور
الكواكب وبسطه باحسن الفرش وحمله على الماء وصار يجلس فيه فبينا هو ذات
يوم اذ هبت ريح شديدة اضطرب منها الماء فانقلب القصر وتكسر فغرق هو ومن
كان معه في القصر وملك بعده اخوه نمرود الجبار ويقال شمرود بن هوصال

فاحسن

فاحسن السيرة وانصف الرعية وبسط العدل وجمع اخوته وفرق عليهم كنوز اخيهم
فسر الناس به وطلب امراة اخيه الساحرة فهربت بابنها الى مدينة ببلاد الصعيد
وامتنعت عليه بسحرها واقامت مدة فاجتمع السحرة الى ابنها وكان اسمه توميدون
وحملوه على طلب الملك فسار وخرج اليه شمرود واخوته فاقتتلوا قتالا عظيما كان
فيه الظفر لتوميدون فقتله وملك من بعده فقام توميدون بن تدرسان
بالملك في مدينة امسوس وكان عالما فاضلا قوي بسحر امه وعملت له اعمالا
عجيبة منها قبة من زجاج على هيئة الكرة تدور بدوران الفلك وصورت فيها
صور الكواكب وكانوا يعرفون بها اسرار الطبايع وعلوم العالم فلما ماتت امه
الساحرة بعد ستين سنة من ملكه طلى جسدها بما يدفع عنه النتن والحشرات
ودفن تحت صنم القمر ويقال انها كانت بعد موتها يسمع منها من عندها
صوت بعض الارواح وتخبرهم بعجايب وتجيب عما يسال عنه ولما مات توميدون
بعد مائة سنة من ملكه عمل له صورة من زجاج منقوشة بنصفين وادخل
فيها بعد ما طلي بالادوية المانعة من النتن واطبقت الصورة عليه حتى
التحمت واقيم في هيكل الاصنام ودفنت كنوزه عنده وصار يعمل له في كل سنة عيد
وملك بعده ابنه شرياق ويقال شرياق بن ترشدون بن توسان
بن هوصال ومعناه خادم الزهرة وكان كاتبه في علم السحر والطلسمات فعمل
اعمالا عجيبة منها على باب مدينة امسوس هيئة بطة من نحاس قايمة
على اسطوانة اذا دخل غريب من ناحية من النواحي صفقت بجناحيها وصفرت
فيوخذ ذلك الغريب ويكشف امره حتى يعرف فيما قدم وشق من النيل نهرا
يمر الى مداين الغرب وبنا عليه اعلاما ومدنا ومتنزهات وسار ملك من بني
فراتشي بن ادم ويقال من بني صوا اتيني بن ادم خرج من ناحية العراق
في ايامه وغلب على بلاد الشام وقصد مصر لياخذها ملكها فقيل له انك لا تقدر
على ذلك لسحر اهلها فتنكر ودخل في جماعة من خواصه ليكشف احوال مصر
فلما وصل الى اول حد مصر حبسه الموكلون بذلك الحد هو ومن معه حتى
يامر الملك فيهم بامره وبعثوا اليه بصفتهم وكان قد راي في منامه كانه على منار
عال وكان طايرا عظيما انقض عليه ليختطفه فحاد عنه حتى كاد يسقط من
المنار فجاذبه الطاير وسلم منه فانتبه مذعورا وقص رؤياه على كبير الكهنة

وقال يطلبك ملك لا تقدر عليه وتنظر في نجومه فراى الملك الذي يطلب ملكه قد
الى مصر وكان ذلك الوقت هو الذي تقدم عليه فيه الرسل بصفات الذين وصلوا الى
حد مصر فامر باحضارهم اليه بعد ما يطاف بهم على عجايب مصر كلها ليروها فاوقفوهم
وساروا بهم واوقفوهم على عجايبه ارض مصر وما فيها من الطلسمات حتى بلغوا الى
الاسكندرية ثم الى امسوس ثم الى القبة التي عملها مصرايم وكان الملك شرناق
مقيما بها فعندما وصلوا اليها المهوت السحرة التماثيل العجيبة فدخلوا عليه وبين
يديه الكهنة وحوله نار لا يصل اليه احد حتى يخوضها فمن كان بريا لم تضره ومن
كان يريد بالملك سوا او اضمر له مكروها اخذته النار فمشى القوم في وسط النار
واحد بعد واحد من غير ان يضرهم حتى انتهى الامر الى ملك العراق فعندما دنا من
النار اخذته بحرها فولى هاربا واتبعوه حتى اخذوه واوقفوه بين يدي شرناق
فلم يزل به حتى اعترف فامر بصلبه فصلب على الحصن الذي اخذ منه ونودي
عليه هذا جزا من طلب ما لا يصل اليه وعفى عن الباقين فساروا من مصر وتحدثوا
بما راوه من العجايب فانقطع طمع ملوك الارض عن طلب ارض مصر ومات شرناق
بعد ما ملك مصر مايه سنه وثلثين سنة فجعل في ناووس ومعه امواله وطلسم
يحفظه ممن يقصده وملك بعده ابنه شملوق وكان عالما بالكهانة والطلسمات
تقسم ما النيل موزونا ينصرف الى كل ناحية قسطها ورتب الدولة وعمل بيت نار
وهو اول من عبد النار وعمل بامسوس عجايب منها شجره على اعالي الجبال
تقسم بها الرياح التي تمنع من اراد مصر باذا او فساد من جني او انسي او سبع
او طاير وعمل بالمدينة قبة مركبة على سبعة اركان ولها سبعة ابواب كل ركن
باب وفي وسط القبة قبة من صفر وفي اعلاها صور الكواكب السبعة وتحت
القبة قبة اخرى معلقة على سبع اساطين وعلى الباب الاول من القبة اسد
ولبوة من صفر وهما رابضان كان يذبح لهما جروا اسود ويبخرهما بشعره وعلى
الباب الثاني ثور وبقره يذبح لهما عجلا ويبخرهما بشعره وعلى الباب الثالث
خنزير وخنزيرة يذبح لهما خنوصا ويبخرهما بشعره وعلى الباب الرابع كبش
وشاه يذبح لهما سخله ويبخرهما بشعره وعلى الباب الخامس ثعلب وثعلبه
يذبح لهما فرخ ثعلب ويبخرهما بشعره وعلى الباب السادس عقاب وانثاه
يذبح لهما فرخ عقاب ويبخرهما بريشه وعلى الباب السابع نسر وانثاه يذبح
لهما

لهما فرخ نسر ويبخرهما بريشه ويلطخ كلا منهما بدم ما ذبح له ويحرق ساير القرابين
ويضع رمادها تحت عتبات ابواب القبه وجعل لهذه القبة سدنة يشعلون المصابيح
ليلا ونهارا وقسم الناس بمصر سبع مراتب لكل مرتبة منهم باب من ابواب تلك القبة
وكان الخصم اذا تقدم الى شي من تلك الصور وكان ظالما فانه يلتصق بها ولا يتخلص
حتى يخرج من الحق الذي عليه الذكر للذكر والانثى للانثى فيعرفون بذلك الظالم
من المظلوم ولم يزل هذه القبه بامسوس حتى ازالها الطوفان ويقال
انه راى اباه في النوم وهو يامره ان ينطلق الى جبل وصفه له من جبال مصر
فان فيه كوة صفتها كذا على بابها افعى لها راسان اذا اقبل اليها كشرت في وجهه
فخذ معك طايرين صغيرين ذكر وانثى فاذبحهما له والقمها اياهما فانها تاخذ
براسيهما وتنحي بهما الى سرب فاذا غابت ادخل الكوة تجد فيها امراه عظيمة
من نور جالسة فانها تسطع لك وتحس بحرارتها ولا تدن منها تحترق ولكن
اقعد حذاها وسلم عليها فانها تخاطبك فافهم ما تقول لك واعمل به فانك
تشرف بذلك وتدلك على كنوز جدك مصرايم فانها حافظة لها فلما انتبه عمل
ما امره به ابوه فلما قعد تجاه المراة وسلم قالت له اتعرفني قال لا قالت
انا صورة النار المعبودة في الامم الخالية وقد اردت ان تحيي ذكري وتجد لي
بيتا تتخذ لي فيه نارا دايمة تقد وواحد وتتخذ لها عيدا في كل سنة تحضره انت
وقومك فانك تجد بذلك عندي يدا انيلك بها شرفا الى شرفك وملكا الى ملكك
وامنع عنك من يطلبك بسو وادلك على كنوز جدك مصرايم فضمن لها ان يفعل كلما
امرته به فدلته على المداين الكنوز التي تحت المداين المعلقة وعلمته كيف
يصير اليها وكيف يحترس من الارواح الموكلة بها وما يحجبه منها ثم قال لها
كيف لي بان اراك في وقت اخر قالت لا تقدر فان الافعى لا يمكنك ولكن تحرني ببنيك
بكذا فاني اتيك فسر بذلك وغابت عنه وخرج ففعل ما امرته به من عمل بيت
النار واخذ كنوز مصرايم ولما مات عمل في ناووس ومعه ساير كنوزه وجعل
عليه طلسم يحفظه ممن يقصده وملك بعده ابنه سوريد وكان حكيما
فاضلا وهو اول من جبا الخراج بمصر واول من امر بالانفاق على المرضى والزمنى
من خزاينه واول من سن رفعة الصباح وعمل اعمالا عجيبة منها امراة زاطلاط
كان ينظر فيها الى الاقاليم فيعرف ما حدث فيها من الحوادث وما يخصب منها

مما يجذب واقام هذه المرآة في وسط مدينة امسوس وكانت من نحاس وعمل
في امسوس صورة امراة جالسة وفي حجرها صبي ترضعه وكانت المراة من نسا مصر
اذا اصابتها علة في جسمها اتت هذه الصورة ومسحت ذلك الموضع من جسدها
بمثل ذلك الموضع من الصورة فتزول عنها العلة وان قل لبنها مسحت ثديها بثدي
الصورة فيغزر لبنها وان قل حيضها مسحت فرجها بفرج الصورة فيكثر حيضها
وان كثر دمها مسحت اسفل ركبها بمثل ذلك من الصورة وان عسرت ولادة امراة
مسحت راس الصبي الذي في حجر الصورة فتضع حملها وان ارادت التحبب الى زوجها
مسحت وجهها وتقول استحي كذا وكذا واذا وضعت الزانية يدها عليها ارتعدت
حتى تتوب ولم تزل هذه الصورة الى ان ازالها الطوفان وفي كتب القبط انها
وجدت بعد الطوفان وان اكثر الناس عبدوها وعمل سوريد صنما من اخلاط
كثيرة وكان من اصابته علة في موضع من جسده غسل ذلك الموضع من الصنم
بما وشرب الما فانه يبرا وسوريد هذا هو الذي بنا الهرمين العظيمين بمصر المنسوبين
الى شداد بن عاد والقبط ينكرون ان تكون العادية دخلت بلادهم لقوة سحرهم ولما
مات سوريد دفن في الهرم ومعه كنوزه ويقال انه كان قبل الطوفان بثلثماية
سنة وانه ملك مدة ماية وتسع سنين سنة فملك بعده ابنه **هرجيب**
وكان كابيه حكيما فاضلا في علم السحر والطلسمات وعمل اعمالا عجيبة واستخرج
معادن كثيرة واظهر علم الكيميا وبنى اهرام دهشور وحمل اليها اموالا عظيمة
وجواهر نفيسة وعقاقير وسموما وجعل فيها روحانيات تحفظها وفتح
رجل رجلا فامر بقطع اصابعه وسرق رجل مالا فملك المسروق له رق السارق
ولما مات دفن في الهرم ومعه جميع امواله وذخايره وملك بعده ابنه **مناوس**
ويقال منقاوش وكان كابيه في الحكمة الا انه كان جبارا فاسقا سفاكا للدما
سرع النسا من ازواجهن وسخر ذلك لخواصه وعمل اعمالا عجيبة واستخرج كنوزا
وبنى قصورا من ذهب وفضة واجرى فيها الانهار وجعل حصباها من انواع
الجواهر النفيسة وسلط رجلا جبارا اسمه قرناس على الناس ووجهه لمحاربة الامم
الغربية فقتل منهم خلايق ولما مات دفن في بعض قصوره ومعه امواله
وعمل عليه طلسم يحفظه ويمنعه من كل طالب وملك بعده ابنه **افزوس**
وكان كابيه في العلم والحكمة ولما ملك اظهر العدل واحسن في السيرة ورد النسا

اللاتي غصبت

اللاتي غصبت في ايام ابيه على ازواجهن وعمل قبة طولها خمسون ذراعا في عرض ماية
ذراع وركب في جانبها طيورا من صفر تصفر باصوات مطربة مختلفة لا تفتر ساعة
وعمل في وسط مدينة امسوس منارا عليه راس انسان من صفر كلما مضى من النهار
او الليل ساعة صاح صيحة يعلم من سمعها بمضي ساعة وعمل منارا عليه قبة من صفر
مذهب ولطخها بلطوخات فاذا غربت الشمس في كل ليلة اشتعلت القبة نورا تضي
له مدينة امسوس طول الليل حتى يصير مثل النهار لا يطفيها الرياح ولا الامطار
فاذا طلع النهار خمد ضوها واهدى لبعض ملوك بابل مدهنا من زبرجد قطره
خمسة اشبار ويقال انه وجد بعد الطوفان وعمل في الجبل الشرقي صنما عظيما
قايما على قاعدة وهو مصبوغ مصفر بالذهب ووجهه الى الشمس يدور معها حتى
تغرب ثم يدور ليلا حتى يحاذي المشرق مع الفجر فاذا اشرقت الشمس استقبلها بوجهه
وبنا بنحو الغرب مدنا كثيرة واودعها كنوزا عظيمة ونكح بلثماية امراة ولم يولد له
ولد فان الله تعالى كان قد اعقم الارحام لما يريد من اهلاك العالم بالطوفان ووقع
الموت في الناس والبهايم ولما مات وضع في ناووس بالجبل الشرقي ومعه امواله
وطلسم عليه وملك بعده ابنه **ارمالينوس** فعمل اعمالا عجيبة وبنا مدنا ومصانع
وجدد الطلسمات وكان له ابن عم يسمى فرعان وكان جبارا فابعده وجعله على جيش
سايرة عنه فقهر ملوكا وقتل امما عظيمة وغنم اموالا كثيرة وعاد فشغفت به امراة
من نسا الملك وما زال يتبعه حتى اجتمع بها وتالفا واقاما على ذلك مدة فخافا الملك
ان يبطش بهما فعملت المراة لارمالينوس سما في شرابه فهلك منه وملك بعده ابنه
فرعان بن مسور فلم ينازعه احد لشجاعته وسياسته ولم تطل اعوامه حتى
راى فليمون الكاهن كان طيورا بيضا قد نزلت من السما وهي تقول من اراد النجاة
فليلحق بصاحب السفينة وكان عندهم علم بحدوث الطوفان من ايام سوريد وبنايه
وبنايه الاهرام لاجل ذلك فاتخذ الناس سراديب تحت الارض مصفحة بالزجاج
قد حبست الرياح فيها بتدبير وعمل منها فرعان لنفسه واهله عدة فاكدت ان اجمع
اهله وولده وتلاميذه ولحق بنوح عليه السلام وامن به واقام معه حتى ركب
في السفينة وجا الطوفان في ايام فرعان فاغرق ارض مصر كلها وخرب عامرها
وازال الملك العالم كلها واقام الما عليها ستة اشهر ووصل الى انصاف الهرمين
العظيمين وسياتي خبر ذلك ان شا الله تعالى عند ذكر فتح مصر من هذا الكتاب

وتقال ان فرعان كان عاتيا متجبرا يغصب الاموال والنسا وانه كتب الي الدرمشيل
من محويل ببابل يبشره علبه بقتل نوح عليه السلام وانه استخف بالكهنة والهياكل
فسدت في ايامه ارض مصر وتقص الزرع واجدبت النواحي لاهتماكه في ضلالته
وظلمه واقباله علي لهوه ولعبه وان الناس اقتد وابه فتفشا الظلم بعضهم لبعض وانه
لما اقبل الطوفان وتتحت الامطار قام سكرانا يريد الهرب الي الهرم فتحللت الارض به
وطلب الابواب فخانته رجلاه فسقط يخور حتي هلك وذحا وهلك من دخل
الاسراب بالغم والله سبحانه اعلم

ذكر مدينة منف وملوكها

هذه المدينة كانت في غربي النيل علي مسافة
اثني عشر ميلا من مدينة فسطاط مصر وهي اول مدينة عمرت بارض مصر بعد
الطوفان وصارت دار المملكة بعد مدينة امسوس التي تقدم ذكرها الي ان اخربها
بخت نصر وقد ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز بقوله تعالى ودخل المدينة علي
حين غفلة من اهلها قال الامام ابو جعفر محمد بن جرير الطبري في كتاب جامع البيان
في تفسير القران عن السدي انه قال كان موسى عليه السلام حين كبر يركب مراكب
فرعون ويلبس مثل ما يلبس وكان انما يدعى ابن فرعون ثم ان فرعون ركب مركبا
وليس عنده موسى فلما جا موسى عليه السلام قيل له ان فرعون قد ركب فركب
في اثره فادركه المقيل في ارض يقال لها منف فدخلها نصف النهار وقد تغلقت
اسواقها وليس في طرقها احد وهي التي يقول الله تعالى جل ذكره ودخل المدينة
علي حين غفلة من اهلها وقال ابن عبد الحكم عن عبد الله بن لهيعة اول من سكن
بمصر بعد ان اغرق الله قوم نوح عليه السلام بيصر بن حام بن نوح فسكن منف
وهي اول مدينة عمرت بعد الغرق هو وولده وهم ثلاثون نفسا منهم اربعة اولاد
قد بلغوا وتزوجوا وهم مصر وفارق وماج وباج بنو بيصر وكان مصر اكبرهم
فلذلك سميت مافه ومافه بلسان القبط ثلاثون وكانت امامهم قبل ذلك بسفح
المقطم ونقروا هناك منازل كثيرة وقال ابن خرداذبة في كتاب المسالك والممالك
ومدينة منف وهي مدينة فرعون التي كان ينزلها واتخذ لها سبعين بابا من
حديد وجعل حيطان المدينة من الحديد والصفر وفيها كانت الانهار تجري من
تحت سريره وهي اربعة ويروى ان مدينة منف كانت قناطر وجسور بتقدير
وتدبير حتى ان الما يجري تحت منازلها وافنيتها يحبسونه كيف شاوا ويرسلونه
كيف

كيف شاوا فذلك قوله تعالى حكاية عن فرعون اليس لي ملك مصر وهذه الانهار
تجري من تحتي افلا تبصرون وكان بها كثير من الاصنام ولم يزل قايمة الي ان سقطت فيما
سقط من الاصنام في الساعة التي اشار فيها النبي صلى الله عليه وسلم الي الاصنام يوم
فتح مكة بقضيب في يده وهو يطوف حولها ويقول جا الحق وزهق الباطل ان الباطل
كان زهوقا فما اشار الي صنم منها في وجهه الا وقع لقفاه ولا اشار لقفاه الا وقع لوجهه
حتى ما بقي منها صنم الا وقع وفي تلك الساعة سقطت اصنام الارض من الشرق الي
الغرب وبقي اصحابها متحيرين لا يعلمون لها سببا اوجب سقوطها وبقيت اصنام مدينة
منف ساقطة من ساعتين وفيها الصنمان الكبيران المجاوران للبيت الاخضر الذي
كان به صنم العزيز وكان من ذهب وعيناه ياقوتتان لا يقدر على مثلهما ثم قطعت الاصنام
والبيت الاخضر من بعد ستمائة سنة ويقال كانت منف ثلاثين ميلا طولا في عشرين
ميلا عرضا وان بعض بني يافث بن نوح عمل في ايام مصرايم الة تحمل الما حتى تلقيه
علي اعلا سور مدينة منف وذلك انه جعلها درجة مجوفة كلما وصل الما الي درجة
امتلات الاخرى حتى يصعد الما الي اعلا السور ثم يحط فيدخل جميع بيوت المدينة
ثم يخرج من موضع الي خارج المدينة وكان بمنف بيت من الصوان الاخضر المانع
الذي لا يعمل فيه الحديد قطعة واحدة وفيه صور منقوشة وكتابة وعلى واجهته
بابه صورة حيات ناشرة صدورها لو اجتمع الوف من الناس علي تحريكه لم
يقدروا العظمه وثقله والصابية تقول انه بيت القمر وكان هذا البيت من جملة
سبعة بيوت كانت بمنف للكواكب السبعة وهذا البيت الاخضر هدمه الامير
سيف الدين شيخو العمري بعد سنة خمسين وسبعماية ومنه شي في خانكاته
وجامعه الذي بخط الصليبة خارج القاهرة وقال ابو عبد الله محمد بن
عبد الرحيم القيسي في كتاب تحفة الالباب ورايت في قصر فرعون موسى بيتا
كبيرا من صخرة واحدة اخضر كالاس فيه صورة الافلاك والنجوم لم ار عجبا
احسن منه وقال ابو الصلت بن عبد العزيز الاندلسي وكانت دار الملك
بمصر في قديم الدهر مدينة منف وهي في غربي النيل علي مسافة اثني عشر ميلا
من الفسطاط فلما بني الاسكندر مدينة الاسكندرية رغب الناس في عمارتها
وكانت دار العلم ومقر الحكمة الي ان فتحها المسلمون في ايام عمر بن الخطاب رضي الله
عنه واختط عمرو بن العاص مدينته المعروفة بالفسطاط فانتقل اهل مصر

وغيرهم من العرب والعجم الى سكناها فصارت قاعدة ديار مصر ومركزها الى وقتنا
هذا اوّل الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه الكاتب وقد ذكر اخبار مدينة
امسوس وخراب عمائر ارض مصر بطوفان نوح عليه السلام ولما نزل الما كان اول
من سكن بمصر بعد الطوفان بيصر بن حام بن نوح عليه السلام وكان معه ثلثون
من الجبابرة من اهله وولده فاجتمعوا وبنوا مدينة منف ونزلوا بها وكان فليمون
الكاهن الذي تقدم ذكره في خبر مدينة امسوس من جملتهم وكان قد زوج ابنته
ببيصر المذكور وجامعه الى مصر وولدت منه ولدا سماه مصرايم فلما مات بيصر
دفن في موضع دار ابي هرميس ويقال دير ابي هرميس غربي الاهرام ويقال
انها اول مقبرة دفن بها بارض مصر وكان موته بعد الف وثمانمائة وستين سنين
مضت من وقت الطوفان وقال غيره ثم بنى مصر مدينة سماها باسمه تجاه رجل
من بني يافث فعمل له سورا دايما وصنعه درجا واجرى الما الى ان يبقى يصعد الى
اعلا السور بحكمة اتقنها ثم ينزل ذلك الما من اعلا السور الى المدينة فينتفع به فيها
بغير مشقة ولا كلفة ثم يخرج من ناحية اخرى وكتب على السور هذه صنعة من
يموت لا صنعة من يدوم وملك بعد بيصر ابنه مصرايم بن بيصر فاظهره
فليمون الكاهن على كنوز مصر وعلمه قراة خطهم واطلعه على حكمهم وبنا مصرايم
المدن وشق الانهار وغرس الاشجار وبنا مدينة عظيمة سماها درسان وهي
العريش ونكح امراة من اولاد الكهنة فولدت له ابنا اسمه قفطيم وبنا مدينة رقوده
مكان الاسكندرية ولما مات مصرايم جعل له سرب طوله مائة وخمسون ذراعا وسبط
بالزمرد الاخضر وعمل في وسطه مجلس مصفح بصفايح الذهب وله اربعة ابواب
على كل باب تمثال من ذهب على راسه تاج من ذهب وهو جالس على كرسي من ذهب
قوايمه من زبرجد ونقش في صدر كل تمثال ايات مانعة وجسوا جسده في جسد
من زبرجد اخضر سبه بايوت طوله اربعون ذراعا فدفنوه ومعه جميع ما كان
في خزاينه من ذهب وفضه وجوهر منها الف قطعة من زبرجد مخروط والف
تمثال من جوهر نفيس والف برنية من ذهب مملوة دراهيشا والف ابنة
من ذهب وعنه سبايك من فضة وعمل عليه طلسم مانع من الوصول اليه وزبره
عليه مات مصرايم بن حام بن نوح بعد الفين وسبعمائه عام وقيل بعد سبعمائة
سنه مضت من الطوفان ولم تعبد الاصنام فصار الى الجنة لا هرم فيه ولا سقم
ولا هم

ولا هم ولا حزن وكتب الاسم الاعظم عليه حتى لا يصل اليه احد الا ملك ياتي في اخر
الزمان يدين بدين الملك الديان ويومن بالبعث والفرقان والنبي الداعي الى الايمان
في اخر الزمان وسقفوا فوق السرب بالصخور العظام وهالوا عليه الرمال حتى سدوا
بين جبلين متقابلين ويقال كان مصر بن بيصر مع جد ابيه نوح عليه السلام في
السفينة فدعا له ان يسكنه الله الارض الطيبة المباركة التي هي ام البلاد وغوث
العباد ونهرها افضل الانهار ويجعل له فيه افضل البركات ويسخر له الارض
ولولده ويذللها ويقويهم عليها فساله عنها فوصفها له وادخره بها وكان بيصر بن حام
قد كبر وضعف فساقه ولده مصر وجميع اخوته الى مصر فنزلوها وبذلك سميت مصر
وملك بعده ابنه قبطيم بن مصرايم وهو اول من عمل العجايب بعد الطوفان
واستخرج المعادن وشق الانهار ونصب الاعلام والمنارات وعمل الطلسمات ويقال
ان مصرايم لما مات اختلف اولاده من بعده وكان قبط اصغرهم فاجتمعوا عند
الاهرام ورضوا بان من غلب منهم اخاه اخذ الملك فتحارب اشموم واتريب فغلب
اتريب ثم تحارب صا هو واشموم فغلب اشموم ثم تحارب قبط وصا فغلب
قبط فاخذ قبط الملك بعد ابيه واطاعه اخوته وسكن مدينة منف دار ملك
ابيه وتزوج امراة وولدت له اربعة اولاد هم قفطريم واشمون واتريب وصا
فتناسلوا وكثروا وعمروا البلاد ثم انه قسم الارض بين اولاده الاربعة عند وفاته
فجعل لولده قفطريم من اسوان الى قفط وجعل لولده اشمون من مدينة قفط
الى مدينة منف وجعل لولده اتريب الحوف كله وجعل لولده صا من ناحية صا
البحيره الى المغرب وجعل امرهم الى قفطريم وامر كل واحد منهم ان يبني لنفسه
مدينة في حيزه وجعل لنفسه سربا تحت الجبل الكبير وصفحه بالمرمر وعمل فيه
منافذ للريح فصارت تخرق فيه بدوي عظيم واقام في السرب دوسا من نحاس
مطلية تضي كالسراج ليلا ونهارا ولما مات وضع جسده بعد السرب في جرن
من ذهب بعد ما البس ثيابا منسوجة بالدر والمرجان واقيم عند راسه عمود
من مرمر عليه جوهرة تضي وعمل حول الجرن توابيت من حجارة ملونة حولها مصاحف
الحكمة وعملت عنده امواله وكنوزه وذخايره وزبروا عليه كما زبروا على ابيه واستقل
كل من اولاده الى حيزه فانتقل صا باهله واولاده وسكن مدينة صا الاتي ذكرها
ويقال كانت البلبلة في ايام قفط وانه الحمد لله تعالى اللغة العظمى وانه

امام ملكا اربعمائة وثمانين سنة ومات فدفن بارض الواحات وملك بعده اخوه
اشمن بن مصر وقيل بل اسكن في حياته ابنه قفطريم في جيزه فشرع في العمارة
وكان جبارا عظيم الخلق فاثار من المعادن ما لم تره احد قبله وبنا مدينة دندرة
وعمل في جبل قفط منارا عاليا يرى منه البحر الشرقي ووجد هناك معادن من
الزيبق وعمل البركة التي سماها صياد الطير وهلك عاد بالريح في اخر ايامه وفي
ايامه ابادت الشياطين الاصنام التي اغرقها الطوفان فعبدت واقام ملكا ه
اربعمائة وثمانين سنة ومات وذكر بن عبد الحكم بعد مصر قفط بن مصر
وان الذي ملك بعد قفط اخاه اشمن ثم اتريب بن مصر ثم صا بن مصر بيم ثم
ابنه تدارس بن صا ثم ابنه مالبق ثم ابنه كلكن بن خربتا ويقال ان اشمن
لما ملك بعد اخيه سار اليه شداد بن هداد بن شداد بن عاد وملك ارض
مصر وهدم ما بنيه وبني اهراما ومضى الى موضع الاسكندرية فبناها واقام دهرا
ثم خربت العادية من ارض مصر فعاد اشمن الى ملكه وانه ملك بعده اخوه صا ثم
ملكه بعد صا ابنه تدارس وفي ايامه بعث الله صالحا الى ثمود ومات فملك ابنه
مالبق البودسير فكان من الجبابرة العظام عمل اعمالا عظيمة منها منارا
فوقه قبة لها اربعة اركان في كل ركن كوه يخرج منها في يوم معلوم عندهم من
كل سنة دخان ملتف في الوان شتى تستدلون بكل لون على شي فان خرج
الدخان اخضر دل على العمارة والخصب في تلك السنة وان خرج ابيض دل على
الجدب وقلة الخير وان خرج احمر دل على الحروب وقصد الاعدا وان خرج اصفر
دل على النيران وافات تحدث من الملك وان خرج اسود دل على الامطار والسيول
وفساد بعض الارض وان خرج مختلطا دل على كثرة الظلم وبغي الناس بعضهم على
بعض وعمل شجرة من نحاس تجذب ساير الوحوش حتى يصل اليها فلا يستطيع
الحركة الى ان تؤخذ فشبع اهل مصر من لحوم الوحوش واتفق ان غرابا نقر
عين صبي من اولاد الكهنة فقلعها فعمل شجرة من نحاس عليها غراب منشور الجناحين
وفي منقاره حية وعلى ظهره اسطر وكانت الغربان تقع على هذه الشجرة ولا تبرح حتى
تموت وكانت الرمال قد كثرت في ايامه على ارض مصر من ناحية الغرب فعمل
صنما من صوان اسود على قاعدة منه وفوق كتفيه قبة فيها مسحاة ونقش على جبهته
وصدره وذراعيه كتابة وجعل وجهه الى الغرب فانكشفت الرمال ورجعت

بها

بها الرياح الى ورائها وصارت تلالا عالية وبعث بهرمس الحكيم الى جبل القمر الذي
يخرج منه النيل فعمل بها تماثيل النحاس وعدل جانبي النيل وكان قبل يفيض في مواضع
وينقطع في مواضع وسار بحر بالسطر ما ورا ذلك فوقع على ارض واسعة تخرق فيها
الماء والاشجار فبنى فيها متنزهات واقام بها وحول اليها عدة من اهله فعمروا تلك
النواحي حتى صارت ارض الغرب كلها معمورة ثم خالطهم البربر وجرت بينهم حروب
كثيرة افنتهم فخربت تلك البلاد ولم يبق منها الا الواحات ثم ان البودسير احتجب
عن الناس وصار يبرز وجهه من مقعده في النادر وربما خاطبهم من حيث لا يرونه
وذكر ابو الحسن المسعودي في كتاب اخبار الزمان ان اول من تحقق بالكهانة
وغير الدين وعبد الكواكب البودسير وزعم القبط ان الكواكب كانت تخاطبه وان
له عجايب كثيرة منها انه استتر عن الناس عدة سنين من ملكه وكان يظهر لهم
وقتا بعد وقت مرة في كل سنة وهو وقت حلول الشمس برج الحمل ويدخل الناس
اليه فيخاطبهم وهم يرونه فيامرهم وينهاهم ويحذرهم مخالفة امره وكان يجلس
في بعض اوقات السنة فيخاطبهم بحيث لا يرونه ثم بنيت له قبة من فضة مطلية
بالذهب فيجلس في اعلاها وله وجه عظيم فيخاطبهم وكان يجلس في السحاب بوجه
اخر في صورة انسان فاقام بذلك مدة ثم غاب عنهم فلم يروه واقاموا برهة بغير
ملك ثم راوا صورته في هيكل الشمس عند حلولها برج الحمل فامرهم ان يقلدوا
الملك عديم بن قفطيم واعلمهم بانه لا يعود اليهم ففعلوا ذلك فلما مات ملك
بعده ابنه ارقليمون وكان كاهنا ساحرا فعمل اعمالا عظيمة منها انه كان
يجلس في السحاب فيروه في صورة انسان عظيم واقام مدة على ذلك ثم انه غاب
عن اهل مصر وصاروا بغير ملك ثم راوا صورته بحذا جرم الشمس عند حلولها اول
برج الحمل فامرهم ان يقلدوا الملك عديم بن قفطيم واعلمهم انه ما بقي يعود اليهم
فولوا عليهم ملك مصر عديم بن قفطيم وكان جبارا عظيما وهو اول من صلب
بمصر وذلك ان امراة ورجلا زنيا فامر بصلبهما وجعل ظهر كل منهما الظهر الاخر
وبنا اربع مداين واودعها كنوزا عظيمة وجعل عليها الطلسمات وعدة عجايب وعمل
منارا على البحر الشرقي وعليه صنم الى الشرق حتى لا يغلب البحر على ارض مصر
وعمل قنطرة على النيل في ارض النوبة واقام ملكا ثمانية واربعين سنة ومات
وعمره سبعماية وثلثون سنة وملك بعده ابنه شدات شدات

بن عديم وهو الذي تسميه العامة شداد بن عاد وكان عالما كاهنا ساحرا ويقال
انه هو الذي بنا الاهرام الدهشورية وعمل اعمالا عظيمة وطلسمات عجيبة وبنى
في الجانب الشرقي مداين وفي ايامه بنيت قوص وغزا الحبشة وسباهم واقام ملكا
تسعين سنة وهو اول من اتخذ الجوارح وصاد بها وولد الكلاب السلوقية وعمل
في بركة تسوط تماسيح منصوبة تنصب اليه التماسيح من النيل انصبابا فيقتلها
ويعمل من جلودها في السفن واتفق انه طرد صيدا فكبا به فرسه في وهدة
هلك وكان قد غضب على بعض خدمه فرماه من جبل عال فتقطع فراى انه
يصيبه مثل ذلك ولما هلك وضع في ناووس ودفن معه امواله وعمل
عليه طلسم يمنعه ممن يقصده وكتب عليه لا ينبغي الى القدرة ان يخرج عن
الواجب ولا يفعل الا يجور له فعله بعلمه هذا اناووش سدات بن عديم
فعل ما لا يحل له فعله فكوفي عليه بمثله وملك بعده ابنه منقاوش وكان
حكيما فاضلا كاهنا عمل اعمالا عجيبة وبنا اشيا عجيبة منها انه عمل لصورة الكواكب
هيكلا على ثمانية فراسخ من منف وكنز من الاموال ما لا يحصى وفتح عليه من المعادن
ما لم يفتح على غيره وسار في الجنوب يوما ثم سار مغربا يوما وتعمق آخر فانتهى في اليوم
الثالث الى جبل اسود فعمل تحته اسرابا ومغاير ودفن فيها امواله وزبر عليها حرزا انه
من كتبها يقال انه دفن حمل اثني عشر الف عجلة ذهبا وجواهر واقام اربع
سنين يرسل في كل سنة عجلا كثيرة يدفنها وتبيت اثار العجل ترى فيما بين منف
والمغرب زمانا طويلا وبنا هيكلا للقمر ويقال انه هو الذي بنا مدينة منف
لبناته وكن ثلثين بنتا وانه الزم الناس بعمل الكيميا وكانوا لا يفترون من عملها
ليلا ولا نهارا حتى اجتمع عنده مال عظيم وجوهر كثير وهو الذي بنا مدينة عين
شمس وقسم خراج مصر ارباعا فجعل الربع للملك والربع للجند والربع ينفق في
مصالح الارض والربع الرابع يدفن لحادثة تحدث وهو الذي قسم ارض مصر
على مائة وثلثين كورة واقام ملكا احدى وتسعين سنة ومات فملك بعده ابنه
عديم بن منقاوش وكان جبارا لا يطاق وفي ايامه كان نزول الملكين اللذين
يعلمان الناس السحر والقبط تزعم انهما نزلا بارض مصر ثم نقلا الى بابل ثم ملك
بعده اخوه مناوش بن منقاوش وكان عالما كاهنا فاضلا كاتبا بنا
مواضع كثيرة في الجبال والصحارى وكنز فيها كنوزا عظيمة واقام عليها اعلاما

وبنى

وبنى في صحرا الغرب مدينة واقام لها منارا وكنز لها كنوزا عظيمة وجعل فيها شجرة
يطلع كل لون من الفاكهة وهو اول من عبد البقر بمصر وكان يطلب الحكمة ويطالع
كتبها وكذا كان كل من ملك منهم يجتهد في ان تعمل له غريبة من الاعمال لم تعمل لمن
كان قبله وتثبت في كتبهم وتزبر على الحجارة ولما مات ملك بعده ابنه هرميس
وكان قليل الحكمة فلم يعمل شيا مما عمله اباه ومات وقد اقام
احدى عشر سنة فملك بعده اشمون بن قنطيم بن مصر بن بيصر
بن حام بن نوح وكان حيزه من اشمون الى منف في الغرب وحيزه في الشرق الى
حد البحر الملح مما يحاذي برقة وهو اخر حد مصر ومن بلاد الصعيد الى حدود
اخميم وكانت منزلته بمدينة الاشمونين وكان طولها اثني عشر ميلا في مثلها
وبنى في شرقي النيل مدينة انصنا وبنى بها قصرا عظيما واتخذ بها ابنية وملاعب
وعجايب كثيرة وبنى مدينة طحوا الطين وهو اول من لعب بالكرة والصولجان
ويقال انه بنا مدنا كثيرة عمل فيها عجايب منها مدينة في سفح الجبل لها
اربعة ابواب من كل ناحية باب فعلى الباب الشرقي صورة عقاب وعلى
الباب الغربي صورة ثور وعلى الباب الشمالي صورة اسد وعلى الباب
الجنوبي صورة كلب وفي هذه الصور روحانيات تنطق فاذا قدم غريب لا يقدر
على الدخول اليها الا باذن الموكلين بها ودفن تحت كل شكل من هذه الاشكال
الاربعة صنفا من الكنوز وغرس في هذه المدينة شجرة مولدة تثمر كل لون
من الفاكهة ونصب منارا طوله ثمانون ذراعا فوقه قبة تتلون كل يوم لونا
حتى يمضي سبعة ايام ثم تعود الى اللون الاول وكانت تلك المدينة تكتسي
من تلك الالوان شعاعا مثل لونها واجرى حول المنار ماء شقه من النيل
وجعل فيه سمكا من كل لون واقام حول المدينة طلسمات في هيئة اناس
روسها كالقردة واسكن هذه المدينة السحرة فعرفت بمدينة السحرة وكانوا
يعملون فيها اصناف السحر وبنا بالغرب منها مدينة عرفت بذات العجايب وبنا
مجالس مصفحة بزجاج ملون في وسط النيل وبنا سربا تحت الارض من الاشمونين
الى انصنا ويقال انه الذي بنا مدينة عين شمس وانه ملك ثمان مائة سنة
وان قوم عاد انتزعوا منه الملك بعد ستمائة سنة واقاموا بمصر تسعين سنة
فاصابهم وباء فخرجوا منه الى الدبيبة بطريق الحجاز الى وادي القرى فعاد

اشمون بعد خروج العادية الى ملك مصر وهو اول من عمل النوروز بمصر وفي ايامه
بنيت مدينة البهنسا ولما مات جعل له ناووس في احد الاشمونين ودفن
معه كنوزه العظيمة وعجايبه الكثيرة منها الف دينة من العقاقير المدبرة لفنون
الاعمال وزبروا على ناووسه اسمه ونسبه وجعل عليه طلسم يمنعه ممن يقصده
وملك بعده ابنه صا ثم بعد صا ابنه تدارس وقيل ملك منافيوس
وكان شجاعًا فاضلا فاستانف الحمارة وبني القرى ونصب الاعلام وعمل العجايب
الهايلة وبني مداين منها مدينة اخميم وحولت الكهنة اليها واقام ملكا نيفا
واربعين سنة ومات فدفن في الهرم الشرقي ومعه كنوزه وملك بعده ابنه
وقد اختلف في اسمه وكان فاضلا حازما معظمًا عند اهل مصر وهو اول
من عمل المارستان واول من عمل الميدان للرياضة وفي ايامه بنيت مدينة
سنترية في صحرا الواحات ثم ان نسايه تغايرن عليه فقتله احداهن بسكين
فدفن في ناووس ومعه امواله وعمل عليه طلسم يحفظه وملك بعده ابنه مر
قوره وكان حكيما كاهنًا وهو اول من ذلل السباع وركبها وبني المدن
وعمر الهياكل واقام الاصنام ولما مات جعل له ناووس في صحرا المغرب ودفن
معه ماله وملك بعده ابنه بلاطس وكان صبيا فدبرت امه امر الملك
وكانت حازمة فجرت الامور على احسن ما يكون واظهرت العدل ووضعت
عن الناس الخراج فاحبوها ولما كبر ابنها احب الصيد فعملت له امه اعمالا عجيبة
فاقام ملكا ملت عشرة سنة وحد دومات فانتقل الملك الى اعمامه فملك
بعده ابنه انزيب بن قنطيم بن مصرايم وهو الثالث عشر من ملوك
مصر بعد الطوفان وهو الذي بنا مدينة انزيب وعاش خمسماية سنة منها
مدة ملكه ثلثماية وستين سنة وتماسك ان النيل وقف في ايام انزيب
مانية واربعين سنة حتى اكلت البهايم بارض مصر ولم يبق بها بهيمة وروي انزيب
ماشيا وهو يبسط يديه ويقبضهما من الجوع ومات عامة اهل مصر جوعا
ثم اعبثوا بعد ذلك وكثر الرخا ودام مدة مايتي سنة وابيع كل اردب بدانق
واقل ولما مات انزيب اخوه صا فقتله جاريته اهل مصر تسع سنين وقتلوه
فملكت من بعده ابنته تدروه وكانت كاهنة ساحرة فساست الملك
احسن سياسة ودبرت المملكة اجود تدبير وعملت طلسمات عجيبة منها

طلسم

طلسم منع الوحش والطير ان يشرب من النيل حتى مات اكثرها عطشا ووقعت في
زمانها صيحة ارتجت لها الارض فهلكت وملك بعدها اخوها قليمون بن انزيب
وكان حكيمًا فاضلا فبنا البنيان وعمل الطلسمات وفي ايامه بنيت مدينة تنيس الاولي
وبنيت مدينة دمياط واقام ملكا تسعين سنة ومات فدفن في ناووس وملك بعده
ابنه قرسون وكان فاضلا كاهنا فبنا المداين وجدد الهياكل وكان حد ثا فقصده
بعض ملوك حمير في جموع عظيمة فخرج اليه ولقيه بمدينة ابله وقاتله قتالا شديدًا
حتى تفانا من الفريقين معظمهما واظهر المصريون اشيا من سحرهم فانهزم الحميري
في طايفة يسيرة وقتل قرسون عامة اصحابه واخذ ما كان معهم وعاد مظفرًا الي
مدينة منف وعمل منارا على بحر القلزم في راسه مراة تجذب المراكب الى الساحل حتى
يوخذ منها ما هو متقرر عليها من المال واقام ملكا مايتي سنة وستين سنة ومات
فدفن في ناووس خلف الجبل الاسود الشرقي وعمل فيه قبة تحتوي على اثني عشر الجوبة
بينا في كل بيت الجوبة ودفن معه ماله وعمل عليه طلسم يحفظه وملك بعده تخواريعة
وصار الملك الى صا بن تبطيم وكان اصغر ولد ابيه واحبهم اليه ولما مات ملك
بعده نوبيه الكاهنة وكانت ساحرة وكانت تجلس على سرير من نار فاذا
تحاكم اليها احد وكان صادقا سقي تلك النار من غير ان يضره وان كان كاذبا احرقته
النار وكانت تصور كل يوم في صور كثيرة الاشكال ثم بنت قصرًا واحتجبت فيه وجعلت
في سوره انابيب من نحاس مجوف وكتبت على كل انبوب فنا من الفنون التي يتحاكم
الناس بها اليه وكان من اتاها في محاكمة وقف عند الانبوب الذي فيه محاكمته
وتكلم بما يريده ويسال عنه بصوت خفي فاذا فرغ جعل اذنه في الانبوب فياتيه
منه جواب ما سال ولم يزل هذا القصر والانابيب حتى اتلفه بخت نصر وملك
بعدها مرقونس وكان فاضلا حكيما وكانت امه ابنة ملك النوبه فعملت
عجايب ووضع في ايامه كل غريبة وملك ثلثا وسبعين سنة ومات وعمره مايتان
واربعون سنة فملك بعده ابنه ايساد وهو ابن خمس واربعين سنة وكان جبارا
طامح العين فاسر امراة ابيه وانكشف امره معها وكان اكبر همه اللهو واللعب فجمع
كل ملة في مملكته ورفض العلوم واهمل امر الهياكل والكهنة وترك النظر في احوال
الناس وبني قصورا على النيل ليتنزه فيه والقا اكثر الاموال في اللعب فكرهته
الناس وكرههم الى ان سموه فمات عن ماية وعشرين سنة وملك بعده ابنه صا

ويقال ان صا هو من مرقونس وهو اخو ابساد ولما ملك سكن منف ووعد الناس بخير وملك الاحياز كلها وعمل بها عجايب وطلسمات ورد الكهنة الي مراتبهم ونفي الملهيين واهل الشر ونصب العقاب الذي عمله ابوه وشرف هيكله ودعا اليه وبني بنا احِلِ الواحات مدينة ونصب قرب البحر اعلاما كثيرة وجعل علي الاطراف آثار اخبار برقعون اليه ما يجري في حدودهم وعمل علي حافتي النيل منابر يوقد عليها اذا اخرنهم امر اد تصدهم احد وجعل بحافة بحر الملح منارا يعلم بها امر البحر ويقال انه بني اكثر مدينة منف وكل بنيان عظيم بالاسكندرية وكان لما ملك البلد باسره جمع الحكما ونظر في النجوم وكان بها حاذقا فراى ان مصر لابد ان تغرق من نيلها وانها تخرب علي يد رجل ياتي من ناحية الشام فجمع كل فاعل بمصر وبني مدينة في الواح الاقصي وقصده ملك الافرنجة وملك منه مدينة منف وتقدم معه الف مركب وهدم اكثر الاسكندرية ودخل الي النيل من رشيد حتي اخذ منف وفر منه صا الي المداين الداخلة وتحصن بها من عدوه فامتنع بالطلسمات اياما كثيرة ثم كانت العاقبة وعاد عدوه منهزما ورجع الي منف فتتبع الكهنة وقتل كثيرا منهم واقام ملكا سبعا وستين سنة وعاش مايه وسبعين سنة وملك ابنه تدارس واستولي علي الاحياز كلها وصفا له ملك مصر وكان محنكا مجربا ذا ايد وقوه ومعرفة بالامور فاظهر العدل واقام الهياكل كلها واهلها قياما حسنا وبني بنيانا للزهرة وحفر خليج سخا وحارب بعض عمالقة الشام ودخل فلسطين وقتل بها خلقا وسبي بعض اهلها الي مصر وغزا السودان من الزنج والحبشة ووجه في النيل ثلثماية سفينة فلقي السودان وكانوا زهاء الف الف فهزمهم وقتل اكثرهم وقتل منهم خلقا وساق الفيلة والنمور الي مصر وعمل علي حدود بلده منارات زبر عليها اسمه ومسيره وظفره وفي ايامه بعث الله نبيه صالحا الي ثمود ويقال انه هو الذي انزل النوبة حيث هي وذلك انه لما اوغل في ارض الحبشة وقتل امم السودان وجد فيهم امة تقرا صحف ادم وشيت وادريس فرق عليهم واتزلها علي نحو شهر من ارض مصر فسموا النوبة ومات بمنف فملك ابنه مالبق وكان عاملا كريما حسن الوجه مجربا بانخالفا لابيه ولاهل مصر في عبادة الكواكب والبقر ويقال انه كان موحدا علي دين اجداده قبطيم ومصرايم وكانت القبط تذمه لذلك وامر الناس باتخاذ كل قارة من الخيل واقتنا السلاح والة الاسفار وانشا في بحر الغرب مايتي سفينة وخرج في جيش عظيم في البر والبحر ولقي البربر فهزمهم واستاصل اكثرهم

وبلغ

وبلغ افريقية وسار الي الاندلس يريد الافرنجة فلم يمر بامة الا اباده فحشد له ملك الافرنجة وحاربه شهرا ثم طلب صلحه واهدي اليه نسا رعنه وروح الامم المتصلة بالبحر الاخضر والقبط تذكر انه راي سبيين اعجوبة وعمل اعلاما علي البحر زبر عليها اسمه ومسيرة وخرب مدن البربر ورجع فتلقاه اهل مصر باصناف الرياحين وانواع اللهو وفرشت له الطرقات بنفايس الملوك وحملوا اليه الهدايا وما زال موحدا حتي مات فملك ابنه خربتا وكان لينا سهل الخلق قد عرفه ابوه التوحيد ونهاه عن عبادة الاوثان فرجع عن ذلك بعده الي دين قومه وغزا الهند والسودان بعد ما عمل مايه سفينة علي عمل سفن الهند وتجهز وحمل معه امراته ووجوه اصحابه واستخلف ابنه كلكن علي مصر وكان صبيا وجعل معه وزرا وكاهنا فمر علي ساحل اليمن وعاث في مداينه وبلغ سرنديب واوقع باهلها وبلغ جزيرة بين الهند والصين فاذعن له اهلها ونقل في تلك الجزاير سنين ويقال انه اقام في سفره سبع عشرة سنة ورجع غانما بنفايس الملوك وبني عدة هياكل واقام بها الاصنام للكواكب ثم غزا نواحي الشام فاطاعه اهله ورجع فغزا النوبة والسودان وضرب عليهم خراجا يحملونه اليه ورفع اقدار الكهنة ومصاحفهم وكان يري ان هذا الظفر بمعونة الكواكب له ومات وقد ملك خمسا وسبعين سنة فقام ابنه كلكن وعقد له بالاسكندرية فاقام بها شهرا ثم قدم الي منف وكان اصنافا فسر به اهل مصر وكان يحب الحكمة واظهار العجايب ويقرب اهلها ويحبوهم وعمل الكيميا وخزن اموالا عظيمة بصحاري الغرب وهو اول من اظهر علم الكيميا بمصر وكان علمها مكتوما وكان من تقدمه من الملوك امر وابتزك صنعته فعملها كلكن وملاد ودا الحكمة منها حتي لم يكن الذهب في زمن بمصر اكثر منه في وقته ولا الخراج لانه كان ماية الف الف وبضعة عشر الف الف مثقال فاستغنوا عن اثارة المعادن وعمل ايضا من الحجارة الملونة التي تشف شيا كثيرا وعمل من الفيروزج وغيره اشيا واخترع امورا تخرج عن حد العقل حتي سمي حكيم الملوك وغلب جميع الملوك الكهنة في علومهم وكان يخبرهم بما يغيب عنهم وكان نمرود ابراهيم عليه السلام في وقته فاتصل بنمرود خبر حكمته وسحره فاستزاره وكان النمرود جبارا مشوه الخلق يسكن السواد من العراق واتاه الله قوة وقدرة وبطشا فتغلب علي كثير من الامم فيقول القبط ان النمرود لما استزار كلكن وجه اليه اذ تلقاه بموضع كذ افصار الي الموضع علي اربعة افراس

تحمله ذوات اجنحة وقد احاط به نور كالنار وحوله صور هايله قد جبل بها وهو متوشح
ثعبان متحزم ببعضه وقد فغرفاه وهو يضرب بقضيب من آس اخضر فلما راه النمرود
هاله واقر له بجليل الحكمة وساله ان يكون ظهيرا له ويقال انه كان يرتفع ويجلس علي
الهرم الغربي في قبة تلوح علي راسه فاذا دهم اهل البلد امر اجتمعوا حول الهرم فيقيم
اياما لا ياكل ولا يشرب ثم استتر مدة حتى توهموا انه هلك فطمع فيه الملوك وقصده
ملك من الغرب في جيش عظيم حتى قدم وادي هبيب فاقبل حتى جللهم من سحره بشي
كالغمام شديدا تحرفا فاقاموا تحته اياما متحيرين ثم طار الى مصر وامرهم بالخروج الى
الجيش فوجدوهم قد ماتوا اهمدوا واصبح فيما بنته الكهنة بها نهاية لم يهابوها احد
قبله وعمر طويلا وغاب فلم يعرف خبره وقال ابن عبد الحكم ان كلكن بن خربتا ملكهم
نحو مائة سنة ثم مات ولا ولد له فملك اخوه ماليا ابن خربتا قال ابن وصيف شاه
ثم مات ولا ولد له فقام ابنه ماليا وكان شرها كثير الاكل والشرب متفردا باللذات
غير ناظر في شي من الحكمة وجعل امر البلد الى وزيره واشتغل بالنسا وكانت له من النسا
تماثيل امراة فهجم عليه ابنه طوطيس وهو سكران فقتله وقتل امراة كانت عنده وملك
بعده ابنه طوطيس يقال انه عمرو بن امري القيس بن بابليون بن حمير بن سبا
بن يشجب بن يعرب بن قحطان ويقال الوليد بن الريان وانه احد فراعنة مصر من
ولد دان بن فهلوج بن امراز بن اشود بن سام بن نوح وقيل فراعنة مصر من ولد
عملاق الاول بن لاوذ بن سام بن نوح وكان جبارا متجبرا شديد الباس مهابا والقبط
تزعم انه اول الفراعنة بمصر وهو فرعون ابراهيم عليه السلام ويقول ان الفراعنة
سبعة هو اولهم وحفر نهرا في شرقي مصر بسفح الجبل حتى ينتهي الى مرفا السفن في
البحر الملح وكان يحمل الى هاجر ام اسمعيل التي اعطاها هاجر ام اسمعيل التي اعطاها
ابراهيم عليه السلام الحنطة واصناف الغلات فتصل الى جدة فاحيا بلد الحجاز مدة
ويقال ان كلما جليت به الكعبة من ذلك العصر مما اهداه ملك مصر ولكثرة ما حمل
الى الحجاز سمته من جرهم الصادق وفي كتاب هروشيش ان سلطان المصريين في
زمن ابراهيم الخليل عليه السلام كان بايدي قوم يدعون ببني فاليق بن دارش
ودام ملكهم مائة وعشرين سنة وقال ابن اسحق عن بعضهم ان فراعنة مصر
من ولد دان بن فهلوج بن امراد بن اشود بن سام بن نوح قال والمشهور انهم من
العماليق منهم الريان بن الوليد ويقال الوليد بن الريان فرعون يوسف والوليد

بن المصعب

بن المصعب فرعون موسى ومنهم سنان ابن علوان وقال ابن وصيف شاه وانما قيل له
فرعون لانه اكثر القتل ولم يرزق غير ابنة وكانت عاقلة فخافت لكثرة قتله الناس
فقتلته بسم وله في الملك مدة سبعين سنة وملكت بعده خروبا فوعدت
الناس الاحسان وجمعت الاموال وقدمت الكهنة واهل الحكمة ورؤسا السحرة ورفعت
اقدارهم وجددت الهياكل وصار من لم يرضها الى مدينة اتريب وملكوا رجلا من
ولد اتريب وقد تقدم خبره في الاسكندرية وخروبا اول امراة ملكت مصر من
ولد نوح عليه السلام وماتت فملكت بعدها ابنة عمها زالفا بنت ماموم وكانت
عذراء عاقلة فوعدت الناس بالجميل وقام عليها ايمن الاتريبي واستنصر بملك العمالقة
فسير معه قايدا فاخرجت اليه جيشا فالتقوا بالعريش واستلوا حتى فني اكثرهم ثم
انهزم اصحاب دلوكة الى منف وهم في اثرهم فخرجت اليهم زالفا الى الصعيد
ونزلت الاشمونين وكانت بينها وبين عساكر العمالقة حروب انهزموا فيها وخرجوا
عن منف بعدما عاثوا فيها وعدوا الى الحوف فاستغلوا به وصارت مصر بينهم
نصفين ثم ان زالفا عاودت الحروب فاستمرت ثلثة اشهر حتى انهزمت الى قوص
والى من خلفها فلما ايقنت انها توخذ سمت نفسها فهلكت وقال ابن عبد الحكم
ثم توفي طوطيس بن ماليا فاستخلف ابنته خروبا ابنة طوطيس ولم يكن له ولد
غيرها ثم توفيت خروبا فاستخلفت ابنة عمها زالفا ابنة ماموم بن ماليا
فعمرت دهرا طويلا وكثروا ونموا وملوا ارض مصر كلها فطمعت فيهم العمالقة
فغزاهم الوليد بن دومغ فقاتلهم قتالا شديدا ثم رضوا ان يملكوه عليهم فملكهم
نحوا من مائة سنة فطغا وتكبر واظهر الفاحشة فسلط الله عليه سبعا فافترسه
واكل لحمه والذي ملك مصر من الفراعنة خمسة وملك ايمين وتجبر وقتل
خلقا من جارية وكان الوليد بن دومغ العمليقي قد خرج في جيش كثيف فبعث
غلاما يقال له عون الى مصر ففتحها ثم قدم بعده واستباح اهل مصر واخذ
اموالهم ثم خرج ليقف على مصب النيل فراى جبل القمر واقام في غيبته اربعين سنة
وعاد الى مصر وقد خالفه عون وتزمنه فاستعبد اهل مصر وملكهم نحوا من
مائة وعشرين سنين حتى هلك وملك ابنه الريان بن الوليد بن دومغ
احد العمالقة وكان اقوى اهل الارض في زمانه واعظمهم ملكا والعمالقة ولد عمليق
بن لاوذ بن سام بن نوح وهو فرعون يوسف عليه السلام والقبط تسميه نهراوش

وقيل فرعون يوسف اسمه الريان بن الوليد بن لبث بن فاران بن عمرو بن عمليق بن يلمع
بن عابر بن اشليخا بن لوذ بن سام بن نوح وقيل فرعون يوسف هو جد فرعون
موسى ابو ابيه واسمه يرخوا وكان عظيم الخلق جميل الوجه عاقلا فوعد الناس الجميل
ووضع عنهم الخراج لثلث سنين وفرق المال فيهم وملك رجلا من اهل بيته يقال له اطفير
وهو الذي يقال له العزيز وكان عاقلا اديبا مستعملا للعدل والحماية فامر ان ينصب له
سرير من فضه في قصر الملك يجلس عليه ويخرج وجميع الكتاب والوزرا بين يديه فكفا
بفراش ما خلف ستره وقام بجميع اموره وخلاه للذاته فاقام على قضيته مدة والبلد
عامر فقصده رجل من العمالقة وسار الى مصر وهزم جيوشه فخرج اليه وقاتله وهزمه
وسار خلفه ودخل الشام وعاث هنالك فهابته الملوك واطاعته وقيل انه بلغ الموصل
وضرب على اهل الشام خراجا وخرج لغزو بلاد المغرب في تسعمايه الف ومر بارض
البربر وجلا كثيرا منهم ومر الى البحر الاخضر وسار الى الجنوب فقدم النوبه وعاد الى
مدينة منف وكان من خبر يوسف معه ما ذكر عند ذكر الفيوم وملك بعده ابنه
دريموش ويقال له دارم بن الريان وهو الفرعون الرابع فخالف سنة ابيه وكان
يوسف خليفته يقبل منه تارة ويخالفه اخرى وظهر في ايامه معدن فضه فاثار
منه شيا عظيما وفي ايامه مات يوسف عليه السلام فاستوزر بعده رجلا حمله على
اذى الناس واخذ اموالهم وبلغ ذلك منهم مبلغا عظيما ثم زاد في التجبر حتى اختلج
كل امراة جميلة بمنف من اهلها وكان لا يسمع بامراة حسنا في موضع الا وجد فحملت
اليه فاضطرب الناس اليه وشغبوا عليه وعطلوا الصنايع والاعمال والاسواق فغدا
عليهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وزاد الامر حتى اجتمعوا على خلعه فبرز لهم واسقط
عنهم خراج ثلث سنين وانفق فيهم مالا فسكنوا وفي ايامه ثار القبط على بني اسرايل
وطلبوا من الوزير ان يخرجهم من مصر فما زال بهم حتى اسكنوا وبلغ الملك ذلك
وكان قد خرج الى الصعيد فتوعد اهل مصر فشغبوا عليه وحشدوا له وحاربوه
فقتل منهم خلق كثير وظفر بمن بقي فقتلهم وصلبهم على حافتي النيل وعاد الى اعظم
ما كان عليه من اخذ الاموال والنسا واستخدم اشراف القبط وبني اسرايل فاجمع الكل
على ذمه فركب النيل للنزهة وثار به ريح عاصف فغرق فلم يوجد الا بناحية شطنوف
وقيل فيما بين طرا وحلوان فقدم الوزير ابنه معاذيوس وكان صبيا ويقال
له معدان فاسقط عن الناس ما اسقطه ابوه من الخراج ووعد بالاحسان فاستقام
له

له الامر ودنا الناس وهو خامس الفراعنه وحدث في زمانه طوفان مصر وكثر
بنو اسرايل وعابوا الاصنام فافردوا ناحية من البلد بحيث لا يختلط بهم غيرهم
واقطعوا موضعا في قبلي منف فاجتمعوا فيه وبنوا به معبدا وغلب بعض الكنعانيين
على الشام ومنع من الضريبة التي كانت على اهل الشام لملك مصر فاجتمع الناس
الى معدان وحثوه على المسير لحربه فامتنع من المسير ولزم الهيكل فزعموا انه
قام في هيكل زحل للعبادة فتجلى له زحل وخاطبه وقال له قد جعلتك ربا على اهل
بلدك وحبوتك بالقدرة عليهم وعلى غيرهم وساد فعك الي فلا تخل من ذكري فعظم
عند نفسه وتجبر وامر الناس ان يسموه ربا وترفع عن ان ينظر في شي من امر الملك
وجعل ابنه اكسامس فقام ابنه اكسامس في الملك ويقال كاسم بن معدان فرتب
الناس مراتب وقسم الكور والاعمال وامر باستنباط العمارات واظهار الصناعات
ووسع على الناس في ارزاقهم وامر بتنظيف الهياكل وتجديد لباسها واوانيها وزاد
في القرابين وهو الذي يقال له كاسم بن معدان بن دارم بن الريان بن الوليد
بن ذومع العمليقي وهو خامس الفراعنه وسموا فراعنة بفرعان الاول فصار اسما
لكل من تجبر وعلا امره وطال ملكه واقام اعلاما كثيره حول منف وعمل مدنا كثيره
ومنابر للوقود وطلسمات واقام سبع سنين باجمل امر فلما مات وزير ابيه استخلف
رجلا من اهل بيت المملكة يقال له طلما بن قومس وكان شجاعا ساحرا كاهنا كاتبا
حكيما متصرفا في كل فن وكانت نفسه تنازعه الملك فاصلح امر الملك وبنى مدنا
من الجانبين وراى في نجومه انه سيكون حدث فبنا بناحية دقوده والصعيد
ملاعب ومصانع وسلط اليه القبط الاسرايليين فقال لهم عبيدكم فاذلوهم
من جيفيف وخرج الى ناحية البربر فعاث وقتل وسبى وفي ايامه بنيت منارة
مدينة الاسكندرية وهاج البحر المالح فغرق كثيرا من القرى والاجنة والمصانع
ومات اكسامس وكان ملكه احدى وثلثين سنة كان منها احدى عشر سنة بتدبير
امره طلما فلما مات اضطرب الناس واتهمه طلما انه سمه فقام وولى لاطيس
ابن اكسامس وكان جريا معجبا صلفا فامر ونهى والزم الناس اعمالهم وقال
انا منتقم مما استنقمتم وان ملتم عن الواجب ملت عنكم وحط جماعة عن مراتبهم
وصرف طلما عن خلافته واستخلف غيره وانفذ طلما الى الصعيد في جماعة من
الاسرايليين وجدد بنا الهياكل وبنا القرى واثار معادن كثيره وكنز في صحرا

المشرق عليه كنوز وكان يحب الحكمة ثم تجبر وعلا امره وامر ان لا يجلس احد في مجلسه
ولا في قصر الملك لا كاهن ولا غيره بل يقومون على ارجلهم حتى يمضون وزاد في اذى
الناس والعنف بهم ومنع فضول ما بايديهم وقصرهم على القوت وجمع اموالهم
وطلب النسا وابتز كثيرا منهن وفعل اكثر ما فعله ممن تقدم قبله واستعبد بني
اسرايل وقتل جماعة من الكهنة فابغضه الخاص والعام وتمادى ظلما بالصعيد ثم
وكاتب وجوه الناس فكتب لاطيس يصرفه عن العمل فامتنع وحارب عساكره وزحف
حتى دخل منف ظلما بن قومس فرعون موسى يقال ان اسمه الوليد بن مصعب
بن اراهون بن الهلوث بن فادان بن عمرو بن عمليق بن بلعع ابن عابر بن اسليحا بن
لوذ بن سام بن نوح وانه من العمالقة وكان قصيرا طويل اللحية اشهل العين
صغير العين اليسرى اعرج وزعم قوم انه من القبط وان نسبه ونسب اهله
بينه مشهورا عندهم وقيل غير ذلك وكان من خبره ما ذكر في كنيسة دموه
وقال بن عبد الحكم ولما اغرق الله فرعون بقيت مصر بعد غرقهم ليس فيها
من اشراف اهلها احد ولم يبق الا العبيد والاجرا والنسا فاعظم اشراف من بمصر من
النسا ان يولين منهم احد او اجمع رايهن ان يولين امراة يقال لها دلوكه فملكت
دلوكه ابنة ربا ويقال دلوكه ابنة دفان وكان لها عقل ومعرفة وتجارب
وكانت في شرف منهن وهي يوميذ بنت مايه وستين سنة فبنت جدارا احصنت
به مصر من الاعدا وكانت من حد رفح الى حد اسوان فبنته الى الواحات الى بلد النوبه
على كل موضع منه حرس يقيمون ليلهم ونهارهم يتقدون النار وقودا لا ينطفا ابدا
احاطت به على جميع ارض مصر كلها في سنة اشهر وهو حايط العجوز وفي ايامها
بنت تدوره الساحرة البرابي في وسط منف وملكتهم دلوكه عشرين سنة حتى بلغ
صبي من ابنا اكابرهم يقال له دركون بن بلاطيس ثم ماتت واستخلف
ابنه تودس ثم توفي تودس بن دركون فاستخلف اخاه لقاس بن تداوس فلم يمكث
الا ثلث سنين حتى مات فاستخلف اخاه مرينا بن مرسوس ثم توفي فاستخلف
استيمادس بن مرينا فطغا وتكبر وسفك الدما واظهر الفاحشة فخلعوه وقتلوه
وبايعوا رجلا من اشرافهم يقال له بلوطس بن مناكيل فملكهم اربعين سنة ثم
توفي فقام ابنه مالوس ثم توفي مالوس فاستخلف اخاه ميناكيل فملكهم مايه
وعشرين سنة وهو الاعرج الذي سار الى بيت المقدس وقدم به الى مصر
وكان

وكان قد تمكن وطغا وبلغ مبلغا لم يبلغه احد ممن قبله بعد فرعون فصرعته دابته
فمات وقيل له الاعرج لانه لما غزا بيت المقدس ونهبها وسبى ملكها يوشا بن
امون بن منشا بن حزقيا هم ان يصعد على كرسي نبي الله سليمن عليه السلام
وكان بلولب لا يمكن احدا ان يصعد عليه الا برجليه جميعا فصعد برجل واحدة
وهي اليمنى فدار اللولب على ساقه الاخرى فاندقت ولم يزل يجمع بينهما الى
ان مات فلذلك سمي الاعرج فاستخلف مرينوس بن نوله فملكهم زمانا ثم
توفي واستخلف ابنه قرقوده فملكهم ستين سنة ثم توفي واستخلف اخاه لقاس
بن مرينوس وانهدم البربا في زمنه فلم يقدر احد على اصلاحه ثم توفي لقاس
واستخلف ابنه قومس بن لقاس فملكهم دهرا وحاربه بخت نصر فقتله
وخرب مدينة منف وغيرها من المداين وسبى اهل مصر ولم يترك بها احد
حتى بقيت ارض مصر اربعين سنة خرابا ليس فيها ساكن وذكر
في ترجمة كتاب هروشيش الاندلسي في وصف الدول والحروب ان فيما
بين غرق فرعون موسى الى مايه وسبع سنين كان بمصر ملك يسمى بوشردش
كان يقتل الغربا والاضياف ويذبحهم لاوثانه ويجعل دماهم قربانا لها
وان بعد غرق فرعون الى ثلثمايه وثمان وعشرين سنة كان بمصر ملك يسمى بروبه
وكان عظيم المملكة قوي السلطان اخذ بالحروب اكثر نواحي الجنوب برا
وبحرا وهو اول من حارب الروم الذين قيل لهم بعد ذلك القوط وكان قد
ارسل اليهم يدعوهم الى طاعته ويخوفهم حربه فجاوبوه ليس من الراي
المحمود للملك الغني محاربة قوم فقرا لكثرة نوازل الحرب واختلاف حوادثها
بالظفر والهلاك وانا لا ننتظر مجيك بل نسرع لغاتيك واتبعوا قولهم عملا وخرج
فرعون اليهم فخرجوا اليه مسرعين وهزموا جيوشه وانتهبوا عساكره وامواله
وعدده وجميع ذخايره ومضوا فانتهبوا ارض مصر حتى كادوا يغلبون عليها لولا
وحول عرضت لهم منعتهم مما خلفها ثم انصرفوا الى بلاد الشام بحروب متصلة
حتى اذلوا اهلها وجعلوهم دون اليهم الخادم واقاموا محاربين لمن خالفهم
في غزوتهم خمس عشر سنة ولم ينصرفوا الى بلادهم حتى اتتهم من نسايهم تقول لهم
اما ان تنصرفوا واما ان نتخذ الا زواج ونطلب النسل من عند المجاورين لنا فعند
ذلك انصرفوا الى بلادهم وقد امتلات ايديهم اموالا واوفا راحة فقد

خلفوا واهم ذكرا منقرعا وتعالـــــ ان ملوك مدين ملكوا مصر خمسمائة عام
بعد غرق فرعون وهلاك ملوكه حتى اخرجهم منها نبي الله سليمن بن داود عليهما
السلام ثم عاد الملك بعدهم الى القبط وان جالوت بن مالود لما قتل داود سار
ابنه جالوت بن جالوت الى مصر ونفى ملوك مدين فانزله ملك مصر بالجانب
الغربي فاقام بها مدة ثم سار الى بلاد المغرب وتعالـــ ان القبط ملكوا مصر
بعد ملوكه وابنها مدة ستمائة سنة وستة وعشرين وعدتهم سبعة وعشرين
ملكا هم دبوسقوليطا ومدته ثمان وسبعون سنة وقيل ثمان وثمانون
سنة ثم ملك بعده سمانادوس ستا وعشرين سنة وقام بعده سوماناس
مدة مايه وستة ثم ملك مغراس اربع سنين ثم اعمانافوناس تسع سنين
ثم اسخودبيس ست سنين ثم فسيناخس تسع سنين ثم قسا ساانس
خمسا وثلثين سنة ثم ملك سسوناخوسيبس احدى وعشرين سنة ثم اسارلوس
خمس عشرة سنة ثم طافالوبنس ثلثة عشر سنة ثم فطافانا سطلس
خمسا وعشرين سنة ثم اساذانون تسع سنين ثم ملك قساموس عشر سنين
ثم اوفانيواس اربعا واربعين سنة ثم ساباقوريني عشرة سنة ثم سسبحش
الحبشي ثني عشر سنة ثم طراخوس الحبشي عشرين سنة ثم ملك امراس الحبشي
ثنتي عشر سنة ثم اسطافيناس سبع سنين ثم باخفاسوس ست سنين
ثم ملك باحو ثمان سنين ثم قساماملطيقوس اربعا واربعين سنة
ثم ملك بخنوقا ست سنين ثم قساموناس سبع عشرة سنة ثم وافرس
خمسا وعشرين سنة ثم اماسلس اثنين واربعين سنة وملك بعد هولا
مصر الخمسة الملوك من ملوك بابل وهم امرطوش ست سنين ثم نافرطاس
سبع سنين ثم اوخرس ثنتي عشرة سنة ثم فساموت مده سنين ثم
ملك موناطوس سبع سنين ثم ملك ثلثة ملوك من انوز وهم الجراجعة الذين
ملكوا الموصل وسوا والجزيرة وهم نافاطابنوس ثلثة عشر سنة ثم طوس
سبع سنين ثم نافاطابناس ثماني عشرة سنة ثم استقل ملك مصر منهم
الى الاسكندر بن فلبس اليوناني وهذه اسماء يونانيه ولعلها او بعضها اختل دومية ثم
فيما تقدم ذكره ممن ملك بعد دكوله وبين بخت نصر وبين الطوفان الفا
سنة وثلثمائة وست وخمسون سنة واشهر ويجتمع من حساب ما وقع في التوراة

ان من الطوفان

ان بين الطوفان وبين خراب بيت المقدس على يد بخت نصر من السنين الف وستمائة واربع
وثمانون سنة وهذا خلاف ما نقله المسعودي

ذكر مدينة الاسكندرية

هذه المدينة من اعظم مداين الدنيا واقدمها وضعا وقد بنيت غير مرة فاول ما
بنيت بعد كون الطوفان في زمان مصرايم بن بيصر بن نوح عليه السلام وكان يقال لها
اذ ذاك مدينة رقوده ثم بنيت بعد ذلك مرتين فلما كان في ايام اليونانيين
جددها الاسكندر بن فلبش المجدوني الذي قهر دارا وملك ممالك الفرس بعد
تخريب بخت نصر مدينة منف بثمانية وعشر سنين فسميت فعرفت به ومنذ جددها
الاسكندر المذكور انتقل تخت الملك من مدينة منف الى الاسكندرية فصارت
دار المملكة بديار مصر ولم تزل على ذلك حتى ظهر دين الاسلام وقدم عمرو بن العاص
بجيوش المسلمين وفتح الحصن والاسكندرية وصارت ديار مصر ارض اسلام فانتقل
تخت الملك حينئذ من الاسكندرية الى فسطاط مصر فصار الفسطاط من بعد
الاسكندرية الى فسطاط مصر فصار الفسطاط من بعد الاسكندرية دار مملكة
ديار مصر وساقص من اخبار الاسكندرية ما وصل اليه علمي ان شا الله تعالى ذكر
ابو الحسن المسعودي في كتاب اخبار الزمان ان الكوكنده وهي امة في غابر الدهر من
اهل ابلة ملكوا الارض وقسموها على ثلثين كورة واربعة اقسام لكل قسم عمل وبنوا
في كل عمل مدينة بها ملك يجلس على منبر من ذهب وله بربا وهي بيت الحكمة
وله بيت الهيكل وله هيكل على اسم كوكب فيه اصنام من ذهب وجعلوا الاسكندرية
واسمها رقوده خمس عشرة كورة وجعلوا فيه كبار الكهنة ونصبوا في هياكلها من
اصنام الذهب اكثر مما نصبوا في غيرها وكان بها مايتا صنم من ذهب وقسموا
الصعيد ثمانين كورة على اربعة اقسام وثلثين مدينه فيه جميع العجايب وذكر
بطليموس في كتاب الاقاليم ووصف الجزاير والبحار والمدن مدينة الاسكندرية
لبرج الاسد ودليلها المريخ وساعاتها اربع عشرة ساعة وطولها ستون درجة
ونصف درجة يكون ذلك اربع ساعات مستويه وثلث عشر ساعة وقال
بن وصيف شاة في ذكر اخبار مصرايم بن بيصر بن نوح وعلومهم ايضا علم الطلسمات
وكانت تخرج من البحر دواب تفسد زروعهم واجنتهم وبنيانهم فعملوا لها الطلسمات
فغابت ولم تعد وبنوا على عبر البحر مدنا منها مدينة رقوده مكان الاسكندرية

وجعلوا في وسطها قبة على اساطين من نحاس مذهب والقبة مذهبة ونصبوا فوقها
مراة من اخلاط شتى قطرها خمسة اشبار وارتفاع القبة مائة ذراع وكانوا اذا
قصدهم قاصد من الامم التي حولهم فان كان مما يهمهم وكان من البر عملوا لتلك المراة
عملا فالقت شعاعها على ذلك الشي فاحرقته فلم تزل الى ان غلب البحر عليها ويقال ان
الاسكندر انما عمل المنارة تشبيها بها وكان عليها ايضا مراة يرى فيها من يقصدهم
من بلد الروم فاحتال عليهم بعض ملوكهم ووجه اليها من ازالها وكانت من زجاج مدبر
قال وذكر بعض القبط ان رجلا من بني الكهنة الذين قتلهم ابساد ملك مصر صار
الى ملك كان في بلاد الافرنجة فذكر له كثرة كنوز مصر وعجايبها وضمن له ان يوصله الى
ملكها واموالها ويرفع عنه اذى طلسماتها حتى يبلغ جميع ما يريد فلما اتصل بصا
بن مرقونس اخي ابساد وهو ملك مصر يومئذ ان صاحب بلاد الافرنجة تجهز اليه
عمد الى جبل من البحر الملح وسير في النيل فاصعد اليه اكثر كنوزه وبنى عليها قبابا
مصمتة بالرصاص وظهر صاحب بلاد الافرنجة في الف مركب وكان لا يمر بشي من
اعلام مصر ومنارها الا هدمه وكسر الاصنام بمعونة ذلك الكاهن حتى اتى الاسكندرية
الاولى فعاث فيما حولها وهدم اكثر معالمها الى ان دخل النيل من ناحية رشيد وصعد
الى منف واهل النواحي يحاربونه وهو ينهب ما يمر به ويقتل ما قدر عليه الى ان
طلب المداين الداخلة لاخذ كنوزها فوجدها ممتنعة بالطلسمات والشداد
والمياه العميقة والخنادق والشداخات فاقام عليها اياما كثيرة فلم يمكنه الوصول
اليها وغضب على الكاهن فقتله من اجل ان جماعة من اصحابه هلكوا فاجتمع
اهل النواحي وقتلوا من اصحابه الذين بالمراكب خلقا واحرقوا بعض المراكب وقام
اهل مصر بنحرهم وقتالهم فاتت رياح غرقت اكثر مراكبه حتى نجا بنفسه وقد
خرج فعاد الناس الى منازلهم وقراهم ورجع الملك صا الى منف واقام بها وتجهز
لغزو بلدان الروم وبعث اليها وحزب الحي ابرقيها بنبه الملوك وتتبع الكهنة فقتل
منهم خلقا كثيرا واقام ملكا سبعا وستين سنة ومات وعمره مائة وسبعون سنة
ودفن بمنف في وسطها تحت الارض ومعه الاموال والجواهر والتماثيل والطلسمات
كما فعل اباوه فيها اربعة الاف مثقال ذهبا على صورة حيوانات برية وبحرية وتمثال
عقاب من حجر اخضر وتمثال سنور من ذهب وزبر عليه اسمه وغلبته للملوك
وسيرته وعهد الى ابنه تداريس قال ولما جلست حوريا ابنة طوطيس

اول

اول فراعنة مصر وهو فرعون ابراهيم الخليل عليه السلام على سرير الملك بعد قتلها
لابيها وعدلت الناس بالاحسان واخذت في جمع الاموال فاجتمع لها ما لم يجتمع لملك
وقدمت الكهنة واهل الحكمة ورؤسا السحرة ورفعت اقدارهم وامرت بتجديد
الهياكل وصار من لم يرضها الى معينة اتريب وملكوا عليهم رجلا من ولد اتريب
يقال له انداخس فعقد على راسه تاجا واجتمع اليه جماعة فانفذت اليه
جيشا فهزموه وقتلوا اكثر اصحابه فهرب الى الشام وبها الكنعانيون فاستغاث
بملكهم فجهزه بجيش عظيم ففتحت حوريا الخزاين وفرقت الاموال وقوت السحرة
فعملوا اعمالهم وقدم انداخس بجيوش الكنعانيين وعليها قايد منهم يقال
له حيرون فلما وصلوا ارض مصر بعثت طرالها من عقلا النسا الى القايد
سرا من انداخس تعرفه رغبتها في تزوجه وانها لا تختار احدا من اهل بيتها وانه
ان قتل انداخس تزوجت به وسلمته ملك مصر ففرح بذلك وسم انداخس بسم
انفذته اليه فقتله وبعثت اليه بعد قتل انداخس انه لا يجوز ان اتزوجك حتى
تظهر قومك في بلدي وتبني لي مدينة عجيبة وكان افتخارهم حينيذ بالبنيان
واقامة الاعلام وعمل العجايب ولانت استقل من موضعك الى غربي بلدي فتم اثار
لنا فانتقل تلك الاعمال واتى عليها فعمل وبنى مدينة في صحرا الغرب يقال لها
قندومة وجر اليها من النيل نهرا وغرس حولها غروسا كثيرة واقام بها منارا
عاليا فوقه منظر مصفح بالذهب والفضة والزجاج والرخام وهي تمده بالاموال
وكانت صاحبة عنه وتهاديه وهو لا يعلم فلما فرغ منها قالت له ان لنا
مدينة اخرى حصينة كانت لاوايلنا وقد خربت فيها اماكن وتشعث حصنها فامض
اليها واعمل في اصلاحها حتى انتقل انا الى هذه المدينة التي بنيتها فاذا فرغت من
اصلاح تلك المدينة فانفذ الى جيشك حتى اصير اليك وابعد عن مدينتي واهل
بيتي فاني اكره ان تدخل علي بالغرب منهم فمضى وجد في عمل الاسكندرية الثانية
ولقل التاريخ يذكرون ان الذي قصدها الوليد بن دومغ العمليقي ثاني
الفراعنة وكان سبب قصدها انه كانت به علة فوجها الى الاقطار ليحمل اليه
من مايها حتى يرى ما يلايمه فوجه الى مملكة مصر غلاما فوقف على كثرة خيراتها
وحمل اليه من مايها والطافها وعاد اليه فعرفه حال مصر فسار اليها في جيش كثير
وكانت المملكة تخطبه لنفسه فاجابته واطاعته وشرطت عليه ان تبني لها مدينة

يظهر فيها ايده وقوته ويجعلها مهرا لها فاجابها وشق مصر الى ناحية الغرب فبعثت
اليه اصناف الرياحين والفواكه وخلعت وجوه الدواب فمضى الى الاسكندرية وقد
خربت بعد خروج العادية منها فنقل ما كان من حجارتها ومغالها وعمدها ووضع
اساس مدينة عظيمة وبعث اليها الف فاعل واقام في بناها مدة واستنفق جميع ما
كان معه من المال وكلما بنى شيا خرج من البحر دواب فتقلعه فاذا اصبح لم يجد من البنا
شيا فاهتم لذلك وكانت حوريا قد انفذت اليه الف راس من المعز اللبون يستعمل
البانها في مطبخه وكانت مع راع يثق به يرعاها هناك فكان اذا اراد ان ينصرف
عند المسا خرجت اليه من البحر جارية حسنا فتشوق نفسه اليها فاذا كلمها شرطت
عليه ان تصارعه فان صرعها كانت له وان صرعته اخذت من المعز راسين فكانت
طول الايام تصرعه وتاخذ الغنم حتى اخذت اكثر من نصفها وتغير باقيها لشغله بحب
الجارية عن رعيها ونحل جسمه فلم يزل صاحبه وساله عن حاله فاخبره الخبر خوفا
من سطوته فلبس ثياب الراعي وتولى رعية الغنم يومه الى المسا فخرجت الجارية
وشرطت عليه الشروط فاجابها وصارعها فصرعها وشدها فقالت له ان كان لا بد من
اخذي فسلمني لصاحبي الاول فانه الطف بي وقد عذبته مدة فردها اليه وقال
له سلها عن هذا الذي نبنيه ونزال من الليل نحو من يفعل ذلك وهل في تنايبه من
حيلة فسالها الراعي عن ذلك فقالت ان دواب البحر التي تخرج بنيانكم قال فما من حيلة
قالت نعم تعملون توابيت من زجاج كثيف باغطية وتجعلون فيها قوما يحسنون التصوير ويكون
معهم صحف وانفاس وزاد يكفيهم اياما وتحمل التوابيت في المراكب بعد ما تشد بالحبال فاذا
توسطوا الماء امروا المصورين ان يصوروا جميع ما يمر بهم ثم يرفع تلك التوابيت فاذا
وقفتم على تلك الصور فاعملوا لها اشباهها من صفر او حجارة او رصاص وانصبوها قدام
البنيان الذي تبنونه من صاحب البحر فان تلك الدواب اذا خرجت ورات صورها
هربت ولم تعد فعرف الراعي صاحبه ذلك ففعله وتم البنيان وبنا المدينة وقال قوم ان
صاحب البنا والغنم جيرون المونفكي كان قصدهم قبل الوليد وانما اتاهم الوليد بعد
حوريا وقهرهم وملك مصر وذكروا ان الاموال التي كانت مع جيرون نفد تكملها
في تلك المدينة ولم تتم فامر الراعي ان يخبر الجارية فقالت ان في المدينة التي خربت ملعبا
مستديرا حوله سبعة عمد على رووسها تماثيل من صفر فيها ما فغرب لكل تمثال منها
تورا سمينا والطخ العمود الذي تحته من دم التور وبخره بشعر من ذنبه وشي من نحاتة
قرونه

قرونه واظلافه وقل له هذا قربانك فاطلق لي ما عندك ثم قس من كل عمود الى الجهة التي
يتوجه اليها وجه التمثال مائة ذراع واحفر عند امتلا القمر واستقامة زحل فانك
تنتهي بعد خمسين ذراعا الى بلاطة عظيمة فالطخها بمرارة التور واقلعها فانك تنزل الى
سرب طوله خمسون ذراعا في اخره خزانة مقفلة ومفتاح القفل تحت عتبة الباب
فخذه والطخ الباب سقيه المرارة ودم التور وبخره بنحاتة قرونه واظلافه وشعر
ذنبه وادخل فانه يستقبلك صنم في عنقه لوح من صفر مكتوب فيه جميع ما في
الخزانة فخذ ما شيت ولا تعرض صنما تحله ولا ما عليه وكذلك كل تمثال فانك
تجد مثل تلك الخزانة وهذه نواويس سبعة من الملوك وكنوزهم **فلما** سمع ذلك
سربه وامتثله فوجد ما لا يدرك وصفه ووجد من العجايب شيا كثيرا فتمم بنا المدينة
وبلغ ذلك حوريا فساها وكانت قد ارادت اتعابه وهلاكه بالحيلة ويقال انه
وجد فيما وجد درجا من ذهب مختوما فيه مكحلة در جدتها در واخضر ومعها
عرق احمر من اكتحل من ذلك الدرور بالعرق وكان اشيب عاد شابا واسود شعره
واصابه مرحتى يدرك الروحانيين ووجد تمثالا من ذهب اذا ظهر غيمت السما
وامطرت وتمثال غراب من حجر اذا سيل عن شي صوت واجاب عنه ووجد في
كل خزانة عشر اعجوبات فلما فرغ من بنا المدينة وجه الى حوريا يحثها على
القدوم اليه فحملت اليه فرشا فاخرا بسطه في المجلس الذي يجلس فيه وقالت له
اقسم جيشك اثلاثا فانفذ الى ثلثه حتى اذا بلغت ثلث الطريق فانفذ الثلث الاخر
فاذا اجرت نصف الطريق فانفذ الثلث الباقي ليكونوا من وراي لئلا يراني احدا
اذا دخلت عليك ولا يكون عندك الا صبية تثق بهم يخدمونك فاني اوانيك في جوار
يكفونك الخدمة ولا احتشمهن ففعل ذلك وقامت تحمل اليها الجهاز والاموال حتى
علم بمسيرها فوجه اليها ثلث جيشه فحملت لهم الاطعمة والاشربة المسمومة وانزلهم
جواريها وحشمها وقدموا اليهم الاطعمة والاشربة والطيب وانواع اللهو فلم يصبح
احد منهم حيا وسارت فلقيها الثلث الاخر ففعلت به مثل ذلك وهي تتوجه انها
انفذت جيشه الى قصرها يحفظونها ومملكتها وسارت حتى دخلت عليه هي وطيرها
وجواريها فنفخ طيرها في وجهه نفخة بعث اليها ورششت عليه ما كان معها فارتعدت
اعضاه وقال من ظن انه يغلب النسا فقد كذبته نفسه وغلبته النسا ثم انها
قصدت عروقه وقالت دما الملوك شفا واخذت راسه فوجهت به الى قصرها ونصبته

عليه وحولت تلك الاموال الى مدينة منف وبنت منارا بالاسكندرية وزبرت عليه
اسمها واسمه وما فعلت به وتاريخ الوقت **فلما** بلغ خبرها الملوك هابوها واطاعوها
وهادوها وعملت بمصر عجايب كثيره وبنت على حد مصر من ناحية النوبة حصنا وقنطرة
يجري ما النيل من تحتها واعتلت فقلدت ابنة عمها دلوكة بنت ماموم وماتت وقال
بن خرداذبة روى ان الاسكندرية بقيت في ثلثماية سنة وان اهلها مكثوا فيها
سبعين سنة لا يمشون فيها بالنهار الا بخرق سود مخافة على ابصارهم من شدة بياض
حيطانها ومنارها العجيبة على سرطان زجاج في البحر وانه كان فيها سوى اهلها ستماية
الف من اليهود حولا لاهلها وقال بن وصيف شاة وكانت العمارة ممتدة في
ما بين رشيد والاسكندرية الى برقة وكان الرجل يسير في ارض مصر فلا يحتاج الى
زاد لكثرة الفواكه والخيرات ولا يسير الا في ظلال تستره من حر الشمس وعمل الملك
صا بن قبطيم في تلك الصحاري قصورا وغرس فيها غروسا وساق اليها من النيل
انهارا وكان تسلك من الجانب الغربي الى حد المغرب في عمارة متصلة فلما انقرض
اوليك القوم بقيت اثارهم في تلك الصحاري وخربت تلك المنازل وباد اهلها
ولا يزال من يدخل تلك الصحاري يحكي ما راه فيها من الاثار والعجايب وقال بن عبد
الحكم وكان الذي بنى الاسكندرية واسس بناها ذو القرنين الرومي واسمه
الاسكندروس وبه سميت الاسكندرية وهو اول من عمل الوشي وكان ابوه اول
القياصره وقيل انه رجل من اهل مصر اسمه مرزبان بن مرزبة اليوناني من ولد
يونان بن يافث بن نوح عليه السلام وقيل كان لونيه كورة من كور مصر الغربية
قال بن لهيعة واهلها روم وقيل هو رجل من اهل حمير قال تبع

قد كان ذو القرنين جدي مسلما ، ملكا تدين له الملوك وتحسد
بلغ المغارب والمشارق يبتغي ، اسباب علم من حكيم مرشد
فراى مغيب الشمس عند غروبها ، في عين ذي خلب وثاط حرمد

ويروى قد كان ذو القرنين قبلي مسلما وحدثني عثمن بن صالح حدثني
عبد الله بن وهب عن عبد الرحمن بن زياد بن انعم عن سعد بن مسعود التجيبي
عن شيخين من قومه قال كنا بالاسكندرية فاستطلنا يومنا فقلنا لو انطلقنا
الى عقبة بن عامر نتحدث عنده فانطلقنا اليه فوجدناه جالسا في داره فاخبرناه
انا استطلنا يومنا فقال وانا مثل ذلك انما خرجت حين استطلته ثم اقبل

علينا

علينا فقال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اخدمه فاذا انا برجال من اهل
الكتاب معهم مصاحف او كتب فقالوا استاذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانصرفت اليه فاخبرته بمكانهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالي ولهم يسالوني
عما لا ادري انما انا عبد لا اعلم الا ما علمني ربي ثم قال ابغني وضوا فتوضا ثم قام الى مسجد
بيته فركع ركعتين فلم ينصرف حتى عرفت السرور في وجهه والبشر ثم انصرف فقال
ادخلهم ومن وجدت بالباب من اصحابي فادخلتهم فلما دخلوا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لهم ان شيتم اخبرتكم بالذي تسالوني عنه قبل ان تكلموا
وان احببتم تكلمتم واخبرتكم فقالوا بل اخبرنا قبل ان نتكلم قال جيتم تسالوني عن
ذي القرنين وسأخبركم كما تجدونه مكتوبا عندكم ان اول امره انه غلام من الروم
اعطي ملكا فسار حتى بلغ ساحل البحر من ارض مصر فابتنى مدينة يقال لها الاسكندرية
فلما فرغ من بنايها اتاه ملك فعرج به حتى استقله فرفعه فقال له انظر ما
تحتك فقال ارى مدينتي وارى مداين معها ثم عرج به فقال انظر فقال اختلطت
مدينتي مع المداين فلا اعرفها ثم زاد فقال انظر فقال ارى مدينتي وحدها ولا
ارى غيرها قال له الملك انما تلك الارض كلها والذي ترى يحيط بها هو البحر وانما
اراد ربك ان يريك الارض وقد جعل لك سلطانا فيها وسوف تعلم الجاهل وتثبت
العالم فسار حتى بلغ مغرب الشمس ثم سار حتى بلغ مطلع الشمس ثم اتى السدين
وهما جبلان لينان يزلق عنهما كل شي فبنى السد ثم اجاز ياجوج وماجوج
فوجد قوما وجوههم وجوه الكلاب يقاتلون ياجوج وماجوج ثم قطعهم فوجد
امة قصارا يقاتلون القوم الذين وجوههم وجوه الكلاب ووجد امة من
الغرانيق يقاتلون القوم القصار ثم مضى فوجد امة من الحيات تلتقم الحية
منها الصخرة العظيمة ثم افضى الى البحر المدير بالارض فقالوا نشهد ان امره هاكذا
كما ذكرت وانا نجده هكذا في كتابنا وعن خالد بن معدان الكلاعي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم سيل عن ذي القرنين فقال ملك مسح الارض من
تحتها بالاسباب قال خالد وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا يقول
يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تسموا بالانبيا حتى تسميتم بالملايكة
وقال قتادة عن الحسن كان ذو القرنين ملكا وكان رجلا صالحا قال وانما
سمي ذو القرنين ان عليا رضي الله عنه سيل عن ذي القرنين فقال لم يكن

ملكا ولا نبيا ولكن كان عبدا صالحا احب الله فاحبه الله ونصح لله فنصحه الله بعثه الله
عز وجل الى قومه فضربوه على قرنه فمات فاحياه الله ثم بعثه الى قومه فضربوه على
قرنه فمات فسمي ذو القرنين ويقال انما سمي ذو القرنين لانه جاوز قرن
الشمس من المغرب والمشرق ويقال انما سمي ذو القرنين لانه كان له غديرتان
من راسه من شعر يطا فيهما وقيل بل كان له قرنان صغيران تواريهما العمامة وعن
ابن شهاب انما سمي ذا القرنين لانه بلغ قرن الشمس من مغربها وقرن الشمس من مطلعها
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص انه قال كان اول شان الاسكندرية ان
فرعون اتخذ بها مصانع ومجالس وكان اول من عمرها وبنا فيها فلم تزل على بنائها
ومصانعه ثم تداولها الملوك ملوك مصر بعده فبنت دلوكة ابنة زبا منارة الاسكندرية
ومنارة فرعون بوقير بعد فرعون فلما ظهر سليمن بن داود عليهما السلام
على الارض اتخذ بها مجلسا وبنا فيها مسجدا ثم ان ذا القرنين ملكها فهدم ما كان من
بنا الملوك والفراعنة وغيرهم الا بنا سليمن لم يهدمه ولم يغيره واصلح ما كان رث
منه واقر المنارة على حالها ثم بنا الاسكندرية من اولها بنا يشبه بعضه بعضا
ثم تداولته الملوك بعده من الروم وغيرهم ليس من ملك الا يكون له بها بنا
يضعه بالاسكندرية يعرف به وينسب اليه قال ابن لهيعة وبلغني انه وجد
بالاسكندرية حجر مكتوب فيه انا شداد بن عاد وانا الذي نصبت العماد
وجندت الاجناد وسددت بذراعي الوادي بنيتها اذ لا شيب ولا موت واذ الحجارة
في اللين مثل الطين وفي رواية وكنزت في البحر كنزا على اثني عشر ذراعا
لن يخرجه احد حتى يخرجه امة محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن لهيعة والا
كالمغاد وقال ابو علي القالي في كتاب الامالي وانشد ابن الاعرابي وغيره

تسالني عن السنين كم لي ... فقلت لو عمرت عمر الحسل
او عمر نوح زمن الفطحل

وفي رواية

لو انني اوتيت علم الحكل ... علم سليمن كلام النمل
وعشت دهرا زمن الفطحل ... ايام كان الصخر مثل الوحل
لكنت رهن هرم او قتل

وقال اخر زمن الفطحل اذ الزمان رطاب وعندهم ان زمن الفطحل زمان كان
بعد

بعد الطوفان عظم فيه الخصب وحسنت احوال اهله وقال بعضهم زمن الفطحل زمن
لم يخلق بعد قوله علم الحكل الحكل ما لا يسمع صوته من الحيوان هذا الرجز
لرؤبة بن العجاج بن رؤبة بن لبيد بن صخر بن كنيف بن حي بن بكر بن ربيعة بن
سعد بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم وذلك انه ورد ماء العكل فرأى
فتاة فاعجبته فخطبها فقالت ارى سنا فهل من مال قال نعم قطعة من ابل
قالت فهل من ورق قال لا قالت يا ال عكل اكبرا واعسارا فقال رؤبة
الاعسار قلة المال

لما ازدرت نقدي وقلت ابلي ... تالقت واتصلت بعكل
خطبي وهزت راسها تستبلي ... تسالني عن السنين كم لي
فقلت لو عمرت عمر الحسل ... او عمر نوح زمن الفطحل
والصخر مبتل كطين الوحل

وفي رواية لو اوتيت علم الحكل علم سليمن كلام النمل
وسالت ابا بكر بن دريد عن زمن الفطحل فقال تزعم العرب انه زمان
كانت فيه الحجارة رطبة قال ابن عبد الحكم ويقال ان الذي بنى الاسكندرية
شداد بن عاد والله اعلم وكانت الاسكندرية ثلث مدن بعضها الى جنب
بعض منه وهي موضع المنارة وما والاها والاسكندرية وهي موضع قصبة
الاسكندرية اليوم ونقيطة وكان على كل واحدة منهن سور وسور من
خلفه ذلك على الثلث مدن يحيط بهن جميعا وقيل كان على الاسكندرية سبعة
حصون منيعة وسبعة خنادق قال وان ذا القرنين لما بنى الاسكندرية
رخمها بالرخام الابيض جدرها وارضها فكان لباسهم فيها السواد والحمرة
فمن قبل ذلك لبس الرهبان السواد من نصوع بياض الرخام ولم يكونوا
يسرجون فيها بالليل من بياض الرخام واذا كان القمر ادخل الرجل الذي
يخيط بالليل في ضوء القمر في بياض الرخام الخيط في جحر الابرة ويقال
بنيت الاسكندرية في ثلثمائة سنة وسكنت ثلثمائة سنة وخربت ثلثمائة
سنة ولقد مكثت سبعين سنة ما يدخلها احد الا وعلى بصره خرقة سواد
من بياض جصها وبلاطها ولقد مكثت سبعين سنة ما يستسرج فيها
قال وكانت الاسكندرية بيضاء تضيء بالليل والنهار وكانوا اذا غربت الشمس

لم يخرج احد منهم من بيته ومن خرج اختطف وكان منهم راع يرعى على شاطي البحر
وكان يخرج من البحر شي فياخذ من غنمه فكمن له الراعي في موضع حتى خرج فاذا
جارية فتشبث بشعرها ومانعته نفسها فقوي عليها تذهب بها الى منزله فانست
بهم فرانهم لا يخرجون بعد غروب الشمس فسالتهم فقالوا من خرج منا فقد
اختطف فعملت لهم الطلسمات وكانت اول من وضع الطلسم بمصر في
الاسكندرية وقيل كان الرخام قد سخر لهم حتى يكون من بكرة النهار بمنزلة
العجين واذا انتصف النهار اشتد وقال المسعودي في ذكر جماعة من اهل
العلم ان الاسكندر المقدوني لما استقام ملكه في بلاده سار حتى يختار ارضا
صحيحة الهوا والتربة والما حتى انتهى الى موضع الاسكندرية فاصاب فيها
اثر بنيان وعمدا كثيرة من الرخام وفي وسطها عمود عظيم عليه مكتوب
بالقلم المسند وهو القلم الاول من اقلام حمير وملوك عاد انا شداد بن عاد
شددت بساعدي الواد، وقطعت عظيم العماد وشوامخ الجبال والاطواد
وبنيت ارم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها في البلاد، واردت ان ابني مدينة
هنا كارم، وانقل اليها كل ذي قدم وكرم، من جميع العشاير والامم،
وذلك اذ لا خوف ولا هرم، ولا اهتمام ولا سقم، فاصابني ما اعجلني،
وعما اردت قطعني، ومع وقوعه طال همي وشجني، وقل نومي وسكني
فارتحلت بالامس عن داري لا لقهر ملك جبار ولا لخوف جيش جرار
ولا عن رغبة ولا صغار لكن لتمام المقدار وانقطاع الاثار وسلطان
العزيز الجبار فمن راى اثري وعرف خبري وطول عمري ونفاذ بصري
وشدة حذري فلا يغتر بالدنيا بعدي فانها غرارة غدارة تاخذ منه
ما تعطي وتسترجع منه ما تولي وكلام كثير يرى فنا الدنيا ويمنع من
الاغترار بها والسكون اليها فنزل الاسكندر متفكرا يتدبر هذا الكلام ويعتبره
ثم بعث فحشر الصناع من البلاد وخط الاساس وجعل طولها وعرضها
اميالا وجمع اليها العمد والرخام واتته المراكب فيها انواع الرخام وانواع المرمر
والاحجار من جزيرة صقلية وبلاد افريقية واقريطش واقاصي بحر الروم مما
يلي مصبه بحر اقيانس وحمل اليه من جزيرة رودس وامر الفعلة والصناع
ان يدوروا على ما رسم لهم من اساس سور المدينة وجعل على كل قطعة من
الارض

الارض خشبة قايمة وجعل من الخشبة الى الخشبة حبالا منوطة بعضها ببعض
واوصل جميع ذلك بعمود من الرخام وكان امامه مضروبة وعلق على العمود جرسا
عظيما مصوتا وامر الناس والقوام على البنايين والفعلة والصناع انهم
اذا سمعوا صوت ذلك الجرس وتحركت الحبال وقد علق على كل قطعة منها
جرسا عظيما صغيرا احرسوا على ان يضعوا اساس المدينة دفعة واحدة
من ساير اقطارها واحب الاسكندر ان يضع ذلك في وقت يختاره وطالع
سعد فخفق الاسكندر براسه واخذته سنة في حال ارتقابه الوقت المحمود
فجاء غراب فجلس على حبل الجرس الكبير الذي فوق العمود فحركه وخرج صوت
الجرس وتحركت الحبال وخفقت ما عليها من الاجراس الصغار وكان ذلك
معمولا بحركات هندسية وحيل حكمية فلما راى الصناع تلك الحبال قد تحركت
وسمعوا الاصوات وضعوا الاساس دفعة واحدة وارتفع الضجيج بالتحميد
والتقديس فاستيقظ الاسكندر من رقدته وسال عن الخبر فاخبر بذلك
فتعجب وقال اردت امرا واراد الله غيره ويابى الله الا ما يريد اردت طول
بقايها واراد الله سرعة فنايها وخرابها وتداول الملوك اياها وان الاسكندر
لما احكم بنيانها وثبت اساسها وجن الليل عليهم خرجت دواب البحر فاتت
على جميع البنيان فقال الاسكندر حين اصبح هذا بدو الخراب في عمارتها
وتحقق مراد الباري سبحانه في زوالها وتطير من فعل الدواب فلم تزل
البناة في كل يوم تبني وتحكم وتوكل من يمنع الدواب اذا خرجت من البحر فيصبحون
وقد خرب البنيان فقلق الاسكندر لذلك وراعه ما يرى فاقبل يتفكر ما
الذي يصنع واي حيلة تنفع في ذلك حتى يدفع الاذية عن المدينة فسنحت
له الحيلة عند خلوته بنفسه وايراده الامور واصدارها فلما اصبح دعا
بالصناع فاتخذوا له تابوتا من الخشب طوله عشرة اذرع في عرض
خمسة اذرع وجعلت فيه جامات من الزجاج قد احاط بها خشب التابوت
باستعداد بها وقد امسك ذلك بالقار والزفت وغيره من الاطلية الدافعة
للما حذرا من دخول الما الى التابوت وقد جعل فيه مواضع للحبال ودخل
الاسكندر في التابوت ورجلان من كتابه ممن له علم باتقان التصوير وامر ان
تسد عليه الابواب وان تطلى بما ذكرنا من الاطلية وامر بمركبين عظيمين فاخرجا

الى لجة البحر وعلق في التابوت من اسفله مثقلات من الرصاص والحديد والحجارة لتهوى
بالتابوت سفلا وجعل التابوت بين المركبين والصقهما بخشب بينهما لئلا يفترقا
وشد حبال التابوت الى المركبين وطول حبالها فغاص التابوت حتى انتهى الى قرار
البحر فنظر الى دواب البحر وحيوانه من ذلك الزجاج الشاف في صفاء البحر فاذا
بصور الشياطين على صور الناس وفيهم من له مثال رؤوس السباع وفي ايديهم
الفؤوس مع بعضهم وفي ايدي بعضهم المناشير والمقامع يحاكون بذلك صناع المدينة
والفعلة وما في ايديهم من آلة البنا فاثبت الاسكندر ومن معه تلك الصور وحكوها
بالتصوير في القراطيس على اختلاف انواعها وتشوه خلقها وقدودها ثم حرك
الحبال فلما احس بذلك من في المركبين مدوا الحبال واستخرجوا التابوت
فخرج الاسكندر وامر صناع الحديد والنحاس والحجارة فعملوا تماثيل تلك
الدواب والآفات من البحر على ما صور فلما فرغوا منها وضعت على العمد بشاطي
البحر ثم امرهم فبنوا فلما جن الليل ظهرت الدواب والآفات من البحر فنظرت
الى صورها على العمد مقابلة الى البحر فرجعت ولم تفسد بعد ذلك فبنيت
الاسكندرية وسيدت وامر الاسكندر ان يكتب على ابوابها هذه المدينة
الاسكندرية اردت ان ابنيها على الفلاح والنجاح واليمن والسعادة والسرور
والثبات في الدهور ولم يرد البارى عز وجل ملك السموات والارض ومفني
الامم ان نبنيها كذلك فبنيتها واحكمت بنيانها وشيدت سورها واتاني الله
عز وجل من كل شي علما وحكمة وسهل لي وجوه الاسباب فلم يتعذر علي في
العالم شي مما اردته ولا امتنع على شي طلبته لطفا من الله عز وجل وصنعا لي
وصلاحا للعباد من اهل عصري والحمد لله رب العالمين لا اله الا هو رب كل
شي ورسم بعد هذه الكتابة كل ما يحدث ببلده من الاحداث بعده في مستقبل
الزمان من الآفات والعمران والخراب ومايؤول امرها اليه الى وقت دثور العالم
وكان بنا الاسكندرية طبقات وتحتها قناطر مقنطرة فكان يدور المدينة
يسير تحتها الفارس وبيده رمح لا يضيق به حتى يدور تلك الازاج والقناطر
التي تحت المدينة وقد عمل لتلك العقود والازاج مخارق ومتنفسات للضيا
ومنافذ للهوا وقد كانت الاسكندرية تضي بالليل بغير مصباح لشدة
بياض الرخام والمرمر وكانت اسواقها وشوارعها وازقتها مقنطرة كلها

لا يصيب اهلها شي من المطر وكان عليها سبعة اسوار من انواع الحجارة المختلفة اللون
بينها خنادق وبين كل خندق وسور فصول وربما تعلق في المدينة شقاق الحرير
الاخضر لاختطاف بياض الرخام ابصار الناس لشدة بياضه فلما احكم بناها
وسكنها اهلها كانت آفات البحر وسكانه على ما زعم الاخباريون من المصريين
والاسكندرانيين تختطف بالليل اهل المدينة فيصبحون وقد فقد منهم العدد
الكثير فلما علم بذلك الاسكندر اتخذ الناس على اعمدة هنالك يدعى المسا
وهي باقية الى هذه الغاية كل واحد من هذه الاعمدة على هيئة السروة وطول
كل واحد منها ثمانون ذراعا على عمد من نحاس وجعل تحتها صورا واشكالا وكتابة
قال مؤلفه رحمه الله فيما تقدم من حكاية ابن وصيف شاه ما يتبين به وهو
ما نقله المسعودي من ان الاسكندر هو الذي عمل التابوت حتى صور صور
اشكال حيوانات البحر لابن وصيف شاه اعرف باخبار اهل مصر وكذلك
ما نقله المسعودي من ان المسال من عمل الاسكندر وهم ايضا لان هذه
المسال هي المنائر التي كان سور عليها والاعلام التي كانت ملوك مصر تنصبها وهي
من اعمال الملوك القبط الاول ومن اعمال الفراعنة التي هم ملوك مصر من قديم
الزمان

ذكر الاسكندر

هو الاسكندر بن فلبش بن امينته بن هركلش الجبار الذي هو ابن الاسكندر
الاعظم ولي ابوه فلبش الملك في بلد مجدونيه خمسا وعشرين سنة استنبط
فيها ضروبا من المنكر وابتدع انواعا من السوء تقدم فيها كل من ولي الملك
بما قبله وكان في اول امره قد جعله اخوه الاسكندر بن هيئة عند امير
من الروم فاقام عنده ثلاث سنين وكان فيلسوفا فتعلم عنده ضروب
الفلسفة فلما قتل اخوه الاسكندر اجتمع الناس على توليه فلبش فولوه — بيان قتل
امرا فقام في السلطان قياما عظيما فحارب الروم وغلب عليهم ومضى الى البرية
فقتل بها من الناس الا فا وغلب على مدائن فاجتمع له جمع لا ينقاد وجيش لا
يرام فاذل جميع الروم وذهبت عينه في بعض الحروب وعمر البلدان والمداين
عمارة وهدما وسبيا وانما نال حسد جميع اهل بلد الروم وعدا عسكر ابنه
مايتا الف راجل وخمسون الف فارس سوى من كان فيه من اصحابه الجد وبني
ومن غيرهما من اجناس اليونانيين يريد غزو الفرس فبيناه يجمع هذا الجمع

نظر في تزويج ابنته له فقال لها فلو بطوه من حسده اخي امراته وخال ولده الاسكندر
وجلس قبل العرس بيومين يحدث قواده ويسل اي الميتات احق ان يتمناها
الانسان فقال الواجب على الرجل الشريف القوي الظافر المجرب ان يوطن نفسه
ان لا يتمنى الموت الا بالسيف فجاه لبلا يعتريه المرض وتحل قوته الاوجاع فعجل
له ما تمنى به في تلك العرس وذلك انه حضر لعبا كان على الخيل بين ولده
الاسكندر وختنه الاسكندر ومعناه في ذلك عارضه احد احداث الروم
بطعنه فقتله فعابا برا انانيه عند ما تمكن منه منفردا فولي الاسكندر الملك
بعد ابيه فلبش وكان اول شي اظهره فيه وفتحه وعزمه في بلد الروم وكانوا
قد احرجوا عن طاعة المجد وبين الى طاعة الفرس فذ يسيم واستاصلهم
وخرب مدينتهم وجعلهم سببا متبعا وجعل سابر بلادهم ذكورهم يودي اليه
الخراج من قبل جميع اجابته واكبر امامه في وقت بعثته لمحاربة الفرس وكان
جميع عسكره اثنين وثلثين الف فارس وستين الف راجل وكانت
مراكبه خمس مائة مركب وثمانين مركبا فحرك بهذه العدة كبار ملوك
الدنيا وسار الي الاسكندر ومه ودخل بيت المقدس وقرب فيه قربانا
لله تعالى وخرج يومه لمحاربة دارا وكان في عسكر دارا ملك الفرس في اول
ملاقاته اياه ستمائة الف مقاتل فغلبه الاسكندر وكانت اذ ذاك
على الفرس وقعة شنعا ونكبة دهيا قتل فيها منهم عدد لا يحصى ولم يفقد
من عسكر الاسكندر الا مائة وعشرون فارسا وتسعون راجلا ومضى
الاسكندر فافتتح مداين وانتهب ما فيها فبلغه ان دارا قد جمعا وانه ملك
نحوه بجمع عظيم فخاف ان يلحقه بمضيق الجبال التي كان فيها فقطع نحوا من
مائة ميل في سرعة عجيبة حتى بلغ مدينة طرسوس وكاد يهلك لفرط
البرد حتى انقبض عصبه فلاقاه دارا في ثلثمائة الف راجل ومائة
الف فارس فلما التقى الجمعان كاد الاسكندر يتفرع لكثرة ما كان فيه
دارا وقلة كان فيها واستحر القتال بينهما وباشر القواد الحروب بانفسهم
وتنازل الابطال واختلف الطعن والضرب وضاق الفضا باهله وباشر كلي
الملكين الحرب بانفسهما دارا والاسكندر وكان الاسكندر اكمل اهل
زمانه فروسية واسجعهم واقواهم جسما فباشر حتى جرحا جميعا وتمادي
الحرب

وتمادي الحرب حتى انهزم دارا وتركت الوقعة بالفرس فقتل من رجالهم نحو من
ثمانين الفا ومن فرسانهم نحو من عشرة الاف واسر منهم نحو من اربعين الفا
ولم يسقط من عسكر الاسكندر الا مايتان وثلثون راجلا ومائة وخمسون
فارسا فانتهب الاسكندر جميع عسكر الفرس واصاب فيه من الذهب
والفضة والامتعة الشي بعينها لا يحصى كثرة واصيب من جملة الاساري ام دارا
وزوجته وابنتاه واخته فطلب دارا ورهن من الاسكندر نصف ملكه
فلم يجبه الى ذلك فجمع دارا من ماله وحشد الفرس من عند اخرهم واستجاش
بكل من قدر عليه من الامم فبعث الاسكندر قايدا في اسطول للغارة على بلد
الفرس ومضى الاسكندر الى الشام فتلقاه هنالك ملوك الفيفا خاضعين
له فعفي عن بعض ونفى بعضا وقتل بعضا ومضى الى احواز طرسوس وكانت
مدينة زاهرة قديمة عظيمة الشان واهلها قد ونقوا بعون اهل افريقية
لهم لصهر كان بينهم فحاصرهم فيها حتى افتتحها ومضى منها الى رودس والي
مصر فافتتح الجميع وبنا مدينة الاسكندرية بارض مصر وبالهند وسوس
وله في بنيانها اخبار طويلة وسياسات تركنا ذكرها تطويل كتابنا بها ثم ان
دارا المايليس من مصالحته اقبل في اربعمائة الف راجل ومائة الف فارس
فتلقى الاسكندر مقبلا في ناحية مصر من اعمال مدينة طرسوس وكانت
بينهما معركة عجيبة شنيعة اجتهدا دارا والروم على ما كانوا اضمروه واعتادوه
من الغلبة والظفر واجتهدا دارا والفرس بالتوطين على الهلاك وتوطين
الموت على الرق والعبودية فقتل ما يحكي عن معركة كان القتل فيها
اكثر منه في تلك المعركة فلما نظر دارا الى اصحابه تغلب عليهم ويفرون
عزم على استعجال الموت في تلك الحرب بالمباشرة لها بنفسه والصبر حتى
يقتل متعرضا للقتل فلطف به بعض قواده حتى سلكوه فانهزم وذهبت
قوة الفرس وغيرهم وذل بعدها سلطانهم وصار بلاد المشرق كله
في طاعة الروم وانقطع ملك الفرس مدة ثمانية عام وخمسين عاما
واستغل الاسكندر بتحصيل ما اصاب في عسكر الفرس والنظر فيه وقسمته
على اهل عسكره ثلثين يوما ثم مضى الى مدينة الفرس التي كانت دار
ملكهم والتي اجتمعت فيها اموال الدنيا ونعمها فهدمها وانتهب ما فيها فبلغه

عن دارا انه صار عند قوم مكبلا في كبول من فضة ذهبيا وخرج في سنة الاف
فوجدنا الطريق بحرو وحاجز احاط كثيرة فلم يلبث ان هلك منها فاظهر الاسكندر الحزن
عليه والمرثية له وامر بدفنه في مقابر الملوك وكان في امر هذه الملك معارك عبرة
لمن اعتبر وعظة لمن اتعظ انه قتل فيها من اهل مملكته واصله نحو من خمسة عشر
الف الف بين راكب وراجل من اهل بلاد اشيا وهي العراق وكان قتل من اهل تلك
المملكة قبل ذلك نحوا من ستين سنة نحو تسعة عشر الف الف الى الف الف
ما بين راكب وراجل من اهل بلاد الشام والعراق وطرسوس ومصر وجزيرة
رودس وجميع البلدان الذين دربهم الاسكندر اجمعين وكان سلطان الدنيا
منقسوما من قواده بعد ما ذللها بنده واهنه العظيمة العالم كله وعمت اهله
بعضا بالمنايا المطبعة وبعضا بالموطن عليها والمناشرة لاهو الحياة واوصى عند
وفاته ان يلعنب كل قائم بعده في اليونانيين بطليموس بعوللا اللاعد الان معناه
الحربي فقد اهو الصحيح من خبر الاسكندر ولا يلتفت الى ما خالفه ونقال انه
كان استغرابدق وهو اول من سمر بالليل وكان له قوم يضحكونه ويحكون له
الخرافات يريد بذلك حفظ ملكه وحراسة نفسه لا اللذة وبه اقتدى الملوك
في السمر واتخاذ المضحكين والمخرفين

ذكر تاريخ الاسكندر

قال ابو الريحان محمد بن احمد البيروني تاريخ الاسكندر اليوناني الذي
يلقب بعضهم بذي القرنين عليه سني الروم وعليه يعمل اكثر الامم لما خرج
من بلاد يونان وهو ابن ست وعشرين سنة لقتال دارا ملك الفرس ولما
ورد بيت المقدس امر اليهود بترك تاريخ موسى وداود عليهما السلام والتحول
الى تاريخه فاجابوه واستقلوا الى ما زعموا واستعملوا ما يحتاجون اليه بعد ان
يجعلوه من السنة السادسة والعشرين لميلاده وهو اول وقت حركته ليتموا
الف سنة من لدن موسى عليه السلام وبقوا مستعملين بهذا التاريخ
ومستعملين له وعليه عمل اليونانيين وكانوا قبله يؤرخون بخروج يونان
بن بورس عن بابل الى المغرب واول تاريخ الاسكندر يوم الاثنين اول
تشرين الاول ويوافقه اليوم الرابع من بابه ومبدأ الايام عندهم من وقت
طلوع الشمس الى وقت غروبها والى ان يصبح الصباح وتطلع الشمس فقد

حمل

كمل يوم بليلته ومبادي الشهور ترجع الى عدد واحد له نظم يجري عليه دايما
وعدد شهور سنتهم اثنا عشر شهرا تخالف بعضها بعضا في العدد وهذه
اسماؤها وعدد ايام كل منها تشرين الاول واحد وثلثون يوما تشرين
الثاني ثلثون يوما كانون الاول واحد وثلثون يوما كانون الثاني واحد
وثلثون يوما شباط ثمانية وعشرون يوما وربع اذار واحد وثلثون يوما
نيسان ثلثون يوما ايار واحد وثلثون يوما حزيران ثلثون يوما تموز
واحد وثلثون يوما اب واحد وثلثون يوما ايلول ثلثون يوما فسبعة
اشهر كل شهر منها واحد وثلثون يوما واربعة اشهر كل شهر منها ثلثون يوما
وشهر واحد ثمانية وعشرون يوما وربع يوم وذلك انهم جعلوا شباط
كل ثلث سنين متواليات ثمانية وعشرين يوما وجعلوه في السنة الرابعة
تسعة وعشرين يوما فيكون عدد ايام سنتهم ثلثماية خمسة وستين
يوما وربع يوم ويجعلون سنتهم ثلث سنين متواليات ثلثماية وخمسة
وستين يوما ويجعلون السنة الرابعة ثلثماية وستة وستين يوما
ويسمونها السنة الكبيسة وانما زادوا الربع يوم في كل سنة لتقرب
عدد ايام سنتهم من عدد ايام السنة الشمسية حتى تتم امورهم على
نظام واحد فيكون شهور البرد وشهور الحر واوان الزرع ولقاح الشجر
وجنا الثمر في وقت معلوم من السنة لا يتغير وقت شيء من ذلك البتة
وكان ابتدا الكبيس في السنة الثالثة من ملك الاسكندر وبين يوم
الاثنين اول يوم من تاريخ الاسكندر هذا وبين يوم الخميس اول الشهر المحرم
من السنة التي هاجر نبينا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب رسول الله
صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة تسع ماية سنة وثلث وستون
سنة وماية وخمسة وخمسون يوما وبينه وبين يوم الجمعة اول يوم من
الطوفان الفا سنة وسبعماية سنة واثنا وتسعون سنة وماية
وثلث وتسعون يوما وبينه وبين ابتدا ملك بخت نصر وبين اول تاريخ
الاسكندر اربعماية وخمس وثلثون سنة شمسية ومايتا يوم وثلثون
يوما وقال ابو بكر احمد بن علي بن قيس بن وحشية في كتاب
الفلاحة النبطية الشهر المسمى تموز فيما ذكر النبط بحسب ما وجدته في

في كتبهم اسم رجل كانت له قصة عجيبة طويلة وهو انه دعا ملكا الى عبادة
الكواكب السبعة والبروج الاثني عشر وان الملك قبله وعاش بعد القبلة له
ثم قتله مرات بعد ذلك صحة وفي كلها يعيش ثم مات في اخرها واد شهورهم
هذه كل واحد منها اسم رجل فاضل عالم كان في القديم من النبط الذين كانوا سكان
اقليم بابل قبل الكسدانيين وذلك ان تموز هذا ليس من الكسدانيين ولا
الكنعانيين ولا العبرانيين ولا الجرامقة وانما هو من الحسانيين الاولين وكذلك
يقولون في كل شهورهم انها اسماء رجال مضوا وان تشرين الاول وتشرين
الثاني اسما اخوين كانا فاضلين في العلوم كذلك وكانون الاول وكانون
الثاني وان سباط اسم رجل نكح الف امراة ابكار الطهر ولم يعقب نسلا ولا
ولدا فجعلوه في اخر الشهور لنقصانه عن النسل فصار النقصان فيه من العدد
فيه والصابيون من الحرانيين والحرانيين جميعا الى وقتنا هذا ينوحون ويبكون
على تموز في الشهر المسمى تموز في عيد لهم فيه منسوب الى تموز ويعددون
تعديدا عظيما وخاصة النساء فانهن يجتمعن ههنا جميعا ويبكين على
تموز ويعددون في امره عددا عظيما وليس عندهم علم من امره اكثر من
ان يقولوا هكذا وجدنا اسلافنا ينوحون ويبكون على تموز في هذا العيد
المنسوب الى تموز ي وللنصارى ذكر ان يعملونه لرجل يسمى جورجيس
احد حواري عيسى عليه السلام دعا ملكا من الملوك الى النصرانية فعذبه
الملك بتلك العذابات فلا ادري اوقع للنصارى قصة تموز فابدلوا مكانها
اسم جورجيس وخالفوا الصابئين في الوقت لأن الصابئين يعملون في الوقت
ذكر ان تموز اول يوم من شهر تموز والنصارى يعملونه لجورجيس في اخر
نيسان ويقال ان بعض ملوك رومية زاد في شهور الروم كانون
الثاني وسباط فان شهورهم كانت الى زمانه عشرة اشهر كل شهر ستة و
ثلثين يوما ويقال ان نومقس اول من ملك مدينة رومية
وانه اقام ملكا ملكا اربعين سنة وشهر سباط في شهور الروم يحكم انها
كانت الى ذلك الزمان عشرة اشهر كل شهر ستة وثلثين يوما وكان سبب
نقصان شباط يومين وقوع حادث في ايام قسطنطين رئيس جيش الروم مع
خلف وحروب بينه وبين فرنودس الثاني نصره قسطنطين واخذ مملكة الروم

وامر

وامر بعويدوس فنودي عليه اعمارديا وبعسين اخرج باشاط ثم غرق
في البحر وسموا شهر اشباط فرنودوس ليكون تذكارا رسوله فانه هذا النحل
كان في يومي التاسع والعشرين والثلاثين من سباط فنقصوهما من شباط
وزادوهما في تموز وكانون الثاني فجعلوا لكل شهر منها احدا وثلثين يوما
ثم بعد زمان جاء ملك اخر فقال لا يحسن ان يكون اسباط في وسط السنة
فنقله الى اخرها ولم تزل الروم من ذلك الوقت يبطرون من شباط

ذكر الفرق بين الاسكندر وذي القرنين

وانهما رجلان اعلم
ان المحقق عند علماء الاخبار ان ذا القرنين الذي ذكره الله عز وجل في
كتابه العزيز فقال تعالى ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم
منه ذكرا انا مكنا له في الارض واتيناه من كل شيء سببا الايات عشر من
مذكور ذكره في اشعار العرب وان اسمه الصعب بن ذي مراثد بن الحرث
الرايش بن الهمال ذي شدد بن عاد ذي منح بن عامر الملطاط بن
سكسك بن وائل بن حمير بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود
بن عابر بن شالح بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام وانه ملك
من ملوك حمير وهم العرب العاربة ويقال لهم ايضا العرب العربا
وكان ذو القرنين سائحا فلما ولي الملك تجبر ثم تواضع لله عز
وجل واجتمع بالخضر عليه السلام وقد غلط من ظن ان الاسكندر بن
فيلفوس هو ذو القرنين الذي بنى السد فان لفظة ذو عربية وذو
القرنين من القاب العرب ملوك اليمن وذاك رومي يوناني قال
ابو جعفر الطبري كان الخضر في ايام افريدون الملك بن اثفيان في
قول عامة علماء اهل الكتاب الاول وقبل موسى بن عمران عليه السلام
وقيل انه كان على مقدمة ذي القرنين الاول الاكبر الذي كان ايام
ابراهيم الخليل عليه السلام وان الخضر بلغ مع ذي القرنين ايام
سيره في البلاد نهر الحياة فشرب من مايه وهو لا يعلم به ذو القرنين
ولا من معه فخلد وهو حي عندهم الى الان وقال اخرون
ذو القرنين الذي على عهد ابراهيم عليه السلام هو افريدون بن
اثفيان وعلى مقدمته كان الخضر عليه السلام وقال ابو محمد عبد

الملك بن هشام في كتاب التيجان في معرفة ملوك الازمان بعد ما ذكر نسب ذي
القرنين الذي علمناه وكان شعا نبوحا المولى الملك بجبروم بواضع واجتمع
بالخضر عليه السلام بيت المقدس وسار معه مشارق الارض ومغاربها
واوتي من كل شي سببا كما اخبر الله تعالى وبنى السد على ياجوج وماجوج
ومات بالعراق واما الاسكندر فانه يوناني ويعرف بالاسكندر
المجدوني سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن ذي القرنين ممن كان
قال من حمير هو الصعب بن مراثد الذي مكنه الله في الارض واتاه من كل
شي سببا فبلغ مرتي الشمس وراس الارض وبنى السد على ياجوج وماجوج
قيل له فالاسكندر قال كان رجلا صالحا حكيما بنى على البحر في
افريقية منارا واخذ ارض رومة واتى بحر الاوقيانوس في المغرب واكثر عليه
الاثار في المغرب من المصانع والمدن وسئل كعب الاحبار رضي
الله عنه عن ذي القرنين فقال الصحيح عندنا من احبارنا واسلافنا انه
من حمير وانه الصعب بن ذي مراثد والاسكندر كان رجلا من بني يونان
من ولد عيصو ابن اسحاق بن ابراهيم الخليل عليه السلام ورجال الاسكندر
ادركوا المسيح بن مريم منهم جالينوس وارسطاطاليس وقال الهمداني
في كتاب الانساب وولد كهلان بن سبا زيدا فولد زيد اعزيبا ومالكا
وغالبا وعميكرب وقال الهيثم عميكرب بن سبا اخو حمير وكهلان
فولد عميكرب ابا مالكا فدرح ومهليل ابني عميكرب فولد غالب
جنادة بن غالب وقد ملك بعض مهليل بن عميكرب بن سبا وولد
عريب عمرا فولد عمرو زيدا وابو الهميسع وكنيا ابا الصعب وهو ذو
القرنين الاول وهو المساح والبناء وفيه يقول النعمان بن بشير

فمن ذا يعادونا من الناس معشر كرام فذو القرنين منا وحاتم

ومنه يقول الحارث

سموا لنا واحدا منهم فنعرفه في الجاهلية لاسم الملك محتملا
كالتبعين وذي القرنين يقبله اهل الحجى واحق القول ما قبلا

ومنه يقول بن ابي ذئب الخزاعي

ومنا الذي بالخافقين تغربا واصعد في كل البلاد وصوبا

فقد نال

لقد نال قرن الشمس شرقا ومغربا وفي ردم ياجوج بنى ثم نصبا

وذلك ذو القرنين مفخر كهلان قال الهمداني وعلماء همدان تقول ذو القرنين الصعب بن
مالك بن الحرث الاعلى بن ربيعة بن الخيار بن مالك وفي ذي القرنين اقاويل كثيرة قال الامام
فخر الدين محمد بن عمر الرازي في كتاب تفسير القران الكريم ومما يعترض به على من قال
ان الاسكندر هو ذو القرنين انه معلم الاسكندر وكان ارسطاطاليس يامره بامره ونهيه
ينتهي واعتقاد ارسطاطاليس مشهور وذو القرنين نبي فكيف يقتدي نبي بامر كافر في
هذا اشكال وقال الجاحظ في كتاب الحيوان ان ذا القرنين كانت امه ادمية وابوه عبري
من الملائكة وكذلك لما سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا ينادي يا ذا القرنين قال ارغمتم
من اسماء الملائكة فارتفعتم الى اسماء الانبياء وروي المختار بن ابي عبيد ان عليا رضي الله عنه كان
اذا ذكر ذا القرنين قال ذلك الملك الامرط

ذكر من ولي الملك بالاسكندرية بعد الاسكندر رحمه الله

قال في كتاب هروشيوش ان الاسكندر تملك الدنيا اثنتي عشر سنة فكانت الدنيا ماسورة
بين يديه طول ولايته فلما مات تركها بين يدي قواده المستخلفين بعده فكان مثله معهم كمثل
الاسد الذي القى صيده بين يدي اشباله فتقاتلت عليه تلك الاشبال بعده وذلك انهم
اقتسموا البلاد فصارت مصر وافريقية كلها وبلاد المغرب الى قائده وصاحب خيله الذي ولي
مكانه وهو بطليموس بن لاوي ويقال بطليموس بن لاوي بن ادنبا المنطقي وذكر ما كان بقية
القواد من اقصى بلاد الهند الى اخر بلاد المغرب ثم قال فثارت بينهم بعده حروب وسببها رسالة
كانت خرجت من عند الاسكندر بان يرجع جميع الغرباء المنفيين الى بلادهم ويسقط عنهم
الرق والعبودية فاستثقل ذلك ملك بلد الروم اذ خافوا ان يكون الغرباء والمنفيون اذا
رجعوا الى بلدانهم ومواطنهم يطلبون النقمة لانفسهم وكان هذا الامر سبب خروجهم عن
طاعة السلطان وقال غيره ولي اربعين سنة وقيل ثمانيا وثلثين سنة وقيل ان اسمه
تلبيذلغوس وهو محب الاب قال وبطليموس بن لاوي وقال غيره وبطليموس هذا
سبا بعد ما غزا فلسطين ثم اطلقهم وحباهم بانية جوهر وصنعت في بيت المقدس وملك
عشرين سنة وكان مجدودا وهو الذي غنم اليهود واستعمل كثيرا منهم الى مصر وفي زمانه
كان زينون الفيلسوف وكان هذا الملك فيلسوفا واقبل بردنيا احد قواد الاسكندر
الى مصر بعسكر عظيم وجيش عرمرم فتفرق سلطان مجدونية الى بلد مجدونية على
قسمين ثم ان بطليموس جمع عساكر مصر وافريقية فلاقا بردنيا فهزمه واصاب عسكره

ثم قتله واصابه ما كان معه وحارب عدة من قواد الاسكندر دولة غيره وكان بطلميوس
هذا حكيما عالما شابا مدبرا وهو اول من اقتنى البزاة ولعب بها وضراها وكان من قبله من
الملوك لا يلعب بها ولما مات ولي الاسكندرية بعده بطلميوس الثاني واسمه فلذلفش
ويقال له محب الاخ وكانت مدة ملكه ثمانيا وثلثين سنة وهو الذي اطلق اليهود الذين
كانوا ماسورين بارض مصر ورد الاواني المقدسة على عزير النبي وهو الذي تخير
السبعين مترجما من علما اليهود الذين ترجموا كتب التوراة والانبيا من اللسان العبراني
الى اللسان الرومي اليوناني واللطيني وكان بطلميوس فاترجما ومائة فولي بعده ابنه بطلميوس
انطربطش المعروف بمحب الاب ستا وعشرين سنة ثم ولي بعده اخوه بطلميوس
فليباطر سبع عشره سنة وهو الذي قتل من اليهود نحوا من ستين الفا وتغلب
عليهم ويقال انه اصاب علم الفلك والنجوم وكتاب المجسطي ثم ملك بعده ابنه بطلميوس
ابيفانيش محب الام ستا وعشرين سنة ثم ولي بعده ابنه بطلميوس فلوماطر
وهو الصانع خمسا وثلثين سنة وهو الذي غلب ملك الشام وحمل على اليهود انواع البلا والعذاب
ثم ملك الاسكندرية بعده ابنه بطلميوس اوبيطاش وهو الاسكندراني تسعا وعشرين
سنة وفي زمانه غلب الرومانيون على الاندلس واحترقت مدينة قرطاجنة بالنار
واقامت النار فيها سبعة عشر يوما فهدمت وحولت اساساتها حتى صار رخام اسوارها
غبارا وذلك الى تسعمائة سنة من وقت بنيانها وبيع جميع اهلها رقيقا الا قليلا من
خيارهم واشرافهم وكان المتولي لتخريبها قواد رومية ثم ولي بعده ابنه بطلميوس
سوطار الذي يقال له الحد بد سبع عشره سنة وكان قبيح السيرة تزوج باخته ثم
فارقها على اقبح حال مما تزوجها عليه في خبر له ثم تزوج بنتها التي كانت من اخيه
ثم زوجها من ابنه المولود له من اخته وكثرت فواحشه حتى نفاه اهل الاسكندرية
فمات منفيا وولي اخوه بطلميوس الاسكندر وهو الجوال عشر سنين ثم ولي بعده ابنه
بطلميوس ديونوشيش ثمان وثلثين سنة وفي زمانه غلب قايد الروميين على بيت
المقدس وجعل اليهود يودون اليه الجزية وظهرت في ذلك الزمان علامات في السما
مهولة منها انه ظهر في السما ناحية مطلع الشمس من مدينة رومية مما يلي ناحية
الجنوب نار ملتهبة عظيمة وكسر يوم خبز انى صنع لهم فانفجر من الخبز دم سايل
ونزل بمدينة رومية مدة سبعة ايام متواليه برد كان يوجد في داخله حجارة وسقاف
فانشقت الارض فصار فيها عمود عظيم وخرج منه لهب اشتعل حتى ظنوه بلغ عنان السما

ونظر

ونظر اهل رومية يوميا الى عمود من الارض الى السما لونه لون الذهب وكان من عظمه يكاد
الشمس ان تغيب منه ثم ولي الاسكندرية بعده كلوباطره سنتين ثم انقرضت مملكة الاسكندرية
وهي الدولة المنسوبة الى اول ملك قيصر الذي هو اول لملوك الرومانيين مايتين واحدى
وثمانين سنة فبعث قيصر قايدين بعساكر كثيرة لفتح مصر فتزوج احدهما كلوباطره ابنة
ديونوشيش الملقب بطلميوس وقتل القايد الاخر وخالف قيصر فسار اليه قيصر بنفسه
وجرت بينهم امور الى ان فتح الاسكندرية بعد حروب واستولى قيصر على مملكة مصر
وقتل كلوبطره وولدها وقتل القايد التي تزوجها وقيل لما سمت نفسها عند ما تيقنت
غلب قيصر لها ويقال كانت ذات حزم ومعرفة وتدبير وانها حفرت خليج الاسكندرية
واجرت فيه الما من مصر وبنت بالاسكندرية ابنية عجيبة منها هيكل زحل وعملت فيه
صنما من نحاس اسود وكان اهل الاسكندرية ومصر يعملون له عيدا في اليوم الثاني عشر من
هتور ويحج اليه اليونان من ساير الاقطار ويذبحون له ذبايح لا تحصى كثرة فلما ظهرت
مله النصارا في الاسكندرية جعلوا هيكل زحل كنيسه ولم يزل الى ان هدمها جوش المعز
لدين الله عند قدومهم من المغرب الى ارض مصر في سنه ثمان وخمسين وثلثمايه من سني
الهجرة النبوية ويقال ان كلوباطره هي التي بنت حايط العجوز ويشبه ان يكون هذا غير
صحيح ويقال انها بنت مقياسا بمدينة اخميم ومقياسا اخر بمدينة انصنا ويقال كانت
مدة ملكها ثلثين سنة وليس بصحيح وبموت كلوباطره انقطعت مملكة مصر وصارت
تحت يد ملوك الروم من اهل مدينة رومية ثم تحت يد ملوك الروم من اهل قسطنطينية
فلم يزل تحت ايديهم يولون فيها من قبلهم من شاو ايضا الى الاسكندرية ويقيم بها
الى ان قدم عمرو بن العاص بالمسلمين وفتح الله على يده الحصن والاسكندرية وجميع
ارض مصر ويقال معنى كلوباطره الباكية وكان جميع المدة التي ما بين ذهاب دولة
البطالسة من الاسكندرية وبين قدوم عمرو بن العاص الى مصر وفتحها ستماية ونيفا
وسبعين سنة وفي خلال هذه المدة قوي جانب ملوك الفرس على القياصرة وملكوا انهم
بلاد الشام واستولوا على ارض مصر والاسكندرية في ايام كسرى ابرويز بن هرمز فبعث
نايبا الى مصر وملك الاسكندرية وقتل الروم واقاموا بالاسكندرية مدة عشر
سنين فلما استبد هرقل بمملكة الروم وخرج من القسطنطينية لجمع الاموال من
ساير مملكته واخذ حماه ودمشق وصار الى بيت المقدس وقد خرج بها الفرس امر
بيتانها وسار منها الى ارض مصر ودخل الاسكندرية وقتل من بها من الفرس واقام

بطريقا ثم عاد الى قسطنطينية فاستمرت مصر بعده تحت ايدى الروم حتى ملكها المسلمون
وتقال ان كل بنا بمصر من اجر فهو للفرس وما فيها من بنا حجر فهو للروم ولله اعلم

ذكر منار الاسكندرية

قال المسعودى فاما منار الاسكندرية فقد ذهب الاكثر
من المصريين والاسكندرانيين ممن عني باخبار بلدهم ان الاسكندر بن فليبس المقدونى
هو الذى بناها ومنهم من راى ان دلوكه الملكة دلوكة ابنتها بنتها وجعلتها مرقبا لمن يرد
من العدو الى بلدهم ومن الناس من راى ان العاشر من فراعنة مصر هو الذى بناها
ومنهم من راى ان الذى بنا مدينة رومية هو الذى بنى الاسكندرية ومنارها والاهرام
بمصر وانما اضيفت الاسكندرية الى الاسكندر لشهرته باستيلايه على الاكثر من ممالك
العالم فشهرت به وذكروا فى ذلك اخبارا كثيره يدلون بها على ما قالوا ان الاسكندر لم
يطرقه فى هذا البحر عدو ولا رهاب ملكا يرد اليه فى بلاده ويغزوه فى داره فيكون هو
الذى جعلها مرقبا وان الذى بناها جعلها على كرسى من الزجاج على هيئة السرطان فى جوف
البحر وعلى طرف اللسان الذى هو داخل فى البحر من البر وجعل على اعلاها تماثيل
من النحاس وغيره فمنها تمثال قد اشار بسبابته من يده اليمنى من الشمس اين ما كانت
فى الفلك واذا علت فى الفلك فاصبعه مشير بها نحوها فاذا انخفضت صارت يده سفلا
يدور معها حيث دارت ومنها تمثال يشير بيده فى البحر اذا صار العدو منه على نحو من
ليلة فاذا دنا وجاز ان يرى بالبصر لقرب المسافة سمع لذلك التمثال صوت هايل
يسمع من ميلين او ثلثة فيعلم اهل المدينة ان العدو قد دنا منهم فيرمقونه
بابصارهم ومنها تمثال كلما مضى من الليل او النهار ساعة سمعوا له صوتا بخلاف
ما صوت فى الساعة التى قبلها وصوته مطرب وقد كان ملك الروم فى ملك الوليد
بن عبد الملك بن مروان انفذ خادما من خواص خدمه ذا راي ودها فجاء مستامنا الى
بعض الثغور فورد بالحسنة ومعه جماعة فجا الى الوليد واخبره انه من خواص
الملك وانه اراد قتله لموجدة وحال بلغته عنه لم يكن لها اصل وانه استوحش ورغب
فى الاسلام فاسلم على يدى الوليد وتقرب من قلبه ونصح اليه فى دفاين استخرجها له من
بلاد دمشق وغيرها من الشام بكتب كانت معه بها صفات تلك الدفاين فلما صارت
الى الوليد تلك الاموال والجواهر شرهت نفسه واستحكم طمعه فقال له الخادم يا امير
المومنين ان ها هنا اموالا وجواهر ودفاين للملوك فساله الوليد عن الخبر فقال
تحت منار الاسكندرية اموال الارض وذلك ان الاسكندر احتوى على الاموال

والجواهر

والجواهر التى كانت لشداد بن عاد وملوك مصر فبنى لها الازاج تحت الارض وقنطر لها
الاقبا والقناطر والسراديب واودعها تلك الذخاير من العين والورق والجواهر وبنى
فوق ذلك هذا المنار وكان طوله فى الهوا الف ذراع والمراه فى علوه والديادبة
جلوس حوله فاذا نظروا الى العدو فى البحر فى ضو تلك المراة صوتوا لمن قرب منهم
ونشروا اعلاما فيراها من بعد منهم فيحذر الناس وينذر البلد فلا يكون للعدو عليهم
سبيل فبعث الوليد مع الخادم بجيش والناس من ثقاته وخواصه فهدم نصف
المنارة من اعلاها وازيلت المراة فضج الناس من هذا اذ علموا انها مكيدة وحيلة في
امرها ولما علم الخادم استفاضة ذلك وانه سينمى الى الوليد وانه قد بلغ ما يحتاج
اليه هرب فى الليل فى مركب كان قد اعده وواطا على ذلك فتمت حيلته وبقيت المنارة
على ما ذكرنا فى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلثماية وكان حول منار الاسكندرية فى
البحر مغاص يخرج منه قطع من الجوهر يتخذ منه فصوص للخواتم انواعا من الجواهر
يقال ان ذلك من الات اتخذها الاسكندر للشراب فلما مات كسرتها امه ورمت
بها فى تلك المواضع من البحر ومنهم من راى ان الاسكندر اتخذ ذلك النوع من
الجواهر وغرقه حول المنار لكيلا يخلو من الناس حولها لان من شان الجوهر ان
يكون مطلوبا ابدا فى كل عصر ويقال ان هذا المنار فى اعلاه لان ملوك الروم
بعد الاسكندر كانت تحارب ملوك مصر والاسكندرية فجعل من كان بالاسكندرية
من الملوك تلك المراة ترى فى البحر من عدوهم وكان من يدخلها يتيه فيها الا ان
يكون عارفا بالدخول لها والخروج فيها لكثرة بيوتها وطبقاتها وممراتها وقد ذكر
ان المغاربة حين وافوا فى خلافة المقتدر فى جيش صاحب المغرب دخل جماعة منهم
على خيولهم الى المنار فتاهوا فيه وفى طرق تنزل الى مهاوى تهوى الى السلطان
الزجاج وفيه مخارق الى البحر فتهورت دوابهم وفقد منهم عدد كبير وعلم بهم بعد
ذلك وقيل انه فقدوهم على كرسى لها قدامها وفى المنار مسجد فى هذا الوقت
مرابط فيه مطوعة المصريين وغيرهم وفى سنة سبع وسبعين ومايه
سقط راس المنار من زلزلة ويقال ان منار الاسكندرية كان مبنيا بحجارة مهندمة
مضببة برصاص على قناطر من الزجاج وتلك القناطر على ظهر سرطان وكان فى المنارة
ثلثماية بيت بعضها فوق بعض وكانت الدابة تصعد بحملها الى ساير البيوت من
داخل المنار ولهذه البيوت طاقات تشرف على البحر وكان على جانب الشرقى من المنار

كتابة غريبة فاذا هي بيت هذه المنظرة فرشابنت مرتبوس اليونانية لرصد الكواكب
ذكر ذلك ابن وصيف شاه وقد ذكر اخبار مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح وبنوا على عبر
البحر مدنا منها رقوده مكان الاسكندرية وجعلوا في وسطها قبة على اساطين من
نحاس مذهبه والقبة مذهبة ونصبوا فوقها مراة من اخلاط شتى قطرها خمسة
اشبار وكان ارتفاع القبة مائة ذراع فكانوا اذا قصدهم قاصد من الامم التي حولهم
فان كان مما يليهم او من البحر عملوا لذلك المراة عملا فالقت شعاعها على ذلك الشي
فاحرقته فلم يزل على حالها الى ان غلب عليها البحر فنسفها ويقال ان الاسكندر انما
عمل المنار الذي كان يشبهها بها وقد كان ايضا عليها مراة يرى فيها من يقصدهم من
بلاد الروم فاحتال بعض ملوك الروم فوجه من ازالها وكانت من زجاج مدبر وقال
المسعودي في كتاب التنبيه والاشراف وقد كان وزير المتوكل عبيد الله بن يحيى
بن خاقان لما امر المستعين بنفيه الى برقة في سنة ثمان واربعين ومايتين صار
الى الاسكندرية من بلاد مصر فراى حمرة الشعاع الشمس على علو المنارة التي بها
وقت المغيب فقدر انه يلزمه ان لا يفطر اذا كان صايما او تغرب الشمس من جميع
الاقطار فامر انسانا ان يصعد الى اعالي منارة الاسكندرية ومعه حجر وان يتامل
موضع سقوط الشمس واذا سقط رمى بالحجر ففعل الرجل ذلك فوصل الحجر الى قرار
الارض بعد صلاة العشا الاخيرة فجعل افطاره فيما بعد اذا صام في مثل ذلك
الوقت وكان عند رجوعه الى سر من راى لا يفطر الا بعد عشا الاخرة وعنده ان
هذا فرضه وان المومنين تساويان وهذا غاية ما يكون من قلة العلم بالعرض ومجاري
الشرق والغرب وقد ذكر ارسطاطاليس في كتاب الاثار العلوية ان بناحية المشرق
الصيفي جبل شامخ جدا وان من علامة ارتفاعه ان الشمس لا تغيب عنه الى ثلث
ساعات من الليل وتشرق عليه قبل الصبح ثلاث ساعات ومنارة الاسكندرية
احد بنيان العالم العجيب بناها بعض البطالسة ملوك اليونانيين بعد وفاة
الاسكندر بن فلبش الملك لما كان بينهم وبين ملوك رومة من الحروب في البر والبحر
فجعلوا هذه المنارة مرقبا في اعاليها مراة عظيمة من نوع الاحجار المشفة لتشاهد
منها مراكب البحر اذا اقبلت من رومة على مسافة تعجز الابصار عن ادراكها فكانوا يراعون
ذلك في تلك المراة فيستعدون لهم قبل ورودهم وطول المنارة في هذا الوقت على
التقريب مايتان وثلثون ذراعا وكان طولها قديما نحوا من اربعمائة ذراع فتهدمت

علي

على طول الازمان وترادف الزلازل والامطار لان مدينة الاسكندرية تمطر وليس سبيلها
سبيل مصر اذ كان الاغلب عليها ان لا تمطر الا اليسير وبناها بلبنة اشكال فكثير
من النصف واكثر من الربع الثلث مربع الشكل بناه باحجار بيض يكون نحوا من مائة
ذراع وعشرة اذرع على التقريب ثم من بعد ذلك يمن الشكل مبني بالاجر والجص
نحو من نيف وستين ذراعا وحواليه فضاء يدور فيه الانسان واعلاها مدور وكان
احمد بن طولون رم منه شيا وجعل في اعلاه قبة من الخشب المصعد اليها من داخلها
وهي مبسوطة موربة بغير درج وفي الجهة الشمالية من المنارة كتابة برصاص مدفون
بقلم يوناني طول كل حرف ذراعا في عرض شبر ويكون مقدارها على وجه
الارض نحوا من مائة ذراع وما البحر قد بلغ اصلها وقد كان تهدم احد اركانها الغربية
مما يلي البحر فبناها ابو الجيش خمارويه بن احمد بن طولون وبينها وبين مدينة
الاسكندرية في هذا الوقت نحو ميل وهي على طرف لسان من الارض قد ركب
البحر جنبتيه وهي مبنية على فم مينا الاسكندرية وليس بالمينا القديم لان القديم
في المدينة العتيقة لا ترسي فيه المراكب لبعده عن العمران والمينا هو الموضع الذي
ترسي فيه مراكب البحر واهل الاسكندرية يخبرون عن اسلافهم انهم شاهدوا بين
المنار وبين البحر نحوا مما بين المدينة والمنار في هذا الوقت فغلب عليه ما البحر
في المدة اليسيرة وان ذلك في زيادة قال وتهدم في شهر رمضان سنة اربع وعشرين
وثلثمائة نحوا من ثلثين ذراعا من اعاليها بالزلزلة التي كانت ببلاد مصر وكثير
من الشام والغرب في ساعة واحدة على ما وردت به علينا الاخبار المتواترة ونحن
بفسطاط مصر وكانت عظيمة جدا مهولة مطبعة اقامت نحو نصف ساعة زمانية
وذلك لنصف يوم الاحد لثمان عشرة خلت من هذا الشهر وهو الكانون من الخامس
عشر من كانون الاخر التاسع من طوبه وكان لهذه المنارة مجمع في يوم خميس العدس
يخرج سائر اهل الاسكندرية الى المنار بما كلهم ولا بد ان يكون فيما عندهم فيفتح باب
المنار ويدخله الناس فمنهم من يذكر الله ومنهم من يصلي ومنهم من يلهو ولا يزالون
الى نصف النهار ثم ينصرفون ومن ذلك اليوم يحترس على البحر من هجوم العدو وكان
في المنارة قوم مرتبون لوقود النار طول الليل فيقصد ركاب السفن تلك النار على
بعد فاذا راى اهل المنار ما يريبهم اشعلوا النار من جهة المدينة فاذا راها الحرس
ضربوا الابواق والاجراس فتتحرك عند ذلك الناس لمحاربة العدو ويقال ان المنار

كان بعيدا عن البحر فلما كان في ايام قسطنطين بن قسطنطين هاج البحر وغرق مواضع
كثيره وكنايس عديده بمدينة الاسكندريه ولم يزل تغلب عليها بعد ذلك واخذه
منها شيا بعد شي وذكر بعضهم انه قاسه وكان مايتي ذراع وثلث وثلثين ذراعا وهي
ثلث طبقات الطبقه الاولى مربعه وهي مايه واحدى وعشرون ذراعا ونصف
ذراع والطبقه الثانيه مثمنه وهي احدى وثمانون ذراعا ونصف ذراع والطبقه
الثالثه مدوره وهي احدى وثلثون ذراعا ونصف ذراع وذكر ابن جبير في رحلته
ان منار الاسكندريه تظهر على ازيد من سبعين ميلا وانه ذرع احد جوانبه الاربع
في سنة ثمان وسبعين وخمسمايه قال فالفاه على خمسين باعا وان طول المنار ازيد من مايه
وخمسين قامه وفي اعلاه مسجد يتبرك الناس بالصلاه فيه وقال ابن عبد الحكم ثم
ويقال انه الذي بنى منارة الاسكندريه كلوبطره الملكه وهي التي ساقت خليجها
حتى ادخلته الاسكندريه ولم يكن يبلغها الما كان يعدل من قريه يقال لها كسا
فتباله الكريون فحفرته حتى ادخلته الاسكندريه وهي التي بلطت قاعته ولما
استولى احمد بن طولون على الاسكندريه بنى في اعلا المنار قبه من خشب فاخذتها
الرياح وفي ايام الملك الظاهر بيبرس تداعى بعض اركان المنار وسقط فامر ببنا
ما انهدم في سنة ثلث وسبعين وستمايه وبنى في مكان هذه القبه مسجدا وهدم في
ذي الحجه سنة اثنتين وسبعمايه عند حدوث الزلزله ثم بنى في شهور سنة ثلث
وسبعمايه على يد الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير وهو باق الى يومنا هذا ولله
در الوجيه الذروي حيث يقول في منار الاسكندريه

وسامية الارجا تهدي اخا السرى ،، ضياء اذا ما حندس الليل اظلما
لبست بها بردا من الانس صافيا ،، فكان تذكار الاحبه معلما
وقد ظللتني من ذراها بقبة ،، الاحظ فيها من صحابي انجما
فخيل ان البحر تحتي غمامة ،، واني قد خيمت في كبد السما

وقال ابن قلاقس

ومنزل جاوز الجوزا مرتقيا ،، كانما فيه للنسرين اوكار
راسي القرار وسامي الفرع في يده ،، للمزن والنور اخبار واخبار
اطلعت فيه عنان الطرف فاطردت ،، خيل لها في بديع الشعر مضمار

وقال الوزير

لله در منار الاسكندرية كم ،، يسمو اليه على بعد من الحدق
من شامخ الانف في عرنينه شمم ،، كانه باهت في دارة الافق
للمنشآت الجواري عند رؤيته ،، كموقع النوم في اجفان ذي ارق

وقال عمر بن ابي عمر الكندي في فضايل مصر وذكر اهل العلم ان المنار كان في
وسط الاسكندريه حتى غلب عليها البحر فصارت في جوفه الا ترى الابنيه والاساسات
في البحر الى الان عيانا وقال عبد الله بن عمرو عجايب الدنيا اربعه مرآة
كانت معلقه بمنار الاسكندريه وكان يجلس الجالس تحتها فيرى من بالقسطنطينيه
وبينهما عرض البحر وذكر الثلاثه

ذكر الملعب الذي كان بالاسكندريه وغيره من العجايب

قال القضاعي ومن عجايب مصر الاسكندريه وما بها من العجايب فمن عجايبها
المناره والسواري والملعب الذي كانوا يجتمعون فيه في يوم من السنه ثم يرمون
بالكره فلا تقع في حجر احد الا ملك مصر وحضر عيد من اعيادهم عمرو بن
العاص فوقعت الكره في حجره فملك البلد في ذلك في الاسلام ثم يحضر هذا
الملعب الف الف من الناس فلا يكون فيهم احد الا وهو ينظر في وجه صاحبه
ثم ان قرى كتاب سمعوه جميعا او لعب لون من اللعب راوه عن اخرهم لا يظلمون
فيه باكثر من مراتب العليه والسفليه وقال ابن عبد الحكم فلما كانت سنة ثمان
عشر من الهجره وقدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الجابيه خلا به عمرو بن العاص
فاستاذنه في المسير الى مصر وكان عمرو قد دخل في الجاهليه مصر وعرف طرقها وراى
كثرة ما فيها وكان سبب دخوله اياها انه قدم الى بيت المقدس لتجارة في نفر من قريش
فاذا هم بشماس من شمامسة الروم من اهل الاسكندريه قدم للصلاه في بيت
المقدس فخرج في بعض جبالها يسيح وكان عمرو يرعى ابله وابل اصحابه وكانت
رعية الابل يوما بينهم فبينا عمرو يرعى ابله اذ مر به ذلك الشماس وقد
اصابه عطش شديد في يوم شديد الحر فوقف على عمرو فاستسقاه فسقاه
عمرو من قربة له فشرب حتى روي ونام الشماس مكانه وكانت الى جنب
الشماس حيث نام حفره فخرجت منها حيه عظيمه فبصر بها عمرو فنزع لها
بسهم فقتلها فلما استيقظ الشماس نظر الى حيه عظيمه قد نجاه الله منها
فقال لعمرو ما هذه فاخبره عمرو انه رماها بسهم فقتلها فاقبل الى عمرو

فقبل راسه وقال قد احياني الله بك مرتين مرة من شدة العطش ومرة من هذه الحية فما
اقدمك هذه البلاد قال قدمت مع اصحابي نطلب الفضل في تجارتنا فقال له الشماس وكم
تراك ترجوان تصيب في تجارتك قال رجائي ان اصيب ما اشتري به بعيرا فاني لا املك الا
بعيرين فاملي ان اصيب بعيرا اخر فيكون ثلثة ابعرة فقال له الشماس لسنا اصحاب ابل انما
نحن اصحاب دنانير لم يكون الف دينار فقال له الشماس اني رجل غريب في هذه البلاد
وانما قدمت اصلي في كنيسة بيت المقدس واسيح في هذه الجبال شهرا جعلت ذلك نذرا
علي نفسي وقد قضيت ذلك وانا اريد الرجوع الى بلادي فهل لك ان تتبعني الى بلادي ولك
عهد الله وميثاقه ان اعطيك ديتين لان الله عز وجل قد احياني بك مرتين فقال
له عمرو اين بلادك قال مصر في مدينة يقال لها الاسكندرية فقال له عمرو لا اعرفها ولا
ادخلها قط فقال له الشماس لو دخلتها لعلمت انك لم تدخل قط مثلها فقال عمرو وتفي لي بما
تقول وعليك بذلك العهد والميثاق قال الشماس نعم لك الله علي بالعهد والميثاق
ان افي لك وان اردك الى اصحابك فقال عمرو وكم يكون مكثي في ذلك قال شهرا تنطلق معي ذاهبا
عشرا وتقيم عندنا عشرا وترجع في عشر ولك علي ان احفظك ذاهبا وان ابعث معك من يحفظك
راجعا فقال له عمرو انظرني حتى اشاور في ذلك اصحابي فانطلق عمرو الى اصحابه فاخبرهم
بما عاهد عليه الشماس وقال لهم تقيموا علي حتى ارجع اليكم ولكم علي العهد ان اعطيكم نصف
ذلك على ان يصحبني رجل منكم آنس به فقالوا نعم وبعثوا معه رجلا منهم فانطلق عمرو
وصاحبه مع الشماس الى مصر حتى انتهى الى مصر فراى عمرو من عمارتها وكثرة اهلها وما بها
من الاموال فاعجبه ذلك فقال الشماس ما رايته مثل عمرو ومضى الى الاسكندرية فنظر
عمرو الى كثرة ما فيها من الاموال والعمارة وجودة اهلها وكثرة بنائها فازداد عجبا ووافق
دخول عمرو الاسكندرية عيدا فيها عظيما يجتمع فيه ملوكهم واشرافهم ولهم اكرة من ذهب
مكللة يترامى بها ملوكهم وهم يتلقونها باكمامهم وفيما اختبروا من تلك الاكرة على ما وضعها
من مضى منهم انها من وقعت الاكرة في كمه واستقرت فيه لم يمت حتى يملكهم فلما قدم عمرو
الاسكندرية اكرمه الشماس الاكرام كله وكساه ثوب ديباج البسه اياه وجلس عمرو
والشماس مع الناس في ذلك المجلس حيث يترامون بالاكرة وهم يتلقونها باكمامهم فرمى بها
رجل منهم فاقبلت تهوي حتى وقعت في كم عمرو فتعجبوا من ذلك وقالوا ما كذبتنا هذه الاكرة
قط الا هذه المرة اترى هذا الاعرابي يملكنا هذا ما لا يكون ابدا وان ذلك الشماس مشى
في اهل الاسكندرية واعلمهم ان عمرو احياه مرتين وانه قد ضمن له الفي دينار وسالهم

ان

ان يجمعوا ذلك له فيما بينهم ففعلوا ودفعوها الى عمرو فانطلق عمرو وصاحبه وبعث معهما الشماس
دليلا ورسولا وزودهما واكرمهما حتى رجع وصاحبه الى اصحابهما فبذلك عرف عمرو مدخل
مصر ومخرجها وراى منها ما علم انها افضل البلاد واكثرها اموالا فلما رجع عمرو الى اصحابه
دفع اليهم فيما بينهم الف دينار وامسك لنفسه الفا قال عمرو وكان اول مال اعتقدته
وتاملته

ذكر عمود السواري

هذا العمود حجر احمر منقط وهو من الصوان
المانع كان حوله نحو اربعمائة عمود كسرها قراجا والي الاسكندرية في ايام السلطان صلاح
الدين بن ايوب ورماها بشاطئ البحر ليوعر على العدو سلوكه اذا قدم ويذكر ان هذا
العمود من جملة اعمدة كانت تحمل رواق ارسطاطاليس الذي كان يدرس به الحكمة
وانه كان دار علم وفيه خزانة كتب حرقها عمرو بن العاص باشارة عمر بن الخطاب ويقال
ان ارتفاع هذا العمود سبعون ذراعا وقطره خمسة اذرع وذكر بعضهم ان طوله بقاعدته
اثنان وستون ذراعا وسدس ذراع وهو على نشز طوله ثلثة وعشرون ذراعا ونصف
ذراع فجملة ذلك خمسة وثمانون ذراعا وثلثا ذراع وطول قاعدته السفلى اثنا عشر
ذراعا وطول القاعدة العليا سبعة اذرع ونصف قال المسعودي وفي الجانب الشرقي
من صعيد مصر جبل عظيم رخام كانت الاوائل تقطع منه العمد وغيرها وكانوا يحملون
ما عملوا بعد النقر فاما العمد والقواعد والروس التي تسميها اهل مصر الاسوانية
ومنها حجارة الطواحين فتلك نقرها الاولون قبل حدوث النصرانية بمئين من السنين
ومنها العمد التي بالاسكندرية والعمود بها الضخم الكبير لا نعلم بالعالم عمودا مثله وقد
رايت في جبل اسوان اخا هذا العمود قد هندس ونقر ولم ينفصل من الجبل ولم يخرج ما
ظهر منه وانما كانوا ينتظرون به ان ينفصل من الجبل ثم يحمل الى حيث يريد القوم انتهى
وكان بالاسكندرية من العمد العظام وانواع الاحجار والرخام التي لا تنقل القطعة منه
الا بالوف من الناس قد علقت بين السما والارض على فوق المائة ذراع وفوق رووس
اساطين دائرة الاسطوان ما بين الخمس عشرة ذراعا الى العشرين ذراعا والحجر فوقه عشرة
اذرع في عشرة اذرع في سمك عشرة اذرع بغرائب الالوان وكان بالاسكندرية قصر
عظيم لا نظير له في معمور الارض على ربوة عظيمة بازاء باب البلد طوله خمسمائة ذراع
وعرضه على النصف من ذلك وبابه اعظم بنا واتقنه كل عضادة منه حجر واحد
وعتبته حجر واحد وكان فيه نحو من مائة اسطوانة وبازائه اسطوانة عظيمة لم
يسمع بمثلها غلظها ستة وثلثون شبرا وعلوها بحيث لا يدرك اعلاها قاذف حجر

وعليها راس محكم الصناعة يدل على انه كان من فوق ذلك بنا وتحتها قاعدة حجر احمر محكم الصناعة
عرض كل ضلع منه عشرون ضلعا شبرا في ارتفاع ثمانية اشبار والاسطوانة منزلة في عمود حديد
من حديد بلبد قد خرقت به الارض فاذا اشتدت به الرياح رايتها تتحرك وربما وضع تحتها
الحجارة فتطحنها لشدة حركتها وكانت هذه الاسطوانة احدى عجايب الدنيا وقد زعم قوم
انها مما عمله الجن لسليمان بن داود عليهما السلام كما هي عادتهم في نسبة كل ما استعظموا عمله
الى انه من صنيع الجن وليس كذلك بل كانت مما عمله القدما من اهل مصر وكانت في وسط
قبة ومن حولها اساطين وعلى الجميع قبة من حجر واحد رخام ابيض كاحسن ما يكون ان ترى
را من الصنايع ويقال ان بعض من ملك مصر دخل الاسكندرية واعجبه هذا القصر
واراد ان يبني مثله فجمع الصناع والمهندسين ليقيموا له قصرا عظيما على هيئته فما كان
منهم الا من اعترف بعجزه عن عمل مثله الا شيخ منهم فانه التزم ان يصنع مثله فسر الملك
بذلك واذن له في طلب ما يحتاج اليه من الالات والمؤن والرجال فقال ائتوني بثورين
مطيقين وعجلة كبيرة فلما اتي بذلك مضى الى المقابر القديمة وحفر منها قبرا فاخرج
منه جمجمة كبيرة رفعها عدة من الرجال على العجلة فما ردها الثوران مع قوتهما الا
بعد جهد وعنا فلما وقف بها بين يدي الملك قال اصلح الله سيدنا ان ابنيتني
بقوم رووسهم مثل هذا الراس عملت لك مثل هذا القصر فسر الملك عند ذلك بعجز
اهل زمانه عن اقامة مثل ذلك القصر وقد ذكر انه كان بالاسكندرية ضرس انسان عند
قصاب يزن به اللحم زنته ثمانية ارطال ويقال ان عمود السواري الموجود الان خارج
مدينة الاسكندرية احد سبعة اعمدة اتى باحدها المثنون بن مر العادي وهو يحمله
تحت ابطه من جبل يرمم الاحمر قبلي اسوان الى الاسكندرية فانكسر ضلعه لانه كان ضعيف
القوى في قومه فشق ذلك على جيرون بن شداد بن عاد فقال لبيتي يدنيه بنصف ملكي
وجا بعمود اخر جحدر بن سنان الثمودي وكانوا يحملونها من اسوان تحت ابطه وجانبيه
رحالهم كل رجل بعمود فاقام العمد السبعة الجارود بن قطن المؤتفكي وكان بنا بعد
ما اختاروا لها طالعا سعيدا كما هي عادتهم في عامة اعمالهم وقد ذكر غير واحد ان الصخور
في القديم من الدهر كانت تلين فتعمل منها اعمدة كاعمدة مارب وصيون ومآثر اليمن واعمدة
دمشق ومصر ومدين وتدمر وان كل شي كان يتكلم قال امية بن ابي الصلت

ولذهم لا لبوس لهم عراة ... واذ صخر السلام لهم رطاب

وقال قوم عمود السواري من جملة اعمدة كانت تحمل رواقا يقال له بيت الحكمة

وذكر

وذلك حيث انتهت علوم اهل المغرب الى خمسين فرقة وهم اصحاب الرواق هذا واصحاب
الاسطوان وكانوا ببعلبك واصحاب المظال وهم بانطاكية واصحاب البرابي وكانوا بصعيد
مصر والمشاوون وكانوا بمقدونية وكاني بمن قل علمه ينكر على ايراد هذا الفصل ويراه
من قبيل المحال ومما وضعه القصاص ويجزم بكذبه فلا يوحشنك حكايتي له واسمع قول
الله سبحانه عن عاد قوم هود واذكروا اذ جعلكم خلفا من بعد عاد وزادكم في الخلق
بسطة اي طولا وعظم جسم قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه كان طولهم مائة
ذراع واقصرهم ستين ذراعا وهذه الزيادة كانت على خلق ابائهم وقيل على خلق
قوم نوح وقال وهب بن منبه كان راس احدهم مثل قبة عظيمة وكانت عين الرجل
يفرخ فيها السباع وكذلك مناخرهم وروى شهر بن حوشب عن ابي هريرة انه كان من
قوم عاد ليتخذ المصراعين لو اجتمع خمسمائة من هذه الامة لم يطيقوه وانه كان
احدهم ليغمز بقدمه الارض فتدخل فيها وروى عبد الله بن لهيعة عن يزيد
بن عمرو المعافري عن ابن حجيرة قال استظل سبعون رجلا من قوم موسى عليه
السلام في قحف رجل من العمالقة وعن زيد بن اسلم بلغني ان الضبعة واولادها
ربضن في حجاج عين رجل من العمالقة وقال تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم
ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد قال المبرد وقولها يعني الخنسا رفيع العماد
انما تريد الطول يقال رجل معمد يريد طويلا ومنه قوله عز وجل ارم ذات العماد
اي الطوال وقال البغوي وسموا ذات العماد لانهم كانوا اهل عمد سيارة وهو
قول قتادة ومجاهد والكلبي ورواية عطا عن ابن عباس وقال بعضهم سموا ذات
العماد لطول قامتهم قال ابن عباس يعني طولهم مثل العماد وقال مقاتل كان طول
احدهم اثني عشر ذراعا وفي كشاف الزمخشري لم يخلق مثلها مثل عاد في البلاد
عظم اجرام وقوة كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع وكان ياتي الصخرة العظيمة فيحملها
فيلقيها على الحي فيهلكهم وقد ذكر غير واحد انه وجد في خلافة المقتدر بالله ابي الفضل
جعفر بن المعتضد ذكر بمصر ضلع انسان طوله اربعة عشر شبرا في عرض واعلم ان عين
بني ادم ضيقة وقد نشات نفوسهم في محل صغير فاذا حدث القوم منهم بما يتجاوز
مقدار عقولهم او مبلغ احساسهم مما ليس عندهم اصل يقيسونه عليه الا ما
يشاهدونه وما الفوه عجلوا الى الارتياب فيه وسارعوا الى الشك في الخبر عنه الا من
كان معه علم وفهم فانه يفحص عما يبلغه من ذلك حتى يجد دليلا على قبوله او رده

وكيف يرد مثل هذه الاخبار وفي الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خلق الله
ادم ستون ذراعا في السما ثم لم يزل الخلق ينقص حتى الان وذكر محمد بن عبد الرحيم
بن سليمن بن ربيع القيسي الغرناطي في كتاب تحفة الالباب قال نقل الثعلبي في كتاب سير
الملوك ان الضحاك بن علوان لما هرب منه لام بن عامر الى ناحية الشمال ارسل في طلبه
اميرين مع كل امير طائفة من الجبارين خرج احدهما قاصدا الى بلغار والاخر الى باشغرد
فاقام اولئك الجبارون في ارض بلغار وفي باشغرد قال الاندلسي وقد رايت صورهم
في باشغرد رايت قبورهم بها فكان ثم ما رايته ثنية احدهم طولها اربعة اشبار وعرضها
شبران وقد كان عندي في باشغرد نصف اصل الثنية اخرجت لي من فكه الاسفل
فكان عرضها شبرا ووزنها الف مثقال ومائتا مثقال انا وزنتها بيدي وهي الان في
داري في باشغرد وكان دون ذلك العادي سبعة عشر ذراعا في بيت بعض اصحابي
في باشغرد عضد احدهم طوله ثمانية وعشرون ذراعا واضلاعه كل ضلع عرضه
ثلثة اشبار واكثر كاللوح الرخام واخرج الى نصف رسغ يد احدهم فلكنت لا اقدر
ان ارفعه بيد واحدة حتى ارفعه بيدي جميعا قال ولقد رايت في بلد بلغار سنة
ثلثين وخمسمائة من نسل العاديين رجلا طوالا كان طوله اكثر من سبعة اذرع وكان
يسمى دنقي وكان ياخذ الفرس تحت ابطه كما ياخذ الانسان الطفل الصغير وكان ياخذ اذا وقع
القتال في تلك الناحية يقاتل بشجرة من خشب البلوط يمسكها كالعصا في يده لو ضرب بها
الفيل قتله وكان خيرا متواضعا كلما لقيني سلم علي ورحب بي واكرمني وكان راسي لا
يصل الى حقوه وكان له اخت على طوله رايتها في بلغار مرارا عدة قال لي القاضي يعقوب
بن النعمان يعني قاضي بلغار ان هذه المراة الطويلة العادية قتلت زوجها وكان اسمه
ادم وكان من اقوى اهل بلغار ضمته الى صدرها فكسرت اضلاعه فمات من ساعته
قال ولم يكن في بلغار حمام يسعهم الا حمام واحد واسعة الابواب انتهى وقد حدثني
الحافظ ابو عبد الله محمد بن احمد بن محمد الغرناطي عن ابيه انه شاهد قبرا انخسف بمدينة
قرطاجنة من افريقية فاذا جثة رجل قدر عظم راسه كتور من عظيم ووجد معه
لوح مكتوب بالقلم المسند وهو قلم عاد وحروفه منقطعة مانصه انا كوش بن كنعان
بن الملوك من ال عاد ملكت بهذه الارض الف مدينة وبنيت بها الف بكر على وركبت
من الجياد العتاق سبعة الاف حمر وصفر وشهب وبيض ودهم ثم لم يغن عني ذلك
شيا وجاني صايح فصاح بي صيحة اخرجني من الدنيا فمن كان عاقلا ممن جا بعدي فليعتبر

بي

وانشد :

يا واقفا برسم ربع قد دهي ، قف واعتبر ان كنت من اهل النهى ،
، بالامس كنا فوقها واليوم صرنا تحتها ، فلكل حد غاية ولكل امر منتهى ،

قال قام السلطان ابو بكر بن يحيى الحفصي صاحب تونس بطمة فطم العتري قال
مولفه رحمه الله وانا ادركت شيا من ذلك وهو انه رافع في بعض الايام طائفة من
الحجازين الى السلطان الملك الظاهر برقوق اعوام بضع وتسعين وسبعمائة وقد
اختلفوا على مال وجدوه بمال المقطم وهو انهم كانوا يقطعون الحجارة من مغار فيما يلي
قلعة الجبل من غربيها فانكشف لهم حجر اسود عليه كتابة فاجمعوا على قطع ما بين يدي
هذا الحجر طمعا في وجود مال فانتهى بهم القطع الى عمود عظيم قائم في قلب الجبل فلعظمه
اقتلوا معا ولهم عليه حتى نكسر قطعا فاذا هو مجوف وانسان قائم على قدميه بطوله
فتناولوا دنانيرا لهم من جبهة راسه دنانير كثيرة فاقتسموها فتنافسوا في قسمتها
واختلفوا حتى اشتهر امرهم وارتفعوا الى السلطان فبعث من كشف المغار فوجد
الحجر والعمود وقد نكسر فاخذ منهم ما وجد بايديهم من الدنانير ولم يجد من يعرف
ما كتب على الحجر وتسامع الناس بالخبر فاقبلوا الى المغار وعبثوا برمة الميت فاخبرني
من شاهد سنا من اسنان هذا الميت انه اسود بقدر الباذنجانة وان عظم ساقه فيما
من قدمه الى ركبته خمسة اذرع فيجي هذا من حساب عشرين ذراعا طوله وازيد
ودماغ سن واحدة من اسنانه في قدر الباذنجانة ما هو الا كالقبة الكبيرة واخبرني
السيد الشريف قاضي القضاة بدمشق شهاب الدين احمد بن علي بن ابراهيم الحسيني
المعروف بابن عدنان وبابن ابي الجن انه وقف في سنة اربع عشرة وثمانمائة بمقبرة
باب الصغير من دمشق على قبر ليدفن فيه ميت لهم فلما نبشوا القبر ولم يبق الا ان يدلى
فيه الميت انخسف وخرج من الخسف ذباب كبير كالزرق الالوان حتى كادت
تظلهم فنزل الحفار في الخسف فاذا قبر طوله اثنان وعشرون ذراعا وفيه بطوله
ميت قد صار كالرماد واخبرني ايضا انه شاهد بهذه المقبرة ضرس انسان وله
ثلث شعب وقد سقطت منه قطعة وهو في قدر البطيخة وانه وزن بحضرته فبلغ
رطلين وتسع اواقي بالرطل الشامي وان القطعة التي انكسرت منه نحو اوقيتين
بالشامي فيكون هذا اذن الضرس نحو اثني عشر رطلا بالمصري

ذكر طرف مما قيل في الاسكندرية قال عمر بن ابي عمر

الكندي اجمع الناس انه ليس في الدنيا مدينة على مدينة ثلث طبقات غير الاسكندرية
ولما دخل عبد العزيز بن مروان الاسكندرية سال رجلا من علماء الروم عنها وعن عدد
اهلها فقال والله ايها الامير ما ادرك علم هذا احد من الملوك والذي اخبرك كم كان
فيها من اليهود فان ملك الروم امر باحصائهم فكانوا اربعمائة الف قال فما هذا الخراب
الذي في اطرافها قال بلغني عن بعض ملوك فارس حين ملكوا مصر انه امر بفرض
دينار على كل محتلم لعمران الاسكندرية فاتاه كبرا اهلها وعلماهم وقالوا ايها الملك
لا تتعب فان الاسكندر اقام على بنائها ثلثمائة سنة وعمرت ثلثمائة سنة وانها لخراب
منذ ثلثمائة سنة ولقد اقام اهلها سبعون سنة لا يمشون فيها نهارا الا بخرق سود
في ايديهم خوفا على ابصارهم من شدة بياضها ومن فضائلها ما قال بعض المفسرين من
اهل العلم انها المدينة التي وصفها الله عز وجل في كتابه الكريم فقال ارم ذات العماد
التي لم يخلق مثلها في البلاد وقال احمد بن صالح قال لي سفين بن عيينة يا مصري اين
تسكن قلت اسكن الفسطاط فقال اتاتي الاسكندرية قلت نعم قال تلك كنانة الله
يجعل فيها خيار سهامه وقال عبد الله بن مرزوق الصدفي لما نعي لي ابن عمي خالد
بن يزيد الصدفي وكان توفي بالاسكندرية لقيني موسى بن علي بن رباح وعبد الله
بن لهيعة والليث بن سعد متفرقين كلهم يقول اليس مات بالاسكندرية فاقول نعم
فيقولون هو حي عند الله يرزق ويجري عليه اجر رباطه ما قامت الدنيا وله اجر
شهيد حتى يحشر على ذلك وقال الذين ينظرون في الاهوية والبلدان وتربة
الاقاليم والامصار انه لم تطل اعمار الناس في بلد من البلدان طولها بمريوط من كورة
الاسكندرية ووادي فرغان وقال ابو الحسن بن رضوان واما
الاسكندرية وتنيس واشباه هذه فقربها من البحر وسكون الحرارة والبرد عندهم
وظهور ريح الصبا فيهم مما يصلح امرهم ويرقق طباعهم ويرفع همتهم وليس يعرض لهم ما
يعرض لاهل الشمور من غلظ الطبع والحمارية وقد وصف اهل الاسكندرية بالبخل
قال جلال الدين مكرم بن ابي الحسن بن احمد بن حبقة الخزرجي ملك الحفاظ

تنزل سكندرية ليس ثغرا ... بغير الماء ولعب السراد
وتنحو حين يكرم بالهوا اللاثي ... والاشارة للمناد
وذكر البحر والامواج فيه ... ووصف مراكب الروم الكباد
فلا يطمع نزيلهم بخير ... فما فيها لذاك الحرف فاد

وقال

وقال ابن خرداذبه من الفسطاط الى ذات الساحل اربعة وعشرين ميلا ثم الى ترنوط
ثلثون ميلا ثم الى كوم شريك اثنان وعشرون ميلا ثم الى الرافقة اربعة وعشرون
ميلا على النيل ثم الى قرطسا ثلثون ميلا ثم الى الكريون اربعة وعشرون ميلا ثم الى
الاسكندرية اربعة وعشرون ميلا قال اخر وطريق الاسكندرية اذا انصب
ماء النيل ياخذ من المداين والضياع وذلك اذا اخذت من شطنوف الى شبك
العبيد فهو منزل فيه منية لطيفة وبينهما اثني عشر سفسا ومن شبك العبيد
الى مدينة منوف وهي كبيرة فيها حمامات واسواق وبها قوم سافهم يسار ووجوه
من الناس وبينهما ستة عشر سفسا ومن منوف الى محلة طرد وفيها منبر
وحمام وفنادق وسوق صالح ستة عشر سفسا ومن محلة صرد الى سخا وهي
مدينة كبيرة ذات حمامات واسواق وعمل واسع واقليم جليل له عامل بعسكره
وجند وبه الكتاب الكبير وذنب الفيح الى تموح عظيمة ستة عشر سفسا ومن
سخا الى شبرا كمية وهي مدينة كبيرة بها جامع واسواق وعامل كبير ستة عشر
سفسا ومن مسير الى سمنهود وهي مدينة اقليم كبير ولها حمامات واسواق وعامل
كبير ستة عشر سفسا ومن سمنهود الى النحوم وهو اقليم وبها حمامات وفنادق
واسواق ستة عشر سفسا ومن النحوم الى سنترا وكانت مدينة حسنة على بحيرة
الشمون عشرون سفسا ومن سنتراه الى البرلس وهي مدينة كبيرة الصيد
من البحيرة وبها حمامات عشر سفسات ومن البرلس الى اخنا وهي حصن على شط
بحر الملح عشر سفسات ومن اذما الى رشيد وهي مدينة على النيل ومنها مصب
النيل الى البحر من فوهة تعرف بالاشتوم وهي المدخل ثلثون سفسا وكان بها
اسواق صالحة وحمام ولها نخيل وضريبة على ما يحمل من الاسكندرية وهذه الطريق
الاخذ من شطنوف الى رشيد ربما امتنع سلوكه عند زيادة النيل والثياب
المنسوجة بالاسكندرية لا نظير لها وتحمل الى اقطار الارض وفي ثياب الاسكندرية
ما يباع الكتان منه اذا عملت ثيابا بانيال لها الشرب كل زنة درهم بدرهم فضة ومما
يدخل في الطرز يباع منظرو زنته مرات عدة

ذكر فتح الاسكندرية قال ابو عمر الكندي لما حاز المسلمون الحصن بما فيه
اجمع عمرو على المسير الى الاسكندرية فسار اليها في ربيع الاول سنة عشرين وقال
غيره بل سار في جمادى الاخرة منها وذكر يوسف بن عمران ان عمرو بن العاص بعث الى

الاسكندرية وهو على عين شمس عوف بن مالك فنزل عليها وبعث يقول لاهلها ان
شئتم ان تنزلوا فلكم الامان فقالوا نعم فراسلوهم وتربصوا اهل عين شمس وسار المسلمون
من بين ذلك وقال ابن عبد الحكم ويقال ان المقوقس انما صالح عمرو بن العاص على
الروم وهو محاصر الاسكندرية قال الليث بن سعد ان عمرو بن العاص لما فتح
الاسكندرية حاصر اهلها ثلثة اشهر والح عليهم وخافوه وساله المقوقس الصلح
عنهم كما صالحه على القبط على ان يستنظر راى الملك فحدثنا يزيد بن ابي حبيب ان مقوقس
الرومي الذي كان ملكا على مصر صالح عمرو بن العاص على ان يسير من الروم من
اراد المسير ويقر من اراد الاقامة من الروم على امر قد سماه فبلغ ذلك هرقل
ملك الروم فتسخطه اشد التسخط وانكره اشد الانكار وبعث الجيوش فاغلقوا
الاسكندرية واذنوا عمرا بالحرب فخرج اليه المقوقس فقال اسالك ثلثا
قال ما هن قال لا تبذل للروم ما بذلت لي فاني قد نصحت لهم فاستغشوني ولا تنقض
بالقبط فان النقض لم يات من قبلهم وان امرتني اذا مت فادفني في اي يحنس فقال
عمرو هذه اهون هن علينا قال فخرج عمرو بالمسلمين حين امكنهم الخروج وخرج معه جماعة
من رؤسا القبط وقد اصلحوا لهم الطرق واقاموا لهم الجسور والاسواق وصارت
لهم القبط اعوانا على ما ارادوا من قتال الروم وسمعت بذلك الروم فاستعدت واستجاشت
وقدمت عليهم مراكب كثيرة من ارض الروم فيها جمع من الروم عظيم بالعدة والسلاح
فخرج اليهم عمرو من الفسطاط متوجها الى الاسكندرية فلم يلق منهم احدا حتى
بلغ ترنوط فلقي بها طايفة من الروم فقاتلوه قتالا خفيفا فهزمهم الله تعالى ومضى
عمرو بمن معه حتى لقي جمع الروم بكوم شريك فاقتتلوا به ثلثة ايام ثم فتح الله على
المسلمين وولى الروم اكتافهم ويقال بل ارسل عمرو بن العاص شريك بن سمي
في آثارهم فادركهم عند الكوم الذي يقال له كوم شريك فقاتلهم شريك فهزمهم
وكان على مقدمة عمرو وعمرو بترنوط فالجوه الى الكوم فاعتصم به واحاطت الروم به
فلما راى ذلك شريك بن سمي امر ابا ناعمة مالك بن ناعمة الصدفي وهو صاحب الفرس
الاشقر الذي يقال له اشقر صدف وكان لا يجارى سرعة فانحط عليهم من الكوم
وطلبته الروم فلم تدركه حتى اتى الى عمرو فاخبره فاقبل عمرو متوجها وسمعت
به الروم فانصرفت ثم التقوا بسلطيس فاقتتلوا قتالا شديدا ثم هزمهم الله
تعالى ثم التقوا بالكريون فاقتتلوا بها بضعة عشر يوما وكان عبد الله بن عمرو

على

على المقدمة وحامل اللواء يومئذ وردان مولى عمرو فاصابت عبد الله بن عمرو جراحات
كثيرة فقال يا وردان لو تقهقرت قليلا لا تصيب الروح فقال وردان الروح تريد
الروح امامك وليس هو خلفك فتقدم عبد الله فجاءه رسول الله [?] يساله عن جراحه
فقال

شعر

اقول لها اذا جشات وجاشت　　رويدك تحمدي او تستريحي

هذا البيت لعمرو بن الاطنابة وهو ان رجلا من بني النجار كان يجاور معاذ بن النعمن
فقتل فقال معاذ لا اقتل به الا عمرو بن الاطنابة وهو يومئذ اشرف الخزرج
فقال عمرو

الا من مبلغ الاكفاء عني　　وقد تهدى النصيحة للنصيح
فانكم وما ترجون شطري　　من القول المرغى والصريح
سيندم بعضكم عجلا عليه　　وما اثر اللسان الى الجروح
ابت لي عفتي وابى بلائي　　واخذي الحمد بالثمن الربيح
واعطائي على المكروه مالي　　واقدامي على البطل المشيح
وقولي كلما جشات وجاشت　　رويدك تحمدي او تستريحي
لادفع عن ماثر صالحات　　واحمي بعد عن عرض صحيح
بذي شطب كلون الملح صاف　　ونفس لم تقر على القبيح

الشطب سعف النخل الاخضر الواحدة شطبة وجشات ارتفعت من حزن
او فزع وجاشت دارت للغثيان وتستعمل بمعنى ارتفع والمشيح البارد ه
المنكمش فرجع الرسول الى عمرو فاخبره بما قال فقال عمرو هو ابني حقا
وصلى عمرو يومئذ صلاة الخوف ثم فتح الله للمسلمين وقتل منهم المسلمون مقتلة
عظيمة واتبعوهم حتى بلغوا الاسكندرية فتحصن بها الروم وكانت عليهم
حصون مبنية لا ترام حصن دون حصن فنزل المسلمون ومعهم رؤسا القبط
يمدونهم بما احتاجوا اليه من الاطعمة والعلوفة واقام شهرين ثم تحرك فاخرجت
عليه الخيل من ناحية البحيرة مستترة بالحصن فواقعوه فقتل يومئذ من المسلمين
اثنا عشر رجلا وارسل ملك الروم يختلف الى الاسكندرية في المراكب بمادة الروم
وكان ملك الروم يقول لئن ظهرت العرب على الاسكندرية ان ذلك انقطاع
ملك الروم وهلاكهم لانه ليس للروم كنايس اعظم من كنايس الاسكندرية

وانما كان عيد الروم حين غلبت الروم والعرب على الاسكندرية فقال الملك لئن غلبونا على
الاسكندرية لقد هلكت الروم وانقطع ملكها فامر بجهازه ومصلحته لخروجه الى الاسكندرية
حتى يباشر قتالها بنفسه اعظاما لها وامر ان لا يتخلف عنه احد من الروم وقال ما
بقا الروم بعد الاسكندرية فلما فرغ من جهازه صرعه الله فاماته وكفى
المسلمين مؤنته وكان موته في سنة تسع عشرة فكسر الله بموته شوكة الروم
فرجع جمع كثير ممن كان قد توجه الى الاسكندرية وقال الليث مات هرقل في
سنة عشرين وفيها فتحت قيسارية الشام قال واستاسدت العرب عند
ذلك والحت بالقتال على اهل الاسكندرية فقاتلوهم قتالا شديدا فاخرج طرف
من الروم من باب حصن الاسكندرية فحملوا على الناس فقتلوا رجلا من مهرة واحتزوا
راسه ومضوا به فجعل المهريون يتغضبون ويقولون لا ندفنه ابدا الا براسه فقال عمرو
تتغضبون كانكم تتغضبون على من يبالي بغضبكم احملوا على القوم اذا خرجوا فاقتلوا
منهم رجلا ثم ارموا براسه يرموكم براس صاحبكم فخرجت الروم اليهم فاقتتلوا فقتل
من الروم رجل بطارقتهم فاحتزوا راسه ورموا به الروم فرمت الروم براس المهري
اليهم فقال دونكم الان فادفنوا صاحبكم وكان عمرو يقول ثلث قبائل من مصر اما
مهرة فقوم يقتلون ولا يقتلون واما غافق فقوم يقتلون ولا يقتلون واما
بلي فاكثرها رجلا صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وافضلها فارسا وقال رجل لعمرو
لو جعلت المنجنيق ورميتهم به لهدم منه حائطهم فقال عمرو واستطيع ان تغني مقامك
من الصف وقيل له ان العدو قد غشوك ونحن نخاف على ناحيتك يريدون ان [illegible] قال
اذا سجد وادنا لها كثيرة ولما استحر القتال بارز رجل من الروم مسلمة بن مخلد
فصرعه الرومي والقاه عن فرسه وهوا اليه ليقتله حتى حماه رجل من اصحابه وكان
مسلمة لا يقام لسبيله ولكنها مقادير ففرحت بذلك الروم وشق ذلك على المسلمين
وغضب عمرو بن العاص لذلك وكان مسلمة ثقيل اللحم كثير البدن فقال عمرو عند
ذلك ما بال الرجل المسته الذي يشبه النساء يتعرض مداخل الرجال ويتشبه بهم
فغضب من ذلك مسلمة ولم يراجعه ثم اشتد القتال حتى اقتحموا حصن
الاسكندرية فقاتلهم العرب في الحصن ثم جاشت عليهم الروم حتى اخرجوهم جميعا
من الحصن الا اربعة نفر بقوا في الحصن واغلقوا عليهم باب الحصن احدهم عمرو
بن العاص والاخر مسلمة ولم يحفظ الاخرين وحالوا بينهم وبين اصحابهم ولا يدري

الروم

الروم من هم فلما راى ذلك عمرو بن العاص واصحابه التجوا الى ديماس من حماماتهم فدخلوا فيه
فاحترزوا به فامروا روميا ان يكلمهم بالعربية فقال لهم انكم قد صرتم بايدينا اسارى فاستاسروا
ولا تقتلوا انفسكم فامتنعوا عليهم ثم قال لهم ان في ايدي اصحابكم منا رجالا اسروهم ونحن
نعطيكم العهود نفادي بكم اصحابنا ولا نقتلكم فابوا عليه فلما راى ذلك الرومي منهم قال
لهم هل لكم الى خصلة وهي نصف فان غلب صاحبنا صاحبكم استاسرتم لنا وامكنتمونا من
انفسكم وان غلب صاحبكم صاحبنا خلينا سبيلكم الى اصحابكم فرضوا بذلك وتعاهدوا
عليه وعمرو ومسلمة وصاحبهما في الحصن في الديماس فتداعوا الى البراز فبرز رجل من
الروم قد وثقت الروم بنجدته وشدته وقال ليبرز رجل منكم لصاحبنا فاراد عمرو ان
يبرز فمنعه مسلمة وقال ما هذا تخطي مرتين تشذ من اصحابك وانت امير وانما قوامهم
بك وقلوبهم معلقة نحوك لا يدرون ما امرك ولا ترضى حتى تبرز وتتعرض للقتل فان قتلت
كان ذلك بلاء على اصحابك مكانك وانا اكفيك ان شا الله تعالى فقال عمرو دونك فربما
فرجها الله بك فبرز مسلمة والرومي فتجاولا ساعة ثم اعانه الله عليه فقتله فكبر مسلمة
واصحابه ووفا لهم الروم بما عاهدوهم عليه ففتحوا لهم باب الحصن فخرجوا ولا تدري
الروم ان امير القوم فيهم حتى بلغهم بعد ذلك فاسفوا على ذلك واكلوا ايديهم تغيظا
على ما فاتهم فلما خرجوا استحيا عمرو مما كان قال لمسلمة حين غضب فقال عمرو عند
ذلك استغفر لي ما كنت قلت فاستغفر له وقال عمرو ما افحشت قط الا ثلث مرار
مرتين في الجاهلية وهذه الثالثة وما منهن مرة الا وقد ندمت واستحييت وما استحييت
من واحدة منهن اشد مما استحييت مما قلت لك والله اني لارجو ان لا اعود الى الرابعة
ما بقيت قال واقام عمرو يحاصر الاسكندرية اشهرا فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال ما ابطوا بالفتح الا لما احدثوا وكتب الى عمرو بن العاص اما بعد
فقد عجبت لابطايكم عن فتح مصر انكم تقاتلونهم منذ سنتين وما ذاك الا لما احدثتم
واحببتم من الدنيا ما احب عدوكم فان الله تبارك وتعالى لا ينصر قوما الا بصدق
نياتهم وقد كنت وجهت اليك اربعة نفر واعلمتك ان الرجل منهم مقام الف رجل على
ما كنت اعرف الا ان يكونوا غيرهم ما غير غيرهم فاذا اتاك كتابي هذا فاخطب الناس
وحضهم على قتال عدوهم ورغبهم في الصبر والنية وقدم اوليك الاربعة في صدور الناس
ومر الناس جميعا ان يكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد وليكن ذلك عند الزوال
يوم الجمعة فانها ساعة تنزل الرحمة ووقت الاجابة وليعج الناس الى الله ويسالوه النصر

الى الله ويسالونه النصر على عدوهم فلما اتى عمرو بن العاص الكتاب جمع الناس وقرا
عليهم كتاب عمر رضي الله عنه ثم دعا اوليك النفر فقدمهم امام الناس وامر الناس
ان يتطهروا ويصلوا ركعتين ثم يرغبوا الى الله عز وجل ويسالونه النصر ففعلوا ففتح
الله عليهم ويقال ان عمرو بن العاص استشار مسلمة بن مخلد فقال اشر علي في قتال
هولا فقال له مسلمة ارى ان تنظر الى رجل له معرفة وتجارب من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فتعقد له على الناس فيكون هو الذي يباشر القتال ويكفيه
فقال عمرو من ذلك قال عبادة بن الصامت فدعا عمرو عبادة فاتاه وهو راكب
على فرسه فلما دنا منه اراد النزول فقال له عمرو عزمت عليك ان نزلت ناولني سنان
رمحك فناوله اياه فنزع عمرو عمامته من راسه وعقد له وولاه قتال الروم فتقدم
عبادة مكانه فصاف الروم وقاتلهم ففتح الله على يديه الاسكندرية من يومه ذلك
وكان حصار الاسكندرية بعد موت هرقل بتسعة اشهر وخمسة اشهر قبل ذلك وفتحت
يوم الجمعة لمستهل المحرم سنة احدى وعشرين وقال ابو عمرو الكندي وحاصر عمرو
الاسكندرية ثلاثة اشهر ثم افتتحها عنوة وهو الفتح الاول ويقال بل فتحها عمرو
لمستهل سنة احدى وعشرين قال القضاعي عن الليث اقام عمرو بالاسكندرية
في حصارها وفتحها ستة اشهر ثم انتقل الى الفسطاط فاتخذها دارا في القعدة وقال
بن عبد الحكم فلما هزم الله تبارك وتعالى الروم وفتح الاسكندرية هرب الروم
في البر والبحر فخلف عمرو بالاسكندرية الف رجل من اصحابه ومضى ومن معه في طلب
من هرب من الروم في البر فرجع من كان هرب من الروم في البحر الى الاسكندرية فقتلوا
من كان فيها من المسلمين الا من هرب منهم وبلغ ذلك عمرو فكر راجعا ففتحها واقام بها
وكتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان الله تعالى قد فتح علينا الاسكندرية عنوة بغير
عهد ولا عقد فكتب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقبح رايه ويامره ان لا يجاوزها
قال بن لهيعة وهو فتح الاسكندرية الثاني وكان سبب فتحها ان رجلا يقال له
بن بسامة كان بوابا وكان سبب فتحها هذا ان رجلا هذا يقال له ابن بسامة كان
بوابا فسال عمرو بن العاص ان يومنه على نفسه وارضه واهل بيته ويفتح له الباب
فاجابه عمر الى ذلك ففتح له بن بسامة الباب فدخل عمرو وتل من جز كان
من امر الاسكندرية ما كان الى ان فتحت اثنا وعشرون رجلا وبعث عمرو بن العاص
معوية بن حديج وافدا الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يبشره بالفتح فقال له
معوية

معوية ان لا تكتب معي فقال له عمرو وما اصنع بالكتاب الست رجلا عربيا تبلغ الرسالة
وما رايت وحضرت فلما قدم على عمر اخبره بفتح الاسكندرية فخر عمر ساجدا لله تعالى
وقال الحمد لله وقال معوية بن حديج بعثني عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب رضي
الله عنه بفتح الاسكندرية فقدمت المدينة في الظهيرة فانخت راحلتي بباب المسجد
ثم دخلت المسجد فبينا انا قاعد فيه اذ خرجت جارية من منزل عمر بن الخطاب رضي الله
عنه فراتني شاحبا علي ثياب السفر فاتتني فقالت من انت فقلت انا معوية بن حديج
رسول عمرو بن العاص فانصرفت عني ثم اقبلت تشتد اسمع حفيف ازارها على ساقها
حتى دنت مني فقالت قم فاجب امير المومنين يدعوك فتبعتها فلما دخلت اذا بعمر
يتناول رداءه باحدى يديه ويشد ازاره بالاخرى فقال ما عندك فقلت خير يا
امير المومنين فتح الله الاسكندرية فخرج معي الى المسجد فقال للموذن اذن في الناس
الصلاة جامعة فاجتمع الناس ثم قال لي قم فاخبر اصحابك فقمت فاخبرتهم ثم صلى
ودخل منزله واستقبل القبلة فدعا بدعوات ثم جلس فقال يا جارية هل من
طعام فاتت بخبز وزيت فقال كل فاكلت على حيا ثم قال كل فان المسافر يحب الطعام
فلو كنت اكلا لاكلت معك فاصبت على حيا ثم قال يا جارية هل من تمر فاتت بتمر
في طبق فقال كل فاكلت على حيا ثم قال ماذا قلت يا معوية حين اتيت المسجد قال
قلت امير المومنين قايل قال بيس ما قلت او بيس ما ظننت لين نمت بالنهار
لاضيعن الرعية ولين نمت الليل لاضيعن نفسي فكيف بالنوم مع هاذين يا
معوية ثم كتب عمرو بن العاص بعد ذلك الى عمر بن الخطاب اما بعد فاني فتحت
مدينة لا اصف ما فيها غير اني اصبت فيها اربعة الاف منية باربعة الاف حمام
واربعين الف يهودي عليهم الجزية واربعماية ملهى للملوك وعن ابي قبيل ان عمرا
لما فتح الاسكندرية وجد فيها اثني عشر الف بقال يبيعون البقل الاخضر وترحل من
الاسكندرية في الليلة التي دخلها عمرو او في الليلة التي خافوا فيها دخول عمرو سبعون
الف يهودي وكان بالاسكندرية فيما احصي من الحمامات اثني عشر ديماسا اصغر
ديماس منها يسع الف مجلس كل مجلس يسع جماعة نفر وكان عدة من بالاسكندرية
من الروم مايتي الف من الرجال فلحق بارض الروم اهل القوة وركبوا السفن وكان
بها ماية مركب من المراكب الكبار يحمل فيها ثلاثون الف مع ما قدروا عليه من المال
والمتاع والاهل وبقي من بقي من الاسارى من بلغ الخراج فاحصي يوميذ ستماية

الف سوى النساء والصبيان فاختلف الناس على عمرو في قسمتهم وكان اكثر الناس
يريدون قسمها فقال عمرو لا اقدر على قسمها حتى اكتب الى امير المؤمنين فكتب اليه
يعلمه بفتحها وشأنها ويعلمه ان المسلمين طلبوا قسمها فكتب اليه عمر لا تقسمها وذرهم
يكون خراجهم فيئا للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم فاقرها عمرو واحصى اهلها وفرض
عليهم الخراج وكانت مصر صلحا كلها بفريضة دينارين دينارين على كل رجل لا يزاد على
احد منهم في جزية راسه بفريضة دينارين دينارين الا انه يلزمه بقدر ما
يتوسع فيه من الارض والزرع الا الاسكندرية فانهم كانوا يؤدون الخراج والجزية
على قدر ما يرى من وليهم لان الاسكندرية فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد ولم يكن
لهم صلح ولا ذمة وقد كانت قرى من قرى مصر قاتلت فسبوا منها قرية يقال لها
بلهيب وقرية يقال لها الخيس وقرية يقال لها سلطيس فوقع سباياهم بالمدينة
وغيرها فردهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى قراهم وصيرهم وجماعة القبط
اهل ذمة وعن يزيد بن ابي حبيب ان عمرا سبا اهل بلهيب وسلطيس وقرطسا
وسخا فتفرقوا وبلغ اولهم المدينة حين نقضوا ثم كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الى عمرو ان يردهم فرد من وجد منهم وفي رواية ان عمر بن الخطاب كتب الى اهل
سلطيس خاصة من كان منهم في ايديكم فخيروه بين الاسلام فان اسلم فهو من المسلمين له
ما لهم وعليه ما عليهم وان اختار دينه فخلوا بينه وبين قريته فكان البلهيبي خير يومئذ
فاختار الاسلام وفي رواية ان اهل سلطيس ومصيل وبلهيب ظاهروا الروم
على المسلمين في جمع كان لهم فلما ظهر عليهم المسلمون استحلوهم وقالوا هؤلاء
لنا فيء مع الاسكندرية فكتب عمرو الى عمر بن الخطاب بذلك فكتب اليه عمر ان
يجعل الاسكندرية وهؤلاء الثلث قريات ذمة للمسلمين ويضربوا عليهم الخراج ويكون
خراجهم وما صالح عليه القبط قوة للمسلمين على عدوهم ولا يجعلوا فيئا ولا عبيدا ففعلوا
ذلك ويقال انما ردهم عمر رضي الله عنه لعهد كان تقدم لهم وقال ابن لهيعة جبا عمرو
جزية الاسكندرية ستمائة الف دينار لانه وجد بها ثلثمائة الف من اهل الذمة فقدر عليهم
دينارين دينارين فبلغت ذلك وقيل كانت جزية الاسكندرية ثمانية عشر الف دينار
فلما كانت خلافة هشام بن عبد الملك بلغت ستة وثلثين الف دينار ويقال ان عمرو
بن العاص استبقى اهل الاسكندرية فلم يقتل ولم يسب بل جعلهم ذمة كاهل النوبة

ذكر ما كان من فعل المسلمين بالاسكندرية وانتقاض الروم بها

بن

بن عبد الحكم فاما الاسكندرية فلم يكن بها خطط وانما كانت اخائذ من اخذ منزلا نزل فيه
هو وبنو ابيه وان عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية اقبل هو وعبادة بن الصامت
حتى علوا الكوم الذي فيه مسجد عمرو بن العاص فقال معوية بن حديج ننزل فنزل
عمرو القصر ونزل ابو ذر منزلا كان غربي المصلى الذي عند مسجد عمرو مما يلي البحر وقد
انهدم ونزل معوية بن حديج فوق التل وضرب عبادة بن الصامت خباء فلم يزل فيه حتى
خرج من الاسكندرية ويقال ان ابا الدرداء كان معه والله اعلم قال فلما استقامت
لهم البلاد قطع عمرو بن العاص من اصحابه لرباط الاسكندرية ربع الناس وربع
في السواحل والنصف مقيمون معه وكان يضبر بالاسكندرية خاصة الربع في
الصيف بقدر ستة اشهر ويعقب بعدهم شاتية ستة اشهر وكان لكل عريف قصر
ينزل فيه بمن معه من اصحابه واتخذوا فيها اخائذ وعن يزيد بن ابي حبيب ان المسلمين لما
سكنوا الاسكندرية في رباطهم ثم قفلوا ثم غزوا ابتدروا فكان الرجل ياتي المنزل
الذي كان صاحبه فيه قبل ذلك فيبتدره فيسكنه فلما غزا اتى عمرا فقال اني اخاف ان تخربوا
المنازل اذ كنتم تتعاورونها فلما كان عند الكريون قال لهم سيروا على بركة الله فمن
ركز منكم رمحه في دار فهي له ولبني ابيه فكان الرجل يدخل الدار فيركز رمحه في منزل
منها ثم ياتي الآخر فيركز رمحه في بعض بيوت الدار فكانت الدار تكون لقبيلتين وثلث
وكانوا يسكنونها حتى اذا قفلوا سكنها الروم وعليهم مرمتها وكان يزيد بن ابي حبيب
يقول لا يحل من كرائها شيء ولا تباع ولا تورث منها شيء انما كانت لهم يسكنونها في رباطهم
وعن ابن ابي حبيب ان عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية ورأى بيوتها وبناءها
مفروغا منها هم ان يسكنها وقال مساكن قد كفيناها فكتب الى عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يستاذنه في ذلك فسأل عمر الرسول هل يحول بيني وبين المسلمين ماء قال
نعم يا امير المؤمنين اذا جرى النيل فكتب عمر الى عمرو اني لا احب ان تنزل بالمسلمين منزلا
يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف فتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية الى
الفسطاط قال وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى سعد بن ابي وقاص وهو
نازل بمداين كسرى والى عامله بالبصرة والى عمرو بن العاص وهو نازل
بالاسكندرية ان لا تجعلوا بيني وبينكم ماء متى ما اردت ان اركب اليكم راحلتي حتى اقدم
عليكم قدمت فتحول سعد بن ابي وقاص من مداين كسرى الى الكوفة وتحول صاحب
البصرة من المكان الذي كان ينزل فيه بالبصرة وتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية

الى الفسطاط وكان عمر بن الخطاب يبعث في كل سنة من اهل المدينة غازية ترابط بالاسكندرية
وكانت على الولاة لا تغفلها ولا يامن الروم عليها وكتب عثمن رضي الله عنه الى عبد الله بن
ابي سرح قد علمت كيف كان هم امير المومنين بالاسكندرية وقد نقضت الروم مرتين
فالزم الاسكندرية رابطتها ثم اجر عليهم ارزاقهم واعقب بينهم في كل ستة اشهر قال
وقد كانت الاسكندرية انتقضت وجاءت الروم عليهم منويل الخصي في المراكب حتى
ارسوا بالاسكندرية فاجابهم من بها من الروم ولم يكن المقوقس تحرك ولا نكث وقد
كان عثمن رضي الله عنه عزل عمرو بن العاص وولى عبد الله بن ابي سرح فلما نزلت
الروم سال اهل مصر عثمن ان يقر عمرا حتى يفرغ من قتال الروم فان له معرفة في
الحرب وهيبة في العدو ففعل وكان على الاسكندرية سورها فحلف عمرو بن العاص
لئن اظفره الله عليهم ليهدمن سورها حتى يكون مثل بيت الزانية توتى من كل
مكان فخرج اليهم عمرو في البر والبحر وضوا الى المقوقس من اطاعه من القبط فاما
الروم فلم يطعه منهم احد فقال خارجة بن حذافة لعمرو ناهضهم قبل ان يكثر مددهم
ولا امن ان تنتقض مصر كلها فقال عمرو لا ولكن ادعهم حتى يسيروا الي فانهم يصيبون
من مروا به فيخزي الله بعضهم ببعض فخرجوا من الاسكندرية ومعهم من نقض من
اهل القرى فجعلوا ينزلون القرى فيشربون خمورها وياكلون اطعمتها وينتهبون
ما مروا به فلم يعرض لهم عمرو حتى بلغوا نقيوس فلقوهم في البر والبحر فبدات الروم
القبط فرموا بالنشاب في الماء رميا شديدا حتى اصابت النشاب يوميذ فرس عمرو
في لبته وهو في البر فعقر فنزل عنه عمرو ثم خرجوا من البحر فاجتمعوا هم والذين في
البر فنضحوا المسلمين بالنشاب فاستاخر المسلمون عنهم شيئا وحملوا على المسلمين حملة ولى المسلمون منها
وانهزم شريك بن سمي في خيله وكانت الروم قد جعلت صفوفا خلف صفوف وبرز
يوميذ بطريق ممن جاء من ارض الروم على فرس له عليه سلاح مذهب فدعا الى البراز
فبرز اليه رجل من زبيد يقال له حومل يكنى ابا مذحج فاقتتلا طويلا برمحين يتطاردان
ثم القى البطريق الرمح واخذ السيف والقى حومل رمحه واخذ سيفه وكان يعرف
بالنجدة وجعل عمرو يصيح ابا مذحج فيجيبه لبيك والناس على شاطئ النيل في البر على تعبيتهم
وصفوفهم فتجاولا ساعة بالسيفين ثم حمل عليه البطريق فاحتمله وكان نحيفا ويخترط
حومل خنجرا كان في منطقته او ذراعه فضرب به نحر العلج او ترقوته فاثبته ووقع
عليه فاخذ سلبه ثم مات حومل بعد ذلك بايام رحمه الله عليه فروي عمرو يحمل

سريره

سريره من عمودي نعشه حتى دفنه بالمقطم ثم شد المسلمون عليهم فكانت هزيمتهم
فطلبهم المسلمون حتى الحقوهم بالاسكندرية ففتح الله عليهم وقتل منويل الخصي
وقتلهم عمرو حتى امعن في مدينتهم فكلم في ذلك فامر برفع السيف عنهم وبنى في ذلك
الموضع الذي رفع فيه السيف مسجدا وهو المسجد الذي بالاسكندرية الذي يقال
له مسجد الرحمة سمي بذلك لرفع عمرو السيف هنالك وهدم سورها كله وجمع ما اصاب
منهم فجاءه اهل تلك القرى ممن لم يكن نقض فقالوا قد كنا على صلحنا وقد مر علينا هولاء
اللصوص فاخذوا متاعنا ودوابنا وهو قايم في يديك فرد عليهم عمرو ما كان لهم من
متاع عرفوه واقاموا عليه البينة فقال بعضهم لعمرو ما حل لك ما صنعت بنا كان
لنا ان تقاتل عنا لانا في ذمتك ولم ننقض فاما من نقض فابعده الله فندم عمرو فقال
يا ليتني كنت لقيتهم حين خرجوا من الاسكندرية وكان سبب نقض الاسكندرية هذا
ان طلما صاحب اخنا قدم على عمرو فقال اخبرنا ما على احدنا من الجزية فنصبر لها فقال
عمرو وهو يشير الى ركن كنيسة لو اعطيتني من الركن الى السقف ما اخبرتك انما انتم
خزانة لنا ان كثر علينا كثرنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم فغضب صاحب اخنا
وخرج الى الروم فقدم بهم فهزمهم الله تعالى واسر فاتي به الى عمرو فقال له
الناس اقتله فقال لا بل انطلق فجينا بجيش اخر فسوره وتوجه وكساه برنس ارجوان
فرضي باداء الجزية فقيل له لو اتيت ملك الروم فقال لو اتيته لقتلني وقال قتلت
اصحابي وعن ابي قبيل ان عتبة بن ابي سفين عقد لعلقمة بن يزيد الغطيفي على
الاسكندرية وبعث معه اثني عشر الفا فكتب علقمة الى معوية بن ابي سفين يشكو ا
عتبة حين غيره ومن معه فكتب اليه معوية اني قد امددتك بعشرة الاف من اهل الشام
وبخمسة الاف من اهل المدينة فكان في الاسكندرية سبعة وعشرون الفا وفي رواية
ان علقمة بن ابي يزيد كان على الاسكندرية ومعه اثني عشر الفا فكتب الى معوية انك
خلفتني بالاسكندرية وليس معي الا اثنا عشر الفا ما يكاد يرى بعضنا بعضا من القلة فكتب
اليه معوية اني قد امددتك بعبد الله بن مطيع في اربعة الاف من اهل المدينة وامرت
معوية بن يزيد السلمي ان يكون بالرملة في اربعة الاف ممسكين باعنة خيولهم متى
يبلغهم عنك فزع يعبروا اليك قال ابن لهيعة وكان عمرو بن العاص يقول ولاية
مصر جامعة تعدل الخلافة وكان عمرو حين توجه الى الاسكندرية خرب القرية
التي تعرف اليوم بخربة وردان واختلف علينا السبب الذي خربت له فحدثنا

سعيد بن عفير ان عمرو لما توجه الى نقيوس لقتال الروم عدل وردان لقضاء حاجته عند
الصبح فاختطفه اهل الخربة فغيبوه ففقده عمرو وسال عنه وقفا اثره فوجده في بعض
دورهم فامر باخرابها واخراجهم منها وقيل كان اهل الخربة رهبانا كلهم فغدروا بقوم من
ساقة عمرو فقتلوهم بعد ان بلغ عمرو الكريون فاقام عمرو ووجه اليهم وردان فقتلهم
وخربها فهي خراب الى اليوم وقيل كان اهل الخربة اهل توثب وخبث فارسل عمرو الى ارضهم
فاخذ له منها جراب فيه تراب من ترابها ثم دعاهم فكلمهم فلم يجيبوه الى شي فامر باخراجهم
ثم امر بالتراب ففرش تحت مصلاه فقعد عليه ثم دعاهم فكلمهم فاجابوه الى ما احب
ثم امر بالتراب فرفع ثم دعاهم فلم يجيبوه الى شي ففعل ذلك مرارا فلما راى عمرو ذلك
قال هذه بلدة لا تصلح الا ان توطا فامر باخراجها فلما هزم الله الروم اراد عثمن رضي
الله عمرو بن العاص ان يكون على الحرب وعبد الله بن سعد على الخراج فقال عمرو
انا اذا كماسك البقرة بقرنيها وآخر يحلبها فابى عمرو وكان فتح عمرو هذا عنوة قسرا في خلافة
عثمن رضي الله عنه سنة خمس وعشرين وبينه وبين الفتح الاول اربع سنين
وقال الليث كان فتح الاسكندرية الاول سنة اثنين وعشرين وكان فتحها الآخر
سنة خمس وعشرين واقامت الحبش من البيما يقاتلون الناس سبع سنين بعد فتح
مصر بما يتحصنون عليهم من تلك المياه والغياض قال ثم غزا عبد الله بن ابي سرح
ذا الصواري في سنة اربع وثلثين وكان من حديث هذه الغزوة ان عبد الله
بن سعد لما نزل ذا الصواري انزل نصف الناس مع بسر بن ارطاة في البر فلما مضوا اتى
آت الى عبد الله بن سعد فقال ما كنت فاعلا حين ينزل بك ابن هرقل في الف مركب فافعله
الساعة وكانت مراكب المسلمين يومئذ مائتي مركب ونيفا فقام عبد الله بن سعد بين
ظهراني الناس فقال قد بلغني ان ابن هرقل قد اقبل اليكم في الف مركب فاشيروا
علي فما كلمه رجل من المسلمين فجلس قليلا ليرجع اليهم افئدتهم ثم قام الثانية فكلمهم
فما كلمه احد فجلس ثم قام الثالثة فقال انه لم يبق شي فاشيروا علي فقام رجل من
اهل المدينة كان متطوعا مع عبد الله بن سعد فقال ايها الامير ان الله جل
ثناؤه يقول كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين
فقال عبد الله اركبوا فركبوا وانما في كل مركب نصف شحنته قد خرج النصف الآخر
الى البر مع بسر فلقوهم فاقتتلوا بالنبل والنشاب وتاخر ابن هرقل لئلا تصيبه
الهزيمة وجعلت القوارب تختلف اليه بالاخبار فقال ما فعلوا قالوا قد اقتتلوا
بالنبل

بالنبل والنشاب فقال غلبت الروم ثم اتوه فقال ما فعلوا قالوا قد نفدت الحجارة وربطوا
المراكب بعضها ببعض يقتتلون بالسيوف قال غلبت الروم وكانت السفن اذ ذاك تقرن
بالسلاسل عند القتال قال فقرن مركب عبد الله يومئذ وهو الامير بمركب من مراكب
العدو وكاد مركب العدو يجتر مركب عبد الله اليهم فقام علقمة بن يزيد الغطيفي وكان
مع عبد الله بن سعد في المركب فضرب السلسلة بسيفه فقطعها فسال عبد الله امراته
بعد ذلك بسيسة ابنة حمزة بن يشرح وكانت مع عبد الله يومئذ وكان الناس
يغزون بنسائهم في المراكب من رايت اشد قتالا قالت علقمة صاحب السلسلة وكان عبد
الله قد خطب بسيسة الى ابيها فقال له ان علقمة قد خطبها وله علي فيها وأي وان
تركها فعل وكلم عبد الله علقمة فتركها فتزوجها عبد الله بن سعد ثم هلك عنها
عبد الله فتزوجها بعده علقمة بن يزيد ثم هلك عنها علقمة فتزوجها بعده كريب بن ابرهة
وماتت تحته وقيل مشت الروم الى قسطنطين بن هرقل في سنة خمس وثلثين
فقالوا اتترك الاسكندرية في ايدي العرب وهي مدينتنا الكبرى فقال ما اصنع بكم
ما تقدرون ان تملكوا ساعة اذا لقيتم العرب قالوا فاخرج على انا نموت فتبايعوا على
ذلك فخرج في الف مركب يريد الاسكندرية فسار في ايام غالبة من الريح فبعث الله
عليهم ريحا فغرقتهم الا قسطنطين نجا بمركبه فالقته الريح بصقلية فسالوه عن
امره فاخبرهم فقالوا شمت النصرانية وافنيت رجالها لو دخلها العرب علينا لم نجد من
يردهم فقال خرجنا مقتدرين فاصابنا هذا فصنعوا له الحمام ودخلوا عليه فقال
ويلكم تذهب رجالكم وتقتلون ملككم قالوا كانه غرق معهم ثم قتلوه وخلوا من
كان معه في المراكب قال ابو عمرو الكندي انما سميت غزوة ذا الصواري لكثرة
صواري المراكب واجتماعها والله اعلم

ذكر بحيرة الاسكندرية

قال بن عبد الحكم كانت بحيرة الاسكندرية كرما كلها لامراة المقوقس
فكانت تاخذ خراجها منهم الخمر بفريضة عليهم فكثر عليها الخمر حتى ضاقت ذرعا فقالت
لا حاجة لي في الخمر اعطوني دنانير فقالوا ليس عندنا فارسلت عليهم الماء فغرقتها
فصارت بحيرة يصاد فيها الحيتان حتى استخرجها الخلفاء من بني العباس فسدوا
ذروعها وجسورها ثم زرعوها ثم صارت بحيرة طولها ابلاغ يوم في عرض يوم
ويصير الماء المالح المستمد من البحر الرومي ويخرج منها الى بحيرة دونها في خليج

عليه مدينتان احداهما الجديده والاخرى اتكو وهي كثيرة المغاني والنخل وكلها في الرمل وينصب
في هذه البحيرة خليج من النيل يسمى الحافر طوله نصف يوم املاعا وهو كثير الطير والسمك
والعشب وكان السمك موجود هذه البحيره في الاسكندريه غاية في الكثرة يباع
باقل القيم واخس الاثمان ثم انقطع الماء عن هذه البحيرة منذ ط

ذكر خليج الاسكندرية

يقال ان كلوبطره الملكه هي التي ساقت خليج الاسكندريه حتى ادخلته اليها ولم
يكن يبلغها الماء فحفرته حتى ادخلته الاسكندريه وبلطت قاعته بالرخام من اوله الى
اخره ولم يزل يوجد ذلك منه قال ابو الحسن المخزومي في كتاب المنهاج اما خليج
الاسكندريه فانه من فوهة الخليج الى ترعة بوودة وليس على شي منها بحر سد بو
سجوح محلة سوك اسنيه او دين محله فرنوا البحله حسن منية طراد ونعرف
بالقاعة بحلنا نصر ومسروق فاما ترعة تفانه فانها تفتح بعد سبعة ايام من توت
والترعة الجديدة تفتح في السادس عشر من توت وترعة بوودة تفتح بعد سبعة
ايام من توت وترعة بو يحيى وترعة بو السيحا وترعة القهوقيه ليس على شي من
ذلك سد وترعة الشراك تفتح بعد تسعة ايام من توت وترعة حزاسة تصح
وترعة التريبط تشرب منها دبسو وسمخراط وسرسوسه ومنية حماد ومسياده وبعض
محله ماديه وترعة فيشه الحا تفتح في ثاني عشر توت وجرت العادة بان تفتح في
النوروز وترعة بوسط وتقطع سمد نسه تفتح في الثاني والعشرين من توت ومقطع
باطس تفتح في تاسع عشر توت ولما سد المقطع المذكور عملت بعد ذلك ترعة
تروكي الصفقه القبلية منها تفتح في يوم النوروز ولما استجدت ترعة افلاقه
وحرجت في ارض باطس جرت العادة اذا اخرت رويت الصفقه القبلية من افلاقه
تفتح الترعة المذكورة على القسم البحري من باطس الى انتروكي وترعة الفادو ة
محدثه وترعة نفرها تفتح في ثاني عشر توت وترعة افلاقة تفتح في عاشر توت وترعة
اسكندريه تفتح في سادس توت تراع بحر دمنهور تفتح في العشرين من مسرى الى
سادس توت وتروى منه بعض طاموس وبعض كنيسة الغبط وبعض قرطبسا ودمنهور
ترعة الفواديس منها شرب شبرا النخله وكوم البلتون وتراع شبرا النخله تفتح
على اعالمه من اول توت وترعة بسطرا تفتح خامس عشر مسرى وترعة تنبل تفتح في
ثامن توت وترعة سستوبه تفتح في ثامن عشر توت وبحر دمشوبه يفتح في العشرين
من مسرى

من مسرى ومنه تشرب منية زرقون وسنوط وكرداسه ودمشوبه ومحله الشيخ ومصيل
وترعة دمشوبه تفتح في تاسع توت ويقيم الماء عليها سبعة عشر يوما وتفتح الى محله الشيخ
ومصيل يقيم الماء عليها بلبين يوما وتسد بعد ذلك سبعة ايام وعلى سنفط ومنية زرقون
ترعة برسيق كانت تفتح في اول توت محله برسيق ليس عليها سد محله الكروم تفتح في ثامن
توت ومنها تشرب عدة اماكن وهي محله الكروم وكفورها وهي دنيسه وكوم الولايد وكوم
الصحن ودير امس والصفا صف وما خرج عن كفورها وهي بلسنا والحلمون من حقوق
محله كمل ومنها شرب الجهة الغربية سنرابار وليس عليها سد والسراجي ليس عليها سد
وترعة قافلة كانت تفتح في ثامن توت وليس عليها الان سد وترعة بلقطر وكفورها
كانت تفتح في تاسع توت وليس عليها الان سد ترعة الراهب ليس عليها سد وترعة دسونس
المفاديمي تسقي الحلفايه وتفتح في ثامن توت وكذلك ترعة مرجا والمعلقه وترعة
سيلانه وتسقي واخر تراع الحجيه وترعة الكريون تفتح في ثامن توت وترعة السلمون
كانت تفتح في ثامن توت وليس عليها الان سد وترعة ادمياخ تفتح في ثاني عشر توت وترعة
البلوق تفتح في سادس توت واما جوف دمسيس فانه بحر دمسيس كان نصر السد فيه
على تراع دمسيس من اول النيل الى سابع عشر توت والذي يشرب على السد المذكور من
النواحي والكفور دمسيس ومحله حفر وقلشان وبعض ابنية النشدى وبعض حزبنا
وبعض البلكوس وبعض محلة واقد والبيضا وبعض طيلاس ثم تفتح على سد دكوكه
وهو محدث يقيم الماء عليه عشرة ايام ويشرب منه دكدوكه ومحله سحن ومنية ابناي
وبعض صفنده ثم تقطع على سد الخطابي ومنه تشرب بعض جنوبيه وبلبانه البحريه
والنشره وابوا حماد والهوطة ثم تقطع سد دسوس وابوا دبنار وترعة طيربيه تشرب
منه دنشال وطلموس يقيم عليها الماء ستة ايام ومنه تشرب منية عطيه وسلطيس
واما بحر دمنهور فانه يسد على سلطيس الى سابع عشر توت ومنه تشرب سلطيس
وزهرا وبعض طاموس وبعض قرطسا وبعض كنيسة الغبط ودمنهور ثم تقطع سد
ندبيه وهو محدث يقيم ثمانية ايام ومنه تشرب ندبيه ودفرس والحميريه والنشرت
ثم تفتح ويسد على محله حفص ومحله كيل ومحله نمير ثم تقطع على سد سلطيس وهو محدث
فيقيم عشرة ايام بعد اختلاط الماءين بحر دمنهور ودمسيس ثم تقطع على جسر ملوكه ومنه
شرب بروحه وادسيس والمواسي وغابة الاعناس وبعض سمدوا ومحله نمير وسقي هناك
الى انقضا النيل واما ترعة طيربيه فهي محدثه واذا رويت طيربيه تطلق على دسونس

ام دينار ثم ينقطع على طاموس بمقدار دهليز يطلق في النيل العالي على ارض قرافش وتطلق الما على
قرطسا وكنيسة الغيط وخليج الطيرية اذا خرج الما منه يسقي منه في اول النيل والى ان ينصرف جسر
شبرا وسيم ويسقي منه شبراوسيم وبعض السلكوس وجزيرة الزعفراني وبعض بولين ومسجد
غانم والصواف ولوم شريك ومنيه بختيس وتل الغطاس ومحلة وراقد ثم ينقطع على جسر
دليجه ومنه يشرب بعض خربتا وبعض تليشان وبعض بولين والبيضا ودسنت وبلبانه
الابواج وتل بقا والخدين والبهوديه وابسوم وابو اصياده والحصن وبلاوة وبني عبيد وطوخ
دحابه ودرشابة وسنغرا ودليجه وقيحه وطيبه ثم ينقطع على منية دزدانه الخزرا والخرزن
وبعض حادس وافرم وابو اسمار ودوام الصبروع خليج بن دلوم ويعرف بخليج بن طلوم ويسد
مخرج النقيدي لا ينتح الى عشرة ايام من توت ومنه يشرب شابور وكنيسة مبارك وبعض
سرسيقه وبعض دموسه ومنة بريد وحوض الماصلي وحصة سلمون وبعض سنبت
وبعض النقيدي وبعض تليشان ثم ينتح ويشرب منه املبط وبعض ابناي وبعض كنيسة
عبد الملك وبعض ادمينه ومبيستا وبعض محلة عبيد وسنباط خالد الى ان يكمل شرب
سنباط فينقطع حينئذ جسر سنباط ويشرب من خليج الاسكندرية وما يفيض منه اهل
الباطن واهل البحيرة في نجاح وادويه فيكون ذلك لما اصله وهم فيه من زيادته ولرحانه
وبني نزال وقبايل البربر يرعون عليه فيسقون في نهم الخراج ومن مشارق الغرما من ناحية
جرجير وفاقوس وبين احرما يشرب من خليج الاسكندرية نحو من شهر كان عامرا كله في محلول
ومعقود الى بعد الخمسين والثمانماية من سني الهجرة وقد خرب معظم ذلك وقال ابو بكر الطرطوشي
عمن حدثه من مشايخ الجزيرة قال شاهدت الاسكندرية والصيد في الخليج مطلق للرعية
والسمك فيه يعلو الماء كثرة فيصيده الاطفال بالخرق ثم حجره الوالي ومنع الناس من
صيده فذهب حتى لا يكاد يرى فيه الا الواحد بعد الواحد الى يومنا هذا وقال ابو
عمرو الكندي في كتاب الموالي عن الحرث بن مسكين انه تقلد قضا مصر من قبل امير المؤمنين
الواثق بالله في سنة سبع وثلثين ومائتين فذكر سيرته قال وحفر خليج الاسكندرية وورد
الكتاب بصرفه في ربيع الاخر سنة خمس واربعين ومائتين وقال جامع السيرة الطولونية
وفي ربيع الاول سنة تسع وخمسين ومائتين امر احمد بن طولون بحفر خليج الاسكندرية
قال المسعودي وقد كان النيل انقطع عن بلاد الاسكندرية قبل سنة اثني وثلثمايه
وقد كان الاسكندر بنا الاسكندرية على هذا الخليج من النيل وكان عليه عظم ما النيل
وكان يسقي الاسكندرية وبلاد مريوط في نهاية العمارة والجنان المتصلة بارض برقة وقد
كانت

وكانت السفن تجري في النيل وتصل باسواق الاسكندرية وقد بلط ارض خليجها في المدينة
بالاحجار والمرمر وانقطع الما عنها لعوارض سدت خليجها ومنعت الناس دخوله فصار
شربهم من الابار وصار النيل على يوم منهم وذكر المسبحي ان الحاكم بامر الله ابا علي منصور
بن العزيز اطلق لحفر خليج الاسكندرية في سنة اربع واربعماية خمسة عشر الف دينار
فحفر كله وفي سنة اثنين وستين وستماية بعث الملك الظاهر بيبرس بالامير علي
امير جاندار لحفر خليج الاسكندرية وقد امتلات فوهته بالطين وقل الما في الاسكندرية
فابتدا بالحفر من النقيدي وانشا هناك مسجدا وتولى مباشرة هذا الحفر المعلم تعاسيف
ناظر الدواوين ثم بعث السلطان في سنة اربع وستين وستماية لحفر هذا الخليج
الامير علم الدين شيجو المسرودي ثم سار بجماعة الامرا والاجناد وباشر الحفر بنفسه
وعمل فيه الامرا وجميع الناس الى ان ازالت الرمال التي كانت على الساحل من النقيدي
وفم الخليج ثم عدي الى سار نبار وعرف مراكب هناك وبني عليها بالحجارة فلما تم الغرض
عاد الى الجبل ثم تعطل استمرار جريان الما فيه بطول السنة وصار يجف سريعا بعد مرور
او نحوهما من دخول الما اليه واحتاج اهل الاسكندرية في طول السنة الى الصهاريج الشرب
من الصهاريج التي يختزن فيها الما الى ان كانت سنة عشر وسبعماية قدم الامير بدر
الدين بكتوت الخزنداري المعروف بابي شكاره متولي الاسكندرية ثم الى قلعة الجبل وحسن
للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون حفره وذكر له ما في ذلك من المنافع اولها حمل الغلال
واصناف المتجر الى الاسكندرية في المراكب وفي ذلك توفير للكلف وزيادة في مال الديوان
ثانيها عمارة ما على حافتي الخليج من الاراضي بانشا الضياع والسواقي فيعود الخراج بهذا نموا
كبيرا وثالثها انتفاع الناس به في عمارة بساتينهم وسرى ما به دايما فاعجب السلطان ذلك
وندب الامير بدر الدين محمد بن كندغدي بن الوزيري مع تكتوب لعمله وتقدم الى
جميع امرا الدولة باخراج مباشريهم لاحضار رجال النواحي الجارية في اقطاعاتهم
للعمل في الحفير وكتب لولاة الاعمال بالوقوف في العمل فاجتمع من النواحي نحو الاربعين
الف راجل جمعت في نحو العشرين يوما ووقع العمل في شهر رجب من السنة المذكورة
وافرز لاهل كل ناحية قطعة يحفرونها حتى جمل قياس الحفر من فم بحر النيل الى ناحية
شنبار ثمانية الاف قصبة حاكمية ومن شنبار الى الاسكندرية مثلها وكان الخليج
الاصلي يدخل الما اليه في حد شنبار فجعل فم هذا البحر يرمى اليه وعمل عمقه ست
قصبات في عرض ثماني قصبات فلما انتهوا الى حد الخليج الاول حفر ايضا على نظيره

الخليج المستجد فصار بحرا واحدا وركبت عليه السد ودواليب المناظر ووجد في الخليج الاول عند
حفره من الرصاص المبني تحت الصهاريج شي كبير جدا فلم يتعرض السلطان لشي منه وانعم به
على الامير بكتوت وعظمت المشقة في حفر هذا الخليج فان الذي يجاور البحر منه غلب عليه
الما فصارت الرجال تغطس فيه ثم يرفع الطين من اسفله ثم كثر الما فركبت السواقي حتى
نزحته الى ان عظم النفع به بسبب جميع ذلك فان السفن جرت فيه طول السنة واستغنى
اهل الاسكندرية عن شرب ما الصهاريج وبادر الناس للعمارة على جانبي الخليج فلم يمض
غير قليل حتى استجد عليه ما يزيد على مائة الف فدان زرعت بعد ما كانت سباخا
وما ينيف على ستمائة ساقية برسم القلقاس والنيلة والسمسم وفوق الصيعة الاربعين
ضيعة واوقد من الف غيط بالاسكندرية وعمرت منه عدة بلاد كثيرة وتحول عالم
عظيم الى سكنى ما استجد عليه وبنيه ولما فرغ العمل في الخليج شرع الامير بكتوت في عمل
جسر من ماله فان الناس كانوا في هيجان البحر يجدون مشقة عظيمة لغلبة الما على
اراضي السباخ فاقام ثلثة اشهر حتى بنى رصيفا ركب اساسه بالحجر والرصاص واعلاه بالحجر
والكلس وعمل فيه ثلثين قنطرة وانشا خانا ينزله الناس وبنى به الحترا ووقف على
مصالحه رزقة فبلغ مصروفه نحو الستين الف دينار مصرية سوى ما اخذ من الحجارة
التي بعضها من قصر قديم كان خارج الاسكندرية وسوى ما وجد من الرصاص في سرب
باسفل هذا القصر ينتهي من سفحه الى نحو البحر وسوى ما انعم به عليه من الرصاص
الموجود بالخليج ولم يزل الخليج فيه الما طول السنة الى بعد سنة سبعين وسبعمائة
فانقطع الما منه وصار الما لا يدخل اليه الا في ايام زيادة ما النيل فقط ثم يجف عند نقصه
فتلف من اجل هذا اكثر بساتين الاسكندرية وخربت وتلاشى كثير من القرى التي كانت
على هذا الخليج وسبب انقطاع الما عنه غلبت الرمل على الاشتوم الذي كان يعبر منه ما
بحر الملح الى بحيرة الاسكندرية حتى ختم وصار الرمل يلقيه الرياح في الخليج فانطم فمه
وعلا واعيه وقصد من ادركناه من ملوك مصر حفر هذا الخليج غير مرة فلم يتهيا ذلك
الى ان كانت سلطنة الملك الاشرف برسباي ندب لحفره الامير جرباش الكريمي المعروف
بقاشق فتوجه اليه وجمع له من قدر عليه من رجال النواحي فبلغت عدتهم ثمان مائة
وخمسة وسبعين رجلا ابتدوا في حفره من خامس عشر جمادى الاولى سنة ست وعشرين
وثمان مائة الى حادي عشر شعبان لتمام ثمانين يوما فانتهى عملهم ومشى الما في الخليج
حتى انتهى الى حد من مدينة الاسكندرية وجرت فيه السفن فسر الناس به سرورا
كبيرا

كثيرا وجبى ما انفق على العمال في الحفر من ارباب النواحي التي على الخليج ومن ارباب البساتين
بالاسكندرية ولم يكن في حفره كبير شناعة مما جرت عادة الولاة في مثل ذلك ولله الحمد وعند
ما قدم الامير جرباش الى قلعة الجبل خلع السلطان عليه وشكره ثم عمله حاجب الحجاب فلم
يستمر ذلك الا قليلا حتى انطم بالرمل وتعذر سلوك الخليج بالمراكب الا في ايام النيل فقط

ذكر جمل حوادث الاسكندرية

وفي سنة تسع وتسعين ومائة عظمت الحروب بديار مصر بين المطلب بن عبد الله الخزاعي
امير مصر وبين عبد العزيز بن الوزير الجروي الثاير بتنيس فعقد المطلب على الاسكندرية
لمحمد بن هبيرة بن هاشم بن حديج فاستخلف محمد خاله عمر بن عبد الملك بن محمد بن عبد
الرحمن بن معوية بن حديج الذي يقال له عمرو بن ملاك ثم عزله المطلب بعد ثلثة اشهر
باخيه الفضل بن عبد الله بن مالك وكانت بالاسكندرية مراكب الاندلسيين قد
اقبلوا من غزوهم وكان سبب قدوم هذه المراكب ما جرى لاهل قرطبة من وقعة الربض
مع الحاكم بن هشام في سنة اثنتين وثمانين ومائة فاخرج جماعة منهم فوصلوا الى ثغر
الاسكندرية زيادة على عشرة الاف وكان سبب ثورتهم ان نفرا من الاسكندرية
رمى وجه رجل منهم بكرش فانفوا من ذلك وصاروا الى ما صاروا اليه وذلك انهم لما نزلوا
ثغر الاسكندرية ليبتاعوا ما يصلحهم وكذلك كانوا على الزمان وكانت الامرا لا تبيحهم
دخول الاسكندرية انما كان الناس يخرجون اليهم فيبايعونهم فلما عزل عمرو بن ملاك
كتب اليه عبد العزيز الجروي يامره بالوثوب على الاسكندرية والدعا له بها فبعث
عمر بن ملاك الى الاندلسيين فدعاهم الى القيام معه في اخراج الفضل عنها فساروا
معه واخرج الفضل ودعا الى الجروي فوثب اهل الاسكندرية على الاندلسيين واخرجوهم
وردوا الفضل وقتل من الاندلسيين نفر وانهزم الباقون الى مراكبهم فعزل المطلب
اخاه وولى عليها اسحق بن ابرهة بن الصباح في شهر رمضان سنة تسع وتسعين ثم
عزله بابي ذكر جنادة المعافري فلما اقبل السري بن الحكم هو والمطلب بن عبد الله
وغلب السري على مصر وثب عمر بن ملاك على ابي ذكر واخرجه من الاسكندرية ودعا
الجروي فاقبل الاندلسيون اليه فاشتدوا فامروهم بالخروج الى مراكبهم فشق ذلك
عليهم وظهرت بالاسكندرية طايفة يسمون بالصوفية يامرون بالمعروف ويعارضون
السلطان في اموره فتراس عليهم رجل منهم يقال له ابو عبد الرحمن الصوفي فصاروا
مع الاندلسيين يدا واحدة واعتضدوا بلخم وكانت لخم اعز من في ناحية الاسكندرية

فخرج ابو عبد الرحمن الصوفي الى عمرو بن ملاك في امره فقضى على ابي عبد الرحمن فوجد في
نفسه من ذلك وخرج الى الاندلسيين فالف بينهم وبين لخم ورجا اهل الاسكندرية ان
يدركوا ثارا من عمرو بن ملاك فساروا الى عمرو بن ملاك وهم زها عشرة الاف فحصروه في
قصره وخشي ان القصر لا يمنعه منهم وخاف ان يدخلوا عليه عنوة فيفضحوه في حرمه
فاغتسل وتحنط وتكفن وامر اهله ان يدلوه اليهم ففعلوا فاخذته السيوف فقتل ثم
ولي اخوه محمد بن عبد الملك الذي يلقب جيوس فقتل ثم ولي اليهم عبد الله البطال
بن عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن معوية بن حديج فقتل ثم ولي اليهم اخوه ابو هبيرة
الحرث فقتل ثم ولي اليهم حديج بن عبد الواحد فقتل وانصرف القوم وذلك في ذي القعدة
ثم فسد ما بين لخم والاندلسيين عند مقتل بن ملاك واقتتلوا فانهزمت لخم وظفر الاندلسيون
بالاسكندرية في ذي الحجة فولوها ابا عبد الرحمن الصوفي فبلغ من الفساد والنهب والقتل
ما لم يسمع بمثله فعزله الاندلسيون وولوا رجلا منهم يعرف بالكنابي ثم حاربت بنو مدلج
الاندلسيين فظفر بهم الاندلسيون ونفوهم عن البلاد فلم تزل بنو مدلج على الرجوع
الى ارض الاسكندرية حتى طلب السري من الاندلسيين ان يردوهم فاذنوا واجيبت لهم
فرجعوا وكان ابو قنبيل يقول انا على الاسكندرية من اربعين مركبا مسلمين وليسوا بمسلمين
ياتي في اخر الصيف اخوف مني عليها من الروم فقال له ما هذه الاربعون مركبا في هذا
الخلق ولو كانت سيرا انصطوم فقال اسكت ويلك منه ومن فيه يكون خراب الاسكندرية
وما حولها وبلغ عبد العزيز الجروي قتل بن ملاك فسار في خمسين الف راجل نزل على
حصن الاسكندرية وحصرها حتى اجهد من فيه فبلغه ان السري بن الحكم بعث الى
تنيس فغشاها فكر راجعا في المحرم سنة احدى ومائتين فدعا الاندلسيون للسري ثم
لما خلع اهل مصر المامون ودعوا لابراهيم بن المهدي وقام الجروي بذلك سار
الى الاسكندرية وحصر الاندلسيين حتى دخلها صلحا ودعا له بها ثم سار عنها الى الفسطاط
فحاربه السري وقتل ابنه ثم انصرف فسار الاندلسيون بعامل الجروي واخرجوه من
الاسكندرية وخلعوا الجروي ودعوا للسري فسار اليهم الجروي في رمضان سنة
ثلث ومائتين فعارضته القبط بسخا وامدتهم بنو مدلج وهم في نحو من مائتي الف فهزمهم
وبعث بجيوشه الى الاسكندرية فحاصروها وكانت بين السري وبين اهل الصعيد حروب
ثم ان الجروي سار الى الاسكندرية مستهل الرابع وحاصرها ونصب عليها المجانيق
سبعة اشهر من اول شعبان سنة اربع ومائتين الى سلخ صفر سنة خمس ومائتين ثم قام
من

من بعده ابنه علي فلم تزل الفتنة بالاندلسيين في الاسكندرية متصلة الى ان قدم عبد الله
بن طاهر الى مصر من قبل امير المؤمنين المامون واخرج عبد الله بن السري من مصر وسار
الى الاسكندرية في قواد العجم من اهل خراسان مستهل صفر سنة اثنتي عشرة ومائتين فحاصرها
بضع عشرة ليلة حتى خرج اليه اهلها بامان وصالحه الاندلسيون على ان يسيرهم من الاسكندرية
حيث احبوا على ان لا يخرجوا في مراكبهم احدا من اهل مصر ولا عبدا ولا ابقا فان فعلوا فقد
حلت له دماؤهم ونكث عهدهم فتوجهوا فبعث بن طاهر من يفتش عليهم مراكبهم فوجد
فيها جماعة من الذين اشترط عليهم ان لا يخرجوهم فامر باحراق مراكبهم فسالوه ان يردهم
الى شرطهم ففعل وساروا الى جزيرة اقريطش وملكوها وكان الامير منهم ابو حفص عمر بن
عيسى ثم ملكها ولده من بعده وعمرها الاندلسيون الى ان غزاها الروم سنة خمس واربعين
وثلثمائة وملكها بعد حصار طويل وولي على الاسكندرية الياس بن اسد بن سامان ثم رجع
الى الفسطاط في جمادى الاخرة ثم سار الى العراق ولما انتقض اسفل الارض في جمادى
الاولى سنة ستة عشر ومائتين وحاربهم الافشين ومعه عيسى بن منصور الرافقي
امير مصر وبعث بعبيد الله بن يزيد بن مزيد الشيباني الى الجزيرة فانهزم الى الاسكندرية
واستجاشت عليه بنو مدلج وحصروه في شوال فسار الافشين واوقع بمن في طريقه حتى
قدم الاسكندرية في جنوده فلقيته طائفة من بني مدلج فهزمهم مرتين واسر منهم وقتل
ودخل الاسكندرية لعشر بقين من ذي الحجة منه فدوسها وكان عليها معوية بن
عبد الواحد بن محمد بن عبد الرحمن بن حديج فاصلح امرها ثم خرج الى اهل البشرود
فامتنعوا عليه حتى قدم المامون الى مصر فسار الى البشرود والافشين معه واوقع بالقبط
بها كما تقدم ذكره ولما ولي ابراهيم بن احمد بن محمد بن الاغلب افريقية في سنة احدى
وستين ومائتين حسنت سيرته وكانت القوافل والتجار تسير في الطرق وهي امنة
وبنى الحصون والمحارس على ساحل البحر حتى كان يوقد النار من مدينة سبتة الى الاسكندرية
فيتصل الخبر منها الى الاسكندرية في ليلة واحدة وبينهما مسيرة اشهر وفي سنة اثنتين
وثلثمائة دخل حباسه في جيوش افريقية الى الاسكندرية في المحرم ومعه مائة الف
او زيادة عليها وقدمت الجيوش من المشرق مددا لتكين امير مصر وسار حباسة عن
الاسكندرية ونودي بالنفير في الفسطاط لعشر بقين من جمادى الاخرة فلم يتخلف
عن الخروج الى الجيزة احد من الخاصة والعامة الا من عجز عن الحركة لمرض او عدم
ولاقاهم حباسه فلقوه وهزموه ثم دارت عليهم فقتل من اهل مصر نحو من عشرة الاف

ومرجاسه الى افريقيه واقاموا بمصر مضطربين فاقبل مونس الخادم من العراق في رمضان بجيوش
كثيره فصرف بكبن في ذي القعده وولي ذكا الاعور في صفر سنه ثلث وثلثمايه فخرج في جيوشه
الى الاسكندريه وتتبع كل من يوما اليه بمكاتبه صاحب افريقيه فسجن منهم وقتل كثيرا واجلا
اهل لوبيه ومراقيه الى الاسكندريه في شوال سنه اربع وثلثمايه خوفا من صاحب برقه
وفي سنه سبع وثلثمايه سارت مقدمه المهدي عبيد الله من افريقيه مع ابنه ابي القاسم
الى لوبيه ففر اهل الاسكندريه فخرب اهل الاسكندريه وطواغيها وخرج منها ناس
مظفر ابن ذكا الاعور في جيشه ودخل اليها العساكر يوم الجمعه لثمان خلون من صفر وفر
اهل القوه من الفسطاط الى الشام فخرج ذكا امير مصر الى الجيزه وعسكر بها ثم مرض ومات
على مصافه بالجيزه في ربيع الاول فولي تكين بعده ولايته الثانيه من قبل المقتدر ونزل
الجيزه واقبلت مراكب صاحب افريقيه الى الاسكندريه عليها سليمن الخادم فتقدم ثمل
الخادم صاحب مراكب طرسوس فالتقيا برشيد في شوال واقتتلا فنصر ثمل على مراكب
سليمن القي الى البحر فكسر اكثرها واخذ من فيها اخذا باليد وقتل اكثرهم واسر من بقي
وسيقوا الى الفسطاط فقتل منهم نحو سبعمايه رجل وسار ابو القاسم ابن المهدي من الاسكندريه
الى الفيوم وملك جزيره الاشمونين والفيوم وازال عنها جند مصر فمضى ثمل الخادم في
مراكبه الى الاسكندريه فقاتل من بها من اهل افريقيه فظفر بهم ونقل اهل الاسكندريه
الى رشيد وعاد الى الفسطاط ومضى في مراكبه الى اللاهون وانفذت العساكر فدخلوا
الى الفيوم في صفر سنه تسع وثلثمايه فخرج ابو القاسم بن المهدي الى برقه ولم
يكن بينهما قتال ورجعت العساكر الى الفسطاط وما زالت الاسكندريه واعمالها
في اضطراب الى ان قدمت جيوش المعز لدين الله مع القايد جوهر في سنه ثمان وخمسين
وثلثمايه فملكها وما برحت الى ان قام بها نزار بن المستنصر وكان من امره ما قد ذكر
عند ذكر خزاين القصر وفي سنه اربع وخمسين وخمسمايه بنى الملك الصالح طلايع بن
رزيك على بلبيس حصنا تزلى وفي سنه اثنين وستين وخمسمايه كانت وقعة
البابين بين الوزير شاور واسد الدين شيركوه فانهزم عسكر شيركوه ومضى
منهم طايفه الى الاسكندريه ثم كانت لشيركوه على شاور فانهزم منه الى القاهره
ومضى شيركوه الى الاسكندريه فخرج اليه اهل الثغر وفيهم نجم الدين محمد بن مصال والي
الثغر وقاضيها الاشرف بن الحباب وناظره القاضي الرشيد بن الزبير وسروا به ومعه وسلموه
المدينه ثم سار منها يريد بلاد الصعيد واستخلف ابن اخيه صلاح الدين يوسف بن ايوب
على

على البحر في الف فارس فنزل عليه شاور ومعه مري ملك الافرنج فقام معه اهل الثغر واستعدوا
لقتاله فكان ما اخرجوه اربعه وعشرين الف قوس فوعدهم شاور ان يضع عنهم المكوس والواجبات
ويعطيهم الخمس اذا اسلموه صلاح الدين فابوا ذلك ولجوا في قتالهم فحصروه حتى قل الطعام عندهم
فتوجه اليهم شيركوه وقد حشد من العربان جموعا كبيره فبعث اليه شاور وبذل
له خمسين الف دينار على ان يرجع الى الشام فاجابه الى ذلك وفتحت المدينه وخرج صلاح
الدين الى مري ملك الفرنج وجلس معه فاراد شاور ان يسلمه صلاح الدين فلم
يوافقه في سيره الى عمه شيركوه من البحر على عكا ومضى معه الى دمشق ودخل شاور الى
الاسكندريه في سابع عشر شوال فاستتر ابن مصال وفر الى الشام وقبض على ابن
الحباب وعوقب حتى فداه اهله بمال جزيل ولم يقدر على ابن الزبير وخرج الى دمشق
هذا وقد امتنع الفقيه ابو الطاهر بن عوف وجماعه كثيره بالمنار فوقف عليهم شاور
وقال له ابن عوف اعذرنا يا امير الجيوش وسامحنا بما فعلناه فعفا عنهم وولى القاضي
الاشرف ابا القاسم عبد الرحمن بن منصور بن نجا ناظرا على الاموال وخرج ومعه مري
ملك الفرنج الى القاهره ثم توجه مري الى بلاده ونزل على حيدا وفي سنه ثنتي عشره
وستمايه اجتمع بالاسكندريه ثلثة الاف من تجار الفرنج وقدمت بطسه الى الميناء
فيها من ملوك الفرنج ملكان فهموا ان يثوروا ويقتلوا اهل البلد ويملكوها فتوجه
الملك العادل ابو بكر بن ايوب اليها وقبض على التجار المذكورين وعلى من بالبطسه
واستصفى اموالهم وسجنهم وسجن الملكين وجرت خطوب حتى اطلق السلطان نساهم
وعاد الى القاهره وفي سنه احدى وسبعين وستمايه ورد الخبر بحركه الفرنج الى ثغور
مصر فاهتم الملك الظاهر بيبرس بامر الشواني ونصب على اسوار الاسكندريه نحو
مايه منجنيق وفي يوم الخميس خامس شهر رجب سنه سبع وعشرين خرج بعض
تجار الفرنج الى ظاهر باب البحر حتى تجمع العامه للمسجد وتعرض الى صبي امرد يراوده
عن نفسه فانكر ذلك بعض من هنالك من المسلمين وقال هذا ما فعل فاخذ الفرنجي خفا
كان بيده وضربه به على وجهه فصاح بالناس فاتوه فقام الفرنج مع صاحبهم واتسع
الخرق الى ان ركب متولي الثغر واغلق ابواب المدينه وطلب من اثار الفتنه ففروا
وعاد الى داره وترك الابواب مغلقه وكان بظاهر المدينه خلق كثير قد توجهوا الى
عاداتهم في حوايجهم فحيل بينهم وبين بيوتهم وجا الليل وهم نيام على الابواب يضجون
ويصيحون فمضى اعيان البلد الى المتولي وما زالوا به حتى فتح لهم الباب فدخلوا اسباد دين

وهم يزدحمون فمات منهم زيادة على عشرة انفس وتلفت اعضا جماعة وذهب من عمايم
الناس ومناديلهم وغير ذلك شي كثير وعظم البكا والصراخ طول الليل فلما كان من الغد
ركب الوالي لكشف احوال الناس فتكاثروا عليه ورجموه فانهزم منهم الى حارة فنجوه وقاتلوه
فقاتلهم من اعلا الدار حتى سفكت بينهما دما كثيره واحرقوا باب دوره ودورا عاليه فكتب
يستنجد والي دمنهور ومن حوله من العربان فاتوه واحاطوا بالمدينة وسرح الطاير
الى السلطان بخروج اهل الاسكندرية عن الطاعة فاشتد غضبه وخشي من اطلاقهم الامرا
المسجونين فبعث الى القضا بجمعهم واستفتاهم في قتالهم فكتبوا بما يجب وخرج اليهم الوزير
مغلطاي الجمالي وطوغان شاد الدواوين والدوادار بيرجند وعدة من المماليك السلطانيه
وناظر الخاص ومع الوزير تذكره بارامة دما اهل الفساد ومصادرة جماعة واخذ اموال
اهل البلد والقبض على الاسلحة المعدة بها للغزاة ومسك القاضي والشهود وحمل
الامرا المسجونين الى القاهرة فساروا في عاشره وقدم الثغر بعد ثلاثة ايام ونزل
الوزير بالخمس وفرض على الناس خمسمائة الف دينار مصرية واحضر قاضي القضاة عماد
الدين ونائبه في الحكم وانكر عليهما كونهما اشهرا الندا في البلد بالغزاة في سبيل
الله فانكرا وقوع هذا منهما وانما كان من غيرهما وانما لم يكن في قدرتهما رد السواد الاعظم
فضرب نايبه ابن التنسي بحضرتها والزمه بحمل ستمائة الف درهم والزم القاضي
بخمسمائة الف درهم وقد كان رسم بشنقه فتلطف في مخاطبة السلطان واعتذر عنه
وبراه حتى عفى عنه وتتبع العامه فوسط منهم ثلثين رجلا في يوم الجمعة ثالث
عشره فتسارع الناس الى دورهم من الخوف فذهبت عدة عمايم واشتد الخوف مدة
عشرين يوما وكتب السلطان بتوالي الايقاع باهل الثغر واخذ اموالهم والوزير
يحسن في الجواب الى ان حضر الامرا المسجونين وسار من الثغر وقد استوعب ما فيه من
السلاح فوجد ستة الاف عدة كامله فجعلها جميعها في قاعة وختم عليها وبلغت الجباية
من الناس ما ينيف على مائتي وستين الف دينار وكانت هذه من المحن العظيمة
والحوادث الشنيعة / ٨

ذكر مدينة اتريب

هذه المدينة بناها اتريب بن قبطيم بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح قاله ابن وصيف
شاه وكان اتريب قد انتقل الى الجيزه بعد موت ابيه قبطيم وهي المدينة التي كانت
ابوه بناها له وكان طولها اثني عشر ميلا ولها اثنى عشر بابا وجعل في شارعها الاعظم

مربعا

ثلث قباب عالية على عمد بعضها فوق بعض منها قبة في وسط المدينه وقبتان في طرفيها
وجعل على كل باب مرقبا كبيرا وفي كل ناحية منها ملعبا ومجالس ومنزهات تشرف وتشق
في غربيها نهرا وعقد قناطر عليه وجعل من فوقها مجالس متصلة وحولها المنازل تدور بالخليج
متصلة بالقناطر على رياض مزروعة من خلفها الاجنة والبساتين وعلى كل باب من الابواب
اعجوبة من تماثيل واصنام تمنع من يؤذي وجعل في داخل كل باب صورة شيطانين من
صفر فاذا قصدها احد من اهل الخير تبسم الشيطان الذي عن يمنة الباب وان كان من
اهل الشر بكا الشيطان الذي عن يسرة الباب وجعل في كل متنزه منها من الوحش الانسه
والطيور المغرده كل مستحسن وفوق قباب المدينة صورة تصفر اذا هبت الرياح ونصب
مرايا ترى البلاد البعيدة وبنى حذاها في الشرق مدينة وجعل فيها ملاعب واصناما
بارزة في صور مختلفة وفي وسطها بركة اذا مر بها الطير سقط عليها فلا يبرح حتى يوخذ
وجعل له حصنا باثني عشر بابا على كل باب تمثال يعمل اعجوبة وعمل حواليها اجنة وجعل
بالقرب منها في ناحية الشرق مجلسا منقوشا على ثماني اساطين وفوقه قبة عليها طاير
منشور الجناحين يصفر كل يوم ثلث تصفيرات بكرة ونصف النهار وعند غروب الشمس
واقام فيها اصناما وعجايب كثيرة وبنى مدنا كثيرة وامام رجلا يقال له برسان يعمل الكيميا
وضرب منها دنانير في كل دينار تسعة مثاقيل عليها صورته وعاش اتريب ملكا ثلثمائة وستين
سنة وبلغ من العمر خمسمائة سنة وعمل له ناووس في جبل الشرق حفر له تحته سرب
بطن بالزجاج والمرمر وجعل على سرير من ذهب مرصع وحملت اليه ذخاير وجعلوا
على بابه صورة تنين لا يدنو منه احد الا اهلكه وسقفوا عليه بالرمال وزبروا عليه
اسمه وتاريخ وقته وقال ابن الكندي اربع كور بمصر ليس على وجه الارض افضل
منها ولا تحت السما لهن نظير كورة الفيوم وكورة اتريب وكورة سمنود وكورة انصنا وكورة
اتريب من جملة كور اسفل الارض وهي مائة وثماني قرى وكان يقال مداين السحر من
بلاد مصر سبع وهي اهناس وبنا وبوصير وانصنا وصان واتريب وصا

ذكر مدينة تنيس

تنيس بكسر التا المنقوطة باثنتين من فوقها وكسر النون المشددة ويا اخر الحروف وسين
مهملة بلد من بلاد مصر في وسط الما وهي من كورة الخليج سميت بتنيس بن حام بن
نوح ويقال بناها قليمون من ولد اتريب بن قفط احد ملوك القبط في القديم قاله ابن
وصيف شاه وملكت بعد اتريب ابنته تدورة الملك وساسته بايد وقوة خمسا

وثلثين سنة ومات فقام بالملك بعدها ابن اخيها فليمون الملك فرد الوزرا الى مراتبهم واقام
الكهان على مواضعهم ولم يخرج الامر عن رايهم وجد في العمارات وطلب الحكمة وفي ايامه
بنيت تنيس الاولى التي غرقها البحر وكان بينه وبينه شي كثير وحولها الزروع والشجر
والكروم وتربة ومعاصر للخمور وعمارة لم يكن احسن منها فامر الملك ان يبنى له وسطها
مجالس وينصب له عليها قباب ويزين باحسن الزينة والنقوش وامر بفرشها واصلاحها
وكان اذا ابتدا النيل يجري انتقل الملك اليها فاقام بها الى النوروز ثم رجع وكان للملك بها
امنا يقسمون المياه ويعطون كل قرية قسطها وكان على تلك القرى حصن يدور بها ناظر
وكان كل ملك ياتي يامر بعمارتها والزيادة فيها ويجعلها له متنزها ويقال ان الجنتين
اللتين ذكرهما الله تعالى في كتابه العزيز اذ يقول واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا
لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل الايات كانتا لاخوين من اهل بيت الملك
اقطعهما ذلك الموضع فاحسنا عمارته وهندسته وبنيانه وكان الملك يتنزه عليهما
ويوتى بغرائب الفواكه والبقول ويحمل له من الاطعمة والاشربة ما يستطيبه فتنجب
بذلك المكان احد الاخوين وكان كثير الضيافة والصدقة ففرق ماله في وجوه البر
وكان الاخر ممسكا يسخر من اخيه اذا فرق ماله وكلما باع من قسمه شيا اشتراه منه
حتى بقي لا يملك شيا وصارت تلك الاجنة لاخيه واحتاج الى سواله فانتهره وطرده
وعيره بالتبذير وقال قد كنت انصحك وامرك بصيانة مالك فلم تفعل وتعيبني
امساكي فصرت اكثر منك مالا وولدا وولى عنه مسرورا بماله وجنته فامر الله
تعالى البحر فركب تلك القرى وغرقها جميعها فاقبل صاحبها يولول ويدعو بالثبور
ويقول يا ليتني لم اشرك بربي احدا قال الله جل جلاله ولم يكن له فئة ينصرونه
من دون الله وما كان منتصرا وفي زمان فليمون الملك بنيت دمياط وملك فليمون
تسعين سنة وعمل لنفسه ناووسا في الجبل الشرقي وحول اليه الاموال والجواهر
وسائر الذخائر وجعل من داخله تماثيل بدوالب في ايديهم سيوف من دخل
قطعته وجعل عن يمينه ويساره اسدين من نحاس وذهب بلوالب من اتاه حطماه
وزبر عليه هذا قبر فليمون بن اتريب بن قبطيم بن مصريم عمر دهرا واتاه الموت فلم
يستطع له دفعا فمن وصل اليه فلا تسلبه ما عليه وليأخذ مما بين يديه ويقال
ان تنيس اخت لدمياط وقال المسعودي في كتاب مروج الذهب وبحيرة تنيس
كانت ارضا لم يكن بمصر مثلها استوا وطيب تربة وكانت جنانا ونخلا وكرما وشجرا ومزارع

وكانت

وكانت فيها مجار على ارتفاع من الارض ولم ير الناس بلدا احسن من هذه الارض ولا احسن
اتصالا من جناتها وكرومها ولم يكن بمصر كورة يقال انها تشبهها الا الفيوم وكان الماء ينحدر
اليها لا ينقطع عنها صيفا ولا شتاء يسقون جناتهم اذا شاءوا وكذلك زروعهم وسائره
يصب الى البحر من جميع خلجانه ومن الموضع المعروف بالاشتوم وقد كان بين البحر
وبين هذه الارض مسيرة يوم وكان فيما بين العريش وجزيرة قبرص طريق مسلوك
الى قبرس تسلكه الدواب يبسا ولم يكن بين العريش وجزيرة قبرس في البحر مسيرة طويلة
حتى علا الماء الطريق الذي كان بين الطريق وبين قبرس فلما مضت لدقلطيانوس
من ملكه مائتين واحدى وخمسون سنة هجم الماء من البحر على بعض المواضع التي تسمى
اليوم بحيرة تنيس فاغرقته ويزيد في كل عام حتى اغرقها باجمعها فما كان من القرى
التي في قراها غرق واما الذي كان منها على ارتفاع الارض فبقيت منها تونة ونواد
وغير ذلك مما هي باقية الى هذا الوقت والماء محيط بها وكان اهل القرى التي في هذه
البحيرة ينقلون موتاهم الى تنيس فيقبرونهم واحدا فوق واحد وكان استحكام غرق
هذه الارض باجمعها قبل ان تفتح مصر بمائة سنة قال وقد كان لملك من ملوك
الامم التي كانت دارها الفرما مع اركون حين اركبته البلينا وما اتصل بها من الارض
حروب عملت فيها خنادق وخلجانات تخترق من النيل الى البحر يمنع كل واحد من
الاخر وكان ذلك داعيا لبثق الماء من النيل واستيلائه على هذه الارض وقال
في كتاب اخبار الزمان وكانت تنيس عظيمة لها مائة باب وقال ابن بطلان تنيس
بلد صغير على جزيرة في وسط البحر ميله الى الجنوب عن وسط الاقليم الرابع خمس
درج وارض سبخة وهواه مختلف وشرب اهله من مياه يخزنونها في صهاريج
تملا في كل سنة عند عذوبة ماء البحيرة يخلطون ماء النيل اليه وجميع حاجاتها مجلوبة
اليها في المراكب واكثر اغذية اهلها السمك والجبن والالبان المتغيرة وضمان الجبن
السلطاني سبعمائة دينار حسابا عن كل الف قالب دينار ونصف وضمان السمك
عشرة الاف دينار واخلاق اهلها سهلة منقادة وطباعهم مايلة الى الرطوبة والا نوثه
قال ابو السري الطبيب انه كان يولد بها في كل سنة ما بينا مخنثين وهم يحبون
النظافة والدماثة والغنا واللذة واكثرهم يمشون سكارى وهم قليلوا الرياضة
لضيق البلد واغذيتهم مختلفة الاخلاط وحصل بها مرض قال له العوا والتنيسي
امام باهلها ثلثين سنة وقال جامع تاريخ دمياط وكان على تنيس وحل ثقال لا اذا

بود من العرب المتنصرة والقبط والروم وكانت بينهم حروب الى ان وقع ابي ثور في
ايدي المسلمين وانهزم اصحابه فدخل المسلمون البلد وبنوا كنيستها جامعا وقسموا الغنايم
وساروا الى الفرما وكانت تنيس مدينة كبيرة وفيها اثار كثيرة للاوائل وكان اهلها
مياسير اصحاب ثروة واكثرهم حاكة وبها تحاك ثياب الشروب التي لا تصنع مثلها
في الدنيا وكان يصنع بها للخليفة بمصر ثوب يقال له البدنة لا يدخل فيه من الغزل
سدا ولحمة غير اوقيتين وينسج باقيه من الذهب بصناعة محكمة لا تحوج الى تفصيل
ولا خياطة تبلغ قيمته الف دينار وليس في الدنيا طراز ثوب كتان يبلغ الثوب منه وهو
ساذج بغير ذهب مائة دينار عينا غير طراز تنيس ودمياط وكان النيل اذا اطلق
يشرب منه من يشارقه الفرما من ناحية جرجير وفاقوس من خليج تنيس ومعانيه
وكانت تنيس من اجل مدن مصر وان كانت شطا ودقهلا ودميرة وتونة وما قاربهم من
تلك الجزاير يعمل بها الرفيع فليس ذلك يقارب التنيسي والدمياطي والشطوي وكان
الحمل منها الى بغداد سنة ستين وثلثمائة يبلغ من عشرين الف دينار الى ثلثين الف دينار
لجهاز العراق فلما تولى الوزير يعقوب بن كلس تدبير المملكة استاصل ذلك بالنوايب
وكان يسكن بجزيرة تنيس ودمياط نصارى تحت الذمة وكان اهل تنيس يصيدون
السماني وغير ذلك من الطير على ابواب دورهم والسماني طاير يخرج من البحر فيقع في تلك
الشباك وكانت السفن تركب من تنيس الى الفرما وهي على ساحل البحر فلم تزل
تنيس بيد المسلمين الى ان كانت امرة بشر بن صفوان الكلبي على مصر من قبل يزيد بن
عبد الملك في رمضان سنة احدى ومائة فنزل الروم تنيس فقتل مزاحم بن سلمة
المرادي اميرها في جمع من الموالي ولهم يقول الشاعر

الم تربع فتخبرك الرحال ... بما لاقت بتنيس الموالي

ولما مات هرون الرشيد وقام من بعده ابنه محمد الامين واراد الغدر والنكث بالمامون
كان على مصر حاتم بن هرثمة بن اعين من قبل الامين فلما ثار عليه اهل تنو وتمي بعث
اليهم بالسري بن الحكم وعبد العزيز بن الوزير الجروي فغلبه اليمانية في شوال سنة
اربع وتسعين ومائة ثم ولى الامين جابر بن الاشعث الطائي مصر وصرف حاتم بن هرثمة
وكان جابر لينا فلما تباعد ما بين محمد بن الامين وبين اخيه عبد الله المامون وخلع محمد
اخاه من ولاية العهد وترك الدعا له على المنابر وعهد الى ابنه موسى ولقبه بالسديد
ودعا له تكلم الجند بمصر بينهم في خلع محمد غضبا للمامون فبعث اليهم جابر ينهاهم عن

ذلك

ذلك ويخوفهم عواقب الفتن وانتدب السري بن الحكم يدعو الناس الى خلع محمد وكان ممن
دخل الى مصر في ايام الرشيد من جند الليث بن الفضل وكان خاملا فارتفع ذكره بقيامه في
خلع محمد الامين وكتب المامون الى اشراف مصر يدعوهم الى القيام بدعوته فاجابوه وبايعوا
المامون في رجب سنة ست وتسعين ومائة ووثبوا بجابر فاخرجوه وولوا عباد بن
محمد فبلغ ذلك محمد الامين فكتب الى روسا الحوف بولاية ربيعة بن قيس الجرشي وكان
رئيس قيس الحوف وانقاد اهل الحوف كلهم معه يمنها وقيسها واظهروا دعوة الامين
وخلع المامون وساروا الى الفسطاط لمحاربة اهلها واقتتلوا وكانت بينهما قتلى ثم
انصرفوا وعادوا مرارا الى الحرب فعقد عباد بن محمد لعبد العزيز الجروي ومضى
في قومه من لخم وجذام الى فاقوس فقال له قومه لم لا تدعو لنفسك فما انت بدون
هولاء الذين غلبوا على الارض فمضى فيهم الى تنيس فنزلها ثم بعث عماله يجبون
الخراج من اسفل الارض فبعث ربيعة بن قيس يمنعه من الجباية وسار اهل الحوف
في المحرم سنة ثمان وتسعين الى الفسطاط فاقتتلوا وقتل جمع من الفريقين وبلغ
اهل الحوف قتل الامين فتفرقوا وولى امرة مصر مطلب بن عبد الله الخزاعي من قبل
المامون فدخلها في ربيع الاول وولى عبد العزيز الجروي شرطته ثم عزله وعقد له
على حرب اسفل الارض ثم صرف المطلب وولي العباس بن موسى بن عيسى في شوال
فولى عبد العزيز الشرطة فلما ثار الجند واعادوا المطلب في المحرم سنة تسع وتسعين
هرب الجروي الى تنيس واقبل العباس بن موسى بن عيسى من مكة الى الحوف فنزل
بلبيس ودعا قيسا الى نصرته ثم مضى الى الجروي بتنيس فاشار عليه ان ينزل
دار قيس فرجع الى بلبيس في جمادى الاخرة وبها مات مسموما في طعام دسه اليه المطلب
على يد قيس فندم اهل الاحواف للمطلب وبايعوه وساروا الى جب عميرة وسالموه عند
ما لقوه وبعث الى الجروي يامره بالنهوض الى الفسطاط فامتنع من ذلك وسار
في مراكبه حتى نزل الى شطنوف فبعث اليه المطلب بالسري بن الحكم في جمع من
الجنود يسالونه الصلح فاجابهم اليه ثم اجتمعا في الغدر بهم فتيقظوا له فمضى [illegible]
الى بنا فاتبعوه وحاربوه ثم عاد فدعاهم الى الصلح ولاطف السري فخرج اليه في زلاج
وخرج الجروي في مثله فالتقيا في وسط النيل بناحية سندفا وقد اعد الجروي في باطن
زلاجه الحبال وامر اصحابه بسندفا اذا لصق بزلاج السري ان يجروا الحبال اليهم
فلصق الجروي بزلاج السري فربطه في زلاجه وجر الحبال واسر السري ومضى به

الى بنبس فسجنه بها وذلك في جمادى الاولى ثم كر الجروي وقاتل فلعبت جموع المطلب بسفط
سليط في رجب فظفر ولما عزل عمرو بن ملاك عن الاسكندرية بادر بالاندلسيين ودعا
الى الجروي فاقبل عبد الله بن موسى بن عيسى الى مصر طالبا بدم اخيه العباس في المحرم
سنة مائتين فنزل على عبد العزيز الجروي فسار معه في جيوش كثيرة العدد في البر
والبحر حتى نزل الجيزة فخرج اليه المطلب في اهل مصر فحاربوه في صفر فرجع الجروي
الى شطنوف ومضى عبد الله بن موسى الى الحجاز وظفر المطلب على ابا حرملة فرج
الاسود هو الذي كاتب عبد الله بن موسى وحرضه على المسير فطلبه ففر الى الجروي
وجد المطلب في امر الجروي فاخرج الجروي السري بن الحكم من السجن وعاهده وعاقده
على ان يثور بالمطلب ويخلعه فعاهده السري على ذلك فاطلقه والتف الى اهل مصر انكارا
وتبرما بولايته فاستفسد الجند من اهل خراسان وعقدوا له عليهم وامتنع المصريون من
ولايته فنزل داره بالحمراء وامده قيس بجمع منهم وحارب المصريين فهزمهم وقتل منهم
فطلب المطلب منه الامان فامنه وخرج من مصر واستبد السري بن الحكم بامر مصر في
مستهل شهر رمضان فلما قتل الاندلسيون عمرو بن ملاك بالاسكندرية سار اليها
الجروي في خمسين الفا فبعث السري الى بنبس بعثا فكر الجروي راجعا الى بنبس في
محرم سنة احدى ومائتين فلما ثار الجند بالسري في ربيع الاول وبايعوا سليمن بن
غالب قام عباد بن محمد عليه وخلعه وقام بالامر علي بن حمزة بن جعفر بن سليمن بن علي
بن عبد الله بن عباس في مستهل شعبان فامتنع عباد ان يبايعه ولحق بالجروي ثم لحق
به ايضا سليمن بن غالب فكان معه وعاد السري الى ولاية مصر في شعبان وقوي
سلطانه فلما كان في المحرم سنة اثنين ومائتين ورد كتاب المامون اليه يامره بالبيعة
لولي عهده علي بن موسى الرضى فبويع له بمصر وقام في فساد ذلك ابراهيم بن المهدي ببغداد
وكتب الى وجوه الجند بمصر يامرهم بخلع المامون وولي عهده وبالوثوب بالسري فقام
بذلك الحرث بن زرعة بن محزوم بالفسطاط وعبد العزيز بن الوزير الجروي باسفل الارض
وسلمة بن عبد الملك الطحاوي الازدي بالصعيد وخالفوا السري ودعوا الى ابراهيم
بن المهدي وعقدوا على ذلك الامر لعبد العزيز بن عبد الرحمن الازدي فحاربه السري
وظفر به في صفر ولحق كل من كره بيعة علي الرضا بالجروي لمنعته بتنيس وشدة سلطانه
وسار الى الاسكندرية وملكها ودعي له بها وبلاد الصعيد في جمع كبير لمحاربة السري
واستعد كل منهما لصاحبه باعظم ما قدر عليه فبعث اليه السري ابنه ميمون فالتقيا
بشطنوف

شطنوف فقتل ميمون في جمادى الاولى سنة ثلث ومائتين واقبل الجروي في مراكبه الى ريه
الى الفسطاط ليحرقها فخرج اليه اهل المسجد وسالوه الكف فانصرف عنها وحارب الاسكندرية
غير مرة وقتل بها من حجر اصابه من منجنيقه في اخر صفر سنة خمس ومائتين ومات
السري بعده بثلاثة اشهر في اخر جمادى الاولى وقام بعد الجروي ابنه علي بن عبد العزيز
الجروي فحارب ابا نصر محمد بن السري امير مصر بعد ابيه بشطنوف ثم التقيا بشهور
فقاتل ان القتلى منهم يوميد كانوا سبعة الاف وانهزم ابن السري الى الفسطاط فسجنه
بمراكب ابن الجروي ثم عادت فدخلت ابواب مملة فرج بينهما حتى اصطلحا ومات ابن السري
في شعبان سنة ست ومائتين فولي بعده اخوه عبيد الله بن السري فكف عن ابن الجروي
وبعث المامون خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني الى مصر في جيش من ربيعة فامتنع عبيد
بن السري من التسليم له وما بعده فاستملوا ابنا توس وانضم علي بن الجروي الى خالد
بن يزيد واقام له الانزال واعانه وسار حتى نزل على خندق عبيد بن السري فاقتتلا
في شهر ربيع سنة سبع ومائتين وجرت بينهما حروب بعد ذلك الى ان ترفع خالد
الى ارض الحوف فكره ذلك ابن الجروي ومكر به حتى اخرجه من عمله الى غربي النيل فنزل
بها وانصرف ابن الجروي الى تنيس فسار خالد في ضر وجهد وعسكر له ابن السري في
شهر رمضان واسره واخرجه من مصر الى مكة في البحر وبعث المامون بولاية عبيد بن
السري على ما في يده وهو فسطاط مصر وصعيدها وغربيها وبولاية علي بن عبد
العزيز الجروي تنيس مع الحوف الشرقي وضمنه خراجه واقبل ابن الجروي على
استخراج خراجه من اهل الحوف فمانعوه وكتبوا الى ابن السري يستمدونه عليه فامدهم
باخيه فالتقيا بكوم شاني بلبيس فاقتتلوا في صفر سنة تسع ومائتين واتصلت الحرب
بينهما الى ربيع الاول وهم متصعون فانتصف ابن الجروي فيمن معه الى دمياط
فسار ابن السري الى المحلة سرنقون ونهبها وبعث الى تنيس ودمياط من يملكهما ولحق
ابن الجروي بالفرما وسار منها الى العريش فنزل فيما بينهما وبين غزة ثم عاد واغار على
الفرما في جمادى الاخرة ففر اصحاب ابن السري من تنيس وسار ابن الجروي الى شطنوف
فخرج اليه ابن السري واقتتلا فكانت لابن الجروي اول النهار ثم اباه كمين ابن السري
فانهزم وذلك في رجب فمضى الى العريش وسار ابن السري الى تنيس ودمياط بعسكر
ثقال فبعث اليه ابن السري المعونة فحاربهم فبينا هم في ذلك اذ قدم عبد الله بن طاهر
فتلقاه ابن الجروي بالاموال والانزال وانضم اليه ونزل معه بلبيس فامتنع ابن

السري ورافع بن طاهر فنزا اخي له وبعث فجبا المال ونزل زفتا وبعث الى شطنوف
بعيسى الجلودي على شطنوف جسر عقدة من زفتا وصار ابن الجروي على سفنه التي
جاته من الشام لمعرفته بالحرب فهزم مراكب ابن السري في المحرم سنة احدى
عشرة وصالح ابن طاهر عبيد ابن السري في صفر وخلع عليه واجازه بعشرة الاف
دينار وامره بالخروج الى المامون فسكنت فتن مصر بعبد الله بن طاهر في سنة
سبع وسبعين وخمسمائة ولدت سلسى معزى جديا له قرون علة وراسه مع صدره
وبدنه ومقدمه مصوف ابيض وموخره بشعر اسود وذنبه ذنب شاة وولدت
امراة لجاة لها راس مدور لها يدان ورجلان وذنب ولليلاتين بقين من ذي الحجة
من هذه السنة حدث بتنيس رعد وبرق وريح شديدة وسواد عظيم في الجو ثم
ظهر وقت السحر في السما عمود نار احمر بين السما والارض اشد حمرة وخرج غبار حاد
ياخذ بالانفاس فلم يزل الى الرابعة من النهار حتى ظهرت الشمس ولم يزل كذلك
خمسة ايام وفي سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة حضر عند قاضي تنيس محمد بن عبد الله
بن ابي الدبيس رجل وامراة يطالب المراة الرجل بفرض واجب عليه فقال الرجل
تزوجت بها منذ خمسة ايام فوجدت لها ما للرجال وما للنسا فبعث لها القاضي امراة لتشرف
عليها فاخبرت ان لها فوق القبل ذكرا كحشفتين والفرج تحتهما والذكر اغلف وانها
رايت الحيض فطلقها الزوج قال ابو عمر والكندي حدثني ابو النضر احمد
بن علي قال حدثني ياسين بن عبد الاحد قال سمعت ابي يقول لما دخل عبد الله
بن طاهر مصر كنت فيمن دخل عليه فقال حدثنا عبد الله بن لهيعة عن ابي قبيل عن
تبيع قال يا اهل مصر كيف بكم اذا كان في بلدكم فتن فوليكم فيها الاعرج ثم الاصفر
ثم الامرد ثم ياتي رجل من ولد الحسين لا يدفع ولا يمنع تبلغ راياته البحر الاخضر يملاها
عدلا فقد كان ذلك كانت الفتنة فوليها السري وهو الاعرج والاصفر ابنه ابو النصر
والامرد عبيد الله بن السري وانت عبد الله بن طاهر بن الحسين ثم ان عبد الله بن طاهر
سار الى الاسكندرية واصلح امرها واخرج ابن الجروي الى العراق ثم قدم بدا الافشين الى
مصر في ذي الحجة سنة خمس عشرة وقدامر الافشين ان يطالبه بالاموال التي
عنده فان دفعها اليه والا قتله فطالبه فلم يدفع اليه شيا فقدمه يوم الاضحى فقتله
ثم قتله وفي جمادي الاخرة سنة تسع عشرة ومايتين سار يحيى بن الوزير في تنيس
فخرج اليه الوزير المظفر بن كيدر امير مصر معاملة في بحيرة تنيس واسر وتفرق

عنده

عنه اصحابه وفي سنة تسع وثلثين ومايتين امر المتوكل ببنا حصن على البحر بتنيس فتولا
عمارته عنبسة بن اسحق امير مصر وانفق فيه وفي حصن دمياط والفرما مالا عظيما وفي
سنة تسع واربعين ومايتين عذبت بحيرة تنيس صيفا وشتا ثم عادت ملحا صيفا وشتا
وكانت قبل ذلك تقيم ستة اشهر عذبة وستة اشهر مالحة وفي سنة ثمان واربعين
وخمسمائة وصلت مراكب من صقلية فنهبوا مدينة تنيس وفي سنة ثمان وسبعين
وثلثمائة صيد بالاشتوم بتنيس حوت طوله ثمانية وعشرون ذراعا ونصف من ذلك
طول راسه تسع اذرع ودائر بطنه مع ظهره خمس عشرة ذراعا وفتح فيه تسع وعشرون
شبرا وعرض ذنبه خمس اذرع ونصف وله يدان يجرف بهما طول كل يد ثلث اذرع وهو
املس اغبر غليظ الجلد مخطط البطن ببياض وسواد ولسانه احمر وفيه خمل كالريش
طوله نحو الذراع يعمل منه امشاط يشبه الذبل وله عينان كعين البقر فامر امير
تنيس ابو اسحق بن نويه به فشق بطنه وملح عانته اراد به فملح ودفع وركبه
الاعلى بعود خشب طويل وكان الرجل يدخل الى جوفه بغفار الملح وهو قايم غير
منحن وحمل الى القصر حتى راه العزيز بالله وفي ليلة الجمعة ثامن عشر ربيع
الاول سنة تسع وسبعين وثلثمائة شاهد اهل تنيس تسع اعمدة من نار تلتهب
في افاق السما من ناحية الشمال فخرج الناس الى ظاهر البلد يدعون الله حتى
اصبحوا وخفيت تلك النيران وفيها صيد ببحيرة تنيس حوت طوله ذراع ونصفه
الاعلى فيه راس وعينان وعنق وصدر على صورة اسد ويداه في صدره بمخالب
ونصفه الادنى صورة حوت بغير قشر فحمل الى القاهرة وفي سنة سبع وسبعين
وثلثمائة ولدت جارية بتنيس بنتا براسين احدهما بوجه ابيض مشرك والاخر بوجه اسمر
في سهوله في كل وجه عينان وكانت ترضعهما وكل من ذلك ركب على عنق واحد في
جسد واحد بيدين ورجلين وفرج ودبر فحملت الى العزيز حتى راها ووهب
لابيها جملة ثم عادت الى تنيس وماتت بعد شهور وفي سنة احدى وسبعين وخمسمائة
وصل الى تنيس من سواحل صقلية نحو اربعين مركبا فحصروها يومين واقلعوا ثم وصلوا
اليها من صقلية في سنة ثلث وستين ايضا نحو اربعين مركبا وقاتلوا اهل تنيس حتى
ملكوها وكان محمد بن اسحق صاحب الاسطول قد حبا بنيه ومن راكبه مجيزي
طائفة من الملة الى المصلى بتنيس فلما هجم الليل هجم بمن معه البلد على الفرنج وهم في
غفلة فهجم منهم مائة وعشرين فقطع روسهم فاصبح الفرنج الى المصلى وقاتلوا من

من بها من المسلمين فقتل من المسلمين نحو السبعين وصار من بقي منهم الى دمياط فنزل الفرنج على
تنيس والقوا فيها النار فاحرقوها وساروا وقد امتلات ايديهم بالغنايم والاسرى
الى جهة الاسكندرية بعد ما اقاموا بتنيس اربعة ايام ثم لما كان في سنة
وخمسماية نزل فرنج عسقلان في عشر حراريق على اعمال تنيس وعليها رجل منهم يقال له
الفرو فاسر جماعة منهم وكان على مصر الملك العادل من قبل اخيه الملك الناصر صلاح
الدين يوسف عندما سار الى بلاد الشام ثم مضى الفرو وعاد فاسر وتشاد به المسلمون
وقاتلوه فظفرهم الله به وقبضوا عليه وقطعوا يديه ورجليه وصلبوه وفي سنة
سبع وسبعين وماية اهتم بالحصون السلطان لعمارة قلعة تنيس وتجديد الالات
بها عندما اشتد خوف اهل تنيس من الاقامة بها فتقدم لعمارة سورها القديم على
اساساته الباقية وبلغ ثلثة الاف دينار عن ثمن اصناف واجر وفي سنة ثمان
وثمانين وخمسماية كتب باخلا تنيس ونقل اليها اهلها الى دمياط فاخليت في صفر
من الذراري والاثقال ولم يترك بها سوى المقاتلة في قلعتها وفي شوال سنة
اربع وعشرين وستماية امر الملك الكامل محمد بن العادل ابي بكر بن ايوب بهدم
مدينة تنيس وكانت من المدن الجليلة تعمل بها الثياب السرية وتصنع بها كسوة
الكعبة قال الفاكهي في كتاب اخبار مكة ورايت كسوة مما يلي الركن الغربي يعني
من الكعبة مكتوب عليها مما امر به السري بن الحكم وعبد العزيز بن الوزير الجروي
بامر الفضل بن سهل ذي الرياستين وطاهر بن الحسين سنة سبع وتسعين وماية ورايت
شقة من قباطي مصر في وسطها الا انهم كتبوا في اركان البيت بخط دقيق اسود
مما امر به امير المومنين المامون سنة ست ومايتين ورايت كسوة من
كسا المهدي مكتوب عليها بسم الله بركة من الله لعبد الله المهدي امير المومنين
محمد بن امير المومنين اطال الله بقاه مما امر به اسمعيل بن ابراهيم ان يصنع في طراز
تنيس على يدي الحكم بن عبيدة سنة اثنتين وستين وماية ورايت كسوة من
قباطي مصر مكتوب عليها بسم الله بركة من عند الله مما امر به عبد الله امير المومنين
محمد اصلحه الله محمد بن سليمن ان يصنع في طراز تنيس كسوة للكعبة على يدي الخطاب
بن مسلمة عامله سنة تسع وخمسين وماية قال المسبحي في حوادث سنة اربع وثمانين
وثلثماية وفي ذي القعدة ورد يحيى بن اليمان من تنيس ودمياط والفرما بهديته
وهو اسفاط وتخوت وصناديق مال وخيل وبغال وحمير وثلث مظال وكسوتين
للكعبة

للكعبة وفي ذي الحجة سنة اثنتين واربعماية وردت هدية تنيس الواردة في كل سنة
منها خمس نوق مزينة وماية راس من الخيل بسروجها ولجمها وبعاصف وصناعة عدة وثلث
تياب دبيقي بمراتبها ومخوفاتها وسود ماجري الرسم بحمله من المتاع والمال والنزول لما تقدم
الحاكم اخذ السلة سبيدة الملك الى عامل تنيس عن الحاكم بان يحمل ما كان اجتمع قبله
وتعجل توجيهه وقيل انه كان الف الف دينار والفي الف درهم اجتمعت من ارتفاع البلد
لثلث سنين وامره الحاكم بتركها عنده فحمل ذلك اليها وبه استعانت على ما دبرت وفي
سنة خمس عشرة واربعماية ورد الخليفة الخبر على الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله ابي
هاشم علي بن الحاكم بامر الله ان السودان وغيرهم ثاروا بتنيس وطلبوا ارزاقهم وضيقوا
على العامل حتى هرب وانهم عاثوا في البلد وافسدوا ومدوا ايديهم الى الناس وقطعوا الطر
واخذوا من المودع الف وخمسماية دينار فقام الجرجراي وتعجب وقال كيف يفعل هذا
بخزانة السلطان وسيان فعل هذا بتنيس او بيت المال وسير خمسين فارسا للقبض على
الجناة وما زالت تنيس مدينة عامرة ليس بارض مصر مدينة احسن منها ولا احصن
من عمارتها الى ان اخربها الملك الكامل محمد بن العادل ابي بكر بن ايوب في سنة اربع وعشرين
وستماية فاستمرت خرابا ولم يبق منها الا رسومها في وسط البحيرة وكان من جملة كورة تنيس
بورا ومنها وابوان وسطا وبحيرتها الان يصاد منها السمك وهي قليلة العمق يسار فيها
بالمعادي ويلتقي السفينتان هذه صاعدة وهذه نازلة بريح واحدة وتقلع كل واحدة
منهما مملوة بالريح تسيرها في السرعة سواء وتتوسط البحيرة عدة جزاير تعرف اليوم بالعزب
جمع عزبة بضم العين المهملة وزاي ثم باء موحدة يسكنها طايفة من الصيادين وفي بعضها
ملاحات يوخذ منها ملح عذب لذيذ ملوحته وماوها ملح وقد يحلو ايام النيل

ذكر مدينة صا

قال ابن وصيف شاه ولما قسم قبطيم بن مصرايم الارض بين اشمن واتريب وقفط وصا
استقل كل واحد الى قسمه وحيزه فخرج صا باهله وولده وحشمه الى حيزه وهو بلد البحيرة
والاسكندرية حتى ينتهي الى برقة ونزل بمدينة صا فقيل ان بني الاسكندرية وكان صا
اصغر ولد ابيه واحبهم اليه فلما ملك حيزه امر بالنظر في العمارات وبنا المداين
والبلدان والهياكل واظهار العجايب كما صنع اخوته وطلب الزيادة في ذلك وكان مرهون
الهندي صاحب ابيه فبنى له من حد صا الى حد لوبية ومراقية على البحر اعلاما وجعل
على رووس تلك الاعلام مرايا من اخلاط شتى وكان منها ما يمنع من دواب البحر واذاهم منها

ما اذا قصدهم عدو من الجزاير واصابها الشمس اصابت شعاعها على مراكبهم فاحرقتها ومنها مـا
يري المداين التي تحاذيهم من عدوة البحر وما يعمله اهلها ومنها ما ينظر فيها الى اقليم مصر فيعلم
منه ما يخصب وما يجدب في كل سنة وجعل فيها حمامات تقد من نفسها وجعل مستشرفات
ومتنزهات وكان كل يوم في موضع منها من يخصه من خدمه وحشمه وجعل حواليها بساتين
وسرح فيها الطيور المغردة والوحش المستانس والانهار المطردة والرياض المونقة
وجعل شرفات تصوره من حجارة ملونة تلمع اذا اصابها الشمس فتنتشر شعاعها على ما حولها
ولم يدع شيا من آله النعمة والرفاهية الا استعمله وكانت العمارة ممتدة في رمال
رشيد ورمال الاسكندرية الى برقه وكان الرجل يسافر في ارض مصر لا يحتاج الى
زاد لكثرة الفواكه والخيرات ولا يسير الا في ظلال تستره من الشمس وعمل في تلك الصحاري
قصورا وغرس فيها غروسا وساق اليها من النيل انهارا فكان يسلك من الجانب الغربي
الى حد الغرب في عمارة متصلة فلما انقرض اولئك القوم بقيت اثارهم في تلك الصحاري
وخربت تلك المنازل وباد اهلها ولا يزال من دخل تلك الصحاري يحكي ما راه فيها من
الاثار والعجايب قال مولفه رحمه الله حدثني الثقة عمن دخل الى مدينة صا ومشى
في خرابها فاذا هو بلبنة طولها ثلثة اشبار فتناولها واخذ يتاملها ثم كسرها فاذا فيها
سنبلة قد دشيرة وافر كانها كما حصدت ففركها بيده فخرج منها قمح ابيض كبار حبه
جدا في قدر حب اللوبيا فاكله كله فلم يجد فيه تغيرا ودخل اخر اليها قبيل سنة سبعين
وسبعماية واخذ منها لبنة طولها ذراع ونصف في عرض ذراع فكسرها فاذا فيهـا
سنبلة قمح نحو كل قمحة منه في مقدار اكبر ما يكون من الحمص فلم يطق كسره الا بعد ما
رضه بالحجارة رضا ووجد بها صنم لطيف طول اصبع فاتفق انه التي في جانبه ماه
فصار خمرا وكان ذلك عند رجل من تنيس فصلحت حاله من بيعه ذلك الخمر فطلبه
الامير الاوحد متولي تنيس وما زال به حتى اخذ الصنم منه **تونه** وكان من جملة
معاملة تنيس قرية يقال لها تونه يعمل بها طراز تنيس ويصنع بها من جملة الطراز
كسوة الكعبة احيانا قال الفاكهي ورايت ايضا كسوة لهرون الرشيد من قباطي
مصر مكتوب عليها بسم الله بركة من الله للخليفة الرشيد عبد الله هرون امير
المومنين اكرمه الله مما امر به الفضل بن الربيع ان يعمل في طراز تونه سنة تسعين
ومايه **بيمناي** قرية من قرى تنيس غلبت عليها بحيرة تنيس وصارت
جزيرة فلما كان في شهر ربيع الاول سنة سبع وثلثين وثمانمايه كشف عن حجارة في اجرها

فاذا

فاذا عضادات زجاج كثيره مكتوب على بعضها اسم الامام المعز لدين الله وعلى بعضها اسم الامام العزيز
بالله نزار ومنها ما عليه اسم الامام الحاكم بالله ومنها ما عليه اسم الامام الظاهر لاعزاز دين
الله ومنها ما عليه اسم المستنصر وهو اكثرها اخبرني بذلك من شاهده وراه **بورا**
كانت فيما بين تنيس ودمياط واليها ينسب السمك الذي يقال له البوري واليها ايضا
ينسب بنو البوري الذين كانوا بالقاهرة والاسكندرية **وفي** سنة عشر وستمايه
وصل العدو اليها في شوانيه وسباها فقدمت اليها القطايع الذي كانت على رشيد فساد
عنها العدو **القس** بفتح القاف وبعدها سين مهملة بلد ينسب اليها الثياب القسية
اثارها الى اليوم باقيه على بحر الملح فيما بين السوادة والعدادة وبعدها من مدينة الفرما
قريب من سنة برد في البر وهنا كثيب عظيم من رمل خارج في البحر الشامي يقطع الفرج
عنده الطريق على المارة وبالقرب من البلد سباخ ينبت فيه ملح تحمله العربان الى غزه
والرملة وبقرب هذا السباخ اثار مزدرع عندها متاخمة للعربان بلد الوادي **رمل**
الغرابي اعلم ان هذا الرمل ممتد في الارض ويسميه بعضهم الرمل الكبير وطوله
من وراء جبلي طي الى ان يتصل مشرقا بالبحر ويمضي من وراء جبلي طي الى ارض مصر ثم الى
بلاد النوبة ويمتد الى البحر المحيط مسيرة خمسة اشهر ومنه عرق يمضي من القادسية
الى البحرين فيعبر البحرين فيمر على مشارق خوزستان وفارس الى ان يرد سجستان فيمر
مشرقا الى مرو واخذا على جيحون في برية خوارزم وياخذ في بلاد الخزلجية الى الصين
والبحر المحيط في جهة المشرق وهو على ما وصفته وسعته من المحيط بالمشرق الى المحيط
بالمغرب وفيه منه جبال عظام لا ترتقى وبعضه في ارض سهلة ينتقل من مكان
الى مكان ومنه اصفر لين الملمس واحمر قاني وازرق سماوي واسود حالك واكحل
مشبع كالنيل وابيض كالثلج ومنه ما يحكي الغبار نعومة ومنه خشن جريش الملمس وزعم
بعضهم ان رمل الغرابي وما يتصل به من حد العريش الى ارض العباسة حادث
وذكر في سبب كونه خبرا فيه معتبر وهو ان شداد بن هداد بن شداد بن عاد احد
الملوك العادية قدم الى ارض مصر وغلب بكثرة جيوشه اشمن بن مصر بن بيصر بن
حام بن نوح ملك مصر وهدم ما بناه هو واباه وبنى لنفسه اهراما ونصب اعلاما
زبر عليها الطلسمات واختط موضع الاسكندرية واقام هناك دهرا الى ان نزل
به وبقومه وبا فخرجوا من ارض مصر الى جهة وادي القرى فيما بين المدينة النبوية
وارض الشام وعمر الملاعب والمصانع تحبس المياه التي تجتمع من الامطار والسيول

وكان سعة ما يصنع ميلا في ميل وغرسوا النخل وغيره وزرعوا اصناف الزراعات فيما بين
دانه والله الي البحر الغربي واستدف منازلهم من الذنبه الي العريش والجفار في ارض سهلة
ذات عيون تجري واشجار مثمره وزروع كثيره فاقاموا بهذه الارض دهرا طويلا حتى عتوا
وبغوا وتجبروا وطغوا وقالوا نحن الاكثرون قوة الاشدون الاعلون فسلط الله عليهم
الريح فاهلكتهم ونسفت مصانعهم وديارهم حتى سحلتها رملا فانواه من هذه الرمال
التي بارض الجفار ما بين العباسيه جنب المنزلة التي تعرف اليوم بالصالحية الي العريش
من رمل مصانع العادية وبحالة صخورهم لما اهلكهم الله بالريح ودمرهم تدميرا واياك
وانكار ذلك لغرابته ففي القران الكريم ما يشهد لصحته قال تعالى وفي عاد اذ ارسلنا
عليهم الريح العقيم ما تذر من شي اتت عليه الا جعلته كالرميم اي كالشي الهالك البالي وقيل
الرميم نبات الارض اذا يبس وديس وقيل الورق الجاف المتحطم مثل الهشيم والرميم
الخلق البالي من كل شي **مراقيه** مدينة مراقيه كورة من كور مصر الغربيه
هي اخر مصر وفي اخر ارض مراقيه تلقا ارض انطابلس وهي برقه وبعدها من مدينة
سنتريه نحو من بريدين وكان قطرا كبيرا به نخل كثير ومزارع وبه عيون جارية وبها
الي اليوم بقيه وتمرها جيد الي الغايه وزرعها اذا بذر ينبت من الحبة الواحدة من القمح
مائة سنبله واقل ما ينبت سبعين سنبلة وكذلك الارز بها فانه جيد زكي وبها الي اليوم
بساتين متعدده وكانت في القديم من الزمان يسكنها البربر الذين نفاهم داود عليه
السلام من ارض فلسطين فنزلها منهم خلائق ومنها تفرقت البربر فنزلت زناته ومغيله
وضريسة الجبال ونزلت لواته ارض برقه ونزلت هواره لطرابلس المغرب ثم انتشرت
البربر الي السوس **فلما** كان شوال سنة اربع وثلثمايه من سني الهجرة المحمدية
خلا اهل لوبيه ومراقيه الي الاسكندرية خوفا من صاحب برقه ولم يزل في اختلال
الي ان تلاشت في زمننا بها بعد ذلك بقيه حين **كوم شريك** هذا المكان بالقرب
من الاسكندرية له ذكر في الاخبار عرف لشريك بن سمي بن عبد يغوث بن حزن المرادي
الغطيفي من الصحابة رضي الله عنهم وكان على مقدمة عمرو بن العاص في فتح الاسكندرية
الثاني فعندما كثرت جموع الروم انحاز شريك الي هذا الكوم باصحابه ودافع الروم
حتى ادركه عمرو وكوم شريك هذا من جملة حوف رمسيس **غيفا** وغيفا قرية تجاه
مدينة بلبيس من الفسطاط اليها مرحلتان كانت منزله قافلة الحجاج ويقال ان صواع
الملك الذي فقد من مدينة مصر وجد في رحال اخوة يوسف عليه السلام بغيفا هذه

سمنود

سمنود كان بها بربا عليه هيئة درقه فيها كتابة حكى ابن زولاق عن ابي القاسم مامون
العدل انه نسخ هذه الكتابة في قرطاس وصورة على درقة قال فما كنت استفيد به احدا
الاولي هاربا وكان بها ايضا تماثيل وصور من ملك مصر فيهم قوم عليهم شاشات وبايديهم
الحراب وعليهم مكتوب هولا يملكون مصر **ذكر مدينة بلبيس** وسميت في التوراة
ارض جاشان وفيها نزل يعقوب لما قدم على ولده يوسف عليهما السلام فانزله بارض
جاشان وهي بلبيس الي العلاقمة من اجل مواشيهم قال ابن سعيد بلبيس واليها
يصل حكمه الي الوارده وهي اخر حد مصر واليها ينتهي المعاملة بفضة السواد ويصير
الناس يتعاملون بالفلوس وهي اول الشام ومل هي اخر حد مصر وقال ابو عبيد
البكري بلبيس بفتح اوله واسكان ثانيه بعدها باء مثل الاولى مفتوحة ايضا
وياء ساكنه وسين مهمله وهو موضع قرب مصر معروف وذكر ابن خرداذبة في
كتاب المسالك والممالك ان بين بلبيس وبين مدينة فسطاط مصر اربعة وعشرون
ميلا وذكر الواقدي ان المقوقس زوج ابنته ارمانوسه من قسطنطين بن
هرقل وجهزها باموالها وجواريها وغلمانها وحشمها لتسير اليه حتى يبني عليها في مدينة
قيسارية بساحل البحر من الشام فبلغها بعد ما سارت اليه ان العرب قد نزلوا
على قيسارية وهم محاصرون لها فرجعت الي بلبيس واقامت بها وبعثت حاجبها
الكبير في الفي فارس الي الفرما ليحفظ الطريق ولا يدع احدا من الروم ولا غيرهم
يعبروا الي مصر وبعث المقوقس برسله الي اطراف بلاده مما يلي الشام ان لا يتركوا احدا
يدخل ارض مصر مخافة ان يتجدد ثوا بغلبة المسلمين على الشام فيدخل الرعب في
قلوب عساكره **فلما** قدم عمر بن الخطاب الجابية وسار عمرو بن العاص الي مصر
نزل على بلبيس وبها ارمانوسة ابنة المقوقس فقاتل من بها وقتل منهم زها الف واسر
ثلثة الاف وانهزم من بقي الي المقوقس واخذت ارمانوسه وجميع ما لها وسائر ما
كان للقبط في بلبيس فاحب عمرو ملاطفة المقوقس وسير اليه ابنته ارمانوسه
مكرمة في جميع مالها مع قيس بن ابي العاص السهمي فسر بقدومها ثم سار عمرو الي
القصر ولم يزل من مداين مصر الكبار حتى نزل عليها مري ملك الفرنج واخذها عنوه
بعد حصار طويل وقتل منها الافا ولها اخبار كثيرة وقد خربت منذ عهد الحوادث
بديار مصر بعد سنة ست وثمانمايه بعد ما ادركناها وبها عمارة كثيرة وفيها
عدة بساتين واهلها اصحاب يسار ونعم سنيه والله اعلم

ذكر بلد الورادة

الورادة من جملة الجفار قال عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه في كتاب المسالك والممالك وصفة الارض والطريق من الرملة الى اسدود اثنا عشر ميلا ثم الى غزة عشرون ميلا ثم الى العريش اربعة وعشرون ميلا في رمل ثم الى الورادة ثمانية عشر ميلا ثم الى الغريب عشرون ميلا ثم الى الفرما اربعة وعشرون ميلا قال الخليفة المامون

لليلك كان بالميدان اقصر منه بالفرما
غرت في قرى مصر نغاسي الهرم والسد ما

ثم الى جرجير ثلثون ميلا ثم الى القاهرة اربعة وعشرون ميلا ثم الى مسجد قضاعة ثمانية عشر ميلا ثم الى بلبيس احد وعشرون ميلا ثم الى فسطاط مصر اربعة وعشرون ميلا وقال جامع تاريخ دمياط ولما افتتح المسلمون الفرما بعد ما افتتحوا دمياط وتنيس ساروا الى البقارة فاسلم من بها وساروا منها الى الورادة فدخل اهلها في الاسلام وما حولها الى عسقلان وقال القاضي الفاضل في حوادث محرم سنة سبع وستين وخمسمائة وصباحنا الورادة بيتنا على منيا الورادة ودخلنا الورادة وقرانا تاريخ منارة جامعها سنة ثمان واربعمائة واسم الحاكم بامر الله عليها والورادة من جملة الجفار ويقال اخذ اسمها من الورود ولم يزل جامعها عامرا تقام به الجمعة الى بعد السبعمائة وبلد الورادة القديم في شرقي المنزلة التي يقال لها اليوم الورادة وبها اثار عمارة ونخل قليل

الصالحية

هذه البلدة اختطها الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الكامل محمد بن العادل ابي بكر بن ايوب بن شادي بارض السانح والعلاقمة في اول الرمل الذي بين مصر والشام وانشا بها قصورا وجامعا وسوقا لتكون منزلة العساكر اذا خرجوا من الرمل وذلك في سنة اربع واربعين وستمائة وتنزلها والله اعلم

ذكر مدينة ايلة

ذكر ابن حبيب ان ايالة بضم اوله ثم با مثلثة وادي ايلة وايلة بفتح اوله على وزن فعلة مدينة على شاطئ البحر فيما بين مصر ومكة سميت بايلة بنت مدين بن ابراهيم عليه السلام وايلة اول حد الحجاز وقد كانت مدينة جليلة القدر على ساحل البحر الملح بها التجارة الكثيرة واهلها اخلاط من الناس وكانت حد مملكة الروم في الزمن الغابر وعلى ميل منها باب معقود لقيصر قد كان مسلحة ياخذون المكس وبين

ايلة

ايلة وبين المقدس ستة مراحل والطور الذي كلم الله موسى عليه السلام على يوم وليلة من ايلة وكانت في الاسلام منزلا لبني امية واكثرهم موالي عثمان بن عفان كانوا سقاة الحاج وكان بها علم كثير وادب ومتاجر واسواق عامرة وكانت كثيرة النخل والزرع وعقبة ايلة لا يصعدها الماشي ولا الراكب واصلحها الامير ابو الجيش خمارويه بن احمد بن طولون وسوى طريقها ورم ما استرم منها وكان بايلة مساجد عديدة وبها كثير من اليهود يزعمون ان برد النبي صلى الله عليه وسلم عندهم وانه بعثه اليهم امانا وكانوا يخرجونه رداء عدنيا ملفوفا في الثياب قد ابرز منه قدر شبر فقط ويقال ان ايلة هي القرية التي ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز حيث قال واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون وقد اختلف في تعيين هذه القرية فقال ابن عباس رضي الله عنه وعكرمة والسدي هي ايلة وعن ابن عباس ايضا انها مدين بين ايلة والطور وعن الزهري انها طبرية وقال قتادة وزيد بن اسلم هي ساحل من سواحل الشام بين مدين وعينونا يقال لها مقنا وسئل الحسين بن الفضل هل تجد في كتاب الله الحلال لا ياتيك الا قوتا والحرام ياتيك جزفا جزفا قال نعم في قصة ايلة اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم وكان من خبر اهل القرية انهم كانوا من بني اسرائيل وقد حرم الله عليهم العمل في يوم السبت فزين لهم ابليس الحيلة وقال انما نهيتم عن اخذ الحيتان يوم السبت فاتخذوا الحياض وكانوا يسوقون الحيتان اليها يوم الجمعة فتبقى فيها فلا يمكنها الخروج منها لقلة الماء فياخذونها يوم الاحد وقيل كان الرجل ياخذ خيطا ويضع فيه وهقة ويلقيها في ذنب الحوت وهو بتحريك الماء واسكانها حبل كالطول وفي الطرف الاخر من الخيط وتد ويتركه كذلك الى الاحد ثم تطرق الناس حين راوا من صنع هذا لا يبتلى حتى كثر الصيد للحيتان ومشي به في الاسواق واعلن الفسقة بصيده فقامت طائفة من بني اسرائيل وجاهرت بالنهي واعتزلت وقالوا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان للناس لشانا فعلوا على الجدار فاذا هم قردة فدخلوا عليهم فعرفت القردة انسابها من الانس فجعلت تاتيهم فتشم ثيابهم وتبكي فيقول الناهون للقردة الم ننهكم فتقول براسها نعم قال قتادة صار الشبان

توده ما للشيوخ خنازير فما نجا الا الذين نهوا وهلك سايرهم ويقال ان ذلك كان في زمن
نبي الله داود عليه السلام وقد قيل ان ايلة اصلها ايلت الله وقد وقع ذكرها في القران
كذلك وقال الشريف محمد بن اسعد الجواني دكالة من البربر تبطن من المصامدة وقالت
طايفة ان دكالة ولد ايله ويقال ايل الذي سميت به عقبة ايله واخوتهم دغفل بن
ايلة وانهم يعزون الى النزارية ويقولون نحن من ربيعة الفرس وفي ذلك خلاف
عظيم وذكر المسعودي ان يوشع بن نون عليه السلام حارب السميدع بن هوبر بن
بن مالك العمليقي ملك الشام ببلاد ايله نحو مدين وقتله واحتوى على ملكه وفي ذلك
عوف بن سعيد الجرهمي ؛

؛ الم تر ان العمليقي بن هوبر ؛ امسى لحمه قد تمزعا ؛

؛ تداعت عليه من يهود جحافل ؛ ثمانون الفا حاسرون ودرعا ؛

وهي ابيات كثيرة وقال ابن اسحق فلما انتهى رسول الله الى تبوك اتاه يحنة بن روبة
صاحب ايلة فصالحه واهدا اليه واعطاه الجزية واتاه اهل جربا واذرح فاعطوا
له الجزية فكتب لهم كتابا فهو عندهم وكتب ليحنة بن روبة بسم الله الرحمن
الرحيم هذا امنة من الله ومحمد النبي رسوله ليحنة بن روبة واهل ايلة اساقفهم
وسايرهم في البر والبحر لهم ذمة الله وذمة النبي ومن كان معهم من اهل الشام
واهل اليمن واهل البحر فمن احدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه وانه
طيب لمن اخذه من الناس وانه لا يحل ان يمنعوا ماء يريدونه ولا طريقا يريدونه من
بر او بحر هذا كتاب جهيم بن الصلت وشرحبيل بن حسنة باذن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكان ذلك في سنة تسع من الهجرة ؛

وادي هبيب

هذا الوادي بالجانب الغربي من ارض مصر فيما بين مريوط والفيوم يجلب منه الملح
والنطرون عرف بهبيب بن محمد بن معقل بن الواقعة بن حزام بن غفار الغفاري
احد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد فتح مصر روى عنه ابو تميم
الجيشاني واسلم مولى تجيب وسعيد بن عبد الرحمن الغفاري وكان قد اعتزل عند
فتنة عثمن رضي الله عنه بهذا الوادي فعرف به وكان يقال لا تفرق بين قضا
دين رمضان وتجمع بين الصلاتين في السفر ويقال لهذا الوادي ايضا وادي
الملوك ووادي النطرون وبرية شيهات وبرية الاسقيط وميزان القلوب
وكان

وكان بهماية دير للنصارى ويقال به سبعة ادير وقد ذكرت عند ذكر الديارات من
هذا الكتاب وهو واد كثير الفوايد فيه النطرون ويتحصل منه مال كثير وفيه الملح
الاندراني والملح السلطاني وهو على هيئة الواح الرخام وفيه الوكة والملح الاسود
ويعمل الزجاج وفيه الماسكة وهو طين اصفر في داخل حجر اسود يحل في الما ويشرب
لوجع المعدة وفيه البردي يعمل الحصر وفيه عين الغراب وهو ما في هيئة
البركة وطولها نحو خمسة عشر ذراعا في عرض خمس اذرع في مغار بالجبل لا يعلم
من اين ياتي ولا الى اين يذهب وهو ما حلو رايق ويذكر انه خرج معه سبعون الف
راهب بيد كل واحد عكاز فتلقوا عمرو بن العاص بالطرانة مرجعه من الاسكندرية
يطلبون امانه لهم على انفسهم وديارتهم فكتب لهم بذلك امانا بقي عندهم وكتب
لهم ايضا بجراية الوجه البحري فاستمرت بايديهم وان جرايتهم جاءته في سنة زيادة
على خمسة الاف اردب ولم تزل مدينة ايلة عامرة اهلة وفي سنة خمس عشرة
واربعماية طرق عبد الله بن ادريس الجعفري ايلة ومعه بعض بني الجراح
فنهبها واخذ منها ثلثة الاف دينار وعدة غلات وسبى النسا والاطفال
ثم انه صرف عن ولاية وادي القرى فسارت اليه سرية من القاهرة لمحاربته
وقال القاضي الفاضل وفي سنة ست وستين انشا الملك الناصر صلاح
الدين يوسف مراكب مفصلة وحملها على الجمال وسار بها من القاهرة في عسكر
كثير لمحاربة قلعة ايلة وكانت قد ملكها الفرنج واشتدوا بها فنازلها في ربيع
الاول واقام المراكب واصلحها وطرحها في البحر وشحنها بالمقاتلة والاسلحة وقاتل
قلعة ايلة في البر والبحر حتى فتحها في العشرين من شهر ربيع الاخر وقتل من بها من
الفرنج واسرهم واسكن بها جماعة من ثقاته وقواهم بما يحتاجون اليه من سلاح
وغيره وعاد الى القاهرة في اخر جمادى الاولى وفي سنة سبع وسبعين وصل
كتاب النايب بقلعة ايلة ان المراكب على تحفظ وخوف شديد من الفرنج ثم
وصل الابرنس لعنه الله الى ايله وربط العقبة وسير عسكرا الى ناحية
تبوك وربط جانب الشام لخوفه من عسكر تطلبه من الشام او مصر فلما
كان في شعبان من السنة المذكورة كثر المطر بجبل المقاتلة للقلعة بايلة حتى
صارت به مياه استغنى به اهل القلعة عن ورود العين مدة شهرين ووقع
بيوت القلعة لتتابع المطر ووهت لضعف اساسها فتداركها اصحابها واصلحوها

وذكر ابو الحسن المسعودي في كتاب اخبار الزمان ومن اباده الحدثان ان الكوكة وهم
امة لهم اربعة املاك ملكوا ارض ايلة الحجاز وبنى كل واحد منهم مدينة سماها باسمه
وجعلوا اسافل الارض حتمات وقسموها على ثلثين كوره وجعلوها اربعة اعمال لكل
عمل ملك يجلس على منبر ذهب في مدينته وعمل بربا وهي بيت الحكمة وعمل هيكلا
لاحد الكواكب وجعل فيه اصناما من ذهب لكل صنم له منزلة وكانت الاسكندرية
واسمها رقوده فجعلوا لها خمس عشرة كورة وجعلوا فيها كبار الكهنة ونصبوا في
هياكلها من اصنام الذهب اكثر مما في غيرها وكان فيها ما بين صنم من ذهب وقسموا
الصعيد على ثمانين كورة وجعلوه اربعة اقسام وكان عدد مدن مصر الداخلة
في كورها ثلثين مدينة فيها جميع العجايب وقيل ان حمير الاكبر واسمه العرنجج
بن سبا الاكبر واسمه عامر ويعرف بعبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان
لما ملك بعد ابيه جميع جيوشه وسار يطا الامم ويدوس جميع الممالك كما فعل
ابوه فامعن في المشرق حتى ابعد ياجوج وماجوج الى مطلع الشمس ثم قفل نحو
المغرب فجاه قبايل من اهل اليمن من بني هود بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام
بن نوح يشكون من ثمود بن غاثر بن ارم بن سام بن نوح وما نزل بهم من ظلمهم وامر
برفعهم من ارض اليمن وانزلهم ايلة فعمروها من ايلة الى ذات الاصاد الى اطراف
جبل نجد فقطعت ثمود هناك الصخور ونحتوا من الجبال البيوت ومكروا وطغوا
بعث الله فيهم صالحا نبيا ورسولا فكذبوه وسالوه ان يخرج لهم ناقة من صخر فاخرجها
لهم فعقروها فاهلكهم الله تعالى بالصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين وقد ذكر
ان موسى عليه السلام سار ببني اسرايل بعد موت اخيه هرون الى ارض
اولاد العيص وهي التي تعرف بجبال السراة حيث بلد الشوبك ثم مر منها الى ايلة
وتوجه بعد ايام الى تريمانت حيث بلاد الكرك حتى حارب تلك الامم وكان الى
جانب ايلة مدينة يقال لها عصيون جليلة عظيمة **مريوط** كورة من
كور الاسكندرية كانت لشدة بياضها لا يكاد يبين فيها دخول الليل الا بعد
وقت وكان الناس يمشون فيها وفي ايديهم خرق سود خوفا على ابصارهم من
شدة بياضها لبس الرهبان السواد وكانت بلاد مريوط في نهاية العمارة
والجنان المتصلة بارض برقة وهي اليوم من بعض قرى الاسكندرية تزرع بها
الفواكه وغيرها وقد وقفها الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير على
جهات.

جهات بر بالجامع الحاكمي من القاهرة وبها جامع عمر سنة ست وستين وثمانماية ثم استاجرها
الملك المؤيد شيخ المحمودي في سنة احدى وعشرين وثمانماية ووجدت على عمارة
بستانها وقد تخرب لتزداد لتبيد عرب برقة اليه فاستمرت في ديوان السلطان

ذكر مدينة مدين

اعلم ان مدين امة شعيب هم بنو مديان بن ابراهيم عليه السلام وامهم قنطورا
بنت يقطان الكنعانية ولدت له ثمانية من الولد تناسلت منهم امم ومدين على بحر
القلزم تحاذي تبوك على نحو ست مراحل وهي اكبر من تبوك وبها البير التي استقى منها
موسى لسايمة شعيب وعمل عليها بيت قال الفرا مدين اسم بلد وقطر وقيل
اسم قبيلة سميت باسم ابيها مدين وقال لها مديان بن ابراهيم قاله مقاتل وغيره
والجمهور على ان مدين اعجمي وقيل عربي فان كان عربيا فانه يحتمل ان يكون فعيلا من
مدن بالمكان اقام به وهو بناء نادر وقيل مهمل او مفعلا من دان فتصحيحه شاذ
وهو ممنوع الصرف على كل حال سوا كان اسما للارض او اسم القبيلة عجميا او عربيا
وقال المسعودي وقد تنازع اهل الشرايع في قوم شعيب بن نويل بن رعويل
بن مر بن عنقا بن مدين بن ابراهيم عليه السلام وكان لسانهم العربية فمنهم من
راى انهم من العرب الداثرة والامم البايدة وبعض من ذكرنا من الامم الخالية
ومنهم من راى انهم من ولد المحصن بن جندل بن يعصب بن مدين بن ابراهيم
الخليل عليه السلام وان شعيبا اخوهم في النسب وقد كان عدة ملوك تفرقوا
في ممالك متصلة فمنهم المسمى بابي جاد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشيات
وهم على ما ذكرنا بنو المحصن بن جندل واحرف الجمل هي اسماء هولاء الملوك وهي الاربعة
وعشرون حرفا التي عليها حساب الجمل وقد قيل في هذه الحروف غير ما ذكرنا
من الوجوه فكان ابجد ملك مكة وما يليها من بلاد الحجاز وكان هوز وحطي ملكين
ببلاد وج وهي ارض الطايف وما اتصل بذلك من ارض نجد وكلمن وسعفص
وقرشيات ملوكا بمدين وقيل ببلاد مصر وكان كلمن على ملك مدين ومن الناس
من راى انه كان ملك جميع من سمينا مشاعا متصلا على ما ذكرنا وان عذاب يوم
الظلة كان في ملك كلمن منهم وان شعيبا دعاهم فكذبوه فوعدهم بعذاب يوم الظلة
ففتح عليهم باب من السما من نار ونجا شعيب بمن امن معه الى الموضع المعروف
بالايكة وهي غيضة نحو مدين فلما احس القوم بالبلا واشتد عليهم الحر وايقنوا بالهلاك

طلبوا شعيبا ومن امن معه من مواضعهم وازالوهم عن اماكنهم وتوهموا ان ذلك ينجيهم مما نزل عليهم فجعلها الله عليهم نارا فاتت عليهم فرثت جارية كلمن اباها وكانت بالحجاز فقالت

كلمون هدركني هلكه وسط المحله
سيد القوم اتاه الحتف نارا وسط ظلة
كونت نارا فاضحت دار قومي مضمحله

وقال المنتصر بن المنذر المديني

الا يا شعيب قد نطقت مقالة اتيت بها عمرا وحي بني عمرو
هم ملكوا ارض الحجاز باوجه كمثل شعاع الشمس في صورة البدر
وهم قطنوا البيت الحرام وزينوا قطورا وفازوا في المكارم والفخر
ملوك بني حطي وصعفص ذي الندا وهوز ارباب الثنية والحجر

قال المسعودي ولهذه الملوك اخبار عجيبة من حروب وسير وكيف تغلبهم على هذه الممالك وتملكهم عليها واباد تهم من كان فيها وعليها قبلهم من الامم وقيل ان الايكة المذكورة في قوله عز وجل ولقد كذب اصحاب الايكة المرسلين وفي قوله تعالى وان كان اصحاب الايكة لظالمين فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين انها مدين وقيل انها من ساحل البحر الي مدين وقيل هي غيضة نحو مدين وقيل ان اصحاب الايكة الذين بعث اليهم شعيب كانوا بتبوك بين الحجر واول الشام ولم يكن شعيب منهم وانما كان من مدين وقال ابو عبيد البكري الايكة المذكورة في كتاب الله تعالى التي كانت منازل لقوم شعيب روي عن ابن عباس فيه روايتان احدهما ان الايكة من مدين الى شعب وبدا والثانية انها من ساحل البحر الي مدين وكان شجرهم الايكة المقل والايكة عند اهل اللغة الشجر الملتف وكانوا اصحاب شجر ملتف وقال قوم الايكة الغيضة وليكة اسم البلد حولها كما قيل مكة وبكة وقال ابو جعفر النحاس ولا نعلم ليكة اسم بلد وقال ابن قتيبة وكان بعضهم يزعم بان بكة هو موضع المسجد وما حوله مكة كما فرق بين الايكة وليكة فقيل الايكة الغيضة وليكة البلد حولها وقال البكري مدين بلد بالشام معلوم تلقا غزة وهو المذكور في كتاب الله تعالى وهذا وهم بل مدين من ارض مصر وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى مدين اميرهم زيد بن حارثة رضي الله عنه فاصاب

سبيا

سبيا من اهل ميناء قال ابن اسحق وميناء هي الساحل فبيعوا وفرق بين الامهات والاولاد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون فقال ما لهم فاخبر خبرهم فقال لا تبيعوهم الا جميعا ومدين من منازل جذام بن عدي بن الحرث بن مرة بن ادد بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان وشعيب النبي المبعوث الي اهل مدين احد بني وائل من جذام وقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لوفد جذام مرحبا بقوم شعيب واصهار موسى ولا تقوم الساعة حتى يتزوج فيكم المسيح ويولد له وقال محمد بن سهل الاحول مدين من اعراض المدينة ايضا مثل فدك والفرع ورهاط قال مولفه رحمه الله وكان بارض مدين عدة مداين كثيرة قد باد اهلها وخربت وبقي منه الى يومنا هذا وهو سنة خمس وعشرين وثمان مائة نحو الاربعين مدينة قائمة منها ما يعرف اسمه ومنها ما قد جهل اسمه فمما يعرف له اسم فيما بين ارض الحجاز وبلاد فلسطين عشر مداين وهي الخلصة والسبيطة والمدرة والمنية والاعوج والحوبرق والبيرين والماين والسبع والمعلق واعظم هذه المداين العشر مدينتي الخلصة والسبيطة وكثيرا ما ينقل حجارتها الى غزة ويبنا بها هناك ومن مدن مدين بناحية بحر القلزم والطور مدينة فاران ومدينة الرقة ومدينة القلزم ومدينة ايلة ومدينة مدين والى الان اثار عجيبة وعمد عظيمة ووجد في مدينة الاعوج اعوام بضع وستين وسبعمائة جب تبلعته بعيد المهوى يبلغ عمقه نحو مائة باع وتباعه عدة اسفار على رفوف حمل منها سفر طوله ذراعان وازيد قد علق بلوحين من خشب وكتابته بالقلم المسند طول الالف واللام نحو شبر فوجد ببلاد الكرك من قراه فاذا هو سفر من عدة اسفار قد ابتداه بحمد الله ثم قال خروج موسى من ارض مصر الى بلاد مدين وملوك بني مدين فيما بعد شعيب ثم ذكر لموسى عليه السلام عدة اسما منها اسمه بالعربية موسى بن عمران وبالعبرانية موشى وبالفارسية داران وبالقبطية هرو هسيس وذكر انه تزوج ابنة ابن شعيب وانه اقام بمدين ثماني حجج ثم قال لابن شعيب قد اتممت لك شرطك وسازيدك من عندي بقية خير مدينة مدين سنتين فضلا مني قال وخرج موسى متوجها الى مصر والملك يوميذ على مدين ابو اجاد قال وقوي امر ابو اجاد وطغا حتى ملك الحجاز واليمن وكان

له خمسة اولادهم هوز وحطين وكلمن وصعفط وقرشنت فاقام ابواجد ملكا باليمن مايه سنه ومات وقد استخلف منه بعده ابنه كلمن باليمن وجعل ابنه هوز علي الحجاز وابنه حطين علي ارض مصر وابنه صعفط علي الجزيره وبلادها حيث الموصل وحران الي ارض العراق وابنه قرشنت علي العراق ومشارقها من خراسان وكان قريشات هو الجبار منهم وكان سعفص وهوز وكلمن اهل عدل وحلم وكان حطين صاحب بطش وحرب وكان بنوا اسرائيل اذ ذاك بالشام فلم يملك اولاد ابواجد ارض الشام ولا احتووا عليها وكانت مدة ملكهم نحوا من مايه وخمسين سنة ثم لهم بدولة ابيهم ابواجد بلثمانة سنة وازيد ثم ملك بعدهم علي بني اسرائيل ذو ذيب بن هوز وعو ذيب بن حطين بن ابواجد نحو سبع سنين ثم خرجت الدولة عن اولاد ابواجد واقام هذا الكتاب عندهم زمانا ثم اعادوه الي الجب من قلعة الاعوج حدثني بهذا الخبر الحافظ المتقن الضابط ابو عبد الله محمد بن احمد بن محمد بن عبد الرحمن الزياني التونسي المالكي قال حدثني به شيخ بن غنيم العامري شيخ لقيته بارض مصر فلسطين انه شاهد الكتاب المذكور وهو شاب وحفظ منه ما تقدم ذكره وقيل ان مالك بن دعر بن حجر بن جديله بن لخم كان له اربعة وعشرون ولد اذكرا فكثرت اولادهم حتي بنوا المداين والقري والحصون نحو عمر والبلاد مدين كلها وغلبوا علي بلاد مصر والشام والحجاز وغيرها خمسمائة سنه وقيل انما كان استيلا ملوك مدين علي مصر خمسماية سنة بعد غرق فرعون موسي وهلاك دولته لانه زمان حتي اخرجهم منها نبي الله سليمن بن داود عليه السلام فعاد الملك الي القبط بعدهم

ذكر مدينة فاران

هذه المدينة بساحل بحر القلزم وهي من مدن العمالقة علي تل بين جبلين وفي الجبلين نقوب كثيرة لا تحصي مملوءة امواتا ومن هناك الي بحر القلزم مرحلة واحدة ويقال له هناك ساحل بحر فاران وهو البحر الذي اغرق الله فيه فرعون وبين مدينة فاران وبين التيه مرحلتان ويذكر ان فاران اسم جبال مكه وقيل اسم لجبال الحجاز وهي التي ذكرت في التوراة والتحقيق ان فاران والطور كورتان من كور مصر القبليه وهي غير فاران المذكوره في التوراة وقيل ان فران بن عمرو بن عمليق هو الذي نسب اليه جبال الهرم فعمل جبال فاران وبعضهم يقول جبال فران والمشهور ان

ان فران هو فران بن بلي بن عمرو بن الحاف اليه ينسب معدن فران وكانت مدينة فاران من جملة مداين مدين وبها الي اليوم نخل كثير مثمر واكلت من ثمره وبها نهر عظم وهي خراب تمر بها العربان

ذكر ارض الجفار

اعلم ان الجفار اسم لخمس مداين وهي الفرما والبقارة والورادة والعريش ورفح والجفار كله رمل وسمي بالجفار لشدة المشي فيه علي الناس والدواب من كثرة رمله وبعد مراحله والجفار تجفر منه الابل فاتخذ له هذا الاسم كما قيل للخيل الذي يحرك به البعير هجار والذي يجر به حمار والذي تعقل به عقال والذي يبطن به بطان والذي يخطم به خطام والذي يزم به زمام واشتقت البقارة من البقر والورادة من الورد والعريش اخذ من العرش وقيل ان رفح اسم رجل وكان يسكن الجفار في القديم جذام من العربان ويقال ان ارض الجفار كانت في الدهر الاول والزمن الغابر متصلة العمارات كثيرة البركات مشهورة بالخيرات لكثرة زراعة اهلها الزعفران والعصفر وقصب السكر وكان ماها غزيرا عذبا ثم صار بها نخل يحدق بها من كل النواحي الي ان دمرها التدمير فصارت الي اليوم ذات رمل عظيم يسلك فيه الي العريش والي رفح كله بغير معرفة بعضه برمل الخرابي قليل الماء عديم المرعي ولا انيس به فسبحان من يحول الاحوال من حال الي حال

ذكر صعيد مصر

الصعيد المرتفع من الارض وقيل الارض المرتفعة من الارض المنخفضة وقيل ما لم يخالطه رمل ولا سبخه وقيل هو وجه الارض وقيل الارض الطيبة وقيل هو كل تراب طيب وتسمية هذه الجهة من ارض مصر من ارض مصر انما حدث في الاسلام سماها العرب بذلك لانها جهة مرتفعة عما دونها من ارض مصر ولذلك يقال فيها اعلا الارض ولانها ارض ليس بها رمل ولا سباخ بل كلها ارض طيبة مباركة ويقال للصعيد ايضا الوجه القبلي قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاة ولما حضر مصرايم الوفاه عهد الي ابنه قبطيم وكان قد قسم ارض مصر بين بنيه فجعل لقبطيم من بلد قفط الي اسوان ولاشمون من بلد اشمون الي منف ولاتريب الحوف كله ولصا من ناحية صا البحيرة الي قرب برقه وقال لاخيه فارق

لك من برقه الى الغرب فهو صاحب افريقيه وولده الافارق وامر كل واحد من بنيه ان يبني
لنفسه مدينة في موضعه وقال ابن عبد الحكم فلما كثر ولد مصر واولاد اولادهم قطع مصر
لكل واحد منهم قطعة يحوزها لنفسه ولولده وقسم لهم هذا النيل فقطع لابنه قفط فسكنها
وبه سميت قفط قفطا وما فوقها الى اسوان وما دونها الى اشمون في الشرق والغرب وقطع
لاشمن من اشمون فما دونها في الشرق والغرب الى منف فسكن اشمن اشمون فسميت به وقطع
لاتريب ما بين منف الى صا فسكن اتريب فسميت به وقطع لصا ما بين صا الى البحر فسكن صا
وسميت به وكانت مصر كلها على اربعة اجزا جزءين بالصعيد وجزءين باسفل الارض وقال
ابو الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر الادفوي في كتاب الطالع السعيد في تاريخ الصعيد
مسافة اقليم الصعيد الاعلى مسيرة اثني عشر يوما بسير الجمال وعرضه ثلث ساعات
واكثر بحسب الاماكن العامرة ويتصل عرضه في الكورة الشرقية بالبحر الملح واراضي البجه
وفي الغربية بالواح وهو كورتان شرقيه وغربيه والنيل بينهما فاصل واول الشرقيه
من مدح بني هميم المتصلة ارضها باراضي جرجا من عمل اخميم واخرها من قبلي اسوان
ويليها اول اراضي النوبة وفي هذه الكورة نبح وقفط وقوص واول الكورة الغربية برديس
يتصل ارضها بارض جرجا وفي هذه الكورة نبح وقفط وقوص واول الكورة الغربية
برديس يتصل ارضها بارض جرجا وفي هذه الكورة الغربية سمهود واخر الكورة الغربية
اسوان ومحاسنه كثرة النخل من الجانبين يكون مساحة الاراضي التي فيها النخيل
والبساتين تقارب عشرين الف فدان والمستولي على اقليم الصعيد المستنري ويقال
كان بصعيد مصر نخلة تحمل عشرة ارادب تمر فقصها بعض الولاة فلم تحمل
في ذلك العام ولا تمرة واحدة وكانت هذه النخلة في الجانب الغربي وابيع ثمرها في الغلا
كل ويبة بدينار ويقال لما صورت الدنيا لامير المومنين هرون بن محمد الرشيد
لم يستحسن الا كورة سيوط من صعيد مصر فانها ثلثون الف فدان في استوا من
الارض لو وقعت فيها قطرة ما لانتشرت في جميعها وبالصعيد بقايا السحر قديم ه
حكي الامير قطلوبغاي والي قوص في الايام الناصرية محمد بن قلاوون
لما مسكت امراة ساحرة فقلت لها اريد ان ابصر من سحرك شيا فقالت اجود
العمل اذا سحر العقرب على اسم شخص بعينه فلا بد ان تقع عليه وتضربه بسمها فتقتله
فقلت اريني هذا واقصديني بسحرك فاخذت عقربا وعملت ما احبت ثم ارسلت
العقرب فتبعني وانا اتنحى عنه وهو يقصدني فجلست على تخت ونصبته على بركة ما

فاقبل

فاقبل العقرب الى ذلك الما واخذ في التوصل الي فلم يطق ذلك فمر الى الحايط وصعد فيه وانا
اشاهده حتى وصل الى السقف ومر فيه الى ان صار فوقي والقى نفسه صوبي وسعى
نحوي حتى قرب مني فضربته فقتلته ثم قتلت الساحرة ايضا وارض الصعيد كثيرة
المواشي من الضان وغيره لكثرة نتاجه حتى ان الراس الواحد من نعاج الضان تولد
عنه في عشر سنين الف واربع وعشرون راسا وذلك بتقدير السلامه وان تلد
كلها الاناث وتلد مرة واحدة في كل سنه ولا تلد في كل بطن غير راس واحد والا ان
ولدت في السنة مرتين وكان في كل بطن راسان يضاعف العدد ومن تامل حساب
ما قلناه تجده صحيحا وقد شوهد كثيرا ان من اغنام الصعيد ما يلد في السنة ثلث
مرات ويلد في البطن الواحد ثلاثة روس وكانت الكثرة والغلبة ببلاد الصعيد لستة
قبايل وهي بنو هلال وبلي وجهينة وقريش ولواته وبنو الكلاب وكان بها مع هولا
عدة قبايل سواهم من الانصار ومن مزينة وبني دراج وبني كلاب وثعلبة وجذام
وبلغ من عمارة الصعيد ان الرجل في الايام الناصرية محمد بن قلاوون وما بعدها
كان يمر من القاهرة الى اسوان فلا يحتاج الى نفقة بل يجد بكل بلد وناحية عدة دور
للضيافة اذا دخل دارا منها احضر لدابته علفها وجي له بما يليق به من الاكل ونحوه
وان امره الان الى ان لا يجد الرجل احدا فيما بين القاهرة واسوان يضيفه لضيق
الحال ثم تلاشى امر بلاد الصعيد منذ سنة الشرقي في الايام الاشرفية شعبان بن حسين
بن محمد بن قلاوون سنة ست وسبعين وسبعمايه وتزايد تلاشيه في الايام الظاهرية
برقوق لجور الولاة ولم يزل في ادبار الى ان كانت سنة ست وثمانمايه وشرقت
ارض مصر بقصور مد النيل ودهى اهل الصعيد من ذلك بما لا يوصف حتى انه مات
من مدينة قوص سبعة عشر الف انسان ومات من مدينة سيوط احد عشر الف
انسان ممن غسل وكفن ومن مدينة هو خمسة عشر الف انسان وذلك كله سوى
الطرحا على الطرقات وممن لا يعرف من الغربا ونحوهم ثم دمر في الايام المويدية شيخ
فلم يبق منه الا رسوم بسد الولاة الجهال في محوها

ذكر الجنادل ولمع من اخبار ارض النوبه

الجندل ما يقل الرجل من الحجارة وقيل هو الحجر كله الواحدة جندلة والجندل الجنادل
قال سيبويه وقالوا جندل يعنون الجنادل وصرفوه لنقصان البنا عما لا ينصرف
وارض جندلة ذات جندل وقيل الجندل المكان الغليظ فيه حجارة ومكان جندل

كثير الجنادل قال عبد الله بن احمد بن سليم الاسواني في كتاب اخبار النوبة والمقرة وعلوه
والبجه والنيل واول بلد النوبة قرية تعرف بالقصر من اسوان اليها خمسة اميال
واخر حصن للمسلمين جزيرة تعرف ببلاق بينها وبين قرية النوبة ميل وهو ساحل بلد
النوبة ومن اسوان الى هذا الموضع جنادل في البحر لا يسلكها المراكب الا بالحيلة
ودلالة من يخبر ذلك من الصيادين الذين يصيدون هناك لان هذه الجنادل
متقطعة وشعاب معترضة في النيل وللماء في انصبابه فيها خرير عظيم ودوي يسمع من
بعد ولهذه القرية مسلحة وباب الى بلد النوبة ومنها الى الجنادل الاولى من بلد
النوبة عشر مراحل وهي الناحية التي يتصرف فيها المسلمون ولهم فيما قرب املاك
ويتجرون في اعلاها وفيها جماعة من المسلمين قاطنون لا يفصح احدهم بالعربية وهي ناحية
ضيقة سيئة كثيرة الجبال وما يخرج من النيل وقراها متشطرة وبحرها النخل
والمقل واعلاها اوسع من ادناها وفي اعلاها الكروم والنيل لا يروي مزارعها
لارتفاع ارضها وزرعها الفدان والفدانان والثلاثة على اعناق البقر بالدواليب
والقمح عندهم قليل والشعير اكثر والسلت ويعتقبون الارض لضيقها فيزرعونها
في الصيف بعد تطريتها بالزبل والتراب الدخن والدرع والجاورس والسمسم
واللوبيا وفي هذه الناحية بخراش مدينة المريس وقلعة ابريم وقلعة اخرى
دونها ولها مينا تعرف بادوا ينسب اليها لقمان الحكيم وذو النون وبها بربى
عجيب ولهذه الناحية وال من قبل عظيم النوبة يعرف بصاحب الجبل من اجل تعرف
لقربه من ارض الاسلام ومن يخرج الى بلد النوبة من المسلمين فمعاملته في تجارة
او هدية اليه او الى مولاه يقبل الجميع ويكافي عليه بالرقيق ولا يطلق لاحد الصعود
الى مولاه لا لمسلم ولا لغيره واول الجنادل من بلد النوبة قرية تعرف بتقوي هي
ساحل البحر واليها تنتهي مراكب النوبة المصعدة من القصر اول بلدهم ولا يجاوزها
المراكب ولا يطلق لاحد من المسلمين ولا من غيرهم الصعود منها الا باذن من صاحب
الجبل ومنها الى المقس الاعلى ست مراحل وهي جنادل كلها واشر ناحية رايتها لهم
لصعوبتها وضيقها ومشقة مسالكها اما بحرها فجنادل وجبال معترضة منه حتى
ان النيل يتصبب من شعاب ويضيق في مواضع حتى تكون سعة ما بين الجبلين خمسين
ذراعا وبرها عقاب ضيقة وجبال شاهقة وطرقات ضيقة حتى لا يمكن الراكب
ان يصعد منها والراجل الضعيف يعجز عن سلوكها ورمال في غربها وشرقها وهذه
الجبال

الجبال حصنهم واليها تنزع اهل الناحية التي قبلها المتصلة بارض الاسلام وفي جزائرها
نخل يسير وزرع حقير واكثر اكلهم السمك ويدهنون بشحمه وهي من ارض مريس وصاحب
الجبل والقيم والمسلحة بالمقس الاعلى صاحبها من قبل كبيرهم شديد الضبط لها حتى
ان عظيمهم اذا اجازها وقف بهم المسلحة ولو هم انه يفتش عليه حتى يجد الطريق الى
ولده ووزيره فمن دونهما ولا يجوز فيها دينار ولا درهم اذ كانوا لا يتبايعون بذلك
الا دون الجنادل مع المسلمين وما فوق ذلك فلا بيع عندهم ولا شرا وانما هي معاوضة
بالرقيق والمواشي والجمال والحديد والحبوب ولا يطلق لاحد ان يجوزها الا باذن
الملك ومن خالف كان جزاؤه القتل كائنا من كان وبهذا الانضباط ينكتم اخبارهم
حتى ان العسكر منهم يهجم على البلد الى البادية وغيرهم فلا يعلمون به والسنباذج الذي
يجرد به الجوهر يخرج من النيل في هذه المواضع يغطس عليه فيوجد حسه باردا
مما يلي الحجاز فاذا اشكل عليه نفخ فيه بالفم فيعرف ومن هذه المسلحة الى قرية تعرف
بساي جنادل ايضا وهي احد كراسي الملك ولهم فيها اسقف وبها بربى ثم ناحية سقلوذا
وتفسيرها السبع ولاة وهي اشبه الارض بالارض المتاخمة لارض الاسلام في السعة
والضيق في مواضع والنخل والزرع والكرم وشجر المقل وفيها شي من شجر القطن
ويعمل منه ثياب خشنة وبها شجر الزيتون والي(ها) من قبل كبيرهم ويحت يده
ولاة يتصرفون وفيها قلعة تعرف باصطون وهي اول الجنادل الثالثة وهي اشد
الجنادل صعوبة لان فيها جبلا معترضا من الشرق الى الغرب في النيل والماء ينصب
من ثلاثة ابواب وربما رجع الى ما بين عند نقصانه شديد الخرير عجيب المنظر لتحدر
الماء عليه من علو الجبل وقبليه ترس حجارة في النيل نحو ثلاثة ابراد الى قرية تعرف
بتستو وهي اخر قرى مريس واول بلد مقرة ومن هذا الموضع الى حد المسلمين لسانهم
مريسي وهو اخر عمل متملكهم ثم ناحية بقون وتفسيرها العجب وهي عند اسمها
لحسنها وما رايت على النيل اوسع منها وقدرت ان سعة النيل فيها من الشرق الى
الغرب مسيرة خمس مراحل الجزاير متقطعة والانهار ممتدة يجري منها على ارض
منخفضة وقرى متصلة وعمارة حسنة بابراج حمام ومواشي وانعام واكثر ميرة
مدينتهم منها وطيورها النغط والنوبي والببغا وغير ذلك من الطيور الحسان وكان
والمتنزه كبيرهم في هذه الناحية قال وكنت معه في بعض الاوقات وكان
سيرنا في نزهة ظل شجر من الجانبين في الخلجان الضيقة وقيل ان التمساح لا يضر

هناك وراتبهم يعبرون اليه هذه الانهار سباحة ثم سقنه معل وهي ناحية ضيقة شبيهة
باول بلادهم الا ان فيها جزاير حسانا ومنها دون المرحلتين نحو ثلاثين قرية بالابنية
الحسان والكنايس والديارات والنخل والكروم والبساتين والزرع ومروج
كبار فيها ابل وجمال صهب مؤبلة للنتاج وكبيرهم يكثر الدخول اليها لان طرفها القبلي
يحاذي دنقلة مدينتهم ومن مدينة دنقلة دار المملكة الى اسوان خمسون مرحلة
وذكر صفتهم ثم قال انهم يسقفون مجالسهم بخشب السنط وبخشب الساج الذي ياتي
به النيل في وقت الزيادة اسنانا منحوتة لا يدرى من اين ياتي ولقد رايت على بعضها
علامة غريبة ومسافة ما بين دنقلة الى اول بلد علوه اكثر مما بينها وبين اسوان وفي
ذلك من القرى والضياع والجزاير والمواشي والنخل والشجر والمقل والزرع والكرم
اضعاف ما في الجانب الذي يلي ارض الاسلام وفي هذه الاماكن جزاير عظام مسيرة
ايام فيها الجبال والوحش والسباع ومفاوز يخاف فيها العطش والنيل ينعطف
من هذه النواحي الى مطلع الشمس والى مغربها مسيرة ايام حتى يصير المصعد كالمنحدر
وهي الناحية التي ينقطع العطوف من النيل الى المعدن المعروف بالشنكة وهو بلد
يعرف بشنقير ومنه خرج العمري وهو ابو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الحميد
بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب كانت له
في النوبة والبجة حروب وهزم جيش احمد بن طولون وتغلب على هذه الناحية
الى ان كان من امره ما كان وفرس البحر يكثر في هذا الموضع ومن هذا الموضع طرق
الى سواكن وباضع ودهلك وجزاير البحر ومنها عبر من نجا من بني امية عند هربهم
الى النوبة وفيها حلق من البجة يعرفون بالزنافج انتقلوا الى النوبة قديما وقطنوا
هناك وهم على جملتهم في الرعي واللغة لا يخالطون النوبة ولا يسكنون قراهم وعليهم
وال من قبل النوبي

ذكر تشعب النيل من بلاد علوه
ومن يسكن عليه من الامم

اعلم ان النوبة والمقرة جنسان بلسانين كلاهما على النيل فالنوبة هم المريس المجاورون
لارض الاسلام ومن اول بلدهم وبين اسوان خمسة اميال ويقال ان سلها جد
النوبة ومقري جد المقرة من اليمن وقيل ان النوبة والمقرة من حمير واكثر
اهل الانساب على انهم جميعا من ولد حام بن نوح وكانت بين النوبة والمقرة حروب

قبل النصرانية

قبل النصرانية واول ارض المقرة قرية تعرف بتافة على مرحلة من اسوان ومدينة ملكهم
يقال لها نجراش على اقل من عشر مراحل من اسوان ويقال ان موسى صلوات الله عليه
غزاهم قبل مبعثه في ايام فرعون فاخرب تافه وكانوا صابية يعبدون الكواكب وينصبون
التماثيل لها ثم تنصروا جميعا النوبة والمقرة ومدينة دنقلة هي دار مملكتهم واول
بلاد علوه قرى في الشرق على شاطئ النيل تعرف بالابواب ولهذه الناحية والي من
قبل صاحب بلد علوه تعرف بالوخواح والنيل يتشعب من هذه الناحية على سبعة
انهار فمنه نهر ياتي من ناحية المشرق كدر الماء يجف في الصيف حتى يسكن بطنه فاذا
كان وقت زيادة النيل نبع فيه الماء وزادت البرك التي فيه واقبل المطر والسيول
في ساير البلد فوقعت الزيادة في النيل وقيل ان اخر هذا النهر عين عظيمة تاتي
من جبل قال مؤرخ النوبة وحدثني سيمون صاحب عهد بلد علوه انه يوجد
في بطن هذا النهر في الطين حوت لا قشر له ليس هو من جنس ما في النيل يحفر عليه
قامة واكثر حتى يخرج وهو كبير وعليه جنس مولد بين العلوه والبجة يقال لهم
الديجيون وجنس يقال لهم بازه ياتي من عندهم طير يعرف بحمام بازين وبعد
هولاء اول بلد الحبشة ثم النيل الابيض وهو نهر ياتي من ناحية المغرب شديد
البياض مثل اللبن قال وقد سالت من طرق بلد السودان من المغاربة
عن النيل الذي عندهم وعن لونه فذكر انه يخرج من جبال الرمل او جبل الرمل
وانه يجتمع في بلد السودان في برك عظام ثم ينصب الى ما لا يعرف وانه ليس بابيض
فاما ان يكون يكتسب ذلك اللون مما يمر عليه او من نهر يعرف اخر ينصب عليه هذا
وعليه اجناس من جانبيه ثم النيل الاخضر وهو نهر ياتي من القبلة مما يلي الشرق
شديد الخضرة صافي اللون جدا يرى ما في قعره من السمك وطعمه مخالف لطعم
النيل يعطش الشارب منه بسرعة وحيتانه الجميع واحدة غير ان الطعم مختلف
وياتي فيه وقت الزيادة خشب الساج والبقم والقنا وخشب له رايحة كرايحة
اللبان وخشب غلاظ تحفر وتعمل منه معدا وعلى شاطيه ينبت هذا الخشب
ايضا وقيل انه وجد فيه عود البخور قال ورايت على بعض السقالات المنحوتة
الساج التي ياتي فيه وقت الزيادة علامة غريبة ويجتمع هذان النهران الابيض
والاخضر عند مدينة بلد علوه ويبقيان على الوانهما قريبا من مرحلة ثم يختلطان
بعد ذلك وفيهما امواج كبار عظيمة تتلاطم فيهما قال واخبرني من نقل النيل

الابيض ويصبه في النيل الاخضر ويبقى فيه مثل اللبن ساعة قبل ان يختلطا وبين هذين
النهرين جزيرة لا يعرف لها غاية وكذلك لا يعرف لهذين النهرين نهاية فاما يعرف
عرضه ثم يتسع فيصير مسافته شهر ثم لا يدرك سعتهما للخوف من يسكنها بعضهم من
بعض لان فيها اجناسا كثيرة وخلقا عظيما قال وبلغني ان بعض متملكي علوه انفذ
فيه مركبا يريد انتهاها فلم يات عليه بعد سنين وان في طرفها القبلي جنسا يسكنون
ودوابهم في بيوت تحت الارض مثل السراديب بالنهار من شدة حر الشمس ويسرحون
في الليل وفيهم قوم عراة والاربعة الانهار الباقية ياتي ايضا من القبلة مما يلي
الشرق ايضا في وقت واحد ولا يعرف لها نهاية انصارها دون النهرين الاخضر
والابيض في العرض وكثرة الحيتان والجزاير وجميع الانهار تنصب في الاخضر وكذلك
الاول الذي قدمت ذكره ثم يجتمع مع الابيض والجميع مسكونة عامرة مسلوك
فيها بالسفن وغيرها واحد هذه الاربعة ياتي من بلد الحبشة قال ولقد اكثرت
السوال عنها وكشفته من قوم عن قوم فما وجدت مخبرا يقول انه وقف على
نهاية هذه الانهار والذي انتهى اليه علم من عرفني عن اخرين الى خراب وانه
ياتي في وقت الزيادة في هذه الانهار مراكب وابواب وغير ذلك مما يدل على عمارة
بعد الخراب فاما الزيادة فيجمعون بها من الامطار مع مادة ياتي من داخل والدليل
على ذلك النهر الذي يجف ويسكن بطنه ثم ينبع وقت الزيادة ومن عجايبها ان زيادته
في انهاره مجتمعه وساير النواحي والبلدان في مصر وما يليها والصعيد الى اسوان
وبلدي النوبه وعلوه وما وراء ذلك في زمان واحد ووقت واحد واكثر ما وقف
عليه من هذه الزيادة انه ربما وجدت ميلا باسوان ولا يوجد نقوص ثم ياتي بعد
فاذا كثرت الامطار علم انها سنة ظما قال واما من طرف بلد الزنج فانهم اخبروني
عن مسيرهم في بحر الصين الى بلد الزنج بالريح الشمال مساحلين للجانب الشرقي من
جزيرة مصر حتى ينتهوا الى موضع يعرف براس حفوني وهو عندهم اخر جزيرة مصر
فينتظرون كوكبا يعتمدون به فيقصدون الغرب ثم يعودون الى الجري ويصير
الشمال في وجوههم حتى ياتوا الى قبيلة من بلاد الزنج لانه ياتي فيه الخشب
الزنجي ويسويه مدينة العلوي شرقي الجزيرة الكبرى التي بين البحرين الابيض
والاخضر في الطرف الشمالي منها عند مجتمعهما وشرقيها النهر الذي يجف ويسكن
بطنه ومنها ابنية حسان ودور واسعه وكنايس كثيرة الذهب وبساتين ولها

وبعض

وبعض فيه جماعة من المسلمين ومتملك علوه اكثر مالا من متملك المقره واعظم جيشا وعنده
من الخيل ما ليس عند المقرى وبلده اخصب واوسع والنخل والكرم عنده يسير واكثر
حبوبهم الذرة البيضا التي مثل الارز منها خبزهم ومزرهم واللحم عندهم كثير لكثرة المواشي
والمروج الواسعة العظيمة السعة حتى انه لا يوصل الى الجبل الا في ايام وعندهم خيل عتاق
وجمال صهب عراب ودينهم النصرانية يعاقبة واساقفهم من قبل صاحب الاسكندرية
كالنوبه وكتبهم بالرومية يفسرونها بلسانهم وهم اقل ودها من النوبه وملكهم يسترق
من شا من رعيته بجرم وبغير جرم ولا ينكرون ذلك عليه بل يسجدون له
ولا يعصون امره على المكروه الواقع بهم وينادون الملك يعيش وليكن امره وهو
متوج بالذهب والذهب في بلده ومما في بلده من العجايب ان في الجزيرة الكبرى
التي بين البحرين جنسا يعرف بالكرسا لهم ارض واسعة مزدرعة من النيل والمطر
فاذا كان وقت الزرع خرج كل واحد منهم بما عنده من البذر واختط على مقدار ما
معه وزرع في اربعة اركان الخطة يسيرا وجعل البذر في وسط الخطة وشيا من
المزر وانصرف عنه فاذا اصبح وجد ما اختط قد زرع وشرب المزر فاذا كان وقت
الحصاد حصد يسيرا منه ووضعه في موضع ارادته ومعه مزر وينصرف فيجد
الزرع قد حصد باسره وجرن فاذا اراد دراسه وتذريته فعل به كذلك وربما
اراد احدهم ان ينقي زرعه من الحشيش فيغلط فيقلع شي من الزرع فيصبح وقد
قلع جميع الزرع وهذه الناحية التي فيها ما ذكرته بلدان واسعة مسيرة شهرين
في شهرين تزدرع جميعها في وقت واحد وهي من بلد علوه ومتملكهم من هذه الناحية
يوجهون المراكب فتوسق وربما وقع بينهم حرب قال وهذه الحكاية صحيحة معروفة
مشهورة عند جميع النوبه والعلوه وكل من يطرق ذلك البلد من تجار المسلمين لا
يشكون فيه ولا يرتابون به ولولا اشتهاره وانتشاره مما لا يجوز التواطي على مثله
لما ذكرت شيا منه لشناعته فاما اهل الناحية فيزعمون ان الجان تفعل ذلك وانما
تظهر لبعضهم وتخدمهم بحجارة يتطاعون لها لهم بها وتعمل لهم عجايب وان السحاب تطيعهم
قال ومن عجايب ما حدثني به متملك المقره للنوبه انهم يمطرون في الجبال
ويلتقطون منه للوقت سمكا على وجه الارض وسالتهم عن جنسه فذكروا انه صغير
الغدد باذناب حمر قال وقد رايت جماعة واجناسا ممن تقدم ذكره اكثرهم يعرفون
بالباري سبحانه ويتقربون اليه بالشمس والقمر والكواكب ومنهم من لا يعرف

البارى ويعبدا الشمس والنار ومنهم من يعبد كلما استحسنه من شجرة او بهيمة وذكر
انه راى رجلا فى مجلس عظيم المقره ساله عن بلده فقال مسافته الى النيل بلا ما اهله
وساله عن دينه فقال ربى وربك ورب الملك ورب الناس كلهم واحد وانه قال
له فاين يكون قال فى السما وحده سبحانه وقال انه اذا ابطا عنهم المطر او اصابهم
الوبا او وقع بدوابهم انه صعدوا الجبل ودعوا الله فيجابوا للوقت وتنقضى حاجتهم قبل
ان ينزلوا وسالهم هل ارسل فيهم رسول قال لا وذكر له بعثة موسى وعيسى ومحمد
صلوات الله عليهم وسلامه وما ايدوا به من المعجزات فقال اذا كانوا افعلوا هذا
فقد صدقوا ثم قال قد صدقتم ان كانوا فعلوا قال مؤلفه رحمه الله وقد
غلب اولاد كنز الدوله على النوبه وملكوها من سنة ط وبنى بدنقلة
جامع ياوى اليه الغربا **واعلم** ان على ضفة النيل ايضا الكانم وملكها مسلم وبينه
وبين بلادها الى مسافة بعيدة جدا وقاعدة ملكه بلدة اسمها جيمى اول مملكته من
جهة مصر بلده اسمها زلا واخرها طولا بلده يقال لها كاكا وبينهما نحو ثلاثة اشهر
وهم يتلثمون وملكهم متحجب لا يرى الا يومى العيدين بكرة وعند العصر وطول السنه
لا يكلمه احد الا من وراء حجاب وغالب عيشهم الارز وهو ينبت من غير بذر وعندهم
القمح والذرة والتين والليمون والباذنجان واللفت والرطب ويتعاملون بقماش
ينسج عندهم اسمه دندى طول كل ثوب عشرة اذرع يشترون به من ربع ذراع واكثر
ويتعاملون ايضا بالودع والخرز والنحاس المكسر والورق وجميع ذلك بسعر ذلك
القماش وفى جنوبها شعارى وصحارى بها اشخاص متوحشه كالغول قريبه من
شكل الادمى لا يلحقها الفارس يؤذى الناس ويظهر فى الليل ايضا شبه فلك نار تضى
فاذا مشى احد ليلحقها بعدت عنه ولو جرى اليها لا يصل اليها بل لا تزال امامه فاذا رماها
بحجر فاصابها انشعل منها شرر ويعظم عندهم اليقطينه حتى يصنع منها مركب يعبر
به فى النيل وهذه البلاد من افرنقيه وبرقه ممتده فى الجنوب الى سمت الغرب
الاوسط وهى بلاد قحط وتقشف وسوء مزاج واول من بث فيها الاسلام الهادى العثمانى
ادعى انه من ولد عثمن بن عفن رضى الله عنه وصار به بعده لليزنيين من بنى
سيف بن ذى يزن وهم على مذهب الامام مالك رضى الله عنه والعدل قائم بينهم وهم
ناسكون فى الدين لا يلبثون وبنوا مدينة بمصر مدرسة للمالكيه غرفت
بمدرسة بن رشيق فى سنى اربعين وستمايه وصارت وفودهم تنزل بها وسيرد
ذكرها

ذكرها فى المدارس ان شا الله تعالى

ذكر البجه

ويقال انهم من البربر اعلم ان اول بلد البجه من قرية تعرف بالخربه معدن الزمرد فى
صحرا قوص وبين هذا الموضع وبين قوص نحو ثلث مراحل وذكر الجاحظ انه ليس فى
الدنيا معدن للزمرد غير هذا الموضع وهو يوجد فى مغاير لعيده مظلمة يدخل اليها
بالمصابيح وبحبال يستدل بها على الرجوع خوف الضلال ويحفر عليه بالمعاول فيوجد
فى وسط الحجارة وحوله غشيم دونه فى الصبغ والجوهر واخر بلاد البجه اول بلاد
الحبشة وهم فى بطن هذه الجزيره اعنى جزيرة مصر الى سيف البحر الملح مما يلى
جزاير سواكن وناصع ودهلك وهم بادية يتبعون الكلا حيث ما كان الرعى في اخبية
من جلود وانسابهم من جهة النسا ولكل بطن منهم رئيس وليس عليهم متملك ولا
لهم دين وهم يورثون ابنا الاخت وبنى البنت دون ولد الصلب ويقولون ان
ولادة بنى الاخت وبنى البنته اصح وان يكون زوجها او غيره فهو ولدها على كل حال
وكان لهم قديما رئيس يرجع جميع روسائهم الى حكمه يسكن قرية تعرف بهجر هى اقصى
جزيرة البجه ويركبون النجب الصهب وينتج عندهم وكذلك الجمال العراب كثيره عندهم
ايضا والمواشى من البقر والغنم والضان غايه فى الكثرة عندهم وبقرهم حسان ملمعة
يقرون عظام ومنها جم وكباشهم كذلك شىء لها اليات وغذاهم اللحم وشرب اللبن
واكلهم الخبز قليل وفيهم من ياكله وابدانهم صحاح وبطونهم خماص وايديهم مشوقة
الصفره ولهم سرعة فى الجرى يسابقون بها الناس وكذلك جمالهم شديدة العدو صبوره
عليه وعلى العطش ويسابقون بها الخيل ويقاتلون عليها ويديرونها كما يشتهون
ويلحقون عليها من البلاد ما تتفاوت ذكره ويطاردون عليها فى الحرب فيرمى الواحد
منهم الحربة فان وقعت فى الرميه طار اليها الجمل فاخذها صاحبه وان وقعت فى الارض
ضرب الجمل بجرانه الارض فاخذها صاحبه ومنهم نبع فى بعض الاوقات رجل يعرف
بكلاذ شديد مقدام وله جمل ما سمع بمثله فى السرعة وكان اعور وصاحبه كذلك
العزم لقومه انه يشرف على مصلى مصر يوم العيد وقد قرب العيد قربا لا يكون
للبلوغ اليها فى مثله حقيقه فوفا بذلك واشرف على المقطم وضربت الخيل خلفه فلم
يلحق وهذا هو الذى اوجب ان يكون فى الفج طليعه يوم العيد وكان الطولونيه وغيرهم
من امرا مصر يوقفون من سفح جبل المقطم مما يلى الموضع المعروف بالجيش جيشا كثيفا ه

مراعيا للناس حتى يصرفون من عندهم في كل عيد وهم اصحاب ذمة فاذا غدر احدهم رفع
المغدور به ثوبا على حربه وقال هذا عرش فلان يعني ابا الغادر فتصير سنة عليه
الى ان يترضاه وهم يبالغون في الضيافه فاذا طرق احدهم الضيف ذبح له فاذا تجاوز
ثلثه نفر نحر لهم من اقرب الانعام اليه سوا كانت له او لغيره وان لم يكن شي نحر راحلة
الضيف وعوضه ما هو خير وسلاحهم الحراب السباعية نقدار طول الحديدة ثلثة
اذرع والعود اربعة اذرع وبذلك سميت سباعية والحديدة في عرض السيف ولا
يخرجونها من ايديهم الا في بعض الاوقات لان في اخر العود شبيها بالفلكه يمنع خروجها
عن ايديهم وصناع هذه الحراب نسا في موضع لا يختلط بهن رجل الا المشتري منهن
فاذا ولدت احداهن من الطارقين لهن جارية استحيناها وان ولدت غلاما
قتلته ويقلن ان الرجال بلاء وحرب ودرقهم من جلود البقر مشعرة ودرق مقلوبة
تعرف بالاكسوميه وهي من جلود الجواميس وكذلك الدهلكيه ومن دابة في البحر
وقسيهم عربيه كبار غلاظ من السدر والشوحط يرمون عنها بنبل مسموم وهذا
السم يعمل من عروق شجر الغلفه يطبخ على النار حتى يصير مثل الغرا فاذا ارادوا
تجربته شرط احدهم جسده وسيل الدم ثم شممه هذا السم فاذا تراجع الدم علم
انه جيد ومسح الدم لئلا يرجع الى جسمه فيقتله فاذا اصاب الانسان قتل لوقته
ولو مثل شرطة الحجام ولا يبقى له عمل في غير الجرح والدم وان شرب منه لم يضر وبلدانهم
كلها معادن وكلما تصاعدت كانت اجود الذهب والبرطا وفيها معادن للفضة
والنحاس والحديد والرصاص وحجر المغنيطس والمرقشيتا والجمست والزمرد وحجارة
تشتعل فاذا املت الشطبة منه بزيت وقدت مثل الفتيله وغير ذلك مما شغلهم
طلب معادن الذهب عما سواه والبجه لا يتعرض لعمل شي من هذه المعادن وفي
اوديتهم شجر المقل والاهليلج والاذخر والشيح والسنا والحنظل وشجر البان وغير
ذلك وبا نصى بلدهم النخل وشجر الكرم والرياحين وغير ذلك مما لم يزرعه احد وبها
سائر الوحش من السباع والفيلة والنمور والفهود والقرود وعناق الارض والزباد
ودابة تشبه الغزال حسنة المنظر لها قرنان على لون الذهب قليلة البقا اذا صيدت
ومن الطيور الببغا والنعط والنوبي والقماري ودجاج الحبش وحمام بادين وغير ذلك
وليس منهم رجل الا منزوع البيضة اليمنى واما النسا فمقطوع اشفار فروجهن وانه
يلتحم حتى يشق عنه للمتزوج بمقدار ذكر الرجل ثم قال ذلك الفعل عندهم وقيل ان
السبب

السبب في ذلك ان ملكا من الملوك حاربهم فلما تم صالحهم وشرط عليهم قطع يد اليمنا مما يولد
لهم من النسا وقطع ذكور ما يولد من الرجال اراد بذلك قطع النسل منهم فوفوا بالشرط وقلبوا
المعنى في ان جعلوا قطع البدايا للرجال والفروج للنسا ومنهم جنس يتلعون ثناياهم
ويقولون لا يتشبه بالحمير ومنهم جنس اخر في اخر بلد البجه يقال لهم الناره نسا جميعهم
يتسمون باسم واحد وكذلك الرجال وطرفهم في دنت رجل يسلم له جمال فدعا بعضهم
بعضا فقالوا هذا قد نزل من السما وهو جالس تحت الشجره فجعلوا ينظرون اليه
من بعد وتعظم الحيات ويكثر اصنافها ورويت حية في غدير ما قد اخرجت
ذنبها والتفت على امراة وردت فقتلها فروي لحمها قد خرج من دبرها من
شدة الضغطة ويها حية ليس لها راس وطرفاها سوى نقشه يلبسها بالكبيرة
اذا مشى الانسان على اثرها مات واذا قتلت وامسك القاتل ما قتلها به من عود
او حربة في يده ولم يلقها من ساعته مات وقتلت حية منها بخشبة في السفن
الحبشية واذا تامل هذه الحيه احد وهي ميتة او حية اصابها ضررها وفي البجه
سر ويسرع اليه ولهم في الاسلام وقبله اذية على شرف صعيد مصر خربوا
هناك قرى عديدة وكانت فراعنة مصر تغزوهم وتوادعهم احيانا لحاجتهم
الى المعادن وكذلك الروم لما ان ملكوا مصر ولهم في المعدن اثار مشهورة وكان
اصحابهم بها وقد فتحت مصر وقال عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم وتحمل
لعبد الله بن سعد بن ابي سرح في انصرافه من النوبه على شاطي النيل البجه فسال
عن شانهم فاخبر ان ليس لهم ملك يرجعون اليه فهان عليهم امرهم وتركهم ولم
يكن لهم عقد ولا صلح وكان اول من هادنهم عبيد الله بن الحبحاب وذكر انه
وجد في كتاب ابن الحبحاب لهم ثلثمايه بكر في كل عام حتى ينزلوا الريف مجتازين تجارا
غير مقيمين على ان لا يقتلوا مسلما ولا ذميا فان قتلوه فلا عهد لهم ولا يووا عبيد
المسلمين وان يردوا اباقهم اذا وقعوا اليهم ويقال انهم كانوا يوخذون بهذا وبكل
شاة اخذها حاوي بغلبه اربعة دنانير وللبقرة عشرة وكان وكيلهم مقيما بالريف
رهينة بيد المسلمين ثم كثر المسلمون في المعدن فخالطوهم وتزوجوا فيهم واسلم
كثير من الجنس المعروف بالحداربة اسلاما ضعيفا وهم شوكة القوم ووجوههم
وهم يلي صعيد مصر من اول حدهم الى العلاقي وعيذاب لمعرفته الى جلد وماورا
ذلك وبعدهم جنس اخر يعرف بالزنافج هم اكثر عددا من الحداربة غير انهم تبع لهم

وخفراهم يحمونهم ويحوزنهم المواشي وكل ربيس من الحداربة قوم من الزنافج في جملته
فهم كالعبيد سوا ربونهم بعد ان كانت الزنافج قديما اظهر عليهم ثم كثرت اذيتهم علي
المسلمين وكانت ولاة اسوان من العراق فرفع الي امير المومنين المامون خبرهم
فاخرج اليهم عبد الله بن الجهم فكانت له معهم وقايع ثم وادعهم وكتب بينه وبين كنون
رئيسهم الكبير الذي يكون بقرتيم بحر المقدم ذكرها كتابا نسخته هذا كتاب عبد
الله بن الجهم مولي امير المومنين صاحب جيش الغزاة عامل الامير ابي اسحق بن امير
المومنين الرشيد ابقاه الله في شهر ربيع الاول سنة ست ومائتين لكنون
بن عبد العزيز عظيم البجه باسوان انك سالتني وطلبت الي ان اومنك واهل
بلدك من البجه واعقد لك ولهم امانا علي وعلي جميع المسلمين فاجبتك الي ان عقدت
لك علي وعلي جميع المسلمين امانا ما استقمت واستقاموا علي ما اعطيتني وشرطت
لي في كتابي هذا وذلك ان يكون سهل بلدك وجبلها من منتهي حد اسوان من
ارض مصر الي حد ما بين دهلك وباضع ملكا للمامون عبد الله بن هرون امير
المومنين اعزه الله وانت وجميع اهل بلدك عبيد لامير المومنين الا انك تكون
في بلدك ملكا علي ما انت عليه من البجه وعلي ان تودي اليه الخراج في كل عام
علي ما كان عليه سلف البجه وذلك مائة من الابل او ثلثمائة دينار وازنة داخلة
في بيت المال والخيار في ذلك لامير المومنين ولولاته وليس لك ان تخرم منه شيا
عليك من الخراج وعلي ان كل احد منكم ان ذكر محمدا رسول الله صلي الله عليه وسلم
او كتاب الله او دينه بما لا ينبغي ان يذكره به او قتل احدا من المسلمين حرا او عبدا فقد
بريت منه الذمة ذمة الله وذمة رسوله صلي الله عليه وسلم وذمة امير
المومنين اعزه الله وذمة جماعة المسلمين وحل دمه كما يحل دم اهل الحرب وذراريهم
وعلي ان احدا منكم ان اعان المحاربين علي اهل الاسلام او اشار لاحد من المسلمين او اهل
ذمتهم مالا ببلاد البجه او في بلاد الاسلام او بلاد النوبة او في شي من البلدان
برا او بحرا فعليه في قتل المسلم عشر ديات وفي قتل العبد المسلم عشر قيم
وفي قتل الذمي عشر ديات من دياتهم وفي كل مال اصبتموه للمسلمين او اهل الذمة
عشرة اضعافه وان دخل احد من المسلمين بلاد البجه تاجرا او مقيما او مجتازا او حاجا
فهو امن فيكم كاحدكم حتي يخرج من بلادكم ولا تاووا احدا من اباق المسلمين فان اتاكم ات
فعليكم ان تردوه الي المسلمين وعلي ان تردوا اموال المسلمين اذا صارت في بلادكم بلا مونة
ملزمهم

ملزمهم في ذلك وعلي انكم ان نزلتم ريف مصر لتجارة او مجتازين لا تظهرون سلاحا ولا تدخلوا
المداين والقرى بحال ولا تمنعوا احدا من المسلمين الدخول في بلادكم والتجارة فيها برا
ولا بحرا ولا تخيفوا السبيل ولا تقطعوا الطريق علي احد من المسلمين ولا اهل الذمة
ولا تسرقوا لمسلم ولا لذمي مالا وعلي ان لا تهدموا شيا من المساجد التي ابتناها
المسلمون بصيحة وهجر وسائر بلادكم طولا وعرضا فان فعلتم شيا من ذلك
فلا عهد لكم ولا ذمة وعلي ان كنون بن عبد العزيز يسكن ريف صعيد مصر ويكون وكيلا
يقوم للمسلمين بما شرط لهم من دفع الخراج ورد ما اصابته البجه للمسلمين من دم
ومال وعلي ان احدا من البجه لا يتعرض حد القصر الي قرية تعرف بقبان
من بلد النوبة حد الاعمدة عقد عبيد الله بن الجهم مولي امير المومنين لكنون
بن عبد الله بن عبد العزيز كبير البجه الامان علي ما سمينا وشرطنا في كتابنا
هذا وعلي ان يوافي به امير المومنين فان زاغ كنون او غاب فلا عهد له ولا
ذمة وعلي كنون ان يدخل عمال امير المومنين بلاد البجه لقبض صدقات
اموال من اسلم من البجه وعلي كنون الوفا بما شرط لعبيد الله بن الجهم واخذ
بذلك عهد الله عليه باعظم ما اخذ خلقه من الوفا والميثاق ولكنون بن
عبد العزيز وجميع البجه عهد الله وميثاقه وذمة امير المومنين وذمة
الامير ابي اسحق بن امير المومنين الرشيد وذمة عبيد الله بن الجهم وذمة
المسلمين بالوفا بما اعطاه عبيد الله بن الجهم ما وفا كنون بن عبد العزيز بجميع
ما شرط عليه فان غير كنون او بدل او احد من البجه فذمة الله جل اسمه وذمة
امير المومنين وذمة الامير ابي اسحق بن امير المومنين الرشيد وذمة عبيد
الله بن الجهم وذمة المسلمين بريه منهم وترجم جميع ما في هذا الكتاب حرفا حرفا زكريا
بن صالح المخزومي من سكان جدة وعبد الله بن اسمعيل القرشي ثم نسق جماعة
من شهود اسوان فاقام البجه علي ذلك برهة ثم عادوا الي غزو الريف من صعيد
مصر وكثر الصريخ منهم الي امير المومنين جعفر المتوكل علي الله فندب لحربهم محمد
بن عبد الله القمي فسال ان يختار من الرجال من احب ولم يرغب الي الكثرة لصعوبة
المسالك فخرج اليهم من مصر في عدة قوية ورجال منتخبة وسارت المراكب في
البحر فاجتمع البجه له في عدد كثير عظيم قد ركبوا الابل فهاب المسلمون ذلك
فشغلهم بكتاب طويل كتبه في طومار ولفه بثوب فاجتمعوا لقراته فحمل عليهم

وفي اعناق الخيل الاجراس فنفرت جمال البجه ولم يثبت لصلصلة الاجراس فركب المسلمون
اقفيتهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وقتل كبيرهم فقام من بعده ابن اخيه وبعث
يطلب الهدنة فصالحهم على ان يطا بساط امير المومنين فسار الى بغداد وقدم على
المتوكل بسر من راى في سنة احدى واربعين ومائتين فصولح على اداء الاتاوة والبقط
واشترط عليهم ان لا يمنعوا المسلمين من العمل في المعدن واقام القمي باسوان مدة وترك
في خزائنها ما كان معه من السلاح واله الغزو فلم يزل الولاة ياخذ منه حتى لم يبقوا
شيا فلما كثر المسلمون في المعادن واختلطوا بالبجه قل شرهم وظهر التبر لكثرة
طلابه وتسامع الناس فوفدوا من البلدان وقدم عليهم ابو عبد الرحمن عبد الله
بن عبد الحميد العمري بعد محاربته النوبه في سنة خمس وخمسين ومائتين
ومعه ربيعة وجهينة وغيرهم من العرب فكثرت بهم العمارة في البجه حتى صارت
الرواحل التي تحمل الميرة اليهم من اسوان ستين الف راحلة غير الجلاب التي
تحمل من القلزم الى عيذاب ومالت البجه الى ربيعة وتزوجوا اليهم وقيل ان كبار
البجه قبل اسلام من اسلم منهم ذكرت عن معبودهم الطاعة لربيعة والكون معها
فهم على ذلك فلما قتل العمري استولت ربيعة على الجزيرة ووالاهم على ذلك البجه
واخرجت من خالفها من العرب وتناصروا الى رؤسا البجه وبذلك كف ضررهم
عن المسلمين والبجه الداخله في صحرا بلد علوة مما يلي البحر الملح الى اول الحبشه وحالهم
في الظعن والمواشي واتباع الرعي والحبشه والمواكب والسلاح كحال الحدارب الا
ان الحدارب انجح واهدى والداخله على كفرهم من عبادة الشيطان والاقتدا بكهانهم
ولكل بطن كاهن يضرب قبة من ادم يتعبدهم فيها فاذا ارادوا استخبار عما يحتاجون
اليه تعرى ودخل الى القبة مستدبرا ويخرج اليهم وبه اثر جنون وصراع فيقول
الشيطان يقريكم السلام ويقول لكم ارحلوا عن هذه الرحلة فان الرهط العلاني
يقع بكم وسالهم عن الغزو الى بلد كذا انسيروا فانكم تظفرون وتغنمون كذا وكذا
والجمال التي تاخذونها من موضع كذا هي لي والجارية العلانية هي التي تجدونها
في الخبا العلاني والغنم التي من صفتها كذا ونحو هذا القول فيزعمون انه يصدقهم
في بعض ذلك فاذا غنموا اخرجوا له من الغنيمة ما ذكر ودفعوه الى الكاهن
يتمول به ويحرمون الباني على من لم يقبل واذا ارادوا الرحيل حمل الكاهن
هذه القبة على جمل مفرد فيزعمون ان ذلك الجمل لا يثور الا بجهد وكذلك سيره

وتتصبب عرقا

وتتصبب عرقا والخيمة فارغة لا شي فيها وقد بقي في الحدارب من هو على هذا المذهب ومنهم
من يتمسك بذلك مع اسلامه قال مورخ النوبة ومنه لخصت ما تقدم ذكره وقد
قرات في خطبة الاجناس لامير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه ذكر البجه والكجه
ويقول عنهم شديد كلبهم قليل سلبهم فالبجه كذلك واما الكجه فلا اعرفهم انتهى ما
ذكره عبد الله بن احمد مورخ النوبة وقال ابو الحسن المسعودي فاما البجه
فانها نزلت من بحر القلزم ونيل مصر وتشعبوا فرقا وملكوا عليهم ملكا وفي ارضهم معادن
الذهب وهو التبر ومعادن الزمرد ويتصل سراياهم ومناسرهم على النجب الى بلاد النوبه
فيغزون ويسبون وقد كانت النوبة قبل ذلك اشد من البجه الى ان قوي الاسلام
وظهر وسكن جماعة من المسلمين معدن الذهب وبلاد العلاقي وعيذاب وسكن في تلك
الديار خلق من العرب من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان فاشتدت شوكتهم وتزوجوا
من البجه فقويت البجه بمن صاهرها من ربيعة وقويت ربيعة بالبجه على من
ناواها وجاورها من قحطان وغيرهم ممن سكن تلك الديار وصاحب المعدن في
وقتنا هذا وهو سنة اثنين وثلثين وثلثمائة لبشر بن مروان بن اسحق بن ربيعة يركب
في ثلثة الاف من ربيعة واحلافها من مضر واليمن وثلثين الف حراب على النجب بالحجف
البجاويه وهم الحداربه وهم مسلمون من بين سائر البجه والدغلان من البجه كفار يعبدون
صنما لهم وبوادي البجه المالكة لمعدن الزمرد يتصل ديارها بالعلاقي وهو
معدن الذهب وبين العلاقي والنيل خمس عشرة مرحلة واقرب العمارة اليه مدينة
اسوان وجزيرة سواكن اقل من ميل في ميل وبينها وبين البحر الحبشي نحو قصير
غلاص واهلها طايفة من البجه تسمى الخاسه وهم مسلمون ولهم بها ملك وقال
الهمداني نكح كنعان بن حام ارتيب ابنة بتاويل بن توبس بن يافث فولدت له حفنا
والاساود ونوبة وفزان والزنج والزغاوه واجناس السودان وقيل البجه من ولد
حام بن نوح وقيل من ولد كوش بن كنعان بن حام وقيل البجه قبيلة من الحبش
والبجه اصحاب اخبية من شعر والوانهم اشد سوادا من الحبشة ويتزيون بزي العرب
وليس لهم مدن ولا قرى ولا مزارع ومعيشتهم مما ينقل اليهم من ارض الحبشة وارض
مصر والنوبة وكانت البجه تعبد الاصنام ثم اسلموا في امارة عبد الله بن سعد بن
ابي سرح وفيهم كرم وسماحه وهم قبايل وافخاذ لكل فخذ رئيس وهم اهل نجعة وطعامهم
اللحم واللبن فقط

ذكر مدينة اسوان

اسوان من قولهم آسي الرجل ياسي اسًى اذا حزن ورجل اسيان واسوان اي حزين واسوان في
اخر بلاد الصعيد وهي ثغر من ثغور الاقليم تفصل بين النوبه وبين ارض مصر وكانت
كثيرة الحنطة وغيرها من الحبوب والفواكه والخضراوات والبقول وكانت كثيرة الحيوانات
من الابل والبقر والغنم ولحمانها هناك غاية في الطيب والسمن وكانت اسعارها ابدا
رخيصة وبها تجارات وبضايع تحمل منها الى بلاد النوبه ولا يتصل باسوان من شرقيها
بلد اسلامي وفي جنوبها جبل به معدن الزمرد وهو في برية منقطعة من العمارة
وعلى خمسة عشر يوما من اسوان معدن الذهب ويتصل باسوان من غربيها الواحات
وتلك من اسوان الى عيذاب الى الحجاز الى اليمن والهند قال المسعودي ومدينة
اسوان يسكنها خلق من العرب من قحطان ونزار من ربيعة ومضر وخلق من قريش
واكثرهم من الحجاز والبلد كثير النخل خصيب كثير الخير تودع النواه الارض فتنبت
نخلة ويوكل من ثمرها بعد سنتين ولمن باسوان ضياع كثيره داخلة بارض النوبة
يودون خراجها الى ملك النوبه وابتيعت هذه الضياع من النوبة في ارض الاسلام
في دولة بني امية وبني العباس وقد كان ملك النوبة استعدى المامون حين
دخل مصر على هولا القوم بوفد وفدهم الى الفسطاط ذكروا عنه ان ناسا من اهل
مملكته وعبيده باعوا ضياعا ممن جاورهم من اهل اسوان وانها ضياعه والقوم
عبيده لا املاك لهم وانما املكهم على هذه الضياع تملك العبيد العامرين فيها فرد
المامون امرهم الى الحاكم بمدينة اسوان ومن بها من اهل العلم والشيوخ وعلم من
ابتاع هذه الضياع من اهل اسوان انها ستنزع من ايديهم فاحتالوا على ملك النوبه
بان تقدموا الى من ابتيع منهم من النوبة انهم اذا حضروا حضرة الحاكم ان لا يقروا
لملكهم بالعبوديه وان يقولوا اسبيلنا معاشر النوبه سبيلكم مع ملككم يجب علينا
طاعته وترك مخالفته فان كنتم انتم عبيدا لملككم واموالكم له فنحن كذلك فلما
جمع الحاكم بينهم وبين صاحب الملك اتوا بهذا الكلام للحاكم ونحوه مما وقفوهم عليه
من هذا المعنى فمضى البيع لعدم اقرارهم لملكهم بالعبوديه الى هذا الوقت وتوارث
الناس الضياع بارض النوبه من بلاد مريس وصار النوبة اهل مملكه هذا الملك
نوعين نوع من وصفنا احرار غير عبيد والنوع الاخر من اهل مملكته عبيد
وهم من سكن من النوبة في غير هذه البلاد المجاوره لاسوان وهي بلاد مريس قال
واما النوبه فافترقت فرقتين فرقة في شرق النيل وغربيه واناخت على شاطيه واتصلت

ديارها

ديارها بديار القبط من ارض صعيد مصر وانبسطت مساكن النوبه على شاطي النيل
مصعدة ولحقوا بقرب من اعاليه وبنوا دار مملكة وهي مدينة عظيمة تدعا دمقلة
والفرقة الاخرى من النوبة يقال لهم علوة بنوا مدينة عظيمة سموها سوبه والبلد
المتصل بمملكته بارض اسوان تعرف بمريس واليه تضاف الريح المريسيه وعمل هذا
الملك متصل باعمال مصر من ارض الصعيد ومدينة اسوان قال وفي الجانب
الشرقي من صعيد مصر جبل عظيم رخام كانت الاوايل تقطع منه العمد وغيرها فاما
العمد والقواعد والروس التي تسميها اهل مصر الاسوانيه ومنها حجارة الطواحين
تلك نقرها الاولون قبل حدوث النصرانيه بمين من السنين ومنها العمد التي
بالاسكندرية " في ذي الحجة
سنه اربع واربعين وثلثمائه اغار ملك النوبه على اسوان وقتل جمعا من المسلمين فخرج
اليه محمد بن عبد الله الخازن على عسكر مصر من قبل ابو جور بن الاخشيد في محرم سنه
خمس واربعين فسار واتي في البر والبحر وبعثوا ابعه من النوبه اسروهم فضربت
اعناقهم بعد ما اوقع بملك النوبه وسار الخازن حتى فتح مدينة ابريم وسبي اهلها وقدم
الى مصر في نصف جمادي الاول سنه خمس واربعين بمايه وخمسين اسيرا وعدة رووس
وقال القاضي الفاضل ان متحصل ثغر اسوان في سنه خمس وثمانين وخمسمايه
بلغ خمسة وعشرين الف دينار قال الكمال جعفر الادفوي وكان باسوان بماين رسولا
من رسل الشرع ويحصل من اسوان في بلد واحدة بلثي الف اردب تمرا واخبرنا
من وقف على مكتوب كان فيه اربعين شريفا خاصة وان مكتوبا بالحزر اي فيه ستين
شريفا دون من عداهم قال ووقفت انا على مكتوب فيه نحوا من اربعين مورخ
بما بعد العشرين وستمايه من الهجره وكان ثغر اسوان بنوا الكنز من ربيعه امرا
ممدوحون مقصودون صنع لهم الفاضل السديد ابو الحسن بن عرام سيرة ذكر
فيها مناقبهم واسما من مدحهم ومن ورد عليهم ولما ارسل السلطان صلاح الدين
يوسف بن ايوب جيشا الى كنز الدولة واصحابه نزحوا عن البلاد فدخلوا بيوتهم
فوجدوا بها قصايد من مدحهم منها قصيدة ابي محمد الحسن بن الزبير قال فيها

وبيحه ان خانه الدهر اوسطا ... اناس اذا ما انجد الذل اتهموا
اجاروا فاما تحت الكواكب خايف ... اجازوا واما فوق البسيطة معدم

وانه اجازه عليها بالف دينار ووقف عليه سافته تساوي الف دينار وكان باسوان

وجال من العسكر يستعدون بالاسلحة لحفظ الثغر من هجوم النوبه والسودان عليه فلما
زالت الدولة الفاطمية اهمل ذلك فساد متملك النوبة في عشرة الاف ونزل بنجا اسوان
في مدينة واسر من كان فيها من المسلمين ثم تلاشي بعد ذلك امر الثغر واستولى عليه
اولاد الكنز من بعد سنة تسعين وسبعمايه فافسدوا افسادا كبيرا وكانت لهم مع
ولاة اسوان عدة حروب الي ان كانت المحن منذ سنة ست وثمان مايه وخرب اقليم
الصعيد ارتفعت يد السلطنه عن ثغر اسوان وحاربت اولاد الكنز هوارة وهزموهم
وقتلوا كثيرا من الناس وسبوا ما هنالك من النسا والصبيان واسترقوهم وهدموا
سور مدينة اسوان ومضوا بالسبي وقد تركوها خرابا يبابا لا ساكن بها فاستمرت علي
ذلك بعد ما كانت بحيث يقول عنها عبد الله بن احمد بن سليم الاسواني في كتاب
اخبار النوبه ان ابا عبد الرحمن عبد الله بن عبد الحميد العمري لما غلب علي المعدن
كتب الي اسوان يسال التجار الخروج اليه بالجهاز من طريق المعدن فخرج اليه
رجل يعرف بعثمان بن حنظلة التميمي في الف راحله فيها الجهاز والتمر وذكر ان العمري
لما عاد الي بلاد البجه بعد حروبه للنوبه كثرت التجارة حتى صارت الرواحل التي
تحمل الميرة اليهم من اسوان ستين الف راحلة غير الجلاب التي تحمل من القلزم الي
عيذاب قال ومما شاهده جماعة من شيوخنا الثقاة باسوان بقرية تدعا اثناتي هي
من اسوان علي مرحلتين ونصف انهم راوا شرقيها من جانب النيل قرية بسور وخارج
بابها جميزه وناس يدخلون ويخرجون فاذا عبروا الي الموضع لم يجدوا شيا وهذا يكون
في الشتا دون الصيف قبل طلوع الشمس والناس يجتمعون علي رويتها وصحة هذا
الخبر وكان بها انواع من التمر وانواع من الرطب منها نوع من الرطب
في اشد ما يكون من خضرة السلق وامر هرون الرشيد ان يجمع له الوان تمر اسوان
من كل صنف تمرة واحدة فجمع له ويبة ولا يعرف في الدنيا بسر يتمر قبل ان يصير
رطبا الا باسوان

ذكر بلاق

بلاق اخر حصن للمسلمين وهي جزيرة تقرب من الجنادل يحيط بها النيل فيها بلد
كبير يسكنه خلق كثير من الناس وبها نخل عظيم ومنبر في مسجد جامع واليها
ينتهي سفن النوبه وسفن المسلمين من اسوان اربعة اميال ومن اسوان الي هذا الموضع
جنادل في البحر لا يسلكها المراكب الا بالحيلة ودلالة من يخبر ذلك من الصيادين
الذين يصيدون هناك وبالقصر مسلحة وباب الي بلد النوبة والله اعلم

ذكر

ذكر حايط العجوز

هذا الحايط كان حصنا لارض مصر يحدق جميعها وكان فيه محارس ومسالح ومن ورايه
خليج يجري فيه الما مقدود عليه القناطر عملته دلوكه بنت زبا وقد وهي وتلاشي
ولم يبق منه الا يسير في شط النيل الشرقي يمشي الي اسوان قال ابو القسم عبد
الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم في كتاب فتوح مصر فبقيت مصر بعد غرقهم يعني
فرعون وجنوده ليس فيها من اشراف اهلها احد ولم يبق بها الا العبيد والاجرا
والنسا فاعظم اشراف من بمصر من النسا ان يولين منهم احدا واجمع رايهن ان يولين
امراة منهن يقال لها دلوكه ابنة زبا وكان لها عقل ومعرفه وتجارب وكانت في
شرف منهن وموضع وهي يوميذ بنت مايه سنه وستين سنه فملكوها فخافت
ان يتناولها ملوك الارض فجمعت نسا الاشراف فقالت لهن ان بلادنا لم يكن فيها
يطمع احدا ولا يمد عينه اليها وقد هلك اكابرنا واشرافنا وذهب السحرة الذين
كنا نقوى بهم وقد رايت ان ابني حصنا احدق به جميع بلادنا فاضع عليه المحارس
من كل ناحيه فانا لا نامن ان يطمع فينا الناس فبنت جدارا احاطت به علي جميع
ارض مصر كلها المزارع والمداين والقرى وجعلت دونه خليجا يجري فيه الما
واقامت القناطر والترع وجعلت فيه محارس ومسالح علي كل ثلثة اميال محرس
ومسلحه وفيما بين ذلك محارس صغار علي كل ميل وجعلت في كل محرس رجالا واجرت
عليهم الارزاق وامرتهم ان يحرسوا بالاجراس فاذا اتاهم احد يخافونه ضرب
بعضهم الي بعض بالاجراس فاذا اتاهم احد يخافونه ضرب بعضهم الي بعض بالاجراس
فاتاهم الخبر من كل مكان في ساعة واحدة فنظروا في ذلك فمنعت بذلك مصر
ممن ارادها وفرغت من بنايه في ستة اشهر وهو الجدار الذي يقال له جدار
العجوز وقد بقيت منه بالصعيد بقايا كثيره

ذكر البقط

البقط ما يقبض من سبي النوبة في كل عام ويحمل الي مصر ضريبة عليهم فان كانت
هذه الكلمة عربية فهي اما من قولهم في الارض بقط من بقل وعشب اي نبذ مرعي
فيكون معناه علي هذا ابذة من المال او يكون من قولهم ان في بني تميم بقطا من
ربيعة اي فرقة او قطعة فيكون معناه علي هذا فرقة من المال او قطعة منه
ومنه بقط الارض فرقة منه وبقط البيت فرقة والبقط ان تعطي الجنة علي الثلث

او الربع والبقط ايضا ما سقط من التمر اذا قطع فاخطاه المخلبه فيكون معناه على
هذا بعض ما في ايدي النوبه وكان يوخذ منهم في قرية يقال لها القصر مسافتها من
اسوان خمسة اميال فيما بين بلاق وبلد النوبه وكان القصر فرضة لقوص واول
ما تقرر هذا البقط على النوبه في امارة عمرو بن العاص لما بعث عبد الله بن سعد
بن ابي سرح بعد فتح مصر الى النوبه سنة عشرين وقيل سنة احدى وعشرين في
عشرين الف فمكث بها زمانا فكتب اليه عمرو يامره بالرجوع اليه فلما مات عمر
رضي الله عنه نقض النوبه الصلح الذي جرى بينهم وبين عبد الله بن سعد وكثرت
سراياهم الى الصعيد فاخربوا وافسدوا فغزاهم مرة ثانية عبد الله بن سعد بن
ابي سرح وهو على امارة مصر في خلافة عثمن رضي الله عنه سنة احدى وثلثين
وحصرهم بمدينة دنقلة حصارا شديدا ورماهم بالمنجنيق ولم تكن النوبه تعرفه
وخسف بهم كنيستهم بحجر فبهرهم ذلك وطلب ملكهم واسمه قليدروث الصلح
وخرج الى عبد الله وابدى ضعفا ومسكنة وتواضعا فتلقاه عبد الله ورفعه
وقربه ثم قرر الصلح معه على ثلثماية وستين راسا في كل سنة ووعده عبد الله
بحبوب يحملها اليه لما شكاه قلة الطعام ببلده وكتب لهم كتابا نسخته بعد
البسملة عهد من الامير عبد الله بن سعد بن ابي سرح لعظيم النوبه ولجميع اهل
مملكته عهد عقده على الكبير والصغير من النوبه من حد ارض اسوان الى حد
ارض علوه ان عبد الله بن سعد جعل لهم امانا وهدنة جارية بينهم وبين المسلمين
ممن جاورهم من اهل صعيد مصر وغيرهم من المسلمين واهل الذمة انكم معاشر النوبه
امنون بامان الله وامان رسوله النبي محمد صلى الله عليه وسلم على ان لا نحاربكم ولا
ننصب لكم حربا ولا نغزوكم ما اقمتم على الشرايط التي بيننا وبينكم على ان تدخلوا
بلدنا مجتازين غير مقيمين فيه وعليكم حفظ من نزل بلادكم او تطرقه من مسلم
او معاهد حتى يخرج عنكم وان عليكم رد كل ابق خرج اليكم من عبيد المسلمين حتى
تردوه الى ارض الاسلام ولا تستولوا عليه ولا تمنعوا منه وعليكم حفظ المسلم
المسجد الذي ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم ولا تمنعوا منه مصليا ولا تعرضوا
لمسلم قصده وجاور فيه الى ان ينصرف عنكم وعليكم كنسه واسراجه وتكرمته
وعليكم في كل سنة ثلثماية وستون راسا تدفعونها الى امام المسلمين من اوسط
رقيق بلادكم غير المعيب يكون فيها ذكران واناث ليس فيهم شيخ ولا هرم ولا
عجوز

عجوز ولا طفل لم يبلغ الحلم تدفعون ذلك الى والي اسوان وليس على مسلم دفع عدو عرض لكم ولا منعه
منكم من حد ارض علوه الى حد ارض اسوان فان انتم اويتم عبد المسلم او قتلتم مسلما او معاهدا
او عرضتم للمسجد الذي ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم بهدم او منعتم شيا من الثلثماية راس
والستين راسا فقد برئت منكم هذه الهدنة والامان وعدنا نحن وانتم على سوا حتى يحكم الله
بيننا وهو خير الحاكمين علينا بذلك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله محمد صلى الله
عليه وسلم ولنا عليكم بذلك اعظم ما تدينون به من ذمة المسيح وذمة الحواريين وذمة
من تعظمونه من اهل ملتكم ودينكم الله الشاهد بيننا وبينكم على ذلك وكتب عمرو بن
شرحبيل في رمضان سنة احدى وثلثين وكانت النوبه دفعت الى عمرو بن العاص
ما صولحوا عليه من البقط قبل نكثهم واهدوا الى عمرو اربعين راسا من الرقيق فلم يقبلها
ورد الهدية الى كبير البقط ويقال له سمقوس فاشترى لهم بذلك جهازا وخمرا ووجهه
اليهم وبعث اليهم عبد الله بن سعد ما وعدهم به من الحبوب قمحا وشعيرا وعدسا
وثيابا وخيلا ثم تطاول الرسم على ذلك فصار رسما ياخذونه عند دفع البقط في كل سنة
وصارت الاربعون راسا التي اهديت الى عمرو ياخذها والي مصر وعن ابي خليفة حميد
بن هشام البحيري ان الذي صولح عليه النوبه ثلثماية وستون راسا لفي المسلمين ولصاحب
مصر اربعون راسا ويدفع اليهم الف اردب قمحا ولرسله ثلثماية اردب ومن الشعير
كذلك ومن الخمر الف قنين للملك ولرسله ثلثماية قنين وفرسين من نتاج خيل
الامارة ومن اصناف الثياب مائة ثوب ومن القباطي اربعة اثواب للملك ولرسله
ثلثة ومن البقطرية ثمانية اثواب ومن المعلمة خمسة اثواب وجبة مخملة للملك
ومن قمص ابي بقطر عشرة اثواب ومن احاصي عشرة اثواب وهي ثياب غلاظ قال
ابو خليفة ليس في كتاب عبد الله بن وهب ولا في كتاب الواقدي تسمية ينتهي اليها
وانما اخذت التسمية عن ابي زكريا سمعت والدي عثمن بن صالح يقول هذا
الخبر حفظته منه ما وقفت عليه وقال حضرت مجلس الامير عبد الله بن طاهر
وهو على مصر فقال انت عثمن بن صالح الذي وصفنا اليك في كتاب بقط النوبه قلت
نعم فاقبل على محفوظ بن سليمن فقال ما اعجب امر علما هذه البلد وصفنا اليهم نطلب
علما من علم بقطهم والى هذا الشيخ فما شفانا احد منهم فقلت اصلح الله الامير ان الذي طلب
من خبر النوبه عندي قد حفظته شيوخ عن شيوخ الذين حضروا اهل الهدنة
والصلح الذي جرى بين عبد الله بن سعد وبين النوبه ثم حدثته عن اخبارهم كما

سمعت وقد انكر عطية الخمر فقلت قد انكره عبد العزيز بن مروان وكان هذا المجلس
بفسطاط مصر سنة احدى عشرة ومائتين بعد ان تم الصلح بينه وبين عبيد الله بن السري
بن الحكم التميمي الامير وكان قبله قال عثمن بن صالح فوجه الامير الى الديوان بظهر
المسجد الجامع بمصر فاستخرج منه خبر النوبة فوجده كما ذكرته فسر بذلك وعن
مالك بن انس انه كان يرى ان ارض النوبة الى حد علوة صلح وكان لا يجيز شرى رقيقهم
وكان اصحابه مثل عبد الله بن عبد الحكم وعبد الله بن وهب والليث بن سعد ويزيد
بن ابي حبيب وغيرهم من فقها مصر يرون خلاف ذلك قال الليث بن سعد نحن اعرف
بارض النوبة من مالك بن انس انما صولحوا على ان لا نغزوهم ولا يمنع منهم عدو وانما
استرقه مملكهم او غزا بعضهم بعضا فشراه جايز وما استرقه بغاة المسلمين وسراقهم
فغير جايز وكان عندهم او عند بعضهم جوار نوبيات لفرشهم ولم تزل النوبة يودون
البقط في كل سنة وتدفع اليهم ما تقدم ذكره الى ايام امير المومنين المعتصم بالله ابي
اسحق بن الرشيد وكبير النوبة يومئذ زكريا بن يحنس وكانت النوبة ربما عجزت عن
دفع البقط فتشعث عليهم ولاة المسلمين ما قرب من بلادهم ويمنع من اخراج الجهاز اليهم
فانكر فيرقي ولد كبيرهم زكريا على ابيه بذله الطاعة لغيره واستعجزه فيما يدفع فقال
له ابوه فما تشا قال عصيانهم ومحاربتهم قال ابوه هذا شي راه السلف من ابائنا
صوابا واخشى ان يفضي هذا الامر اليك تتقدم على محاربة المسلمين غير اني اوجه
الى ملكهم رسولا فانه ترى حالنا وحالهم فان رايت لنا بهم طاقة حاربناهم على خبر
وان لم يكن سالته الاحسان الينا فتشخص فيرقي الى بغداد وكانت البلدان تزين له
ويسير على المدن واتخذ ربما حدا ارتبس البجة ناسيا به ولقيا المعتصم فنظرا الى
ما بهرهما من حال العراق في كثرة الجيوش وعظم العمارة مع ما شاهداه في طريقهما فقرب
المعتصم فيرقي وادناه واحسن اليه احسانا تاما وقبل هديته وكافاه وقال
له تمن ما شئت فسال في اطلاق المحبسين فاجابه الى ذلك وكبر في عين المعتصم ووهب
له الدار التي نزلها بالعراق وامر ان تشترى له في كل منزل من طريقه دار لتكون
لرسلهم لانه امتنع من دخول دار لاحد في طريقه فاخذ له بمصر دار ابي الجيش
واخرى ببنى وابل واجرى لهم في ديوان مصر سبعمائة دينار وفرسا وسرجا ولجاما
وسيفا محلى وثوبا مثقلا وعمامة من الخز وقميص شرب وثيابا للرسل غير محدودة
عند وصول البقط الى مصر ولهم جملان وخلع على المتولي لقبض البقط وعليهم رسوم
معلومة

معلومة لقابض البقط والمنصرفين معه وما يهدى اليهم بعد ذلك فغير محدود وهو عندهم
هدية يجازون عليها ونظر المعتصم الى ما كان يدفعه للمسلمين فوجده اكثر من البقط وانكر
عطية الحبوب الخمر واسر الحبوب والثياب التي تقدم ذكرها وقرر دفع البقط بعد
انقضا كل ثلث سنين وكتب لهم كتابا بذلك بقي في يد النوبة وادعى النوبي على قوم من
اهل اسوان انهم اشتروا املاكا من عبيده فامر المعتصم بالنظر في ذلك فاحضروا الى
البلد والمختار للحكم فيه والتابعين من النوبة وسالاهما عما ادعاه صاحبهم من
بيعهم فانكروا ذلك وقالوا نحن رعيته فزال ما ادعاه وطلب اشيا غير ذلك من ازالة
المسلحة المعروفة بالقصر عن موضعها الى الحد الذي بينهم وبين المسلمين لان المسلحة
على ارضهم فلم يجبه الى ذلك ولم يزل الرسم جاريا بدفع البقط على هذا التقرير ويدفع
اليهم ما اجراه المعتصم الى ان تدثرت الدولة الفاطمية الى مصر ذكر ذلك مورخ
النوبة وقال ابو الحسن المسعودي والبقط هو ما يقبض من السبي في كل سنة
ويحمل الى عامل مصر ضريبة عليهم وهو ثلثمائة راس وخمسة وستون راسا لبيت
المال لشرط الهدنة بين النوبة وبين المسلمين وللامير بمصر غير ما ذكرنا
اربعون راسا ولخليفته المقيم باسوان وهو المتولي لقبض البقط عشرون راسا
وللحاكم المقيم باسوان الذي يحضر مع امير المومنين قبض البقط خمسة اروس
ولاثني عشر شاهدا عدولا من اهل اسوان يحضرون مع الحاكم قبض البقط اثنى
عشر راسا من السبي على حسب ما جرى به الرسم في صدر الاسلام في بدو ابتداع
الهدنة بين المسلمين وبين النوبة وقال البلاذري في كتاب الفتوحات ان المقرر
على النوبة اربعمائة راس ياخذون بها طعاما اي غلة والزمهم امير المومنين
المهدي محمد بن ابي جعفر المنصور ثلثمائة وستين راسا وزرافة وفي سنة
اربع وسبعين وستمائة كثر خبث داود متملك النوبة وانتهى الى ان نزل من
مدينة اسوان وحرق عدة سواقي بعد ما افسد بعيذاب فمضى اليه والي قوص
فلم يدركه وقبض على صاحب الجبل في عدة من النوبة وحملهم الى السلطان
الملك الظاهر بيبرس البندقداري بقلعة الجبل فوسطهم وقدم سكندة بن
اخت متملك النوبة متظلما من خاله داود فجرد السلطان معه الامير شمس
الدين اق سنقر الفارقاني الاستادار والامير عز الدين ايبك الافرم
امير جاندار في جماعة كثيرة من العسكر ومن اجناد الولايات وعربان الوجه

النبلي والزراقين والرماة ورجال الحرا ريق فسار وا من اول شعبان من القاهرة حتى ادرك
وصلوا الى ارض النوبة فخرجوا الى لقائهم على النجب بايديهم الحراب وعليهم دكا
سود فاقتتل الفريقان قتالا كبيرا انهزم فيه النوبة واغار الامير على قلعة الدو وقتل
وسبا واوغل العسكر في ارض النوبة يقتل وياسر وحاز من المواشي ما
لا يعد ونزلت جزيرة ميكائيل براس الجنادل وفر المراكب من الجنادل فغزا النوبة
الى الجزائر وكتب لعمر الدولة نايب داود متملك النوبة امانا فحلف بشكنده
على الطاعة واحضر رجال المريس ومن فر وخاص الامير الى برج في الماء وحصره حتى
اخذه وقتل به ما بين واسر اخا لداود وهرب داود والعسكر في اثره مدة ثلثة
ايام وهم يقتلون ويأسرون حتى ابعد عن القوم واسرت ام داود واخته ولم تعد
على داود فقرر شكنده عوضه وقرر على نفسه القطيعة في كل سنة ثلث
فيلة وثلث زرافات وخمس فهود من اناثها ومائة هجين اصهب واربعماية
راس من البقر المنتخبة على ان يكون بلاد النوبة نصفين نصفها للسلطان ونصفها
لعمارة البلاد وحفظها ما خلا بلاد الجبال فانها كلها للسلطان لقربها من اسوان
ويكون نحو الربع من بلاد النوبة وان يحمل ما بها من التمر والقطن والحقوق الجارية
بها العادة من قديم الزمان وان يقوموا بالجزية ما بقوا على النصرانية فيدفع
كل بالغ منهم في السنة دينارا عينا وكتب نسخة يمين بذلك حلف عليها
الملك شكنده ونسخة يمين اخرى حلفت بها الرعية وخرب الامير ان كنايس
النوبة واخذ ما فيها وقبض على نحو عشرين اميرا من امرا النوبة وافرج عمن كان
بايدي النوبة من اهل اسوان وعيذاب من المسلمين في اسرهم والبس شكنده
تاج الملك واقعد على سرير المملكة بعد ما حلف والتزم ان يحمل جميع مال داود
ومن قتل واسر من مال ودواب الى السلطان مع البقط القديم وهو اربعمائة
راس من الرقيق في كل سنة وزرافة من ذلك ما كان للخليفة ثلثمائة وستون
راسا ولنائبه بمصر اربعون راسا على ان يطلق لهم اذا وصلوا بالبقط ما من
القمح الف اردب لمتملكهم وثلثمائة اردب لرسله

ذكر صحرا عيذاب

اعلم ان حجاج مصر والمغرب اقاموا زيادة على مائتي سنة لا يتوجهون الى مكة شرفها
الله تعالى الا من صحرا عيذاب يركبون النيل من ساحل مدينة مصر الفسطاط الى
قوص

ثم يركبون الابل من قوص ويعبرون هذه الصحرا الى عيذاب ثم يركبون البحر في الجلاب
الى جدة ساحل مكة وكذلك تجار الهند واليمن والحبشة يردون في البحر الى عيذاب ثم يسلكون
هذه الصحرا الى قوص ومنها يردون مدينة مصر وكانت هذه الصحرا لا تزال عامرة اهلة
بما يمر بها من قوافل التجار والحجاج حتى ان كانت احمال البهار اوالتجار كالفرفل والقلقل
ونحو ذلك لتوجد ملقاة بها والقفول صاعدة وهابطة لا يتعرض لها احد الى ان ياخذها
صاحبها فلم يزل مسلكا للحجاج في ذهابهم وايابهم زيادة على مائتي سنة من اعوام بضع
وخمسين واربعمائة الى اعوام بضع وستين وستمائة وذلك منذ كانت الشدة العظمى في
ايام الخليفة المستنصر بالله ابي تميم معد بن الظاهر وانقطاع الحج في البر الى ان كسا
الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري الكعبة وعمل لها مفتاحا ثم اخرج قافلة
الحاج في البر من سنة بضع وستين وستماية فقل سلوك الحجاج لهذه الصحرا واستمرت
بضايع التجار تحمل من عيذاب الى قوص حتى بطل ذلك بعد سنة ستين وسبعماية
وتلاشى امر قوص من حينئذ وهذه الصحرا مسافتها من قوص الى عيذاب سبعة عشر
يوما وتفقد منها الماء ثلثة ايام متوالية وتارة تفتقد اربعة ايام وعيذاب مدينة
على ساحل بحر جدة وهي غير مسورة واكثر بيوتها اخصاص وكانت من اعظم مراسي الدنيا
بسبب ان مراكب الهند واليمن تحط فيها البضايع وتقلع منها مع مراكب الحجاج الصادرة
والواردة فلما انقطع ورود مراكب الهند واليمن اليها صارت المراسي العظيمة
عدن من بلاد اليمن الى ان كانت اعوام بضع وعشرين وثمانمائة صارت جدة
اعظم مراسي الدنيا وكذلك هرمز فانها مرسا جليل وعيذاب في صحرا لا نبات فيها
وكل ما يوكل بها مجلوب اليها حتى الماء وكان لاهلها من الحجاج والتجار فوايد لا تحصى
وكان لهم على كل حمل يحملونه للحاج ضريبة معلومة وكانوا يكارون الحجاج الجلاب
التي تحملهم في البحر الى جدة ومن جدة الى عيذاب فيجتمع لهم من ذلك مال عظيم ولم يكن
في اهل عيذاب الا من له جلبة فاكثر على قدر يساره وفي اهل بحر عيذاب مغاص
اللولو في جزر قريبة منها تخرج اليه الغواصون في وقت معين من كل سنة في
الزواريق حتى يوافوه بتلك الجزاير ويقيمون هنالك اياما ثم يعودون بما قسم لهم
من الحظ والمغاص فيها قريب القعر وعيش اهل عيذاب عيش البهايم وهم اقرب
الى الوحش في اخلاقهم من الانس وكان الحجاج يجدون في ركوبهم الجلاب على البحر
اهوالا عظيمة لان الرياح تلقيهم في الغالب بمراسي في صحرا بعيدة مما يلي الجنوب فينزل

اليم البجاه من جبال المعدن فيكا رونهم الجمال ويسلكون بهم على غير ما فربما هلك اكثرهم
عطشا واخذ البجاه ما كان معهم ومنهم من يضل ويهلك عطشا والذي يسلم منهم يدخل الى
عيذاب كانه نشر من كفن قد استحالت هياتهم وتغيرت صفاتهم واكثر هلاك الحجاج
بهذه المراسي ومنهم من تساعده الريح فتحطه بمرسى عيذاب وهو الاقل وجلبابهم التي
تحمل الحجاج في البحر لا يستعمل فيها مسمار البته انما يخيط خشبها بالقنبار وهو متخذ
من شجر النارجيل ويخللونها بدسر من عيذاب النخل ثم يسقونها بسمن او دهن
الخروع او دهن القرش وهو حوت عظيم في البحر يبتلع الغرقى وقلاع هذه الجلاب
من شجر المقل ولاهل عيذاب في الحجاج احكام الطواغيت فانهم يبالغون في اشحان
الجلبه بالناس حتى يبقى بعضهم فوق بعض حرصا على الاجره ولا يبالون بما يصيب
الناس في البحر بل يقولون دايما علينا بالالواح وعلى الحجاج بالارواح واهل عيذاب
من البجاه ولهم ملك منهم ولهم والٍ من قبل سلطان وادركت قاضيها عندنا بالقاهره
اسود اللون والبجاه قوم لا دين لهم ولا عقل ورجالهم ونساهم ابدا عراه وعلى
عوراتهم خرق وكثير منهم لا يسترون عوراتهم وعيذاب حرها شديد بسموم محرق

ذكر مدينه الاقصر

هذه المدينه من مداين الصعيد القديمه يقال ان اهلها المرس ومنها الحمر
المرسيه

ذكر البلينا

ومن ... وذكر الكمال الادفوي انه وقع بين اهل البلاد وبين والي قوص فتوجهوا
الى القاهره وصرفوه وولي غيره وطلع الخطيب بالبلينا صحبته وكان اقطاعه بها منت
فلما وصل اليها اضافه اهلها بستين منسفا من طعام اللبن فقال للخطيب في بلادكم
مثل هذا فقال الخطيب حلو فلما وصل الى اخميم تقدم الخطيب الى البلينا فعند
ما وصل الوالي اليها اخرجوا له ستين منسفا حلوى وستين منسفا شوى قال
وبعض الحكام بها في عيد من الاعياد امتدحه من اهلها خمسة وعشرون شاعرا وفيها
من لا يرضى بمدح الناصي وفيهم من يقصر رتبته عن ذلك قال وكان بها عدة مسابك
للسكر ويوصف اهلها بالمكارم

ذكر سمهود

هذه المدينه بالجانب الغربي من النيل قال الادفوي كان بسمهود سبعة عشر حجرا
لعصر قصب السكر ويقال ان الفار لا ياكل قصبها

ذكر ارجنوس

ومن

هذه المدينه من جملة عمل البهنسا بها كنيسة بظاهرها فيها بير يقال لها بير سيرس
سخيرة لها عيد يعمل في اليوم الخامس والعشرين من بشنس احد شهور القبط بمصر
فيفور بها الما عند مضي ست ساعات من النهار حتى يطفوا ثم يعود الى ما كان عليه ويستدل
النصارا عليه على زيادة النيل في كل سنة نقيد ما علا الما من الارض ويزعمون ان الامر
في النيل وزيادته يكون موافقا لذلك كله والله اعلم

ذكر ابوابط

هذه المدينه ايضا من جملة البهنسا وبها كان بها منارة محكمة البنا اذا اهزها الرجل
تحركت يمينا وشمالا فيرى ميلها دونه ظاهرا باستقلالها عن موضعه

ذكر ملوي

هذه المدينة بالجانب الغربي من النيل وارضها معروفة بزراعة قصب السكر وكان
بها عدة احجار لاعتصاره واخر من كان بها اولاد فضيل بلغت زراعتهم في الايام
الناصريه محمد بن قلاوون الفا وخمسماية فدان من القصب في كل سنة واوقع النشو
ناظر الخواص الحوطه على موجودهم في سنة ثلث وثلاثين وسبعماية فوجد من جملة
ما لهم اربعة عشر الف قنطار من القند حملها الى دار القند بمصر سوى العسل
والزمهم بحمل ثمانية الاف قنطار قند سوى ما لهم من عبيد وغلال وغير ذلك

ذكر مدينة انصنا

اعلم ان مدينة انصنا احد مداين صعيد مصر القديمه وفيها عدة عجايب منها
الملعب ويقال انه كان مقياس النيل وانه من بنا دلوكه احد من ملك مصر وكان
كالطيلسان وفي دايره عمد على عدة ايام السنه الشمسيه كلها من الصوان
الاحمر المانع ومسافه ما بين كل عمود من مقدار خطوة انسان وكان ما النيل يدخل
الى هذا الملعب من فوقه عند زياده الما فاذا بلغ ما النيل الحد الذي كان اذ ذاك
يحصل منه ري ارض مصر وكفايتها يجلس الملك عند ذلك في مشرف له ويصعد
القوم من خواصه الى روس الاعمده المذكوره فيثبوا دون عليها ما بين ذاهب وات
وينسابقون من الاعمده الى الملعب وهو ممتلي بالما قال ابو عبيد البكري
انصنا بفتح اوله واسكان ثانيه بعده صاد مهمله مكسورة ونون والف كوره من
كور مصر معروفه منها كانت ماريه سريه النبي صلى الله عليه وسلم ام ابنه ابراهيم
من قرية يقال لها حفن من قرى هذه المدينه المذكوره ويقال ان اسحق ابراهيم

كانوا منها وانه جليس منها يوم الموعد للقا موسى عليه السلام ويقال ان التمساح لا يضر بساحل انصنا لطلاسم وضعت بها وانه اذا حاذى برها انقلب على ظهره حتى يجاوزها ويقال ان الذي بنى مدينة انصنا اشمن بن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح وهي واقعة في شرقي النيل وكانت حسنة البساتين والمنتزهات كثيرة الثمار والفواكه وهي الان خراب وقال ابو حنيفة الدينوري ولا ينبت اللبخ الا بانصنا وهو عود ينشر منه الواح للسفن وربما ارعفت ناشرها ويباع اللوح منها بخمسين دينارا او نحوها واذا شد لوح منها بلوح وطرح في الما التاما وصار لوحا واحدا وكان لانصنا سور عتيق هدمه السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب وجعل على كل مركب منحدر في النيل جزا من حمل حجارته الى القاهرة فنقل باسره اليها

ذكر القيس

اعلم ان القيس من البلاد التي تجاور مدينة البهنسا وكان يقال القيس والبهنسا قال ابن عبد الحكم بعث عمرو بن العاص قيس بن الحارث المرادي ثم الكعبي شهد فتح مصر يروي عن عمر بن الخطاب وكان يفتي الناس في زمانه روى عنه سويد بن قيس وقيل سويد بن قيس بن ثعلبة وروى عنه بكرة بن سوادة وهو الذي فتح القرية بصعيد مصر المعروفة بالقيس فنسبت اليه وقال ابن الكندي ولهم الثياب الصوف والاكسية المرعز وليس في الدنيا الا بمصر وذكر بعض اهل مصر ان معوية بن ابي سفيان لما كبر كان لا يدفا فاجمعوا انه لا يدفيه الا اكسية تعمل بمصر من صوفها المرعز العسلي الغير مصبوغ فعمل له منها عدد فما احتاج منها الا واحد ولهم طراز القيس والبهنسا في الستور والمضارب يعرفون به ومنه طراز اهل الدنيا وظهر بها بالقرب من البهنسا سرب في ايام السلطان الملك الكامل محمد بن العادل ابي بكر بن ايوب فامر متولي البهنسا بكشفه فجمع له اهل المعرفة بالعوم والغطس وكانوا اما ينيف عن مايتي رجل فما فيهم الا من نزل السرب فلم يجد له قرارا ولا جوانب فامر بعمل مركب طويل دقيق بحيث امكن ادخاله من راس السرب وشحنه بالازواد والرجال وركب فيه حبالا مربوطة في خوازيق عند راس السرب وعمل مع الرجال الات يعرفون منها اوقات الليل والنهار وعدة شموع وغيرها مما يستخرج به النار ويشتعل به وامرهم ان يسلكوا بالمركب في السرب حتى ينفد نصف ما معهم من الزاد فساروا بالمركب في ظلمة وهم يرخون الحبال

ولا

ولا يجدون لما هم سايرون فيه من الما جوانب فما زالوا حتى قلت ازوادهم فابطلوا حركة المركب بالجواذيف الى داخل السرب وجروا الحبال ليرجعوا الى حيث دخلوا حتى انتهوا الى راس السرب وكانت مدة غيبتهم في السرب ستة ايام اربعة منها دخولا الى جوفه ونظروا اخر جوانبه ويومان رجوعا الى راس السرب ولم يقفوا الى هذه المدة على راس السرب فكتب بذلك الامير الطنبغا والي البهنسا الى الملك الكامل فتعجب عجبا كبيرا واشتغل عن ذلك بمحاربة الفرنج على دمياط فلما رحلوا عن دمياط وعاد الى القاهرة خرج بعد ذلك حتى شاهد السرب المذكور

ذكر دروط بلهاسة

اعلم ان دروط وهي بفتح الدال المهملة وضم الرا وسكون الواو وطا اسم لثلث قرى دروط اشنون من الاشمونين ودروط سربان من الاشمونين ايضا ودروط بلهاسه من ناحية البهنسي بالصعيد وبها جامع انشاه زياد بن عمرو الفنكي ومات في المحرم سنة احدى وتسعين ومايه فدفن به وقال فيه الشاعر

حلف الجود حلفة يومها ما برا الله واحدا كزياد
كان غيثا لمصر اذ كان حيا واماما من السنين الشداد

ومات ابنه ابراهيم بن المغيرة سنة تسع وتسعين ومايه وقال فيه الشاعر

ابن المغيرة ابراهيم من ذهب يزداد حسنا على طول الدهارير
لو كان يملك ما في الارض يحمله الى العفاة ولم يهمم بتاخير

ومات احمد بن زياد بن المغيرة في المحرم سنة ست وثلثين ومايتين فقال فيه الشاعر

احمد مات ماجدا مفقودا
ولقد كان احمد محمودا
ورث المجد عن ابيه ثم عميد
مثله ليس بعده موجودا

ذكر اشكر

اعلم ان اشكر من الاطفيحية تجاهها وادية الى وقتنا هذا شكل جمل من الحجر كاكبر ما يرى من الجمال واحسنها هيئة وهو قايم على اربعته وقد استقبل

بوجه المشرق وعلى فخذه الايمن كتابة بقلم وهي احرف متقطعة في ثلاثة اسطر ثم على نحو
مايه وخمسين خطوة منه جمل احمر مثله سوا ووجهه الى وجه الجمل الاول وليس
عليه كتابة وفيما بين الجملين المذكورين هيئة اعمدة قد ملبت فما شاهدتها اربعون
ركبة موضوعة في الارض عشرين تجاه عشرين وجميعها من حجارة لا يشك من راها
انها اجمال قماش وبعد مايه وخمسين خطوة منها جمل ثالث على هيئة الجملين المذكورين
وهو ايضا قايم وظهره الى ظهر الجمل الثاني ووجهه الى الجبل وهناك اخر الوادي
وليس على هذا الجمل ايضا كتابة اخبرني من لا اتهم برويته ذلك

ذكر منية الخصيب

هذه البلدة تنسب الى الخصيب بن عبد الحميد صاحب خراج مصر من قبل امير
المومنين هرون الرشيد

ذكر منية الباسك

هذه بلدة من جملة الاطفيحية عرفت بالباسك اخي الوزير بهرام الارمني
في ايام الخليفة الحافظ لدين الله بن الميمون عبد المجيد بن محمد ولي من قبل اخيه
مدينة قوص سنة تسع وعشرين وخمسماية وولاية قوص يوميذ اجل ولايات
مصر فجار على المسلمين واسند عسفه واذاه لهم فقعد ما وصل الخبر بقيام رضوان
بن ولخشي على بهرام وهزيمته منه وتقلد الوزارة بعده ثار اهل قوص بالباسك
في جمادي الاخرة سنة احدى وثلثين وخمسماية وقتلوه وربطوا كلبا ميتا في رجله
وسحبوه حتى القوه على مزبلة وكان نصرانيا

ذكر الجيزة

قال ابن سيده الجيزة الناحية والجانب وجمعها جيز وجيزة والجيز جانب الوادي
وقد يقال فيه الجيز واعلم ان الجيزة اسم لقرية كبيرة جميلة البنيان على النيل
من جانبه الغربي تجاه مدينة فسطاط مصر لها في كل يوم احد سوق عظيم تجلب اليه
من النواحي اصناف كثيرة جدا ويجتمع فيه عالم عظيم وبها عدة مساجد وجامع وقد
وقد روى الحافظ ابو بكر بن ثابت الخطيب من حديث نبيط بن شريط قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيزة روضة من رياض الجنة ومصر خزاين
الله في ارضه ويقال ان مسجد التوبة الذي بالجيزة كان فيه تابوت موسى النبي
فدفنته امه فيه بالنيل وبها النخلة التي ارضعت مريم تحتها عيسى فلم تثمر غيرها

وقال

وقال ابن عبد الحكم عن يزيد بن ابي حبيب فاستحبت همدان ومن والاها الجيزة فكتب
عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعلمه بما فتح الله للمسلمين وما
فتح عليهم وما فعلوا في خططهم وما استحبت همدان من النزول بالجيزة فكتب
اليه عمر يحمد الله على ما كان من ذلك ويقول له كيف رضيت ان تفرق اصحابك
لم يكن ينبغي لك ان ترضى لاحد من اصحابك ان يكون بينك وبينهم بحر لا تدري ما يفجاهم
فلعلك لا تقدر على غياثهم حتى ينزل بهم ما تكره فاجمعهم اليك فان ابوا عليك
واعجبهم موضعهم بالجيزة واحبوا ما هنالك فابن عليهم من فيء المسلمين حصنا فعرض
عمرو ذلك عليهم فابوا واعجبهم موضعهم بالجيزة ومن والاهم على ذلك من رهطهم
يافع وغيرها واحبوا ما هنالك فبنا لهم عمرو بن العاص الحصن بالجيزة في سنة
احدى وعشرين وفرغ من بنايه في سنة اثنين وعشرين وقيل ان عمرو بن العاص
لما سال اهل الجيزة ان ينضموا الى الفسطاط قالوا متقدم قدمناه في سبيل الله
ما كنا لندخل منه الى غيره فنزلت يافع الجيزة فيها مبرح بن شهاب وهمدان
وذو اصبح فيهم ابو شمر بن ابرهة وطايفة من الحجر قال القضاعي ولما رجع عمرو
بن العاص من الاسكندرية ونزل الفسطاط وجعل طايفة من جيشه بالجيزة
خوفا من عدو يغشاهم من تلك الناحية فجعل الذي اصبح من حمير وهم كثير
ويافع بن زيد بن رعين وجعل فيها همدان وجعل فيها طايفة منها الازد بن من
الحجر بن من الهنو من الازد وطايفة من الحبشة وديوانهم في الازد فلما استقر
عمرو في الفسطاط امر الذين خلفهم بالجيزة ان ينضموا اليه فكرهوا ذلك
وقالوا هذا متقدم تقدمناه في سبيل الله واقمنا به ما كنا بالذي نرغب فيه
ونحن به منذ اشهر فكتب عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك
ويخبره ان همدان والذي اصبح ويافعا ومن كان منهم احبوا المقام بالجيزة فكتب
اليه كيف رضيت ان تفرق عنك اصحابك وتجعل بينك وبينهم بحرا لا تدري
ما يفجاهم فلعلك لا تقدر على غياثهم فاجمعهم اليك ولا تفرقهم فان ابوا واعجبوا
بمكانهم فابن عليهم حصنا من في المسلمين فجمعهم عمرو فخبرهم بكتاب عمر واستعفوا من
الخروج من الجيزة فامر عمرو ببنا الحصن عليهم فكرهوا ذلك وقالوا لا حصن احصن
لنا من سيوفنا وكرهت ذلك همدان ويافع فانتزع عمرو منهم بوتغت الفزعة على
يافع فبني لهم في سنة احدى وعشرين وفرغ من بنايه في سنة اثنين وعشرين

وامرهم عمرو بالخطط بها فخطط ذي اصبح من حمير في الشرق ومضوا في الغرب حتى
بلغوا ارض الحرث والزرع وكرهوا ان بني الحصن فيهم وخطط نافع بن الحرث من
رعين توسطت الجيزه وبني الحصن في خططهم وخرجت طايفة منهم عن الحصن انفة
منه واختطت بكيل بن جشم بن نوف بن همدان في مهب الجنوب من الجيزه في شرقيها
واختطت حاشد بن جشم بن نوف في مهب الشمال من الجيزه في غربيها واختطت
الحباويه بنوا عامر بن بكيل في قبلي الجيزه واختطت بنوا غوث بن ازحب من بكيل
ويافع والحبشه اختطوا على الشارع الاعظم والمسجد الجامع بالجيزه بناه محمد
بن عبد الله الخازن في المحرم سنه خمسين وثلثماية بامر الامير علي بن الاخشيد
بتقدم كافور الى الخازن ببنايه وعمل له مستغلا وكان الناس قبل ذلك
بالجيزه يصلون الجمعه في مسجد همدان وهو مسجد مراحق بن عامر بن بكيل
كان يجمع فيه الجمعه بالجيزه وشارف بنا هذا الجامع مع الخازن ابو الحسن
بن ابي جعفر الطحاوي واحتاجوا الى عمد الجامع فمضى الخازن في الليل الى كنيسته
باعمال الجيزه فقلع عمدها ونصب موضعها اركانا وحمل العمد الى الجامع فترك
ابو الحسن بن الطحاوي الصلاه فيه مدة تورعا قال التيمي وكان بن
الطحاوي يصلي في جامع الفسطاط العتيق وبعض عمده او اكثرها ورخامه من
كنايس الاسكندريه وارياف مصر وبعضه بناه قرة بن شريك عامل الوليد
بن عبد الملك وقال ان بالجيزه قبر كعب الاحبار وانه كان بها احجار ورخام
قد صورت فيها التماسيح وكانت لا تظهر فيما يلي البلد من النيل فقد ازيلت ايام
ابيال علوا وسفلا وفي سنه اربع وعشرين وسبعمايه منع الملك الناصر محمد بن
قلاوون الوزير ان يتعرض الى شي مما يتحصل من اموال الجيزه فصار جميعه
يحمل اليه

ذكر سجن يوسف

قال القضاعي سجن يوسف عليه السلام ببوصير من عمل الجيزه اجمع اهل
المعرفه من اهل مصر على صحة هذا المكان وفيه اثر نبيين احدهما يوسف
عليه السلام سجن به المدة التي ذكر ان مبلغها سبع سنين وكان الوحي
ينزل عليه فيه وسطح السجن موضع معروف باجابة الدعا يذكر ان كافور
الاخشيدي سال ابا بكر بن الحداد عن موضع معروف باجابة الدعا ليدعو
منه فاشار عليه بالدعا على سطح السجن والنبي الاخر موسى عليه السلام وقد
بني

بني على اثره مسجد هناك يعرف بمسجد موسى عليه السلام واخبرنا ابو الحسن علي
بن ابراهيم الشرفي بالشرف قال حدثنا ابو محمد عبد الله بن الورد وكان قد
هلكت احته وورثت منها موروثا وكنا نسمع عليه دايما وكان بسجن يوسف عليه السلام
وقت يمضي الناس اليه يتفرجون قال لنا يوما ما اصحابنا هذا اوان السجن ونريد
ان نذهب اليه واخرج عشرة دنانير فقال لها لاصحابه وقال لهم ما استهيتم
فاشتروه فمضى اصحاب الحديث واشتروا ما ارادوا وعدنا يوم احد الجيزه
كلنا وبتنا في مسجد همدان فلما كان الصباح مشينا حتى جينا الى مسجد موسى وهو
الذي في السبيل ومنه يطلع الى السجن وبينه وبين السجن تل عظيم من الرمل
قال الشيخ من يحملني ويطلع بي الى هذا السجن حتى احدثه بحديث لا احدثه
لاحد بعده حتى تفارق روحي الدنيا قال الشرفي فاخذت الشيخ وحملته
حتى صرت في اعلاه فنزل وقال معك ورقة قلت لا قال ابصر لي بلاطه
فاخذ فحمه وكتب حدثني يحيى بن ايوب عن يحيى بن بكير عن زيد بن اسلم عن
بشر بن يسار عن بن عباس قال ان جبريل اتى الى يوسف في هذا السجن
في هذا البيت المظلم وقال له يوسف من انت الذي منذ دخلت هذا السجن
ما رايت احسن وجها منك فقال انا جبريل فبكى يوسف عليه السلام فقال
ما يبكيك يا نبي الله فقال ايش يعمل جبريل في مقام المذنبين فقال اوما
علمت ان الله تعالى يطهر البقاع بالانبيا والله لقد طهر الله بك السجن وما حوله
فما قام الى اخر النهار حتى اخرج من السجن قال القضاعي سقط بين يحيى
وزيد رجل وقال الفقيه ابو محمد احمد بن محمد بن سلامه الطحاوي وذكر
سجن يوسف لو سافر الرجل من العراق ليصلي فيه وينظر اليه لما عنفته في سفره
وقال الفقيه ابو اسحق المروزي لو سافر الرجل من العراق لينظر اليه
لما عنفته في سفره وذكر المسبحي في حوادث شهر ربيع الاخر سنه خمس عشره
واربعماية ان العامه والسوقه طافت الاسواق بمصر بالطبول والبوقات
يجمعون من التجار وارباب الاسواق ما ينفقونه في مضيهم الى سجن يوسف
فقال لهم التجار شغلنا بعدم الاقوات يمنعنا من هذا وكانت قد اشتد
الغلا وانهوا حالهم الى الحضرة المطهره يعني امير المومنين الظاهر لاعزاز
دين الله ابي الحسن علي بن الحاكم بامر الله فرسم لسامي الدوله ابي طاهر بن

كان في متولي الشرطة السفلى التوسيم على التجار حتى يدفعوا اليهم ما جرت به رسومهم
ورسم لهم بالخروج الى سجن يوسف و وعدوا ان يطلق لهم من الحصن ضعف ما
اطلق لهم في السنة الماضية من الهبة فخرجوا وفي يوم السبت لتسع خلون
من جمادى الاولى ركب القايد الاجل عز الدولة وسناها انعضاد الخادم الاسود
في ساير الاتراك و وجوه القواد وشقوا البلد ونزلوا الى الصناعة التي بالجسر
بمن معه ثم خرج من هناك وعدا في ساير عسكره الى الجيزة حتى رتب لامير
المومنين عساكر يكونون معه مقيمة هناك لحفظه لانه عدا يوم الاثنين لاحدى
عشرة خلت منه في اربع عشاريات واربع عشرة نعلة من بغال النقل وفي جميع
من معه من خاصته وحرمه الى سجن يوسف واقام هناك يومين وليلتين الى
ان عاد الرمادية الخارجون الى السجن بالتماثيل والمضاحك والحكايات والسماجات
فضحك منهم واستظرفهم وعاد الى قصره بكرة يوم الاربعا الثلاث عشرة خلت
منه واقام اهل الاسواق نحو الاسبوعين يطوفون الشوارع بالخيال والسماجات
والتماثيل ويطلعون الى القاهرة بذلك ليشاهدهم امير المومنين ويعودون ومعهم
سجل قد كتب لهم ان لا يعارضهم احد في ذهابهم وعودهم وان يعتمد اكرامهم
وصيانتهم ولم يزالوا على ذلك الى ان تكامل جميعهم وكان دخولهم من سجن يوسف
يوم السبت لاربع عشرة بقيت من جمادى الاولى وشقوا الشوارع بالسماجات
والحكايات والتماثيل فتعطل الناس في ذلك اليوم عن اشغالهم ومعايشهم واجتمع
في الاسواق خلق كثير لنظرهم وظل الناس اكثر هذا اليوم على ذلك واطلق لجميعهم
مايتا الف درهم وكانوا اثني عشر سوقا ونزلوا مسرورين وبخارج مدينة
الجيزة موضع يعرف بابي هريرة يظن من لا علم له انه ابو هريرة الصحابي وليس
كذلك بل هو منسوب الى ابن ابيه

ذكر قرية ترسا

قال القضاعي وذكر ان القسم بن عبيد الله بن الحبحاب عامل هشام بن
عبد الملك على خراج مصر بنى في الجيزة قرية تعرف بترسا والقسم هذا اخرج الى مصر
وولي خلافة عن ابيه عبيد الله بن الحبحاب السلولي على الخراج في خلافة هشام
بن عبد الملك ثم امره هشام على خراج مصر حين خرج ابوه الى امارة افريقية
في سنة ست عشرة ومائة فلم يزل الى سنة اربع وعشرين ومائة فنزع عن مصر
وجمع لحفص بن الوليد عربها وعجمها فصار على الخراج والصلاة معا وترسا هذه كانت
وقعة

رقعة مروان بن محمد الجعدي

ذكر منية اندونة

احدى قرى الجيزة عرفت باندونة كاتب احمد بن المدبر الذي كان يتقلد ضياع موسى
بن بغا التي بمصر فقبض احمد بن طولون على اندونة هذا وكان نصرانيا فاخذ منه
خمسين الف دينار

ذكر وسيم

قال ابن عبد الحكم وخرج عبد الله بن عبد الملك بن مروان امير مصر الى وسيم وكاتب
الرجل من القبط فسال عبد الله الى قرية ابي النمرس مع رجل من الكتاب يقال له
بن حنظلة فاتى عبد الله العزل وولاية قرة بن شريك وهو هناك فلما بلغه ذلك
قام ليلبس سراويله فلبسه منكوسا وقيل ان عبد الله لما بلغه العزل رد المال به
على صاحبه وقال قد غر لنا وكان عبد الله قد ركب معه الى المعدية وعدى اصحابه
ثقله وتاخر هو والكاتب يعزله فقال صاحب المال والله لابد ان تشرق منزلي
تكون ضيفي وتاكل طعامي ووالله لا عاد لي شي من ذلك ودعك مصر فانعدى معه

ذكر منية عقبة

هذه القرية بالجيزة عرفت بعقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال ابن عبد الحكم
كتب عقبة بن عامر الى معوية بن ابي سفيان رضي الله عنه يساله ارضا يسترفق
بها عند قرية عقبة فكتب له معاوية بالف ذراع في الف ذراع فقال له مولى
له كان عنده انظر اصلحك الله ارضا صالحة فقال عقبة ليس لنا ذلك ان
في عهدهم شروطا له ستة لا يوخذ من انفسهم شي ولا من نسائهم ولا من اولادهم
ولا يزاد عليهم ويدفع عنهم موضع الخوف من عدوهم وانا شاهد لهم بذلك
وفي رواية وفي رواية كتب عقبة الى معوية يساله ان يبتغي قرية يبني بها منازل
ومساكن فامر له معوية بالف ذراع في الف ذراع فقال له مواليه ومن كان عنده
انظر الى ارض تعجبك فاختط بها وابتن فقال انه ليس لنا ذلك لهم في عهدهم
ستة شروط منها ان لا يوخذ من ارضهم شي ولا يزاد عليهم ولا يكلفوا فوق طاقتهم
ولا يوخذ ذراريهم وان يقاتل عنهم عدوهم من ورايهم قال ابو سعيد بن
يونس وهذه الارض التي اقطعها عقبة هي المنية المعروفة بمنية عقبة في جيزة

فسطاط مصر

عقبة بن عامر

بن عبس بن عمرو بن عدي بن عمرو بن رفاعة بن مودوعة بن عدي بن غنم بن الربعة بن
رشدان بن قيس بن جهينة كذا نسبه ابو عمر والكندي وقال الحافظ ابو عمرو
عبد البر عقبة بن عامر بن حسن الجهني من جهينة بن زيد بن سود بن اسلم بن عمرو بن
الحاف بن قضاعة وقد اختلف في هذا النسب يكنا اباحماد وقيل ابا اسيد وابا
اسد وقيل اباعمرو وقيل اباسعاد وقيل ابا الاسود وقال خليفة بن خياط وقيل ابو
عمرو وعقبة بن عامر الجهني يوم النهروان شهيدا وذلك سنة ثمان وثلثين وهذا
غلط منه وفي كتابه بعد وفي سنة ثمان وخمسين توفي عقبة بن عامر الجهني قال
سكن عقبة بن عامر مصر وكان واليا عليها وابتنى بها دارا وتوفي في اخر خلافة
معاوية روى عنه من الصحابة جابر وبن عباس وابو امامة ومسلمة بن مخلد واما
رواته من التابعين فكثيرون قال الكندي ثم وليها عقبة بن عامر من قبل معاوية
وجمع له صلاتها وخراجها فجعل علي شرطه حمادا وكان عقبة قاريا فقيها مفرضا
شاعرا له الهجرة والصحبة والسابقة وكان صاحب بغلة رسول الله صلى الله عليه
وسلم الشهبا الذي يقودها في الاسفار وكان صرف عقبة عن مصر بمسلمة بن
مخلد لعشر بقين من ربيع الاول سنة اربعين وكانت ولايته سنتين وثلثة
اشهر وقال يونس توفي بمصر سنة ثمان وخمسين ودفن في مقبرتها بالمقطم وكان
يخضب بالسواد

ذكر حلوان

يقال انها تنسب الي حلوان بن بابليون بن عمرو بن امري القيس ملك مصر
بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان حلوان هذا بالشام علي مقدمة ابرهة
ذي المنار احد التبابعة قال ابن عبد الحكم وكان الطاعون قد وقع بالفسطاط
فخرج عبد العزيز بن مروان من الفسطاط فنزل بحلوان داخلا في الصحرا وفي
موضع منها يقال له ابو اقرقورة وهو راس العين التي احتفرها عبد العزيز
بن مروان وساقها الي نخله التي غرسها بحلوان فكان ابن حديج يرسل الي عبد
العزيز في كل يوم بخبر ما يحدث في البلد من موت او غيره فارسل اليه ذات يوم
رسولا فاتاه فقال له عبد العزيز ما اسمك فقال ابو طالب فثقل ذلك علي

عبد

عبد العزيز وغاظه فقال له عبد العزيز اسالك عن اسمك فتقول ابو طالب ما
اسمك فقال مدرك فتفال بذلك ومرض في مخرجه ذلك ومات هنالك فحمل في
البحر بن دايه الفسطاط حتي تغير فانزل في بعض خصوص ساحل مرس فغسل فيه
واخرجت من هنالك جنازته وخرج معه بالمجامر فيها العود لما كان تغير من جثته
واوصى عبد العزيز ان يمر بجنازته اذا مات علي منزل جناب بن مرثد بن زيد بن هاني
الرعيني صاحب حرسه وكان صديقا له وقد توفي قبل عبد العزيز فمر بجنازته
علي باب جناب وقد خرج جناب وعياله فلبسوا السواد ووقف علي الباب صايحات
ثم اتبعنه الي المقبرة وكان لنصيب من عبد العزيز ناحية فقدم عليه في مرضه
فاذن له فلما راي شدة مرضه انشد يقول

وتزور سيدنا وسيد غيرنا ، ليت التشكي كان بالعواد
لو كان يقبل فدية لفديته ، بالمصطفي من طارفي وتلادي

فلما سمع صوته فتح عينيه وامر له بالف دينار واستبشر بذلك ال عبد
العزيز وفرحوا به ثم مات وقال الكندي ووقع الطاعون بمصر في سنة سبعين
فخرج عبد العزيز بن مروان منه الي الشرقية متبديا فنزل حلوان فاعجبته فاتخذها
وسكنها وجعل بها الحرس والاعوان والشرط وكان عليهم جناب بن مرثد بحلوان
وبني عبد العزيز بحلوان الدور والمساجد وعمرها احسن عمارة واحكمها وغرس
نخلها وكرمها قال ابن قيس الرقيات

سقيا لحلوان ذي الكروم وما ، صنف من تينه ومن عنبه
نخل مواقير بالفناء من البرني ، يهتز ثم في شربه
اسود سكانه الحمام فما ، تنفك غربانه علي رطبه

ولما غرس عبد العزيز نخل حلوان واطعم دخله والجند معه فجعل يطوف
فيه ويقف علي غروسه ومسافيه فقال يزيد بن عمرو الحملي الا قلت ايها الامير
كما قال العبد الصالح ما شا الله لا قوة الا بالله فقال اذكرتني شكرا يا غلام
قل لابتناس يزيد في عطايه عشرة دنانير

عبد العزيز بن مروان

بن الحكم بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف الاموي القرشي ابو
الاصبغ امه ليلى ابنة زبان بن الاصبغ الكلبي روي عن ابي هريرة وعقبة

بن عامر الجهني وروى عنه علي بن رباح وبحير بن داخر وعبيد الله بن مالك الخولاني وكعب
بن علقمة ووثقه النسائي وابن سعد ولما سار ابو مروان الى مصر بعثه في جيش
الى ايلة ليدخل مصر من تلك الناحية فبعث اليه ابن جحدم امير مصر بجيش عليهم
زهير بن قيس البلوي فلقي عبد العزيز ببصاق وهي سطح عقبة ايلة فقاتله فانهزم
زهير ومن معه فلما غلب مروان على مصر في جمادى سنة خمس وستين جعل
صلاتها وخراجها الى ابنه عبد العزيز بعد ما اقام بمصر شهرين قال عبد العزيز يا
امير المؤمنين كيف المقام ببلد ليس به احد من بني ابي قال له مروان يا بني
عمهم باحسانك يكونوا كلهم بنوا ابيك واجعل وجهك طلقا يصفوا لك مودتهم واوقع
الى كل رئيس منهم انه خاصتك دون غيره يكن لك عينا على غيره وينقاد قومه
اليك وقد جعلت معك اخاك بشرا مونسا وجعلت لك موسى بن نصير وزيرا
ومشيرا وما عليك يا بني ان تكون اميرا باقصى الارض اليس ذلك احسن من اغلاق
بابك وخمولك في منزلك واوصاه عند مخرجه من مصر الى الشام فقال اوصيك
بتقوى الله في سر امرك وعلانيته فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
واوصيك ان لا تجعل لداعي الله عليك سبيلا فان المؤذن يدعوا الى فريضة افترضها
الله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا واوصيك ان لا تعد الناس موعدا
الا انفذته لهم وان حملته على الاسنة واوصيك ان لا تعجل في شيء من الحكم حتى
تستشير فان الله لو اغنى احدا عن ذلك لاغنى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم
عن ذلك بالوحي الذي ياتيه قال الله عز وجل وشاورهم في الامر وخرج مروان
من مصر لهلال رجب سنة خمس وستين فوليها عبد العزيز على صلاتها وخراجها
وتوفي مروان لهلال رمضان وبويع ابنه عبد الملك بن مروان فاقر اخاه عبد
العزيز ووفد على عبد الملك في سنة سبع وستين وجعل على الحرس والخيل
والاعوان جناب بن مرثد الرعيني فاشتد سلطانه وكان الرجل اذا اغلظ لعبد
العزيز وخرج تناوله جناب ومن معه فضربوه وحبسوه وعبد العزيز اول من
عرف بمصر في سنة احدى وسبعين قال يزيد بن ابي حبيب اول من احدث القعود
يوم عرفة في المسجد بعد العصر عبد العزيز بن مروان وفي سنة اثنين
وسبعين صور وبعث البحر الى مكة لقتال عبد الله بن الزبير وجعل عليهم مالك بن
شراحيل

شراحيل الخولاني وهم ثلاثة الاف رجل فيهم عبد الرحمن بن بحنس مولى ابن ابزى وهو
الذي قتل ابن الزبير وخرج الى الاسكندرية في سنة اربع وسبعين ووفد على اخيه
عبد الملك في سنة خمس وسبعين وهدم جامع الفسطاط كله وزاد فيه من
جوانبه كلها في سنة سبع وسبعين وامر بضرب الدنانير المنقوشة وقال
ابن عفير كان لعبد العزيز الف جفنة كل يوم تنصب حول داره وكانت له مائة
جفنة يطاف بها على القبائل تحمل على العجل وكتب عبد الملك اليه ان ينزل له عن
ولاية العهد ليعهد الى الوليد وسليمان فابى ذلك وكتب اليه ان يكن لك ولد
فلنا اولاد ويقضي الله ما يشاء فغضب عبد الملك فبعث اليه عبد العزيز بعلي
بن رباح يترضاه فلما قدم على عبد الملك استعطفه على اخيه فسكن عبد الملك
وقال فرق الله بيني وبينه فلم يزل به علي حتى رضي فقدم على عبد العزيز فاخبره
عن عبد الملك وعن حاله ثم اخبره بدعوته اتقول انا والله فارقته والله ما
دعا دعوة قط الا اجيبت وكان عبد العزيز يقول تقدمت مصر في امرة
مسلمة بن مخلد فتمنيت بها ثلاث اماني فادركتها تمنيت ولاية مصر وان اجمع بين
امراتي مسلمة وبحنتي قيس بن كليب حاجبه فتوفي مسلمة وقدم مصر فوليتها
وحجبه قيس وتزوجت امراتي مسلمة وتوفي ابنه الاصبغ بن عبد العزيز لتسع
بقين من ربيع الاخر سنة ست وثمانين فحمل في النيل من حلوان الى الفسطاط فدفن
بها وقال ابن ابي مليكة رايت عبد العزيز بن مروان حين حضره الموت يقول
الا ليتني لم اك شيئا مذكورا الا ليتني كهاشة من الارض او كراعي ثلة في طرف
الحجاز ولما مات لم يوجد له مال ناض الا سبعة الاف دينار وحلوان والقيسارية
وثياب بعضها مرفوع وخيل ودقيق وكانت ولايته على مصر عشرين سنة وعشرة
اشهر وثلاثة عشر يوما ولم يلها في الاسلام قبله اطول ولاية منه وكان بحلوان
في النيل معدية من صوان تعدي بالحبل يجلس بها الناس وغيرهم من البر
الشرقي بحلوان الى البر الغربي فلما كان وهذا من
الاسرار التي في الخليقة فان جميع الاجسام المعدنية كالحديد والنحاس والفضة
والرصاص والذهب والفضة والقصدير اذا عمل من شيء منها اناء يسع من الماء
اكثر من وزنه فانه يقوم على وجه الماء ويحمل ما يمكنه ولا يغرق وما يرح المسافرون
في بحر الهند اذا اظلم عليهم الليل ولم يروا ما يهتدون به من الكواكب المعروفة

الجهات يعملون حديدة مجوفة على شكل سمكة ويبالغون في ترقيق جسمها جهد القدرة
ثم يجعل في فم السمكة شي من مغناطيس جيد او يحك بها بالمغناطيس فان السمكة
اذا وضعت في الماء دارت واستقبلت القطب الجنوبي بفمها واستدبرت القطب
الشمالي وهذا ايضا من اسرار الخليقة فاذا عرفوا جهتي الجنوب والشمال تبين
منها المشرق والمغرب فان من استقبل الجنوب فقد استدبر الشمال وصار المغرب
عن يمينه والمشرق عن يساره فاذا تحددت الجهات الاربع عرف مواقع البلاد منها
فيقصدون حينئذ جهة الناحية التي يريدونها

ذكر مدينة العريش

العريش مدينة فيما بين ارض فلسطين واقليم مصر وهي مدينة قديمة من جملة
المداين التي اختطت بعد الطوفان قال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه عن
مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام وكان غلاما مترفها فلما قرب من مصر
بنى له عريشا من اغصان الشجر وستره بحشيش الارض ثم بنى له بعد ذلك في
هذا الموضع مدينة سماها درسان اي باب الجنة فزرعوا وغرسوا الاشجار ه
والاجنة من درسان الى البحر وكانت كلها زروع واجنة وعمارة وقال اخر
انما سميت بذلك لان بيصر بن حام بن نوح تحمل في ولده وهم اربعة ومعهم اولادهم
وكانوا ثلثين ما بين ذكر وانثى وقدم ابنه مصر بن بيصر امامه نحو ارض مصر
حتى خرج من حد الشام هو واثقال وسقط مصر في موضع العريش وقد اشتد
غضبه ونام فراي قايلا يبشره بحصوله في ارض ذات خير ودر وملك وفخر
فانتبه فزعا فاذا عليه عريش من اطراف الشجر وحوله عيون ما فحمد الله واثنى
عليه وساله ان يجمعه بابيه واخوته وان يبارك له في ارضه فاستجيب له وقادهم
الله اليه فنزلوا معه في العريش واتاموا به فاخرج الله لهم من البحر دواب
ما بين خيل وحمير وبقر وغنم وابل فساقوها حتى اتوا موضع مدينة منف فنزلوه
وبنوا قرية فيه سميت بالنطيه بانه يعني قرية ثلثين فنمت ذريته بيصر
حتى عمروا الارض وزرعوها وكثرت مواشيهم وظهرت لهم المعادن وكان الرجل
منهم يستخرج القطعة من الزبرجد يعمل منها مايدة كبيرة ويخرج من الذهب
مايكون القطعة فيه مثل الاسطوانة وكالبعير الرابض وقال بن سعيد عن
البيهقي كان دخول اخوة يوسف عليه السلام وابويه بمدينة العريش وهي اول
مدينة

مدينة ارض مصر لانه خرج الى ملتقيهم حتى نزل بطرف لسانه وسلطانه وكان له هناك عرش
وهو سرير السلطنة فاجلس ابويه عليه وكانت تلك المدينة تسمى في القديم بمدينة
العريش لذلك ثم سمتها العامة بمدينة العريش فغلب ذلك عليها ويقال انه كان
ليوسف عليه السلام حرس في اطراف مصر من جميع جوانبها فلما اصاب الشام القحط
وسارت اخوة يوسف ليمتاروا من مصر اقاموا بالعريش وكتب صاحب الحرس الى يوسف
ان اولاد يعقوب الكنعاني يريدون البلد لقحط نزل بهم فجعل اخوة يوسف عند ذلك
عريشا يستظلون به من الشمس حتى يعود الجواب فسمي الموضع العريش وكتب
يوسف بالاذن لهم وكان من شانهم ما قد ذكر في موضعه وقال للعريش ابن جندا
كانترى وبن وصيف شاه اعرف باخبار مصر وفي سنة خمس عشرة واربعمائة طرق
عبد الله بن ادريس الجعفري العريش بمعاونة بني الجراح واحرقها واخذ جميع ما فيها
وقال القاضي الفاضل في جمادى الاخرة سنة سبع وسبعين وخمسمائة ورد الخبر
بان نخل العريش قطع الفرنج اكثره وحملوا جذوعه الى بلادهم وخليت منه ولم
يجدوا اخاطبا على ذلك ونقل عن بن عبد الحكم ان الجفار باجمعه كان ايام فرعون
موسى في غاية العمارة بالمياه والقرى والسكان وان قول الله تعالى ودمرنا ما كان
يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ان عن هذه المواضع وان العمارة كانت متصلة
منه الى اليمن ولذلك سميت العريش عريشا وقيل انها نهاية التخوم من الشام وان
اليه كان ينتهي رعاة ابراهيم الخليل عليه السلام بمواشيه وانه عليه السلام اتخذ
به عريشا كان يجلس فيه حتى تحلب مواشيه بين يديه فسمي العريش من اجل ذلك
وقيل ان مالك بن دعر بن حجر بن جديلة بن لخم كان له اربعة وعشرون ولدا منهم
العريش بن مالك وبه سميت العريش لانه نزل بها وبناها مدينة وعن كعب
الاحبار ان بالعريش قبور عشرة انبيا

ذكر مدينة الفرما

قال البكري الفرما بفتح اوله وثانيه ممدود على وزن فعلا وقد يقصر مدينة
تلقا مصر قال ابن خالويه في كتاب ليس الفرما هذه سميت باخي الاسكندر وكان
يسمى الفرما وكان كافرا وهي قرية ام اسمعيل بن ابراهيم انتهى ويقال اسم الفرما
بن فليقوس ويقال فيه بن فلبس ويقال بلبيس وكانت الفرما على شط بحيرة
تنيس وكانت مدينة حصينة وبها قبر جالينوس الحكيم وبناها المتوكل حصنا
على البحر تولى بناه عنبسة بن اسحق امير مصر في سنة تسع وثلثين ومايتين عند

ما بين حصن دمياط وحصن تنيس وانفق فيهما الاموال العظيمة ولما فتح عمرو بن العاص عين
شمس انفذ الى الفرما ابرهة بن الصباح فصالحه اهلها على خمسمائة دينار هرقلية
واربعمائة ناقة والف راس من الغنم فرحل عنهم الى البقارة وفي سنة ثلث واربعين
وثلثمائة نزل الروم عليها فتفرق الناس اليهم وقتلوا منهم رجلين ثم نزلوا في جمادي
الاولى سنة تسع واربعين وثلثمائة فخرج اليهم المسلمون واخذوا منهم مركبا وقتلوا
من فيه واسروا عشرة وقال اليعقوبي الفرما اول مدن مصر من جهة الشمال
وبها اخلاط من الناس وبينها وبين البحر الاخضر ثلثة اميال وقال ابن الكندي ومنها
الفرما وهي اكثر عجايب واقدم اثارا ويذكر اهل مصر انه كان منها طريق الى جزيرة قبرس
في البر فغلب عليها البحر ويقولون انه كان فيما غلب عليه البحر مقطع الرخام الابلق
وان مقطع الابيض بلوبيه وقال يحيى بن عثمان كنت ارابط الفرما وكان بينها وبين البحر
قريب من يوم يخرج الناس والمرابطون في اخصاص على السواحل ثم على البحر على ذلك
كله وقال ابن قديد وجه ابن المدبر وكان يتولى الفرما في هدم ابواب من حجارة
شرقي الحصن احتاج ان يعمل منها جيرا فلما قلع منها حجرا او حجرين خرج اهل الفرما في السلاح
فمنعوا من قلعها وقالوا هذه الابواب التي قال الله تعالى فيها على لسان يعقوب عليه
السلام يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وبالفرما النخل
العجيب التي يثمر حين ينقطع البسر من ساير الدنيا فيبتدي هذا الرطب من حين
يبدا النخل في الكوانين فلا ينقطع اربعة اشهر حتى يجي البلح في الربيع وهذا لا يوجد
في بلد من البلدان لا بالبصرة ولا بالحجاز ولا باليمن ولا بغيرها من البلدان ويكون
في هذا البسر ما وزن البسرة الواحدة فوق العشرين درهما وفيه ما طول البسرة نحو
الشبر والفتر وقال ابن المامون البطايحي في حوادث سنة تسع وخمسمائة ووصلت
النجابون من والي الشرقية يخبر بان بغدوين ملك الفرنج وصل الى الفرما واعمالها
فسير الافضل بن امير الجيوش للوقت الى والي الشرقية بان يسير المركزية والمتطوعة
وسير الراجل من العطوفية وان يسير الوالي بنفسه بعد ان يتقدم الى العربان بان يسيرهم
بان يكونوا في الطوالع ويطاردوا الفرنج ويساوقوهم بالليل قبل وصول العساكر
اليهم فاعتمد ذلك ثم امر باخراج الخيام وتجهيز الاصحاب والحواشي فلما تواصلت
العساكر وتقدمها العربان وطاردوا الفرنج وعلم بغدوين ان العساكر متواصلة
اليه وتحقق ان الاقامة لا تمكنه امر اصحابه بالنهب والخراب والاحراق وهدم

المساجد

المساجد فاحرق جامعها ومساجدها وجميع البلد وعزم على الرحيل فاخذه الله تعالى وعجل
بنفسه الى النار فكتم اصحابه موته وساروا بعد ان شقوا بطن بغدوين وملوه ملحا
حتى يتي الى بلاده فدفنوه بها واما العساكر الاسلامية فانهم شنوا الغارات على بلاد
العدو وعادوا بعد ان خيموا على ظاهر عسقلان وكتب الى الامير ظهير الدين طغتكين
صاحب دمشق بان يتوجه الى بلاد الفرنج فسار الى عسقلان وحملت اليه الضيافات
وطولع بخبره ووصوله فامر بحمل الخيام وعدة وافرة من الخيل والكسوات والبنود
والاعلام وسيف ذهب ومنطقة ذهب وطوق ذهب وبدلة طميم وخيمة كبيرة مكملة
ومرتبة ملوكية وفرشها وجميع الاتها وما يحتاج اليه من الات الفضة وسير برسم شمس
الخواص وهو مقدم كبير خلعة مذهبة ومنطقة ذهب وسيف ذهب وسير برسم
المميزين من الواصلين خلع وسيوف وسلم ذلك بينت لاحد الحجاب وسير معه
فراشين برسم الخيام وامر بضرب الخيمة الكبيرة وفرشها وان يركب والي عسقلان وظهير
الدين وشمس الخواص وجميع الامرا الواصلين والمقيمين بعسقلان الى باب الخيمة
ويتسلموه ثم الى بساطها والمرتبة المنصوبة ثم يجلس الوالي وظهير الدين وشمس الخواص
وتشد المناطق في اوساطهما ويتقلدا بالسيوف ويخلع بعدهما على المميزين ثم يسير
ظهير الدين والمقدمون بالتشريف والاعلام والرايات المسيرة اليهم الى ان يصلوا
الى الخيام التي ضربت لهم فاذا كان كل يوم يركب الوالي والامرا والمقدمون
والعساكر الى الخيمة الملوكية ويتفاوضوا فيما يجب من تدبير العساكر فامتثل ذلك
وواصلت العساكر الغارات على بلاد العدو واسروا وقتلوا وسيرت اليهم الخلع
ثانيا وحصل لشمس الخواص خاصة في هذه السفرة عشرة الاف دينار وتسلم ظهير
الدين الخيمة الكبيرة بما فيها وكان يقدر ما حصل له ولاصحابه بمايتي الف دينار وبلغ
المنفق في هذه النوبة وعلى ذهاب بغدوين وهلاكه مائة الف دينار وفي شهر رجب
سنة خمس واربعين وخمسمائة نزل الفرنج على الفرما في جمع كبير واحرقوها
واخربوها ونهبوا اهلها واخر امرها ان الوزير شاور اخربها لما خرج منها شاور
فلم اخو الضرغام في سنة فاستمرت خرابا الى يومنا بعد ذلك وكان بالفرما والبقارة
والوراده عرب من جذام يقال لهم القاطع وهو جرى بن عوف بن مالك بن شنوه
ابن نديل بن جشم بن جذام منهم عبد العزيز بن الوزير بن صابي بن مالك بن عامر
بن عدى بن جرش بن نفر بن نصر بن القاطع في كتاب عقد جواهر الاسفاط في

اخبار مدينة الفسطاط وقال ابن الكندي وبها مجمع البحرين وهو البرزخ الذي
ذكره الله عز وجل فقال مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان وقال
تعالى وجعل بين البحرين حاجزا الآية مع الله وهما بحر الروم وبحر الصين والحاجز بينهما مسيرة
ليلة ما بين القلزم والفرما وليس يتقاربان في بلد من البلدان اقرب منهما بهذا الموضع
وبينهما في السفر مسيرة شهور

مدينة القلزم

القلزم بضم القاف وسكون اللام وضم الزاي وميم بليدة كانت على ساحل بحر اليمن
في اقصاه من جهة مصر وهو كورة من كور مصر واليها ينسب بحر القلزم وبالقرب
منها غرق فرعون وبينها وبين مدينة مصر ثلاثة ايام وقد خربت ويعرف اليوم
موضعها بالسويس تجاه عجرود ولم يكن بالسويس ماء ولا شجر ولا زرع وانما يحمل
الماء اليها من ابار بعيدة وكان بها فرضة مصر والشام ومنها تحمل الحمولات الى الحجاز
واليمن ولم يكن بين القلزم وفاران قرية ولا مدينة وهي نخل يسير فيه صيادون
للسمك وكذلك من فاران وجبيلات الى ايلة قال ابن الطوير والبلد المعروف
بالقلزم اكثرها باق الى اليوم ويراها الركب السائر من مصر الى الحجاز وكانت في القديم
ساحلا من سواحل الدولة المصرية ورايت شيا من حسابه من جهة مستخدميه
في حواصل القصر وما ينفق في واليه وقاضيه وداعيه وخطيبه والاجناد المركزين
به لحفظه وتربه وجامعه ومساجده وكان مسكونا ماهولا وقال المسبحي في حوادث
سنة سبع وثمانين وثلثماية وفي شهر رجب سامح امير المومنين الحاكم بامر الله
اهل مدينة القلزم بما يوخذ من مكوس المراكب وقال ابن خرداذبة ان التجار
فيركبون في البحر الغربي ويخرجون بالفرما ويحملون تجاراتهم على الظهر الى القلزم
وبينهما خمسة وعشرون فرسخا ثم يركبون البحر الشرقي من القلزم الى الجار وجدة ثم
يمضون الى السند والهند والصين ومن القلزم ينزل الناس في برية وصحراء ست
مراحل الى ايلة ويتزودون من الماء لهذه الست مراحل ويقال ان بين القلزم وبين
بحر الروم ثلث مراحل وان ما بينهما هو البرزخ الذي ذكره الله عز وجل بقوله مرج
البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان

التيه

ارض بالقرب من ايلة بينها عقبة لا يكاد الراكب يصعدها لصعوبتها الا انها
سهلت من زمن خمارويه بن احمد بن طولون ويسير الراكب مرحلتين في نحص التيه
هذا حتى يوافي ساحل بحر فاران حيث كانت مدينة فاران وهناك غرق فرعون

والتيه

والتيه مقدار اربعين فرسخا في مثلها وفيه تاه بنو اسرائيل اربعين سنة لم يدخلوا مدينة
ولا اووا الى بيت ولا بدلوا ثوبا وفيه مات موسى عليه السلام ويقال ان طول
التيه نحو من ستة ايام واتفق ان المماليك البحرية لما خرجوا من القاهرة هاربين
في سنة اثنين وخمسين وستماية مر طايفة منهم بالتيه فتاهوا فيه خمسة ايام
ثم تراى لهم في اليوم السادس سواد على بعد فقصدوه فاذا مدينة عظيمة لها
سور وابواب كلها من رخام اخضر فدخلوها وطافوا بها فاذا هي قد غلب عليها
الرمل حتى طم اسواقها ودورها ووجدوا بها اواني وملابس وكانوا اذا تناولوا
منها شيا تناثر من طول البلى ووجدوا في صينية بعض البزازين تسعة
دنانير ذهبا عليها صورة غزال وكتابة عبرانية وحفروا موضعا فاذا حجر على صهريج
ما فشربوا منه ما ابرد من الثلج ثم خرجوا ومشوا ليلة فاذا بطايفة من العربان
حملوهم الى مدينة الكرك فدفعوا الدنانير لبعض الصيارفة فاذا عليها
انها ضربت في ايام موسى عليه السلام فدفعوا اليهم في كل دينار ماية درهم وقيل
لهم ان هذه المدينة الخضرا من مدن بني اسرائيل ولها طوفان رمل يزيد تارة
وينقص اخرى لا يراها الا تايه

ذكر مدينة دمياط

اعلم ان دمياط كورة من كور ارض مصر بينها وبين تنيس اثنا عشر فرسخا ويقال
سميت بدمياط من ولد اشمن بن مصرايم بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام
ويقال ان ادريس عليه السلام كان من اول ما انزل عليه ذو القوة والجبروت
انا الله مدين المداين الفلك بامري وصنعي اجمع بين العذب والمالح والنار والثلج
وذلك بقدرتي ومكنون علمي الدلتو المنيم والالفت والطانيل هم بالسريانية
دمياط فيكون دمياط كلمة سريانية اصلها دمطاي القدرة اشارة الى مجمع العذب
والمالح وقال الاستاذ ابراهيم بن وصيف شاه دمياط بلد قديم بني في زمن
قليمون بن اتريب بن قبطيم بن مصرايم على اسم غلام كانت امه ساحرة لقليمون
ولما قدم المسلمون الى ارض مصر كان على دمياط رجل من اخوال دمياط
المقوقس يقال له الهاموك فلما افتتح عمرو بن العاص مصر امتنع الهاموك
بدمياط واستعد للحرب فانفذ اليه عمرو بن العاص المقداد بن الاسود في طايفة
من المسلمين فحاربهم الهاموك وقتل ابنه في الحرب فعاد الى دمياط وجمع اليه

اصحابه فاستشارهم في امره وكان عنده حكيم قد حضر المشورة فقال ايها الملك ان
جوهر العقل لا يتم له وما تستغني به احد الاعداء الى سبيل النجاة والفوز من
الهلاك وهولا العرب من بدو امرهم لم يزل لهم رايه وقد فتحوا البلاد واذلوا
العباد وما لاحد عليهم قدرة ولسنا باشد من جيوش الحلمن الشام ولا اعز ولا امنع
وان القوم قد ايدوا بالنصر والظفر والراي ان نعقد مع القوم صلحا ننال به
الامن وحقن الدما وصيانة الحرم فما انت باكثر رجالا من المقوقس فلم يعجبا
الهاموك قوله وغضب منه فقتله وكان له ابن عارف عاقل وله دار ملاصقة
للسور فخرج الى المسلمين في الليل ودلهم على عورات البلد فاستولى المسلمون عليها ه
وتمكنوا منها وبرز الهاموك للحرب فلم يشعر بالمسلمين الا وهم يكبرون على سور البلد
وقد ملكوه فعندما راى شطا ابن الهاموك المسلمين فوق السور لحق بالمسلمين ومعه
عدة من اصحابه ففت ذلك في عضد ابيه واستامن للمقداد فتسلم المسلمون
دمياط واستخلف المقداد عليها وسير بخبر الفتح الى عمرو بن العاص وخرج شطا
وقد اسلم الى البرلس والدميرة واشموم طناح فحشد اهل تلك النواحي وقدم بهم
مددا للمسلمين وعونا لهم على عدوهم وسار بهم مع المسلمين لفتح تنيس فبرز الى اهلها
وقاتلهم قتالا شديدا حتى قتل رحمه الله في المعركة شهيدا بعدما انكا فيهم ه
وقتل منهم فحمل من المعركة ودفن في مكانه المعروف به الان خارج دمياط وكان
قتله في ليلة الجمعة النصف من شعبان فلذلك صارت هذه الليلة من كل سنة
موسما يجتمع الناس فيها من النواحي عند شطا ويحيونها وهم على ذلك الى اليوم وما
زالت دمياط بيد المسلمين الى ان نزل عليها الروم في سنة تسعين من الهجرة ه
فاسروا خالد بن كيسان وكان على البحر هناك وسيروه الى ملك الروم فانفذه الى
امير المومنين الوليد بن عبد الملك من اجل الهدنة التي كانت بينه وبين الروم
فلما كانت خلافة هشام بن عبد الملك نازل الروم دمياط في ثلثماية وستين مركبا
فقتلوا وسبوا وذلك في سنة احدى وعشرين ومايه ولما كانت الفتنة بين
الاخوين محمد الامين وعبد الله المامون وكانت الفتن بارض مصر طمع الروم
في البلاد ونازلوا دمياط في اعوام بضع ومايتين ثم لما كانت خلافة امير المومنين
المتوكل على الله وامير مصر يومئذ عنبسة بن اسحق نزل الروم دمياط يوم عرفة
من سنة ثمان وثلثين ومايتين فملكوها وما فيها وقتلوا بها جمعا كثيرا من المسلمين وسبوا

النسا

النساء والاطفال واهل الذمة فنفر اليهم عنبسة بن اسحق نزول الروم دمياط
يوم عرفة ونفر كثير من الناس اليهم فلم يدركوهم ونزل الروم تنيس فاقاموا
باشتومها فلم يتبعهم عنبسة فقال يحيى بن الفضل للمتوكل ه

ارضًا بان يوطا حريمك عنوة ، وان يستباح المسلمون ويحربوا
حمار اتى دمياط والروم وثب ، بتنيس راي العين منه واقرب
مقيمون بالاشتوم يبغون مثل ما ، اصابوه من دمياط والحرب ترتب
فما رام من دمياط شيا ولا درا ، من الحرز ما ياتي وما يتجنب
فلا تنسنا انا بدار مضيعة ، بمصر وان الدين قد كاد يذهب

فامر المتوكل ببناء حصن دمياط فابتدي في بنايه يوم الاثنين لثلث خلون
من شهر رمضان سنة تسع وثلثين وانشى من جنيد الاسطول بمصر فلما
كان في سنة تسع طرق الروم دمياط في نحو ماية مركب فاقاموا يعيثون في السواحل
شهرا وهم يقتلون ويأسرون وكانت للمسلمين معهم معارك ثم لما كانت الفتن
بعد موت كافور الاخشيدي طرق الروم دمياط لعشر خلون من رجب
سنة سبع وخمسين وثلثماية في بضع وعشرين مركبا فقتلوا واسروا ماية
وخمسين من المسلمين وفي سنة ثمان واربعماية ظهر بدمياط سمكة عظيمة
طولها مايتان وستون ذراعا وعرضها ماية ذراع وكانت حمير الملح تدخل في
جوفها موسوقة فتضرع وتخرج ووقف خمسة رجال في فكها ومعهم المجارف
يجرفون الشحم ويناولونه الناس واقام اهل تلك النواحي مدة طويلة ياكلون من
لحمها وفي ايام الخليفة الفايز بنصر الله عيسى والوزير الصالح طلايع بن رزيك
نزل على دمياط نحو ستين مركبا في جمادى الاخرة في سنة خمسين وخمسماية بعث
بها لوجير بن رجار صاحب صقلية فعاثوا وقتلوا ونزلوا تنيس ورشيد
والاسكندرية فاكثروا فيها الفساد ثم كانت خلافة العاضد لدين الله وفي وزارة
شاور بن مجير السعدي الوزارة الثانية عندما حضر مري ملك الفرنج
الى القاهرة وحصرها وقرر على اهلها المال واحرقت مدينة الفسطاط
ونزل تنيس واشموم ورشيد وسنة عمرد صاحب اسطول الفرنج في عشرين
شينيا فقتل واسر وسبا وفي وزارة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن

ايوب للعاضد وصل الفرنج الى دمياط في شهر ربيع الاول سنه خمس وستين وخمسمايه
وهم فيما يزيد على الف ومايتي مركب فخرجت العساكر من القاهره وقد بلغت النفقة
عليهم زيادة على خمسماية الف وخمسين الف دينار فاقامت الحرب مده خمسه وخمسين
يوما وكانت نوبته صعبه شديدة وانهم في هذه النوبه علم من اعيان المصريين
بممالاة الفرنج ومكاتبتهم وقبض عليهم الملك الناصر وقتلهم وكان سبب
هذه النوبه ان الفرنج لما قدموا الى مصر والشام صحبة اسد الدين شيركوه تحرك
الفرنج لغزو ديار مصر خشية من تمكن الغز بها فاستنجدوا اخوانهم اهل صقلية
فامدوهم بالاموال والسلاح وبعثوا اليهم نجدة وافرنسيسا واوا الدبابات
والمجانيق ونزلوا على دمياط في صفر وهم في العدة التي ذكرنا من المراكب واحاطوا
بها برا وبحرا فبعث السلطان صلاح الدين بابن اخيه تقي الدين عمر واتبعه
بالامير شهاب الدين الحارمي في العساكر الى دمياط وامدهما بالاموال والميرة
والسلاح واشتد الامر على اهل دمياط وهم ثابتون على محاربة الفرنج فسير
صلاح الدين الى نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام يستنجده ويعلمه بانه
لا يمكن الخروج من القاهره الى لقا الفرنج خوفا من قيام المصريين عليه فجهز
اليه العساكر شيا بعد شي وخرج نور الدين من دمشق بنفسه الى بلاد
الفرنج التي بالساحل واغار عليها واستباحها فبلغ ذلك الفرنج وهم على
دمياط فخافوا على بلادهم من نور الدين ان يتمكن منها فرحلوا عن دمياط في
الخامس والعشرين من ربيع الاول بعد ما غرق لهم نحو الثلثمايه مركب وقلت
رجالهم بفنا وقع فيهم واحرقوا ما ثقل عليهم حمله من المجنيقات وغيرها وكان
صلاح الدين يقول ما رايت اكرم من العاضد ارسل الي مدة مقام الفرنج
على دمياط الف الف دينار سوى ما ارسله الي من الثياب وغيرها وفي
سنه سبع وستين وخمسمايه ركبت المقاتلة على البرجين وشدت مراكب
الى السلسلة ليقاتل عليها ويدافع عن الدخول من بين البرجين ورم
شعث سور المدينه وسدت ثلمة وانشيت السلسلة التي بين البرجين فبلغت
النفقة على ذلك الف دينار واعتبر السور وكان قياسه اربعة الاف وستمايه
وثلثين ذراعا وفي سنه ثمان وثمانين وخمس مايه امر السلطان بقطع

انجار

اشجار بساتين دمياط وحفر خندقها وعمل جسر عند سلسلة البرج وفي سنه
خمس عشره وستمايه بعثت امدادهم من رومية الكبرى مقر البابا ومن
غيرها من بلاد الفرنج وساروا الى مدينه عكا فاجتمع بها عدة من ملوك الفرنج
وتعاقدوا على قصد القدس واخذه من ايدي المسلمين وصاروا بعكا في جمع
عظيم وبلغ ذلك الملك العادل ابو بكر بن ايوب فخرج من مصر في العساكر
الى الرملة فبرز الفرنج من عكا في جموع عظيمة فسار العادل الى بيسان فقصده
الفرنج فخافهم لكثرتهم وقلة عسكره فاخذ على عقبه يريد دمشق وكان
اهل بيسان وما حولها قد اطمانوا لنزول السلطان هناك فاقاموا في اماكنهم
وما هو الا ان سار السلطان واذا بالفرنج قد وضعوا السيف في الناس ونهبوا
البلاد فاخذوا من اموال المسلمين ما لا يحصى كثرة واخذوا بيسان وما بينها وسائر
القرى التي هناك واقاموا مواظبة اياما ثم عادوا الى عكا ومعهم الغنايم
والسبي وهلك من المسلمين خلق كثير فاستراح الفرنج بالمرج اياما ثم اغاروا
ثانيا ونهبوا صيدا والشقيف وخرجوا الى مرج عكا فاقاموا به وكان ذلك
كله فيما بين النصف من شهر رمضان وعيد الفطر والملك العادل مقيم
بمرج الصفر وقد سير ابنه المعظم عيسى بعسكر الى نابلس لمنع الفرنج
من طروقها والوصول الى بيت المقدس فنازل الفرنج قلعة الطور سبعة
عشر يوما ثم عادوا الى عكا وقصدوا اخذ الديار المصرية فركبوا بجموعهم البحر
وساروا الى دمياط في صفر فنزلوا عليها يوم الثلثا رابع شهر ربيع الاول
سنه خمس عشره وستمايه الموافق لتاسع حزيران وهم نحو السبعين الف
فارس واربعماية الف راجل فخيموا تجاه دمياط في البر الغربي وحفروا على
عسكرهم خندقا واقاموا عليه سورا وشرعوا في قتال برج دمياط فانه
كان برجا منيعا فيه سلاسل من حديد غلاظ تمد على النيل لتمنع المراكب الواصله
في البحر الملح من الدخول الى ديار مصر في النيل وذلك ان النيل اذا انتهى الى
فسطاط مصر مر عليه في ناحية الشمال الى شطنوف فاذا صار الى شطنوف
انقسم قسمين احدهما يمر في الشمال الى رشيد فيصب في البحر الملح والشطر
الاخر يمر من شطنوف الى جوجر ثم يتفرق من عند جوجر فرقتين فرقة

ثم الى اشموم فيصب في بحيرة تنيس وفرقة تمر من جوجر الى دمياط فتصب في البحر
الملح هناك ويصير هذه الفرقة من النيل فاصلة بين مدينة دمياط وهو جزيرة
يحيط بها ماء النيل والبحر الملح وفي مدة اقامة الفرنج بجزيرة البر الغربي عملوا الالات
والمرمات واقاموا ابراجا يزحفون بها في المراكب الى برج السلسلة ليملكوه فانهم
اذا ملكوه يمكنوا من العبور في النيل الى القاهرة ومصر وكان هذا البرج مشحونا
بالمقاتلة فتحيل الفرنج عليه وعملوا برجا من الصواري على بطسة كبيرة واقلعوا بها
حتى اسندوها اليه وقاتلوا من به حتى اخذوه فبلغ نزول الفرنج على دمياط الملك
الكامل وكان خلف اباه الملك العادل على ديار مصر فخرج بمن معه من العساكر في
الشهر يوم من وقوع الطائر بخبر نزول الفرنج لخمس خلون منه وامر والي الغربية
بجمع العربان وسار في جمع كبير وخرج الاسطول فاقام تحت دمياط ونزل السلطان
بمنزلة العادلية قرب دمياط وامتدت عساكره الى دمياط ليمنع الفرنج من العبور
والقتال مستمر والبرج ممتنع مدة اربعة اشهر والعادل يسير العساكر من البلاد
الشامية ساعة بعد شي حتى تكاملت عند الملك الكامل واهتم الملك العادل
لنزول الفرنج على دمياط واستدحقوه فرحل من مرج الصفر الى عالقين فنزل
به المرض ومات في سابع جمادي الاخرة فكتم الملك المعظم عيسى موته وحمله في
محفة وجعل عنده خادما وطبيبا وراكبا الى جانب المحفة والشرابدار يصلح
الشراب ويحمله الى الخادم فيشربه ويوهم الناس ان السلطان شربه الى ان دخلوا
به الى قلعة دمشق وصارت اليها الخزائن والبيوتات فاعلم بموته وسلم ابنه الملك
المعظم جميع ما كان معه ودفنه بالقلعة ثم نقله الى مدرسته العادلية بدمشق
وبلغ الملك الكامل موت ابيه وهو بمنزلة العادلية قرب دمياط فاشتغل بمملكة
ديار مصر واشتد الفرنج والحوا في القتال حتى استولوا على برج السلسلة
وقطعوا السلاسل المتصلة به ليجوز مراكبهم في بحر النيل ويتمكنوا من البلاد
فنصب الملك الكامل بدل السلاسل جسرا عظيما لمنع الفرنج من عبور النيل
فقاتلت الفرنج عليه قتالا كثيرا الى ان قطعوه وكان قد انفق على البرج والجسر
ما ينيف على سبعين الف دينار وكان الملك يركب في كل يوم عدة مرار من
العادلية الى دمياط لتدبير الامور واعمال الحيلة في مكايدة الفرنج فامر
الملك

الملك الكامل ان يغرق عدة من المراكب في النيل حتى يمنع الفرنج من سلوك النيل فعمد
الفرنج الى خليج هناك يعرف بالازرق كان النيل يجري فيه قديما فحفروه وعمقوا حفرة
واجروا فيه الماء الى البحر الملح واصعدوا مراكبهم فيه الى بورة على ارض جيزة دمياط مقابل
المنزلة التي بها السلطان ليقاتلوه من هناك فلما صاروا في بورة حاربوه وقاتلوه
في الماء وزحفوا اليه عدة مرار فلم يظفروا منه بطائل ولم يتغير على اهل دمياط شي لان
الميرة والامداد متصلة اليهم والنيل يحجز بينهم وبين الفرنج وابواب المدينة مفتحة
وليس عليها من الحصر ضيق ولا ضرر والعربان تتخطف الفرنج في كل ليلة بحيث امتنعوا
من الرقاد خوفا من غاراتهم فلما قوي طمع العرب في الفرنج حتى صاروا يخطفونهم نهارا
وياخذون الخيم بمن فيها اكمن الفرنج لهم عدة كمناء وقتلوا منهم خلقا وادرك الناس
الشتاء وهاج البحر على خيمة المسلمين وغرقتهم فعظم البلاء وتزايد الغم والح الفرنج في
القتال وكادوا ان يملكوا فبعث الله ريحا قطعت مراسي مرمة الفرنج وكانت من
عجايب الدنيا فمرت الى بر المسلمين فاخذوها فاذا هي مصفحة بالحديد لا تعمل فيها
النار ومساحتها خمسماية ذراع فكسروها فاذا فيها مسامير زنة الواحد منها
خمسة وعشرون رطلا وبعث الكامل الى الافاق يسيرون رسولا يستنجد اهل
الاسلام لنصرة المسلمين ويخوفهم من غلبة الفرنج على مصر فساروا في شوال وانته
النجدات من حماه وحلب ونشأ الناس في ذلك اذ طمع الامير عماد الدين احمد
بن الامير سيف الدين ابي الحسن علي بن احمد الهكاري المعروف بابن المشطوب
في الملك الكامل عند ما بلغه موت الملك العادل وكان له لفيف ينقادون
اليه ويطيعونه وكان اميرا كبيرا مقدما عظيما في الاكراد الهكارية وافر الحرمة
عند الملوك معدودا بينهم مثل واحد منهم وكان مع ذلك عالي الهمة غزير الجود
واسع الكرم شجاعا ابي النفس تهابه الملوك وله الوقايع المشهورة وهو من امرا
الدولة الصلاحية يوسف فاتفق مع جماعة من الجند والاكراد على خلع الملك الكامل
واقامة اخيه الملك ابراهيم الفايز ابراهيم ليصير له الحكم ووافقه الامير
عز الدين الحميدي والامير اسد الدين الهكاري والامير مجاهد الدين
وجماعة من الامرا فلما بلغ ذلك الملك الكامل دخل عليهم وهم مجتمعون على المصحف
بين ايديهم ليحلفون للفايز فلما راوه انفضوا فخشي على نفسه وخرج فاتفق
وصول الصاحب صفي الدين بن شكر من امد الى الكامل فانه كان استدعاه بعد

من نايبه فتلقاه واكرمه وذكر له ما هو فيه فضمن له تحصيل المال فلما كان في الليل
ركب الملك الكامل وتوجه من العادلية جريدة الى اشموم طناح فنزلها واصبح العسكر
بغير سلطان فركب كل منهم هواه ولم يعطف الاخ على اخيه وتركوا اثقالهم وخيامهم
واموالهم واسلحتهم ولحقوا بالسلطان فبادر الفرنج في الصباح الى مدينة دمياط وتركوا
الى البر الشرقي يوم الثلثا سادس عشرين ذي القعدة بغير منازع ولا مدافع واخذوا
ساير ما كان في معسكر المسلمين وكان شيا لا يحيط به الوصف وداخل السلطان وهم
عظيم وكاد ان يفارق البلاد فانه تخيل من جميع من معه واشتد طمع الفرنج في
ارض مصر كلها وظنوا انهم قد ملكوها الا ان الله سبحانه اغاث المسلمين وثبت السلطان
ووافاه اخوه الملك المعظم باشموم طناح فاشتد به ازره وقوي جاشه واطلعه
على ما كان من ابن المشطوب فوعده بازاحة ما يكره ثم ان المعظم ركب الى خيمة
ابن المشطوب واستدعاه للركوب معه ومسايرته فاستمهله حتى يلبس خفيه
وثياب الركوب فلم يمهله واعجله فركب معه وسايره حتى خرج به من العسكر الى
ثم قال له يا عماد الدين هذه البلاد لك واشتهي ان تهبها لنا واعطاه نفقة
وسلمه الى جماعة من اصحابه يثق بهم وقال لهم اخرجوه من الرمل ولا تفارقوه
حتى يخرج الى الشام فلم يسع ابن المشطوب الا امتثال ما قال المعظم لانه معه
بمفرده ولا قدرة له على الممانعة فساروا به الى حماه ثم مضى منها الى الشرق ولما
شيع الملك المعظم ابن المشطوب رجع الى الملك الكامل واستراحا من الفايز ابرهيم
اذ سيره الى ملوك الشام في رسالة عن اخيهما الملك الكامل لاستدعايهم الى قتال
الفرنج فمضى الى دمشق وخرج منها الى حماه فمات بها مسموما على ما قيل وثبت
للملك الكامل امر الملك وسكن روعه هذا والفرنج قد احاطوا بدمياط برا
وبحرا واحدقوا بها وضيقوا على اهلها ومنعوا القوت من الوصول اليهم وحفروا
على عسكرهم المحيط بدمياط خندقا وبنوا عليه سورا واهل دمياط يقاتلونهم
اشد القتال ويمانعوهم وقد غلت عندهم الاسعار لقلة الاقوات ثم ان
المعظم فارق الملك الكامل وسار الى بلاد الشام واقام الملك الكامل لمحاربة
الفرنج وانتدب شمايل احد الجاندارية في الركاب للدخول الى دمياط وكان
يسبح في الما ويصل الى اهل دمياط فيعدهم بوصول النجدات فحظي بذلك عند
الملك الكامل وتقرب منه حتى عمله والي القاهرة واليه ينسب خزانة شمايل
بالقاهرة

بالقاهره فلم يزل الحال على ذلك الى ان دخلت سنه ست عشره فجهز الملك المنصور
محمد بن عمر بن شاهنشاه بن ايوب صاحب حماه ابنه المظفر تقي الدين محمود الى مصر
نجدة لخاله الملك الكامل على الفرنج في جيش كثيف فوصل الى العسكر وتلقاه الملك
الكامل وانزله في ميمنة العسكر منزلة ابيه وجده عند السلطان صلاح الدين
يوسف فالح الفرنج في القتال وكان بدمياط نحو العشرين الف مقاتل فنهكتهم
الامراض وغلت عندهم الاسعار حتى بلغت بيضة الدجاجة عندهم عدة دنانير
قال الحافظ عبد العظيم المنذري سمعت الشيخ ابا الحسن علي بن فضل يقول
كان لبعض جار بقرة فذبحوها وباعوها في الحصار فجاءت ثمانماية دينار وقال
في المعجم المترجم سمعت الامير ابا بكر بن حسين بن خشنام يقول كنت بدمياط في
حصار العدو لها فابيع السكر بها بماية واربعين دينارا الرطل والدجاجه بثلثين
دينارا قال واشتريت ثلث دجاجات بتسعين دينارا والراوية باربعين درهما
والعنبر يحيز باربعين مثقالا واخذت اختي جملا شقت جوفه وملاته دجاجا وفاكهة
وتبلا وغير ذلك وخاطته ورمته في البحر وكتبت الى تقول قد فعلت ذلك
فاذا رايتم جملا ميتا فخذوه فوقع لنا ليلا فاخذناه وكان فيه ما يساوي جملة
تعسر فيه على الناس ثم عمل بعد ذلك ثلثه جمال على هيئته فتفطن لها
الفرنج فاخذوها وامتلات مساكنهم وطرقات البلد من الموتى وعدمت
الاقوات وصار السكر كعزة الياقوت وتعذرت اللحوم فلم يقدر عليها بوجه
وآل بهم الحال الى انه لم يبق بها سوى قليل من القمح والشعير فقط فتسور الفرنج
السور واخذوا منه البلد في يوم الثلثا لخمس بقين من شعبان وكانت مدة
الحصار ستة عشر شهرا واثنين وعشرين يوما ولما اخذوا البلد وضعوا السيف
في الناس فتجاوزوا الحد في القتل واسرفوا في تعداد القتلى وبلغ ذلك السلطان
فرحل بعد اخذ دمياط بيومين ونزل قبالة طلخا على راس بحر اشموم وراس
بحر دمياط وخيم في المنزلة التي صار يقال لها المنصورة وحصن الفرنج اسوار
دمياط وجعلوا الجامع كنيسة وبثوا سراياهم في القرى فقتلوا ونهبوا وسير
السلطان الكتب الى الافاق يستحث الناس على الحضور لدفع الفرنج عن مملكة مصر
وشرع العسكر في بنا الدور والفنادق والحمامات والاسواق بمنزلة المنصوره
وجهز الفرنج من اسروه من المسلمين في البحر الى عكا وخرجوا من دمياط ونازلوا

السلطان تجاه المنصوره وصار بينهم وبينه بحر اشموم وبحر دمياط وكان الفرنج في مايتي
الف راجل وعشرة الاف فارس فتقدم المسلمون بشوانيهم امام المنصوره وعدتها
مايه قطعه واجتمع الناس من القاهره ومصر وسايرا لنواحي من اسوان الى القاهره
ووصل الامير حسام الدين يونس والفقيه تقي الدين ابو الطاهر محمد بن الحسن
بن عبد الرحمن المحلي فاخرجا الناس من مصر الى القاهره ونودي بالنفير العام
وخرج الامير علا الدين جلدك وجمال الدين بن صيرم لجمع الناس فيما بين القاهره
الى اخر الحوف الشرقي فاجتمع عالم لا يقع عليه حصر وانزل السلطان على
ناحيه شارمساح الفي فارس في الاف من العربان ليحولوا بين الفرنج ودمياط
وسارت الشواني ومعها حراقه كبيره على راس بحر المحلة وعليها الامير بدر الدين بن
حسون فانقطعت الميره عن الفرنج من البر والبحر وسارت عساكر المسلمين من
الشرق والشام الى الديار المصريه وكان قد خرج الفرنج من داخل البحر
لمدد الفرنج على دمياط فتقدم منهم امم لا تحصى يريدون التوغل في ارض
مصر فلما تكاملوا بدمياط خرجوا منها في حدهم وحديدهم ونزلوا تجاه الملك
الكامل كما تقدم فتقدمت النجدات تقدمها الملك الاشرف موسى بن العادل
وعلى ساقتها الملك المعظم عيسى فتلقاهم الملك الكامل وانزلهم عنده بالمنصوره
في ثالث عشرين جمادي الاخره سنه ثمان عشره وتتابع مجي الملوك حتى بلغت
عدة فرسان المسلمين نحو اربعين الف فارس فحاربوا الفرنج في البر والبحر
واخذوا منهم ستة شواني وجلاسة وبطسة واسروا من الفرنج الفين ومايتين
ثم ظفر المسلمون بثلاث قطايع اخر فتضعضع الفرنج لذلك وضاق بهم المقام
فبعثوا يطلبون الصلح فتقدم عند مجي رسلهم اهل الاسكندريه في ثمانية
الاف مقاتل وكان الذي طلب الفرنج القدس وعسقلان وطبريه وجبله
واللاذقيه وساير ما فتحه السلطان صلاح الدين يوسف من الساحل ليرحلوا عن
ديار مصر فبذل المسلمون لهم ساير ما ذكر من البلاد خلا مدينتي الكرك والشوبك
فامتنع الفرنج من الصلح وقالوا لا بد من اخذهم الكرك والشوبك ومبلغ ثلثماية
الف دينار عوضا عما خربه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق من اسوار القدس
وكان المعظم لما مات ابوه العادل واستولى الفرنج دمياط ونازلوا الملك
الكامل تباله المنصوره خاف ان يصل منهم في البحر من ياخذ القدس ويحصنوا

به

به فامر بتخريب اسواره وكانت اسوارها وابراجه في غاية العظمه والمنعه فاتى الهدم
على جميعها ما خلا برج داود وانتقل اكثر الناس من القدس ولم يبق به الا القليل
ونقل المعظم ما كان بالقدس من الاسلحة والالات فامتنع المسلمون من اجابة
الفرنج الى ذلك وقاتلوهم وعبر جماعة من المسلمين في بحر المحلة الى الارض التي عليها
الفرنج وفجروا مكانا عظيما في النيل وكان في قوة الزيادة فركب الما اكثر تلك
الارض وصار حايلا بين الفرنج وبين مدينة دمياط وانحصروا فلم يبق لهم سوى
طريق ضيقه فامر السلطان للوقت بنصب الجسور عند اشموم طناح وعبرت
العساكر عليها وملكت الطريق التي يسلكها الفرنج الى دمياط اذا ارادوا الوصول
اليها فاضطربوا وضاقت عليهم الارض واتفق مع ذلك وصول ميرة عظيمة للفرنج
في البحر حولها عدة حراقات بحميها وقد ملئت كلها بالميرة والاسلحة فقاتلوهم
شواني المسلمين وظفرها الله بهم فاخذها المسلمون وعندما علم الفرنج ذلك
ايقنوا بالهلاك وصار المسلمون يرمونهم بالنشاب ويحملون على اطرافهم فهدموا
حينيذ خيامهم ومجانيقهم والقوا فيها النار وهموا بالزحف على المسلمين ومقاتلتهم
ليخلصوا الى دمياط فحال بينهم وبين ذلك كثرة الوحل والمياه الراكبة على
الارض وخشوا من الاقامة لقلة ازوادهم فذلوا وسالوا الامان على ان يتركوا
دمياط للمسلمين فاستشار السلطان في ذلك فاختلف الناس عليه فمنهم من
امتنع من تامين الفرنج وراي ان ياخذوا عنوة ومنهم من جنح الى اعطايهم الامان
خوفا ممن وراهم من الفرنج في الجزاير وغيرها ثم اتفقوا على الامان وان يعطي
من كل من الفريقين رهاين فتقرر ذلك في تاسع شهر رجب سنه ثمان عشره
وسير الفرنج عشرين ملكا رهنا عند الملك الكامل وبعث الكامل بابنه الملك
الصالح نجم الدين ايوب وجماعة من الامرا الى الفرنج وجلس السلطان مجلسا
عظيما لقدوم ملك الفرنج ووقف اخوته واهل بيته بين يديه وصار في ابهة
وناموس مهاب وخرج قسوس الفرنج ورهبانهم الى دمياط فسلموها
للمسلمين في تاسع عشره وكان يوم تسليمها للفرنج يوما عظيما وعندما تسلم المسلمون
دمياط وصارت بايديهم قدمت نجدة في البحر للفرنج وكان من حسن صنع الله
تاخرها حتى ملكت دمياط بايدي المسلمين فانها لو قدمت قبل ذلك لقوي بها
الفرنج فان المسلمين وجدوا مدينة دمياط قد حصنها الفرنج وصارت بحيث لا ترام

ولما تم الامر بعث الفرنج بولد السلطان وامرايه اليه وسير اليهم السلطان من كان
عنده من الملوك في الرهن وتقررت الهدنة بين الفرنج والمسلمين مدة ثماني سنين وكان
مما وقع الصلح عليه ان كلا من المسلمين والفرنج يطلق ما عنده من الاسرى وحلف
السلطان واخوته وحلفت ملوك الفرنج وتفرق الناس الى بلادهم ودخل الملك
الكامل الى دمياط باخوته وعساكره وكان يوم دخوله اليها من الايام المذكوره
ورحل الفرنج الى بلادهم وعاد السلطان الى مقر ملكه واطلقت الاسارى من بلاد
مصر وكان فيهم من له من ايام السلطان صلاح الدين يوسف وسارت ملوك الشام
بعساكرها الى بلادها وعمت بشارة اخذ المسلمين مدينة دمياط ساير الافاق فان التتر
كانوا قد استولوا على ممالك الشرق واشرف الفرنج حتى اخذ بلاد مصر من ايدي
المسلمين وكانت مدة ترداد الفرنج على دمياط الى ان اقلعوا عنها سايرين الى بلادهم
ثلث سنين واربعة اشهر وتسعة عشر يوما منها مدة استيلايهم على مدينة دمياط سنة
واربعة اشهر وعشرين يوما فلما كان في سنة ست واربعين وستماية حدث
بالسلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الملك الكامل محمد ورم في مابضه
تكون منه ناصور تفتح وعسر برؤه ثم مرض لذلك وانضاف اليه قرحة في الصدر فلزم
الفراش الا ان علو همته اقتضت مسيره من مصر الى الشام فسار في محفة ونزل
بقلعة دمشق فورد عليه رسول الانبرطور ملك الفرنج الالمانية بجزيرة صقلية
في هيئة تاجر واخبره سرا بان بوش الذي يقال له ريدافرنس عازم على
المسير الى ارض مصر واخذها فسار السلطان من دمشق وهو مريض في
محفة ونزل باشموم طناح في المحرم سنة سبع واربعين وجمع في مدينة دمياط
من الاقوات والازواد والاسلحة والات القتال شيا كثيرا خوفا ان يجري
على دمياط ما جرى في ايام ابيه فاخذت بغير ذلك ولما نزل السلطان باشموم
كتب الى الامير حسام الدين ابي علي بن ابي علي الهذباني نايبه بديار مصر ان يجهز
الاسطول من صناعة مصر فشرع في الاهتمام بذلك وشحن الاسطول بالرجال
والسلاح وساير ما يحتاج اليه وسيره شيا بعد شي وجهز السلطان الامير
فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ ومعه الامرا والعساكر فنزلوا بجيزة دمياط
من برها الغربي وصار النيل بينه وبينها فلما كان في الساعة الثانية من نهار
الجمعة لتسع بقين من صفر وردت مراكب الفرنج البحرية وفيها جموعهم العظيمة

وقد

وقد انضم اليهم فرنج الساحل وارسوا بازا المسلمين وبعث ملكهم الى السلطان كتابا نصه
اما بعد فانه لم يخف عنك ان عندنا اهل جزاير الاندلس وما يحملوا الينا من
الاموال والهدايا ونحن نسوقهم سوق البقر ونقتل منهم الرجال ونستاسر
النسا ونرمل النسا والصبيان ونخلي منهم الديار وانا قد ابديت لك ما فيه
الكفاية وبذلت لك النصح الى النهاية فلو حلفت لي بكل الايمان ودخلت على القسا
والرهبان وحملت قدامي الشمع طاعة للصلبان لكنت واصلا اليك وقاتلك في اعز
البقاع اليك فاما ان تكون البلاد لي فيا هدية حصلت في يدي واما ان تكون
البلاد لك والغلبة علي فيدك العليا ممتدة الي وقد عرفتك وحذرتك من عساكر
حضرت في طاعتي تملا السهل والجبل وعددهم كعدد الحصا وهم مرسلون اليك
باسياف القضا فلما قري الكتاب على السلطان وقد اشتد به المرض بكى واسترجع
فكتب القاضي بها الدين زهير بن محمد الجواب بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته
على سيدنا محمد رسول الله واله وصحبه اجمعين اما بعد فانه قد وصل كتابك
وانت تهدد فيه بكثرة جيوشك وعدد ابطالك فنحن ارباب السيوف وما قتل
منا احد الا جددناه ولا بغى علينا باغ الا دمرناه ولو رات عينك ايها المغرور
حد سيوفنا وعظم حروبنا وفتحنا منكم الحصون والسواحل وتخريبنا ديار الاواخر
منكم والاوايل لكان لك ان تعض على انامك بالندم ولابد ان تزل بك
القدم في يوم اوله لنا واخره عليك فهنالك تسي بك الظنون وسيعلم الذين
ظلموا اي منقلب ينقلبون فاذا قرات كتابي هذا فتكون فيه على اول سورة
النحل اتى امر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون وتكون على اخر
سورة ص ولتعلمن نباه بعد حين ونعود الى قول الله تبارك وتعالى وهو
اصدق القايلين كم من فية قليلة غلبت فية كثيرة باذن الله والله مع الصابرين
وقول الحكما ان الباغي له مصرع وبغيك يصرعك والى البلا يقلبك والسلام وفي
يوم السبت عند ورود الفرنج ضربوا خيامهم في البر الذي فيه عساكر
المسلمين وكانت خيمة الملك ريدافرنس حمرا فناوشهم المسلمون القتال واستشهد
يومئذ الامير نجم الدين محمد بن شيخ الاسلام والامير صارم الدين ازبك
الوزيري فلما امسى الليل رحل الامير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ بعساكر
المسلمين جبنا وهلعا وعبر بهم الى بر دمياط وسار الى جهة اشموم طناح فخاف

من كان في مدينة طناح وخرجوا منها على وجوههم في الليل لا يلتفتون الى شي وتركوا المدينة
خالية من الناس ولحقوا بالعسكر في اشموم وهم حفاة عراة جياع حيارى بمن معهم
من النسا والاولاد ومروا هاربين الى القاهرة فاخذ منهم قطاع الطريق ما عليهم
من الثياب وتركوهم عرايا فشنعت المقالة على الامير فخر الدين من كل احد وعظم جميع
ما نزل بالمسلمين من البلا بسبب هزيمته فان دمياط كانت مشحونة بالمقاتلة والازواد
العظيمة والاسلحة وغيرها خوفا ان يصيبها في هذه المدة ما اصابها في ايام الكامل
فانه ما اتى عليها اذ ذاك الا من قلة الاقوات بها ومع ذلك امتنعت من الفرنج
اكثر من سنة حتى فني اهلها كما تقدم ولكن الله يفعل ما يريد ولما اصبح الفرنج
يوم الاحد لسبع بقين من صفر قصدوا دمياط فاذا ابواب المدينة مفتحة ولا احد
يدفع عنها فظنوا ان ذلك مكيدة وتمهلوا حتى ظهر لهم خلوها فدخلوا اليها من غير
مانع ولا مدافع واستولوا على ما بها من الاسلحة العظيمة والات الحرب والاقوات
الخارجة عن الحد في الكثرة والاموال والامتعة صفوا بغير كلفة فاصيب
الاسلام والمسلمون ببلا لولا لطف الله لمحي اسم الاسلام ورسمه بالكلية فانزعج
الناس بالقاهرة ومصر انزعاجا عظيما لما نزل بالمسلمين مع شدة مرض المل
وعدم حركته واما السلطان فانه اشتد حنقه على الامير فخر الدين وقال
اما قدرت انت والعساكر ان تقفوا ساعة بين يدي الفرنج وقام عليه القيامة
لكن الوقت لم يكن يسع غير الصبر والاغضا وغضب على الكنانيين الذين كانوا
بدمياط ووبخهم فقالوا اما نعمل اذا كانت عساكر السلطان باجمعهم وامراؤه هربوا
واحرقوا الزردخانه كيف لا نهرب نحن فامر بشنقهم لكونهم خرجوا من دمياط
بغير اذن السلطان وكانت عدة من شنق من الامرا الكنانيين زيادة على خمسين
اميرا في ساعة واحدة ومن جملتهم امير حسن له ابن جميل سال ان يشنق قبل
ابنه فامر السلطان ان يشنق ابنه قبله فشنق الابن ثم الاب وتوقف ان
شنق هولا كان بفتوى الفقها فخاف جماعة من الامرا فهموا بالقيام على السلطان
فاشار عليهم الامير فخر الدين بن شيخ الشيوخ بان السلطان على خطة فان مات فقد
كفيتم امره والا فهو بين ايديكم واخذ السلطان في اصلاح سور المنصورة واسند
اليها الخمس بقين من صفر وجعل الستائر على السور وقدمت الشواني الى تجاه
المنصورة وفيها العدد الكاملة وشرع العسكر في تجديد الابنية هناك وقدم من

من العربان واهل النواحي ومن المطوعة خلق لا يحصي عددهم واخذوا في الاغارة على الفرنج
فخلا الفرنج اسوار مدينة دمياط بالمقاتلة والالات فلما كان اول ربيع الاول
قدم الى القاهرة من اسرى الفرنج الذين تخطفهم العربان ستة وثلثون فارسا وفي
خامس ربيع الاخر ورد منهم تسعة وثلاثون وفي سابعه ورد اثنان وعشرون
اسيرا وفي سادس عشره ورد خمسة واربعون اسيرا ولم منهم ثلثة خياله وفي
ثامن عشر جمادى الاولى ورد خمسون اسيرا هذا ومرض السلطان يتزايد وقواه
تتناقص حتى ايس الاطبا منه وفي ثالث عشر رجب قدم الى القاهرة سبعة واربعون
اسيرا واحد عشر فارسا وظفر المسلمون بمسطح للفرنج في البحر فيه مقاتلة بالقرب
من نستراوه فلما كان ليلة الاحد لاربع عشرة مضت من شعبان مات السلطان
الملك الصالح بالمنصورة فلم يظهر موته وحمل في تابوت الى قلعة الروضة وقام
بامر العسكر الامير فخر الدين بن شيخ الشيوخ فان شجر الدر زوجة السلطان لما
مات احضرت الامير فخر الدين والطواشي جمال الدين محسن واليه امر المماليك
البحرية والحاشية واعلمتهما بموته وكتما ذلك خوفا من الفرنج لانهم كانوا قد
اشرفوا على تملك ديار مصر فقام الامير فخر الدين بالتدبير وسيروا الى الملك
المعظم توران شاه وهو بحصن كيفا الفارس اقطاي لاحضاره واخذ الامير
فخر الدين في تحليف العسكر للملك الصالح ولابنه الملك المعظم بولاية العهد من
بعده وللامير فخر الدين باتابكية العسكر والقيام بامر الملك حتى حلفهم كلهم بالمنصورة
وبالوزارة في دار القاهرة عند الامير حسام الدين بن ابي علي في يوم الخميس لاثنتي
عشرة بقيت من شعبان وكانت العلامات تخرج من الدهليز السلطاني
بالقاهرة بخط خادم يقال له سهيل لا يشك من راها انها خط السلطان ومشى
ذلك على الامير حسام الدين بالقاهرة مدة ولم يتفوه احد بموت السلطان الى
ان كان يوم الاثنين لثمان بقين من شعبان ورد الامر الى القاهرة بدعا الخطبا
في الجمعة الاتية للملك المعظم بعد الدعا للسلطان وان تنقش اسمه على السكة
فلما علم الفرنج بموت السلطان خرجوا من دمياط بفارسهم وراجلهم وشوانيهم
تحاذيهم في البحر حتى نزلوا فارسكور ويوم الخميس لخمس بقين من شعبان نودي في
يوم الجمعة بالقاهرة من العسكر اوله انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا
باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وفيه مواعظ بليغة في الحث

على الجهاد فقرئ على منبر جامع القاهرة وقد جمع الناس بسماعه فارتجت القاهرة ومصر
وظواهرهما بالبكا والعويل وايقن الناس باستيلا الفرنج على البلاد لخلو الوقت
من ملك يقوم بالامر لكنهم لم يهنوا وخرجوا من القاهرة ومصر وساير الاعمال
فاجتمع عالم عظيم فلما كان يوم الثلثا اول شهر رمضان اقتتل المسلمون والفرنج
فاستشهد العلاي امير مجلس وجماعة ونزل الفرنج شارمساح وفي يوم الاثنين
ثامنه نزلوا البرمون فاضطرب الناس وزلزلوا زلزالا شديدا لقربهم من
العسكر وفي يوم الاحد ثالث عشره وصلوا تجاه المنصورة وصار بينهم وبين
المسلمين بحر اشموم وخندقوا عليهم وادادروا على خندقهم سورا وستروه بكثير من
الستاير ونصبوا المناجنيق ليرموا بها على المسلمين وصارت شوانيهم بازا في بحر
النيل وشواني المسلمين بازا المنصورة والتحم القتال برا وبحرا وفي سادس عشره
نفذ الى المسلمين ستة خيالة اخبروا بمضايقة الفرنج وفي يوم عيد الفطر اسر من
الفرنج كندي من اقارب الملك وابلى عوام المسلمين في قتال الفرنج بلا كبير او نكوا فيهم
نكاية عظيمة وصاروا يقتلون منهم في كل وقت ويأسرون ويلقوا انفسهم في الما
ويعبرونه الى الجانب الذي فيه الفرنج ويتحيلوا في اختطاف الفرنج بكل حيلة
ولا يهابون الموت حتى ان انسانا قور بطيخة وعملها على راسه وغطس في الما
حتى حاذى بحر الفرنج فظنه بعضهم بطيخة فنزل حتى ياخذها فخطفه واتى به
الى المسلمين وفي يوم الاربعا سابع شوال اخذ المسلمون شينيا للفرنج فيه كند
ومايتا راجل وفي يوم الخميس النصف منه ركب الفرنج الى بر المسلمين واقتتلوا
قتالا عظيما فقتل منهم اربعين فارسا وسير في عدة الى القاهرة بسبعة وستين
اسيرا منهم ثلثة من اكابر الداوية وفي يوم الخميس ثاني عشرينه احرقت للفرنج
مرمة عظيمة في البحر واستظهر المسلمون عليهم وكان بحر اشموم فيه مخايض تدل
بعض من لا دين له ممن يظهر الاسلام الفرنج عليها فركبوا سحر يوم الثلثا خامس
ذي القعدة او رابعه ولم يشعر المسلمون الا بهم وقد هجموا على العسكر فركب دهشا
غير معتد ولا متحفظ وساق ليامر الامرا والاجناد بالركوب في طايفة من مماليكه
فلقيت عدة من الفرنج الداوية وحملوا عليه ففر اصحابه واتته طعنة في جنبه
واخذته السيوف من كل جانب حتى لحق بالله تعالى وفي الحال عدا مماليكه
في طايفة الى داره وكسروا صناديقه وخزاينه ونهبوا امواله وخيوله وساق

الفرنج

الفرنج عند قتل الامير فخر الدين المنصورة فتفرق المسلمون خوفا منهم وتشرفوا يمنة ويسرة
وكادت الكسرة ان تكون وتمحوا الفرنج كلمة الاسلام من ارض مصر ووصل الملك ريدافرنس
بنفسه الى باب قصر السلطان ولم يبق الا ان يملكه فاذن الله سبحانه ان الطايفة
المماليك من البحرية والجمدارية الذين استجدهم الملك الصالح ومن جملتهم بيبرس
البندقداري حملوا على الفرنج حملة صدقوا فيها اللقا حتى ازاحوهم عن مواقفهم وابلوا
في مكافحتهم بالسيوف والدبابيس فانهزموا وبلغت عدة من قتل من فرسان الفرنج
الخيالة في هذه النوبة الفا وخمسماية فارس واما الرجالة فانها كانت وصلت
الى الفرنج لتعدي فلو تراخى الامر حتى صاروا مع المسلمين لاعضل الدا على ان هذه
الواقعة كانت بين الازقة والدروب ولولا ضيق المجال لما افلت من الفرنج
احد فنجا من بقي منهم وضربوا عليهم سورا وحفروا خندقا وصارت طايفة منهم
في البر الشرقي ومعظمهم في الجزيرة المتصلة بدمياط وكانت البطاقة عند الكسرة
قد سرحت على جناح الطاير الى القاهرة فانزعج الناس انزعاجا عظيما
ووردت السوقة وبعض العسكر ولم تغلق ابواب القاهرة ليلة الاربعا وفي
يوم الاربعا سقط الطاير بالبشارة بهزيمة الفرنج وعدة من قتل منهم فزينت
القاهرة وضربت البشاير بقلعة الجبل وصار المعظم توران شاه الى دمشق
دخلها يوم السبت اخر شهر رمضان واستولى على ما بها ولاربع مضين من
شوال سقط الطاير بوصوله الى دمشق لثلاث بقين منه فتواترت الاخبار
بقدومه وخرج الامير حسام الدين بن ابي علي الى لقايه فوافاه بالصالحية
لاربع عشرة بقيت من ذي القعدة ومن يومئذ اعلن بموت الملك الصالح بعد
ما كان قبل ذلك لا ينطق احد بموته البتة بل الامور على حالها والدهليز
السلطاني بحاله والسماط على العادة وشجر الدر ام خليل زوجة السلطان تدبر
الامور وتقول السلطان مريض ما اليه وصول ثم سار من الصالحية فتلقاه
الامرا والمماليك واستقر بقصر السلطنة من المنصورة يوم الثلثا تاسع عشر
ذي القعدة وفي اثنا هذه المدة عمل المسلمون مراكب وحملوها على الجمال الى بحر
المحلة وتلك المراكب فيه مكمنة فخرجت عليهم ووقع الحرب بينهما وقدم الاسطول
الاسلامي من جهة المنصورة واحاط بالفرنج فظفر باثنين وخمسين مركبا
للفرنج وقتل واسر منهم نحو الالف رجل فانقطعت الميرة عن الفرنج واشتد

عندهم الغلا وصاروا محصورين فلما كان اول يوم من ذي الحجه اخذ الفرنج من
المراكب التي في بحر المحله سبع حراريق وفر من كان فيها من المسلمين وفي يوم عرفه برزت
الشواني الاسلاميه الى مراكب قدمت للفرنج بالميرة فاخذت منها اثنين وثلثين
مركبا منها تسعة شواني فوهنت قوة الفرنج وتزايد الغلا عندهم وشرعوا في طلب
الهدنه من المسلمين على ان يسلموا دمياط وياخذوا بدلها القدس وبعض بلاد
الساحل فلم يجابوا الى ذلك فلما كان اليوم السابع والعشرون من ذي الحجه احرق
الفرنج اخشابهم كلها واتلفوا مراكبهم يريدون التحصن بدمياط ورحلوا في ليلة
الاربعا لثلاث مضين من المحرم سنه ثمان واربعين وستمايه الى دمياط واخذت
مراكبهم في الانحدار قبالتهم فركب المسلمون اقفيتهم بعد ما عدوا الى برهم وطلع
الفرنج من يوم الاربعا وقد احاط المسلمون بالفرنج وقتلوا واسروا منهم كثيرا
حتى قيل ان عدد من قتل من الفرسان على فارسكور ما يزيد على عشرة الاف
واسر من الخياله والرجاله والصناع والسوقه ما يناهز مائة الف وغنم من
المال والذخاير والخيول والبغال ما لا يحصى وانحاز الملك ريدافرنس واكابر
الفرنج الى تل ووقفوا مستسلمين وسالوا الامان فامنهم الطواشي جمال الدين
محسن الطواشي ونزلوا على امانه واحيط بهم وسيقوا الى المنصوره فقيد ريدافرنس
واعتقل في الدار التي كان ينزل فيها القاضي فخر الدين ابراهيم بن لقمن كاتب
الانشا ووكل به الطواشي صبيح المعظمي واعتقل معه اخوه ورتب له راتب
يحمل اليه في كل يوم ورسم الملك المعظم لسيف الدين يوسف بن الطوري احد
من وصل صحبته من الشرق ان يتولى قتل الاسرى فكان يخرج منهم كل يوم
ثلثمائة راجل ويقتلهم ويلقيهم في البحر حتى فنوا ولما قبض على الملك ريدافرنس
رحل الملك المعظم من المنصوره ونزل بالدهليز السلطاني على فارسكور
وعمل له برجا من خشب وتراخى في قصد دمياط وكتب بخطه الى الامير جمال
الدين بن يغمور نايبه بدمشق ولده تورانشاه الحمد لله الذي اذهب
عنا الحزن وما النصر الا من عند الله ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله واما
بنعمة ربك فحدث وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها نبشر المجلس السامي الجمالي
بل نبشر المسلمين كافة بما من الله به على المسلمين من الظفر بعدو الدين فانه كان قد
استفحل امره واستحكم شره ويئس العباد من البلاد والاهل والاولاد فنودوا

لا تياسوا من روح الله ولما كان يوم الاثنين مستهل السنة المباركه وهي سنه ثمان
واربعين وستمايه تمم الله على الاسلام بركتها فتحنا الخزاين وبذلنا الاموال وفرقنا
السلاح وجمعنا العربان والمطوعه وخلقا لا يعلمهم الا الله وجاوا من كل فج عميق
ومكان سحيق فلما راى العدو ذلك ارسل يطلب الصلح على ما وقع الاتفاق
بينهم وبين الملك الكامل فابينا ولما كان ليلة الاربعا تركوا خيامهم واموالهم
واثقالهم وقصدوا دمياط هاربين فسرنا في اثارهم طالبين وما زال السيف
يعمل في ادبارهم عامة الليل وقد حل بهم الخزي والويل فلما اصبحنا يوم
الاربعا قتلنا منهم ثلثين الفا غير من القى نفسه في اللجج واما الاسرى
فحدث عن البحر ولا حرج والتجا الفرنسيس الى المنيه وطلب الامان فامناه
واخذناه واكرمناه وتسلمنا دمياط بعون الله وقوته وجلاله وعظمته وبعث
مع الكتاب غفارة الملك فرنسيس فلبسها الامير جمال الدين بن يغمور وهي
اسكرلاط احمر بفرو سنجاب فقال الشيخ نجم الدين بن اسرائيل

ان غفارة الفرنسيس التي … جات حبا لسيد الامراء
كبياض القرطاس لونا ولكن … صبغتها سيوفنا بالدماء

وقال

اسيد املاك الزمان باسرهم … تنجزت من نصر الاله وعوده
فلا زال مولانا يبيح حمى العدى … ويلبس اسلاب الملوك عبيده

واخذ الملك المعظم يهدد زوجة ابيه شجر الدر ويطالبها بمال
ابيه فخافته وكاتبت مماليك الملك الصالح يحرضهم عليه وكان الملك المعظم
لما وصل اليه الفارس اقطاي الى حصن كيفا وعده ان يعطيه امرة فلم يف له
واعرض مع ذلك عن مماليك ابيه واطرح امراه وصرف الامير حسام الدين
بن ابي علي عن نيابة السلطنه واحضره الى العسكر ولم يعبا به وابعد غلمان
ابيه واختص بمن وصل معه من الشرق وجعلهم في الوظايف السلطانيه
فجعل الطواشي مسرور خادمه استادارا وعمل صبيح وكان عبدا حبشيا
فحلا امير جاندار وامر ان يكون عصاه من ذهب واعطاه مالا جزيلا
واقطاعات جزيله وكان اذا سكر جمع الشمع وضرب روسها بالسيف حتى تنقطع

ويقول هكذا الفعل بالبحرية فانه كان فيه هوج وخفة واحتجب علي العكوف بملاذه ونفرت منه النفوس ونقي كذلك الي يوم الاثنين تاسع عشرين المحرم وقد جلس علي السماط فتقدم اليه احد المماليك البحرية وضربه بسيف قطع اصابعه ففر الي البرج فاقتحموا عليه وسيوفهم مصلبة فصعد اعلا البرج الخشب فرموه بالنشاب واطلقوا النار في البرج فالقي نفسه ومر الي البحر وهو يقول ما اريد ملككم دعوني ارجع الي الحصن يا مسلمين ما فيكم من يصطنعني ويجيرني وسائر العساكر واقفة فلم يجبه احد والنشاب يأخذه من كل ناحية فادركوه فقطع بالسيوف ومات غريقا حريقا قتيلا في يوم الاثنين المذكور وترك علي الشاطي ثلثة ايام ثم دفن **ولما** قتل الملك المعظم اتفق اهل الدولة علي اقامة شجر الدر ام خليل في مملكة مصر وان يكون مقدم العسكر الامير عز الدين ايبك التركماني الصالحي وحلف الكل علي ذلك وسيروا اليها عز الدين الرومي فتقدم عليها في قلعة الجبل واعلمها بما اتفق فرضيت به وكتبت علي التواقيع علامتها وهي والدة خليل وخطب لها علي المنابر بمصر والقاهرة وجرى الحديث مع الملك ريدافرنس في تسليم دمياط وتولى مفاوضته في ذلك الامير حسام الدين بن ابي علي الهدباني فاجاب الي تسليمها وان تخلي عنه بعد مجاورات وسير الي الفرنج بدمياط يامرهم بتسليمها الي المسلمين فسلموها بعد جهد جهيد من كثرة المراجعات في يوم الجمعة ثالث صفر ورفع العلم السلطاني علي سورها واعلن فيها بكلمة الاسلام وشهادة الحق بعدما اقامت بيد الفرنج احد عشر شهرا وتسعة ايام وافرج عن الملك ريدافرنس وعن اخيه وزوجته ومن بقي من اصحابه الي البر الغربي وركبوا البحر من الغد وهو يوم السبت رابع صفر واقلعوا الي عكا وفي هذه النوبة يقول الوزير جمال الدين يحيي بن مطروح

قل للفرنسيس اذا جئته، مقال صدق عن قؤول نصيح،
اجرك الله علي ما جرى، من قتل عباد يسوع المسيح،
اتيت مصر تبتغي ملكها، تحسب ان الزمر يا طبل ريح،
فساقك الحين الي ادهم، ضاق به عن ناظريك الفسيح،
وكل اصحابك اودعتهم، بحسن تدبيرك بطن الضريح،
خمسون الفا لا يرى منهم، الا قتيلا او اسيرا وجريح،

وفقك الله

شعر

وفقك الله لامثالها، لعل عيسى منكم يستريح،
ان كان باباكم بذا راضيا، فرب غش قد اتى من نصيح،
وقل لهم ان اضمروا عودة، لاخذ ثار او لفعل صحيح،
دار ابن لقمان علي حالها، والقيد باق والطواشي صبيح،

وقدر الله ان الفرنسيس هذا ابعد خلاصه من هذه الواقعة جمع علي جموع وقصد تونس فقال له شاب من اهلها يقال له احمد بن اسمعيل الزيات

يا فرنسيس هذه اخت مصر، فتاهب لما اليه تصير،
لك فيها دار ابن لقمان قبر، وطواشيك منكر ونكير،

وكان هذا ابدا الا احسنا ومات وهو علي محاصرة تونس ولما تسلم الامير دمياط وردت البشرى الي القاهرة فضربت البشاير وزينت القاهرة ومصر وقدمت العساكر من دمياط بيوم الخميس تاسع صفر **فلما** كان في سلطنة الملك الاشرف موسى بن الملك المسعود اقسيس بن الملك الكامل والملك المعز عز الدين ايبك التركماني وكثر الاختلاف بمصر واستولى الملك الناصر يوسف بن العزيز علي دمشق اتفق ارباب الدولة بمصر وهم المماليك البحرية علي تخريب مدينة دمياط خوفا من مسير الفرنج اليها مرة اخرى فسيروا اليها الحجارين والفعلة فوقع الهدم في اسوارها يوم الاثنين الثامن عشر من شعبان سنة ثمان واربعين وستماية حتى خربت كلها ومحوا اثارها ولم يبق منها سوى الجامع وصار في قبليها اخصاص علي النيل يسكنها الناس الضعفا وسموها المنشية وهذا السور هو الذي بناه امير المومنين المتوكل علي الله كما تقدم ذكره فلما استبد الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري الصالحي بمملكة مصر بعد قتل الملك المظفر قطز اخرج من مصر عدة من الحجارين في سنة تسع وخمسين وستماية لردم فم بحر دمياط فمضوا وقطعوا اكثرا من الحجارة والقوها في بحر النيل الذي يصب من شمال دمياط في بحر الملح حتى ضاق وتعذر دخول المراكب منه الي دمياط وهو الي اليوم علي ذلك لا تقدر مراكب البحر الكبار ان تدخل منه وانما ينقل ما فيها من البضايع في مراكب نيلية تعرف عند اهل دمياط بالجروم واحدها جرم ونصبه

وتصير مراكب بحر الملح واقفة باخر البحر فرساين ملتقى البحرين وتزعم اهل دمياط الان
ان سبب امتناع دخول مراكب البحر جبل في فم البحر ودمل تنزل الى هناك وهذا
قول باطل حملهم عليه ما يجدونه من تلاف المراكب اذا هجمت على هذا المكان
وجهلهم باحوال الوجود وما مر من الوقايع والى يومنا هذا يخاف على المراكب عند
ورودها في هذا البحر وكثيرا ما يتلف فيه وقد سرت اليه حتى شاهدته ورايته
من اعجب ما يراه الانسان واما دمياط الان فانها حدثت بعد تخريب مدينة
دمياط وعمل هناك اخصاص وما برحت تزداد الى ان صارت بلدة كبيرة ذات
اسواق وحمامات وجوامع ومدارس ومساجد ودورها تشرف على النيل
الاعظم ومن وراها البساتين وهي احسن بلاد الله منظرا وقد اخبرني
الامير الوزير المشير الاستادار يلبغا السالمي رحمه الله انه لم ير في البلاد
التي سلكها من سمرقند الى مصر احسن من دمياط هذه فظننت انه يغلو في
مدحها الى ان شاهدتها فاذا هي احسن بلد وانزهه وفيها اقول

سقى عهد دمياط وحياه من عهد ... فقد زادني ذكراه وجدا على وجد
ولا زالت الانوا تسقي سحابها ... ديارا حكت من حسنها جنة الخلد
فيا حسن هاتيك الديار وطيبها ... فكم قد حوت حسنا يجل عن العد
فلله انهار تحف بروضها ... لكالمرهف المصقول او صفحة الخد
ويشبهها الريان يحكي بسيما ... تبدل من وصل الاحبة بالصد
فقام على رجليه في الدمع غارقا ... يراعي نجوم الليل من وحشة الفقد
وظل على الاقدام يخشى ابتنابها ... لطول انتظار من حبيب على عمد
ولا سيما تلك النواعير انها ... تجدد حزن الواله المدنف الفرد
اطارحها شجوي وصارت كئيبة ... تطارح شكواها بمثل الذي ابدي
تقد خلته الافلاك فيه نجومها ... تدور بمحض النفع منا وبالسعد
وفي البرك الغرا باحسن منظر ... حكى وغدى بالزهر يسطو على الورد
سما من البلور فيه كواكب ... عجيبة صنع اللون محكمة النضد
وفي شاطي النيل المقدس نزهة ... تعيد شباب الشيب في الفتنة الرغد
ويبقى اديبا حايطا لهم والاسى ... وينسى ليالي الوصل من طيبها عنده

وفي

وفي مرج البحرين جم عجايب ... تلوح وتبدو من قريب ومن بعد
كان التقا النيل بالبحر اذ غدا ... مليكين سارا في الجحافل من جند
وقد نزلا للحرب واحتدم اللقا ... ولا ظفر الا المنعقة المسد
فظلا كما باتا وما برحا كذا ... من جليل الخطب في اعظم الجهد
فكم قد مضى لي من اوان لذة ... بشاطيه العذب الشهي الذي الورد
وكم قد نعمنا في البساتين برهة ... نعيش هنيئا في امان وفي سعد
وفي البرزخ المانوس كم لي خلوة ... وعند شطا غز امن النخل الغرد
هناك ترى عين البصير ما ترى ... من الفضل والافضال والخير والمجد
فيا رب هب لي بفضلك عوده ... ومن بها في غير بلوى ولا جهد

وبدمياط حيث كانت المدينة التي هدمت جامع من اجل مساجد المسلمين
تسميه العامة مسجد فتح وهو المسجد الذي اسسه المسلمون عند فتح
دمياط اول ما فتح الله ارض مصر على يد عمرو بن العاص وعلى بابه
مكتوب بالقلم الكوفي انه عمر بعد سنة خمس مائة من الهجرة وفيه عدة
من العمد الرخام منها ما يعز وجود مثله وانما عرف بجامع فتح لنزول
شخص يقال له فاتح به فقالت العامة جامع فتح وانما هو فاتح
بن عثمن الاسمر التكروري قدم من مراكش الى دمياط على قدم التجريد
وسقا بها الما في الاسواق احتسابا من غير ان يتناول من احد شيا
ونزل في ظاهر الثغر ولزم الصلاة مع الجماعة وترك الناس جميعا ثم
اقام بناحية يونس من بحيرة تنيس وهي خراب نحو سبع سنين وعمر
مسجدها ثم انتقل من تونة الى جامع دمياط واقام في وكر باسفل المنارة
من غير ان يخالط احدا الا اذا اقيمت الصلاة خرج وصلى فاذا سلم
الامام عاد الى وكره فان عارضه احد بحديث كلمه وهو قايم بعد انصرافه
من الصلاة وكانت حالة ابدا الاتصال في انفصال وقرب في ابتعاد وانس
في نفار وحج فكان يفارق اصحابه عند الرحيل فلا يرونه الى وقت
النزول ويكون سيره منفردا عنهم لا يكلم احدا الى ان عاد الى دمياط
فاخذ في ترميم الجامع وتنظيفه بنفسه حتى نقى ما كان فيه من الوطواط
بسقوفه وساق الما الى صهاريجه وبلط صحنه وسبك سطحه بالجبس

واقام فيه وكان اذذاك من حين خربت دمياط لا يفتح الا في يوم الجمعة فقط فرتب
به اماما يصلي الخمس وسكن في بيت الخطابة وواظب على اقامة الاوراد به وجعل
فيه قرا يتلون القران بكرة واصيلا وقرر فيه رجلا يقرا ميعادا يذكر الناس
ويعلمهم وكان يقول لو علمت بدمياط مكانا افضل من الجامع لاقمت به ولو
علمت في الارض بلدا يكون الفقير فيه اخمل من دمياط لرحلت اليه واقمت
به وكان اذا ورد عليه احد من الفقرا ولا يجد ما يطعمه باع من لباسه
ما يضيفه به وكان يبيت ويصبح وليس له معلوم ولا ما تقع عليه العين او
تسمعه الاذن وكان يوثر في السر الفقرا والارامل ولا يسال احدا شيئا
ولا يقبل غالبا واذا قبل ما فتح الله عليه اثر به وكان يبذل جهده في كتم
حاله والله تعالى يظهر خيره وبركته من غير قصد منه لذلك وعرفت
له عدة كرامات وكان سلوكه على طريق الصحيح السلف من التمسك
بالكتاب والسنة والنفور عن الفتنة وترك الدعاوي واطراحها وستر حاله
والتحفظ في اقواله وافعاله وكان لا يرافق احدا في الليل ولا يعلم احد بيوم
صومه من يوم فطره ويجعل دايما قوله ان شا الله مكان قول غيره
والله ثم ان الشيخ عبد العزيز الدميري اشار عليه بالنكاح وقال
له النكاح من السنة فتزوج في اخر عمره بامراتين لم يدخل على واحدة
منهما بنهار البتة ولا اكل عندها ولا شرب قط وكان ليله ظرفا للعبادة
لكنه ياتي اليهما احيانا وينقطع احيانا لاستغراق زمنه كله في القيام
بوظايف العبادات وايثار الخلوة وكان من خواص خدمه لا يعلمون بصومه
من فطره وانما يحمل اليه ما ياكل ويوضع عنده بالخلوة فلا يرى قط اكلا
وكان يحب الفقرا ويوثر حال المسكنة ويتطارح على الخمول والجفا ويتواضع
مع الفقرا ويتعاظم على العظما والاغنيا وكان يقرا في المصحف ويطالع
الكتب ولم يره احد يخط بيده شيا وكانت تلاوته القران بخشوع وتدبر
ولم يعمل له سجادة قط ولا اخذ على احد عهدا ولا البس طاقية ولا قال
انا شيخ ولا انا فقير ويتحامى في كلامه انا نعطي لما وقع منه واستعاذ بالله
من قول انا ولا حضر قط سماعا ولا انكر على من يحضره وكان سلوكه صلاحا
من غير اصطلاح ويبالغ في الترفع على ابنا الدنيا ويتراخى على الفقرا ويقدم
هم

الاكل ولم يقدم لغني اكلا البتة واذا اجتمع عنده الناس قدم الفقير على الغني واذا
مضى الفقير من عنده سار معه وشيعه عدة خطوات وهو حاف بغير نعل
ووقف على قدميه ينظره حتى يتوارى عنه ومن كان من الفقرا اشار اليه
بمشيخة فجلس بين يديه بادب مع امامته وتقدمه في الطريقة ويقول
ما اقول لاحد افعل او لا تفعل من اراد السلوك يكفيه ان ينظر الى افعالي فان
من لم يتسلك بنظره لا يتسلك بسمعه وقال له بعض من خواصه
يا سيدي ادع لي ان يفتح الله علينا فنحن فقرا فقال ان اردتم فتح الله فلا
تبقوا في البيت شيا ثم اطلبوا فتح الله بعد ذلك فقد جا اتسال الله ولك
خاتم من حديد ومن كلامه الفقير حال البكر اذا سال زالت بكارته وساله
بعض خواصه ان يدعو الله بسعة وشكا له الضيق فقال انا ما ادعوا
لك بسعة بل اطلب لك الافضل والاكمل وكان مع اشتغاله بالعبادة واستغراق
اوقاته فيها لا يغفل عن اصحابه ولا ينسى حاجة حتى يقضيها ويلازم الوفا
لاصحابه ويحسن معاشرتهم في قضا حوايج الخاص والعام من غير ان يمل
ولا يتبرم بكثرة ذلك ويكون من الايثار في السير ولا يمسك لنفسه شيا ويستقل
ما منه مع كثرة احسانه ويستكثر ما يدفع اليه وان كان يسيرا ويكافي عليه
باحسن منه ولم يصحب قط اميرا ولا وزيرا بل كان في سلوكه وطريقته يرتفع
في مواضع وتعزز مع مسكنة وقرب في ابتعاد واتصال في انفصال
وزهد في الدنيا واهلها وكان اكثر من خبره ومن دعا به لنفسه ولمن
يساله الدعا اللهم بعدنا عن الدنيا وبعدها عنا ومازال على ذلك الى ان
مات اخر ليلة تسفر عن الثامن من شهر ربيع الاخر سنة خمس وتسعين
وسبعماية وترك ولدين ليس لهما قوت ليلة وعليه مبلغ الفي درهم دينا
ودفن بجوار الجامع وقبره يزار الى يومنا هذا ؞ ؞ ؞ ؞

ذكر شطا

شطا مدينة عند تنيس ودمياط واليها تنسب الثياب الشطوية ويقال
انها عرفت بشطا بن الهاموك وكان ابوه خال المقوقس وكان على دمياط
فلما فتح الله الحصن على يد عمرو بن العاص فلما فتح الله الحصن على يد عمرو
بن العاص واستولى على ارض مصر جهز بعثا لفتح دمياط فنازلوها الى انه

ملكوا سور المدينه فخرج شطا في النفر من اصحابه ولحق بالمسلمين وقد كان قبل ذلك
يحب الخير ويميل الى ما يسمعه من سيرة اهل الاسلام ولما ملك المسلمون دمياط
امتنع عليهم صاحب تنيس فخرج شطا الى البرلس والدميرة واشموم طناح فحشد
فجمع الناس لقتال اهل تنيس وسار بهم مع من كان من دمياط من المسلمين ومن
قدم مدد امن عند عمرو بن العاص الى قتال اهل تنيس فالتقى العسكران وابلى
شطا فيهم بلاء حسنا وقتل من ابطال تنيس اثني عشر رجلا واستشهد في ليلة
الجمعة النصف من شعبان سنة احدى وعشرين من الهجرة فقبره خشه هو
الان خارج دمياط ويبني على قبره وصار الناس يجتمعون هناك في ليلة
النصف من شعبان كل عام ويقدون للحضور من القرى وهم على ذلك الى
يومنا وكانت تعمل كسوة الكعبة بشطا وقال الفاكهي ورايت فيها كسوة
من كسا امير المومنين هرون الرشيد من قباطي مصر مكتوب عليها بسم
الله بركة من الله لعبد الله هرون امير المومنين اطال الله بقاه مما امر
الفضل بن الربيع مولى امير المومنين بصنعته في طراز شطا كسوة للكعبة
سنة احدى وتسعين ومايه ومن المواضع المشهورة بدمياط

البرزخ

وهو مسجد بجزيرة دمياط تسميه العامة البرزخ ولا اعرف مستندهم في
ذلك وشاهدت فيه بحثا وهو ان به منارة كبيرة مبنية من الاجر اذا
هزها احد اهتزت فلما صعدت اعلاها حيث يقف الموذن وحركتها
رايت ظلها قد تحرك بتحركي لها ويوجد حول هذا المسجد رمم بالية تشبه
ان يكون ممن استشهد في وقايع الفرنج والله يعلم وانتم لا تعلمون

دبيق

قرية من قرى دمياط ينسب اليها الثياب المثقلة والعمايم الشرب الملونه
والدبيقي المعلم الذهب وكانت العمايم الشرب المذهبه يعمل بها ويكون
طول كل عمامة منها مايه ذراع وفيها رقمات منسوجة بالذهب فتبلغ العمامة
من الذهب خمسماية دينار سوى الحرير والغزل وحدثت هذه العمايم
وغيرها في ايام العزيز بالله بن المعز من سنة خمس وستين وثلثمايه
الى ان مات في رمضان سنة ست وثمانين وثلثمايه

النحريريه

قرية

قرية من الاعمال الغربية اسس حكرها الامير شمس الدين سنقر السعدي نقيب
الجيش في الايام الناصرية محمد بن قلاوون وبالغ في عمارتها فبلغت في ايامه
عشرين الف درهم فضه ثم خرج عنها فعمرت للسلطان واتسع امرها حتى
انشي فيها زيادة على بلدين بستانا ووصل حكرها لكثرة سكانها الى الف
درهم فضه كل فدان وصارت بلدا كبيرا تغل في السنة ما بين خراجي وهلالي
ثلثمايه الف درهم فضه عنها خمسة عشر الف دينار ذهبا ومات سنقر هذا
في سنة ثمان وعشرين وسبعماية واليه ينسب المدرسة السعديه بخط حارة
البقر خارج باب زويلة

جزيره بني نصر

منسوبة الى بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن وذلك ان بني خماس
بن ظالم بن جحيل بن عمرو بن دهمان بن نصر بن معوية بن بكر بن هوازن
كانت لهم شوكة شديدة بارض مصر وكثروا حتى ملوا اسفل الارض وغلبوا
عليه حتى قويت عليهم قبيلة من البربر تعرف بلواته ولواته تزعم انها
من قيس فاجلت بني نصر واسكنها الجدار ونصادرا واهل قرى في مكان عرف
بهم وسط النيل وهي جزيرة بني نصر هذه

ذكر الطريق فيما بين مدينة مصر ودمشق

اعلم ان البريد اوله من دواب الملك دارا بن بهمن بن كي ٥
يستاسف بن لهراسف احد ملوك الفرس واما في الاسلام فاول من
اقام البريد امير المومنين المهدي محمد بن ابي جعفر المنصور رحمه الله فيما
بين مكه والمدينه واليمن وجعله بغالا وابلا وذلك في سنه ست
وستين وماية واصل هذه الكلمة بريد ذنب فان دارا اقام في سكك
البريد دوابا محذوفة الاذناب سميت بريد ذنب ثم عربت وحذف
منها نصفها الاخير فقيل بريد وهذا الدرب الذي يسلكه العساكر
والتجار وغيرهم من القاهرة على الرمل الى مدينة غزة ليس هو الدرب
الذي كان يسلك في القديم من مصر الى الشام ولم يحدث هذا الدرب
الذي يسلك فيه من الروم الان الا بعد الخمسماية من سني الهجرة عند
ما انقرضت الدولة الفاطمية وكان الدرب اولا قبل استيلا الفرنج
على سواحل البلاد الشامية قال ابو القسم عبيد الله بن عبد الله

بن خرداذبه في كتاب المسالك والممالك وصفة الارض والطريق من دمشق الى الكسوة اثنا عشر ميلا ثم الى جاسم اربعة وعشرون ميلا ثم الى فيق اربعة وعشرون ميلا ثم الى طبرية مدينة الاردن ستة اميال ومن طبرية الى اللجون عشرون ميلا ثم الى القلنسوة عشرون ميلا ثم الى الرملة مدينة فلسطين اربعة وعشرون ميلا والطريق من الرملة الى ازدود اثنا عشر ميلا ثم الى غزة عشرون ميلا ثم الى العريش اربعة وعشرون ميلا في رمل ثم الى الورادة ثمانية عشر ميلا ثم الى ام العرب عشرون ميلا ثم الى الفرما اربعة وعشرون ميلا ثم الى جرجير ثلثون ميلا ثم الى القاصرة اربعة وعشرون ميلا ثم الى مسجد قضاعة ثمانية عشر ميلا ثم الى بلبيس احد وعشرون ميلا ثم الى الفسطاط مدينة مصر اربعة وعشرون ميلا فهذا كما ترى كان الدرب المسلوك من مصر الى دمشق على غير ما هو الان فيسلك من بلبيس الى الفرما في البلاد التي تعرف اليوم ببلاد السباخ من الحوف ويسلك من الفرما وهي بالقرب من قطيا الى ام العرب وهي بلد خراب على البحر فيما بين قطيا والورادة ويقصدها قوم من الناس ويحفرون في كيمانها فيجدون دراهم من فضة ثقيلة الوزن كثيرة المقدار ويسلك من ام العرب الى الورادة وكانت بلدة في غير موضعها الان تقدم ذكرت في هذا الكتاب فلما خرج الفرنج من بحر القسطنطينية في سنة تسعين واربعمائة لاخذ البلاد من ايدي المسلمين واخذ بغدوين الشوبك وعمره في سنة تسع وخمسمائة وكان قد خرب من تقادم السنين واغار على العريش وهو يومئذ عامر بطل السفر حينئذ من مصر الى الشام وصار يسلك على طريق البرية العرب بمخافة الفرنج الى ان استنقذ السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب بيت المقدس من ايدي الفرنج في سنة ثلث وثمانين وخمسمائة واكثر من الايقاع بالفرنج وافتتح منهم عدة بلاد بالساحل صار يسلك هذا الدرب على الرمل ويسلكه المسافرون من حينئذ الى ان ولي ملك مصر الملك الصالح نجم الدين ايوب بن الكامل محمد بن العادل ابي بكر بن ايوب فانشا بارض السباخ على طريق الرمل بلدة عرفت الى اليوم بالصالحية وذلك في سنة اربع واربعين وستمائة وصار ينزل بها ويقيم فيها ونزلها من بعده الملوك فلما ملك مصر الملك الظاهر بيبرس البندقداري رتب البريد في سائر الطرقات حتى صار الخبر يصل من قلعة الجبل الى دمشق في اربعة

ايام

ايام ويعود في مثلها فصارت اخبار الملك ترد اليه في كل جمعة مرتين ويتحكم في سائر ممالكه بالعزل والولاية وهو مقيم بالقلعة وانفق في ذلك مالا عظيما حتى تم ترتيبه وكان ذلك في سنة تسع وخمسين وستمائة وما زال امر البريد مستمرا فيما بين القاهرة ودمشق يوجد بكل مركز من مراكزه عدة من الخيول المعدة للركوب وتعرف بخيل البريد وعندها عدة سواس وللخيل رجال يعرفون بالسواقين واحدهم سواق يركب مع من يرسم بركوبه خيل البريد ليسوق له فرسه ويخدمه مدة مسيره ولا يركب احد خيل البريد الا بمرسوم سلطاني فتارة يمنع الناس من ركوبه الا من انتدبه السلطان لمهماته وتارة يركبه من يريد السفر من الاعيان بمرسوم وكانت طريق الشام عامرة يوجد بها عند كل بريد ما يحتاج اليه المسافر من زاد وعلف وغيره ولكثرة ما كان فيه من الامن ادركنا المراة تسافر من القاهرة الى الشام بمفردها راكبة او ماشية لا تحمل زادا ولا ماء فلما اخذ تيمور لنك دمشق وسبا اهلها وحرقها في سنة ثلث وثمان مائة خربت مراكز البريد واشتغل اهل الدولة بما نزل من البلاد من المحن وما دهوا به من كثرة الفتن عن اقامة البريد فاختل بانقطاعه طريق الشام خللا فاحشا والامر على ذلك الى وقتنا هذا وهو سنة ثماني عشرة وثمانمائة

ذكر مدينة حطين

هذه المدينة اثارها الى اليوم باقية فيما بين حبوة والعاقولة بارض العاقولة فيما بين قطية والعريش بجانبها ثمد ماء عذب تسميه العرب ابو العروق وهو شرقيه وهذه المدينة تنسب الى حطين ويقال له حطي بن الملك ابو اجاد المديني واهل قطية اليوم يسمون تلك الارض بلاد حطين والجفر وملك حطين هذا ارض مصر بعد موت ابيه وكان صاحب حرب وبطش وكان ينزل قلعة في جبال الاردن قريبا من طبرية واليه ينسب قرية حطين التي بها الان قبر شعيب بالقرب من صفد

ذكر مدينة الرقه

هذه المدينة من جملة مداين مدين فيما بين بحر القلزم وجبل الطور كان بها عندما خرج موسى عليه السلام ببني اسرايل من مصر قوم من لخم الذين يعبدون البقر واياهم عنى الله تعالى بقوله وجاوزنا ببني اسرايل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم الاية قال قتادة اولئك القوم من لخم وكانوا

نزولا بالرقه وقيل كانت اصنامهم تماثيل البقر ولهذا اخرج لهم السامري عجلا واما هذه المدينه باقيه الي اليوم فيما بين مدينة فاران والقلزم ومدين وايلة تمر بها الاعراب

ذكر عين شمس

وكان عين شمس هيكلا يحج الناس اليه ويقصدونه من اقطار الارض في جملة ما كانت تحج اليه من الهياكل التي كانت في قديم الدهر ويقال ان الصابية اخذت هذه الهياكل من عاذيمون ويزعمون انه هو شيث بن ادم وعن هرمس الاول وهو ادريس وان ادريس هو اول من تكلم في الجواهر العلويه والحركات النجوميه وبني الهياكل ومجد الله تعالي فيها ويقال ان الهياكل كان عدتها في الزمن الغابر اثني عشر هيكلا وهي هيكل العلة الاولي وهيكل العقل وهيكل السياسة وهيكل الصورة وهيكل النفس وكانت هذه الهياكل الخمسة مستديرات والهيكل السادس هيكل زحل وهو مسدس وبعده هيكل المشتري وهو مثلث ثم هيكل المريخ وهو مربع وهيكل الشمس وهو ايضا مربع وهيكل الزهرة وهو مثلث مستطيل وهيكل عطارد مثلث في جوف مربع مستطيل وهيكل القمر مثمن وعللوا عبادتهم للكواكب بان قالوا لما كان صانع العالم مقدسا عن صفات الحدوث وجب العجز عن ادراك جلاله وتعين ان يتقرب اليه عبادة بالمقربين لديه وهم الروحانيون ليشفعوا لهم ويكونوا وسايط لهم عنده وعنوا بالروحانيين الملائكة وزعموا انهم المدبرات للكواكب السبعة السياره في افلاكها وهي هياكلها وانه لابد لكل روحاني من هيكل ولابد لكل هيكل من فلك وان نسبة الروحاني الي الهيكل نسبة الروح الي الجسد وزعموا انه لابد من روية المتوسطين بين العباد وبين باريهم حتي يتوجه اليه العبد ويستفيد منه ففزعوا الي الهياكل التي هي السيارات فعرفوا بيوتها من الفلك وعرفوا مطالعها ومغاربها واتصالاتها وما لها من الايام والليالي والساعات والاشخاص والصور والاقاليم وغير ذلك مما هو معروف في موضعه من العلم الرياضي وقد سموا هذه السبعة السيارة اربابا والهه وسموا الشمس اله الالهة ورب الارباب وزعموا انها المفيضة على السبعة انوارها والمظهرة فيها اثارها فكانوا يتقربون الي الهياكل تقربا الي الروحانيين لتقربهم الي الباري لزعمهم ان الهياكل ابدان الروحانيين

وكل

وكل من تقرب الي شخص فقد تقرب الي روحه وكانوا يصلون لكل كوكب يوما يزعمون انه رب ذلك اليوم وكانت صلاتهم في ثلثة اوقات الاولي عند طلوع الشمس والثانيه عند استوايها في الفلك والثالثه عند غروبها يصلون لزحل يوم السبت وللمشتري يوم الاحد وللمريخ يوم الاثنين وللشمس يوم الثلثا وللزهرة يوم الاربعا ولعطارد يوم الخميس وللقمر يوم الجمعه ويقال انه كان ببلخ هيكل بناه منوجهر علي اسم القمر ليضاهي به الكعبه فكانت الفرس تحجه وتكسوه الحرير وكان اسمه نوبهار فلما تمجست الفرس عملوه بيت نار وقيل للموكل بسدانته برمك يعني والي مكه وانتهت البرمكه الي جد خالد جد جعفر بن يحيي بن خالد فاسلم علي يد هشام بن عبد الملك وسماه عبد الله وخرب هذا الهيكل قيس بن الهيثم في اول خلافة معاوية سنة احدي واربعين وكان بناه عظيما حوله اروقة وثلثمائة وستون مقصورة لسكن خدامه وكان بصنعا قصر غمدان من بنا الضحاك وكان هيكل الزهرة وهدم في خلافة عثمن بن عفان وكان بالاندلس في الجبل الفارق بين جزيرة الاندلس والارض الكبيرة وهيكل المشتري من بنا ملك وبطرة تنت نظليموس وكان بفرغانة بيت يقال له كاوسان هيكل للشمس بناه بعض ملوك فارس الاول وخربه المعتصم وقد اختلف فيمن بنا هيكل عين شمس وساقص من اخباره ما لم اره مجموعا في كتاب قال ابن وصيف شاه وقد كان الملك منقاوش اذا ركب عملوا بين يديه التماثيل العجيبه فيجتمع الناس ويعجبون من اعمالهم وامر ان يبنا له هيكل للعبادة ويكون له خصوصا وجعل فيه قبة فيها صورة الشمس والكواكب وجعل حولها اصناما وعجايب فكان الملك يركب اليه ويقيم فيه سبعة ايامه وجعل فيه عمودين زبر عليهما تاريخ الوقت الذي عمله فيه وهما باقيان الي اليوم وهو الذي يقال له عين شمس ونقل الي عين شمس كنوزا وجواهر وطلسمات وعقاقير وعجايب ودفنها بها ونواحيها واقام ملكا احدي وستين سنة ومات من الطاعون وقيل من سم وعمل له ناووس في صحرا الغرب وقيل في غربي قوص ودفن معه مصاحف الحكمة والصنعة وتماثيل الذهب والجوهر ومن الذهب المضروب شي كثير ودفن معه تمثال روحاني الشمس من ذهب ملمع وله جناحان من زبرجد وصنم علي صورة امراته وكان يحبها فلما ماتت

امران يجعل صورتها في الهياكل كلها وعمل صورتها من ذهب بدوابنين سود وعليها حلة
من جواهر منظومة وهي جالسة على كرسي وكان يجعلها بين يديه في كل موضع يجلس
فيه يتسلى بذلك عما فقدت هذه الصورة معد تحت رجليه كانما تخاطبه وقال
الحكيم الفاضل احمد بن خليفة في كتاب عيون الانبا في طبقات الاطبا واشتاق
فيثاغورش الى الاجتماع بالكهنة الذين كانوا بمصر فورد اهل مدينة الشمس
المعروفة في زماننا بعين شمس فتقبلوه قبولا كريما وامتحنوه زمانا فلم يجدوا
عليه نقصا ولا تقصيرا فوجهوا به الى كهنة منف كي يبالغوا في امتحانه فقبلوه
على كراهية واستقصوا امتحانه فلم يجدوا عليه معيبا ولا اصابوا له عثرة فبعثوا
به الى اهل ديوسبولس ليمتحنوه فلم يجدوا عليه طريقا ولا الى دحاضه سبيلا
فعرضوا عليه فرايض صعبة كيما يمتنع من قبولها فيدحضوه ويحرموه طلبته
مخالفة لفرايض اليونانيين فتقبل ذلك وقام به فاستد اعجابهم منه وشا
بمصر ورعه حتى بلغ ذكره الى اماسيس ملك مصر فاعطاه سلطانا على
ضحايا الرب وعلى ساير قرابينهم ولم يعط ذلك لغريب قط ويقال انه كانت
للكواكب السبعة السيارة هياكل يحج الناس اليها من ساير اقطار الدنيا وضعها
القدما فجعلوا على اسم كل كوكب هيكلا في ناحية من نواحي الارض وزعموا
ان البيت الاول هو الكعبة وانه ما اوصى ادريس الذي يسمونه هرمس
الاول المثلث ان يحج اليه وزعموا انه زحل والبيت الثاني بيت المريخ
وكان بمدينة صور من الساحل الشامي والبيت الثالث للمشتري وكان
بدمشق بناه جيرون بن سعد بن عاد وموضعه الان جامع بني امية والبيت
الرابع بيت الشمس بمصر ويقال انه من بناه وشتك احد ملوك الطبقة
الاولى من ملوك الفرس وهو المسمى بعين شمس والبيت الخامس بيت الزهرة
وكان بمنبج والبيت السادس بيت عطارد وهو بصيدا من ساحل البحر الشامي
والبيت السابع بيت القمر وكان بحران ويقال انه قلعتها ويسمى المدور ولم
يزل عامرا الى ان خربه التتر ويقال انه كان هو هيكل الصابية الاعظم
وقال شافع بن علي في كتاب عجايب البلدان وعين شمس مدينة صغيرة
مشاهد سورها تحدق بها ويظهر من امرها انها كانت بيت عبادة
وفيها من الاصنام الهايلة العظيمة الشكل من نحيت الحجارة ما يكون طول

الصنم

الصنم نحو ثلثين ذراعا واعضاه على تلك النسبة من العظم وكل هذه الاصنام
قايمة على قواعد وبعضها قاعد على نصبات عجيبة واتقانات محكمة وباب المدينة
موجود الى الان وعلى معظم تلك الحجارة نقشا وصورا على شكل الانسان وغيره من
الحيوان وكتابات كثيرة بالقلم المجهول وقلما ترى حجرا عطلا من كتابة او نقش
او صورة وفي هذه المدينة المسلتان المشهورتان ويسميان مسلتي فرعون
وصفة المسلة قاعدة مربعة طولها عشرة اذرع في مثلها عرضا في نحوها
سمكا قد وضعت على اساس ثابت في الارض ثم اقيم عليها عمود مثلث مخروط
ينيف طوله على ماية ذراع يبتدي من قاعدة يكون قطرها خمسة اذرع وينتهي
الى نقطة وقد لبس راسها بقلنسوة نحاس الى نحو ثلثة اذرع منها كالقمع وقد
تحرزت بالمطر وطول المدة واخضرت وسال من خضرته على بسيط المسلة وكلها
عليها كتابات بذلك القلم وكانت المسلتان قايمتين ثم خربت احداهما وانصدعت
من نصفها لعظم الثقل واخذ النحاس من راسها ان حولها من الاصنام شي كثير
لا يحصى عددها على نصف تلك العظمى او ثلثها وقلما يوجد في هذه المسال
الصغار ما هو قطعة واحدة بل فصوصها بعضها على بعض وقد تهدم اكثرها
وانما بقيت قواعدها وقال محمد بن ابراهيم الجزري في تاريخه في رابع شهر
رمضان يعني من سنة ست وخمسين وستماية وقعت احدى مسلتي فرعون
التي بارض المطرية من ضواحي القاهرة فوجد داخلها ما يقارب مايتي
قنطار من نحاس واخذ من راسها عشرة الاف دينار ويقال ان عين
شمس بناها الوليد بن دومع من الملوك العماليق وقيل بناها الوليد
بن الريان وكانت سرير ملكه والفرس تزعم ان هوشنك بناها ويقال
طول العمودين ماية ذراع وقيل اربعة وثمانون ذراعا وقيل خمسون ذراعا
ويقال ان بخت نصر هو الذي خرب عين شمس لما دخل الى مصر وقال
القضاعي وعين شمس وهي هيكل الشمس بها العمودان اللذان لم ير اعجب
منهما ولا من شانهما طولهما في السما نحو من خمسين ذراعا وهما محمولان
على وجه الارض وبينهما صورة انسان على دابة وعلى راسهما شبه الصومعتين
من نحاس فاذا جا النيل قطر من راسيهما ما تستبينه وتراه منهما واضحا
ينبع حتى يجري من اسافلهما فينبت في اصلهما العوسج وغيره واذا دخلت

الشمس دقيقة من الجدي وهو اقصر يوم في السنة انتهت الي الجنوبي منهما فطلعت
عليه على قمة راسه ثم اذا حلت دقيقة من السرطان وهو اطول يوم في
السنة انتهت الي الشمالي منهما فطلعت على قمة راسه وهما منتهى الميلين وخط
الاستوا في الواسطة منهما ثم خطرت بينهما ذاهبة وجائية سائر السنة
كذا يقول اهل العلم بذلك وقال ابن سعيد في كتاب المغرب
وكانت عين شمس في قديم الزمان عظيمة الطول والعرض متصلة البنا
بمصر القديمة حيث مدينة الفسطاط الان وقال جامع السيرة الطولونية
كان بعين شمس صنم بمقدار الرجل المعتدل الخلق من كدان ابيض محكم الصنعة
يتخيل من استعرضه انه ناطق فوصف لاحمد بن طولون فاشتاق الي رويته
ولما قدم عمرو بن العاص نازل عين شمس وكان جمع القوم حتى فتحها فامله فنهاه
بدوسه عنه وقال ما اراه زال قط الاعزل فركب اليه وكان هذا في سنة
ثمان وخمسين ومائتين وتامله ثم دعا بالقطاعين وامرهم باجتثاثه من
الارض ولم يترك منه شيا ثم قال لبدوسه خازنه ابد وسه من صرف
ما صاحبه فقال انت ايها الامير وعاش بعدها احمد اثنتي عشرة سنة
اميرا وبني العزيز بالله نزار بن المعز قصورا بعين شمس وقال ابو عبيد
البكري عين شمس بفتح الشين واسكان ما بعده بعده سين مهملة غربا معروف
قال محمد بن حبيب عين شمس حيث بني فرعون الشمس الهذا الما اصنيف
واول من سمي هذا الاسم سبا بن يشجب وذكر الكلبي ان شمسا الذين تسموا
به صنم قديم وقال ابن خرداذبه واسطوانتين بعين شمس من ارض مصر من
بقايا اساطين كانت هناك في راس كل اسطوانة طوق من نحاس يقطر
من احدهما ما من تحت الطوق الي نصف الاسطوانة لا يجاوزه ولا ينقطع قطره
ليلا ولا نهارا فموضعه من الاسطوانة اخضر رطب ولا يصل الما الى الارض
وهو من بنا اوشهنك وذكر محمد بن عبد الرحيم في كتاب تحفة الالباب ان
هذا المنار مربع علوه مائة ذراع قطعة واحدة محدد الراس على قاعدة
من حجر وعلى راس المنار غشا من صفر كالذهب فيه صورة انسان على
كرسي قد استقبل المشرق ويخرج من تحت ذلك الغشا الصفر ما يسيل نحو
عشرة اذرع وقد نبت منه شي كالطحلب ولا يبرح لمعان الما على تلك الخضرة

ابدا

ابدا اصيفا وشتا لا ينقطع ولا يصل الي الارض منه شي وبعين شمس عين نوع
كالقضبان يسمي البلسم يتخذ منه دهن البلسان لا يعرف بمكان من الارض الا
هناك وتوكل لحا هذه القضبان يكون له طعم وفيه حرافة وحروفة لذيذة
وبناحية المطرية من حاضرة عين شمس البلسان وهو شجر قصار تسقى من
ما بير هناك وهذه البير يعظمها النصارا وتقصدها وتغتسل بمايها وتستشفي
به ويخرج لاعتصار البلسان اوان ادراكه من قبل السلطان من يتولى ذلك
ويحفظه ويحمل الي الخزانة السلطانية ثم ينقل منه الى قلاع الشام والمارستان
لمعالجة المبرودين ولا يوخذ منه شي الا من خزانة السلطان بعد اخذ مرسوم
بذلك وللملوك النصارى من الحبشة والروم والفرنج فيه غلو عظيم وهم
يتهادونه من صاحب مصر ويرون انه لا يصح عندهم لاحد ان يتنصر الا ان
ينغمس في ما المعمودية ويعتقدون انه لا بد وان يكون في ما المعمودية
شي من دهن البلسان ويسمونه الميرون وكان في القديم اذا وصل من
الشام خبر انتهى الي صاحب عين شمس الي الحصن الذي عرف بقصر الشمع
حيث الان مدينة مصر ثم يرد من الحصن الى مدينة منف حيث كان تخت
الملك وسبب تعظيم النصارى لدهن البلسان ما ذكره في كتاب السيكسار
وهو يشتمل على اخبار النصارى ان المسيح لما اخرجت به امه ومعهما يوسف
النجار من بيت المقدس فرارا من هيرودس ملك اليهود نزلت به اول
موضع من ارض مصر مدينة بسطه في رابع عشر من بشنس فلم يقبلهم اهلها
فنزلوا ظاهرها واقاموا اياما ثم ساروا الى مدينة سمنود وعدوا النيل
الى الغربية ومشوا الى مدينة الاشمونين وكان باعلاها اذ ذاك شكل فرس
من نحاس قايم على اربعة اعمدة فاذا قدم اليها غريب صهل فجاوا ونظروا في
امر القادم فعندما وصلت مريم بالمسيح عليه السلام الى المدينة سقط
الفرس المذكور وتكسر فدخلت به امه وظهرت له عليه السلام في الاشمونين
اية وهو ان خمس جمال محملة زحمتهم في مرورهم فصرخ فيها المسيح
فصارت حجارة ثم انهم ساروا من الاشمونين واقاموا بقرية تسمي فيكس مدة
ايام ثم مضوا الي مدينة تسمي قس وقام وهي التي يقال لها اليوم
القوصية فنطق الشيطان من اجواف الاصنام التي كانت بها وقال

ان امراة اتت ومعها ولدها يريدون ان يخربوا بيوت معابدكم فخرج اليهم مايه
رجل بسلاحهم وطردوهم عن المدينة فمضوا الى ناحية مير في غربي القوصيه
ونزلوا في الموضع الذي يعرف اليوم بدير المحرق واقاموا به ستة اشهر
واياما فراى يوسف النجار في منامه قايلا يخبره بموت هيرودوس ويامره ان
يرجع بالمسيح الى القدس فعاد وامن مير حتى نزلوا حيث الموضع الذي يعرف
اليوم في مدينة مصر بقصر الشمع واقاموا بمغارة تعرف اليوم بكنيسة ابو
سرجة ثم خرجوا منها الى عين شمس فاستراحوا هناك بجوار ما فغسلت
مريم من ذلك الما ثياب المسيح وقد اتسخت وصبت هناك غسالتها
من تلك الاراضي فانبت الله تعالى هنالك البلسان وكان اذ ذاك بالاردن
فانقطع من هناك وبقي بهذه الارض وعمرت هذه البير التي هي الان موجودة
هناك على ذلك الما الذي غسلت منه مريم وبلغني انها الى الان اذا اعتبرت
يوجد ماها عينا جارية في اسفلها فهذا سبب تعظيم النصارى لهذه
البير وللبلسان فانه انما يسقى منها والله سبحانه اعلم

المنصوره

هذه البلده على راس بحر اشموم تجاه ناحية طلخا بناها السلطان الملك الكامل
ناصر الدين محمد بن الملك العادل ابي بكر بن ايوب في سنة ست عشرة وستماية
عندما ملك الفرنج مدينة دمياط فنزل في موضع هذه البلدة وخيم به وبنى
قصرا للسكناه وامر من معه من الامرا والعسكر بالبنا فبني هناك عدة دور
ونصبت الاسواق وادار عليها سورا مما يلي البحر وستره بالالات الحربية والستاير
وسمي هذه المدينة المنصوره ولم يزل بها حتى استرجع مدينة دمياط كما
تقدم ذكره عند ذكر مدينة دمياط من كتابنا هذا فصارت مدينة كبيرة
بها الحمامات والفنادق والاسواق ولما استنقذ الملك الكامل دمياط
من الفرنج ودخل الفرنج الى بلادهم جلس بقصره في المنصوره وبين يديه
اخويه الملك المعظم عيسى صاحب دمشق والملك الاشرف موسى صاحب
بلاد المشرق وعدة من اهله وخواصه فامر الملك الاشرف جاريته فغنت
على عودها

ولما طغى فرعون عكا وقومه ، وجاوا الى مصر ليفسدوا في الارض

اني نحوهم موسى وفي يده العصا ، فاغرقهم في اليم بعضا على بعض
فطرب الاشرف وقال لها يا الله كرري فشق ذلك على الملك الكامل وامر واسكتها
وقال لجاريته غني انت فاخذت العود وغنت

يا اهل دين الكفر قوموا انظروا ، لما قد جرى في وقتنا وتجددا
اعباد عيسى ان عيسى وقومه ، وموسى جميعا ينصرون محمدا

وهذا البيت من قصيدة لشرف الدين بن جباره اولها هذا
ابي الوجد الا ان ابيت مسهدا
فاعجب ذلك الملك الكامل وامر لكل من الجاريتين بخمس ماية دينار فنهض
القاضي الاجل الصدر الرييس هبة الله بن محاسن قاضي غزة وكان من
جملة الجلسا على قدميه وانشد

هنيا فان السعد جا مخلدا ،
وقد انجز الرحمن بالنصر موعدا ،
حبانا اله الخلق فتحا لنا بدا ،
مبينا وانعاما وعزا مويدا ،
تهلل وجه الارض بعد قطوبه ،
واصبح وجه الشرك بالظلم اسودا ،
ولما طغى البحر الخضم باهله ،
الطغاة واضحى بالمراكب مزبدا ،
اقام لهذا الدين من سل عزمه ،
صقيلا كما سل الحسام المهندا ،
فلم ينج الا كل شلو مجدل ،
ثوى منهم او من تراه مقيدا ،
ونادى لسان الكون في الارض رافعا ،
عقيرته في الخافقين ومنشدا ،
اعباد عيسى ان عيسى وحزبه ،
وموسى جميعا ينصرون محمدا ،

فكانت هذه الليلة بالمنصوره من احسن ليلة مرت لملك من الملوك

وكان عند انشاده بشر اذا ل عيسي الي عيسي المعظم واذا ل موسي الي موسي
الاشرف واذا ل محمد الي السلطان الملك الكامل وقد قيل ان الذي انشد
هذه الابيات راجح الحلي الشاعر

العباسه

هذه القريه فيما بين بلبيس والصالحيه من ارض السدير لم تزل متنزها
لملوك مصر وبها ولد العباس بن احمد بن طولون فسماه لذلك ابوه العباس
وولد بها ايضا الملك الامجد تقي الدين عباس بن العادل ابي بكر بن ايوب
وكان الملك الكامل محمد بن العادل يقيم بها كثيرا ويقول هذه تقل مصر اذا ه
اقمت بها اصطاد الطير من الما والسمك من الما والوحش من الفضا ويصل
الجنوب ملعبي الي بها وهو يحن وبني بها ادر ومناظر وبساتين وبني امراوه بها
ايضا عدة مساكن في البساتين ولم يزل العباس علي ذلك حتي انشي الملك
الصالح نجم الدين ايوب بن الكامل المنزلة الصلاحية فلاشي حينيذ امر
العباسه وخربت المناظر في سلطنة الملك المعز ايبك فلما كانت سلطنة
الملك الظاهر ركن الدين بيبرس مر علي السدير وهو في الوادي فاعجب به
وبني في موضع اختاره منه جامع وقرية سماها الظاهرية وانشا بها ايضا
جامع وذلك في سنة ست وستين وستمايه وسميت بالعباسة بنت احمد بن
طولون لما حملت الي المعتضد وضربت هناك فساطيطها ثم بنت قريه
فسميت باسمها

ذكر مدينه قفط

هذه المدينه بصعيد مصر عرفت بقفطريم بن قبطيم بن مصرايم بن بيصر
بن حام بن نوح عليه السلام وكانت هذه المدينه في الدهر الاول مدينه
الاقليم وانما بدا خرابها بعد الاربعمايه من تاريخ الهجره واخر ما كان فيها
قبابه باعالي دورها تكون اشارة من ملك من اهلها واخر ما كان فيها بعد
السبعمايه من سني الهجرة اربعا تنشتها للسكر وست معاصر للقصب
ويقال كان فيها ايضا قباب باعالي دورها يكون اشارة من ملك من اهلها
عشرة الاف دينار ان يجعل في داره قبة وبالقرب منها معدن الزمرد
ولم يطل الامن قريب

ذكر قفطريم

ولي الملك بعد ابيه قبطيم قال بن وصيف شاه كان اكبر ولد ابيه وكان
جبارا عظيم الخلق وهو الذي وضع اساسات الاهرام بالدهشور وغيرها

وهو

وهو الذي بنا مدينه دندره ومدينة الاصنام وهلكت عاد بالريح في اخر ايامه واثار من
المعادن ما لم يثيره غيره وكان يجد من الذهب مثل حجر الرحي ومن الزبرجد مثل الاسطوانة
ومن الاسباد سم في صحرا الغرب كالنقلد وعمل من الثلته والعجايب شيا كثيرا وبني منارا
عاليا علي جبل قفط يري منه البحر الشرقي ووجد هناك معدن زيبق فعمل منه تمثالا
كالعمود لا ينحل ولا يذوب وعمل البركة التي سماها صيادة الطير اذا مر عليها طاير
سقط فيها ولم يقدر علي الحركة حتي يوخذ وهذه البركه يقال انها هناك الي الان واما
المنار فسقط وعمل عجايب كثيره وفي ايامه اثار عبادة الاصنام التي كان الطوفان غرقها
وزين الشياطين امرها وعبادتها ويقال انه بني المداين الداخله وعمل فيها عجايب وبني
غربي النيل خلف الواحات الداخله مدنا عمل فيها عجايب كثيره ووكل بها الروحانيين
الذين يمنعون منها فما يستطيع احد ان يدنوا اليها ولا يدخلها الا ان يعمل قرابين لاوليك
الروحانيين واقام قفطريم ملكا اربعمايه وثمانين سنة واكثر العجايب عملت في وقته
ووقت ابنه البودسير ولذلك كان الصعيد اكثر عجايب من اسفل الارض لان حين
قفطريم فيه ولما حضرت قفطريم الوفاه عمل ناووس في الجبل الغربي قرب مدينة
الكهان في سرب تحت الارض معقود علي ازج الي الارض ونقر تحت الجبل دارا واسعة
وجعل دورها خزاين مقفودة وفي سقفها مسارب للرياح وبلط السرب وجميع الدار
بالمرمر وجعل في وسط الدار مجلسا علي ثمانية اركان مصفحا بالزجاج الملون المسبوك
وجعل في سقفه جواهر تسرج وجعل في كل ركن من اركان المجلس تمثالا من الذهب
بيده كالبوق الذي يبوق به وتحت القبة دكة مصفحة بذهب ولها جوان من زبرجد
وفوق الدكة فرش من حرير وجعل عليها جسده بعد ان لطخ بالادوية المجففه ووضع
من جوانبه الات كافور وسد لت عليه ثياب منسوجه بالذهب ووجهه مكشوف
وعلي راسه تاج مكلل وعن جوانب الدكة اربعة تماثيل مجوفات من زجاج مسبوك
في صور النسا بايديهن مراوح من ذهب وعلي صدره من فوق الثياب سيف فاخر قايمه
من زبرجد وجعل في تلك الخزاين من الدخاير وسبايك الذهب والبيجادي والجوهر
وبرابي الحكم واصناف العقاقير والطلسمات ومصاحف العلوم ما لا يحصي كثرة وجعل
علي باب المجلس ديكا من ذهب علي قاعدة من زجاج اخضر منشور الجناحين مزبور
عليه ايات مانعه وجعل علي مدخل كل ازج صورتين من نحاس بايديهما سيفان وقدامهما
بلاطة تحتها لوالب من وطيها ضرباه باسيافهما فقتلاه وفي سقف كل ازج كرة عليها

لطوح مدبر يسرج فيتقد طول الزمان وسد باب الازج بالاساطين المرصصة ورصوا
علي سقف البلاط العظام وردموا فوقها الزمان وذبروا علي باب الازج هذا المدخل
الي جسد الملك العظيم المهيب الكريم الشديد يد قفطريم ذي الايد والفخر والغلبه
والقهر افل نجمه وبقي ذكره وعلمه فلا يصل احد اليه ولا يقدر بحيلة عليه وذلك بعد
سبعمائة وسبعين دورات مضت من السنين وقال المسعودي ومعدن الزمرد
في عمل الصعيد الاعلي من اعلي مدينة قفط ومنها يخرج الي هذا المعدن والموضع
الذي هو فيه يعرف بالخربة وهي مغازة وجبال والبجه تحمي هذا المكان المعروف
بالخربه واليها يودي الحفارات من يرد الي حفر الزمرد ووجدت جماعة من صعيد
مصر من ذوي الدراية ممن اتصلت معرفته بهذا المعدن وعرف هذا النوع من
الجوهر يخبرون انه يكثر ويقل في فصول السنة فيكثر في قوة من مواد الهوى وهبوب
نوع من الرياح الاربع ويقوي الخضرة فيه والشعاع النوري في اوايل الشهر والزيادة
في نور القمر وبين الموضع المعروف بالخربه الذي فيه معدن الزمرد وبين ما اتصل
من العمارة وقرب منه من البلاد مسيرة سبعة ايام وهي قفط وقوص وغيرهما
من صعيد مصر وقوص راكبة النيل وبين النيل وقفط نحو من ميلين ولمدينتي قفط
وقوص اخبار عجيبة في بدو عمارتهما وما كان في ايام القبط من اخبارهما الان مدينة
قفط في هذا الوقت متداعية للخراب وقوص اعمر والناس فيها اكثر وكان بقفط
بربا موكل بها روحاني في صورة جارية سوداء تحمل صبيا اسود صغيرا حكي ايضا
وبيت بها مرارا ومعدن الزمرد في البر المتصل باسوان وكان له فيه ديوان فيه
شهود وكتاب وينفق علي العمال به ويقام بهم المون لحفره واستخراج الزمرد منه وهو
في جبال مرملة يحفر فيه وربما سقط علي الجماعة فماتوا وكانت تجمع ما يخرج منه ويحمل
الي السلطان ومنه يحمل الي البلاد وقد كان الناس يسيرون من قوص الي معدن
الزمرد في ثمانية ايام بالسير المعتدل وكانت البجاة تنزل حوله وقريبا منه
لاجل القيام بحفره وحفظه وهذا المعدن في الجبل الاخذ علي شرقي النيل في بحري
قطعة عظيمة من هذا الجبل تسمى فرشنده وليس فيما هنا لك من الجبال اعلا منه
وهو في منقطع من البر لا عمارة عنده ولا حوله ولا قرب منه مسيرة نصف الله اوازيد
وهو ما يحصل من المطر ويعرف بعين عذيرا عين يكثر بكثرة المطر ويقل بقلته
وهذا المعدن في صدد مغارة طويلة في حجر ابيض يستخرج منه الزمرد وهذا
الحجر

الحجر الابيض ثلثة انواع احدها يقال له طلق كافوري والثاني يقال له طلق فضي
والثالث يقال له حجر جروي ويضرب في هذه الحجارة حتى يخرج الزمرد وهو
كالعروق فيه وانواعه الزيابي وهو اقل من القليل لا يخرج الا في النادر واذا استخرج
القي في الزيت الحار ثم يحط في قطن ويصير ذلك القطن في خرق خام او نحوها وكان
الاحتراز علي هذا المعدن كبيرا جدا وتفتش الفعلة عند الخروج منه كل يوم حتي
تفتش عوراتهم ومع ذلك يختلسون منه بقضا عات لهم في ذلك ولم يزل هذا
المعدن يستخرج منه الزمرد الي ان ابطل العمل منه الوزير الصاحب علم الدين
عبد الله بن زنبور في ايام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون في سنة بضع
وستين وسبعمائة وفي سنة اثنين وسبعين وخمسمائة كانت فتنة كبيرة بمدينة
قفط سببها ان دعيا من بني عبد القوي ادعى انه داود بن العاضد فابعث ابا بكر بن
ايوب علي جيش فقتل من اهل قفط ثلثة الاف وصلبهم علي شجرها ظاهر قفط
بعمائمهم وطيالسهم ؞

؞ ؞ ذكر مدينة دندره

احد مدن الصعيد الاعلي القديمة بناها قفطريم بن قبطيم بن مصرايم بن بيصر
بن حام بن نوح وكان فيها بربا عظيمة فيه مائة وثمانون كوة تدخل الشمس في
كل يوم من كوة حتي تاتي علي اخرها ثم تكر راجعة الي حيث بدات وكانت روحانيتها
الموكلة بها يظهر في صفة انسان له راس اسد بقرنين وكان بها ايضا شجرة
تعرف بشجرة العباس متوسطة واوراقها حصوية مستديرة اذا قال الانسان
عندها يا شجرة العباس جاك الفاس تنضح اوراقها وتحترق لوقتها ثم تعود كما
كانت وبين دندرة وبين قوص بريد واحد وكانت برباء دندرة اعظم من برابا
اخميم ؞

؞ ذكر الواحات الداخلة

الواحات منقطعة وراء الوجه القبلي في معادنيه ولا تعد في الولايات ولا في
الاعمال ولا يحكم عليها من قبل السلطان وال وانما يحكم عليها في الولايات
ولا في الاعمال ولا يحكم الا عليها ولا يحكم عليها من قبل مقطعها وبلاد الواحات بين
مصر والاسكندرية والصعيد والنوبه والحبشه بعضها داخل بعض وهو
بلد متصل بنفسه دون غيره ولا يفتقر الي ما سواه وفي ارضها شبيه وزاجبه
وعيون حامضة الطعم تستعمل كاستعمال الخل وعيون مختلفة الطعوم من
الحامض والقابض والملح ولكل نوع منها منفعة وخاصة وهي علي قسمين

واحات داخله وواحات خارجه جملتها اربع واحات ويقال ان الواحات ولد واحو بلا
بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح وانه شبابن كوش ابوا الحبش وابواسفنتا بن كوش
ابو ازعاده وابو اسحنا بن كوش ابوا الدمدم قال ابن وصيف شاه ويقال ان قفطوم
بني المداين الداخله وعمل فيها عجايب منها الما القايم كالعمود لا يتحلل ولا يبد وب
والبركة التي تسمي بلسطين اي صياده الطير اذا مر عليها طاير سقط فيها ولم يمكنه
ان يبرح منها حتى يوخذ وعمل ايضا عمودا من نحاس عليه صورة طاير اذا قرب
الاسد او الحيات او غيرها من الاشيا المضره من تلك المدينة صفر تصفيرا
عاليا فترجع تلك الدواب هاربة وعمل على اربعة ابواب هذه المدينه اربعة
اصنام من نحاس لا يقترب منها غريب الا التي عليه النوم والسبات فينام عندها
ولا يبرح حتى ياتيه اهل المدينه وينفخون في وجهه فيقوم وان لم يفعلوا ذلك
لا يزال نايما عند الاصنام حتى يهلك وعمل منارا لطيفا من زجاج ملون على
قاعده من نحاس وعلى راس المنار صورة صنم من اخلاط كثيرة وفي يديه كالقوس
كانه يرمي عنها فان عاينه غريب وقف في موضعه ولم يبرح حتى تنحيه اهل
المدينه وكان ذلك الصنم يتوجه الى مهب الرياح الاربع من نفسه ويقال ان هذا
الصنم على حاله الى الان وان الناس تحاموا تلك المدينة على كثرة ما فيها من الكنوز
والعجايب الظاهرة خوفا من ذلك الصنم ان يقطع عين انسان فلا يزال
قايما حتى يتلف وكان بعض الملوك على قلعة فما امكنه وهلك لذلك خلق
كثير ويقال انه عمل في بعض المداين الداخلة مراة يرى فيها جميع ما
يسال الانسان عنه وبنى غربي النيل وخلف الواحات الداخلة مدنا عمل
فيها عجايب كثيرة ووكل الروحانيين بها الذين يمنعون منها فما يستطيع احد ان
يدنوا اليها ولا يحاول دخلها او يعمل قرابين اوليك الروحانيين فيصل اليها حينيذ
وياخذ من كنوزها ما احب من غير مشقة ولا ضرر وبنى الملك صا بن اسياد وقيل
صا بن مرقونس بداخل الواحات مدينة وغرس حولها نخلا كثيرا وكان يسكن منف
وملك الاحياز كلها وعمل عجايب وطلسمات ورد الكهنة الى مراتبهم ونفى الملعبين
واهل الشر ممن كان يصحب ابيساد مرقونس وجعل على اطراف مصر اصحاب اخبار
يرفعون اليه ما يجري في حدودهم وعمل على غربي النيل منابر يوقد عليها اذا
احزنهم امر او قصدهم قاصد وكان لما ملك البلد باسره جمع الحكما اليه ونظر في
نجومه

نجومه وكان بها حاذقا فراى ان بلده لا بد ان تغرق بالطوفان من نيلها وراى انها
تخرب على يد رجل ياتي من الشام فجمع كل فاعل في مصر وبنى في الواح الاقصى
مدينة جعل طول حصنها في الارتفاع خمسين ذراعا واودعها جميع الحكم والاموال
وهي المدينه التي وقع عليها موسى بن نصير في زمن بني امية لما قدم من الغرب
فلما دخل مصر اخذ على الواح الاقصى وكان عنده علم منها فاقام سبعة ايام يسير
في رمال بين الغرب والجنوب فظهرت له مدينة عليها حصن وابواب من حديد
فلم يمكنه فتح الابواب وكان اذا اصعد اليها الرجال وعلوا الحصن واشرفوا على
المدينه القوا انفسهم فيها فلما اعياه امرها مضى وهلك من اصحابه عدة قال
وفي تلك الصحاري كان اكثر متنزهات القوم ومدنهم العجيبة وكنوزهم الا ان الرمال
غلبت عليها ولم يبق بمصر ملك الا وقد عمل للرمل طلسما لدفعه فنفسد تلك الطلسمات
لقدم الزمان قال ولا ينبغي لاحد ان ينكر كثرة بنيانهم ولا مداينهم ولا ما ينسبوه من
الاعلام فقد كان للقوم بطش لم يكن لغيرهم وان اثارهم لبينة مثل الاهرام
والاعلام والاسكندرية وما في صحاري الشرق والجبال المنحوتة التي جعلوا كنوزهم
فيها والاودية المنحوتة ومثل ما بالصعيد من البرابي وما نقشوه عليها من حكمتهم
فلو تعاطى جميع ملوك الارض ان يبنوا مثل الهرمين ما تهيا لهم وكذلك ان ينقشوا
بربا لطال بهم الامد ولم يمكنهم وحكي عن قوم من البنا في صناع الغرب ان
عاملا عندهم عنف بهم ثم قفروا في صحرا الغرب ومعهم زاد الى ان يصلح احوالهم
ويرجعوا فلما كانوا على مسيرة يوم وبعض اخر قد لجوا الى سفح جبل فوجدوا عيرا
اهليا قد خرج من بعض الشعاب فتبعه بعضهم فانتهى الى مساكن واشجار ونخل
ومياه تطرد وقوم هناك يزدرعون ولهم مساكن واشجار ونخل ومياه تطرد فكلمهم هو
واعجب بهم فجا الى صاحبه وقدم بهم على اوليك القوم فسالوهم عن حالهم فاخبروا
واقاموا عندهم حتى صلحت احوالهم وخرجوا لياتوا باهاليهم ومواشيهم ويقيموا عندهم
فساروا واميره وهم لا يعرفون الطريق ولا ينتابي لهم العود فاسفوا على ما فاتهم وضل
قوم اخرون عن الطريق في الغرب فوقعوا على مدينة عامرة كثيرة الناس والمواشي
والنخل والشجر فاضافوهم واطعموهم وسقوهم وباتوا في طاحونه فسكروا من
الشراب وناموا فلم ينتبهوا الا من حر الشمس فاذاهم في مدينة خراب ليس فيها
احد فخافوا وخرجوا فظلوا يومهم سايرين الى المسا فظهرت لهم مدينة اكبر من

الاولى واعمر واكثر اهلا وشجرا ومواشي فانسوا بهم واخبروهم بخبر المدينة الاولى فجعلوا
يعجبون منهم ويضحكون وانطلقوا بهم الى وليمة لبعض اهل المدينة فاكلوا وشربوا
وعشوهم حتى سكروا فلما كان من الغد انتبهوا فاذا هم في مدينة عظيمة ليس فيها
احد وحولها نخل قد نشا فطلعوا وتكدس تحت جوانبهم تجدون ريح الشراب ومعاني
الخمر فساروا يوما الى المسا واذا راع يرعى غنما فسالوه عن الطريق فدلهم فساروا
بعض يوم من الغد فوصلوا مدينة الاشمونين بالصعيد قال وهذه مدائن القوم
الداخلة القديمة قد غلب عليها الجان وهنا ماستره عن العيون فلا ينظر اليها
احد وقال ابن البودسير بن قفطريم بن قبطيم بن مصرايم بن بيصر بن حام بن
نوح في ايامه بنيت بصحرا الغرب منابر ومتنزهات وحول اليها جماعة من اهل
بيته فعمروا تلك النواحي وبنوا فيها حتى صارت ارض الغرب عمارة كلها واقامت
على ذلك مدة كثيرة فخالطهم البربر ونكحوا منهم ثم تحاسدوا وكانت بينهم حروب
خربت فيها تلك الجهات وبادت الابنية منها ولم تسمى الواحات

ذكر مدينة سنترية

ومدينة سنترية من جملة الواحات بناها ابن منابنوش بابي مدينة اخميم كان
احد ملوك القبط القدما قال بن وصيف شاه وكان في حرم ابيه وحنكته
فعظم في عين اهل مصر وهو اول من عمل الميدان وامر اصحابه برياضة انفسهم
فيه واول من عمل البيمارستان لعلاج المرضى والزمنا واودعه العقاقير ورتب
فيه الاطبا واجرى عليهم ما يسعهم واقام الامنا على ذلك وصنع لنفسه عيدا
فكان الناس يجتمعون اليه فيه وسماه عيد الملك في يوم من السنة فياكلون
ويشربون وهم وهو يشرف عليهم من عمد قد طوقت بالذهب والبسه فاخر
الثياب المنسوجة بالذهب وعليه قبة مصفحة من داخل بالرخام والزجاج
والذهب وفي ايامه بنيت سنترية في صحرا الواحات عملها حجرا ابيض مربعة
وفي كل حائط باب في وسطه شارع الى حائط يحاذي له وجعل في كل شارع لبنة
ونسق ابوابا منتهى طرقاتها الى داخل المدينة وفي وسط المدينة ملعب يدور
به من كل ناحية درج سبع وعليه قبة من خشب مدهون على عمد عظيمة
من رخام وفي وسطه منار من رخام عليه صنم من صوان اسود يدور مع الشمس
بدورانها وساير نواحي القبة صور معلقة تصفر وتصيح بلغات مختلفة وكان

الملك

الملك يجلس على الدرجة العالية من الملعب وحوله بنوه وقراباته وابنا الملوك وعلى الدرجة
الثانية روسا الكهنة والوزرا وعلى الثالثة روسا الجيش وعلى الرابعة الفلاسفة والمنجمون
والاطبا وارباب العلوم وعلى الخامسة اصحاب العمارات وعلى السادسة اصحاب المهن
وعلى السابعة العامة فيقال لكل صنف منهم انظروا الى من دونكم ولا تنظروا من
فوقكم فانكم لا تلحقونهم وهذا ضرب من التاديب وقتلته امراته بسكين فمات
وكان ملكه ستين سنة وسنترية الان بلد صغير يسكنه نحو ستمائة رجل من البربر
يعرفون سيبوه ولغتهم تعرف بالسيبوية تقرب من لغة زناتة وبها حدائق
نخل واشجار من زيتون وتين وغير ذلك وكرم كثير وغير ذلك وبها الان نحو
العشرين عينا تنبع بما عذب ومسافتها من الاسكندرية احد عشر يوما ومن
جيزة مصر اربعة عشر يوما وهي دبية يصيب اهلها الحمى كثيرا وتمرها في الجودة غاية
وتعبث الجن باهلها كثيرا وتختطف من انفرد منهم وبها يسمع الجن عزيف الجن

ذكر الواحات الخارجة

بناها احد ملوك القبط الاول ويقال له البودسير بن قفطيم بن قبطيم بن مصرايم
بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام قال بن وصيف شاه وامر البودسير ان
يسير من بالبنطو الى ما هنالك فوقع على ارض واسعة متخرقة بالمياه والعيون
كثيرة العشب فبنى فيها منابر ومتنزهات واقام فيها جماعة من اهل بيته فعمروا
تلك النواحي وبنوا فيها حتى صارت ارض الغرب عمارة كلها واقامت كذلك مدة كبيرة
وخالطهم البربر فتنبوا فنكح بعضهم من بعض ثم انهم تحاسدوا وبغى بعضهم على
بعض وكانت بينهم حروب فخرب ذلك البلد وباد اهله الابنية منازل تسمى
الواحات وقال المسعودي واما بلاد الواحات وهي بين بلاد مصر والاسكندرية
وصعيد مصر والغرب وارض الاحابش من النوبة وغيرهم وبها بلاد وارض تشبه
وزاجية وعيون حامضة وغير ذلك من الطعوم وصاحب الواحات في وقتنا هذا
وهو سنة اثنين وثلثين وثلثمائة عبد الملك بن مروان وهو رجل من نواته الا
انه مرواني الذهب ويركب في الوف من الناس خيلا ونجبا وبينه وبين الاحابش
نحو من ستة ايام وكذلك بينه وبين ساير ما ذكرنا من العمائر هذا المقدار من
المسافة وفي ارضه خواص وعجايب وهو بلد قايم بنفسه غير متصل بغيره ولا

مقتنو اليه ويحمل من ادمنه التمر والزبيب والعناب وحدثني وكيل ابي الشيخ المعمر
حسام الدين عمر بن محمد بن زنكي الشهرزوري انه سمع ببلاد الواحات ان فيها شجرة
نارنج يقطف منها في سنة واحدة اربعة عشر الف حبة نارنجا صفرا سوى ما تناثر
وسوى ما هو اخضر فلم اصدق ذلك لغرابته ونمت حتى شاهدت الشجرة المذكوره
فاذا هي كاعظم ما يكون من شجر الجميز بمصر واكبر وسالت متسلمي البلد عنها فاحضر
الي جرائده حسبانا به ونصفها جني او قطف منها في سنة كذا اقطف من النارنج في
الثلاثية اربع عشر الف حبة نارنج مستوية صفرا سوى ما بقي عليها من الاخضر وسوى
ما تناثر منها وهو صغير وبالواحات الشب الابيض لواد تجاه مدينة ادفوا كان
في زمن الكامل محمد بن العادل ابي بكر وفي زمن ابنه الصالح نجم الدين ايوب على
متطوعي الواحات حمل الف قنطار شب ابيض في سنة الى القاهرة ويطلق لهم
في نظير ذلك جوالي الواحات ثم اهمل هذا ابطل وفي سنة تسع وثلثين وثلثمايه
سار ملك النوبه في جيش عظيم الى الواحات فاوقع باهلها وقتل منهم واسر كثيرا

ذكر مدينة قوص

اعلم ان قوص اعظم مداين الصعيد وهي على النيل بنيت بعد قفط في ايام ملك من
ملوك القبط الاول يقال له شداث بن عديم بن البودسير بن قفطريم بن قبطيم فسميت
باسم قوص بن قفط بن اخميم بن سيفاف بن اتمن بن مصر ولي بن وصيف مناه شداث
بن عديم هو الذي بني الاهرام الدهشوريه من الحجارة التي قطعت في زمان
ابيه وعمل مصاحف النيرنجات وعمل هيكل ازمنت وعمل في المداين الداخلة من
ايضا هيكلا واقام فيه في اتريب وهيكلا في شرقي الاسكندرية وبنى في الجانب
الشرقي مداين وفي ايامه بنيت قوص العالية واسكن فيها قوما من اهل الحكمة واهل
الصناعات وكانت الحبش والسودان تدعا تواتي بلده فاخرج لهم ابنه منقاوش
في جيش عظيم فقتل منهم وسبي واستعبد الذين سباهم فصار ذلك سنة لهم
واقتطع معدن الذهب من ارضهم واقام ذلك السبي يعملون فيه ويحملون الذهب
اليه وهو اول من اصطاد الصيد واتخذ الجوارح وولد الكلاب السلوقية من
البلاد والكلاب الاهلية وعمل من العجايب والطلسمات لكل فن ما لا يحصى كثرة وقال
الادفوي في تاريخ الصعيد ومصر وقوص بجانب العرب حكى بعض المورخين
انها شرعت في العمارة وشرعت قفط في الخراب من سنة اربعماية وقيل انه حضر

حضر

حضر من قاضي قوص فخرج من اسوان اربعماية راكب بغلة الى لقايه وفي شهر رمضان
سنة اثنين وستين وستماية احضر الى الملك الظاهر بيبرس فلوس وجدت مدفونة
بقوص فاخذ منها فلس فاذا على احد وجهيه صورة ملك واقف وفي يده اليمنى
ميزان وفي اليد الاخرى سيف وعلى الوجه الاخر راس فيه اذن كبيرة وعين
مفتوحة وبداير الفلوس كتابة فقراها راهب يوناني فكان تاريخه وقت قراته
الفين وثلثمايه سنه وفيه انا غلبيات الملك اذني مفتوحة لسماع المظلوم وعيني
مفتوحة انظر بها مصالح ملكي وقوص كثيرة العقارب والسام ابرص وبها صنف
من العقارب القتالات حتى انه كان يباع بها اكلته العقارب لانه كان لا يرجى
لمن لسعته حياة واجتمع بها مرة في يوم صايف على حايط الجامع سبعون سام
ابرص صفا واحدا وكان الواحد من اهلها اذا مشي في الصيف ليلا خارج داره
ياخذ باحدى يديه مسرجة تضي له وبالاخرى مشك من حديد يشك به العقارب
ثم انها تلاشت بعد سنة ثمانماية فلما كانت الحوادث والمحن مات بها
سبعة عشر الف انسان في سنة ست وثمانماية وكانت من العمارة بحيث انه
تعطل منها في شرا في البلاد سنة ست وسبعين وسبعمايه ماية وخمسون معلقا
والمعلق عندهم بستان من عشرين فدانا فصاعدا وله ساقية باربعة وجوه
وذلك وهو كثير جدا

ذكر مدينة اسنا

قال الادفوي وذكر ان اسنا في سنة حصل منها سبعين الف اردب تمرا
واثني عشر الف اردب زبيب واسنا يشتمل على مايتا درب ثلثة عشر الف
منزل وقيل انه كان بها في وقت سبعين شاعرا

ذكر مدينة ادفو

ومدينة ادفوا يقال بالدال المهملة ويقال ايضا بالتا المثناة من فوق قال
الادفوي اخبرني الخطيب العدل ابو بكر خطيب ادفوا ان جماعة طرحت
ثلثة شماريخ في كل شمروخ ثمرة واحدة وانه قلع الجمار باصلها فوزنها فجاءت
خمسة وعشرون درهما كلها بجريدها وخشبها وذلك بادفوا ولما كان بعد سنة
سبعماية حفر صناع الطوب فظهرت صورة شخص من حجر شكل امراة متربعة
على كرسي وعليها مثال شبكة وفي ظهر لوح مكتوب بالقلم البرباني رايتها على
هذه الحالة في مدينة ادفوا والله اعلم

اهناس

كورة من كور الصعيد يقال ان عيسى بن مريم عليه السلام ولد بها وان نخلة
مريم عليها السلام التي ذكرت في قوله تعالى وهزي اليك بجذع النخلة تساقط
عليك رطبا جنيا لم تزل باهناس الى اخر ايام بني امية والذي عليه اجماع ان عيسى
عليه السلام انما ولد بقرية بني لحم من مدينة بيت المقدس وباهناس شجر اللبخ

ذكر مدينة البهنسا

هذه المدينة في جهة الغرب من النيل بها تعمل الستور البهنسية وتنسج الطرز والمقاطع
السلطانية والمضارب الكبار والمضارب المخيرة وكان يعمل بها من الستور ما يبلغ
طول الستر الواحد ثلاثون ذراعا وقيمة الزوج مايتا مثقال ذهبا واذا صنع بها
شي من الستور والاكسية والثياب من الصوف او القطن لا بد ان يكون فيها اسم
المتخذ له مكتوبا على ذلك مضوا جيلا بعد جيل وقبط مصر مجمعون على ان المسيح
وامه مريم عليهما السلام كانا بالبهنسا انتقل عنها الى القدس وقال بعض
المفسرين في قوله تعالى عن المسيح وامه واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين
الربوة البهنسا وهذه المدينة بناها ملك من القبط يقال له مناوش
بن منقاوش قال ابن وصيف شاه واستخلف مناوش الملك وطلب الحكمة
بعد ابيه واستخرج كتبها واكرم اهلها وطلب فيهم الجواهر وطلب الاغراب في عمل
العجايب وكان كل من ملوكهم يجتهد جهده في ان يعمل له غريبة من الاموال والاعمال
لم تعمل لمن كان قبله وتثبت في كتبهم وتزبر على الحجارة في تواريخهم وهو اول من
عبد البقر من اهل مصر وكان السبب في ذلك انه اعتل علة يئس منه فيها
فراى في منامه صورة روحاني عظيم يقول له انه لا يخرجك من علتك الا
عبادتك البقر لان الطالع كان وقت حلولها بك صورة ثور بقرنين فتفعل ذلك
وامر باخذ ثور ابلق حسن الصورة وعمل له مجلسا في قصره وسقفه بقبة مذهبة
فكان يبخره ويطيب موضعه ووكل به سادنا يقوم به ويكنس تحته ويعبده سرا
من اهل مملكته فبرا من علته وهو اول من عمل العجل في علته فكان يركب عليها
البيوت من فوقها قباب الخشب وعمل ذلك مع من احب من نسائه وخدمه
الى المواضع والمنتزهات وكانت البقرة تجره فاذا امر بمكان نزه اقام فيه واذا امر
بمكان خراب امر بعمارته فيقال انه نظر الى ثور من البقر التي تجر عجلته ابلق

حسن

حسن الشية فامر بتوقيره وسوقه بين يديه اعجابا به وجعل عليه جلا من ديباج
فلما كان في يوم وقد خلا في موضع صار اليه وقد انفرد عن عبيده وخدمه
والثور قايم اذ خاطبه الثور وقال له لو ردتني الملك عن السير معه وجعلني في
هيكل وعبدني وامر اهل مملكته بعبادتي كفيته جميع ما يريد وعاونته على امره
وقويته في ملكه وازلت عنه جميع علله فارتاع لذلك وامر بالثور فغسل ونظف
وطيب وادخل في هيكل وامر بعبادته واقام ذلك الثور يعبد مدة وصار فيه
انه وهو انه لا يبول ولا يروث ولا ياكل الا اطراف ورق القصب الاخضر في كل
شهر مرة فافتتن الناس به وصار ذلك اصلا لعبادة البقر وبنى مواضع
كنز فيها كنوزا واقام عليها اعلاما واقام في صحرا الغرب مدينة يقال لها دعاس
واقام فيها منارا ودفن حولها كنوزا وقالت ان هذه المدينة قايمة وان قوما
حادوا بها من نواحي الغرب وقد اضلوا الطريق فسمعوا بها عزيف الجن وراوا ضوا
تراي بها وفي بعض كتبهم ان ذلك الثور بعد مدة من عبادتهم له امرهم ان
يعملوا صورته من ذهب اجوف ويوخذ من راسه شعرات ومن ذنبه
ومن نحاته قرونه واظلافه ويجعل في التمثال المذكور وعرفهم انه يلحق بعالمه
وامرهم ان يجعلوا جسده في جرن من حجر احمر ويدفن في الهيكل وينصب
تمثاله عليه وزحل في شرفه والشمس تنظر اليه من تثليث والقمر زايدا
في النور ونقش على التمثال علامات الكواكب السبعة ففعلوا ذلك وكللوه
بجميع الاصناف من الجواهر وجعلوا عينيه جزعتين وغرسوا في الهيكل
عليه شجرة بعد ما دفنوه في الجرن الاحمر وبنوا منارا طوله ثمانون ذراعا
على راسه قبة تتلون كل يوم لونا حتى يمضي سبعة ايام ثم تعود الى اللون
الاول وكسوا الهيكل الوان الثياب وسقوا نهرا من النيل الى الهيكل وجعل
حوله طلسمات روسها روس القرود على ابدان الناس كل واحد منها لدفع مضرة
او جلب منفعة واقام عند الهيكل اربعة اصنام على اربعة ابواب ودفن تحت
كل صنم صنفا من الكنوز وكتب عليها قربانها وبخورها واسكنها السحرة
فكانت تعرف بمدينة السحرة وفيها كانت اصناف السحر تخرج وهو اول
من عمل النوروز بمصر وفي زمانه بنيت البهنسا واقام بها اسطوانات
وجعل فوقها مجلسا من زجاج اصفر عليه قبة مذهبة اذا طلعت الشمس القت

شعاعها على المدينه ويقال انه ملكهم ثمان مايه وثلثين سنه ودفن في احد
الاهرام الصغار القبليه وقيل في غربي الاشمونين ودفن معه من المال
والجوهر والعجايب شي كثير واصنام الكواكب السبعة التي تحرس الدفين والجبيه
والف سرج ذهبا وفضه وعشرة الاف جام وعضادة من ذهب وفضة وزجاج
والف غفار لعيون الاعمال وزبر عليه اسمه ومدة ملكه ووقت موته وفي
سنه اربع وثلثين وسبعمايه ظهر بالاشمونين في واد بين جبلين فسا في
بربعه مملوه ماعذبا صافيا فمشى بحص على حافته طول يوم وليله فلم يبلغ اخرها
ويقال ايضا من عمل سور يدبا بين الاهرام ليكون عدة لما كانوا يتوقعوه من
حدوث طوفان مادي فردم هذا الوادي بعد ذلك خوفا من تلاف الناس يقول
الشيخ الامام محمد بن احمد الغرناطي حدثني علي بن حسن بن خالد الشعبري
ثلث مرات لم يختلف علي قوله فيها قال حدثني رجل من زراع الساكنين بكورة
البهنسا قال خرجت انا ورفيق لي نرتاد البلاد ونطلب الرزق في الارض وذلك
بعد سنة عشر وستمايه فقطعنا الجبل الغربي من ناحية البهنسا وسرنا متوكلين
على الله عز وجل فاقمنا اياما ونحن نمشي ما بين الغرب والجنوب فوقعنا في واد
كثير الشجر والنبات والما والكلا ليس فيه انيس وهو واد واسع في الطول
والعرض نحو يوم في الطول ونحو يوم في العرض كله اعين وبساتين نخل
وزيتون كثير الابل والمعز والديب والضبع به كثير والابل به متوحشة
وكذلك المعز قد صارت به وحشيه بعد ان كانت انسيه وليس بالوادي
لا رايح ولا غادي من الناس قال واخبرني انهم قاموا بالوادي نحو من
شهرين او ثلثه وانهم راوا في وسط الوادي مدينة حصينه منيعة عالية
السور شامخة القصور فلما دنوا من سورها سمعوا ضجيجا عظيما واصواتا
مهولة مخوفه ودخان يرتفع الى جو السما حتى يغطي سور المدينة وجميع
ما فيها وان تلك الابل الوحشية عدت على رواحلهم الانسيه فاذتها وقتلتها فحيل
عند ذلك الرجلين الفرار من خيل وقتلوا اسبابا كاواسرا كا وحبالا من ليف النخل
وتصيدوا من ذلك الابل وقتلوا حوضا وطفروا اقنافا من الخوص وملوها
تمر الزادهم وذللوا من تلك الابل الوحشيه مكان رواحلهم وعوضا منها
وركبوها متوحشين نحو الشرق وحملوا معهم من الجرايد اعني جريد النخل ما
يعرفون

يعرفون به الطريق التي بينهم وبينها ويجعلون ذلك امارات لمرهم اليها فكانوا كلما مروا
على شرف جعلوا عليه جريدتين علما حتى وصلوا الى الجبل الغربي من مصر فنزلوا
الى البهنسا فعرفوا قومهم وحملوا باها اليهم فلما علوا اوسط الجبل الغربي وجدوا
كلما فرقوه من جريد النخل على رؤس الاكام مجتمعا في مكان واحد في اعلا الجبل فرجعوا
عند ذلك باهاليهم ومن معهم الى ارض البهنسا وهذا ما حدثني به والله اعلم

ذكر مدينه الاشمونين

كانت من عظام مدن الصعيد يقال انها من بنا اشمون بن مصر بن بيصر بن
حام بن نوح وقال ابن وصيف شاه كان اشمون اعدل ولد ابيه وارغبهم في
صنعة شي وبقي ذكرها وهو الذي بني المجالس المصفحه بالزجاج الملون في
وسط النيل وتقول النبط انه بنى سربا تحت الارض من الاشمونين الى انصنا
تحت النيل وقيل انه حفره وعمله لبناته لانهن كن يمضين الى هيكل الشمس وكان
هذا السرب مبلط الارض والحيطان والسقف بالزجاج الملون وقيل ان
اشمون كان اطول اخوته ملكا وقال اهل الاثر انه ملك ثمان مايه سنه
وان قوم عاد انتزعوا منه الملك بعد ستمايه من ملكه واقاموا تسعين سنه
واستوبوا البلد فانتقلوا الى الدسه من طريق الحجاز الى وادي القرى فعمروها
واتخذوا المنازل والمصانع وسلط الله عليهم الذر فاهلكهم وعاد ملك
مصر الى اشمون وقيل انه عمل على باب الاشمونين اوزه من نحاس
فكان الغريب اذا جا ليدخل المدينه صاحت الاوزه وصفقت بجناحيها فيعلم
به فان احبوا منعوه وان احبوا تركوه وكثرت الحيات في وقته فكان يصيدونها
ويعملون من لحومها ادويه وترياقات ثم ساقوها بسحرهم الى وادي الحيات في
جبال لوبيه ومراقيه فسجنوها هناك وفي تواريخ النصارى ان المسيح
عليه السلام لما قدمت به امه وهو طفل الى ارض مصر نزلت اولا الى
ظاهر مدينة سنطه ثم مضت وعدت النيل الى الجانب الغربي ومضت الى
الاشمونين وكان على اعالي المدينة صورة فرس على اربعة اعمده اذا قدم
غريب صهلت فلما قدم المسيح سقط هذا الفرس وتكسر وقال
في كتاب هروشيش ان اشمون بن قبط اول ملوك المصريين وانه كان
في زمان شالح بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام

بن نوح وان سني الدنيا صارت الى زمان شادوخ الفين وتسعمائة وخمس سنين يكون ذلك بعد الطوفان بستمائة وثلث وستين سنه وبها كانت نزهة الخيل والبغال والحمير وكان يعمل بها الفرش القرمز الذي يشبه الارمني وكان ينزل بارض الاشمونين عدة بطون من بني جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه وكانوا بادية اصحاب شوكة وكان معهم بنو مسلمة بن عبد الملك بن مروان خلفا لهم ومعهم بطن اخر يقال لهم بنو عسكر يقال ان اباهم كان مولى لعبد الملك بن مروان ويزعمون انهم من بني امية صليبة وكان معهم ايضا خلفا لهم بنو خالد بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان ينزلون ارض دلجه عند اشمون

ذكر مدينة اخميم

ضبطها البكري بكسر الهمزة واسكان الخا ثم ميم وبا وميم على بنا افعيل وهي في الجانب الشرقي من النيل والذي بناها منافيوس احد ملوك القبط الاول قيل ابن وصيف شاه كان جلدا محنكا فاستانف العمارة وبني القرى ونصب الاعلام وجمع الحكم ومصاحف الملوك والحكما وعمل العجايب وبني لنفسه مدينة انفرد بها وعمل عليها حصنا ونصب عليه اربعة اعلام في كل ركن من اركانه علم وبين ملك الاعلام ثمانون صنما من نحاس واخلاط في ايديها السلاح وزبر على صدورها اياتها وكان يمنف رجل من اولاد الكهنة من اعلم الناس بالسحر وابصرهم واحذقهم بالطلاسم والسباع وكان يعلم الغلمان السحر فاذا حذقوا علم غيرهم فامر الملك ان يبنى له مدينة ويحول اليها وهي اخميم فملكهم منافيوش ستين واربعين سنة ومات فدفن في الهرم المحاذي لاطفيح ومعه شي كثير من المال والجوهر والانية والتماثيل وزبر عليه اسمه والوقت الذي هلك فيه قال وذكر اهل اخميم ان رجلا اتى من المشرق وكان يلزم البربا وياتي اليه كل يوم بنجور وطوف ويبخر ويطيب صوره في عضادة الباب فيجد تحتها دنانير فياخذه وينصرف ففعل ذلك مدة حتى وشى به غلام له الى عامل البلد فقبض عليه فبذل مالا وخرج عن البلد وكانت بربا اخميم من اعجب البرابي واعظمها فذهبت لحذف ذخايرهم وانهم قضوا على اهل مصر بالطوفان قبل وقته بغرابين لكنهم اختلفوا فيه فقال بعضهم تكون نارا فتحرق جميع ما على وجه الارض وقال اخرون بل يكون ماء فعملوا هذه البرابي قبل الطوفان وكان في هذه

البرابي

البرابي صور الملوك الذين يملكون مصر وكانت مبنية بحجر المرمر وطول كل حجر منها خمسة اذرع في سمك ذراعين وهي سبعة دهاليز سقوفها حجارة طول الحجر منها ثمانية عشر ذراعا في عرض خمسة اذرع مدهون باللازورد وغيره من الاصباغ التي يحسبها الناظر كانما فرغ من الدهان منها وكان كل دهليز منها على اسم كوكب من الكواكب السبعة السيارة وجدران هذه الدهاليز منقوشة بصور مختلفة الهيات والمقادير فيها رموز علم القبط من الكيميا والسيميا والطلسمات والطب والنجوم والهندسة وغير ذلك اودعوها تلك الصور وذكر ابن جبير في رحلته ان طول هذه البربا مايتان وعشرون ذراعا وسعتها مائة وستون ذراعا وانها قايمة على اربعين سارية سوى الحيطان دور كل سارية خمسون شبرا وبين كل ساريتين ثلثون شبرا ورووسها في نهاية العظم كلها منقوشة من اسفلها الى اعلاها ومن راس كل سارية الى الاخرى لوح عظيم من الحجر المنحوت فيها ما ذرعه ستة وخمسون شبرا طولا في عرض عشرة اشبار وارتفاع ثمانية اشبار وسطحها من الالواح الحجارة كانها فرش واحد فيه التصاوير البديعة والاصبغة الغريبة كهيئة الطيور والادميين وغير ذلك في داخلها وخارجها وعرض حايط البربا ثمانية عشر شبرا من حجارة مرصوصة كذا قاله ابن جبير في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ويقال ان ذا النون عرف منها علم الكيميا ولم يزل هذه البربا قايمة الى سنة ثمانين وسبعمائة فخربها رجل من اهل اخميم يعرف بالخطيب كمال الدين ابن ابي بكر بن الخطيب علم الدين علي ونال منها مالا فلم تطل حياته ومات ومن حينيذ تلاشى امر اخميم الى ان خربت وقد ذكر ان روحانية بربا اخميم كانت في هيئة غلام امرد عريان وان قوما دخلوها منذ تتبعهم واخذ بعضهم ضربا وجيعا حتى خرجوا هاربين وحكي مثل ذلك عمن دخل الاهرام ايضا وحكي ان رجلا الصق صورة من صور بربا اخميم شمعا وكان اذا تركها في موضع اجتمعت العقارب اليه واذا وضع الشمعة في تابوت اجتمعت العقارب حوله ويقال انه كان في بربا اخميم شيطان قايم على رجل واحدة وله يد واحدة وقد رفعها الى الهوا وفي جبينته وحواليه كتابة وله احليل ظاهر ملتصق بالحايط وكان يذكر ان من احتال حتى تبعث

في ذلك الاحليل حتي يخرجه من غيران ينكسر ويعلقه على وسطه فانه لا يزال منعطفا الي ان ينزعه ويجامع ما احب ولا ينتشر ما دام تعلقا عليه وان بعض من ولي اخميم اقتلعه فراي منه شيا عجيبا من ذلك وكانت الانطاع تجلب من اخميم ويعمل بها ويقال انه كان بها اثنا عشر الف عريف على السحرة وكان بها شجر اللبخ ويقال ان الذي بني بربا اخميم اسمه ذو امرنا وانه جعل هذه البربا مثالا للامم الخاليه الاتيه بعده وكتب فيها تواريخ الامم والاجيال ومفاخرهم التي يفتخرون بها وصور فيها الانبيا والحكما وكتب فيها من ياتي من الملوك الي اخر الدهر وكان بناه اياها والنسر براس الحمل والنسر عندهم يقيم في كل برج ثلثة الاف سنة قلت والنسر يومنا باخريات برج الجدي فيكون على ذلك لهذه البربا منذ بنيت نحو الثلثماية الف سنة **وذكر** ابو عبد الله محمد بن عبد الرحيم القيسي في كتاب تحفة الالباب ان هذه البربا مربعة من حجارة منحوتة ولها اربعة ابواب يفضي كل باب الي بيت له اربعة ابواب كلها مظلمة ويصعد منها الي بيوت كالغرف على قدرها

ذكر مدينة العقاب

قال المسعودي مدينة العقاب غربي اهرام ابوصير الجيزة على مسيرة خمسة ايام بلياليها تخفي للراكب المجد وقد غور طريقها وعمي المسلك اليها والسمت الذي يؤدي نحوها وفيها عجايب البنيان والجواهر والاموال قال وصيف شاه وكان الوليد بن دومغ العمليقي قد خرج في جيش كثيف يتنقل في البلدان ويقهر ملوكها فلما صار بالشام وجه غلاما له يقال له عون فسار الي مصر وفتحها ثم سار فتلقاه عون ودخل مصر فاستباح اهلها ثم سنح له ان يقف على مصب النيل فخرج في جيش كثيف واستخلف عونا على مصر واقام في غيبته اربعين سنة وان عونا بعد سبع سنين من مسيره تجبر بمصر وادعي انه الملك وانكر ان يكون غلام الوليد وانما هو اخوه وغلب بالسحر وسبا الجواهر فمال الناس اليه ولم يدع امراة من بنات ملوك مصر الا نكحها ولا مالا الا اخذه وقتل صاحبه وهو مع ذلك يكرم الكهنة ويعظم الهياكل فاتفق انه راي الوليد في منامه وهو يقول من امرك ان تتسمي باسم الملك وقد علمت انه من فعل ذلك فقد استحق القتل ونكحت بنات الملوك واخذت الاموال

بغير واجب ثم امر بقيد رمليت زنبا واحميت حتي غلت ونزع ثيابه ليلقيه فيها فاتاه عقاب اختطفه وحلق به في الجو وجعله في هوة على راس جبل تسقط الي واد فيه حماة منتنة فانتبه مرعوبا وقص ذلك على كهنته فقالوا نحن نخصك منه بان نعمل عقابا وتعبده فانه الذي خلصك في نومك فقال اشهد لقد قال لي اعرف لي هذا المقام ولا تنسه فعمل عقابا من ذهب وجعل عينيه جوهرتين ووشحه بالجوهر وعمل له هيكلا لطيفا وارخي عليه ستور الحرير واقبلوا على تبخيره وقربانه حتي نطق لهم فاقبل عون على عبادته ودعا الناس الي ذلك فاجابوه ثم امر فجمع له كل هيكل وصانع بمصر واخرج اصحابه الي صحرا الغرب لطلب ارض سهلة حسنة فاستووا ودخلوا اليها من مواضع صعبة وجبال وعرة بحيث تقرب من مغيض الما هي اليوم الفيوم وكانت مغيضا لما النيل حتي اصلحها يوسف عليه السلام بحجر اللاهون الي الدنيه فخرجوا واقاموا اشهرا يطوفون حتي وجدوا بغيتهم فلم يبق بمصر فاعل ولا مهندس ولا احد له بصر بالبنا وقطع الصخور ونحتها الا وجه به وانفذ الف راحل من الجيش وسبعماية ساحر لمعاونتهم وانفذ معهم الالات والازواد على العجل وطريق هذه العجل الي الفيوم في صحرا الغرب واضحة من خلف الاهرام فلما تكامل له ما اراد من العجل نحت الحجارة خطوا المدينة فرسخين في مثلها وحفروا في الوسط بيرا جعلوا فيه تمثال خنزير من نحاس باخلاط ونصبوه على قاعدة نحاس ووجهه الي الشرق وذلك بطالع بيت زحل واستقامته وسلامته وكان في شرفه وذبحوا خنزيرا ولطخوا التمثال بدمه في وجهه وبخروه بشي من شعره وحشوا جوفه بدمه وشعره وعظامه ولحمه ومرارته وجعلوا في اذنيه من مرارته وحرقوا بقية الخنزير وجعلوه رمادا وجعلوا رماده في تلة من نحاس بين يدي التمثال ونقشوه بايات زحل ثم شقوا في البير من الجهات الاربع في كل جهة سربا الي حيطان المدينة وعملوا على افواهها منافس تجذب الهوا وسدوا البير وعقدوا فوقها قبة على عمد مرتفعة على حيطان المدينة وجعلوا فيها شوارع يتصل كل شارع بباب من ابواب المدينة ووصلوها بالطرقات والمنازل وجعلوا حول القبة تماثيل فرسان من نحاس بايديهم حراب ووجوههم تجاه الابواب وجعلوا اساس المدينة من حجر اسود وفوقه حجر احمر عليه حجر اصفر من فوقه حجر اخضر وفوق الجميع حجر ابيض شف وكلها مبنية بالرصاص المصبوب بين الحجارة وفي قلوبها اعمدة من

بغير واجب

حديد على بنا الاهرام وجعلوا طول حصنها ستين ذراعا في عرض عشرين وعلى راس كل
باب حصن باعلاه عقاب كبير من صفر واخلاط قد نشر جناحيه وهو اجوف وعلى كل ركن
فارس بيده حربه ووجهه الى خارج المدينه وساق الما الى الباب الشرقي يتحدر في
صب الى الباب الغربي ويخرج الى صهاريج وكذلك من الباب الجنوبي الى الشمالي
وثقب للعقاب عقبا نا ذكور او اجلب الرياح الى افواه التماثيل فصار يسمع لها
اصوات هايله ووكل بها ارواحا تمنع الداخل اليها الا ان يكون من اهلها ونصب
العقاب الذي يتعبدله تحت القبه في وسط المدينه على قاعده باربعة اركان
على كل وجه ركن شيطان وجعلها على عمود يديرها وكان العقاب يدور الى الجهات
فيقيم في كل جهة ربع السنه فلما تم ذلك نقل الى المدينة الاموال والجواهر التي
بمصر من عهد الملوك والتماثيل والحكم وتراب الصنعة والعقاقير والسلاح وحول
اليها كبار السحرة والكهنة واصحاب الصنايع والتجار وقسم المساكن بينهم فلا تختلط
اهل صناعة بسواهم وعمل لها ربضا لاصحاب المهن والزراعة وعقد على تلك الانهار
قناطر يمشي اليها الداخل الى المدينه وجعل المائد وحول الربض ونصب
عليها اعلاما وحرسا ثم غرس ورا ذلك مما يتصل بالبريه النخل والكروم وجميع
اصناف الشجر على اقسام مقسومة ومن ورا ذلك كله مزارع الغلات من كل
جهة كل ذلك خوفا من الوليد وبين هذه المدينه وبين منف ثلثه ايام
وكان يخرج اليها ويقيم فيها ثم يعود الى منف وكان لها اربعة اعياد في السنه
وهي الاوقات التي يتحول العقاب فيها فلما تم بعون ذلك اطمان قلبه الى ان وافا
اليه كتاب الوليد من النوبه يامره بحمل الازواد ونصب الاسواق فوجه اليه
في البر والبحر ما اراد وحول اهله ومن اصطفاه من بنات الملوك والكبرا الى
المدينة فلما قرب الوليد خرج اليها وتحصن فيها واستخلف على منف فقدم
الوليد وقد سمع بما فعله عون فغضب وهم ان يبعث اليه بجيش فعرف
بخبر المدينه ومنعتها وخبر السحره فكتب اليه ان يقدم عليه ويحذره من
عاقبة التخلف فاجابه ما على الملك مني مونة ولا تعرض ولا عبث في بلده لاني
عبده وانا له ردو في هذا المكان من كل عدو ياتيه من الغرب ولا اقدر على
المصير اليه لخوفي منه فليقرني الملك بحالي كما صدعا له واوجه اليه ما يلزمني
من خراجه وهدايا ه وبعث اليه باموال جزيله وجوهر نفيس فكف عنه واقام
الوليد

الوليد بمصر حتى مات

ذكر مدينة الفيوم

اعلم ان موضع الفيوم كان مغيض ما النيل فلما ولي يوسف الصديق عليه السلام تدبير
امور مصر عمرها لما سن وصف شانه ثم ملك الريان بن الوليد وهو فرعون يوسف
والقبط تسميه نهراوش فجلس على سرير الملك وكان عظيم الخلق جميل الوجه عاقلا
ممكنا فوعد بالجميل واسقط عن الناس خراج ثلث سنين وفرق المال في الخاص
والعام وملك على البلد رجلا من اهل بيته يقال له اطفين وهو الذي تسميه اهل
الاثر العزيز فامر ان ينصب له في قصر الملك سرير من فضه يجلس عليه ويغدو
ويروح الى باب الملك ويخرج العمال والكتاب بين يديه فكفا نهراوش ما خلفه يستره
وقام بجميع اموره وخلاه للذاته فانغمس نهراوش في لهوه ولم ينظر في عمل ولا ظهر للناس
حينا والبلد عامر وهو لا يسال عن شي وعمل له مجالس من زجاج ملون وحولها ما
فيه اشنا ل مفرطه ويلون بلون وكان اذا وقعت عليه الشمس ظهر له شعاع عجيب
وعملت له عدة متنزهات على عدة ايام السنه وكان كل يوم في موضع منها وكان
له في كل موضع من الانيه والفرش ما ليس لغيره فاتصل بملوك النواحي تشاغله
بلذاته وتدبير اطفين فسار ملك من العماليق يقال له ابوا قابوس بن ماكن يحوم
الى مصر ونزل على حدودها فجهز اليها العزيز جيشا عليه قايد يقال له
بريانس فاقام يحاربه ثلث سنين تظفر به العمليقي فقتله وهدم الاعلام والمصانع
وقوي طمعه في البلد فاجتمع الناس الى قصر الملك واستغاثوا فخرج اليهم وعرض
جيوشه وخرج في ستمائة الف مقاتل سوى الاتباع فالتقوا من ورا الحوف وكان
بينهما قتال شديد فانهزم العمليقي وتبعه نهراوش الى حد والشام وقتل خلقا
من اصحابه واضعف زروعهم واشجارهم وحرق وصلب ونصب اعلاما على الاماكن
التي وصلها وزبر عليها اني لمن تجاوزها وهذا المكان بالمرصاد وقيل انه بلغ الموصل
وضرب على اهل الشام خراجا وبنى عند العريش مدينة لطيفه وحصنها بتلك الناحيه
بالرجال ورجع الى مصر فحشد من جميع الاعلام جنودا واستخلف العزيز وملك الغرب
وخرج في سبعمائة الف ثم داوض البربر وجلا كثيرا منهم وجهز قايدا الى سفن من
ناحية رقوده الى جزاير بياقت فعاث فيها وخرج من ناحية ارض البربر
تفتك وصالح بعضهم على مال حملوه اليه ومضى الى افريقيه وقرطاجنه فصالحوه
على مال ومر حتى بلغ منصب البحر الاخضر الى بحر الروم وهو موضع الاصلاب النحاس

واقام هناك صنما زبر عليه اسمه وتاريخ خروجه وضرب على اهل تلك النواحي الخراج وعدا
الى الارض الكبيرة وسار الى الاندلس لمحاربة ملكها اياما ثم صالحه على مال وان يمنع من
يغزو مصر من ناحيته وانصرف على البحر مشرقا في بلاد البربر فلم يمر بامة الا ودخلت
في طاعته ومر في الجنوب فقتل خلقا وبعث قايدا الى مدينة على البحر الاسود فخرج
اليه ملكها وذكر له حال الديان ومصالحة الملوك له وقال ما بلغنا احد قط وساله
القايد عن البحر هل ركبه احد فقال ما نعهد احدا ركبه وربما اطلت غمام فلا
نرى اياما وقدم الديان فحملوا الهدايا وفاكهة اكثرها الموز وحجارة سودا اذا جعلت
في الماء صارت بيضا ثم صار الملك على امم السودان الى مملكة الدمدم الذين ياكلون
الناس فخرجوا اليه عراة فحاربهم وظفر بهم ومر على البحر المظلم فغشيهم منه غمام
فرجع شمالا حتى انتهى الى تمثال من حجر احمر وفي يده ارجعوا وعلى صدره مزبور ما
ورائي احد فسار الى مدينة النحاس فلم يصل اليها ومضى الى الوادي المظلم فكانوا
يسمعون منه جلبة عظيمة ولا يرون احدا لشدة ظلمته وسار الى وادي الرمل
فراي على عبره اصناما عليها اسما الملوك فاقام عليه صنما زبر عليه اسمه فلما اسكن
الرمل جاز عليه الى الجزاير المتصلة بالبحر الاسود فراي سباعا ياكل بعضها على بعض
فعلم انه لا منفذ له من ورايه فرجع وعدى وادي الرمل ومر بارض العقارب
فهلك بعض اصحابه ودفعوا عن انفسهم اذاها بالرقا وجازها الى مدينة الحكما وتعرف
بمدينة الكنوز فنفروا منه الى الجبل فاقام عليها اياما حتى كاد يهلك جيشه عطشا
فنزل اليه من الجبل رجل من افاضل الحكما وقد لبس شعره جسده فقال له
الملك اين تريد ايها المغرور المحدود له في الاجل المرزوق فوق الكفاية اتعبت
نفسك وجيشك الا اجترات بما تملكه واتكلت على خالقك وربحت الراحة وتركت
العنا والغرر بهذا الحلو فتعجب من قوله وساله عن المانع له عليه وساله عن
موضعهم فقال موضع لا يصل اليه احد ولا بلغه قبلك احد فقال ما عيشكم
فقال من اصول النبات نعيش به ويكفينا اليسير قال فمن اين تشربون قال من
الامطار والثلوج قال فلم هربتم منا قال زهادة في مخالطتكم والا فليس لنا ما نخالطكم
عليه قال فكيف بكم اذا حميت الشمس قال ناوي الى غيران تحت هذا الجبل
قال فهل لكم في مال الحلف لكم قال انما يريد المال اهل الترفه ونحن لا نستعمل منه
شيا استغنا عنه بما اكتفينا به وعندنا منه ما لو رايته لاحتقرت ما عندك قال
فارينه

فارينه فانطلق بنفر من اصحابه الى ارض في سفح جبلهم فيها قضبان ذهب نابتة وارام وديا
لهم في حافتيه حجارة زبرجد وبلور وزجاج فامر نفرا من اصحابه ان يحملوا من كبار تلك
الحجارة ففعلوا وراى الحكيم جماعة الملك يصلون الى صنم يحملونه معهم فسال الملك
الا يقيم بارضهم وخوفه من عبادة الاصنام فودعه وسار فلم يمر بامة الا ترفيه
حتى بلغ النوبة فصالحهم على مال واقام على دنقلة صنما وزبر عليه اسمه ومسيره
وسار يريد مدينة منف وكان اهل كل مدينة من مداين مصر يتلقونه بالفرح
والسرور والرياحين والطيب الى ان بلغ منف فخرج اهلها اليه مع العزيز
باصناف الرياحين والطيب وكان العزيز قد بنى له مجلسا من زجاج ملون وفرشه
باحسن فرش وغرس حوله الاشجار والرياحين وجعل فيه بحرة من زجاج سماني
وفي ارضه شبه السمك من زجاج ابيض فنزل الملك فيه واقام الناس ياكلون
ويشربون اياما كثيرة وتفقد جيشه ففقد منهم سبعين الفا ووجد فيهم
اسرى نيفا وخمسين الفا وكانت مدة غيبته عن مصر في مسيرة هذا احدى
عشرة سنة فلما بلغ الملوك قدومه هابوه واشتد باسه وتجبر وبنى
من الجانب الشرقي قصورا من رخام ونصب عليها اعلاما وامر بالعمارة واصلاح
الجسور واستنباط الاراضي حتى زاد الخراج على مائة الف الف دينار ودخل
الى البلد في ايامه غلام من اهل الشام احتال عليه اخوته وباعوه وكانت
قوافل الشام تعرس بناحية الموقف اليوم فوقف الغلام وينادى عليه
وهو يوسف بن يعقوب بن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم فاشتراه
اطفين العزيز ليهديه الى الملك فلما اتى به قصره راته امراته زليخا وهي ابنة
عمه فقالت اتركه لنا لينفعنا ففعل وكان من امرها ما قصه الله سبحانه
في القران فكانت تكتم حبه حتى غلبت فخلت به وتزينت له وعرفته انها تحبه
وانه ان واتاها على ما تريده منه حبته بمال عظيم فامتنع من ذلك ورامت ان تغلبه
فما زالت تراوده وهو يمتنع عليها الى ان وافا زوجها وراه وهو هارب منها وكان
العزيز عنينا لا ياتي النسا فجعل يوسف يعتذر اليه وقالت اني كنت نايمة
فاتاني يراودني عن نفسي وتبين من شاهد اهلها ان الامر من قبل امراته
فقال ليوسف اعرض عن هذا اي عن اعتذارك وقال لها استغفري لذنبك
وبعد كان خبر اطفين والغلام بلغ الملك وكان نمراوش عاود العكوف على اللهو

والاحتجاب عن الناس واتصل خبر زليخا ويوسف بنسا الخاصة فعيرنها بذلك فدعت
جماعة منهن وصنعت لهن طعاما وشرابا وعملت مجلسين مذهبين وفرشتهما بدباج
اصفر مذهب وارخت عليهما ستور الدبياج وامرت المواشط تزين يوسف واخراجه من
المجلس الذي يحادي المجلس الذي كانت مع النسوة فيه وكان المجلس محاديا للشمس
فاخذته المواشط وتطمن شعره باصناف الجواهر والبسته ثوب دبياج اصفر قد
نسج بدارات حمر مذهبة فيها اطيار صغار خضر بطن ببطانة خضرا ومن تحته غلالة
خضرا وعلى راسه تاج قد نظم بالدر والجوهر واخرجن من تحت الدبياج اطرار شعره
على جبهته وردد ن ذوايبه على صدره وجعلن جمته مكشوفة والتاج محيط بها وفي
اذنيه قرطي جوهر ومن خلف طوق القبا شعر مسبل بين كتفيه منظوم مشبك
بالذهب والجوهر وفي عنقه طوق منظوم بذهب مشبك بجوهر احمر ودر فاخر
وفي وسطه منطقة ذهب فيها كواكب جوهر ملون ولها معاليق منظومة والبسته
خفين ابيضين منقوشين باخضر على نقوش ذهب وجعلن للقبا الذي عليه وشاحا
على كتفه وفرا وزنخوط باسفله وكميه من جوهر اخضر وعفرن صدغيه على خديه
وكحلن عينيه ودفعن اليه مدبه مذهبة شعرها اخضر فلما فرغ النسا من
طعامهن وشربن اتدا قدمت اليهن سكاكين نصبهن من جوهر ليقطعن
بها الفاكهة فبينا هن اخذن اترجا وهن يقطعنه اذ قالت لهن قد بلغني
حديثكن في امري مع عبدي فقلن لها الامر كما بلغك لانك اعلى قدرا من هذا وملكك
يرتفع عن اولاد الملوك بحسنك وشرفك فكيف رضيتين بغلامك قالت لم
يبلغكن الصدق ولا هو عندي بعذا وامات الى المواشط ان يخرجن يوسف
ويرفعن الستور عن المجلس الذي يحادي مجلسها فبرز يوسف منه محاذيا بوجه
لوجه الشمس فاشرق المجلس وما فيه من وجه يوسف واقبل بالمدبة وهي
يروحه فوقف على راس زليخا بيديه عنها فاستقبل النسا برويته وجعلن يقطعن
ايديهن موضع الفاكهة التي كانت معهن ولا يعبن الكلام ذهولا منهن بما يرين
من حسن يوسف فقالت لهن زليخا مالكن قد اشتغلن بحكاعن خطابي بالنظر
الى عبدي فقلن معاذ الله ما هذا عبدك ان هذا الا ملك كريم ولم يبق منهن
امراة الا حاضت وانزلت شهوة من محبته فقالت زليخا عند ذلك فهذا الذي
لمتنني فيه فقلن ما ينبغي لاحد ان يلومك في هذا ومن لامك فقد ظلمك فدونكه

قالت

قالت قد فعلت فابى علي فخاطبنه لي فكانت كل واحدة منهن تخاطبه وتدعوه سرا
الى نفسها وتبذل له وهو يمتنع فاذا ايست منه ان يجيبها لنفسها خاطبته برجعة
زليخا وقالت مولاتك تحبك وانت تكرهها ما ينبغي ان تخالفها فقال لهما الي بذلك من
حاجة فلما راين ذلك اجمعن على اخذه غضبا فقلن لزليخا لا يجوز هذا الكنه ان لم
يفعل ذلك لاسعنه اللذات ولاسجننه وانتزع جميع ما اعطيته فقال يوسف
رب السجن احب الي مما يدعونني اليه فاقسمته بالاهما وكان صنما من زبرجد اخضر
باسم عطارد انه ان لم يفعل ليحلن له ذلك ثم امرت بنزع ثيابه والبسته الصوف
وسالت العزيز حبسه لتزول ما قرفها منه فامر به فحبس وراى الملك في منامه
كان انبا اتاه فقال له ان فلانا وفلانا قد عزما على قتلك يريد صاحبي طعامه
وشرابه فلما اصبح فردهما فاعترفا له وقيل اعترف احدهما وانكر الاخر فامر
بحبسهما وكان اسم صاحب الطعام راسان واسم صاحب الشراب مرطس وكان
يوسف وهو في السجن رووا فايمين فيه وبعدهم الفرح فاخبره صاحب طعام
الملك وصاحب شرابه برويا هما التي قصها الله في كتابه فوقع كما قصه ابو يوسف
وراى الملك والبقرات والسنابل فعرفه الساقي خبر يوسف فمضى اليه فقصها
عليه فلما عاد الى الملك قال جيوني به فقال يوسف ما اخرج او يكشف
امر النسوة اللاتي من اجلهن حبست فكشف عن ذلك واعترفت زليخا
بالقصة ووجه اليه فاخرج وغسل من درن السجن والبس ما يليق بالدخول
على الملوك فلما راه امتلا قلبه من حبه واكبا به وساله عن الرويا بنفسها
كما قال الله في كتابه العزيز فقال الملك ومن يقوم لي بذلك قال انا فخلع عليه
خلع الملوك والبسه تاجا وامر ان يطاف به وركب الجيش معه وتردد الى
قصر الملك وجلس على سرير العزيز واستخلفه الملك على ملكه مكانه وقيل
ان العزيز اطفين كان قد مات فاز وجه امراته وقال لها يوسف هذا اصلح
مما اردته فقالت اعذرني ان زوجي كان عنينا ولم تزل امراة الا صبا فليت
اليك من حسنك وجات سني خصب في مصر فجمع يوسف الغلال وخزنها
واكثر منها فلما جات سني الجدب بدا النيل في النقصان فكان ينقص كل سنة
اكثر من التي قبلها فخط البلد حتى بيع القمح بالمال والجوهر والثياب والدواب
والانية والعقار وكاد اهل مصر يرحلون عنها لولا تدبير يوسف وقحط الشام

ايضا فكان من مجي اخوة يوسف ما قصه الله تعالى ووجه الى ابيه فحمل الى مصر وجمع
اهله وخرج في وجوه اهل مصر تلقاه وادخله على الملك وكان يعقوب مهيبا
فاعظمه الملك وساله عن سنه وصناعته وعبادته فقال سني عشرون ومائة
سنة واما صناعتي فلنا غنم وزرع ننتفع بها واعبد رب العالمين الذي خلقني
وخلقك وهو الاه اباك والاهك والاه كل شي وكان في مجلس الملك كاهن
جليل القدر فقال للملك اني اخاف ان يكون خراب مصر على يد ولد هذا
فقال له الملك فابل لنا خبره فقال الكاهن ليعقوب ارني الهك ايها
الشيخ فقال الهي اعظم من ان يرى قال فانا نرى الهتنا قال ان الهتكم من ذهب
وفضة وحجارة وجوهر ونحاس وخشب مما يعمله بنو ادم وهم عبيدا لالهي لا اله
الا هو العزيز الحكيم قال الكاهن ان كل شي لا تراه العيون ليس بشي فغضب
يعقوب وكذبه وقال ان الله شي لا كالاشيا وهو خالق كل شي لا اله الا هو
قال فصفه لنا قال انما يوصف المخلوق لكنه خالق قديم لم يزل ولا يرى
ولا يرى وقام يعقوب مغضبا فاجلسه الملك وامر الكاهن فكف عنه فقال
الكاهن انا نجد في كتبنا ان خراب مصر يجري على ايدي هولا فقال الملك هذا
يكون في ايامنا قال لا ولا الى مدة كبيرة والصواب ان تقتله الملك ولا يبقي
من ذريته احدا فقال الملك ان كان الامر كما تقول فلا يمكننا ان ندفعه
ولا نقدر على قتل هولا وانزل يعقوب ومن معه بوادي السدير الى ان مات
فحمل الى قرية ابراهيم عليه السلام ودفن عنده وتقال ان نهراوس الملك امن
وكتم ايمانه خوفا من فساد امره واقام ملكا مائة وعشرين سنة وفي وقته
عمل يوسف الفيوم فان اهل مصر كانوا وشوا به الى الملك وقالوا قد كبر ونقص
نفعه فاختبره فقال له اني قد وهبت هذه الناحية لابنتي وكانت مغايض
للماء فدبرها فعملا يوسف واخلد المياه حتى اخرجها وقلع ادغالها وساق
النيل وبنى اللاهون وجعل الماينة تشبه ما موزونا وفرغ منه في شهور
اربعة فعجبوا من حكمته وتقال انه اول من هندس بمصر ومات نهراوس
فخلف ابنه دريموش وتسميه اهل الاثر دارم بن الريان وهو الفرعون
الرابع عندهم فخالف سنة ابيه وكان يوسف خليفته فيقبل منه بعضا
ويخالفه في البعض فمات يوسف في ايامه وله مائة وعشرون سنة فكفن
وحمل

وحمل في تابوت من رخام ودفن في الجانب الغربي فاخصب ونقص الشرقي فحول
اليه فاخصب ونقص الغربي فاتفقوا على انه يجعلوه في الشرقي عاما وفي الغربي
عاما ثم حدث لهم من الراي ان يجعلوا له خلقا وثاقا وشدوا التابوت في
وسط النيل فاخصب الجانبان كلاهما وقال بن عبد الحكم فملكهم الريان
بن الوليد بن دومع وهو صاحب يوسف النبي صلى الله عليه وسلم فلما راي
الملك روياه التي راي وعبرها يوسف ارسل اليه الملك فاخرجه من
السجن قال بن عباس رضي الله عنهما فاتاه الرسول فقال الق عنك ثياب
السجن والبس ثيابا جددا وقم الى الملك فدعا له اهل السجن وهو يوميذ
بن ثلثين سنة فلما اتاه راي غلاما حدثا فقال ايعلم هذا روياي ولا يعلمها
السحرة والكهنة واقعده قدامه وقال له لا تخف قال فلما استنطقه
وسايله عظم في عينيه وجل امره في قلبه فدفع اليه خاتمه وولاه ما خلف بابه
والبسه طوقا من ذهب وثياب حرير واعطاه دابة مسرجة مزينة كدابة الملك
وضرب بالطبل بمصر ان يوسف خليفة الملك وعن عكرمة ان فرعون قال
ليوسف قد سلطتك على مصر غير اني اريد ان اجعل كرسي اطول من كرسيك
باربع اصابع قال يوسف نعم قال فاجلسه على السرير ودخل الملك بيته مع
نسايه وفوض امر مصر كلها اليه فبسبب عبارة رويا الملك ملك يوسف
مصر وعن الليث بن سعد قال حدثني مشيختنا قال لما اشتد الجوع على
اهل مصر فاشتروا الطعام بالذهب حتى لم يجدوا ذهبا فاشتروا بالفضة
حتى لم يجدوا فضة فاشتروا باغنامهم حتى لم يجدوا غنما فلم يزل يبيعهم الطعام
حتى لم يبق لهم ذهب ولا فضة ولا ذهب ولا شاة ولا بقرة في تلك السنين
فاتوه في الثالثة فقالوا له لم يبق لنا الا انفسنا واهلونا وارضونا فاشترى
يوسف ارضهم كلها لفرعون ثم اعطاهم يوسف طعاما يزرعونه على ان لفرعون
الخمس قال وفي ذلك الزمان استنبطت الفيوم وكان سبب ذلك ان
يوسف لما ملك مصر وعظمت منزلته من فرعون وجاوز سنه مائة سنة
قال وزرا الملك له ان يوسف قل علمه وتغير عقله ونفدت حكمته فعنفهم
فرعون ورد عليهم مقالتهم واسا اللفظ لهم فكفوا ثم عاودوه بذلك القول
بعد سنين فقال لهم هلموا ما شئتم من اي شي اختبره به وكان بلد الفيوم

يوميذ يدعا الجونه وانما كانت لمصالة ما الصعيد وفضوله فاجتمع رايهم على ان
تكون هي المحنة التي يمتحنون يوسف بها فقالوا لفرعون سل يوسف ان يصرف ما
الجونه عنها ويخرجون منها فتزداد بلدا الى بلدك وخراجا الى خراجك فدعا يوسف
فقال قد تعلم مكان ابنتي فلانة مني وقد رايت اذا بلغت ان اطلب لها بلدا واني
لم اصب لها الا الجونه وذلك انه بلد بعيد قريب لا يوتى من وجه من الوجوه
الا من غابة او صحرا وكذلك هي ليست توتى من ناحية من النواحي الا من صحرا
او مفازة قال وقد اقطعتها اياها فلا تتركن وجها ولا نظرا الا بلغته فقال
يوسف نعم ايها الملك متى اردت ذلك فابعث الي فاني ان شا الله فاعل قال احبه
الي واوفقه اعجله فاوحى الى يوسف ان تحفر ثلثة خلج خليجا من اعلا الصعيد من
موضع كذا الى موضع كذا وخليجا شرقيا من موضع كذا الى موضع كذا وخليجا غربيا من
موضع كذا الى موضع كذا وخليجا غربيا من موضع كذا الى موضع كذا فوضع يوسف العمال
فحفر خليج المنهى من اعلا اشمون الى اللاهون وامر البنايين ان يحفروا اللاهون
وحفر خليج المنهى وهو الخليج الشرقي وحفر خليجا بقرية يقال لها بنهمت من قرى
الفيوم فصبه في النيل وخرج من الخليج الغربي فصب في صحرا انهمت الى الغرب
فخرج ماها من الخليج الشرقي يصب في النيل وخرج من الخليج الغربي فصب في
صحرا انهمت الى الغرب فلم يبق في الجونه ما ثم ادخلها الفعلة فقطع ما كان فيها من
القصب والطرفا واخرجه منها وكان ذلك ابتدا جري النيل وقد صارت الجونه ارضا
نقية برية وارتفع ما النيل فدخل في راس المنهى فجرى فيه حتى انتهى الى اللاهون
فقطعه الى الفيوم فدخل خليجها فسقاها فصارت لجة من النيل واخرج اليها
الملك ووزراه وكان هذا كله في سبعين يوما فلما نظر اليها الملك قال لوزرايه
اوليك على هذا عمل الف يوم فسميت الفيوم واقامت تزرع كما يزرع غوايط
مصر قال وقد سمعت في استخراج الفيوم غير هذا ان يوسف عليه السلام ملك
مصر وهو ابن ثلثين سنة فاقام يدبرها اربعين سنة فقال اهل مصر قد كبر
يوسف واختلف رايه فعزلوه وقالوا اختر لنفسك من الموات ارضا يقطعها
لنفسك ونصلحها ونعلم رايك فيها فانا راينا من رايك وحسن تدبيرك ما نعلم
انك في زيادة من عقلك رددناك الى ملكك فاعترض البرية في نواحي مصر فاختار
موضع الفيوم فاعطيها فشق اليها خليج المنهى من النيل حتى ادخله الفيوم كلها وفرغ

من

من حفر ذلك كله في سنة قال يزيد بن ابي حبيب وبلغنا انه انما عمل ذلك بالوحي وقوي
على ذلك بكثرة الفعلة والاعوان فنظروا فاذا الذي احياه يوسف من الفيوم لا
يعلمون له بمصر كلها مثلا ولا نظيرا فقالوا ما كان يوسف قط افضل عقلا ولا رايا
ولا تدبيرا منه اليوم فردوا اليه الملك فاقام ستين سنة اخرى تمام مايه
سنة حتى مات وهو ابن ثلثين ومايه سنة قال ثم بلغ يوسف قول وزرا الملك
وانه انما كان ذلك منهم على المحنة منهم له فقال للملك عندي من الحكمة والتدبير
غير ما رايت فقال له الملك وما ذاك قال انزل الفيوم من كل كورة من كور
مصر اهل بيت وامر اهل كل بيت ان يبنوا لانفسهم قرية وكانت قرى الفيوم
على عدد كور مصر فاذا فرغوا من بنا قراهم صيرت لكل قرية من الما بقدر ما
اصير لها من الارض لا يكون في ذلك زيادة ولا نقص واصير لكل قرية شربا
في زمان لا ينالهم الما الا فيه واصير مطاطيا للمرتفع ومرتفعا للمطاطي باوقات
من الساعات في الليل والنهار واصير لها قبضات فلا يقصر باحد دون حقه
ولا يزاد فوق قدره فقال له فرعون هذا من ملكوت السما قال نعم فبدا
يوسف فامر ببنيان القرى وحد لها حدودا وكانت اول قرية عمرت بالفيوم
قرية يقال لها شانه وهي القرية التي كانت تنزلها بنت فرعون ثم امر بحفر الخليج
وبنيان القناطر فلما فرغوا من ذلك استقبل وزن الارض ووزن الما ومن
يوميذ احدثت الهندسة ولم يكن الناس يعرفونها قبل ذلك وكان اول من
قاس النيل بمصر يوسف عليه السلام ووضع مقياسا بمنف قال مولفه وفي
التوراه ان فرعون الزم بني اسرايل البنا وضرب اللبن فبنوا له عدة مدن
محصنة منها فيثوم وعرمسيس قال الشارح هي الفيوم وحرف رمسيس
وفي زمان الريان بن الوليد دخل يعقوب عليه السلام وولده مصر وهم
ثلثه وسبعون نفسا بين رجل وامراة فانزلهم يوسف ما بين عين شمس الى
الفرما وهي ارض بريه نقيه وكان يعقوب لما دنا من مصر ارسل يهوذا الى يوسف
فخرج اليه يوسف فلقيه فالتزمه وبكيا فلما دخل يعقوب على فرعون كلمه وكان
يعقوب شيخا كبيرا حليما حسن الوجه واللحية جهير الصوت فقال له فرعون ايها
الشيخ كم اتى عليك قال عشرون ومايه سنة وكان بمنف ساحر فرعون وقد
وصف صفة يعقوب ويوسف وموسى صلوات الله عليهم في كتبه واخبر

ان خراب مصر وهلاك اهلها يكون على ايديهم ووضع البربابات وصفات من تخرب مصر
على يديه فلما راى يعقوب قام الى مجلسه فكان اول ما ساله عنه ان قال من
تعبد ايها الشيخ قال له يعقوب اعبد الله الاه كل شي فقال كيف تعبد من لا
ترى قال يعقوب انه اعظم واجل من ان يراه احد قال فنحن نرى الهتنا قال
يعقوب ان الهتكم من عمل ايدي بني ادم من يموت ويبلى وان الاهي اعظم وارفع وهو
اقرب الينا من حبل الوريد فقال بين لفرعون هذا الذي يكون هلاكنا على يديه
قال فرعون افي ايامنا او في ايام غيرنا قال ليس في ايامكم ولا في ايام بنيك قال
الملك فهل يجد هذا انما تقضي به الهتكم قال نعم قال فكيف تقدر ان تسال من يريد
الاهه هلاك قومك على يديه فلا تجيبا هذا الكلام وعن كعب ان يعقوب عاش
في ارض مصر سبعة عشر سنة فلما حضرته الوفاة قال ليوسف لا تدفني بمصر واذا
مت فاحملوني وادفنوني في مغارة جبل جبرون وجبرون مسجد ابراهيم الخليل
عليه السلام وبينه وبين بيت المقدس ثمانية عشر ميلا قال فلما مات لطخوه بمر
وصبر وجعلوه في تابوت من ساج وكانوا يفعلون به ذلك اربعين يوما حتى كلم
يوسف فرعون واعلمه ان اباه قد مات وانه ساله ان يقبره في ارض كنعان فاذن
له وخرج معه اشراف اهل مصر حتى دفنه وانصرفوا وقيل قبر يعقوب بمصر
فاقام نحوا من ثلث سنين ثم حمل الى بيت المقدس اوصاهم بذلك عند موته
قال ثم مات الريان بن الوليد فملكهم من بعده ابنه دارم بن الريان وفي زمانه
توفي يوسف عليه السلام فلما حضرته الوفاة قال انكم ستخرجون من ارض مصر
الى ارض ابائكم فاحملوا عظامي معكم فمات فجعلوه في تابوت ودفنوه في احد جانبي
النيل فاخصب الجانب الذي كان فيه واجدب الجانب الاخر فحولوه الى الجانب
الاخر فاخصب الجانب الذي حولوه فيه واجدب الاخر فلما راوا ذلك جمعوا عظامه
فجعلوها في صندوق من حديد وجعلوا السلسلة في السكة والقوا الصندوق
في وسط النيل فاخصب الجانبان جميعا وكان سبب حمل عظام يوسف من مصر
الى الشام ان سارح ابنة اشر بن يعقوب عمرت حتى صارت عجوزا كبيرة ذاهبة
البصر فلما سرى موسى عليه السلام ببني اسرائيل غشيتهم ضبابة حالت بينهم
وبين الطريق ان يبصروه وقيل لموسى لن تجبر الا ومعك عظام يوسف قال ومن
يدري اين موضعه قال العجوز لبسه ذاهبة البصر تركناها في الديار فرجع موسي

فلما

فلما سمعت حسه قالت ما ردك قال امرت ان احمل عظام يوسف قالت ما كنتم لتعبروا
الا وانا معكم قال دليني على عظام يوسف فدلته عليه فاخذ عظام يوسف معه الى
التيه
بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم
احد الاسباط الاثني عشر ولد بارض كنعان من بلاد الشام وراى الاحد عشر كوكبا
والشمس والقمر له ساجدين وعمره سبع عشرة سنة وكاده اخوته على ذلك وباعوه
من قوم مدينيين فصاروا به الى مصر وباعوه لقابد فرعون فاقام في منزله اثني
عشر شهرا ثم راودته امراة العزيز عن نفسه فاعتصم وكذبت عليه الى ان حبس
ومكث في السجن عشر سنين وقيل غير ذلك فلم يزل في السجن الى ان راى الساقي والخباز
ذينك المنامين ففسرهما يوسف وخرجا فنسي الساقي يوسف سنين الى ان راى
الملك البقر والسنابل فذكره وانا نقص عليه الرويا وغيرها فاخرج من السجن
وله حينيذ ثلثون سنة فاستوزره الملك ومن ذلك الوقت والى ان صار يعقوب
الى مصر حينيذ تسع سنين منها سبع سنين من سني الشبع وسنتان من سني
الجوع وكان ليعقوب في السنة التي صار فيها الى مصر مائة سنة وثلثون سنة وكان
اهل بيته حينيذ سبعين نفسا ومنذ صار الى مصر والى ان ولد موسى عليه السلام
مائه وثلثون سنة اخرى ولما مضي له بمصر سبعة عشر سنة توفي وعمره مائة
وسبع واربعون سنة فخاف الاسباط حينيذ مقابلة يوسف اياهم فقالوا له ان
اباك اوصى ان تغفر ذنب اخوتك فانك وهم عبيد الله الاه ابيك فبكى يوسف وقال
لهم لا تحتاجون الى ذلك ووعدهم بخير يمده لهم ومات يوسف وله مائة سنة وعشر
سنين وقيل في خبرنا يوسف عليه السلام مدينة الفيوم انه لما وزر
لفرعون ثلثين سنة عزله فقال لم عزلتني فقال لم اعزلك عن ريبة ولا انس
بركتك ولكن اباي عهد والى الا نولي لنا وزيرا اكثر من ثلثين سنة فانا نخشى
ان نستاصل الوزير حتى يدبر على الملك فقال له يوسف قد علمت نصحي لك حتى
صيرت ديار مصر كلها ملكا لك فاقطعني ارضا تكون لقوتي وقوت اهلي وعشيرتي
فقال له فرعون اختر حيث شيت ما شيت فمشى يوسف في قفار الارض
حتى راى ارض الفيوم وفيها جبل حايل بين النيل وبينها فوزن ما النيل حتى
راي انه قاعتها ركبها النيل فخرق خرقا في ذلك الجبل وساق الما فيه الى الفيوم
نسقي الارض وعمل في جوانب الما لمامه وستين قرية على عدد ايام السنة

وشحنها بالغلات والاقوات التي ازدرعها فكان اذا نقص النيل ووقع الجوع بارض مصر
باع كل يوم ما جمعه في قرية من قرى الفيوم حتى ملك مصر لنفسه كما جمعها للملك
تعظم شان يوسف وكثر ماله فرده الملك بعد مدة الى وزارته وتوفي وهو وزير فاوصى
بخروج جثته الى الارض المقدسة فخرج بها هارون بن افرايم بن يوسف في مائة
الف من بني اسرايل فهزمته الجبابرة فيما بين مصر والشام وهلك اكثر من معه
وعاد بنو اسرايل الى مصر ومعه جثة يوسف عليه السلام ،،

ذكر ما قيل في الفيوم وخلجانه وضياعه

قال اليعقوبي كان يقال في متقدم الايام مصر والفيوم لجلالة الفيوم وكثرة
عمارتها وبها القمح الموصوف وبها يعمل الخيش وحكى المسعودي ان معنى الفيوم
الف يوم وقال القضاعي وهي مدينة دبرها يوسف النبي عليه السلام بالوحي
وكانت ثلثماية وستين ضيعة تمير كل ضيعة منها مصر يوما واحدا وكانت ميرة
مصر لسنة وكانت تروى من اثني عشر ذراعا ولا تستبحر ما زاد على ذلك فان يوسف
عليه السلام اتخذ لهم مجرى وزنه لئلا يدوم لهم دخول الماء فيه وقومه بالحجارة
المنضدة وسماه اللاهون وقال ابن رضوان الفيوم تخزن فيه ماء النيل ويزرع
عليه مرات في السنة حتى انك ترى هذا الماء اذا خلي تغير لون النيل وطعمه
واكثر ما يحس هذه الحال في البحيرة التي تكون ايام القيظ بسفط ونهيا وصاعدا
الى ما يلي الفيوم وهذه حاله تزيد في رداة اهل المدينة ومصر وسيما اذا هبت
ريح الجنوب فان الفيوم في جنوب مدينة مصر على مسافة بعيدة من ارضها
وقال القاضي السعيد ابو الحسن علي بن القاضي المؤتمن ثقة الدولة ابي
عمرو عثمن بن يوسف القرشي المخزومي في كتاب المنهج في علم الخراج وهذه الاعمال
من احسن الاعمال تدبيرا واوسعها ارضا واجودها نظرا وانما غلب على بعضها
الخراب لخلوها من اهلها ولاستيلاء الرمل على كثير من ارضها وقد وقفت على دستور
عمله ابو اسحق ابراهيم بن جعفر بن الحسن بن اسحق لذكر خلجان الاعمال المذكوره
وما عليها من الضياع وقد اوردته هاهنا وان كان منه ما قد دثر ومنه ما
تغيرت اسماوه ومنه ما جهلت مواضعها لدثوره ولكن اوردته ليعلم منه حال
العامر الان ويستضي به من له رغبة في عمارة ما يقدر عليه من الغامر وفي
اراده مصلحة ليعلم ترتيب كل موضع من موضعه ونسخته دستور يشتمل على

كما

ما وضحه الكشف من حال الخلج الامهات بمدينة الفيوم وما لها من المواضع وشرب كل
ضيعة منها ورسمها في السد والفتح والتعديل والتخبير وزمان ذلك عمل في جمادى الاخرة
سنة اثنين وعشرين واربعماية فنبدي بعون الله وحسن توفيقه بذكر حال البحر الاعظم
الذي منه هذا الخليج من البحر الصغير المعروف فنذكر مادته التي صلاحه بصلاح جهتها

خليج الفيوم الاعظم

يصل الماء الى هذا الخليج من البحر الصغير المعروف بالمنهي ذي الحجر اليوسفي وفوهة
هذا البحر عند الجبل المعروف بكرسي الساحرة من اعمال الاشمونين ومنه شرب
بعض الضياع الاشمونية والقيسية والاهناسية وعلى جانبيه ضياع كثيرة
شربها منه وشرب كروم ما له كروم منها قال

الحجر اليوسفي

والحجر اليوسفي جدار مبني بالطوب والحجر المعروف عند المتقدمين بالصاروخ
وهو الجير والزيت وبناه من جهة الشمال الى الجنوب ويتصل من الجنوب
بجدار بناه متصل بنايه على استقامة من الغرب الى الشرق ويحصره ميلان منه
في نهايته وطوله مايتا ذراع بذراع العمل ويتصل بهذا الجدار على طول ما بين
ذراعا منه في جهة الغرب نهاية الجدار الاعظم من الجنوب وفائدة بناء الجدار
الاعظم رد الماء اذا انتهى الى حدود اثني عشر ذراعا الى مدينة الفيوم وطول
ما يتصل منه الجدار الذي من جهة الغرب الى الشرق ثم يتصل بالنيل
ثم ينخفض من حد وحد هذا الميل الى ميل مثله يقابله من جهة الشمال خمسون
ذراعا وبعد ما بين هذين الميلين وهو المنخفض مائة ذراع وعشرة اذرع
ومقدار المنخفض منه اربعة اذرع وهذا المنخفض هو الذي يسد بجسر من
حشيش يسمى لبشا وعرض ما يجري عليه الماء من النيل وهو موضع اللبش
وما قابله الى جهة المشرق اربعون ذراعا وعليه تجري المراكب في وقت النيل
ويحصر موضع اللبش ميلان فايدهما مسك اللبش الثاني ويتصل بهذا الميل
الى جهة الشمال ما طوله ماتان واثنان وسبعون ذراعا ثم يتصل به على نهاية
هذا الطول جدار يمر على استقامة الى جهة المشرق مائة ذراع ثم ينخفض ايضا
من حيث يتصل بهذا الجدار منه طول عشرين ذراعا وقدر المنخفض منه ذراعان
وهذا المنخفض يسد ايضا بجسر حشيش يسمى اللكند وطول بنية الجدار

الى نهايته من جهة الشمال مايه سنه وثلثون ذراعا وشماله هذا طوله منه مبلط وفيه
قناطر مبنيه بالحجر كانت قديما ترد الما الى الفيوم من الخليج القديم الذي عندها السد ورد
اليوم وكان عليها ابواب وعدتها عشر قناطر قديمة فيكون جميع جدار الجدار الاعظم من
نهايته شماله اثنان وسبعون ذراعا بذراع العمل دون الجدار المعوض من الغرب الى
الشرق ويمر هذا الجدار الاعظم من كلتا جنبيه جميعًا حتى يتصل بالجبل فيوجد
تارة في الغيط من الغرب الى الشرق ويمر هذا الجدار الاعظم من كلتا جنبيه جميعا
حتى يتصل بالجبل فيوجد اثاره في الغيط مرورا على غير استقامة وعرضه
مختلف وكلما انتهى الى سطحه قل عرضه وعرض اعلاه مع الظاهر من اسفله
جميعًا ستة عشر ذراعا وفيه منافس يخرج منها الما وهي براح زجاج ملونه
يشبه المينا وازرق سليماني وهو من العجايب الحسنه في عظم البنا واتقانه
لانه من الابنيه اللاحقه بمنارة الاسكندرية وبنا الاهرام نحو ... ان البنا
يمر عليه من عهد يوسف عليه السلام الى هذه الغاية وما يغير عن مستقره
ويدخل الما من هذا البحر في هذا الزمان الى مدينة الفيوم من خليج الاعظم
ما بين ارض الضيعتين المعروفتين بدموشيه واللاهون ومنه شرب هاتين
الضيعتين وغيرهما سيحا ومنه شرب كرومها بالدوالي على اعناق البقر
وان قصر النيل عن الصعود الى سوادها سقيت منه على اعناق البقر وزرعت ثم ينتهي
في الخليج الاعظم الى خليج يعرف

بخليج الاواسي

وليس عليه رسم في سد ولا فتح ولا تعديل وينتهي الى الضيعة المعروفة بسياص
فيملا بركتها وغيرها من البرك وللبرك مقاسم يصل الى كل مقسم منها كفايته ويتعدا
شرب ما عليه وينتهي الى الضيعة المعروفة بالاوسية الكبرى فمنه شربها
من مقسمين لها وبرسمها باب ومنه يشرب نخلها وشجرها وعلى هذا الحد طاحونة
تعمل بالما ثم ينتهي الى ثلث مقاسم اخرها الضيعة المعروفة بمرطينه منها مقسم
لها ومقسم لقبالات عدة والمقسم الثالث يسقي احداجا النخل ويهنا الجي سواقي
وبساتين قد خربت وجميز دابر به وكان لها بيوت في افنية النخل ثم ينتهي الى حي
ماني على ضيعة الاولى ثم ينتهي الى الضيعة المعروفة بالحزبه فيملا بركتها وينتهي
الى ثلث مقاسم في صنعه وفوقه خليج معطل ويشرب من هذه المقاسم عدة ضياع

ثم

ثم ينتهي الما من هذا الخليج الى البطس وهو بنهايته وعلى الخليج الاعظم بعد هذا ابا البيز
شربها منه من افواه لها سيحا فاذا انصب النيل يصب على افواهها برسم صيد السمك
شباك ثم ينتهي الخليج الاعظم على يمنة من يريد الفيوم الى خليج يعرف

بخليج سمسطوس

منه شرب سمسطوس وغيرها وابا البيز كثيره تجاوز الصحرا من الشرق منه ومن قبليه
وهي ما بين هذا الخليج وخليج الاواسي ثم ينتهي الخليج الاعظم ايضا الى

خليج دهاله

ومنه شرب عدة ضياع وعليه يزرع الارز وغيره ثم ينتهي الخليج الاعظم الى ثلث
خلج ثم ينتهي الى

خليج سيطاف

ولهذا الخليج ثلثة ابواب قديمة يوسفية سعة كل باب منها ذراعان بذراع
العمل ويمر فيه الما وينتهي ايضا الى ما بين يوسفيين ورسم هذا الخليج ان يسد
هو وساير المطاطيه على استقبال عشر تخلو من هتور الى سلخه ويفتح على
استقبال كيهك الى عشر بقين منه ثم يسد الى عشر تخلو من طوبه ثم يفتح لليلة
الغطاس الى سلخ طوبه ثم يسد على استقبال امشير الى عشر بقين منه ثم يفتح
لعشر بقين منه الى عشر تخلو من برمهات ثم يفتح الى عشر تخلوا من برموده ثم
يبعد لسنه في موضعه وقد خرب ما على مجريه من الضياع ويشرب منه عدة
ضياع ولهذا الخليج منيض محول تحت الجبل يفيض منه الما في زمان نكابه
ثم ينتهي الخليج الاعظم الى

خليج دلبه

وهو من المطاطيه وحكمه في الفتح والسد والتعديل والتحجير كما تقدم وهو
على يسرة من يريد المدينة وله بابان يوسفيان مبنيان بالحجر سعة كل منهما ذراعان
وربع ومنه شرب عدة ضياع اميهات وغيرها وفي وسطه مغيض لزمان الاستبحار
فتح فيفيض الما الى البركة العظما وفي اقصى هذه البركة ايضا مغيض له
له ابواب تولت انها كانت من حديد فاذا ارادت فتحت الابواب فيمضي
الما الى الخرب وقيل انه يمر الى سنتريس وكان على هذين الخليجين بساتين
وكروم كثيره تشرب على اعناق البقر وينتهي الخليج الاعظم الى

خليج المجنونة

سمي بذلك لعظم ما يصير اليه من الما وحكمه في السد وغيره على ما ذكر ومنه يشرب

ضياع كثيرة وبه نداطواحين واليه يصير فضالات مياه الضياع القبلية والي بركة في اقصي مدينة الفيوم تجاوز الجبل المعروف بابي قطران ويلتقي بما ينصب من فضالات الضياع البحرية به فيه وهي البركة العظمي ثم ينتهي الخليج الاعظم الي

خليج تلالة

وله بابان بوسنيان سعة كل منهما ذراعان وثلثا ذراع وليس فيه رسم سد ولا فتح ولا تعديل ولا تخبر الا في تقصير النيل فانه يجير بحشيش ومنه شرب طوايف المدينة وعدة اراضي وضياع وفيه فوهة خليج البطس الذي تصير اليه مما فضل المياه وفيه ابواب تسد حتي يصعد الما الى اراضي مرتفعة تفتد معلوم واذا حدث بالسد حدث بفسده كانت النفقة عليه من الضياع التي تشرب منه تفتد استحقاقهم ثم ينتهي الخليج الاعظم الى خلجان من جانبيه في قبليه وبحريه ثم ينتهي الي

خليج سموم

وهو علي يمينه من يريد مدينة الفيوم وهو من المطاطيه وله بابان بوسنيان سعة كل منهما ذراعان ونصف وحلمه حكم ما تقدم ومنه شرب طوايف كثيرة وعدة ضياع وينتهي الي اربعة مقاسم بابواب والي الخليج فيه شاذروان ينزل عليه الما وينتهي الخليج الاعظم الي عدة خلجانات تسقي ضياعا كثيرة منها

خليج تنبدود

فيه عين حلوه فاذا سد هذا الخليج سقي منها اراضي ما جاورها وظهرت هذه العين لما عدم الما وحفر هذا الموضع ليعمل بير اظهرت منه هذه العين فاكتفي بها ثم ينتهي الخليج الاعظم الي خلجانات بها شاذروانات ومقاسم قديمة بوسنية لها رسوم في السد والفتح تشرب منه عدة ضياع كثيرة ورسم التراع ان تسد جميعها على استقبال عشرة ايام تخلو من هتور الي سلخه وتفتح علي استقبال كيهك مدة عشرين يوما وتسد لعشر تبقي منه الي الغطاس وتفتح يوم الغطاس الي سلخ طوبه وتسد علي استقبال امشير عشرتين ثم تفتح لعشر تبقي منه الي عشرين من برمهات وتفتح عشرة ايام تخلو من برمودة ثم تعدل فيهم بمجاريها ولهم في التعديل قسم يعطي منه كل ناحية شربها بالعدل بقوانين معروفة عندهم وقد اختصرت اسما الضياع التي ذكرها الخراب اكثرها الان والله اعلم

ذكر فتح الفيوم ومبلغ خراجها

ومما

ومما فيها من المرافق

قال ابن عبد الحكم فلما تم الفتح للمسلمين بعث عمرو بن العاص جرايد الخيل الي القرى التي حولها فاقامت المسلمون سنة لا تعلم المسلمون بمكانها حتي اتاهم رجل فذكرها لهم فارسل عمرو معه ربيعة بن حبيش ابن عرفطة الصدفي فلما سلكوا في المجابة لم يروا شيا فهموا بالانصراف فقال لا تعجلوا سيروا فان كان كذب فما اقدركم علي ما اردتم فلم يسيروا الا قليلا حتي طلع لهم سواد الفيوم فهجموا عليها فلم يكن عندهم قتال فالقوا بايديهم قال ويقال بل خرج مالك بن ناعمة الصدفي وهو صاحب الاشقر علي فرسه ينفض المجابة ولا علم له بما خلفها من الفيوم فلما راي سوادها رجع الي عمرو فاخبره بذلك قال ويقال بل بعث عمرو بن العاص قيس بن الحرث الي الصعيد فسار حتي اتي القيس فنزل بها وبه سميت القيس فراث علي عمرو خبره فقال ربيعة بن حبيش كفيت فركب فرسه فاجاز عليه البحر وكانت انثي فاتاه الخبر ويقال انه اجاز من ناحية الشرقية حتي انتهي الي الفيوم وكان يقال لفرسه الاعمي والله اعلم وقال ابن الكندي في كتاب فضايل مصر ومنها كورة الفيوم وهي بلثمانية وستون قرية دبرت علي عدد ايام السنة لا ينقص عن الري فان قصر النيل في سنة من السنين مار بلد مصر كل يوم قرية وليس في الدنيا بنا بالوحي غير هذه الكورة ولا في الدنيا بلد انفس منه ولا اخصب ولا اكثر خيرا ولا اغزر انهارا ولو قايسنا بانهار الفيوم انهار البصرة ودمشق لكان لنا بذلك الفضل ولقد عد جماعة من اهل العقل والمعرفة مرافق الفيوم وخيرها فاذا هي لا تحصي فتركوا ذلك وعدوا ما فيها من المباح مما ليس عليه مسلك لاحد من مسلم ولا معاهد يستعين به القوي والضعيف فاذا به فوق السبعين صنفا وقال ابن زولاق في كتاب الذيل علي امرا مصر الكندي وعقدت لكافور الاخشيدي الفيوم في هذه السنة نعني سنة بضع وخمسين وثلثماية ستماية الف دينار ونيفا وعشرين الف دينار وقال القاضي الفاضل في كتاب متجددات الحوادث ومن خطه نقلت ان الفيوم بلغت في سنة خمس وثمانين وخمسماية مبلغ ماية الف دينار واثنين وخمسين الف دينار وسبعماية وثلثة دنانير وقال البكري والفيوم معروف هنالك يغل كل يوم الف مثقال ذهبا

مدينة البحيرية

كانت ارضا مقطعة لعشرة من اجناد الحلقة من جملتهم شمس الدين سنقر السعدي فاخذ قطعة من اراضي زراعتها وجعلها اصطبلا لدوابه وخيله فشكاه شركاه الى الملك المنصور قلاوون فساله عن ذلك فقال اريد ان اجعله جامعا تقام فيه الخطبة فاذن له السلطان في ذلك فابتدا عمارته في اخر بابة سنة ثلث وثمانين وستمايه حتى كمل في سنة خمس وثمانين فعمل له السلطان منبرا فاقيمت فيه الجمعة واستمرت الى ايامنا وانشا السعدي حوانيت حول الجامع فلم تزل بيده حتى مات وورثها ابناه غرس الدين خليل وركن الدين عمر فباعوها بعد مدة للامير شيخو العمري فجعلها مما وقفه على الخانكاه والجامع الذي انشاهما بخط صليبة جامع ابن طولون خارج القاهرة فعمرت هذه الارض بعمارة الجامع وسكنها الناس فصارت مدينة من مداين اراضي مصر بحيث بلغت اموال التنازين فيها وترقى سنقر السعدي في الخدم حتى صار من الامرا وولي نقيب المماليك السلطانية وانشا المدرسة السعدية خارج القاهرة قريبا من حدرة البقر فيما بين قلعة الجبل وبركة الفيل في سنة خمس عشرة وسبعماية وبنى ايضا رباطا للنسا وكان شديد الرغبة في العماير محبا للزراعة كثير المال ظاهر النعايم انه اخرج الى طرابلس وبها مات سنة ثمان وعشرين وسبعماية

ذكر تاريخ الخليقة

اعلم انه لما كانت الحوادث لابد من ضبطها وكان لا ينضبط ما بين العصور وبين ازمنة الحوادث الا بالتاريخ المستعمل العام الذي لا ينكره الجماعة او اكثرها وذلك ان التاريخ المجمع عليه لا يكون الا من حادث عظيم يملوا ذكره الاسماع وكانت زيادة ما النيل ونقصانه انما يعتبرها اهل مصر وايامها باشهر القبط وكذلك خراج اراضي مصر انما يحسبون اوقاته بذلك وهكذا زراعات الاراضي انما يعتمدون في اوقاتها ايام الاشهر القبطية عادة سلكوا فيها سبيل اسلافهم واقتفوا مناهج قدمايهم وما برح الناس من قديم الدهر اسرى العوايد احتيج في هذا الكتاب الى ايراد جملة من تواريخ الخليقة ليتبين موقع تاريخ القبط منها فان تذكر ذلك تم الغرض فاقول ان التاريخ عبارة عن يوم ينسب اليه

ما

ما ياتي بعده ويقال ايضا التاريخ عبارة عن مدة معلومة تعد من اول زمن مفروض ليعرف بها الاوقات المحدودة ولا غنا عن التاريخ في جميع الاحوال الدنياوية والامور الدينية ولكل امة من امم البشر تاريخ تحتاج اليه في معاملاتها وفي معرفة اوقات ازمنتها تنفرد به دون غيرها من بقية الامم واول الاوايل القديمة واشهرها هو كون مبدا البشر ولكون اهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس في كيفيته وسياقة التاريخ منه خلاف لا يوجد مثله في التواريخ وكلما يتعلق معرفته بمبدا الخلق واحوال القرون السالفة فانه مختلط بتزويرات واساطير لبعد العهد وعجز المعتني به عن حفظه وقد قال الله جل جلاله الم ياتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله فالاولى ان لا يقبل من ذلك الا ما يشهد به كتاب انزل من عند الله يعتمد على صحته لم يرد فيه نسخ ولا طرقه تبديل او خبر نقله الثقات واذا نظرنا في التاريخ وجدنا فيه بين الامم خلافا كثيرا وسانتلوا عليك من ذلك ما لا اظنك تجده مجموعا في كتاب واقدم من هذا القول ما قيل في مدة بقا الدنيا

ذكر ما قيل في مدة ايام الدنيا ماضيها وباقيها

اعلم ان الناس قد اختلفوا قديما وحديثا في هذه المسالة فقال قوم من القدما الاول بالاكوار والادوار وهم الدهرية وهولاء هم القايلون بعود العوالم كلها على ما كانت عليه بعد الوف من السنين معدودة وهم في ذلك غالطون من جهة طول ادوار النجوم وذلك انهم وجدوا قوما من الهند والفرس قد عملوا ادوارا للنجوم ليصححوا بها في كل وقت مواضع الكواكب فظنوا ان العدد المشترك لجميعها هو عود سني العالم او ايام العالم وانه كلما مضى ذلك العدد عادت جميع الاشيا الى حالتها الاولى وقد وقع في هذا الظن ناس كثير مثل ابي معشر وغيره وتبع هولا خلق وانت تقف على فساد هذا الظن ان كنت تخبر من العدد شيا وذلك انك اذا طلبت عددا مشتركا تعده اعداد معلومة فانك تقدر ان تضع لكل زيج اياما معلومة كالذي وضعه الهند والفرس وهولا حيث جهلوا صورة الحال في هذه الادوار ظنوا انها عدد ايام العالم تنقطع وتشذ وعند هولا ان الدور هو اخذ الكواكب من نقطة وهي سايرة حتى تعود الى تلك النقطة وان الكور هو استيناف الكواكب في مدة ادوارها سيرا

اخر الى ان تعود الى مواضعها مرة بعد اخرى وزعم اهل الهند ان الادوار منحصرة في
انواع خمسة الاول ان الكواكب السيارة في افلاك تداويرها الثاني ادوار مراكز
افلاك التداوير في افلاكها الحاملة الثالث ادوار افلاكها الحاملة في فلك البروج
الرابع ادوار الكواكب الثابتة في فلك البروج الخامس ادوار الفلك المحيط
بالكل حول الاركان الاربعة وهذه الادوار المذكورة منها ما يكون في كل زمان
طويل مرة واحدة ومنها ما يكون في كل زمان قصير مرة واحدة فاقصر هذه الادوار
ادوار الفلك المحيط بالكل حول الاركان الاربعة فانه يدور في كل اربع وعشرين
ساعة دورة واحدة وباقي الادوار يكون في ازمنة اخر اطول من هذه لا حاجة
بنا في هذه المسئلة الى ذكرها والا وادوار الكواكب الثابتة في فلك البروج
يكون في كل ستة وثلثين الف سنة شمسية مرة واحدة وحينئذ تنتقل اوجات
الكواكب وجوزهراتها الى مواضع حضيضها وجوزهراتها وبالعكس يوجب ذلك
عندهم عود العوالم كلها على ما كانت عليه من الاحوال في الزمان والمكان
والاشخاص والاحوال والاوضاع بحيث لا تخالف ذرة واحدة وهم مع ذلك
مختلفون في كمية ما مضى من ايام العوالم وما بقي وقال البراهمة من الهند
في ذلك قولا غريبا وهو على ما حكاه عنهم الاستاذ ابو الريحان محمد بن احمد
البيروني في كتاب القانون المسعودي انهم يسمون الطبيعة باسم ملك يقال
له براهم ويزعمون انه محدث محصور الموت بين مبدا وانتها عمره اكثرها في
مقدار مائة سنة برهموية كل سنة منه ثلثمائة وستون يوما زمان النهار
منها يقدر مدة دوران الافلاك والكواكب لاثارة الكون والفساد وهذه
المدة تقدر ما بين كل اجتماعين للكواكب السبعة في اول برج الحمل باوجاتها
وجوزهراتها ومقدارها اربعة الاف الف سنة وثلثمائة الف الف سنة شمسية
وهو زمان اثني عشر الف دورة للكواكب الثابتة على ان زمان الدورة
الواحدة ثلثمائة الف سنة وستون الف سنة شمسية واسم هذا النهار بلغتهم
الكلبه وزمان الليل عندهم كزمان النهار وفي الليل تسكن المتحركات وتستريح
الطبيعة عن اثارة الكون والفساد ثم تعود في مبدا اليوم الثاني بالحركة والتكوين
فيكون زمان الليل بليلته من سني الناس ثمانية الاف الف سنة ٥
وستمائة الف الف سنة واربعين الف الف سنة فاذا ضربنا ذلك في ثلثمائة
وستين

وستين تبلغ سني ايام السنة البرهموية ثلثة الاف الف الف الف سنة ومائة
الف الف سنة وعشرة الاف الف الف سنة واربعمائة الف الف سنة
شمسية فاذا ضربناها في مائة تبلغ عمر الملك الطبيعي البرهموي من سني
الناس ثلثمائة الف الف سنة واحد عشر الف الف سنة واربعين الف
الف سنة شمسية فاذا تمت هذه السنون بطل العالم عن الحركة والتكوين
ما شاء الله ثم تستانف من جديد على الوضع المذكور ويقسموا زمان النهار المذكور
على تسع وعشرين قطعة منها نوبا ويسموا الخمس عشر قطعة الباقية فصولا وجعلوا
كل نوبة محصورة بين فصلين وكل فصل محصورا بين نوبتين وقدر ازمان
الفصل على النوبة الى تمام النوبة المدة وزمان الفصل هو خمسا الدور والدور
جزء من الف جزء من المدة فاذا قسمنا المدة على الف يحصل زمان الدور اربعة
الاف الف سنة وثلثمائة الف سنة وعشرين الف سنة وزمان النوبة
عندهم احد وسبعون دورا مقدارها من السنين ثلثمائة الف الف سنة
وستة الاف الف سنة وسبعمائة الف سنة وعشرين الف سنة وقد
قسموا الدور ايضا باربع قطع اولها اعظمها وهي مدة الفصل المذكور وثانيها
ثلثة ارباع الفصل ومدتها الف الف سنة ومائتا الف سنة وستة
وتسعون الف سنة وثالثها نصف الفصل ومدتها ثمانمائة الف سنة
واربع وستون الف سنة ورابعها ربع الفصل وهو عشر الدور المذكور
ومدته اربعمائة الف سنة واثنان وثلثون الف سنة ولكل واحدة من
هذه القطع الاربع اسم تعرف به فاسم القطعة الرابعة عندهم كلكال لانهم
يزعمون انهم في زمانها وان الذي مضى من عمر الملك الطبيعي على زعم
حكيمهم الاعظم المسمى عندهم برهمكوبت ثماني سنين وخمسة اشهر واربعة
ايام ونحن الان في نهار اليوم الخامس من الشهر السادس من السنة التاسعة
ومضى من النهار الخامس ست نوب وسبعة فصول وسبعة وعشرون دورا
من النوبة السابعة وثلث قطع من الدور المذكور اعني تسعة اعشاره
ومضى من القطعة الرابعة اعني من اول كلكال الى هلاك سكال عظيم
ملوكهم الواقع في اخر سنة ثمان وثمانين وثلثمائة للاسكندر ثلثة الاف
سنة ومائة سنة وتسع وسبعون سنة وقد انما عرفنا هذا الزمان

عن علم الاهي وقع الينا عن عظما البيانيا المتالهين برواياتهم جيل بعد جيل على ممر الدهور والازمان
وزعموا ان في مبدا كل دورا وفصلا وقطعة ونوبة تجدد دار منة العوالم وتنتقل من حال
الى حال وان الماضي من اول كلحال الى شكحاك ثلثة الاف ومائة وتسع وسبعون
سنة والماضي من النهار المذكور الى اخر سنه ثلث وثمانين وثمانمائه للاسكندر الف
الف سنة وتسع مائة سنه ومائة سنه وتسع وسبعين سنة فيكون الماضي من عمر
الملك الطبيعي الى اخر هذه السنة ستا وعشرين الف الف الف الف سنه وثلثمائة
الف الف الف سنه وسبع واربعين الف سنه ومائة سنه وتسع وسبعين سنة
فيكون الماضي من عمر الملك الطبيعي الى اخر هذه السنه ستا وعشرين الف الف
الف الف واثنين وثلثين الف الف سنه وتسعمائة الف سنه وتسعة واربعين
الف سنه ومائة سنه وتسعا وسبعين سنة فاذا ازدنا عليها الباقي من تاريخ
الاسكندر بعد نقصان السنين المذكوره منه يحصل الماضي من عمر الملك للوقت
المفروض والله اعلم بحقيقة ذلك وقال الخطا والايغر في ذلك قولا اعجب من
قول الهند واغرب على ما نقلته من تاريخ ادوار الانوار وقد لخص هذا القول
من كتب اهل الصين وذلك انهم جعلوا مبادي سنيهم مبنية على ثلثة ادوار الاول
يعرف بالعشري مدته عشر سنين لكل سنة منها اسم تعرف به والثاني يعرف
بالاثناعشري وهو اشهرها وخاصة في بلاد الترك يسمون سنيه باسما حيوانات
بلغتي الخطا والايغر والثالث مركب من الدورين جميعا ومدته ستون سنة
وبه يورخون سني العالم وايامه ويقوم عندهم مقام ايام الاسبوع عند العرب
وغيرها واسم كل سنة منه مركب من اسميها في الدورين وكذلك كل يوم من ايام
السنه ولهذا الدور ثلثة اسما وهي شانكون وجانكون وخاون ويصير بحسبها
مرة اعظم ومرة اوسط ومرة اصغر فيقال دور شانكون الاعظم ودور جونكون
الاوسط ودور خاون الاصغر وبهذه الادوار يعتبرون سني العالم وايامه
وجملتها مائه وثمانون سنة ثم تدور الادوار الثلاثه عليها مرة اخرى واتفق وقوع
مبدا الدور الاعظم في الشهر الاول من سنه ثلث وثلثين وثمانماية ليزدجرد ا
اسمها بلغتهم كاره وبلغة العرب سنة الفار وكان اول دخول فروردين هذه
السنة من سني العرب يوم الخميس وهو بلغتهم سن جن ومن هذا اليوم وعلى
هذا التاريخ يترتب مبادي سنيهم وايامهم في الماضي والمستقبل وشهورهم
اثناعشر

اثناعشر شهرا لكل شهر منها اسم بلغة الخطا وبلغة الايغر لا حاجة بنا هنا الى ذكرها ويقسمون
اليوم بليلته اثني عشر قسما كل قسم منها يقال له جاغ وكل جاغ ثمانية اقسام كل
قسم منها يقال له كه ويقسمون اليوم بليلته ايضا عشرة الاف فنك كل فنك
مائة مينا ويصيب كل جاغ ثمان مائه وثلثه وثلثين فنك وثلث فنك وكل كه مائه
واربعة افناك وسدس فنك ويقسمون كل جاغ الى صورة من الصور الاثني عشر
ومبدا اليوم بليلته عندهم من نصف الليل وفي منتصف جاغ كسكو ويتغير
اول النهار واخره بحسب الطول والقصر من قبل ان كل جاغ ساعتان مستويتان
وفي منتصف النهار منتصف جاغ يوند وهم يكبسون في كل ثلث سنين قمرية شهرا
واحدا يسمونه سيون ليحفظوا بالكبس مبادي سني الشمس في زمان واحد
من سنة اخرى ويكبسون احد عشر شهرا في كل ثلثين سنه قمريه ولا يقع
عندهم شهر الكبس في موضع واحد بعينه من السنة بل يقع في كل موضع منها
وكل شهر عدة ايامه اما ثلثون يوما او تسعة وعشرون يوما ولا يمكن عندهم اكثر
من ثلثة شهور متوالية تامة ولا اكثر من شهرين ناقصين ومبادي شهورهم
يوم الاجتماع ان وقع اجتماع النيرين نهارا فان وقع الاجتماع ليلا كان اول الشهر
في اليوم الذي بعد الاجتماع وزمان السنة الشمسية بحسب ارصادهم ثلثمائه
وخمسة وستون يوما والفان واربعمائة وستة وثلثون فنك والسنة اربعة
وعشرون قسما كل قسم منها خمسة عشر يوما والفان ومائه واربعه وثمانون فنك
وخمسة اسداس فنك ولكل قسم منها من هذه الاقسام اسم وكل ستة اقسام
منها فصل من فصول السنه فاسم اول فصل منها من فصولها [illegible] واوله ابدا
حيث يكون الشمس في ستة عشر درجة من برج الدلو وهذا اوايل كل فصل
انما يكون في حدود [illegible] اواوسط البروج الثابته وكان مدخل [illegible] من اول
الدور الستيني في السنة المذكوره احد عشر يوما وسبعة الاف وستمائه وستين
فنك واسم مدخله في خابني وكان بعد دخول السنة الفارسيه المذكوره بنحو
عشرين يوما وبعد مدخله عن اول الدور في كل سنة بقدر فضل سنة الشمس
على سنه الدور وهو خمسة ايام واربعة وعشرون فنك فان زادت الايام
على ستين يوما كان الباقي بعد [illegible] في تلك السنه عن اول الدور الستيني
ويتفاضل البعد بينهما في كل سنة بقدر فضل سنة الشمس على سنة القمر

التي هي ثلمايه واربعه وخمسون يوما وثلثه الاف وستمايه واثنان وسبعون ثنك ومقدار
الفضل بينهما عشرة ايام وثمانية الاف وسبعماية واربعه وستون ثنك فان زادت
الايام على زمان الشهر القمري الاوسط الذي هو تسعة وعشرون يوما وخمسة الاف
وثلثمايه وستة افنا ك تنقص منها هذا العدد واحتسب بالباقي فاذا عرفت هذا من
حسابهم فاعلم ان عمر العالم عندهم ثلثماية الف الف وستون الف دور كل دور
عشرة الاف سنة مضى من ذلك الى اول سنه ثلث وثلاثين وثمانمائه يزدجرديه
دورسا تكون الاعظم ثمانية الاف وثمان ماية دور وثلاثة وستون دور وتسعة
الاف وسبعماية واربعون سنه فتكون المدة العظمى على هذا ثلثة الاف الف الف
الف الف سنة وستماية الف الف الف ٣ بهذه الصورة ٦٤٤٤٤٤٤٤٥٥٤
٣٤٤ والماضي منها الى السنة المذكورة ثمانيه وثمانون الف الف سنة وستمايه
الف سنة وتسعة وثلثون الف سنه وسبعمايه سنه واربعون سنة بهذه الصورة
٨٨٦٣٩٧٤٥٥٥٤ ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله وانما
ذكرت طرفا من حساب سني البراهمة وطرفا من حساب سني الخطا والايغر المستخرج
من حساب الصين ليعلم المنصف ان ذلك لم يصعد حكماهم عبثا ولامر ما جدع انفه
قصير انفه فكم من جاهل بالتعاليم اذا سمع اقوالهم في مدة سني العالم يبادر الى
تكذيبهم من غير علم بدليلهم عليه وطريق الحق ان يتوقف فيما لا يعلمه حتى يتبين احد
طرفيه فترجحه على الاخر والله يعلم وانتم لا تعلمون وقال اصحاب السند هند
ومعناه الدهر الداهر ان الكواكب واوجاتها وجوزهراتها تجتمع كلها في اول برج الحمل
عند كل اربعة الاف الف سنة وثلثمايه الف الف سنة وعشرين الف الف سنة
شمسيه وهذه مدة سني العالم قالوا واذا اجتمعت براس الحمل فسدت المكونات
الثلاث التي يحويها عالم الكون والفساد المعبر عنه بالحياة الدنيا وهذه المكونات
هي المعدن والنبات والحيوان فاذا فسدت بقي العالم السفلي خرابا دهرا طويلا
الى أن تتفرق الكواكب والأوجات والجوزهرات في بروج الفلك فاذا تفرقت فيها
بدا الكون بعد الفساد فعادت احوال العالم السفلي الى الامر الاول وهذا يكون
عودا بعد بدو الى غير نهاية قالوا ولكل واحد من الكواكب والاوجات والجوزهرات
عند ادوارها في هذه المدة يدل كل دور منها على شي من المكونات كما هو مذكور في
كتبهم

كتبهم مما لا حاجة بنا هاهنا الى ذكره وهذا القول منتزع من قول البراهمة الذي تقدم
ذكره وقال اصحاب الهزارون من قدماء الهند ان كل ثلثماية الف سنه وستين
الف سنه شمسية يهلك العالم باسره ويبقى مثل هذه المدة ثم تعود بعينه ويعقب
المبدل وهكذا ابدا يكون الحال لا الى نهاية قالوا ومضى من ايام العالم المذكورة
الى طوفان نوح ماية الف وثمانون الف سنه شمسيه ومضى من الطوفان الى سنة
الهجرة المحمديه ثلثة الاف وسبعمايه وثلث وعشرون سنة واربعة اشهر وايام
وبقي من سني العالم حتى يبيد ويفنى ماية الف وبضع وسبعون الف سنة شمسيه
اولها تاريخ الهجرة الذي يورخ به اهل الاسلام وقال اصحاب الارجبهر مدة العالم
التي يجتمع فيها الكواكب براس الحمل هي واوجاتها وجوزهراتها جزء من الف جزء من
مدة السند هند وهذا ايضا منتزع من قول البراهمة وقال ابو معشر وابن
نوبخت ان بعض الفرس يرى ان عمر الدنيا اثنا عشر الف سنة بعدة البروج لكل
برج الف سنة وكان ابتدا امر الدنيا في اول الف الحمل لان الحمل والثور والجوزا
تسمى اشرف النسب وينسب الى الاكمل الافضل وفيها يكون الشمس في شرفها ثم في
علوها وطول نهارها وكذلك الدنيا كانت الى ثلثة الاف سنة علويه روحانيه
ظاهرة ولان السرطان والاسد والسنبلة منتقصه فان الشمس تنحط من علوها
في اول دقيقة من السرطان وكان قدر الدنيا وابنايها منحطا في الثلاثة الالاف
الثانيه ولان الميزان اهبط الهبوط وبيرا الاباد وضد البرج الذي فيه شرف
الشمس دل على افة اصابت الدنيا واكتسب اهلها المعصية والميزان والعقرب
والقوس اذا انزلتها الشمس لم تزدد الا انحطاطا والايام الا انتقاصا فلذلك دلت
على البلايا والضيق والشده والشر وحيث يبلغ الالف الى اول الجدي الذي
فيه اول ارتفاع الشمس واشرافها على شرفها وفيه يزداد الايام طولا والدلو والحوت
اللذان يزداد الشمس فيهما صعودا حتى تتصل لشرفها فيدل على ظهور الخير
وضعف الشر وثبات الدين والعقل والعمل بالحق والعدل ومعرفة فضل العلم
والادب في تلك الثلاثة الالاف السنة وما يكون في ذلك فعلى قدر صاحب
الالف والماية والعشرات وعلى حسب اتفاق الكواكب في اول سلطان صاحب
الالف فلا يزال ذلك في زيادة حتى تعود امر الدنيا في اخرها الى مثل ما كان
عليه ابتداها وهي في الف الحمل وكلما تقارب اخر كل الف من هذه الالوف اشتد

الزمان وكثرت البلايا الان اواخر البروج في حدود النحوس وكذلك اخر المبين والعشرات
نعلي هذا الانقضا للدنيا اذ كان الزمان يعود الي الحمل كما بدا اول مرة وزعموا ان ابتدا
الخلق بالتحرك كان والشمس في ابتدا المسير ودار الفلك وجرت المياه وهبت الرياح
وانقدت النيران وتحرك ساير الخلايق بما هم عليه من خير وشر والطالع تلك الساعة
تسع عشر درجة من برج السرطان وفيه المشتري وفي البيت الرابع الذي هو
بيت العاقبة وهو برج الميزان زحل وكان الذنب في القوس والمريخ في الجدي
والزهرة وعطارد في الحوت ووسط برج الحمل وفي اول دقيقة منه الشمس وكان
القمر في الثور وفي بيت السعادة وكان الراس في برج الجوزا وهو بيت الشقا وفي
تلك الدقيقة من الساعة كان استقبال امر الدنيا وكان خيرها وشرها وانحطاطها
وارتفاعها وساير ما فيها على قدر تحادي البروج والنجوم وولاية اصحاب الالوف وغير
ذلك من احوالها فلان المشتري كان في السرطان في شرفه وزحل في الميزان في شرفه
والمريخ والشمس والقمر في اشرافها دلت علي كاينة جليلة وكان نشو العالم وابتدا
رجل تولى الالف هو والميزان وكان المشتري في الطالع مقبولا وكذلك جميع
الكواكب كانت مقبولة تدل على نما العالم وحسن نشوه وكان زحل هو المستولي
والعالي في الفلك والبرج طويل المطالع فطالت اعمار اهل تلك الالف وفنيت
ابدانهم وكثرت مياههم وكون الميزان تحت الارض دل علي خفا اول حدوث
العالم وعلي ان اهل ذلك الزمان ينظرون في عمارة الارضين وتشييد البنيان
ثم ولي الالف الباقي العقرب والمريخ وكان في الطالع المريخ فدل على القتل في
تلك الالف وسفك الدما والسبي والظلم والجور والخوف والهم والاحزان والفسا
وجور الملوك وولي الالف الثالث القوس وشاركه عطارد والزهرة بطلوعهما
وكان الذنب في القوس فدل المشتري علي النجدة في تلك الالف والشدة والجلد
والباس والرياسة والعدل وتقسم الملوك الدنيا وسفك الدما بسبب ذلك
ودلت الزهرة على ظهور بيوت العبادة وعلى الانبيا ودل عطارد على ظهور
العقل والادب والكلام وكون البرج ذا جسدين دل على انقلاب الخير والشر في تلك
الالف مرات وعلى ظهور الوان من ابانات الحق والعدل والجور ثم ولي الالف الرابع
الجدي وكان فيه المريخ فدل على ما كان في تلك الالف من اهراق الدما ودلت
الشمس على ظهور المريخ الخير والعلم ومعرفة الله تعالى وعبادته وطاعته

وطاعة

وطاعة انبيايه والرغبة في الدين مع الشجاعة والجلد وكون البرج منقلبا هو والبرج
الذي فيه الشمس دل على انقلاب ذلك في اخرها وظهور الشر والتفرق والقسم
والقتل وسفك الدما والغصب في اصناف كثيرة وتحول ذلك وتلونه وكون الجدي
مختلطا دل على انه يظهر في اخر تلك الالف الجنس الشبيه بصفة زحل والمريخ
وانقطاع العظما وتوادهم وارتفاع السفلة وخراب العامر وعمارة الخراب
وكثرة تلون الاشيا وولي الالف الخامس الدلو بطلوع القمر وكان القمر في الثور
فدل الدلو لبر ودنه وعسر على سقوط العظما وعطلة امرهم وارتفاع السفلة
والعبيد ومحنة النجلا وظهور الجنس الاسود والسواد وعلى كثرة التفتيش والفكر
وظهور الكلام في الاديان ومحنة الخصومات وكون القمر في شرفه يدل على قهر
الملوك وظهور ولاة الحق ونفاذ الخير وظهور بيوت العبادة والكف عن الدما
والراحة والسعادة في العامة وسات ما يكون من العدل والخير وطول المدة فيه
وكون البرج مائيا يدل على كثرة الامطار والغرق وافة من البرد يهلك فيه
الكثير وولي الالف السادس برج الحوت بطلوع المشتري والراس فيدل
على المحمدة في الناس عامة وعلي الصلاح والخير والسرور وذهاب الشر وحسن العيش
ولكل واحد من الكواكب ولاية الف سنة فصار عطارد خاتما في برج السنبلة
وزعم ابن نوبخت ان من يوم سادت الشمس الي تمام خمس وعشرين سنة من
ملوك انوشروان ثلثة الاف وثمانماية وتسع وستون سنة وذلك في الف
الجدي وتدبير الشمس ومنه الي اليوم الاول من الهجرة سبع وثمانون سنة
شمسية وستة وعشرون يوما ومن الهجرة الي قيام يزدجرد تسع سنين وثمانية
وسبعة وثلثون يوما فذلك الجميع الي يزدجرد ثلثة الاف وتسعماية وست
وستون سنة وقال ابو معشر زعم قوم من الفرس ان عمر الدنيا سبعة
الاف سنة بعدة الكواكب السبعة وزعم ابو معشر ان عمر الدنيا ثلثماية الف
وستون الف سنة وان الطوفان كان في النصف من ذلك علي راس مائة
الف وثمانين الف سنة وقال قوم عمر الدنيا تسعة الاف سنة لكل كوكب
من الكواكب السبعة السيارة الف سنة وللراس الف سنة وللذنب
الف سنة وشرها الف الذنب وان الاعمار طالت في تدبير الاف الثلثة
العلوية وقصرت في الاف الكواكب السفلية وقال قوم عمر الدنيا تسع عشرة

الف سنه وقال قوم عمر الدنيا احدي وعشرون الف سنه بزيادة الف للراس
والعلوالذنب وقال قوم عمر الدنيا ثمانيه وسبعون الف سنه منها في تدبير
برج الحمل اثنا عشر الف سنه وفي تدبير برج الثور احدي عشره الف سنة
وفي تدبير الجوزا عشرة الاف سنة وكانت الاعمار في هذا الربع الطول والزمان
اخذهم تدبير الربع الثاني مدة اربع وعشرين الف سنه فيكون الاعمار دون
ما كانت في الربع الاول وتدبير الربع الثالث خمس عشره الف سنه وتدبير
الربع الرابع سته الاف سنه وقال قوم كانت المدة من ادم الي الطوفان
الفين وثمانين سنه واربعة اشهر وخمسة عشر يوما وكانت المدة من الطوفان
الى ابراهيم عليه السلام تسعماية واثنين واربعين سنه وسبعة اشهر وخمسة
عشر يوما فذلك ثلثة الاف ومايتين وثلث وعشرين سنه وقال قوم
من اليهود عمر الدنيا سبعون الف سنه مخصصة في الف جيل ولعلوا ذلك
من قول موسى عليه السلام في صلاته ان الجيل سبعون سنة ومن قوله
في الزبور ان ابراهيم عليه السلام قطع معه الله تعالى عهدا ليبقا البشر الف
جيل فجا من ذلك ان مدة الدنيا سبعون الف سنة واستظهروا لقولهم هذا
بما في التوراه من قوله واعلم ان الله الاهك هو القادر المهيمن الحافظ العهد
والفضل لمحبيه وحافظي وصاياه لالف جيل وذكر ابو الحسن علي بن الحسين
المسعودي في كتاب اخبار الزمان عن الاوايل انهم قالوا كان في الارض ثماني
وعشرين امة ذات ارواح وايد وبطش وصور مختلفات بعد دمنازل
القمر لكل منزله امة مفردة تعرف بها تلك الامة ويزعمون ان تلك الامم كانت
الكواكب الثابته تدبرها وكانوا يعبدونها ولما خلق الله تعالى البروج
الاثني عشر قسم دوامها في سلطانها فجعل للحمل اثني عشر الف عام وللثور احد
عشر الف عام وللجوزا عشرة الاف عام وللسرطان تسعة الاف عام وللاسد
ثمانية الاف عام وللسنبله سبعة الاف عام وللميزان ستة الاف عام وللعقرب
خمسة الاف عام وللقوس اربعة الاف عام وللجدي ثلثة الاف عام وللدلو
الفي عام وللحوت الف عام فصار الجميع ثمانيه وسبعين الف عام فلم يكن في عالم
الحمل والثور والجوزا حيوان وذلك ثلثه وثلثون الف عام فلما كان عالم
السرطان تكونت دواب الما وهوام الارض فلما كان عالم الاسد تكونت

دوات

تكونت دوات الاربع من الوحش والبهايم وذلك بعد تسعة الاف عام من خلق
دواب الما والهوام فلما كان عالم السنبلة تكون الانسانان الاولان وهما ادمانوس
وحيوانوس وذلك لتمام سبعة عشر الف عام لخلق دواب الما وهوام الارض ولتمام
ثمانية الاف عام من خلق دوات الاربع وخلقت الارض في عالم الميزان ويقال
بل خلقت الارض اولا واقامت خاليه ثلثة وثلثين الف عام ليس فيها حيوان
ولا عالم روحاني ثم خلق الله تعالى دواب الما وهوام الارض وما بعد ذلك
علي ما تقدم ذكره فلما تم اربعه وعشرون الف عام لخلق دواب الما وهوام الارض
ولتمام خمسة عشر الف عام من دوات الاربع ولتتمه سبعة الاف عام من لدن
تكون الانسانين خلقت الطيور وقال ان مدة مقام الانسانين ونسلهما
في الارض مايه الف وثلثه وثلثون الف عام منها لزحل سنه وخمسون الف
عام وللمشتري اربعة واربعون الف عام وللمريخ ثلثه وثلثون الف عام ويقال
ان الامم المخلوقات قبل ادم هي كانت الجبلة الاولي وهي ثمان وعشرون امة
بازا منازل القمر خلقت من امزجة مختلفة اصلها الما والهوا والارض والنار
تتباين خلقها فمنها امة خلقت طوالا زرقا ذات اجنحة كلامهم قرقعة علي صفة
الاسود ومنها امة ابدانهم ابدان الاسود ورووسهم رووس الطير لهم شعور
واذان طوال وكلامهم دوي ومنها امة لها وجهان وجه امامها ووجه خلفها
ولها ارجل كثيرة وكلامهم كلامهم كلام الطير ومنها امة ضعيفة في صور
الكلاب لهم اذناب وكلامهم همهمة لا يفهم ومنها امة تشبه بني ادم افواههم
في صدورهم يصفرون اذا تكلموا تصفيرا ومنها امة يشبهون نصف انسان لهم
عين واحده وذراع واحدة ورجل تقفزون بها قفزا ويصيحون كصياح الطير
ومنها امة لها وجوه كوجوه الناس واصلاب كاصلاب السلاحف في رووسهم
قرون طوال لا يفهم كلامهم ومنها امة مدورة الوجوه لهم شعور بيض واذناب
كاذناب البقر ورووسهم في صدورهم لهم شعور وثدي وهم اناث كلهن ليس
فيهن ذكر يلقحن من الزيح ويلدن امثالهن ولهن اصوات مطربة يجتمع اليهن
كثير من هذه الامم لحسن اصواتهن ومنها امة في خلق الهوام والحشرات الا
انها عظيمة الاجسام ماكلة تشرب مثل الانعام ومنها امة كوجوه دواب البحر
لها انياب كانياب الخنازير واذان طوال ويقال ان هذا لثمانية والعشرين

امة سادت نصارت مايه وعشرين امة وسيل امير المومنين علي بن ابي طالب
رضي الله عنه هل كان في الارض خلق قبل ادم يعبد الله تعالى فقال نعم خلق
الله الارض وخلق فيها الجن يسبحون الله ويقدسونه لا يفترون وكانوا يطيرون
الى السما ويلقون الملايكة ويسلمون عليهم ويستعلمون منهم خبر ما في السما ثم ان
طايفة منهم تمردت وعتت عن امر ربها وبغت في الارض بغير الحق وعدا بعضهم
على بعض وجحدوا الربوبية وكفروا بالله وعبدوا ما سواه وتغابروا على الملك حتى
سفكوا الدما واظهروا في الارض الفساد وكثر تقاتلهم وعلا بعضهم على بعض
واقام المطيعون لله تعالى على دينهم وكان ابليس من الطايفة المطيعة لله تعالى
والمسبحين له وكان يصعد الى السموات ولا يحجب عنها لحسن طاعته ويروى
ان الجن كانت تفترق على احدى وعشرين قبيلة وان بعد خمسة الاف سنة
ملكوا عليهم ملكا يقال له شملاذ بن ارس ثم افترقوا فملكوا عليهم خمسة ملوك
واقاموا على ذلك دهرا طويلا ثم اغار بعضهم على بعض وتحاسدوا وكانت
بينهم وقايع كثيرة فاهبط الله تعالى اليهم ابليس واسمه بالعربية الحارث وكنيته
ابو امرة ومعه عدد كثير من الملايكة فهزمهم وقتلهم وصار ابليس ملكا على
الارض فتجبر وطغا وكان من امتناعه من السجود لادم ما كان فاهبطه الله الى
الارض فسكن البحر وجعل عرشه على الما فالقيت عليه شهوة الجماع وجعل
لقاحه لقاح الطير وبيضه ويقال ان قبايل الجن والشياطين خمس وتلثون
قبيلة خمسة عشر قبيلة تطير في الهوا وعشر قبايل مع لهب النار وثلثون
قبيلة يسترقون السمع من السما ولكل قبيلة ملك موكل يدفع شرها ومنهم
صنف من السعالي يتصورون في صور النسا الحسان ويتزوجن برجال
الانس ويلدن منهم ومنهم صنف على صور الحيات اذا قتل احد منهم واحدة
هلك من وقته وان كانت متجبرة هلك ولدها وعز بن عبده وعن ابن
عباس رضي الله عنه انه قال ان الكلاب من الجن فاذا راوكم تاكلون
فالقوا اليهم من طعامكم فان لهم انفسا يعني انهم ياخذون بالعين وقد روي
ان الارض كانت معمورة بامم كثيرة منهم الطم والرم والجن والبن والحس
والبس وان الله تعالى لما خلق السما عمرها بالملايكة ولما خلق الارض عمرها
بالجن فتعابوا وسفكوا الدما في الارض فانزل الله اليهم جندا من الملايكة فاتوا
على

على اكثرهم قتلا واسرا وكان ممن اسرا ابليس وكان اسمه يوميذ عزازيل فلما
صعد به الى السما اخذ نفسه في الاجتهاد بالعبادة والطاعة رجا ان يتوب الله
عليه فلما لم يجد ذلك عليه شيا خاب من الملايكة القنوط فاراد الله ان يظهر لهم
خبث طويته وفساد نيته فخلق ادم وامتحنه بالسجود له ليظهر للملايكة تكبره
وابايه ما خفي عنهم من مكتوم ابايه والى عمارة الارض قبل ادم ممن افسد
فيها اشار تعالى بقوله حكاية عن الملايكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك
الدما يعنون كما فعل من كان بها من قبل والله اعلم بمراده وقال
ابو بكر احمد بن علي بن وحشية في كتاب الفلاحة النبطية انه عرب هذا
الكتاب ونقله من لسان الكسدانيين الى اللغة العربية وانه وضعه من
وضع ثلثة حكما قدما وهم صغريث وينبوشاد وقوثامي ابتداه الاول وكان
ظهوره في الالف السابعة من سبعة الاف سني زحل وهي الالف التي شارك فيها
زحل القمر وتممه الثاني وكان ظهوره في اخر هذه الالف والحكيم الثالث وكان
ظهوره بعد مضي اربعة الاف سنة من دور الشمس الذي هو سبعة الاف سنة
وانه نظر الى ما بين زمان الاول والثالث وكان ثمانية عشر الف سنة شمسية
وبعض الالف التاسعة عشر وقد اختلف اهل الاسلام في هذه المسالة ايضا
فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال الدنيا جمعة من
جمع الاخرة واليوم الف سنة فذلك سبعة الاف سنة وروى سفين عن
الاعمش عن ابي صالح قال قال كعب الاحبار الدنيا ستة الاف سنة وعن
وهب بن منبه انه قال قد خلا من الدنيا خمسة الاف سنة وستماية سنة
اني لاعرف كل زمان منها ومن كان فيه من الانبيا فسيل كم الدنيا قال
ستة الاف سنة وروى عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه
انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلكم في اجل من كان قبلكم من
صلاة العصر الى مغرب الشمس وفي حديث ابي هريرة الحقب ثمانون عاما
اليوم منها سدس الدنيا والحقب هنا بكسر الحا وضمها قال ابو محمد الحسن
بن احمد بن يعقوب الهمداني في كتاب الاكليل وكان الدنيا جزء من اربعة
الاف وثلثماية وثلثة وعشرين جدا ونصف جزو من الحقب على ان السنة
القمرية ثلثماية واربعة وخمسون يوما وخمس وسدس يوم فاذا كانت الدنيا

سته الاف سنه واليوم الف سنة يكون ستين قمرية ستة الاف الف سنة فاذا هو
جعلناه جزا وضربناه في اجزا الخفيف وهي اربعة الاف وسبعمايه وثلث وعشرون وثلث
خرج من السنين ثمانية وعشرون الف الف وثلثمايه الف الف واربعون الف
الف واذا كانت جمعة من جمع الاخرة زدنا مع هذا العدد مثل سدسه وهذا عدد
الخفيف وقال ابو جعفر محمد بن جرير الطبري الصواب من القول ما دل على صحته
الخبر الوارد فذكر قوله عليه السلام اجلكم في اجل من كان قبلكم من صلاة العصر
الى مغرب الشمس وقوله بعثت انا والساعة كهاتين واشار بالسبابة والوسطى
وقوله عليه السلام بعثت انا والساعة جميعا ان كانت لتسبقني قال فمعلوم
اذا كان اليوم اوله طلوع الشمس واخره غروب الشمس وكان صحيحا عن النبي صلى الله
عليه وسلم قوله اجلكم فيما في اجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى مغرب الشمس ه
وقوله بعثت انا والساعة كهاتين واشار بالسبابة والوسطى وكان قدر ما بين
اوسط صلاة العصر وذلك اذا كان ظل كل شي مثليه على التحري انما يكون قدر
نصف سبع اليوم يزيد قليلا او ينقص قليلا وكذلك فضل ما بين الوسطى ه
والسبابة انما يكون نحو امن ذلك وكان صحيحا مع ذلك قوله عليه السلام لن
يعجز الله ان يوخر هذه الامة نصف يوم يعني من نصف يوم الذي مقداره الف
سنة فاولى القولين الذين احدهما عن ابن عباس والاخر عن كعب قول ابن عباس
الدنيا جمعة من جمع الاخرة سبعة الاف واذا كان كذلك وكان عنه عليه السلام
ان الباقي من ذلك في حياته نصف يوم وذلك خمسماية عام اذا كان ذلك نصف
يوم من الايام التي قدر الواحد منها الف عام كان معلوما ان الماضي من الدنيا
الى وقت قوله عليه السلام ستة الاف سنة لو كان صحيحا لم يبعد القول بوحي الحق عنه
وهو حديث ابي هريرة يرفعه الخفيف ثمانون عاما اليوم منها سدس الدنيا فبين
في هذا الخبر ان الدنيا كلها ستة الاف سنه وذلك ان اليوم الذي هو من
ايام الاخرة مقداره الف سنه من سني الدنيا وكان اليوم الواحد من ذلك
سدس المقدار الدنيا كان معلوما ان جميعها سته ايام من ايام الاخرة وذلك ستة
الاف سنة وقال ابو القسم السهيلي وقد مضت الخمسماية من وفاته صلى الله
عليه وسلم الى اليوم بنيف عنها وليس في قوله لن يعجز الله ان يوخر هذه الامة
نصف يوم ما ينفي الزيادة على النصف ولا في قوله بعثت انا والساعة كهاتين ما
يقطع

يقطع به على صحة تاويله ما ينفي الزيادة على النصف يعني الطبري فقد نقل في تاويله
غير هذا وهو انه ليس بينه عليه السلام وبين الساعة نبي ولا شرع غير شرعه
مع التقريب لحينها كما قال تبارك وتعالى جل اسمه وتقدس وتنزه اقتربت الساعة
وانشق القمر وقد قال تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه ولكن اذا قلنا انه عليه افضل
الصلاة والسلام انما بعث في الالف الاخر بعد ما مضت منه سنون ونظرنا
الى الحروف المقطعة في اوائل السور وجدناها اربعة عشر حرفا يجمعها قولك
الم يسطع نص حق كره ثم ناخذ العدد على حساب ابي جاد فنجد تسعماية وثلثه
ولم يسم الله تعالى في اوائل السور الا هذه الحروف فليس يبعد ان يكون من
بعض مقتضياتها وبعض فوايدها الاشارة الى هذا العدد من السنين
لما قدمناه من حديث الالف السابع الذي بعث عليه السلام فيه غير ان
الحساب يحتمل ان يكون من مبعثه او من وفاته او من هجرته وكل قريب بعضه من
بعض فقد جا اشراطها ولكنه لا ياتيكم الا بغتة وقد روي انه عليه الصلاة والسلام
قال ان احسنت امتي فبقاها يوم من ايام الاخرة وذلك الف سنه وان
اسات فنصف يوم ففي هذا الحديث تتميم للحديث المتقدم وبيان له اذا ه
انقضت الخمسماية والامة باقية وقال شاذان البلخي المنجم مدة ملة الاسلام
ثلثماية وعشر سنين وقد ظهرت كذب قوله ولله الحمد وقال ابو معشر
تظهر بعد المايه وخمسين من سني الهجرة اختلاف كبير وقال جراسب ان المنجمين
اخبروا كسرى انو شروان ان يملك العرب وظهور النبوة فيهم وان دليلهم الزهره
وهي في شرفها والزهره دليل العرب فيكون مدة ملك نبوتهم الفا وستين
ولان طالع القران الدال على ذلك برج الميزان والزهره صاحبته في شرفها قال
وسال كسرى وزيره بزرجمهر عن ذلك فاعلمه ان الملك يخرج من فارس
وينتقل في العرب ويكون ولادة القايم بامر العرب لخمس واربعين سنة من
وقت القران وان العرب يملك المشرق والمغرب من اجل ان المشتري دليل
فارس قد قبل تدبير الزهره دليل العرب والقران قد انتقل من المثلثة
الهوائية الى المثلثة المائية والى برج العقرب منها وهو دليل العرب ايضا
وهذه الادلة تقتضي بقا الملة الاسلامية تتجدد ودان الزهرة وهو الف
وستون سنة شمسية وقال ثوفيل الرومي وكان في ايام بني امية

بقا ملة الاسلام تتعدى مدة القران الكبير وهي تسعمائة وستون سنة شمسية
فاذا عاد القران بعد هذه المدة الى برج العقرب كما كان في ابتداء الملة وتغير وضع
تشكل الفلك عن هيئته في الابتداء فحينئذ اما يتغير العمل او تتجدد ما يوجب خلاف
الظنون قال واتفقوا على ان خراب العالم يكون باستيلاء الماء او النار حتى يهلك المكونات
باسرها وذلك اذا انقطع قلب الاسد اربعا وعشرين درجة من برج الاسد الذي
هو حد المريخ بعد تسعمائة سنة شمسية من قران الملة وقال ان ملك زابلستان
وهي غربية بعث الى عبد الله امير المؤمنين المامون حكيم اسمه دوبان في جملة
هدية فاعجب به المامون وساله عن مدة ملك بني العباس فاخبره بخروج
الملك عن عقبه واتصاله في عقب اخيه وان العجم تغلبهم على الخلافة تشغلنه
الديلم اولا ثم يسوء حالهم حتى يظهر الترك من شمال المشرق فيملكون الفرات
والروم والشام وقال يعقوب بن اسحق الكندي مدة ملة الاسلام ستمائة
وثلث وتسعون سنة وقال الحافظ الفقيه ابو محمد علي بن احمد بن سعيد
بن حزم واما اختلاف الناس في التاريخ فان اليهود يقولون للدنيا اربعة
الاف سنة والنصارى يقولون للدنيا خمسة الاف سنة واما نحن يعني اهل
الاسلام فلا نقطع على علم عدد معروف عندنا ومن ادعى في ذلك سبعة الاف
سنة او اكثر او اقل فقد قال ما لم يات قط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيه لفظة تصح بل صح عنه عليه السلام خلافه بل نقطع على ان للدنيا امرا لا
يعلمه الا الله تعالى قال الله تعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا
خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا وقال صلى الله عليه وسلم ما انتم
في الامم قبلكم الا كالشعرة البيضاء في الثور الاسود او الشعرة السوداء في جلد
الثور الابيض وهذه نسبة من تدبرها وعرف مقدار عدد اهل الاسلام ونسبة
ما بايديهم من معمور الارض وانه الاكثر علم ان للدنيا عددا لا يحصيه الا الله تعالى
وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين وضم اصبعيه
السبابة والوسطى وقد جاء النص بان الساعة لا يعلم متى تكون الا الله تعالى
لا احد سواه فصح انه صلى الله عليه وسلم انما عنى شدة القرب لا فضل السبابة
على الوسطى اذ لو اراد فضل ذلك لاخذت نسبة ما بين الاصبعين ونسب من
طول الاصبع وكان يعلم بذلك متى تقوم الساعة وهذا باطل وايضا فكان يكون
نسبته

نسبته صلى الله عليه وسلم ايانا الى من قبلنا بانه كالشعرة في الثور كذبا ومعاذ
الله من ذلك فصح انه عليه السلام انما اراد شدة القرب وله صلى الله عليه وسلم
منذ بعث اربعمائة عام ونيف والله اعلم بما بقي للدنيا فاذا كان هذا العدد
العظيم لا نسبة له عند ما سلف لقلته وتفاهته بالاضافة الى ما مضى فهو
الذي قال صلى الله عليه وسلم من اننا فيما مضى كالشعرة في الثور او الرقمة في
ذراع الحمار وقد رايت بخط الامير ابي محمد عبد الله بن الناصر قال حدثني محمد
بن معاوية القرشي انه راى بالهند بلدة له اثنان وسبعون الف سنة وقد
وجد محمود بن سبكتكين بالهند مدينة يؤرخون باربعمائة الف سنة قال
ابو محمد الا ان لكل ذلك اول ولا بد ونهاية لم يكن شيء من العالم موجودا قبلها
ولله الامر من قبل ومن بعد والله سبحانه اعلم

ذكر التواريخ التي كانت للامم قبل تاريخ القبط

التاريخ كلمة فارسية اصلها ماه روز ثم اعربت قال محمد بن احمد بن يوسف البلخي
في كتاب مفاتيح العلوم وهو كتاب جليل القدر وهذا الاشتقاق بعيد لولا ان
الرواية جاءت به وقال قدامة بن جعفر في كتاب الخراج تاريخ كل شيء اخره
وهو في الوقت غايته يقال فلان تاريخ قومه اي اليه ينتهي شرفهم ويقال
ورخت الكتاب توريخا وارخته تاريخا اللغة الاولى لتميم والثانية لقيس ولكل
مملكة واهل ملة تاريخ وكانت الامم تورخ اولا بتاريخ الخليقة وهو ابتدا كون
النسل من ادم عليه السلام ثم ارخت بالطوفان وارخت ببخت نصر وارخت
بفيلبش وارخت بالاسكندر ثم باغشطش ثم باطنيش ثم بدقلطيانوس
وبه تورخ القبط ثم لم يكن بعده تاريخ للقبط الا تاريخ الهجرة ثم تاريخ يزدجرد
فهذه تواريخ الامم المشهورة وللناس تواريخ اخر قد انقطع ذكرها فاما
تاريخ الخليقة ويقال له ابتدا كون النسل وبعضهم يقول بدو الخليقة فان
لاهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس في كميته وسياقة التاريخ
منه خلافا كبيرا قال المجوس والفرس عمر العالم اثنا عشر الف سنة على عدد
بروج الفلك وشهور السنة وزعموا ان زرادشت صاحب شريعتهم قال
ان الماضي من الدنيا الى وقت ظهوره ثلثة الاف سنة مكبوسة الارباع
ومن ظهور زرادشت واول تاريخ الاسكندر مائتا سنة وثمان وخمسون

سنة تامة فيكون الماضي من اول العالم الى الاسكندر ثلثة الاف ومايتي سنة وثمان
وخمسين سنة واذا احتسبنا من اول كيومرث الذي هو عندهم الانسان الاول
وجمعنا مدة كل من يملك بعده فان الملك متسق فيهم غير منقطع عنهم كان العدد
منه الى الاسكندر ثلثة الاف وثلثماية واربع وخمسين سنة فاذا لم تتفق التفصيل
مع الجملة وقال قوم ان الثلاثة الالاف الماضية انما هي من خلق كيومرث فانه مضى
قبله الف سنة والفلك فيها واقف غير متحرك والطبايع غير مستحيلة والامهات
غير متمازجة والكون والفساد غير موجود فيها والارض غير عامرة فلما تحرك
الفلك حدث الانسان الاول في معدل النهار وتوكد الحيوان وتوالد ونسل
الانس فكثروا واستوجبت اجزا العناصر للكون والفساد فعمرت الدنيا وانتظم
العالم وقالت اليهود الماضي من ادم الى الاسكندر ثلثة الاف واربعماية وثمان
واربعون سنة وقالت النصارى المدة بينهما خمسة الاف وماية وثمانون سنة
وزعموا ان اليهود نقصوها ليقع خروج عيسى بن مريم عليه السلام في
الالف الرابع وسط السبعة الالاف التي هي مقدار زمان العالم عندهم حتى
يخالف ذلك الوقت الذي سبقت البشارة من الانبيا الذين كانوا بعد موسى
بن عمران عليه السلام بولادة المسيح عيسى واذا جمع ما في التوراة التي بيد
اليهود من المدة التي بين ادم عليه السلام وبين الطوفان كانت الفا وستماية
وستا وخمسين سنة وعند النصارى في توراتهم المدة الفان ومايتان واثنتان ن
واربعون سنة ويزعم اليهود ان توراتهم بعيدة عن التخاليط ويزعم النصارى
ان توراة السبعين التي هي بايديهم لم يقع فيها تحريف ولا تبديل وتقول
اليهود فيها خلاف ذلك وتقول السامرة بان توراتهم هي الحق وما عداها باطل
وليس في اختلافهم ما يزيل الشك بل يقوي الحايرة له وهذا الاختلاف بعينه
بين النصارى ايضا في الانجيل وذلك لان له عند النصارى اربع نسخ مجموعة
في مصحف واحد احدها انجيل متى والثاني لمارقوس والثالث للوقا
والرابع ليوحنا قد الف كل من هولا الاربعة انجيلا على حسب دعوته في
بلاده وهي مختلفة اختلافا كبيرا حتى في صفات المسيح عليه السلام وايام
دعوته ووقت الصلب بزعمهم وفي نسبه ايضا وهذا الاختلاف لا يحتمل مثله
ومع هذا فعند كل من اصحاب مرقيون واصحاب بن ديصان انجيل يخالف بعضه

هذه

هذه الاناجيل ولاصحاب ماني انجيل على حدة يخالف ما عليه النصارى من اوله الى اخره
ويزعمون انه هو الصحيح وما عداه باطل ولهم ايضا انجيل يسمى انجيل السبعين ينسب
الى تلامس والنصارى وغيرهم ينكره واذا كان الامر من الاختلاف بين اهل الكتاب
كما قد رايت ولم يكن للقياس والراي مدخل في تمييز حق ذلك من باطله امتنع
الوقوف على حقيقة ذلك من قبلهم ولم يعول على شي من امورهم فيه واما غير
اهل الكتاب فانهم ايضا مختلفون في ذلك قال انشوش بين خلق ادم وبين ليلة
الجمعة اول الطوفان الفا سنة ومايتا سنة وست وعشرون سنة وثلثة
وعشرون يوما واربع ساعات وقال ماشاالله واسمه منشا بن اثرى منجم
المنصور والمامون في كتاب القرانات اول قران وقع بين زحل والمشتري
في بدو التحرك يعني ابتدا النسل من ادم كان على مضي خمسماية وتسع سنين
وشهرين واربعة وعشرين يوما مضت من الف المريخ فوقع القران في برج
الثور من المثلثة الارضية على سبع درج واثنين واربعين دقيقة وكان
انتقال الممر من برج الميزان ومثلثة الهوايية الى برج العقرب ومثلثته
المايية بعد ذلك بالفي سنة واربعماية سنة واثني عشر سنة وستة
اشهر وستة وعشرين يوما ووقع الطوفان في الشهر الخامس من السنة الاولى
من القران الثاني من قرانات هذه المثلثة المايية وكان بين القران الاول
الكاين في بدو التحرك وبين الشهر الذي كان فيه الطوفان الفين واربعماية
وثلث وعشرين سنة وستة اشهر واثني عشر يوما قال وفي كل سبعة الاف
سنة وستين وعشرة اشهر وستة ايام يرجع القران الى موضعه من
برج الثور الذي كان في بدو التحرك وهذا القول اعزك الله هو الذي
استهر حتى ظن كثير من اهل الملل ان مدة بقا الدنيا سبعة الاف سنة
فلا تغترنه وتنبه الى اصله تجده اوهى من بيت العنكبوت فاطرحه وقيل
كان بين ادم وبين الطوفان ثلثة الاف وسبعماية وخمسا وثلثين سنة وقيل
كانت بينهما مدة الفين ومايتين وست وخمسين سنة وقيل الفين ومايتين
سنة واما تاريخ الطوفان فانه يتلوا تاريخ الخليقة وفيه من الاختلاف ما لا
يطمع في حقيقته من اجل الاختلاف فيما بين ادم وبينه وبين تاريخ الاسكندر
فان اليهود عندهم ان من ادم الى الاسكندر الف وسبعماية واثنان وسبعون سنة

الطوفان [illegible]

وعند النصارى بينهما الفاسنه وتسعماية وثمان وثلثون سنة والفرس وساير
المجوس والكسد انيون اهل بابل والهند واهل الصين واصناف الامم المشرقيه
ينكرون الطوفان واقر به بعض الفرس لكنهم قالوا لم يكن الطوفان سوى بالشام
والمغرب ولم يعم العمران كله ولا غرق الا بعض الناس ولم يتجاوز عقبه حلوان
ولا بلغ الى ممالك المشرق قالوا ووقع فى زمان طهمورث وان اهل المغرب
لما انذرهم حكماهم بالطوفان اتخذوا المباني العظيمه كالهرمين بمصر ونحوهما ليدخلوا
فيها عند حدوثه ولما بلغ طهمورث الانذار بالطوفان قبل كونه بماية واحدى
وثلثين سنة امر باختيار مواضع فى مملكته صحيحة الهوا والتربة فوجد ذلك
باصبهان فامر بتجليد العلوم ودفنها فى اسلم المواضع ويشهد لهذا اما وجد
بعد الثلثماية من سني الهجرة فى جي من مدينة اصبهان من التلال التي انشقت
عن بيوت مملوة اعدالا كثيرة قد ملئت من لحا الشجر التي تلبس بها القسي وتسمى
التوز مكتوبة بكتابة لم يدر احد ما هي واما المنجمون فانهم صححوا هذه السنين
من القران الاول من قرانات العلويين زحل والمشترى التي اثبت علماء اهل
بابل والكلدانيين امثلتها اذ كان الطوفان طهورة من جهة ناحيتهم فان
السفينة استقرت على جبل الجودى وهو غير بعيد من تلك النواحي قالوا
وكان هذا القران قبل الطوفان بمايتي وعشرين سنة وماية وثمانية ايام ه
واعتنوا بامرها وصححوا ما بعدها فوجدوا ما بين الطوفان وبين اول ملك بخت د
نصر الاول الفي سنه وستماية واربع سنين وبين بخت نصر هذا وبين الاسكند
اربعماية وست وثلثون سنة وعلى ذلك بنا ابو معشر اوساط الكواكب فى زيجه
لـ وكان بين وقت الطوفان وبين تاريخ الاسكندر ذى القرنين الفى سنة وسبعماية
وتسعين سنة مكبوسة وسبعة اشهر وستة وعشرين يوما وبينه وبين يوم
الخميس اول المحرم من السنة الاولى من سني الهجرة النبوية الف الف يوم
وثلثماية الف يوم وتسعة وخمسين الف يوم وتسعماية يوم وثلثه وسبعون
يوما يكون من السنين الفارسية المصرية ثلثة الاف سنه وسبعماية وخمسا
وعشرين سنة وثلثماية يوم وثمانية واربعين يوما ومنهم من يرى ان الطوفان
كان يوم الجمعة وعند ابي معشر انه كان يوم الخميس ولما نقرر عنده الجملة
المذكورة خرجت له المدة التي تسمى ادوار الكواكب وهي بزعمهم ثلثماية الف
سنة

سنه وستون الف سنه شمسيه واولها متقدم لوقت الطوفان بماية الف وماين
الف سنه شمسيه حكم بان الطوفان بماية الف وما بين الف سنه لا يقبل
الا بحجة او من معصوم واما تاريخ بخت نصر فانه على سني القبط وعليه يعمل
فى استخراج مواضع الكواكب من كتاب المجسطي ثم ادوارقا اللبس واول ادوارها
فى سنه ثمان عشر واربعماية لبخت نصر وكل دور منها ست وسبعون سنة
شمسيه وكان قاللبس من جملة اصحاب التعاليم وبخت نصر هذا ليس هو
الذي خرب بيت المقدس وانما هو اخر كان قبل بخت نصر مخرب بيت المقدس
بماية وثلثة واربعين سنه وهو اسم فارسى اصله بخت نرسي ومعناه كثير
البكا والانين ويقال له بالعبرانيه نصار وقيل تفسيره عطارد وهو ينطق
وذلك لحرصه على الحكمة وتقريب اهلها ثم عرب فقيل بخت نصر واما
تاريخ فيلبش فانه على سني القبط وكثيرا ما يستعمل هذا التاريخ من
موت الاسكندر البنا المقدوني وكلا الامرين سوا فان القايم بعد البنا
هو فيلبش فسوا كان من موت الاول او من قيام الاخر فان الحالة المورخه
هى كالفصل المشترك بينهما وفيلبش هذا هو ابو الاسكندر المقدوني
ويعرف هذا التاريخ بتاريخ الاسكندر الاثنين وعليه بنا ثاون الاسكندراني
تاريخه المعروف بالقانون واما تاريخ الاسكندر فانه على سني الروم وعليه
يعمل اكثر الامم الى وقتنا هذا من اهل الشام واهل بلاد الروم واهل
المغرب والاندلس والفرنج واليهود وقد تقدم الكلام عليه عند ذكر
الاسكندر به من هذا الكتاب واما تاريخ اغسطش فانه لا يعرف
اليوم احد يستعمله واغسطش هذا هو اول القياصرة ومعنى قيصر بالرومية
شق عليه فان اغسطش هذا لما حملت به امه ماتت فى المخاض فشق بطنها
حتى اخرج منه فقيل له قيصر وبه يلقب من بعده من ملوك الروم ويزعم
النصارا ان المسيح عليه السلام ولد لاربعين سنة من ملكه وفي هذا القول
نظر فانه لا يصح عند سياقة السنين والتواريخ بل يجي بعد ولادته عليه
السلام فى السنه السابعه عشر من ملكه واما تاريخ انطنيس فان بطليوس
صحح الكواكب الثابته فى كتابه المعروف بالمجسطي لاول ملكه على الروم
وسنى هذا التاريخ رومية

ذكر تاريخ القبط وغيرهم

اعلم ان السنة الشمسية عبارة عن عود الشمس في فلك البروج اذا تحركت على خلاف حركة الكل الى اي نقطة فرضت ابتدا حركتها وذلك انها تستوفي الاربعة الازمنة التي هي الربيع والصيف والخريف والشتا وتحوز طبايعها الاربع وتنتهي الى حيث بدات وفي هذه المدة تستوفي القمر اثني عشر عودة واقل من نصف عودة وتستهل اثني عشر مرة فجعلت المدة التي فيها عودات القمر الاثني عشرة في فلك البروج سنة للقمر على جهة الاصطلاح واسقط الكسر الذي هو احد عشر يوما بالتقريب فصارت السنة على قسمين سنة شمسية وسنة قمرية وجميع من على وجه الارض من الامم اخذوا تواريخ سنيهم من مسير الشمس والقمر فالاخذون بسير الشمس خمس امم هم اليونانيون والسريانيون والقبط والروم والفرس والاخذون بسير القمر خمس امم هم الهند والعرب واليهود والنصارى والمسلمون فاما اهل قسطنطينية والاسكندرية وساير الروم والسريانيون والكلدانيون واهل مصر ومن يعمل براي المعتضد اخذوا السنة الشمسية التي هي ثلثماية وخمسة وستون يوما وربع يوم بالتقريب وصيروا السنة ثلثماية وخمسة وستين يوما والحقوا الارباع بها في كل اربع سنين يوما حتى انجبرت السنة وسموا تلك السنة كبيسة لانكباس الارباع فيها واما قبط مصر القدما فانهم كانوا يتركون الارباع حتى يجتمع منها ايام سنة تامة وذلك في كل الف واربعماية وستين سنة ثم يكبسونها سنة واحدة ويتفقون حينئذ في اول تلك السنة مع اهل الاسكندرية وقسطنطينية واما الفرس فانهم جعلوا السنة ثلثماية وخمسة وستين يوما من غير كسر حتى اجتمع لهم من الربع يوم في ماية وعشرين سنة ايام شهر تام ومن خمس الساعة التي تتبع الربع يوم عندهم يوما واحدا فالحقوا الشهر التام بها في كل ماية وست عشر سنة واستمر ابادهم في هذه اهل خوارزم القدما والصغد ومن دان بدين فارس وكانت الملوك البيشدادية منهم وهم الذين ملكوا الدنيا بحذافيرها يعملون السنة ثلثماية وخمسة وستين يوما كل شهر منها ثلثون يوما سوا وكانوا يكبسون السنة كل ست سنين بيوم ويسمونها كبيسة وكل ماية وعشرين سنة بشهرين احدهما بسبب الخمسة ايام والثاني بسبب ربع اليوم وكانوا يعظمون تلك السنة

السنه ويسمونها المباركة واما قدما القبط واهل فارس في الاسلام واهل خوارزم والصغد فتركوا الكسور اعني الربع وما يتبعه اصلا واما العبرانيون وجميع بني اسرائيل والصابيون والحرانيون فانهم اخذوا السنة من مسير الشمس وشهورها من مسير القمر ليكون اعيادهم وصيامهم على حساب قمري ويكون مع ذلك حافظة لاوقاتها من السنة فكبسوا كل تسع عشرة سنة قمرية بسبعة اشهر ووافقهم النصارى في صومهم وبعض اعيادهم لان مدار امرهم على فصح اليهود وخالفوهم في الشهور الى مذهب الروم والسريانيين وكانت العرب في جاهليتها تنظر الى فضل ما بين سنتهم وسنة القمر وهو عشرة ايام واحدى وعشرين ساعة وخمس ساعة فيلحقون ذلك بها شهرا كلما تم منها ما يستوفي ايام شهر ولكنهم كانوا يعملون على انه عشرة ايام وعشرون ساعة وكان يتولى ذلك النساة من بني كنانة المعروفون بالقلا مس واحدها قلمس وهو البحر الغزير وهم ابو ثمامة جنادة بن عوف بن امية بن قلع واول من فعل ذلك منهم حذيفة بن عبد فقيم واخر من فعله ابو ثمامة واخذ العرب الكبس من اليهود قبل مجي دين الاسلام بنحو الماتي سنة وكانوا يكبسون في كل اربع وعشرين سنة تسعة اشهر حتى تبقى اشهر السنة ثابتة مع الازمنة على حالة واحدة لا يتاخر عن اوقاتها ولا يتقدم الى ان حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وانزل الله سبحانه عليه انما النسي زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين فخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الزمان قد استدار كهيته يوم خلق الله السموات والارض فبطل النسي وزالت شهور العرب عما كانت عليه وصارت اسماها غير دالة على معانيها واما اهل الهند فانهم يستعملون رؤية الاهلة في شهورهم ويكبسون كل تسعماية وستة وسبعين سنة بشهر قمري ويجعلون ابتدا تاريخهم اتفاق اجتماع في اول دقيقة من برج ما واكثر طلبهم لهذا الاجتماع ان يتفق في احدى نقطتي الاعتدالين ويسمون السنة الكبيسة بذماسه فهذه اراء الخليقة في السنة

واما اليوم فانه عبارة عن عودة الشمس بدوران الكل الى دايرة قد فرضت وقد اختلف فيه فجعله العرب من غروب الشمس الى غروبها من الغد من اجل ان شهور العرب مبنية على مسير القمر واوايلها

مقيدة برؤية الهلال والهلال يرى لدن غروب الشمس فصارت الليلة عندهم قبل
النهار وعند الفرس والروم اليوم بليلته من طلوع الشمس بادئة من افق
المشرق الى وقت طلوعها فصار النهار عندهم قبل الليل واحتجوا على قولهم بان
النور وجود والظلمة عدم والحركة تغلب على السكون لانها وجود لا عدم وحياة
لا موت والسما افضل من الارض والعامل والشاب اصح والما الجاري لا ينقلب
عفونة كالراكد واحتج الاخرون بان الظلمة اقدم من النور والنور طار عليها فالاقدم
يبدا به وغلبوا السكون على الحركة باضافة الراحة والدعة منه لم يولد فسادا
فاذا دامت الحركة في الاستقصات واستحكمت افسدت وذلك كالزلازل والعواصف
والامواج وشبهها وعند اصحاب التنجيم ان اليوم بليلته من موافاة الشمس
فلك نصف النهار الى موافاتها اياه في الغد وذلك من وقت الظهر الى وقت الظهر
وبنوا على ذلك حساب ازياجهم وبعضهم ابتدا باليوم من نصف الليل وهو صاحب
تاريخ سندهند ان الشاه وهذا هو حد اليوم على الاطلاق اذا اشترط الليلة في التركيب
فاما على التفصيل فاليوم بانفراده والنهار بمعنى واحد وهو من طلوع جرم الشمس
الى غروب جرمها والليل خلاف ذلك وعكسه وحد بعضهم اول النهار بطلوع الفجر
واخره بغروب الشمس لقوله تعالى وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من
الخيط الاسود من الفجر ثم اتموا الصيام الى الليل وقالوا ان هذان الحدان هما طرفا النهار
وعورض بان الاتيان بما فيه بيان طرفي الصوم لا بتعريف اول النهار وبان الشفق من
جهة المغرب نظير الفجر من جهة المشرق وقد التزم ذلك بعض الشيعة فاذا تقرر ذلك فنقول
تاريخ القبط يعرف عند نصارى مصر الان بتاريخ الشهدا وبسميه بعضهم تاريخ
دقلطيانوس

ذكر دقلديانوس الذي يعرف تاريخ القبط به

اعلم ان دقلديانوس هذا احد ملوك الروم المعروفين بالقياصرة ملك في منتصف
سنة خمس وتسعين وخمسمائه من سني الاسكندر وكان من غير بيت المملكة فلما
ملك تجبر وامتد ملكه الى مداين الاكاسرة ومدينة بابل فاستخلف ابنه على مملكة
رومة واتخذ تخت ملكه بمدينة انطاكية وجعل لنفسه بلاد الشام ومصر الى اقصى
المغرب فلما كان في السنة التاسعة عشر من ملكه وقيل التاسعة عشر خالف عليه
اهل مصر والاسكندرية فبعث اليهم وقتل منهم خلقا كثيرا واوقع بالنصارى
فاستباح دماهم وغلق كنايسهم ومنع من دين النصارى وحمل الناس على عبادة

الاصنام

الاصنام وبالغ في الاسراف في قتل النصارى واقام ملكا احدى وعشرين سنة وهلك بعد
علل صعبة دودت منها بدنه وسقطت اسنانه وهو اخر من عبد الاصنام من ملوك الروم
وكل من ملك بعده فانما كان على دين النصرانية فان الذي ملك بعده ابنه سنة واصح
وقيل اكثر من ذلك ثم ملك قسطنطين الاكبر فاظهر دين النصارى ونشره في الارض
ويقال ان رجلا ثار بمصر يقال له اخيله وخرج عن طاعة الروم فسار اليه دقلديانوس
وحصر الاسكندرية دار الملك يومئذ ثمانية اشهر حتى اخذ اخيله وقتله وعم
ارض مصر كلها بالسبي والقتل وبعث قايده يحارب سابور ملك فارس وقتل اكثر
عسكره وهزمه واسر امراته واخوته واثخن في بلاده وعاد باسرا كثيرة من رجال
فارس ثم اوقع بعامة اهل بلاد رومة فاكثر في قتلهم وسبيهم وكانت ايامه شنيعة
قتل فيه من اصنام الامم وهدم من بيوت العبادات ما لا يدخل تحت حصر وكانت
واقعته بالنصارى هي الشدة العاشرة وهي اشنع شدايدهم واطولها لانها دامت
عليهم مدة عشر سنين لا يفتر يوما واحدا احرق فيه كنايسهم ويعذب رجالهم ويطلب
من استتر منهم او هرب ليقتله يريد بذلك قطع اثر النصارى وابطال دين النصرانية
من الارض فلهذا اتخذ النصارى ابتدا ملك دقلديانوس تاريخا وكان ابتدا ملكه يوم
الجمعة وبينه وبين يوم الاثنين اول يوم من توت وهو اول ايام ملك الاسكندر
تلثمائة وخمسمائة واربع وتسعون سنة واحد عشر شهرا وثلثة ايام وبين
يوم الجمعة اول يوم من تاريخ دقلديانوس وبين يوم الخميس اول سنة الهجرة النبوية
ثلثمائة وثمان وثلثون سنة قمرية وتسعة وثلثون يوما وجعلوا شهور السنة القبطية
اثني عشر شهرا كل شهر منها عدده ثلثون يوما فاذا تمت الاشهر الاثني عشر
اتبعوها بخمسة ايام زيادة على عدد ايامها وسموا هذه الايام الخمسة ابوغمنا
وتعرف اليوم بايام النسي ويكون الحال في النسي على ذلك ثلث سنين متواليات
فاذا كان في السنة الرابعة جعلوا النسي ستة ايام فتكون سنتهم ثلث سنين
متواليات كل سنة منها ثلثمائة وخمسة وستين يوما والرابعة يصير عددها
ثلثمائة وستة وستين يوما وترجع جملة سنتهم الى جملة سنة اليونانيين بان تصير
سنتهم الوسطى ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم الا ان الكبس يختلف فاذا
كبس القبط في سنة كان كبس اليونانيين في السنة الداخلة واسما شهور القبط
توت بابه هتور كيهك طوبه امشير برمهات برموده بشنس بؤنه

ابيب مسرى فهذه اثني عشر شهرا كل شهر منها عدة ثلثين يوما واذا اكملت عدة شهر
مسرى وهو الشهر الثاني عشر زادوا ايام النسي بعد ذلك وعملوا النوروز اول يوم
من شهر توت

ذكر اسابيع الايام

اعلم ان القدما من الفرس والسغد وقبط مصر الاول لم يكونوا يستعملون الاسابيع
من الايام في الشهور واول من استعملها اهل الجانب الغربي من الارض سيما اهل الشام
وحواليه من اجل ظهور الانبيا عليهم السلام فيما هنالك واخبارهم عن الاسبوع الاول
وبدو العالم فيه وان الله تعالى خلق السموات والارض في ستة ايام من الاسبوع
ثم انتشر ذلك منهم في ساير الامم واستعمله العرب العاربة بسبب مجاورة ديارهم
وديار اهل الشام فانهم كانوا انتقل نحو لهم الى الامم ببابل وعندهم اخبار نوح عليه
السلام ثم بعث الله تعالى اليهم هودا ثم صالح عليهما السلام وانزل فيهم ابراهيم
خليل الرحمن عليه السلام ابنه اسمعيل عليه السلام فتعرب اسمعيل وكانت القبط
الاول تستعمل اسما الايام الثلثين من كل شهر فيجعل لكل يوم منها اسما كما هو
العمل في تاريخ الفرس ومازالت القبط على هذا الى ان ملك مصر اغشطش
بن يوحس فاراد ان يحملهم على كبس السنين ليوافقوا الروم فيه ابدا فوجد واحد
الباقي حينيذ الى تمام السنة الكبيسة الكبرى خمس سنين حتى مضى من ملكه
خمس سنين ثم حملهم على كبس الشهور في كل اربع سنين يوم كما يفعل الروم
فترك القبط حينيذ استعمال اسما الايام الثلثين من اهل مصر والعارفون
بها ولم يبق لها ذكر يعرف في العالم بين الناس بل درست كما درس غيرها من اسما الروم
القديمة والعادات الاول سنة الله في الذين خلوا من قبل وكانت اسما شهور
القبط في الزمن القديم توت، باوني، اتور، شواق، طوبي، ماكير، فامينوت،
برموتي، باخون، باوني، ابيفي، ابيفا، وكل شهر منها ثلثون يوما ولكل يوم
اسم يخصه ثم احدث بعض روسا القبط بعد استعمالهم الكبس الاسما التي هي اليوم
متداولة بين الناس بمصر الا ان من الناس من يسمي كيهك، كياك، ويقول
في برمهات برمهوط وفي بشنس بشانس وفي مسرى ماسوري ومن الناس من
يسمي الخمسة الايام الزايدة ايام النسي ومنهم من يسميها ابو غمنا ومعنا ذلك الشهر
الصغير وهي كما تقدم يلحق في اخر مسرى وفيه تزاد اليوم الكبيس فيكون ابو غمنا
ستة ايام حينيذ ويسمون السنة الكبيسة النقط ومعناه العلامة ومنه

خرافات

خرافات القبط ان شهورهم هي شهور سني نوح وشيث وادم منذ ابتدا العالم وانها
لم تزل على ذلك الى ان خرج موسى ببني اسرايل من مصر فجعلوا اول سنتهم خامس عشر
نيسان كما امروا به في التوراة الى ان نقل الاسكندر راس سنتهم الى اول تشرين
وكذلك المصريون نقل بعض ملوكهم اول سنتهم الى اول يوم من ملكه فصار اول
توت عندهم متقدم اول يوم خلق فيه العالم بمايتين وثمانية ايام واولها يوم الثلاثا
واخرها يوم السبت وكان توت اوله في ذلك الوقت يوم الاحد وهو اول يوم خلق
الله فيه العالم الذي يقال له الان تاسع عشرين برمهات وذلك ان اول من ملك
على الارض بعد الطوفان نمرود بن كنعان بن حام بن نوح فعمر بابل وهو اب
الكلدانيين وملك بنو مصرايم بن حام عليهم فتفرقت منها بمنف على النيل وسماها
باسم جده مصرايم وهو ثاني ملك ملك على الارض وهذان الملكان استعملا تاريخ
جدهما نوح واستنا سنتهم من جاء بعدهم حتى تغيرت كما تقدم

ذكر اعياد القبط من النصارى بديار مصر

روى بن يونس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال اجتنبوا عيد اليهود والنصارى
فان السخط ينزل عليهم في مجامعهم ولا تتعلموا رطانتهم فتتخلقوا ببعض خلقهم
وعن بن عباس في قوله تعالى والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو
مروا كراما قال اعياد المشركين فقيل له او ما هذا في الشهادة بالزور فقال
لا انما اية شهادة الزور قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر
والفواد كل اوليك كان عنه مسولا اعلم ان نصارى مصر من القبط ينتحلون
مذهب اليعقوبية كما تقدم ذكره واعيادهم الان التي هي مشهورة بديار مصر
اربعة عشر عيدا في كل سنة من سنيهم القبطية منها سبعة اعياد يسمونها
اعيادا كبارا وسبعة يسمونها اعيادا صغارا فالاعياد الكبار عندهم عيد
البشارة وعيد الزيتونة وعيد الفصح وعيد خميس الاربعين وعيد الخميس
وعيد الميلاد وعيد الغطاس والاعياد الصغار عيد الختان وعيد الاربعين
وخميس العهد وسبت النور وحد الحدود والتجلي وعيد الصليب ولهم
موسم اخر ليس هو عندهم من الاعياد الشرعية لكنه عندهم من المواسم العادية
وهو يوم النوروز وسأذكر من خبر هذه الاعياد ما تجده مجموعا في غير
هذا الكتاب على ما استخرجته من كتب النصارى وتواريخ اهل الاسلام

عيد البشارة هذا العيد عند النصارى اصله بشارة جبريل مريم عليها السلام بميلاد المسيح عليهما السلام وهم يسمون جبريل غبريال ويقولون مارت مريم ويسمون المسيح ياسوع وربما قالوا السيد ليسوع وهذا العيد تعمله نصارى مصر في اليوم التاسع والعشرين من شهر برمهات **عيد الزيتونة** ويعرف عندهم بعيد السعانين ومعناه التسبيح ويكون في سابع احد من صومهم وسنتهم في عيد السعانين ان يخرجوا بسعف النخل من الكنيسة ويرون انه يوم ركوب المسيح العفو وهو الحمار في القدس ودخوله الى صهيون وهو راكب والناس بين يديه يسبحون وهو يامر بالمعروف ويحث على عمل الخير وينهى عن المنكر وباعد منه وكان عيد السعانين من مواسم النصارى بمصر التي تزين فيه كنايسهم فلما كان لعشر خلون من شهر رجب سنة ثمان وتسعين وثلثمايه كان عيد الشعانين فمنع الحاكم بامر الله ابو على منصور بن العزيز بالله النصارى من تزيين كنايسهم وحملهم الخوص على ما كانت عادتهم وقبض على عدة ممن وجد معه شيا من ذلك وامر بالقبض على ما هو محبس على الكنايس من الاملاك وادخلها في الديوان وكتب لساير الاعمال بذلك واحرقت عدة من صلبانهم على باب الجامع العتيق بمصر والشرطه **عيد الفسح** هذا العيد عندهم هو العيد الكبير ويزعمون ان المسيح عليه السلام لما ثار اليهود عليه واجمعوا على تصليبه وقتله قبضوا عليه واحضروه الى الخشبة ليصلب فصلب على الخشبة لصان وعندنا وهو الحق ان الله رفعه اليه ولم يصلب ولم يقتل وان الذي صلب على الخشبة مع اللصين غير المسيح القى الله شبه المسيح عليه قالوا واقتسم الجند ثيابه وغشى الارض ظلمة من الساعة السادسة من النهار الى الساعة التاسعة من يوم الجمعة خامس عشر هلال نيسان للعبرانيين وتاسع عشرين برمهات وخامس عشرين اذار سنة ودفن الشبه في اخر النهار بقبر واطبق عليه حجر عظيم وختم عليه رؤسا اليهود واقاموا عليه الحرس باكر يوم السبت كيلا يسرق فزعموا ان المقتول قام من القبر ليلة الاحد سحرا ومضى بترس ويوحنا التلميذان الى القبر واذا الثياب التي كانت على المقتول فقط بغير ميت وعلى القبر ملاك الله بثياب بيض فاخبرهما بقيامة المقتول من القبر قالوا وفي عشية يوم الاحد هذا دخل المسيح على تلاميذه وسلم عليهم واكل معهم وكلمهم واوصاهم وامرهم باموره قد تضمنها انجيلهم وهذا العيد عندهم بعد عيد الصليبوت بثلثه ايام

خميس

خميس الاربعين ويعرف عند اهل الشام بالسلاق ويقال له ايضا عيد الصعود وهو الثاني والاربعين من الفطر ويزعمون ان المسيح عليه السلام بعد اربعين يوما من قيامته خرج الى بيت عنيا والتلامذة معه فرفع يديه وبارك عليهم وصعد الى السما وذلك عند اكماله ثلثا وثلثين سنة وثلثه اشهر فرجع التلاميذ الى اورشليم يعني بيت المقدس وقد وعدهم باشيا دامرهم وغير ذلك مما هو معروف عندهم بهذا اعتقادهم في كيفيه رفع المسيح ومن اصدق من الله حديثا ،،
عيد الخميس وهو العنصرة ويعملونه بعد خمسين يوما من يوم القيمة ، وزعموا ان بعد عشرة ايام من الصعود وخمسين يوما من قيامه المسيح بزعمهم اجتمع التلاميذ في علية صهيون فتجلى لهم روح القدس شبه السنة من نار فامتلوا من روح القدس وتكلموا بجميع الالسن وظهرت على ايديهم ايات كثيرة فعاداهم اليهود وحبسوهم فنجاهم الله منهم وخرجوا من السجن فسادوا في الارض متفرقين يدعون الناس الى دين المسيح ، **الميلاد** يزعمون انه اليوم الذي ولد فيه المسيح وهو يوم الاثنين فيجعلونه عشية الاحد ليلة الميلاد وسنتهم فيه كثرة الوقود بالكنايس وتزيينها ويعملونه بمصر في التاسع والعشرين من كيهك ولم تزل بديار مصر من المواسم المشهوره وكان يفرق فيه ايام الدولة الفاطمية على ارباب الرسوم من الاستاذين المحنكين والامرا المطوقين وساير العوالي من الكتاب وغيرهم الجامات من الحلاوة القاهريه والمثارد التي فيها السميد وقرابات الجلاب وطيافير الزلابيه والسمك البوري ومن رسم النصارى في الميلاد اللعب بالنار ومن احسن ما قيل في ذلك ،،

، ما اللعب بالنار في الميلاد من سنه ، وانما فيه للاسلام مقصود ،
، وفيه بكّت النصارى ان ربهم ، عيسى بن مريم مخلوق ومولود ،

وادركنا الميلاد بالقاهرة ومصر وساير اقليم مصر موسما جليلا يباع فيه من الشموع المزهرة بالاصباغ المليحة والتماثيل البديعة باموال فلا يبقى احد من الناس اعلاهم وادناهم حتى يشترى من ذلك لاولاده واهله وكانوا يسمونها الفوانيس واحدها فانوس ويعلقون منها في الاسواق بالحوانيت شيا يخرج عن الحد في الكثرة والملاحة ويتنافس الناس في المغالات في اثمانها حتى لقد ادركت

شمعة علت فبلغ مصروفها الف درهم وخمسماية درهم نقصة عنها ما ينيف على سبعين
شمعًا الامرا لذهب واعرف السوال في الطرقات ايام هذا الموسم وهم يسالون الله
تعالى ان يتصدق عليهم بفانوس فيشتري لهم من صغار الفوانيس ما يبلغ ثمنه الدرهم
وما حوله ثم لما اختلت امور مصر كان من جملة ما بطل من عوايد الترف عمل الفوانيس
في الميلاد الا قليلا.

الغطاس

ويعمل بمصر في اليوم الحادي عشر من شهر طوبه
واصله عند النصارى ان يحيى بن زكريا عليه السلام المعروف عندهم بيوحنا
المعمداني عمد المسيح اي غسله في بحيرة الاردن وعندما خرج المسيح عليه السلام
من الما اتصل به روح القدس فصار النصارى لذلك يغمسون اولادهم في الما في
هذا اليوم وينزلون فيه باجمعهم ولا يكون ذلك الا في شدة البرد ويسمونه يوم
الغطاس وكان له بمصر يوم عظيم الى الغاية قال المسعودي ولليلة الغطاس بمصر
شان عظيم عند اهلها لا ينام الناس فيها وهي ليلة الحادي عشر من طوبه ولقد
حضرت سنة ثلثين وثلثماية ليلة الغطاس بمصر والاخشيد محمد بن طغج امير مصر
في داره المعروفة بالمختار في الجزيرة الراكبة للنيل والنيل يطيف بها وقد امر فاسرج
من جانب الجزيرة وجانب الفسطاط الف مشعل غير ما اشعل اهل مصر من
المشاعل والشمع وقد حضر بشاطي النيل في تلك الليلة سوى الاف من الناس
من المسلمين ومن النصارى منهم في الزواريق ومنهم في الدور الدانية من النيل
ومنهم على الشطوط لا يتناكرون كل ما يمكنهم اظهاره من الماكل والمشارب والملابس
والات الذهب والفضة والجواهر والملاهي والعزف والقصف وهي احسن ليلة
تكون بمصر واشملها سرورا ولا تغلق فيها الدروب ويغطس اكثرهم في النيل ويزعمون
ان ذلك امان من المرض ونشرة للداء وقال المسبحي في تاريخه من حوادث سنة
سبع وستين وثلثماية ومنع النصارى من اظهار ما كانوا يفعلونه في الغطاس من
الاجتماع ونزول الما واظهار الملاهي ونودي ان من عمل ذلك نفي من الحضرة وقال
في سنة ثمان وثلثين وثلثماية كان الغطاس فضربت الخيام والمضارب والاشرعة
في عدة مواضع على شاطي النيل ونصبت اسرة للرييس فهد بن ابراهيم النصراني كاتب
الاستاذ برجوان واوقدت له الشموع والمشاعل وحضر المغنون والملهون
وجلس مع اهله يشرب الى ان كان وقت الغطاس فغطس وانصرف وقال في سنة
احدى واربعماية وفي ثامن عشر جمادى الاولى وهو عاشر طوبه منع النصارى

من

من الغطاس فلم يغطس منهم احدا في البحر وقال في حوادث سنة خمس عشرة واربعماية
وفي ليلة الاربعا رابع ذي القعدة كان غطاس النصارى فجرى الرسم من الناس
في شرا الفواكه والضان وغيره ونزل امير المومنين الظاهر لاعزاز دين الله لقصر
جده العزيز بالله في مصر لنظر الغطاس ومعه الحرم ونودي ان لا يختلط المسلمون
مع النصارى عند نزولهم في البحر في الليل وضرب بدر الدولة الخادم الاسود
متولي الشرطتين خيمة عند الجسر وجلس فيها وامر امير المومنين بان يوقد
النار والمشاعل في الليل وكان وقيدا كثيرا وحضر الرهبان والقسوس بالصلبان
والنيران فقسسوا هناك طويلا الى ان غطسوا وقال ابن المامون في تاريخه
من حوادث سنة سبع عشرة وخمسماية وذكر الغطاس ففرق في اهل الدولة
ما جرت به العادة في الرسوم لاهلها من الاترج والنارنج والليمون في المراكب
واطنان القصب والبوري بحسب الرسوم المقررة بالديوان لكل واحد

الختان

يعمل في سادس شهر بونه ويزعمون ان المسيح ختن في هذا
اليوم وهو الثامن من الميلاد والقبط من دون النصارى يختنون بخلاف غيرهم

الاربعون

وهو عندهم دخول المسيح الهيكل ويزعمون ان شمعان
الكاهن دخل بالمسيح مع امه وبارك عليه ويعمل في ثامن شهر امشير

خميس العهد

ويعمل قبل الفصح بثلاثة ايام وسنتهم فيه ان ياخذوا انا من ما ويزمزمون
عليه ثم يغسل للتبرك به ارجل ساير النصارى ويزعمون ان المسيح فعل هذا
بتلامذته في مثل هذا اليوم كي يعلمهم التواضع ثم اخذ عليهم العهد ان لا
يتفرقوا وان يتواضع بعضهم لبعض وعوام اهل مصر في وقتنا يقولون خميس
العدس من اجل ان النصارى يطبخ فيه العدس المصفى ويقول اهل الشام خميس
الارز وخميس البيض ويقول اهل الاندلس خميس ابريل وابريل اسم شهر
من شهورهم وكان في الدولة الفاطمية يضرب في خميس العدس هذا خمسماية
دينار وتعمل خراريب تفرق في اهل الدولة برسوم مقررة كما ذكر في اخبار القصر
من القاهرة عند ذكر دار الضرب من هذا الكتاب وادركنا خميس العدس
هذا بالقاهرة ومصر واعمالهما من جملة المواسم العظيمة فيباع في اسواق القاهرة
من البيض المصبوغ عدة الوان ما يتجاوز حد الكثرة فيقامر به العبيد والصبيان
والغوغا وينتدب لذلك من جهة المحتسب من يردعهم في بعض الاحيان ويهادي

خ العدس ثم

النصارى بعضهم بعضا ويهدون الى المسلمين انواع السمك المنوع مع العدس المصفى والبيض وقد قل عمل ذلك لما حل بالناس وبقيت منه بقية **سبت النور** وهو قبل الفسح بيوم ويزعمون ان النور يظهر على قبر المسيح بزعمهم في هذا اليوم بكنيسة القيامة من القدس فتشتعل مصابيح الكنيسة كلها وقد وقف اهل الفحص والتفتيش على ان هذا من جملة مخاريق النصارى بصناعة يعملونها وكان بمصر هذا اليوم من جملة المواسيم ويكون بالسوق من حمليين العدس ومن توابعه **عيد الجدود** وهو بعد الفسح بثمانية ايام يعمل اول احد بعد الفطر لان الآحاد قبله مشغوله بالصوم وفيه يجددون الالات والاثاث واللباس وياخذون في المعاملات والامور الدنيويه والمعاش **عيد التجلي** يعمل في ثالث عشر شهر مسرى يزعمون ان المسيح تجلى لتلاميذه بعدما رفع وتمنوا عليه ان يحضر لهم ايليا وموسى عليهما السلام فاحضرهما اليهم بمصلى بيت المقدس ثم صعد الى السما وتركهم **عيد الصليب** ويعمل في اليوم السابع عشر من شهر توت وهو من الاعياد المحدثه وسببه ظهور الصليب بزعمهم على يد هيلانا ام قسطنطين وله خبر طويل عندهم ملخصه ما انت تراه

ذكر قسطنطين وقسطنطين هذا هو ابن قسطنطس بن وليطنوس بن ارشموش بن دمعون بن كلوديس بن غالش بن اكيبان اغشت الاعظم الملقب قيصر وهو اول من تنصر دين النصرانيه وامر بقطع الاوثان وهدم هياكلها وبنيان البيع وامن من الملوك بالمسيح وكانت امه هيلانه من مدينة الرها فنشا بها مع امه وتعلم العلوم ولم يزل في غاية من السعادة والظفر معانا منصورا على كل من حاربه وكان في اول امره على دين المجوس شديدا على النصارى مانا لدينهم وكان سبب رجوعه عن ذلك الى النصرانيه انه ابتلي بجذام ظهر عليه فاغتم لذلك غما شديدا وجمع الحذاق من الاطبا فاتفقوا على ادويه دبروها له واوجبوا ان يستنقع بعد اخذ تلك الادويه في صهريج مملو من دما اطفال رضع ساعة ان تسيل منهم فتقدم بجمع جملة عظيمة من اطفال الناس وامر بذبحهم في صهريج ليستنقع في دمايهم وهي طرية فجمعت الاطفال لذلك وبرز ليمضي فيهم ما تقدم من ذبحهم فسمع ضجيج الناس اللاتي اخذوا اولادهن من حرمهن وامر تدفع الى كل واحدة ابنها وقال احتمال علتي اولى بي واوجب من الهلاك هذه

هذه العدة العظيمه من البشر فانصرف النسا باولادهن وقد سررن سرورا كثيرا فلما صار من الليل الى مضجعه راى في منامه شيخا يقول له انك رحمت الاطفال وامهاتهم ورايت احتمال علتك اولى من ذبحهم فقد رحمك الله ووهبك السلامة من علتك فابعث الى رجل من اهل الايمان يقال له سلبشتر قد فر خوفا منك وقف عند ما يامرك به والتزم ما يحضك عليه يتم لك العافيه فانتبه مذعورا وبعث في طلب سلبشترا الاسقف فاتي به اليه وهو يظن انه يريد قتله لما عهده من غلظته على النصارى ومقته لدينهم فعند ما راه تلقاه بالبر واعلمه بما راه في منامه فقص عليه دين النصارى وكانت له معه اخبار طويلة مذكورة عندهم فبعث قسطنطين في جمع الاساقفه المنفيين والمستترين والتزم دين النصرانيه وشفاه الله من الجذام فابدا الديانه واعلن بالايمان بدين المسيح فبينا هو كذلك اذ وقع وثوب اهل رومة عليه واتباعهم به فخرج عنهما وبنا مدينه قسطنطينيه بناءا جليلا فعرفت به وسكنها فصارت موضع تخت الملك من عهده وقد كان النصارى من لدن زمان نيرون الملك الذي قتل الحواريين ومن بعده ممن ملك رومة في كل وقت يقتلون ويحبسون ويشردون بالنفي فلما سكن قسطنطين مدينة قسطنطينيه جمع الى نفسه اهل دين المسيح وقربهم واذل عباد الاوثان فشق ذلك على اهل رومة وخلعوا طاعته وقدموا عليهم ملكا فاهمه ذلك وجرت له معهم عدة اخبار مذكورة في تاريخ رومة ثم انه خرج من قسطنطينيه يريد رومة وقد استعد للحربه فلما قاربهم اذعنوا له والتزموا طاعته فدخلها واقام الى ان جمع للحرب الفرس وخرج اليهم فقهرهم ودانت له اكثر ممالك الدنيا فلما كان في عشرين سنة من دولته خرجت القوط على بعض اطرافه فغزاهم واخرجهم عن بلاده وراى في منامه كان عمودا شبه الصليب قد رفعت وقايل يقول له انا اردت ان تظفر بمن خالفك فاجعل هذه العلامات على جميع تركك ففعل ذلك فلما انتبه امر بتجهيز امه هيلانه الى بيت المقدس في طلب اثار المسيح عليه السلام وبنا الكنايس واقامة شرايع النصرانيه فسارت الى بيت المقدس وبنت الكنايس فيقال ان الاسقف مقاريوس دلها على الخشبة التي زعموا ان المسيح صلب عليها وقد قص عليها ما عمله اليهود

فحفرت حيث دلها فاذا قبر وثلث خشبات على شكل الصليب فزعموا انهم القوا الثلاث
خشبات على ميت واحدة بعد واحدة فقام حيا عند ما وضعت عليه خشبة منها
فاتخذوا ذلك اليوم عيدا وسموه عيد الصليب وكان في اليوم الرابع عشر من
ايلول والسابع عشر من توت وذلك بعد ولادة المسيح بثلثمائة وثمانية وعشرين
سنة وجعلت هيلانة للخشب الصليب غلافا من ذهب وبنت كنيسة القيامة
ببيت المقدس على قبر المسيح بزعمهم وكانت لها مع اليهود اخبار كثيرة قد ذكرت
عندهم ثم انصرفت بالصليب معها الى ابنها وما زال قسطنطين على ممالك الروم
الى ان مات بعد اربع وعشرين سنة من ولايته فقام من بعده بممالك الروم
ابنه قسطنطين الاصغر وقد كان لعيد الصليب بمصر موسم عظيم يخرج الناس
فيه الى بني وائل بظاهر فسطاط مصر ويتظاهرون في ذلك اليوم بالمنكرات
من انواع المحرمات ويمر لهم فيه ما يتجاوز الحد فلما قدمت الدولة الفاطمية
الى ديار مصر وبنوا القاهرة واستوطنوها وكانت خلافة امير المؤمنين العزيز
بالله امر في رابع شهر رجب سنة احدى وثمانين وثلثمائة وهو عيد الصليب
بمنع الناس من الخروج الى بني وائل وضبط الطرق والدروب فلما كان عيد
الصليب في اليوم الرابع عشر من رجب سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة خرج
الناس فيه الى بني وائل وجروا على عادتهم في الاجتماع واللهو وفي صفر سنة
اثنتين وتسعين وثلثمائة قرئ في سابعه سجل بالجامع العتيق وفي الطرقات كتب عن
الحاكم بامر الله تشتمل على منع النصارى من الاجتماع على عمل عيد الصليب
وان لا يظهروا زينتهم فيه ولا يقربوا كنائسهم وان يمنعوا منها ثم بطل ذلك حتى
لم يكد يعرف اليوم بديار مصر البتة **النوروز** هو اول السنة
القبطية بمصر وهو اول يوم من توت وسنتهم فيه اشعال النيران والتراش
بالماء وكان من مواسم لهو المصريين قديما وحديثا قال وهب بردت النار في
الليلة التي القي ابراهيم في النار وفي صبيحتها على الارض كلها فلم ينتفع احد
في الدنيا تلك الليلة وذلك الصباح فمن اجل ذلك بات الناس على النار
في تلك الليلة التي رمي فيها ابراهيم عليه السلام ووثبوا عليها وتبخروا بها وسموا
تلك الليلة نيروز والنيروز في اللسان السرياني العيد وسئل ابن عباس
عن النيروز لم اتخذوه عيدا فقال لانه اول السنة المستأنفة واخر السنة

المنقطعة

المنقطعة فكانوا يستحبون فيه ان يقدموا على ملوكهم بالطرف والهدايا فاتخذته
الاعاجم سنة قال الحافظ ابو القاسم علي بن عساكر في تاريخ دمشق من حديث ابن
عباس رضي الله عنه قال ان فرعون لما قال للملا من قومه ان هذا الساحر عليم
قالوا له ابعث الى السحرة قال فرعون لموسى يا موسى اجعل بيننا وبينك موعدا
لا نخلفه نحن ولا انت مكانا سوى يجتمع انت وهرون ويجتمع السحرة فقال
موسى موعدكم يوم الزينة قال ووافق ذلك اليوم يوم السبت في اول يوم
من السنة وهو يوم النوروز وفي رواية ان السحرة قالوا لفرعون ايها
الملك واعد الرجل فقال قد واعدته يوم الزينة وهو يوم عيد لهم الاكبر
ووافق ذلك اليوم يوم السبت فخرج الناس لذلك اليوم قال والنوروز
اول سنة الفرس وهو الرابع عشر من اذار وفي شهورهم حبات ويقال ان اول
من احدثه جمشيد من ملوك الفرس وانه ملك الاقاليم السبعة فلما
كمل ملكه ولم يبق له عدو اتخذ ذلك اليوم عيدا وسماه نوروزا اي اليوم
الجديد وقيل ان سليمان بن داود عليه السلام اول من صنعه في اليوم
الذي رجع اليه فيه خاتمه وقيل هو اليوم الذي شفي فيه ايوب عليه
السلام وقال له الله سبحانه اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب
فجعل ذلك اليوم عيدا وسنوا فيه رش الماء وقال كان بالشام سبط من
بني اسرائيل اصابهم الطاعون فخرجوا الى العراق فبلغ ملك العجم خبرهم فامر
ان يبنى عليهم حظيرة يجعلون فيها فلما صاروا فيها ماتوا وكانوا اربعة آلاف
رجل ثم ان الله اوحى الى نبي ذلك الزمان ارايت بلاد كذا وكذا الخارجهم
سبط بني فلان قال نعم قال كيف اصابهم وقد ماتوا فاوحى الله اليه اني
احييتهم لك فامطرهم الله ليلة من الليالي في الحظيرة فاصبحوا احياء فهم الذين
قال الله تبارك وتعالى فيهم الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر
الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم فرفع امرهم الى ملك فارس فقال تبركوا
بهذا اليوم وليصب بعضكم على بعض الماء وكان ذلك اليوم يوم النوروز
فصارت سنة الى اليوم وسئل الخليفة المامون عن رش الماء في النوروز
فقال قول الله تعالى الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت
فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله على كل شيء قدير هولاء قوم اجدبوا فتول

مات فلان هو لا نعيش الي هذا اليوم برشه من مطر فعاشوا واخصب بلدهم
بما احياهم الله بالغيث والعنب بسما الحيا جعلوا صب الما في مثل هذا اليوم سنة
يتبركون بها الى يومنا هذا وقد روي ان الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف
قوم من بني اسرائيل فروا من الطاعون وقيل امروا بالجهاد فخافوا الموت
بالقتل في الجهاد فخرجوا من ديارهم فرارا من ذلك فاماتهم الله ليعرفهم انه لا
ينجيهم من الموت شي ثم احياهم على يد حزقيل احد انبيا بني اسرائيل في خبر
طويل قد ذكره اهل التفسير وقال علي بن حمزة الاصفهاني في كتاب اعياد الفرس
ان اول من اتخذ النوروز جمشيد ويقال فيه جمشاد احد ملوك الفرس الاول
ومعنى النوروز اليوم الجديد والنوروز عند الفرس يكون يوم الاعتدال
الربيعي كما ان المهرجان اول الاعتدال الخريفي ويزعمون ان النوروز اقدم من
المهرجان ويقولون ان المهرجان كان في ايام افريدون وانه اول من عمله لما قتل
الضحاك وهو بيوراسب فجعل يوم قتله عيدا سماه المهرجان وكان بين
عيد النوروز بالفي سنة وعشرين سنة وقال ابن وصيف شاه في ذكر
منقاوش بن نقراوش احد ملوك القبط في الدهر القديم وهو اول من عمل
النوروز بمصر فكانوا يقيمون سبعة ايام ياكلون ويشربون اكراما للكواكب
وقال ابن رضوان ولما كان النيل هو السبب الاعظم في عمارة ارض مصر
راى المصريون القدماء وخاصة الذين كانوا عهد دقلطيانوس الملك ان
يجعلوا اول السنة في اول الخريف عند استكمال النيل الحاجة في الاكثر
فجعلوا اول شهورهم توت ثم بابه ثم هتور وعلى هذا الولا يجيب المشهور من
ترتيب هذه الشهور وقال ابن زولاق وفي هذه السنة يعني سنة ثلث
وستين وثلثماية منع امير المومنين المعز لدين الله من وقود النيران ليلة
النوروز في السكك ومن صب الما يوم النوروز وقال في سنة اربع وستين
وفي يوم النوروز زادوا اللعب بالما ووقود النيران وطاف اهل الاسواق وعملوا
قبله وخرجوا الى النوروز بلعبهم ولعبوا ثلثة ايام واظهروا السماجات والحلي
في الاسواق ثم امر المعز بالندا بالكف وان لا توقد نار ولا يصب ما واخذ قوم
فحبسوا واخذ قوم فطيف بهم على الجمال وقال ابن المامون في تاريخه وحل
موسم النوروز في اليوم التاسع من رجب سنة سبع عشرة وخمسماية ووصلت
الكسوة

المختصة بالنوروز من الطراز وثغر الاسكندرية مع ما يبتاع من اللاذات المذهبة
والحريري والسوادج والطلو جميع ما هو مستقر من الكسوات الرجالية والنسائية والعين
والورق وجميع الاصناف المختصة بالموسم على اختلافه بتفصيله واسما اربابه واصناف
النوروز البطيخ والرمان وعناقيد الموز وافراد البسر واقفاص التمر القوصي واقفاص
السفرجل وبكل الهريسة المعمولة من لحم الدجاج ومن لحم الضان ومن لحم البقر من كل
لون بكلة مع خبز مارق قال واحضر كاتب الدفتر الابيانات بما جرت به العادة
من اطلاق العين والورق والكسوات على اختلافها في يوم النوروز وغير ذلك من
جميع الاصناف وهو اربعة الاف دينار ذهبا وخمسة عشر الف درهم والكسوات
عدة كبيرة من شقق وبني مذهبات وحريريات ومعاجر وعصايب شرب ملونات
وشقق لاذ مذهب وحريري وسقلاطون وفوط دبيقي حريري فاما العين والورق
والكسوات فذلك لا يخرج عمن يحويه القصور ودار الوزارة والشيوخ والاصحاب
والحواشي والمستخدمين ورؤسا العشاريات وبحاريها ولم يكن لاحد من الامرا على
اختلاف درجاتهم في ذلك نصيب واما الاصناف من البطيخ والرمان والبسر والموز
والسفرجل والعناب والهرايس على اختلافها فيشمل ذلك جميع من تقدم ذكرهم
ويشركهم فيه جميع الامرا ارباب الاطواق والاقضاب وغيرهم من الاماثل والاعيان
ممن له جاه ورسم في الدولة وقال القاضي الفاضل في متجددات سنة اربع
وثمانين وخمسماية يوم الثلثا رابع عشر رجب يوم النوروز القبطي وهو مستهل
توت وتوت اول سنتهم وقد كان بمصر في الايام الماضية والدولة الخالية
من مواسم بطالاتهم ومواقيت ضلالاتهم وكانت المنكرات ظاهرة فيه والفواحش
صريحة في يومه ويركب فيه امير موسوم بامير النوروز ومعه جمع كثير ويتسلط
على الناس في طلب رسم رتبه ويرسم على دور الاكابر ويكتب مناشير ويندب
مترسمين كل ذلك يخرج مخرج الطنز ويقنع بالميسور من الهدايا ويجتمع المونثون
والفاسقات تحت قصر اللولوة بحيث يشاهدهم الخليفة وبايديهم الملاهي وترتفع
الاصوات ويشرب الخمر والمزر شربا ظاهرا بينهم وفي الطرقات ويتراش الناس
بالما وبالما والخمر وبالما ممزوجا بالاقذار وان غلط مستور وخرج من داره لقيه
من يرشه ويفسد ثيابه ويستخف بحرمته فاما ان يفدي نفسه واما ان يفضح ولم يجر الحال
على هذا ولكن قد رش الما في الحارات واحيا المنكر في الدور ارباب الخسارة

وقال في تجدد ذات سنة اثنين وتسعين وخمسمائة وجرى الامر في النوروز على العادة من رش الما واستجد فيه هذا العام التراجم بالبيض والتصافع بالانطاع وانقطع الناس عن التصرف ومن ظفر به في الطريق طرش بمياه نجسة وخرق به وما زال يوم النوروز يعمل فيه ما ذكرنا من التراش بالما والتصافع بالجلود وغيرها الى ان كانت اعوام بضع وثمانين وسبعمائة وامرا الدولة وتدبيرها بايديا ومصر الى الامير الكبير برقوق قبل ان يجلس على سرير الملك ويتسمى بالسلطان منع من لعب النوروز وتهدد من لعبه بالعقوبة فانكف الناس عن اللعب في القاهرة وصاروا يعملون شيا من ذلك في الخلجان والبرك ونحوها من مواضع التنزه بعد ما كانت اسواق القاهرة تتعطل في يوم النوروز من البيع والشرا ويتعاطى الناس فيه من اللهو واللعب ما يخرجون به عن حد الحيا والحشمة الى الغاية من الفجور والعهر وقل ما انقضى يوم نوروز الا وقتل فيه قتيل او اكثر ولم يبق الان للناس من الفراغ ما يقتضي ذلك ولا من الرفه والبطر ما يوجب لهم عمله وما احسن ما قال بعضهم

كيف ابتهاجك بالنوروز يا سكني ... وكل ما فيه يحكيني واحكيه

فتارة كلهيب النار في كبدي ... وتارة كتوالي دمعتي فيه

وقال اخر

نورز الناس ونورزت ولكن بدموعي ... وذكت نارهم والنار ما بين ضلوعي

وقال اخر

ولما اتى النوروز يا غاية المنى ... وانت على الاعراض والهجر والصد

بعثت بنار الشوق ليلا الى الحشا ... فنورزت صبحا بالدموع على الخد

ذكر ما يوافق ايام الشهور القبطية من الاعمال في الزراعات وزيادة النيل وغير ذلك على ما نقله اهل مصر عن قدمائهم واعتمدوا عليه في امورهم

اعلم ان المصريين القدما اعتمدوا في تاريخهم السنة الشمسية كما تقدم ذكره ليصير الزمان محفوظا واعمالهم واقعة في اوقات معلومة من كل سنة لا تتغير وقت عمل من اعمالهم بتقديم ولا تاخير البتة توت القبطي وهو ايلول كانت عادة مصر منذ عهد فراعنتها في استخراج خراجها وجباية

احوالها

احوالها انه لا يستتم استيفا الخراج من اهلها الا عند تمام الما وانتشاره على سائر ارضها وتتم انتامه في شهر توت فاذا كان ذلك وربما كانت زيادة على ذلك اطلق الما في جميع نواحيها من ترعها ثم لا يزال يترجح في الزيادة والنقصان حتى يفرغ توت وفي اوله توت يكون يوم النوروز ورابعه اول ايلول وسابعه يلقط الزيتون وثاني عشره يطلع النجم بانصرافه وسابع عشره عيد الصليب فيتشوط البلسان ويستخرج دهنه ويفتح ما تاخر من الاجور والنزاع وترتب المداسنة لحفظ الجسور وفي ثامن عشره تنتقل الشمس الى برج الميزان فيدخل فصل الخريف وفي خامس عشرينه تطلع النجم العوا ويكثر صغار السمك وفي هذا الشهر يعم ما النيل اراضي مصر وفيه تستجل النواحي وتستنزع السجلات والقوانين ويطلق التقاوي من الغلال لتخضير الاراضي وفيه يدرك الرمان والبسر والرطب والزيتون والقطن والسفرجل وفيه يكون هبوب ريح الشمال اقوى من هبوب الجنوب وهبوب الصبا اقوى من الدبور وكان قدما المصريين لا يتضمنون فيه اساسا وفيه يكثر بمصر العنب الشتوي ويتبدد والمحمضات

بابه في اوله يحصد الارز ويزرع الفول والبرسيم وسائر الحبوب التي لا يشق لها الارض وفي رابعه اول تشرين الاول وفي ثامنه طلوع النجم بالسماك وهو نهاية زيادة النيل وابتدا نقصه وقد لا يتم الماقية فيعجز بعض الارض عن ان يركبها الما فيكون من ذلك نقص الخراج عن العمال وفي تاسعه يكون مجي الكراكي الى ارض مصر وفي عاشره يزرع الكتان وفي ثاني عشره يكون ابتدا اشق الاراضي بصعيد مصر لبذر القمح والشعير وفي ثامن عشره تنتقل الشمس الى برج العقرب ويقطع الخشب وفي تاسع عشره يكون ابتدا نقص النيل ويكثر البعوض وفي حادي عشرينه يطلع النجم بالغفر وفي هذا الشهر تنصرف المياه عن الاراضي ويخرج المزارعون لحصين الاراضي فيبتدون بعد بذر زراعة القرط ثم زراعة الغلة البدرية او لا فاولا وفيه يستخرج دهن الاس ودهن النيلوفر ويدرك التمر والزبيب والسمسم والقلقاس وفيه يكثر صغار السمك ويقل كباره ويسمن الراي والابرميس من السمك خاصة ويستحكم حلاوة الرمان ويكون فيه اطيب منه في سائر الشهور التي يكون فيها وتمتنع الضان والمعز والبقر الحبشية وفيه يملح السمك المعروف بالبوري ويترك الضان والمعز والبقر ولا يطيب لحومها ويدرك المحمضات وفيه يجب كتابة التذاكر بالاعمال العوصية وفيه يغرس المنثور ويزرع السلجم

هتور

وفي خامسه يكون اول تشرين الثاني ويطلع الفجر بالزبانا في رابعه وفي سادسه يزرع الخشخاش
وفي سابعه ينصرف ما النيل عن الكتان ويبدو في النصف منه وبعد تمام شهر يستنبح وفي
ثامنه او ان المطر الوسمي وفي حادي عشره يهب ريح الجنوب وفي خامس عشره تبرد المياه
بمصر وفي سابع عشره يطلع الفجر بالاكليل وفي تاسع عشره تحل الشمس برج القوس وفي
تاسع عشره يغلق البحر الملح وفي سابع عشرينه تهب الرياح اللوافح وفي هذا الشهر يلبس
اهل مصر الصوف من سابعه وفيه يكشف ما يحتاج اليه من قصب السكر برسم المعاصر
وازاحة العلة في جميع ما يحتاج اليه فيها ويهتم بعلف ابقارها وجمالها بعد سع سادرها
وعاجزها والتعويض عنه بغيره وافراد الاماكن برسم وقود القنود وترتيب الزراعة
لعمل الابالج والقواديس والامطار برسم القنود والاعسال وفيه يدرك البنفسج والينوفر
والمنثور من المنقولات الاسفاناخ والبسان واختار قدما المصريين في هتور نصب
الاساسات وزرع القمح واطيب حملان السنة حمله وفيه يكثر العنب الذي كان
يحمل من قوص كيهك اوله اول الاربعينيات بمصر وتدخل الطير اوكارها
وفي سادسه بشارة مريم بحمل عيسى عليهما السلام وفي سابعه اول كانون الاول
وفي عاشره اخر الليالي البلق واولها اول هتور وفي حادي عشره اول الليالي
السود وتدخل النحل الاجحرة وفي ثالث عشره يطلع الفجر بالشوكة وتظهر البراغيث
ويسخن باطن الارض وفي سادس عشره يسقط ورق الشجر وفي سابع عشره تنتقل
الشمس الى برج الجدي فيدخل فصل الشتا ويزرع الهليون وفي حادي عشرينه
يكون اخر الليالي البلق وفي ثاني عشرينه عيد البشارة وفي ثالث عشرينه يزرع الحلبه
والترمس وفي سادس عشرينه يطلع الفجر بالنعائم وفي ثامن عشرينه يبيض النعام
وفي تاسع عشرينه الميلاد وفي هذا الشهر يزرع الخيار بعد عراق ارضه وفيه يتكامل
بذر القمح والشعير والبرسيم الحراثي وفيه يستخرج خراج البرسيم بدار الوجه وفيه
يرتب حراس الطير وفيه كسر قصب السكر واعتصاره واستخدام الطباخين لطبخ
القنود وفيه يكون ادراك النرجس والحمصات والفول الاخضر والكرنب
والجزر والكرات الابيض واللفت وفيه تقل هبوب ريح الشمال ويكثر هبوب
ريح الجنوب ولا يزرع بعده في شي من ارض بمصر غير السمسم والمقاثي والدخن
والقطن طوبه في ثالثه ابتدا زراعة الحمص والجلبان والعدس وفي سادسه
كانون الثاني وفي تاسعه يطلع الفجر بالبلده وعاشره صوم الغطاس وثاني عشره
يشتد

يشتد البرد ورابع عشره يرتفع الوبا بمصر ويغرس النخل وفي سابع عشره تحل الشمس اول
برج الدلو ويكثر الندا ويكون ابتدا غرس الاشجار والعشرين منه يكون اخر الليالي
السود وحادي عشرينه الليالي البلق وفي ثاني عشرينه يطلع الفجر سعد الذابح
وفي ثالث عشرينه تهب الرياح البارده ورابع عشرينه تفرخ جوارح الطير وفي
خامس عشرينه نتاج الابل المحموده وسابع عشرينه يصفو ما النيل وفي ثامن
عشرينه يتكامل ادراك القرط وفي هذا الشهر يعلم الكروم وينصف ويزرع الغلة من
البسان وغيره ويقطف زرع الكتان من النخل وغيره وفيه يرش الارض اول
سكة برسم الصيافي والمقاثي والقطن والسمسم وشي برسم اول امشير وفيه
تشق ارض القلقاس والقصب ويشق الجسور في اخره وفيه يستخرج اراضي الخرس
ويكسر القصب الراس بعد افراد ما يحتاج اليه من الزريعه وهو لكل فدان طين
مراطس قصب راس وفيه يهتم لعمارة السواقي وحفر الابار وفيه يظهر
اللوز الاخضر والنبق والهليون وفيه ايضا يكون ريح الجنوب اكثر من هبوب
ريح الشمال وهبوب الصبا اكثر من هبوب الدبور وفيه يكون الباقلا الاخضر
والجزر واطيب منهما في غيره وفيه يتناهى ما النيل في صفايه ويخزن فلا يتغير في
اوانيه ولو طالت لبثه بها وفيه يطيب لحوم الضان منها في ساير الشهور وفيه
تربط الخيل والبغال على القرط من اجل ربيعها وبطوبه يطالب الناس بافتتاح
الخراج ومحاسبة المتقبلين على الثمن من السجلات من جميع ما بايديهم من المحلول
والمعقود امشير في اوله تختلف الرياح وفي خامسه يطلع الفجر سعد بلع
وفي سادسه يكون اول شباط وفي تاسعه يجري الما في العود وحادي عشره وقع
جمرة بارده وسادس عشره تحل الشمس باول برج الحوت وفي سابع عشره
يخرج النمل من الاجحرة وفي ثامن عشره يطلع الفجر بسعد السعود والعشرين منه
ثاني جمرة فاترة وثالث عشرينه تعلم الكروم وخامس عشرينه يفرخ النحل وسابع
عشرينه منه ثالث جمرة حاميه ويورق الشجر وهو اخر غرسها وفي اخره يكون اخر
الليالي البلق وفي هذا الشهر تقلع السلجم ويستخرج خراجه وفيه تشي مرس الصيافي
وتبرش ايضا بالسكة وفيه يعمل بما طح الجسور وتمسح الاراضي ويرقد البيض
في المعامل اربعة اشهر اخرها بشنس وفيه يكون ريح الشمال اكثر الرياح هبوبا
وفيه ينبغي ان يعمل ساير الحرف لما لا يعمل منه طول السنة فان ما عمل منه

اوان الخرف برد الماء في الصيف واكثر من نيه مما تعمل في غيره من الشهور وفيه يتكامل
غرس الشجر ويعلم الكروم وفيه يدرك السلق واللوز الاخضر ويكثر البنفسج والمنثور
ويقال امشير يقول للزرع سير وللحوا الطويل والقصير وفيه يقل البرد ويهب
الهوا الذي فيه سخونة ما وفي امشير يوخذ الناس فيه باتمام ربع الخراج من
السجلات **برمهات** اول يوم منه يطلع النجم بالاخبية وفي خامسه يحضن
دود القز وسادسه يزرع السمسم وثاني عشره يبلع الكتان ورابع عشره يكون
اول الاعجاز ويطلع النجم بالفرغ المقدم وفي سادس عشره تفتح الحيات
اعينها وفي سابع عشره تنتقل الشمس الى برج الحمل وهو اول فصل الربيع وراس سنة
الجند وراس سنة العالم وفي العشرين منه يكون اخر الاعجاز وثاني عشرينه
نتاج الخيل المحمود وثالث عشرينه يظهر الذباب الازرق وخامس عشرينه
تظهر هوام الارض وسابع عشرينه يطلع النجم بالفرغ المؤخر وفي اخره يتفرق
السحاب وفي هذا الشهر تظهر المراكب السفرية وفي البحر الملح الى ثغر مصر من
المغرب والروم ويهتم فيه بتجريد الاجناد الى الثغور كالاسكندرية ودمياط
وتنيس ورشيد وفيه كانت تجهز الاساطيل ومراكب الشواني لحفظ الثغور
وفيه يزرع المقاثي والصيفي ويدرك الفول والعدس ويزرع الكتان
وتزرع اقصاب السكر في الارض المبروشة المختارة لذلك الزرع بعد التمهيد
عن الزراعة وياخذ المشدون في تنظيف الارض المزروعة من العشب في وقت
الزراعة وياخذ القطاعون في قطع الزريعة وياخذ المزارعون في رمي المقطع
القصب وفيه يوخذ في تحصيل النطرون وحمله من وادي هبيب الى الشونة
السلطانية وفيه يكون ريح الشمال اكثر الرياح هبوبا وفيه تزهر الاشجار
وينعقد اكثر ثمارها وفيه يكون اللبن الرائب اطيب منه في جميع الشهور التي
تعمل فيه وفي برمهات يطالب الناس بالربع الثاني والثمن من الخراج
برموده في سادسه اول نيسان وفي عاشره يطلع النجم بالرشا وفي ثاني عشره
تلقح النخل وفي سابع عشره تحل الشمس اول برج الثور وفي ثالث عشرينه يطلع
النجم بالشرطين وهو راس الحمل واول منازل القمر وفيه ابتدا اكسار الفول
وحصاد القمح وهو تمام الزرع وفي هذا الشهر يهتم بقطع الخشب السنط من الحراج
الذي كان بمصر في القديم ايام الدولة الفاطمية والايوبية ويجر الى السواحل

لتيسر

ليتيسر حملها في زمن النيل الى ساحل مصر ليعمل منه شواني واحطاب برسم الوقود في المطابخ
السلطانية وفيه يكثر الورد ويدرك الخيار شنبر والملوخية والباذنجان
وفيه يقطف اوائل عسل النحل وينفض جوز الكتان واحسن ما يكون الورد
فيه من جميع زمانه وفيه يظهر البطيخ الاول من الخميري وفيه تفتح المساحة على
اهل الاعمال ويطالب الناس باغلاق نصف الخراج عن غلاتهم ويحصد بذر
الزرع **بشنس** في خامسه يكثر الفاكهة وسادسه اول ايار وفيه
يطلع النجم بالبطين وثامنه عيد الشهيد وتاسعه انفتاح البحر الملح ورابع
عشره يزرع الارز وثامن عشره تحل الشمس اول برج الجوزاء وفيه يطيب
الحصاد وتاسع عشره يطلع النجم بالثريا وفيه زراعة الارز والسمسم ورابع
عشرينه يكون عيد البلسان بالمطرية ويزعمون انه اليوم الذي دخلت فيه
مريم الى مصر وفي هذا الشهر يكون دراس الغلة وهد ارض الكتان ونفض البزر
والسواقي والابيار وحملها وفيه زراعة البلسان وتقليمه وسقيه وتكريم
اراضيه من بونه الى اخر هتور واستخراج دهنه بعد شرطه في نصف توت
وان كان في اوله فهو اصلح والى اخر هتور وصلاح ايامه ايام الندي وتقيم
في الندي سنة كاملة الى ان تشرب اعكاره واوساخه ويطبخ الدهن في الفصل
الربيعي في شهر برمهات فيعمل لكل رطل مصري اربعة واربعون رطلا من ماء
يحصل منه قدر عشرين درهما وما حولها من الدهن وفي هذا الشهر اكثر ما يهب
من الريح السماك وفيه يدرك التفاح القاسمي ويبتدي فيه التفاح المسكي
والبطيخ العبدلي ويقال انه اول ما عرف بمصر عندما قدم اليها عبد الله بن
طاهر بعد المايتين من سني الهجرة فنسب اليه وقيل له العبدلي وفيه ايضا
يبتدي البطيخ الجوفي والمشمش والخوخ الزهري ويجي الورد الابيض وفيه ايضا
تغور المساحة ويطالب الناس بما يضاف الى المساحة من ابواب وجوه المال
كالصوف والجهبذة وحق المراعي والقرط والكتان على رسوم كل ناحية ويستخرج
فيه تمام الربع مما تغورت عليه العقود والمساحة وتطلق الحصاد لجميع الناس
بؤونه في ثانيه يطلع النجم بالدبران وفي خامسه يتنفس النيل وفي تاسعه
اوان قطع النخل وفي خامس عشره تهب رياح السموم وفي ثاني عشره عيد
ميكائيل فيوخذ قاع النيل وفي ثالث عشره تشتد الحر وفي خامس عشره

يطلع النجم الهنعة وفي عشرينه تحل الشمس اول برج السرطان وهو اول فصل الصيف
وفي سابع عشرينه ينادى على النيل بما زاده من الاصابع وفي ثامن عشرينه يطلع
النجم الهنعة وفي هذا الشهر تسفر المراكب لاحضار الغلال والتبن والنقود
والعسل وغيره لكل من الاعمال القوصية ونواحي الوجه البحري وفيه ينقطف عسل
النحل وتخرص الكروم وتستخرج زكاتها وفيه تبذر الكتان وتقلع زريعة اوجه
في بؤونة وابيب وفيه زراعة الشلجم بالصعيد الاعلى وتحصد بعد مائة يوم
ثم تترك وتحصد في كل مائة يوم حصدة وتحصد من اول كيهك وطوبة وامشير
وبرمهات ويطلع في برموده وتحصد في عشرة ايام من ابيب وتنتم في الارض الجيدة
ثلث سنين وتسقى كل عشرة ايام دفعتين وثاني سنة ثلاثة ورابع سنة اربع
دفعات وفي هذا الشهر يكثر التين الفيوم والخوخ الزهري والكمثرى والعراصيا
والقثا والبلح الحصرم ويبتدئ ادراك العصفر وفيه يدخل بعض العنب ويطيب
التوت الاسود وتنقطف جمهور العسل ويكون رباجة قليل والتين يكون فيه
اطيب منه في سائر الشهور وفيه يطلع النحل وفيه يستخرج تمام نصف الخراج
ما بقي بعد المساحة **ابيب** في سابعه اول تموز وفي عاشره اخر
قطع الخشب وفي حادي عشره يطلع النجم بالذراع وثاني عشره ابتدا اغطس
الكتان وفي خامس عشره يثقل ما الابار وتدرك الفواكه وتموت الدود وفي حادي
عشرينه تحل الشمس باول برج الاسد وتذهب البراغيث ويبرد باطن الارض
ويهيج اوجاع العين وفي خامس عشرينه يطلع النجم بالنثرة وفي سادس عشرينه
يطلع الشعرى العبور اليمانية وفي هذا الشهر اكثر ما يهب من الريح الشمال
ويكثر فيه العنب ويطيب وفيه يطيب التين المعروف بنحي العنب ويتغير البطيخ
العبدلي ويقل حلاوته ويكثر الكمثرى السكري ويطيب البلح وفيه ينقطف
بقايا عسل النحل ويقوى زيادة ما النيل ويقال في ابيب يدب الماء دبيب
وفيه يدبغ الكتان في المبلات ويبتاع البرسيم والبذر برسم زراعة القرط
والكتان وفيه يدرك معظم العنب ويحصد القرطم وفيه تستتم زراعة ثلاثة
ارباع الخراج **مسرى** في سابعه يطلع النجم بالطرف وفي ثامنه اول
اب وفي حادي عشره يجمع القطن وفي رابع عشره يحمى الما ولا يبرد وفي سابع
عشره استكمال الثمار وفي عشرينه يطلع النجم بالجبهة وفي حادي عشرينه تحل
الشمس

الشمس برج السنبلة وفي ثالث عشرينه يتغير طعم الفاكهة لغلبة ما النيل على
الارض وفي خامس عشرينه يكون اخر السموم وفي تاسع عشرينه يطلع سهيل بمصر
وفي هذا الشهر يكون وفا النيل ستة عشر ذراعا في غالب السنين حتى قيل ان
لم يوف النيل في مسرى فانتظره في السنة الاخرى وفيه يجري ما النيل في خليج
الاسكندرية وتسافر المراكب فيه بالغلال والبضائع والسكر وسائر الاصناف
المتاجر وفيه يكثر البسر وكانوا يخرصون النخل ويستخرجون زكاة الثمار في
هذا الشهر عندما كانت الزكوات يجبيها السلطان من الرعية واكثر ما يهب
في هذا الشهر ريح الشمال وفيه يعصر قسط مصر الخمر ويعمل الحب من العنب
وفيه يدرك الموز واطيب ما يكون الموز بمصر في هذا الشهر وفيه يدرك
الليمون التفاحي وكان من جملة اصناف الليمون بمصر ليمون يقال له
التفاحي يوكل بغير سكر لقلة حموضته ولذة طعمه وفيه يكون ابتدا ادراك الرمان
واذا انقضت ايام مسرى ابتدات ايام النسي ففي اولها ابتدا هيج البحار وفي
رابعه يطلع النجم بالخرتان وفي مسرى يعلو الفلاحون خراج اراضي زرعهم
وكانوا يوخرون البقايا على زرع الكتان في مسرى وابيب لان الكتان يسلك
في توت ويدق في بابه

ذكر تحويل السنة الخراجية القبطية الى السنة الهلالية العربية وكيف عمل ذلك في الملة الاسلامية

قد تقدم فيما سلف من هذا الكتاب التعريف بالسنة الشمسية والسنة
القمرية وما اللازم في كبس السنين من الاثار فلما جا الله تعالى بالاسلام
تحرز المسلمون من كبس السنين خشية الوقوع في النسي الذي قال
الله تعالى انما النسي زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا ولما ادى ادخال
السنين القمرية في السنين الشمسية اسقطوا عند راس كل اثنين وثلثين
سنة قمرية سنة ويسمو ذلك الازدلاف لان كل ثلث وثلثين سنة قمرية
اثنان وثلثون سنة شمسية بالتقريب وسانملي عليك من نبا ذلك ما
لم اره مجموعا قال ابو الحسن عبيد الله بن احمد بن ابي طاهر في كتاب
اخبار امير المومنين المعتضد بالله ابي العباس احمد بن ابي احمد طلحة الموفق
المتوكل ومنه نقلت وضح امر المعتضد في ذي الحجة سنة احدى وثمانين

ابي احمد صح

ومائتين مصير النوروز لاحدى عشرة ليلة خلت من حزيران رافة بالرعية وايثارا
لارفاقها وقالوا اخرج التوقيع في المحرم سنة اثنين وثمانين ومائتين بانشا الكتب
الى جميع العمال في النواحي والامصار بترك افتتاح الخراج في النوروز الفارسي
الذي يقع يوم الجمعة لاحدى عشرة ليلة خلت من صفر وان يجعل ما يفتتح من خراج
سنة اثنين وثمانين ومائتين يوم الاربعا لثلث عشرة ليلة تخلوا من ربيع الاخر
من هذه السنة وهو اليوم الحادي عشر من حزيران وسمي هذا النوروز المعتضدي
ترفيها لاهل الخراج ونظرا لهم ونسخة التوقيع الخارج في تصيير افتتاح الخراج في
حزيران اما بعد فان الله خول امير المومنين للمحل الذي احله به
من امور عباده وبلاده يرى ان من حق الله عليه الا يكلفها مسلكة العدل
عليها والانصاف لها والسيرة القاصدة وان يتولى لها صلاح امورها ويستقري
السير والمعاملات التي كانت تعامل بها ويقوم منها ما اوجب الحق اقراره
ويزيل ما اوجب ازالته غير مستكثر لها اكثر ما بسطه العدل ولا مستقل
لها قليل ما يلزمه اياها الجور وقد وفق الله امير المومنين لما يرجوا ان يكون
لحق الله فيها قاضيا ولنصيبها من العدل موازيا وبالله يستعين امير المومنين
على حفظ ما استرعاه منها وحياطة ما قلده من امورها وهو خير موفق ومعين
وان ابا القاسم عبيد الله رفع الى امير المومنين مما امره به امير المومنين من رد
النوروز الذي يفتتح به الخراج في العراق والمشرق وما يتصل بها ويجري
مجراها من الوقت الذي صار فيه من الزمان الى الوقت الذي كان عليه متقدما
مما امر به في مستقبل السنين من الكبس حتى يصير العدل عاما في الزمان كله
ماضيا على غابر الدهور ومر الايام مواقفة امير المومنين نسخها لك في اخر كتابه
مع ما وقع فيها بتمثيله فاعمل ذلك ان شا الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته
وكتب يوم الخميس لثلثة عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة احدى وثمانين
ومائتين نسخة المواقفة انهيت الى امير المومنين ان مما انعم الله به عليه على
رعيته ورزقهما اياه من رافته وحسن نظره وامامته عليها من عدله وانصافه
ورفعه عنها في خلافته من الظلم الشامل ما كان الاقصى والادنى والصغير
والكبير والملي والذمي سوا مما طوديه من نقل كتاب الخراج عن السنة التي
كانت ينسب اليها من سني الهجرة الى السنة التي يدرك فيها الغلات ويستخرج
المال

المال وان ذلك مما كان بعض اهل الجهل حاوله وبعض المتغلبين استعمله من تثبيت الخراج على
اهله ومطالبتهم به قبل وقت الزراعة واعناتهم بذكر سنة من السنين اللتين ينسب
بالخراج احداهما وتدرك الغلات ويقع الاستخراج في اخرى منهما في حساب شهور الفرس
التي عليها يجري العمل في الخراج بالسواد وما يليه والاهواز وفارس والجبل وما يتصل
به من جميع نواحي المشرق وما يضاف اليه اذ كان عمل الشام والجزيرة والموصل جرى
على حساب شهور الروم الموافقة للازمنة فليست تختلف اوقاتها مع الكبيسة
المستعملة فيها والعمل في خراج مصر وما والاها على شهور القبط الموافقة لشهور
الروم وكانت من شهور الفرس قد خالفت مواقعها من الزمان بما ترك من الكبس
منذ ازال الله ملك فارس وفتح للمسلمين بلادهم فصار النوروز الذي كان الخراج
يفتتح فيه بالعراق والمشرق قد تقدم في ترك الكبس شهرين وصار سنة ويبادرك
الغلة فامر امير المومنين بما جعل الله عليه رايه في التوصل الى كل ما عاد بصلاح
رعيته وحسم للاسباب المودية الى اعناتها بتاخير النوروز الذي يقع في شهور
سنة اثنين وثمانين ومائتين من سني الهجرة عن الوقت الذي يقع ايام سنة الفرس
وهو يوم الجمعة لاحدى عشرة تخلوا من صفر مثل عدة ايام الشهرين من شهور
الفرس التي ترك كبسها وهو ستون يوما حتى يكون نوروز السنة واقعا يوم الاربعا
لثلثة عشرة ليلة تخلوا من شهر ربيع الاخر سنة اثنين وثمانين ومائتين وهو
الحادي عشر من حزيران وهو يتصل بها ويجري مجراها وينسب اليها وساير
اعمالهم وبما يعمله اصحاب الحساب من التقويمات وجميع الاعمال وما نقل الفرس
من شهورهم الى شهور الكبيسة الاول والاخر ثم يكبس بعد ذلك في كل اربع
سنين من سني الفرس ولا يقع تفاوت بينهما وبينها على مرور الايام وغير خارج منه
وان يلغى ذكر سنة من كل اربع سنين ينسب الى الخراج بالعراق وفي المشرق والمغرب
وساير النواحي والافاق اذ كان بمقدار ايام سني الهجرة والسنة الجامعة للازمنة
التي يتكامل فيها الغلات وان يخرج التوقيع بذلك لتنشا الكتب به من ديوان الرسايل
الى ولاة المعاون والاحكام وتقرا على المنابر ويحمل اصحاب المعاون الرعية عليه
ويأخذوها بامتثال ما امر به امير المومنين وسنته الحكام في ايام حكمهم لتمثيل
العمال والمقاطعين ذلك على حسبه واستطلع راي امير المومنين في ذلك فراي
امير المومنين في ذلك مرفقا ان شا الله وكانت نسخة التوقيع بعد ذلك انشاه

الله وكنت في شهر ذي الحجة سنة احدى وثمانين ومائتين قال وكان السبب في نقل
الخراج الى حزيران في ايام المعتضد ما حدثني به ابو احمد يحيى بن علي بن يحيى المنجم النديم
قال كنت احدث امير المومنين المعتضد فذكرت خبر المتوكل في تاخير النوروز وبعض
ما تمنعه الخاصة التي كانت له بين يديه وهو متوكي على خادمين وينظر الى ما احدث
في ذلك البساتين من زرع قد اخضر فقال لي ارى ان الزرع اخضر بعد ما ادرك وقد
استامرني عبيد الله بن يحيى في استفتاح الخراج فكيف كانت الفرس تستفتح الخراج
في النوروز وهو الزرع لم يدرك بعد قال فقلت له ليس يجري الامر على ما
كان يجري عليه في ايام الفرس ولا النوروز في هذه الايام على ما كان عليه
في ايامها قال فقلت له وكيف ذاك قال لانها تكبس في كل عشرين ماية
وعشرين سنة شهرا واحدا وكان النوروز اذا تقدم شهرا فصار في شهر حزيران
كبس ذلك الشهر فصار في خمس من ايار واسقطت شهرا ورددته الى خمس من حزيران
فكان لا يتجاوزه وهذا الى ان تقلد العراق خالد بن عبد الله القسري وحضروا الوقت الذي
تكبس فيه الفرس منعهم من ذلك وقال هذا من النسي الذي نهى الله عنه فقال
تعالى انما النسي زيادة في الكفر وقال انا لا اطلق هذا حتى استامر فيه امير
المومنين فبذلوا على ذلك مالا جميلا فامتنع عليهم من قبوله وكتب الى هشام بن
عبد الملك يعرفه ذلك ويستامره ويعلمه انه من النسي الذي نهى الله عنه فامر
بمنعهم من ذلك فلما امتنعوا من الكبيس تقدم النوروز وتقدم ما بعده حتى صار
يقع في نيسان والزرع اخضر فقال لي المتوكل فاعمل لهذا يا ابا علي عملا ترد النوروز فيه
الى وقته الذي كان يقع فيه في ايام الفرس وعرف ذلك عبيد الله بن يحيى وادا اليه
رسالته مني في ان يجعل استفتاح الخراج فيه قال فصرت الى ابي الحسين عبيد الله بن
يحيى وعرفته ما جرى بيني وبين المتوكل واديت اليه رسالته فقال لي يا ابا الحسن
قد والله فرجت عن الناس وعملت عملا كثيرا يعظم ثوابك عليه وكسبت لامير المومنين
اجرا وشكرا فاحسن الله جزاك فمثلك فليجالس الخلفا واحب ان تتقدم بالعمل الذي
امر به المتوكل وتنفذه الي حتى اجري عليه الامر وانفذ في كتب الكتب باستفتاح
الخراج قال فرجعت وحررت الحساب فوجدت النوروز لم يكن يتقدم في ايام الفرس
اكثر من شهر واحد فتقدم في خمس تخلو من حزيران فيصير في خمسة ايام تخلو من
ايار فتكبس سنته فترده الى خمسة ايام من حزيران وانفذته الى عبيد الله بن يحيى

فامر

فامر ان يستفتح الخراج في خمس من حزيران وتقدم الى ابراهيم بن العباس في ان ينشي كتابا
عن امير المومنين في ذلك ينفذ نسخته الى النواحي فعمل ابراهيم بن العباس كتابه
المشهور في ايدي الناس قال ابو احمد فقال لي المعتضد يا يحيى هذا والله فعل
حسن وينبغي ان يعمل به ثم قلت ما احدا اولى بفعل الحسن ولا احيا السنة الشريفة من
سيدنا امير المومنين لما جمعه الله فيه من المحاسن ووهبه له من الفضايل فدعا
بعبيد الله بن سليمن وقال له اسمع من يحيى ما يخبرك به وامض الامر في استفتاح الخراج
عليه قال فصرت الى عبيد الله بن سليمن الى الديوان وعرفته الخبر فاحب تاخيره
عن ذلك لئلا يجري الامر المجرى الاول بعينه فجعله في احد عشر من حزيران واستامر
المعتضد في ذلك فامضاه فعملت في ذلك شعرا انشدته المعتضد في هذا المعنى

يوم نوروزك يوم واحد لا يتاخر
من حزيران يوافي ابدا في احد عشر

قال واخبرني بعض مشايخ الكتاب قال كانت الخلفا تؤخر النوروز عن وقته عشرين
يوما واقل واكثر ليكون ذلك سببا لتاخير افتتاح الخراج على اهله فاما المهرجان
فلم يكن يؤخر عن وقته يوما واحدا وكان اول من قدمه عن وقته يوم المعتضد
بمدينة السلام في سنة خمس وستين ومائتين وامر المعتضد بتاخير النوروز
عن وقته ستين يوما وقال ابو الريحان محمد بن احمد البيروني في كتاب الاثار
الباقية عن القرون الخالية ومنه نقلت معنى ما ذكر ابن ابي طاهر وزاد ونفذت
الكتب الى الافاق يعني عن المتوكل في محرم سنة ثلث واربعين ومائتين وقتل المتوكل
ولم يتم له ما دبر واستمر الامر حتى قام المعتضد فاحتذى ما فعله المتوكل في تاخير
النوروز وزعم انه نظر فاذا المتوكل اخذ ما بين سنته وبين اول تاريخ ملك يزدجرد
فاخذ المعتضد ما بين سنته وبين السنة التي زال فيها ملك الفرس بهلاك
يزدجرد ظنا ان اهمالهم امر الكبيس من ذلك الوقت فوجده مائتي سنة وثلث
واربعين سنة وحصتها من الارباع ستون يوما وكسر فزاد ذلك على النوروز في
سنته وجعله منتهى تلك الايام وهو من خرداذماه في تلك السنة وكان يوم
الاربعا ويوافقه اليوم الحادي عشر من حزيران ثم وضع النوروز على شهور
الروم لتكبس شهوره اذا كبست الروم شهورها وقال القاضي السعيد ثقة
الثقات ذو الرياستين ابو الحسن علي بن القاضي المؤتمن ثقة الدولة ابي

عمرو عثمن بن يوسف المخزومي في كتاب المنهاج في علم الخراج والسنة الخراجية مركبة على
حكم السنة الشمسية لان السنة الشمسية ثلثماية وخمسة وستون يوما وربع
يوم ورتب المصريون سنتهم على ذلك ليكون اداء الخراج عند ادراك الغلات من
كل سنة ووافقها السنة القبطية لان ايام شهورها ثلثماية وستون يوما وبعدها
خمسة ايام النسي ستة ايام ليجبر الكسر ويسمون تلك السنة كبيسة وفي كل سنه
ثلث وثلثين سنة تسقط سنة ويحتاج الى نقلها لاجل الفصل بين السنين الشمسية
والسنين الهلالية لان السنة الشمسية ثلثماية وخمسة وستون يوما وربع يوم
والسنة الهلالية ثلثماية واربعة وخمسون يوما وكسر ولما كان كذلك احتيج الى
استعمال النقل الذي يطابق به احدى السنين الاخرى وقد قال ابو الحسن
علي بن الحسن الكاتب رحمه الله عهدت جباية اموال الخراج في سنين قبل سنه
احدى واربعين ومايتين من خلافة امير المومنين المتوكل على الله رحمة الله عليه
تجري كل سنه في السنة التي بعدها بسبب تاخر الشهور الشمسية عن الشهور
القمرية في كل سنة احد عشر يوما وربع يوم وزيادة الكسر عليه فلما دخلت سنة
اثنين واربعين ومايتين كان قد انقضى من السنين التي قبلها ثلث وثلثون سنة
اولهن سنة ثمان ومايتين من خلافة امير المومنين المامون رحمه الله واجتمع من
هذا المتاخر فيها ايام سنة شمسية كاملة وهي ثلثماية وخمسة وستون يوما
وربع يوم وزيادة الكسر وتهيا ادراك غلات وثمار سنة احدى واربعين ومايتين
في صدر سنة اثنين واربعين ومايتين فامر امير المومنين المتوكل على الله رحمة الله
عليه بالغاء ذكر سنة احدى واربعين ومايتين اذ كانت قد انقضت ونسب الخراج الى
سنه اثنين واربعين ومايتين فجرت الاعمال على ذلك سنة بعد سنة الى ان انقضت
ثلث وثلثون سنة اخرهن انقضا سنة اربع وسبعين ومايتين فلم ينبه كتاب امير
المومنين المعتمد على الله رحمه الله على ذلك اذ كان روساهم في ذلك الوقت اسمعيل
بن بلبل وبنو الفرات ولم يكونوا عملوا في ديوان الخراج والضياع في خلافة امير
المومنين المتوكل على الله رحمه الله وكانت اسنانهم اسنانا بلغت تعرفهم معها
هذا النقل بل كان مولد احمد بن محمد بن الفرات قبل هذه السنة بخمس سنين ومولد
علي اخيه فيها وكان اسمعيل بن بلبل يتعلم في مجلس لم يبلغ ان ينبه فلما تقلدت للناصر
لدين الله ابي احمد طلحة الموفق رحمه الله اعمال الضياع بقزوين ونواحيها لسنة
ست

ست وسبعين ومايتين وكان مقيما باذربيجان وخليفته بالجبل احمد بن محمد جراده واحمد
بن محمد كاتبه واحتجت الى دفع جماعتي عليه ترجمتها بجماعة سنة ست وسبعين ومايتين
التي ادركت غلاتها وثمارها في سنه سبع وسبعين ومايتين ووجب الغاء ذكر سنه
ست وسبعين ومايتين فلما وقفا على هذه الترجمة انكراها وسالاني عن السبب
فيها فشرحته لهما واكدت ذلك باني عرفتهما اني قد استخرجت حساب السنين
الشمسية والسنين القمرية من القران الكريم بعد ما عرضته على اصحاب التفسير
فذكروا انه لم يات فيه شي من الاثر وكان ذلك اوكد في لطف استخراجي وهو
ان الله تبارك وتعالى قال في سورة الكهف ولبثوا في كهفهم ثلثماية سنين
وازدادوا تسعا فلم اجد احدا من المفسرين عرف ما معنى قوله وازدادوا تسعا
وانما خاطب الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بكلام العرب وما تعرفه
من الحساب فمعنى هذه التسع ان الثلثماية كانت شمسية بحساب العجم ومن كان
لا يعرف السنين القمرية فاذا اضيف الى الثلثماية القمرية زيادة التسع كانت
سنين شمسية صحيحة فاستحسناه فلما انصرف جراده مع الناصر لدين
الله رحمه الله الى مدينة السلام وتوفي الناصر وتقلد ابو القاسم عبيد الله
بن سليمن كتابة امير المومنين المعتضد بالله اجرى له جراده ذكر هذا النقل
وشرح له سببه تقربا اليه وطعنا على ابي القاسم عبيد الله في تاخيره اياه فلما
وقف المعتضد على ذلك تقدم الى ابي القاسم بانشا الكتب بنقل سنة ثمان وسبعين
الى سنه تسع وسبعين ومايتين وكان هذا النقل بعد اربع سنين من وجوبه
ثم مضت السنون سنه بعد سنة الى ان انقضت الان ثلث وثلثون سنة
اولهن السنة التي كان النقل وجب فيها وهي سنة خمس وسبعين ومايتين
واخرهن انقضا سنة سبع وثلثماية وقد تهيا ادراك الغلات والثمار في صدر
سنه ثمان وثلثماية ونسبته اليها وقد عملت نسخة هذا النقل نسختها تحت
هذا الموضع ليوقف عليها وقد كان اصحاب الدواوين في ايام المتوكل لما نقل
سنه احدى واربعين ومايتين الى سنه اثنتين واربعين ومايتين جبوا
الجوالي والصدقات لسنتي احدى واثنتي واربعين في وقت واحد لان الجوالي
بسر من راى ومدينة السلام وقصب المدن المشهورة كانت تجبى على شهور الاهلة
وما كان من جماجم اهل القرى في الخراج والضياع والصدقات والمستغلات

كانت تجبى على شهور الشمس وفي الثلث وثلثين سنه اجتمعت ايام سنه كاملة شمسية
فالزم هولا الذمه خاصة الجوالي ورفعها العمال في حسباناتهم ممن لم يرفعها الزموه
يجوا الى السنة الزايدة فاحفظ انه اجتمع من ذلك الوف دراهم ثم جردت الكتب
الى العمال بان يكون جبايتهم الجوالي على شهور الاهلة فجرى الامر على ذلك قال
القاضي ابو الحسن وقد كان النقل اغفل في الديار المصرية حتى كانت سنة
تسع وتسعين واربعماية الهلالية تجري مع سنة سبع وتسعين الخراجية فنقلت
سنة سبع وتسعين واربعماية الخراجية الى سنة احدى وخمسماية هكذا
رايت في تعليقات ابي رحمه الله واخر ما نقلت السنه في وقتنا هذا سنة خمس
وستين وخمسماية الهلالية فتطابق السنتان وذلك انني لما قلت للقاضي الفاضل
ابي علي عبد الرحيم بن علي البيساني انه قد ان نقل السنة فانشا سجلا بنقلها
نسخ في الدواوين وحمل الامر على حكمه وما برح الملوك والوزرا يعنون بنقل
السنين في احيانها وقال ابو الحسين هلال بن المحسن الصابي حدثني ابي
ابو علي قال لما اراد الوزير ابو محمد المهلبي نقل سنة خمس وثلثماية الهلالية
امر ابا اسحق والدي وغيره من كتابه في الخراج والرسايل بانشا كتاب عن
المطيع لله في هذا المعنى فكتب كل منهم وكتب والدي الكتاب الموجود في رسايله
وعرضت النسخ على الوزير فاختاره منها وتقدم بان يكتب الى اصحاب الاطراف
وقال لابي الفرج بن ابي هشام خليفته اكتب الى العمال بذلك كتبا محققة به
وانسخ في اواخرها هذا الكتاب السلطاني فغاظ ابا الفرج وقوع التفضيل والاختيار
لكتاب والدي وقد كان عمل نسخة اطرحت في جملة ما اطرح وكنت قد رايتنا
نقل سنة خمسين الى احدى وخمسين فاعمل عمل ذلك ولم ينسخ الكتاب السلطاني
في اواخر الكتب الى العمال واثبته في الديوان فاجاب جوابا اغلظ فيه وقال
له يا ابا الفرج ما تركت ذلك الا حسدا لابي اسحق وهو والله في هذا الفن اكتب
اهل زمانه واعد الان الكتب الذي اشار اليه ابو الحسن علي بن الحسن الكاتب
وكتاب ابي اسحق وكتاب القاضي الفاضل ليتبين للناظر طريق نقل السنين
الخراجية الى السنين الهلالية فاذا ادركت الموافقة وحسنت فيه المطابقة فالكتاب
الفاضلي اكثر ايجازا واعظم اعجازا ولا يخفى على المتامل قدر ما اودع فيه من البلاغة
كما لا يخفى على العارف قدر ما تضمنه كتاب الصابي من الصناعة نسخة الكتاب
الذي

الذي انشاه ابو الحسن الكاتب ان اولى ما صرف اليه امير المومنين عنايته واعمل
فيه فكره ورويته وشغل به فكره ورعايته امر الفي الذي خصه الله به من الفي الذي
امره الله بجمعه وخصه به والزمه جمعه وتوفيره وحياطته وتكثيره وجعله عماد الدين
وقوام امر الملك ومما يصرف منه الى اعطيات الاوليا والجنود ومن يستعان به فيه
لتحصين البيضه والذب عن الحريم وحج البيت وجهاد العدو وسد الثغور وامن السبل
وحقن الدما وصلاح ذات البين وامير المومنين يسال الله تعالى راغبا اليه ومتوكلا
عليه ان يحسن عونه على ما حمله منه ويديم توفيقه بما ارضاه وارشاده الى ما يقضي عنه
وله وقد نظر امير المومنين فيما كان يجري عليه امر جباية هذا الفي في خلافة
ابايه الراشدين فوجده على حسب ما كان يدرك من الغلات والثمار في كل سنة
اولا فاولا على مجاري شهور سني الشمس في النجوم التي يحل مال كل صنف منها فيها
ووجد شهور السنة الشمسية تتاخر عن شهور السنة الهلالية احد عشر
يوما وربعا وزيادة عليه ويكون ادراك الغلات والثمار في كل سنة بحسب
تاخرها فلا تزال السنون تمضي على ذلك سنة بعد سنة حتى ينقضي منها ثلث
وثلثون سنة ويكون عدة الايام المتاخرة منها ايام سنة شمسية كاملة وهي
ثلثمايه وخمسه وستون يوما وربع يوم وزيادة عليه بحسب مشية الله
وقدرته ادراك الغلات التي تجري عليها الضرايب والطسوق في استقبال
المحرم من سني الاهلة ووقع مع ذلك الخاذكر السنة الخارجة اذ كانت قد
انقضت ونسبتها الى السنة التي ادركت الغلات والثمار فيها وانه وجد ذلك
قد كان وقع في ايام امير المومنين المتوكل على الله عند انقضا ثلث وثلثين سنة
اخرهن سنة احدى واربعين ومايتين فجرت المكاتبات والمحاسبات وساير
الاعمال بعد ذلك سنة بعد سنة الى ان مضت ثلث وثلثون سنة اخرهن
انقضا سنة اربع وسبعين ومايتين فذهب ذلك على كتاب امير المومنين المعتمد
على الله وتاخر الامر فيه اربع سنين الى ان امر امير المومنين المعتضد بالله رحمه
الله في سنة سبع وسبعين ومايتين بنقل خراج سنة ثمان وسبعين الى سنة تسع
وسبعين ومايتين فجرى الامر على ذلك الى ان انقضت في هذا الوقت ثلث وثلثون
سنة اخرهن السنة التي كان يجب نقلها فيها وهي سنة خمس وسبعين ومايتين
واخرهن انقضا شهور خراج سنة سبع وثلثماية ووجب افتتاح خراج ما تجري

عليه الضرائب والطسوج في اولها ان من صواب التدبير واستقامة الاعمال واستعمال
ما يخف على الرعية معاملتها به نقل سنة الخراج لسنة سبع وثلثماية الى سنة ثمان
وثلثماية فرأى امير المومنين لما يلزمه نفسه ويأخذها به من العناية بهذا الفي
وحياطته اسبابه واجراها مجراها وسلوك سبيل ابايه الراشدين رحمهم الله فيه
ان يكتب اليك والى ساير العمال في النواحي بالعمل على ذلك وان يكون ما يصدر اليكم
من الكتب وتصدرونه عنكم ويجري عليه اعمالكم ورفوعكم وحسباناتكم وساير
مناظراتكم على هذا النقل فاعلم من راي امير المومنين واعمل به مستشعرا فيه
وفي كل مضية تقوى الله وطاعته ومستعملا عليه ثقات الاعوان وكفاتهم ومشرفا
عليهم ومقوما لهم واكتب بما يكون منك في ذلك ان شا الله نسخة كتاب امير
المومنين الى بحوا لصابي اما بعد فان امير المومنين لا يزال مجتهدا في مصالح
المسلمين وباعثا لهم على مراشد الدنيا والدين ومحببا لهم احسن الاختيار
فيما يوردون ويصدرون واصوب الراي فيما يبرمونه وينقضون ولا يلوح له خلة
داخلة على امورهم الا سدها وتلافاها ولا حال عايدة بخلل عليهم الا اعتمدها
واباها ولا سنة عادلة الا اخذتهم باقامة رسمها وامضا حكمها والاقتدا بالسلف
الصالح في العمل بها والاتباع لها واذا اورد من ذلك ما تعلمه الخاصة بوفور البابها
وتجهله العامة لقصور افهامها وكانت اوامره فيه خارجة اليك والى امثالك
من اعيان رجاله واماثل عماله الذين يكتفون بالاشارة ويجتزون بيسير الابانة
والعبارة لم يدع ان يبلغ من تخليص اللفظ وايضاح المعنى الى الحد الذي يلحق المتاخر
بالمتقدم ويجمع بين العالم والمتعلم ولا سيما اذا كان ذلك فيما يتعلق بمعاملات الرعية
ومن لا يعرف الا الظواهر الجلية دون البواطن الخفية ولا يسهل عليه الانتقال
عن العادات المتكررة الى الرسوم المتغيرة ليكون القول بالمشروح لمن برز في
المعرفة متذكرا ولمن تاخر فيها مبصرا ولانه ليس في الحق ان يمنع هذه الطبقة من
برد اليقين في صدورها ولا ان يقتصر على اللمحة الدالة في مخاطبة جمهورها حتى
اذا استوت الاقدام بطوايف الناس في فهم ما امروا به وثقة بما دعوا اليه
وصاروا على حكمه سوا لا يعترضهم شك الشاكين ولا استهوابه المرتابين اطمانت
قلوبهم وانشرحت صدورهم وسقط الخلاف بينهم واستمر الاتفاق بهم واستيقنوا
انهم موسسون على استقامة من المنهاج ومحروسون من جواير الزيغ والاعوجاج

مكان

مكان الانقياد منهم وهم دارون عالمون لا مقلدون مسلمون وطايعون مختارون
لا مكرهون ولا مجبورون وامير المومنين يستمد الله تعالى في جميع اغراضه ومراميه
ومطالبه ومغازيه مادة من صنعه تقف به على سنن الصلاح وتفتح له ابواب
النجاح وتسهيله بما اهله لحمله من الاعبا التي لا يدعي الاستقلال بها الا بتوفيقه
ومعونته ولا يتوجه فيها الا بدلالته وهدايته وحسب امير المومنين ونعم الوكيل
وامير المومنين يرى ان اولى الاقوال ان يكون سدادا واحرى الافعال ان يكون
رشادا ما وجد له في السابق من حكم الله اصول وقواعد في النص من كتابه
ايات وشواهد وكان مفضيا بالامة الى القوام من دين او دنيا ووفاق في اخرة
واولى بذلك ما هو البنا الذي يثبت ويعلو والغرس الذي ينبت ويزكو والسعي
الذي تنجح مباديه وهواديه وتنجع عواقبه وتواليه وتستمر سبله لسالكيها
ويوردهم النجح والسعود في مقاصدهم فيها غير ضالين ولا عادلين ولا متحيرين
ولا زايلين وقد جعل الله عز وجل لعباده من هذه الافلاك الدايرة والنجوم
السايرة فيما يتقلب عليه من اتصال وافتراق ويتعاقب عليها من اختلاف
واتفاق منافع يظهر في كرور الشهور والاعوام ومرور الليالي والايام وتعاقب
الضيا والظلام واعتدال المسالك والاوطان وتغاير الفصول والازمان ونشو
النبات والحيوان فما في نظام ذلك خلل ولا في صنعته زلل بل هو منوط بعضه
ببعض ومحوط من كل ثلمة ونقص قال الله تعالى هو الذي جعل الشمس
ضيا والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك
الا بالحق وقال جل من قايل الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار
في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري الى اجل مسمى وان الله بما تعملون خبير
وقال تعالى والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم وقال
عز من قايل والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ففصل الله
تعالى في هذه الايات بين الشمس والقمر وابان ان في الباهر من حكمته والمعجز
من كلمته ان لكل منهما طريقا يخترقه وطبيعة جبل عليها وان تلك المباينة
والمخالفة في المسير يوديان الى موافقته وملازمته في التدبير فمن هنا الكرادت
السنة الشمسية فصارت ثلثماية وخمسة وستين يوما وربعا بالتقريب
المعمول عليه وهي المدة التي يقطع الشمس فيها الفلك مرة واحدة وتقصر

الهلاليه فضارت بالثمانيه واربعه وخمسين يوما وكسرا وهي المده التي يجامع القمر
فيها الشمس اثنتي عشر مرة واحتيج اذا اتساق هذا الفضل الى استعمال النقل
الذي يطابق احدى السنين بالاخرى اذا افترقتا وتدانى بينهما اذا تفاوتتا
وما زالت الامم السالفه تكبس زيادة السنين على اصناف من طرقها وجهاتها
وفي كتاب الله عز وجل شهادة بذلك اذ يقول في قصة اهل الكهف ولبثوا
في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا فكانت هذه الزيادة بان الفضل في
السنين المذكورة على تقريب التقريب فاما الفرس منهم فانهم اجروا اعمالهم
على السنة المعدولة التي شهورها اثني عشر شهرا واياما ثلثمائه وستون
يوما ولقبوا الشهور باثني عشر لقبا وسموا ايام الشهر منها بثلثين اسما وافردوا
الخمسة ايام الزائده وسموها المسترقه وكبسوا الربع في كل مايه وعشرين سنة
شهرا فلما انقرض ملكهم بطل في كبس هذا الربع تدبيرهم وزال نوروزهم
عن سنته وانفرج ما بينه وبين حقيقة وقته انفراجا هو زايد لا يقف
ودائر لا ينقطع حتى ان موردهم في النوروز ان يقع في مدخل الصيف وينتهي الى
ان يقع في مدخل الشتاء ويجاوز ذلك وموضوعهم في المهرجان ان يقع في مدخل
الشتاء وسينتهي الى ان يقع في مدخل الصيف ويجاوز **واما الروم**
فكانوا امتن منهم حكمة وابعد نظرا في عاقبته لانهم رتبوا لشهور السنة على
ارصاد شهودها وانواء عرفوها ونضوا الخمسة ايام على الشهور وساقوها
على الدهور وكبسوا الربع في كل اربع سنين يوما وسموا ان يكون الى شباط
مضافا فتقربوا ما سعدهم غيرهم وسهلوا على الناس ان يتبعوا اثرهم لاجرم ان
المعتضد بالله على اصولهم بنا ولمثالهم احتذى في تصيير نوروز اليوم
الحادي عشر من حزيران حتى سلم ما لحق النواريز في سالف الازمان وبلا فوا
الامر في تجزي سني الهلال عن سني الشمس بان جبروها بالكبس فكل ما اجتمع من
فضول سني الشمس وما بقي بتمام شهر جعلوا السنة الهلاليه تستحق ذلك
فيها ثلثة عشر هلالا لا تمام الشهر الثالث عشر في ثلث سنين ودعائم في سنتين
بحسب ما يوجبه الحساب فيصير سنتا الشمس والهلال عندهم متقاربتين
ابدا لا تتباعد بينهما **واما العرب فان الله جل جلاله فضلها**
على الامم الماضيه وورثها غرايب مساعيها المتعبه واجرى شهورها ومواقيت

اعيادها وزكاة اهل ملتها وجزية اهل ذمتها على السنة الهلالية وتعبدها فيها برؤية
الاهلة ارادة منه ان يكون مناهجها واضحة واعلامها لائحة فبنيكا في معرفة الفرض
ودخول الوقت منهم الخاص والعام والناقص الفقه والتام والانثى والذكر والصغير
والاكبر ضارا واحتيبد يحسبون في سنة الشمس حاصل الغلات المقسومه وخراج
المسوحة ويجبون في سنة الهلال الجوالي والصدقات والارجاء والمقاطعات
والمستغلات فتوسايرها يجري على المشاهرات وحدث من التداخل بين السنين ما لو
استمر لفتح حد اوان داذ بعد اذ كانت الجباية الخراجية في السنة التي ينتهي اليها
ينسب في الشمسية وفي ما قبلها فواجب مع هذا ان تطرح تلك السنة وتلغي وتتجاوز
الى ما بعدها اوتخطي ولم يجز لهم ان يقتدوا بمخالفيهم في كبس سنة الهلاليه
بشهر ثالث عشر ولانهم لو فعلوا ذلك لتزحزحت الاشهر الحرم عن مواقيتها
وارتجت المناسك عن حقايقها ونقصت الجباية في سني الاهلة القمرية بقسط
ما استغرقه الكبس فنظرنا وابذلك الفضل الى ان يتم السنة واوجب
الحساب المقرب ان يكون كل اثنتين وثلثين سنة شمسية ثلثا وثلثين سنة
هلالية ينقلوا المتقدمة الى المتاخرة نقلا لا يتجاوز الا الشمسية وكانت هذه
الكلفة في دنياهم مستسهلة مع تلك النعمة في دينهم وقد راى امير المومنين
نقل سنة خمسين وثلثمائه الخراجيه الى سنة احدى وخمسين وثلثمائة
الهلاليه جمعا بينهما ولزوما لتلك السنة فيما نعمل بما ورد به امير المومنين
عليك وتضمنه كتابك هذا اليك ومر والكتاب قبله ان يجدوا اسمه فيما نه
يكتبون بها الى عمال نواحيك ويجلدون الدواوين من ذكورهم ودفوعهم ويتبدرونه
من دهواج الاموال ويتطمونه من الدواوين والاعمال ويثبتون عليه الجماعات
والحسانات ويوعزون بكتبه من الروزنامجات والبراءات وليكن المنسوب
من ذلك الى سنة خمسين وثلثمائه التي دفع النقل اليها واقم في نفوس من بحضرتك
من اصناف الجند والرعية واهل الملة والذمة ان هذا النقل لا يغير لهم رسما
ولا يلحق بهم ثلما ولا يعود على قابض العطا بانتقاص ما استحقوا قبضه ولا على
مؤدي حق بيت المال باعفاء مما وجب اداه فان تراخ اكثرهم فتنبه الى المعام
امير المومنين الذي اثر ان تزاح فيه العلة وتسد به منهم الخلة اذ كان هذا
الشان لا يتجدد الا في المدد الطوال التي في مثلها يحتاج الى تعريف الناس

واذكار الناسي واجب بما يكون منك جوابا يحسن موقعه لك ان شا الله وقال ابن المامون
في تاريخه من حوادث سنة احدى وخمسمايه واول ما تجدد فيه نقل السنة الشمسية
الى العربيه وكان قد حصل بينهما تفاوت اربع سنين فتحدث القايد ابو عبد الله
محمد بن فاتك البطايحي مع الافضل بن امير الجيوش في ذلك فاجاب اليه وخرج امره
الى الشيخ ابي القاسم بن الصيرفي بانشا سجل فانشا ما نسخته بسم الله الرحمن
الرحيم الحمد لله الذي ارتضى امير المومنين امينه في ارضه وخليفته والهمه
ان يعم بحسن التدبير عبيده وخليقته ووفقه للمصالح يستمد اسبابها وينتج بحسن
نظره ابوابها واورثه مقام ابايه الراشدين الذين اختصهم بشرف الفخر وجعل
اعتقاد ولايهم سبب النجاه في المحشر وعنا بهم بقوله جل ذكره يامرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر واعلا منار سلطانه بمدبر افلاك دولته ومبيد اعاديه
مملكته واشرف من نصبه للمجد علما ورايه ووقف على مصلحة البريه نظره ورايه
وارشد بهدايته الالباب الحايره واذهب بعدله الاحكام الجايره السيد
الاجل الافضل ويتم النعوت والدعا الذي كمل تدبيره نظام الصلاح وتممه
وسدد تقرير الامور في كل ما فصله وتممه ونبه في السياسه على ما اهمله من
سبقه واهمله من تقدمه وتتبع احوال المملكه فلم يدع مشكلا الا اوضحه
وبين الواجب ولا خللا الا اصلحه وبادر بتلافيه ولا مهملا الا استعمل الصواب
وبنا فيه ليثار العماره الاعمال وقصد ما يقتضي توفير الاموال وتوخيا لما عاد بنصر
الاستغلال له واعتنا برجال الدوله العلويه واجنادها واهتماما بمصالحهم التي
ضعفت قواهم عن ارتيادها ورعايه لمن ضمنه اقطار المملكه من الرعايا وحملا
لهم على اعدل السنن وافضل القضايا يحمد امير المومنين على ما اعانه عليه
من حسن النظر للامه وادخره لهم لايامه من الفضايل التي ضفت بها ملابس
النعمه ووفقه لما يعود على الكافه بشمول الانتفاع حتى صار استند الحقوق
بواجبات الشريعه الواضحه الادلة واستيفاها بمقتضى المعدله فيما يجري
على احكام الخراج واوضاع الاهله ويرغب اليه الصلاه على محمد الذي ميزه
بالحكمه وفصل الخطاب وبين به ما اشتبه من سبل الصواب وانزل عليه في
محكم الكتاب هو الذي جعل الشمس ضيا والقمر نورا وقدره منازل
لتعلموا عدد السنين والحساب صلى الله عليه وعلى اخيه وابن عمه ابينا امير

علي بما يوافق

المومنين علي بن ابي طالب كافيه فيما اعضل لما اعدم المساعد ووافيه بنفسه لما
تخاذل المكف والساعد وعلى الايمه من ذريتهما العايلين برضى الله تعالى فيما
يقولون ويفعلون والذين يهدون بالحق وبه يعدلون وان اولى ما اولاه امير
المومنين حظا وافيا من تفقده واسهم له جزا وافرا من كريم تعهده ونظر اليه
بعين اهتمامه واختصه بالقسم الاجزل من اشتماله امر الاموال التي يستعان
بها على سد الخلل ومرجا بها يستدفع ما يطرق من الحادث الجلل وبوفورها
تستتب سرون المملكه وتستقيم احوال الدول وباستمرارها على حكم العدل
الشامل وتقضيه انصاف المعامل يكون العماره التي هي اصل بابها ومادة
كثرتها وغزارتها ولما كانت جبايتها على قسمين احدهما يجبى هلاليا وذلك ما لا
يدخل عليه عارض ولا اشكال ولا ابهام ولا يحتاج فيه الى ايضاح ولا افهام لان
شهور الهلال تشترك في معرفة المبرز والمقصر وتستوي في الفهم بها المقدم في
العلم والمتاخر اذ كان الناس العين لا زمنه متعبدا بهم ايتينن بما يحفظ لهم
نظام مرسومهم والاخر يجبى خراجيا وينسب بنسبته الى الخراج لانه انضبط اوقات
ما يجبى ذلك لاجله من النيل المبارك والزراعه ويحفظ احيانه دون السنه
الهلاليه ويحرس اوضاعه ولا يستقل بمعرفته الا من باشره وعلم مواده ومصادره
وجب ان يوفر على امورها وتقديم حكمها على ما يتحلى به التواريخ وتزين السير ويكون
ذلك شاهدا بالمساعي السيد الاجل الافضل الذي لا يزال ليله في حياطة
الهاجعين ساهرا وسيفه في حمايه الوادعين مظلعا للدوله تدور السعادة
وشموسها بدلالها صعب الحوادث وسوسها ناطقه تاره بان امه هو راعيها
قد فضل الله سايسها واسعد مسوسها وهذا احين التبصير والارشاد واوان
التبيين للغرض والمراد ليتساوى العامه والخاصه في علمه ويشتم الفايده
في معرفة حكمه ويتحقق المنفعه لهم فيما يمنع من تداخل السنين واشتباكها ويتيقن
المعدله عليهم فيما يومن من المضار التي يحتاج الى استدراكها معلوم ان ايام السنه
الخراجيه وهي السنه الشمسيه بخلاف السنه الهلاليه لان ايام السنه الخراجيه
من استقبال النوروز الى اخر النسي ثلثمايه وخمسه وستون يوما وربع يوم
وايام السنه الهلاليه لاستقبال المحرم والى اخر ذي الحجه ثلثمايه واربعه وخمسون
يوما والخلاف في كل سنه بالتقريب احد عشر يوما وفي كل ثلث وثلثين سنه

واحدة على حكم التقديم وتقتضيه ما تقدم من الترتيب فاذا اتفق ان يكون اول الهلالية
موافقا لمدخل السنة الخراجيه وكانت نسبتهما واحدة استمر اتفاق التسمية فيهما
وبقي ذلك جاريا عليهما ولم تر الا مدة اخليتين تكون مدخل الخراجيه في اثنا شهور
الهلاليه الى انقضا ثلث وثلثين سنة فاذا انقضت هذه المدة بطلت المداخله
وخلت السنة الهلالية من نوروز تكون فيه وحكم ذلك بطل اتفاق التسميه
ويكون التفاوت سنة واحده للعله المتقدم ذكرها ومن اين يحصل بينهما ائتلاف
والعدم لهما اختلاف ام كيف يعتقد ذلك احد من البشر والله تعالى يقول
لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر فقد وضح دليل التباعد بما جا منصوصا في
الكتاب وظهر برهانه بما اقتضاه موجب الحساب فيحتاج بحكم ذلك الى نقل السنة
بالتسمية الى التي تليها ليكون موافقه للهلالية بالتسمية وجارية معها وفايدة
النقل ان لا تخلوا السنة الهلالية من مال الخاص ينسب الى السنة الموافقة لها
لان واجبات العسكرية على عظمها واتساعها والارزاق المرتزقة على اختلاف اجناسها
واوضاعها جارية على احكام الهلالية غير معدول بها عن ذلك في حال من الاحوال
والمحافظة على نمو ارتفاعها متعينة ومتوجهة العنايه بما يجري عليه واضحة مبينة
ولما هلت سنه احدى وخمسماية ودخلت فيها السنه تسع وتسعين واربعماية
الخراجية الموافقه لسنة احدى وخمسمايه الهلاليه كان في ذلك من التباين
والتعارض والتفاوت والتنافر بحكم اهمال النقل فيما تقدم ما صارت السنه
الخاصة الهلالية لا يجبى خراج ما يوافقها فيها ولا يدرك غلات السنة المجرى
مالها عليها الا في السنه التي تليها فيما تستهل وتنقضي وليس لها في الخراجي
ارتفاع والاعمال تطبق بالزراعه ولا حظ لها في ذلك ولا انتفاع وهذه الحال
فالمصرف بها على بيت المال جلية غير خفية والاذية فيها للرجال المقطعين بادية
واسباب تحيفها اياهم مستمرة متمادية ولا سيما من وقع له باثبات وانعم عليه
بزيادات فانهم يتجلون الاستقبال ويتاطون الاستغلال ومتى لم تنقل هذه
السنة الخراجيه كانت متداخله بين سنتين هلالية وهي موافقة لغيرها
وما لها يجري على سنة تجري بينهما لان مدخلها في اليوم العاشر من المحرم سنة احدى
وخمسماية وانقضاها في العشرين من المحرم سنة اثنتين وخمسمايه والحال في ذلك
لا ينتهي الى امد ولا تزال الفساد تترايد طول الابد وقد راى امير المومنين وبالله
توفيقه

توفيقه ما خرج به امره الى السيد الاجل الافضل الذي نبه على هذا الامر وكشف غامضه
وازال بحسن توصله تنافيه وتناقضه ان يوعز الى ديوان الانشا بكتب هذا السجل
مضمنا ما راه ودبره مودعا انفاد ما احكمه وقرره من نقل سنه سبع وتسعين واربعمايه
الى سنه احدى وخمسمايه ليكون موافقة لها ويجري عليها مالها ويكون بما يستاذنه من
اقطاعاتهم ويستخرجونه من واجباتهم جاريا على نظام محروس ونطاق محيط غير مبخوس
وشاهد التصيب موفا غير منقوص ويتضح ما ابهم استحالة التعميه ونزول الاستكراه
في اختلاف التسمية ويستمر الوفاق بين السنتين الهلاليه والخراجيه الى سنة اربع
وثلثين وخمسمايه وينسب الى مال الخراج والمقاسمات وما يستغل ويجبى من الاقطاعات
بما كان جاريا على ذكر سنة سبع وتسعين واربعمايه الى سنة احدى وخمسمايه ويجري
الاضافة اليها تجري ما ترتفع من الغلال فيها ليكون سنة احدى من هذه مشتملة
على ما يخصها من مالها وعلى مال السنة الخراجيه بما شرح من انتقالها وكذلك نقل
سنه سبع وتسعين واربعمايه الخراجيه الثابته بالتسميه الى سنة احدى وخمسمايه
المشار اليها ويكون مالها جاريا عليها فليعتمد ذلك في الدواوين بالحضرة وفي ساير
اعمال الدولة قاصيها ودانيها وقريبها ونائيها وليعتمده كافة الكتاب والمستخدمين
وجميع العمال والمتصرفين الى انقضاء هذه السنين واتباعه وليحذروا الخروج
عن احكامه المقرره واوضاعه وليبادروا الى امتثال المرسوم فيه وليحذروا
من تجاوزه وتعديه ولينسخ في دواوين الاموال والجيوش المنصوره وليخلد بعد
ذلك في بيت المال المعمور وكتب في محرم سنة احدى وخمسمايه وقال القاضي
الفاضل في تجدد ذات سنه سبع وستين وخمسماية ومن خطه نقلت استهل
المحرم ونسخ منشور بنقل السنة الخراجيه الى السنة الهلاليه والمطابقة بين اسميهما
لموافقة الشهور العربيه للشهور القبطيه وخلو سنة سبع من نوروز فنقلت
سنه خمس وستين وخمسمايه الخراجيه الى هذه السنة وكان اخر نقل نقلت
هذه السنه في الايام الافضلية فان سنه ثمان وتسعين واربعمايه وسنه تسع
وتسعين الخراجيتين نقلت الى سنة احدى وخمسماية وسبب هذا الانفراج
بينهما زيادة عدد السنة الشمسية على عدد الهلالية احد عشر يوما واغفال
النقل في سنة ثلث وثلثين في ايام الوزير الافضل رضوان بن ولخشي وانسحب
ذيل هذه الزيادة وتداخل السنين بعضها في بعض الى ان صار التفاوت بينهما

سنتين في هذه السنه ننقلت وهو انتقال لا يعدو التسميه ولا يتجاوز اللفظ ولا
ينقص مالا لديوان ولا لمقطع وانما يقصد به ازالة الالباس وحل الاشكال قال
القاضي ابو الحسن ونسخة الكتاب الذي انشاه القاضي الفاضل خرجت الاوامر الملكيه
الناصريه زادها الله في علايها بابداع هذا المنشور انا نوثر من حسن النظر ما نوثر
احسن الخبر ولا تنصرف بنا الفكر عما يخلي السير ويجلي الغير ولا يزال خواطرنا
تعتلي فتطلع الدراري وتغوص فتخرج الدرر وان اولى ما استخدمت به البصاير
وحرست فيه المصاير كل امر يصحح المعاملات ويشرحها ويطلق عقولهم من عقول
الاشكال ويسرحها ولما وجب نقل السنة الخراجيه والمطابقة بينها وبين الهلاليه
لانفراجها سنتين وموافقة الشهور الخراجيه والهلاليه في هذه السنة مطلع
المستهلين اقتضا هذه السنة الحالية في هذه السنه الاتيه واستخرنا الله تعالى
في نقل سنه خمس وسنة ست وستين وخمسمايه الى سنة سبع وستين وخمسمايه
التي سميت بهذا النقل هلالية خراجية نفيا للامور المشتبهه والتسميه
المموهه وتنويها بالسني الاسلام عن الكبيس ولنا بحجه عن ملابسه التلبيس
واعلاما بالوفا والذي استشعرته اباونا وبنوها واعلانا بانا تباعوا بدع
السلف التي خلفوها للخلف وبنوها وفي ذلك ما تخمد به العواقب
وتنفسح به المذاهب وتتيسر به المطالب وتزول به الاشكال ويومن به
الاختلال ويحسم به الغلط في الحساب ويولف بين السني المختلفه الانساب
ويحفظ على العمر معاملته ويبعد عن التاريخ معاطلته ويتوب على الكاتب محاولته
ويصرف عن نعمة الله هجنته كونها متقدمة في التشبيه موحشة في التسميه وعن
معاملة بيت المال وصحبته كونها معلوقة بالمطل ومدا بالغت في التوفيه لان من
اعطي في سنه سبع وستين وخمسمايه استحقاق سنه خمس فلا ريب قد مطل بحكم
السمع وان كان قد انجز بحكم الشرع فتوسم هذه السنة المباركة بالخراجيه الهلاليه
ويرفع الحسبانات بهذا الوضع ويعدق النغريات والتسجيلات على هذا فليعمل
في ذلك ما يقتضي بارتياح هذا الانفراج وخبر هذا الصدع وليعلم على الدواوين
علمه وليتنفذ فيها حكمه بعد ثبوته بحيث يثبت مثله ان شا الله تعالى

وأما تاريخ العرب فانه لم يزل في الجاهلية والاسلام يعمل الشهور الاهلة
وعدة شهور السنة عندهم اثنا عشر شهرا الا انهم اختلفوا في اسمايها وكانت العاربه
العرب

تسميتها

تسميها ناتق وثقيل وطليق واسنح وانتخ وحلك وكسح وزاهر ونوط وحوف
وبغش فناتق هو المحرم وثقيل هو صفر وهكذا اما بعده على سرد الشهور وكانت
ثمود تسميها موجب وموجر ومورد وملزم ومصدر وهوبر وهوبل وموها
وديمر ودابر وحيفل ومسبل فموجب هو المحرم وموجر هو صفر الا انهم كانوا
يبدون بالشهور من ديمر وهو شهر رمضان فيكون اول شهور السنة عندهم ثم
كانت العرب تسميها باسما اخر وهي موتمر وناجر وخوان وصوان وحنتم وزبا
والاصم وعادل وناتق واغل وهواع وبرك ومعنى الموتمر انه يأتمر بكل شي مما ياتي
به السنة من اقضيتها وناجر من النجر وهو شدة الحر وخوان فعال من الخيانه والصوان
بكسر الصاد وضمها فعال من الصيانه والزبا الداهية العظيمة المتكاثفة سمي
بذلك لكثرة القتال فيه ومنهم من يقول بعد صوان الزبا وبعد الحنتم الزبا بايدة
الاصم ثم واغل وناطل وعادل ورنه وبرك فالبايد من القتال اذ كانوا يبيدون
فيه كثيرا من الناس وجرى المثل بذلك فقيل العجب كل العجب بين جمادى ورجب وكانوا
يستعجلون فيه ويتوخون بلوغ الثار والغايات قبل رجب فانه شهر حرام ويقولون
له الاصم لانهم كانوا يكفون فيه عن القتال فلا يسمع فيه صوت سلاح والواغل
الداخل على شرب ولم يدعوه وذلك لانه يهجم على شهر رمضان وكان يكثر في
شهر رمضان شربهم الخمر لان الذي يتلوه هو شهور الحج وناطل هو مكيال الخمر
سمي به لافراطهم فيه في الشرب وكثرة استعمالهم لذلك المكيال واما العادل
فهو من العدل لانه من اشهر الحج وكانوا يشتغلون فيه عن الباطل واما
الرنه فلان الانعام كانت ترن فيه لقرب النحر واما برك فهو لبروك الابل اذا احضرت
المنحر وقد روي انهم كانوا يسمون المحرم موتمر وصفر ناجر وربيع الاول خوان
وربيع الثاني صوان وجمادى الاول حنين وجمادى الاخره الرنه ورجب الاصم وهو شهر مضر
وكانت العرب تصومه في الجاهلية وكانت تمنا رفيه وتميز اهلها وكان يامن بعضهم
بعضا فيه ويخرجون الى الاسفار فلا يخافون وشعبان عادل ورمضان ناتق وشوال
وغل وذو القعدة هواع وذو الحجة برك ويقال فيه ايضا ابروك وكانوا يسمون
المبهون ثم سمت العرب اشهرها بالمحرم وصفر وربيع الاول وربيع الاخر وجمادى
الاخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة واستقر اسماها
من امور اتفق وقوعها عند تسميتها فالمحرم كانوا يحرمون فيه القتال وصفر كانت

يصعد فيه بيوتهم لخروجهم الى الغزو وشهرا ربيع كانا زمن الربيع وشهرا جماد كان يجمد
فيهما الماء من شدة البرد ورجب الوسط وشعبان يتشعب فيه القبايل ورمضان من
الرمضا لانه كان ياتي فيه القيظ وشوال تشيل فيه الابل اذنابها وذو القعدة لقعودهم
في دورهم وذو الحجة لانه شهر الحج وانت اذا تاملت اشتقاق اسما شهور الجاهلية اولا
ثم اشتقاقها ما بينا بين لك ان بين التسميتين زمان طويل وان صفر في احدهما هو صم
الحر وصم الاخر رمضان ولا يمكن ذلك في وقت واحد او وقتين متقاربين وكانت
العرب لا تستعمل هذه الشهور على نحو ما يستعمله اهل الاسلام اما بطريق الحق ولان
العرب لم يكن لها دربة بمراعات حسبان حركات النيرين فاحتاجت الى استعمال مبادي
الشهور لرؤية الاهلة وجعلت زمان الشهور بحسب ما يقع بين كل هلالين فربما
كان بعض الشهور تاما اعني ثلثين يوما وربما كان ناقصا اعني تسعة وعشرين يوما وربما
كانت اشهر متوالية اكثرها اربعة وهذا نادر وربما كانت اشهر متوالية ناقصة اكثرها
ثلثة وكان حج العرب في ازمنة السنة كلها وهو ابدا في عاشر ذي الحجة من عهد
ابرهيم واسمعيل عليهما السلام فاذا انقضى موسم الحج تفرقت العرب طالبة اماكنها واقامت
اهل مكة بها فلم يزالوا على ذلك دهرا طويلا الى ان غيروا دين ابرهيم واسمعيل فاحبوا
ان يتوسعوا في معيشتهم ويجعلوا حجهم في وقت ادراك بلغتهم من الادم والجلود والثمار
ونحوها وان تثبت ذلك على حالة واحدة في اطيب الازمنة واخصبها فتعلموا الكبس الشهور
من اليهود الذين نزلوا يثرب من عهد شمويل من بني اسرايل وعملوا النسي قبل الهجرة بنحو
مايتي سنة وكان الذي يلي النسي يقال له القلمس يعني الشريف وقد اختلف في اول
من انسا الشهور منهم فقيل القلمس هو عدي بن زيد وقيل القلمس هو سرير بن ثعلبه
من الحرث بن مالك بن كنانة وانه الذي كان يدير شهور الاهلة ثلثمايه واربعة وخمسين
يوما ويدير شهور العجم ثلثمايه وخمسة وستين يوما فبينهما وبينهم احد عشر يوما
ففي كل ثلث سنين ثلثة وثلثون يوما ففي كل ثلث سنين شهرا وكان اذا
جات ثلث سنين قدم الحج في ذي القعدة فاذا جات ثلث سنين اخره في المحرم وكانت
العرب اذا حجت قلدت الابل النعال والبستها الجلال واشعرتها فلا يعرض لها احد
الا خثعم وكان النسي في بني كنانة ثم في بني ثعلبة بن مالك بن كنانة وكان الذي يلي ذلك منهم ابو
ثمامة المالكي ثم من بني فقيم وبنو فقيم هم النساة وهو منسي الشهور كان يتقدم على
باب الكعبة ويقول ان المتكلم العزى قد انسات صفر الاول وكان يحله عاما ويحرمه
عاما

عاما وكان اتباعهم على ذلك غطفان وهوازن وسليم وتميم واخر النساة جنادة بن عوف بن
امية بن قلع بن عباد بن حذيفة بن عبد بن فقيم وقيل القلمس هو حذيفة بن عبد بن
فقيم بن عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحرث بن ملك بن كنانة ثم توارث ذلك منه بنوه
من بعده حتى كان اخرهم الذي قام عليه الاسلام ابو ثمامة جنادة وكانت العرب اذا
فرغت من حجها اجتمعت اليه فاحل لهم من الشهور وحرم فاحلوا ما احل وحرموا ما حرم
وكان اذا اراد ان ينسي منها شيا احل المحرم فاحلوه وحرم مكانه صفر فحرموه ليواطئوا
العدة الاربعة فاذا ارادوا الصدر اجتمعوا اليه فقال اللهم اني لا احاب ولا اعاب
في امري والامر لما قضيت اللهم اني قد احللت دما المحلين من طي وخثعم فاقتلوهم
حيث ثقفتموهم اي ظفرتم بهم اللهم اني قد احللت احد الصفرين الصفر الاول
وانسات الاخر من العام المقبل وانما احل دم طي وخثعم لانهم كانوا يعدون على
الناس في الشهر الحرام من بين جميع العرب وقيل اول من انسا سرير بن ثعلبة به
وانقرض فنسي بعده ابن اخيه القلمس واسمه عدي بن عامر بن ثعلبة بن الحارث
بن كنانة ثم صار النسي في ولده وكان اخرهم ابو ثمامة جناده وقيل اخذ عوف
بن امية بن قلع عن ابيه امية بن قلع عن جده قلع بن عباد عن جد ابيه عباد بن
حذيفة عن جد جده حذيفة بن عبد بن فقيم وكان يقال لحذيفة القلمس وهو
اول من انسا الشهور على العرب فاحلت منها ما احل وحرمت ما حرم ثم كان بعد عوف
المذكور ولده ابو ثمامة جنادة بن عوف وعليه قام الاسلام وكان ابعدهم ذكرا
واطولهم امدا يقال انه نسي اربعين سنة ولهم يقول عمير بن قيس جذل
الطعان يفتخر

واي الناس لم نسبق بوتر ... واي الناس لم نعلك لجاما
السنا الناسين على معد ... شهور الحل نجعلها حراما

وقال عبادة بن ثعلبة بن انف الكلب الصيداوي من بني اسد بن خزيمة

ازعم اني من فقيم بن مالك ... لعمري لقد غيرته ما كنت اعلم
لهم ناسي يمشون تحت لوايه ... يحل اذا شا الشهور ويحرم

وقيل كانت العرب تكبس كل اربع وعشرين سنة قمرية بتسعة اشهر وكانت
شهورهم ثابتة مع الازمنة جارية على سنن واحد لا تتاخر عن اوقاتها ولا تتقدم
وكان النسي الاول المحرم فسمي صفر باسمه وشهر ربيع الاول باسم صفر باسمه ثم والوا

بين اسما الشهور وكان النسي الاول لصفر فسمي الذي كان يتلوه بصفر ايضا وكذلك حتى
دار النسي في الشهور الاثني عشر وعاد الى المحرم فاعادوا افعالهم الاول وكانوا يعدون ادوار
النسي ويحدون بها الازمنة فيقولون قد دارت السنون من لدن زمان كذا الى
زمان كذا اوكذا دورة فان ظهر لهم مع ذلك تقدم شهر عن فصله من الفصول الاربعة
لما يجتمع من كسور سنة الشمس وبقية فضل ما بينها وبين سنة القمر الذي الحقوه بها كبسوها
كبسا ثانيا وكان يظهر لهم ذلك بطلوع منازل القمر وسقوطها حتى هاجر النبي صلى الله
عليه وسلم وكانت نوبة النسي بلغت شعبان فسمي محرما وشهر رمضان صفرا وقيل
ان الناسي الاول انسا المحرم وجعله كبسا واخر المحرم الى صفر وصفر الى ربيع الاول
وكذلك بقية الشهور فوقع حجهم في تلك السنة عاشر المحرم وجعل تلك السنة ثلثة عشر
شهرا ونقل الحج بعد كل ثلث سنين شهرا فمضى على ذلك مايتان وعشر سنين وكان
انقضاها سنة حجة الوداع وكان وقوع الحج في السنة التاسعة من الهجرة عاشر ذي
القعدة وهي السنة التي حج فيها ابوبكر الصديق رضي الله عنه بالناس ثم حج رسول
الله صلى الله عليه وسلم في السنة العاشرة حجة الوداع لوقوع الحج فيها عاشر ذي
الحجة كما كان في عهد ابرهيم واسمعيل ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في حجته
هذه ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض يعني رجوع
الحج والشهور الى الوضع وانزل الله تعالى ابطال النسي بقوله تعالى انما النسي زيادة
في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله
فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم الاية فبطل ما احدثته الجاهلية من النسي
واستمر وقوع الحج والصوم برؤية الاهلة ولله الحمد وكانت العرب لها تواريخ معروفة
عندها قد بادت فمما كانت تورخ به ان كنانة ارخت من موت كعب بن لوي حتى كان
عام الفيل ارخوا به وهو عام مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بين كعب بن
لوي والفيل خمسماية وعشرون سنة وكان بين الفيل وبين الفجار اربعين سنة ثم
عدوا من الفجار الى وفاة هشام بن المغيرة وكان ست سنين ثم عدوا من وفاة هشام
الى بنيان الكعبة وكان تسع سنين ثم كان بين بنايها وبين هجرة رسول الله صلى الله
عليه وسلم خمس عشرة سنة ثم وقع التاريخ من الهجرة النبوية فعن سعيد بن المسيب
قال جمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس فسالهم من اي يوم يكتب التاريخ فقال
علي بن ابي طالب رضي الله عنه من يوم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم

[illegible] واستمر

ونزل

وترك ارض الشرك ففعله عمر وعن سهل بن سعد الساعدي قال اخطا الناس
في العدد ما عدوا من مبعثه ولا من وفاته انما عدوا من مقدمه المدينة وعن ابن
عباس رضي الله عنه قال كان التاريخ من السنة التي قدم فيها رسول الله صلى
الله عليه وسلم المدينة وقال قرة بن خالد عن محمد كان عند عمر بن الخطاب رضي
الله عنه عامل جاء من اليمن فقال لعمر اما تورخون يكتبون في سنة كذا وكذا من
شهر كذا وكذا فاراد عمر والناس ان يكتبوا من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قالوا من عند وفاته ثم ارادوا ان يكون ذلك من الهجرة ثم قالوا من اي شهر فارادوا
ان يكون من رمضان ثم بدا لهم فقالوا من المحرم وقال ميمون بن مهران رفع الى امير
المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه صك محله شعبان فقال اي شعبان هو اشعبان
الذي نحن فيه او الاتي ثم جمع وجوه الصحابة فقال ان الاموال قد كثرت وما
قسمناه منها غير موقت فكيف التوصل الى ما يضبط به ذلك فقالوا الواجب ان نعرف
ذلك من رسوم الفرس فعندها استحضر عمر رضي الله عنه الهرمزان وساله
عن ذلك فقال ان لنا حسابا نسميه ماه روز ومعناه حساب الشهور والايام
فعربوا الكلمة وقالوا مورخ ثم جعلوه اسم التاريخ واستعملوه ثم طلبوا وقتا يجعلونه
اولا لتاريخ دولة الاسلام فاتفقوا على ان يكون المبدا من سنة الهجرة وكانت
الهجرة النبوية من مكة الى المدينة وقد تصرم من شهور السنة وايامها المحرم
وصفر وايام من ربيع الاول فلما عزموا على تاسيس الهجرة رجعوا القهقرى
ثمانية وستين يوما وجعلوا التاريخ من اول المحرم هذه السنة ثم احصوا من
اول يوم في المحرم الى اخر يوم من عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عشر
سنين وشهرين ولما اذا حسب عمره المقدس من الهجرة حقيقة يكون قد عاش صلى
الله عليه وسلم بعدها تسع سنين واحد عشر شهرا واثنين وعشرين يوما وكان
بين مولده صلى الله عليه وسلم وبين مولد المسيح عليه السلام خمسماية وثمان وسبعين
سنة تنقص شهرين وثمانية ايام فاما مبدا تاريخ الهجرة يوم الخميس اول شهر الله
المحرم وبينه وبين الطوفان ثلثة الاف وتسعماية وخمس وثلثون سنة وعشرة
اشهر واثنان وعشرون يوما على ما عرفت من الخلاف في ذلك وبينه وبين تاريخ
الاسكندر بن فيلبس المجدوني الرومي تسعماية واحدى وستون سنة قمرية
واربعة وخمسون يوما تكون من السنين الشمسية تسعماية واثنين وثلثين

سنة وماسين وتسعة وثمانون يوما عنها بسبعة اشهر وتسعة عشر يوما وبينه وبين
تاريخ القبط ثلثمائه وسبع وثلثون سنة وتسعة وثلثون يوما وكان ماشا الله ان
انتقال المحور من المثلثة الهوائية التي هي برج الجوزا وذوانها الى برج السرطان وثلثته
المائية التي كانت دولة الاسلام فيها عند تمام سنة الالف وثلثمائه وخمس واربعين
سنة وثلثة اشهر وعشرين يوما من وقت القران الاول الواقع في بدو التحرك يعني
خلق ادم عليه السلام وان القران الاول من هذه المثلثه وقع تعدا ربع درج ودقيقه
واحدة من برج العقرب وهو قران الملة الاسلاميه وكان في السنة الثانيه من هذا
القران ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بين دخول الشمس برج الحمل في هذه
السنة وبين اول يوم من سنة الهجرة سنون فارسية عدتها احدى وخمسون سنة
وثلثة اشهر وثمانية ايام وستة عشر ساعة وكان من وقت الطوفان الى اول قران
الملة ثلثة الاف وتسعماية واثنى عشر سنة وستة اشهر واربعة عشر يوما وزعمت
اليهود ان من ادم عليه السلام الى سنة الهجرة اربعة الاف واثنان واربعون
سنه وثلثه اشهر وزعمت النصارى ان بينهما خمسة الاف وتسعماية وتسعون
سنة وثلثة اشهر وزعمت المجوس اعني الفرس ان بينهما اربعة الاف وماية واثنان
وثمانون سنة وعشرة اشهر وتسعة عشر يوما وقد عرفت ان شهور تاريخ الهجرة
قمريه وايام كل سنة منه عدتها ثلثمايه واربعة وخمسون يوما وخمس وسدس يوم
وجميع الاحكام الشرعيه مبنيه على روية الهلال عند جميع فرق الاسلام ما عدا
الشيعه وان جميع الاحكام مبنية عندهم على عمل شهور السنة بالحساب على ما سنذكره
في ذكر القاهرة وخلفايها ثم لما احتاج منجموا الاسلام الى استخراج ما لا بد منه
من معرفة الاهلة وسمت القبلة وغير ذلك بنوا ازياجهم على التاريخ العربي وجعلوا
شهور السنة العربية شهرا كاملا وشهرا ناقصا وابتدوا بالمحرم اقتدا بالصحابة رضي
الله عنهم فجعلوا المحرم ثلثين يوما وصفر تسعة وعشرين يوما وجمادي الاول ثلثين
يوما وجمادى الثاني تسعة وعشرين يوما ورجب ثلثين يوما وشعبان تسعة وعشرين
يوما ورمضان ثلثين يوما وشوال تسعة وعشرين يوما وذي القعدة ثلثين يوما
وذي الحجة تسعة وعشرين يوما وزادوا من اجل كسر اليوم الذي هو خمس وسدس
يوم في ذي الحجة اذا صار هذا الكسر اكثر من نصف يوم فيكون شهر ذي الحجه في تلك
السنه ثلثين يوما ويسمون تلك السنة كبيسة ويصير عددها ثلثمائة وخمسة
وخمسون

وخمسون يوما ويجتمع في كل ثلثين سنة من الكبايس احد عشر يوما والله اعلم ، واما
تاريخ الفرس ويعرف ايضا بتاريخ يزدجرد فانه من ابتدا تملك يزدجرد
بن شهريار بن كسرى ابرويز وارخ به الفرس من اجل ان يزدجرد قام في المملكة
بعدما تبدد ملك فارس واستولى عليه النسا والمتغلبون وهو ايضا اخر ملوك
فارس وبقتله تمزق ملكهم واول هذا التاريخ يوم الثلثا وبين تاريخ
الهجرة تسع سنين وثلثمائة وثمانية وثلثون يوما وايام سنة هذا التاريخ
تنقص عن السنة الشمسية ربع يوم فيكون في كل مائة وعشرين سنة
شهرا واحدا ولهم في كبس السنة اراء ليس هذا موضع ايرادها وعلى هذا
التاريخ يعتمد في زمننا اهل العراق وبلاد العجم ولله عاقبة الامور
تم الجزء الاول من اجزاء المصنف رحمه الله اللهم صل وسلم على سيدنا محمد
واله وسلم والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل
وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما ابدا الى يوم الدين
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر فسطاط مصر قال الجوهري الفسطاط بيت من شعر قال وفسطاط مدينة مصر اعلم ان فسطاط مصر اختط في الاسلام بعد ما فتحت ارض مصر وصارت دار اسلام وقد كانت بيد الروم والقبط وهم نصارى ملكانية ويعقوبية ومنانيه وحين اختط المسلمون الفسطاط انتقل كرسي المملكة من مدينة الاسكندرية بعد ما كانت منزل الملك ودار الامارة زيادة على تسع مائة سنة وصارت حينئذ الفسطاط ينزل فيه امرا مصر فلم يزل على ذلك حتى بني العسكر بظاهر الفسطاط فنزل فيه امرا مصر وسكنوه وربما سكن بعضهم الفسطاط فلما انشا الامير ابوا العباس احمد بن طولون القطايع بجانب العسكر سكن فيها واتخذها الامرا من بعده منزلا الى ان انقرضت دولة بني طولون فصار امرا مصر من بعد ذلك ينزلون بالعسكر خارج الفسطاط وما زالوا على ذلك حتى صارت قدمت عساكر الامام المعز لدين الله ابي تميم معد الفاطمي مع كاتبه جوهر القايد فبنا القاهرة ونزل فيها بمن معه من العساكر ثم قدم المعز فنزل في قصره من القاهرة وصارت دار خلافة واستمر سكنى الرعية بالفسطاط وبلغ من وفور العمارة وكثرة الخلايق ما اربا على عامة مدن المعمور حاشا بغداد وما زال على ذلك حتى تغلب الفرنج على سواحل البلاد الشامية ونزل مري ملك الفرنج بجموعه الكثيرة على بركة الحبش يريد الاستيلا على مملكة مصر واخذ الفسطاط والقاهرة فعجز الوزير شاور بن مجير السعدي عن حفظ البلدين معا فامر الناس باخلا مدينة الفسطاط واللحاق بالقاهرة للامتناع من الفرنج وكانت القاهرة اذ ذاك من الحصانة والامتناع بحيث لا يرام فارتحل الناس من الفسطاط وساروا باسرهم الى القاهرة وامر شاور فالقى العبيد النار في الفسطاط فلم يزل به بضعا وخمسين يوما حتى احترق اكثر مساكنه فلما رحل مري عن القاهرة واستولى شيركوه على الوزارة تراجع الناس الى الفسطاط ورموا بعض شعثه ولم يزل في نقص وخراب الى يومنا هذا وقد صار الفسطاط يعرف في زمننا بمدينة مصر والله اعلم

ذكر ما كان عليه موضع الفسطاط قبل الاسلام الى ان اختطه المسلمون مدينة اعلم ان موضع الفسطاط الذي يقال له اليوم مدينة مصر كان فضا ومزارع فيما بين النيل والجبل الشرقي الذي يعرف بجبل المقطم ليس فيه من البنا والعمارة سوى حصن يعرف اليوم بعضه بقصر الشمع وبالمعلقة ينزل به شحنة الروم المتولي على مصر من قبل القياصرة ملوك الروم عند مسيره من مدينة الاسكندرية ويقيم فيه ما شا ثم يعود الى دار الامارة ومنزل الملك من الاسكندرية وكان هذا الحصن مطلا على النيل وتصل السفن في النيل الى بابه الغربي الذي كان يعرف بباب الحديد ومنه ركب المقوقس في السفن حين غلبه المسلمون على الحصن المذكور وصار فيها الى الجزيرة التي تجاه الحصن وهي التي تعرف اليوم بالروضة قبالة مصر وكان مقياس النيل بجانب الحصن قال ابن المتوج وعمود المقياس موجود في زقاق مسجد ابن النعمان قلت وهو باق الى يومنا هذا اعني سنة عشرين وثمان مائة وكان هذا الحصن لا يزال مشحونا بالمقاتلة وسيرد في هذا الكتاب خبره ان شا الله تعالى وكان بجوار هذا الحصن من بحريه وهي الجهة الشمالية اشجار وكروم صار موضعها الجامع العتيق وفيما بين الحصن والجبل عدة كنايس وديارات للنصارى اكثرها في الموضع الذي يعرف اليوم براشدة وبجانب الحصن فيما بين الكروم التي كانت بجانبه وبين الجرف الذي تعرف اليوم بجبل يشكر حيث جامع ابن طولون والكبش عدة كنايس وديارات للنصارى في الموضع الذي كان يعرف في اوايل الاسلام بالحمرا وعرف الان بخط قناطر السباع والسبع سقايات وبقي بالحمرا عدة من الديارات الى ان هدمت في سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون على ما ذكر في اوايل هذا الكتاب عند ذكر كنايس النصارى فلما افتتح عمرو بن العاص مدينة الاسكندرية الفتح الاول نزل بجوار هذا الحصن واختط الجامع المعروف بالجامع العتيق وبجامع عمرو بن العاص واختطت قبايل العرب من حوله فصارت مدينة عرفت بالفسطاط ونزل الناس بها فانحسر بعد الفتح باعوام ما النيل عن ارض تجاه الحصن والجامع العتيق صار المسلمون يربطون هناك دوابهم ثم اختطوا فيه المساكن شيا بعد شي وصار ساحل البلد حيث الموضع الذي يقال له اليوم في مصر المعاريج مارا الى الكوم الذي على يسرة الداخل من باب مصر المذكور الى حيث بستان ابن كيسان الذي يعرف اليوم ببستان الطواشي في اول مراغة مصر وجميع الاماكن التي تعرف اليوم بمراغة مصر وبالحرف الى الخليج عرضا ومن حيث قنطرة السد الى سوق

المعارج لمو لا كان عامرا بما النيل الى ان انحسر عنه ما النيل بعد سنه ستمايه من
سني الهجرة فصار رملة ثم اختط فيه الامرا مما يلي النيل ادورا عندما عمر الملك الصالح
نجم الدين ايوب قلعة الروضة واختط بعضه شونا الى ان انشا الملك الناصر
محمد بن قلاوون جامعه المعروف بالجامع الجديد الناصري ظاهر مصر فعمر ما
حوله وقد كان عند فتح مصر سائر المواضع التي من منشاة المهراني الى بركة
الحبش طولا ومن ساحل النيل بموردة الحلفا وبجامع الجديد الى سوق
المعارج وما على سمته الى تجاه المشهد الذي يقال له مشهد الراس وتسميه العامة
اليوم مشهد زين العابدين كلها بحرا لا يحول بين الحصن والجامع وما على سمتهما
الى الحمرا الدنيا التي منها اليوم خط قناطر السباع وبين جزيرة مصر التي تعرف
اليوم بالروضة شي سوى ما النيل وجميع ما في هذه المواضع من الابنية ٥
انكشف عنها النيل قليلا قليلا واختطت على ما تبين لك في هذا الكتاب

ذكر الحصن الذي يعرف بقصر الشمع

اعلم ان هذا القصر احدث بعد خراب مصر على يدي بخت نصر وقد اختلف في الوقت
الذي بني فيه ومن انشاه من الملوك فقال قد ذكر الواقدي ان الذي بناه
اسمه الريان بن ادسلاوس وكان هذا القصر يوقد عليه الشمع في راس كل
شهر وذلك انه اذا حلت الشمس برجا من البروج اوقد في تلك الليلة الشمع
على راس ذلك القصر فيعلم الناس بوقود الشمع ان الشمس انتقلت من البرج
الذي كانت فيه الى برج اخر غيره فلم يزل القصر على حاله الى ان خربت مصر
زمن بخت نصر بن نيبوزرادا الكلداني فاقام خرابا خمسمايه سنة ولم يبق منه
الا اثر فقط فلما غلب الروم على مصر وملكوها من ايدي اليونانيين ولي مصر
من قبلهم رجل يقال له ارجالس بن مقراطيس فبنى القصر على ما وجد من اساسه
وقال بن سعيد وصارت مصر والشام بعد بخت نصر في مملكة الفرس
فوليهما منهم كسرجوس الفارسي باني قصر الشمع وبعده طخارست الطويل
الولاية وتوالت بعده نواب الفرس الى ظهور الاسكندر **وقال**
غيره ان الذي بناه طخساست احد ملوك الفرس عندما سار لمحاربة اهل
مصر فلما غلب فسطرا ملك مصر الذي يعرف اليوم بفرعون شاناق ٥
وفر منه الى مقدونية غلب على مملكة مصر واستولى عليها وبنى للفرس قصرا

وقول

وجعل فيه بيت نار على شاطي النيل الشرقي وعرف بقصر الشمع لانه كان له باب يقال
له باب الشمع وجعل في القصر بيت نار وهو باق وقال بن عبد الحكم عن الليث
بن سعد وكانت الفرس قد اسست بنا الحصن الذي يقال له باب اليون
وهو الحصن الذي بفسطاط مصر اليوم فلما انكشفت جموع فارس عن الروم
واخرجتهم الروم من الشام اتمت بنا ذلك الحصن واقامت به فلم يزل مصر
في ملك الروم حتى فتحها الله تعالى على المسلمين قال وكان ابو الاسود نضر
بن عبد الجبار يقولها بالميم يعني باب اليوم ويقول انما سمي كذلك لانهم كانوا
يقولون من يقابلنا اليوم وقال القضاعي ذكر الحصن المعروف بقصر الشمع
يقال ان فارس لما ظهرت الروم وملكت عليهم الشام ومصر بدات ببنا هذا
القصر وبنت فيه هيكلا لبيت النار ولم يتم بناه على ايديهم الى ان ظهرت الروم
عليهم فتممت بناه وحصنته ولم تزل فيه الى حين الفتح وهيكل النار هو
القبة المعروفة اليوم بقبة الدخان وبحصن بها مسجد معلق احدثه المسلمون
وقال ابو عبيد البكري باب اليون بمصر ان كان عربيا فمثل يوم ويوح
مما فاه ياو وعينه واو وقد يجوز ان يكون فعلا من بين وهو اسم موضع على
مذهب ابي الحسن في فعل من البيع بوع قال ولبست الالف واللام فيه
للتعريف فعلى هذا اجب ان يثبت في هذا الرسم ٢
وقال صخر ٢

«حلو من تهامة ارضنا وتبدلوا ٭ بمكة باب اليون والريط بالعصب»
والرواية في شعر كثير عزة قوله ٢

«جرى بين باب اليون والهضب دونه ٭ رياح اشتت بالنقى واشمت»
بفتح النون غير مجرى للعجمة على ان همزته مقطوعة وصلها للضرورة وقال
الحازمي باب اليون بالياء اسم مدينة مصر فتحها المسلمون سموها الفسطاط
وقال عبد الملك بن هشام بابليون المنسوب اليه مصر هو بابليون بن
سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وان من ولده عمرو بن امري القيس بن بابليون
بن سبا وهو الملك على مصر لما قدم عليها ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه
والقبط تسمي عمرا انذاطوطبيس ومن ولده حلوان بن بابليون بن عمرو بن امري
القيس وبه سميت حلوان وقال القاضي القضاعي في ظاهر الفسطاط ٥

القصر المعروف بباب ليون بالشرف ليون اسم بلد مصر بلغة السودان والروم وقد
بقيت من بنائه بقية مبنية بالحجارة على طرف الجبل بالشرق وعليه اليوم مسجد
قال كاتبه وقد اكثر ترى من زعم ان قصر باب اليون غير قصر الشمع فان قصر الشمع
في داخل الفسطاط وقصر باب اليون هذا اعلا الفضاء على الجبل المعروف
بالشرف والشرف خارج الفسطاط وهو خلاف ما قاله ابن عبد الحكم في كتاب
فتوح مصر والله اعلم وقال ان في زمن ناحور بن شاروغ وهو التاسع عشر
من ادم ملك مصر رجل اسمه افطوطيس مدة اثنين وثلثين سنة وانه اول
من اظهر علم الحساب والسحر وحمل كتب ذلك من بلاد الكلدانيين الى مصر وفي
ذلك الزمان بنيت بابليون على بحر النيل بمصر وذلك لتمام ثلثة الاف وثلثمائة
وتسعين للعالم وقال ابن سعيد في كتاب المغرب واما فسطاط مصر فان
مبانيها كانت في القديم متصلة بمباني مدينة عين شمس وجاء الاسلام وبها
بناء يعرف بالقصر حوله مساكن وعليه نزل عمرو بن العاص وضرب فسطاطه
حيث المسجد الجامع المنسوب اليه وهذا وهم من ابن سعيد فان فسطاط عمرو انما
كان مضروبا عند درب حمام شمول بخط الجامع كذا هو بخط الشريف محمد
بن اسعد الجواني النسابة وهو اعرف بخطط مصر واعرف من ابن سعيد واما
موضع الجامع فكان كروما وجنانا وحاز موضعه قيسبة التجيبي ثم تصدق به
على المسلمين فعمل المسجد وسنتفق على هذا ان شا الله عند ذكر جامع عمرو وعند
ذكر الجوامع من هذا الكتاب وقال ابن المتوج خط قصر الشمع هذا الخط يعرف
بخط قصر الشمع وبه قصر الروم وفيه ازقة ودروب قال وكنيسة المعلقة
بمصر بباب القصر وهو قصر الروم وقال ابن عبد الحكم واقر عمرو بن العاص
القصر لم يقسمه واوقفه وقال ابو عمرو الكندي في كتاب الامرا وقد ذكر
قيام علي بن محمد بن عبد الله الحسن بن علي بن ابي طالب وطروق المسجد في امارة
يزيد بن حاتم بن قبيصة بن ابي صفرة على مصر وورد كتاب ابي جعفر المنصور على
يزيد بن ابي حاتم يامره بالتحول من العسكر الى الفسطاط وان يجعل الديوان في
كنايس القصر وذلك في سنة ست واربعين ومائة

ذكر حصار المسلمين للقصر وفتح مصر اختلف الناس

في فتح
مصر فقال محمد بن اسحق وابو معشر ومحمد بن عمر الواقدي ويزيد بن ابي حبيب
وابوا

وابو عمرو الكندي فتحت سنة عشرين وقال سيف بن عمر وفتحت سنة ست عشرة
وقيل فتحت سنة ست وعشرين وقيل سنة احدى وعشرين وقيل سنة
اثنين وعشرين والاول اصح واشهر قال ابن عبد الحكم لما قدم عمر بن الخطاب
رضي الله عنه الجابية قام اليه عمرو بن العاص فخلا به فقال يا امير المومنين
ايذن لي ان اسير الى مصر وحرضه عليها وقال انك ان فتحتها كانت قوة للمسلمين
وعونا لهم وهي اكثر الارض اموالا واعجز عن القتال والحرب فتخوف عمر بن
الخطاب وكره ذلك فلم يزل عمرو يعظم امرها عند عمر بن الخطاب ويخبره
بحالها ويهون عليه فتحها حتى ركن لذلك فعقد له على اربعة الاف رجل
كلهم من عك ويقال بل ثلثة الاف وخمسمائة وقال له عمر سر وانا مستخير
الله تعالى في مسيرك وسياتيك كتابي ان شا الله تعالى فان ادركك كتابي
امرك فيه بالانصراف عن مصر قبل ان تدخلها او شيئا من ارضها فانصرف
وان انت دخلتها قبل ان ياتيك كتابي فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره
فسار عمرو بن العاص من جوف الليل ولم يشعر به احد واستخار عمر الله
فكانه تخوف على المسلمين في وجههم ذلك فكتب الى عمرو بن العاص ان ينصرف
بمن معه من المسلمين فادرك الكتاب عمرا وهو برفح فلم ياخذ الكتاب من
الرسول ودفعه وسار كما هو حتى نزل قرية فيما بين رفح والعريش فسال
عنها فقيل انها من مصر فدعا بالكتاب فقراه على المسلمين فقال عمرو لمن معه
الستم تعلمون ان هذه القرية من مصر قالوا بلى قال فان امير المومنين عهد
الي وامرني ان لحقني كتابه ولم ادخل ارض مصر ان ارجع ولم يلحقني كتابه حتى
دخلنا ارض مصر فسيروا وامضوا على بركة الله ويقال بل كان عمر بفلسطين
فتقدم عمرو باصحابه الى مصر بغير اذن فكتب اليه عمر وهو دون العريش فحبس
الكتاب فلم يقراه حتى بلغ العريش فقراه فاذا فيه من عمر بن الخطاب الى العاصي
بن العاصي اما بعد فانك سرت الى مصر ومن معك وبها جموع الروم وانما
معك نفر يسير ولعمري لو ثكل امك ما سرت بهم فان لم تكن بلغت مصر فارجع
فقال عمرو الحمد لله اية ارض هذه قالوا من مصر فتقدم كما هو ويقال بل كان
عمرو في جنده على قيسارية مع من كان بها من اجناد المسلمين وعمر بن الخطاب
اذ ذاك بالجابية فكتب سرا فاستاذن ان يسير الى مصر وامر اصحابه

تنحوا كا القوم الذين يريدون ان يتنحوا من موضع الى موضع قريب ثم سار بهم ليلا فلما فقده
امرا الاجناد استنكروا الذي فعل وراوا ان قد غرّ فرفعوا ذلك الى عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فكتب اليه عمر الى العاصي بن العاصي اما بعد فانك قد غررت بمن
معك فان ادركك كتابي ولم تدخل مصر فارجع وان ادركك وقد دخلت فامض
واعلم اني ممدك وقيل ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب الى عمرو بن العاصي
بعد ما فتح الشام ان اندب الناس الى المسير معك الى ارض مصر فمن خف معك
فسر به وبعث به مع شريك بن عبدة فندبهم عمرو فاسرعوا الى الخروج مع عمرو
ثم ان عثمن بن عفان رضي الله عنه دخل على عمر بن الخطاب فقال عمر كتبت الى
عمرو بن العاص يسير من مصر الى الشام فقال عثمن يا امير المومنين ان عمرا
لمجرٍ وفيه اقدام وحب للامارة فاخشى ان يخرج في غير ثقة ولا جماعة فيعرض
المسلمين للهلكة رجا فرصة لا يدري يكون ام لا فندم عمر الى كتابه الى عمرو واشفاقا
مما قال عثمن فكتب اليه ان ادركك كتابي قبل ان تدخل الى مصر فارجع الى موضعك
وان كنت دخلت فامض لوجهك فلما بلغ المقوقس قدوم عمرو بن العاص الى
مصر توجه الى موضع الفسطاط فكان يجهز على عمرو الجيوش وكان على القصر رجل
من الروم يقال له الاعيرج والياً عليه وكان تحت يدي المقوقس واقبل عمرو
حتى اذا كان بجبل الحلال نفرت معه راشده وقبايل من لخم فتوجه عمرو حتى
اذا كان بالعريش ادركه النحر فضحا عن اصحابه يومئذ بكبش وتقدم فكان
اول موضع قوتل فيه الفرما قاتلته الروم قتالا شديدا نحوا من شهر ثم فتح الله
عليه وكان عبد الله بن سعد على ميمنة عمرو ومنذ توجه من قيسارية الى ان
فرغ من حربه وكان بالاسكندرية اسقف للقبط يقال له ابو ميامين فلما
بلغه قدوم عمرو الى مصر كتب الى القبط يعلمهم انه لا يكون للروم دولة وان ملكهم
قد انقطع ويامرهم بتلقي عمرو فيقال ان القبط الذين كانوا بالفرما كانوا
يومئذ لعمرو اعوانا ثم توجه عمرو لا يدافع الا بالامر الخفيف حتى نزل القواصر
فسمع رجل من لخم نفرا من القبط يقول بعضهم لبعض الا تعجبون من هولاء
القوم لا يتوجهون الى احد الا ظهروا عليه حتى يقتلوا اخرهم ويتقدم عمرو لا
يدافع الا بالامر الخفيف حتى اتى بلبيس فقاتلوه بها نحوا من شهر حتى فتح الله عليه
ثم مضى لا يدافع الا بالامر الخفيف حتى اتى ام دنين فقاتلوه بها قتالا شديدا

وابطا عليه

وابطا عليه الفتح فكتب الى عمر يستمده فامده باربعة الاف تمام ثمانية الاف وقيل
بل امده باثني عشر الفا فوصلوا اليه ارسالا يتبع بعضهم بعضا فكان فيهم اربعة
الاف عليهم اربعة الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وعبادة بن الصامت
ومسلمة بن مخلد وقيل ان الرابع خارجة بن حذافة دون مسلمة ثم احاط المسلمون
بالحصن واميره يومئذ المندفور الذي يقال له الاعيرج من قبل المقوقس بن
قرقب اليوناني وكان المقوقس ينزل الاسكندرية وهو في سلطان هرقل
غير انه كان حاضر الحصن حين حاصره المسلمون فقاتل عمرو بن العاص من
الحصن وجاء رجل الى عمرو فقال اندب معي خيلا حتى اتي من ورائهم عند القتال
فاخرج معه خمسماية فارس عليهم خارجة بن حذافة في قول فساروا من وراء الجبل
حتى دخلوا مغار بني وائل قبل الصبح وكانت الروم قد خندقوا خندقا وجعلوا
له ابوابا وبثوا في افنيتها حسك الحديد فالتقى القوم حين اصبحوا وخرج خارجة
من ورائهم فانهزموا حتى دخلوا الحصن وكانوا قد خندقوا حوله فنزل عمرو
على الحصن وقاتلهم قتالا شديدا يصبحهم ويمسيهم وقيل انه لما ابطا الفتح
على عمرو كتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستمده ويعلمه ذلك فامده
باربعة الاف رجل على كل الف منهم مقام الالف الزبير بن العوام والمقداد
بن عمرو وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد وقيل بل خارجة بن حذافة
الرابع لا يعدون مسلمة وقال عمرو واعلم انك معك اثني عشر الفا ولا يغلب اثنا عشر الفا
من قلة وقيل قدم الزبير في اثني عشر الفا وان عمرا لما قدم من الشام كان
في عدة قليلة فكان يفرق اصحابه ليري العدو انهم اكثر مما هم فلما انتهى الى الخندق
نادوه ان قد راينا ما صنعت وانما معك من اصحابك كذا وكذا فلم يخطئوا برجل
منهم واحد فاقام عمرو على ذلك اياما يغدو في السحر فيصف اصحابه على افواه
الخندق عليهم السلاح فبينا هو على ذلك اذ جاء خبر الزبير بن العوام انه قدم
في اثني عشر الفا فتلقاه عمرو ثم اقبلا يسيران ثم لم يلبث الزبير ان ركب وطاف
على الخندق ثم فرق الرجال حول الخندق والح عمرو على القصر ووضع عليه المنجنيق
ودخل عمرو على صاحب الخندق فتناظرا في شي مما هم فيه فقال عمرو اخرج
واستشير اصحابي وقد كان صاحب الحصن اوصى الذي على الباب اذا مر به
عمرو ان يلقي عليه صخرة فيقتله فمر عمرو وهو يريد الخروج برجل من العرب

فقال له قد دخلت فانظر كيف تخرج فرجع عمرو الى صاحب الحصن فقال له اني اريد
ان اتيك بنفر من اصحابي حتى يسمعوا منك مثل الذي سمعت فقال العلج في نفسه قتل
جماعة احب الي من قتل واحد وارسل الى الذي كان امره بما امره به من قتل عمرو ان لا
تعرض له رجاء ان ياتيه باصحابه فيقتلهم وخرج عمرو فبينا عبادة بن الصامت
في ناحية يصلي وفرسه عنده فرآه قوم من الروم فخرجوا اليه وعليهم حلية وبزة
فلما دنوا منه سلم من صلاته ووثب على فرسه ثم حمل عليهم فلما راوه ولوا راجعين
واتبعهم فجعلوا يلقون مناطقهم ومتاعهم ليشغلوه بذلك عن طلبهم ولا يلتفت
اليه حتى دخل الحصن ورمي عبادة من فوق الحصن بالحجارة فرجع ولم يعرض لشي
مما طرحوا من متاعهم حتى رجع الى موضعه الذي كان به فاستقبل الصلاة وخرج
الروم الى متاعهم يجمعونه فلما ابطا الفتح على عمرو قال الزبير اني اهب نفسي لله
ارجو ان يفتح الله بذلك على المسلمين فوضع سلما الى جانب الحصن من ناحية سوق
الحمام ثم صعد وامرهم اذا سمعوا تكبيره ان يجيبوه جميعا فما شعروا الا والزبير
على راس الحصن يكبر معه السيف وتحامل الناس على السلم حتى نهاهم عمرو خوفا
من ان ينكسر وكبر الزبير فكبرت معه واجابهم المسلمون من خارج فلم يشك اهل
الحصن ان العرب قد اقتحموا جميعا فهربوا وعمد الزبير واصحابه الى باب الحصن
ففتحوه واقتحم المسلمون الحصن فلما خاف المقوقس على نفسه ومن معه فحينئذ
سال عمرو بن العاص الصلح ودعاه اليه على ان يفرض للعرب على القبط دينارين
دينارين على كل رجل منهم دينارين فاجابه عمرو الى ذلك وكان مكثهم على باب
القصر حتى فتحوه سبعة اشهر وقد سمعت في فتح القصر وجها اخر وهو ان
المسلمين لما حاصروا باب الليون وكان به جماعة من الروم واكابر القبط ورؤسايهم
وعليهم المقوقس فقاتلوهم شهرا فلما راى القوم الجد من العرب على فتحه والحرص
وراوا من صبرهم على القتال ورغبتهم فيه خافوا ان يظهروا عليهم فتنحى المقوقس
وجماعة من اكابر القبط وخرجوا من باب القصر القبلي ودونهم جماعة يقاتلون
العرب فلحقوا بالجزيرة موضع الصناعة اليوم وامروا بقطع الجسر وذلك في جري
النيل ويقال ان الاعرج تخلف في الحصن بعد المقوقس وقيل خرج معهم فلما
خاف فتح الحصن ركب هو واهل القوة والشرف وكانت سفنهم ملصقة بالحصن
ثم لحقوا بالمقوقس بالجزيرة فارسل المقوقس الى عمرو انكم قوم قد ولجتم في بلادنا
والححتم

والححتم على قتالنا وطال مقامكم في ارضنا وانما انتم عصبة يسيرة وقد اظلتكم الروم
وجهزوا اليكم ومعهم من العدة والسلاح وقد احاط بكم هذا النيل وانما انتم اسارى
في ايدينا فابعثوا الينا رجالا منكم نسمع من كلامهم فلعله ان ياتي الامر فيما بيننا وبينكم
على ما تحبون ونحبه وينقطع عنا وعنكم القتال قبل ان تغشاكم جموع الروم فلا
ينفعنا الكلام ولا نقدر عليه ولعلكم ان تندموا ان كان الامر مخالفا لطلبتكم
ورجائكم فابعثوا الينا رجالا من اصحابكم نعاملهم على ما نرضى نحن وهم به من شي
فلما اتت عمرو بن العاص رسل المقوقس حبسهم عنده يومين وليلتين حتى خاف
عليهم المقوقس فقال لاصحابه اترون انهم يقتلون الرسل ويستحلون ذلك
في دينهم وانما اراد عمرو بذلك ان يروا حال المسلمين فرد عليهم عمرو مع رسله انه
ليس بيني وبينكم الا احدى ثلاث خصال اما ان دخلتم في الاسلام فكنتم اخواننا
وكان لكم ما لنا وان ابيتم فاعطيتم الجزية عن يد وانتم صاغرون واما ان جاهدناكم
بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين فلما جاءت رسل
المقوقس اليه قال كيف رايتموهم قالوا راينا قوما الموت احب اليهم من الحياة
والتواضع احب اليهم من الرفعة ليس لاحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة انما
جلوسهم على التراب واكلهم على ركبهم واميرهم كواحد منهم ما يعرف رفيعهم
من وضيعهم ولا السيد منهم من العبد واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها
منهم احد يغسلون اطرافهم بالماء ويخشعون في صلاتهم فقال عند ذلك المقوقس
والذي يحلف به لو ان هولاء استقبلوا الجبال لازالوها وما يقوى على قتال هولاء
احد ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم
اذا امكنتهم الارض وقووا على الخروج من موضعهم فرد اليهم المقوقس رسله ابعثوا
الينا رسلا منكم نعاملهم ونتداعا نحن وهم الى ما عساه ان يكون فيه صلاح لنا ولكم
فبعث عمرو بن العاص عشرة نفر احدهم عبادة بن الصامت وكان طوله عشرة اشبار
وامره عمرو ان يكون متكلم القوم والا يجيبهم الى شي دعوه الا احدى هذه الثلاث خصال
فان امير المومنين قد تقدم الي في ذلك وامرني الا اقبل شيا سوى خصلة من هذه
الثلاث خصال وكان عبادة اسود فلما ركبوا السفن الى المقوقس ودخلوا عليه
تقدم اليه عبادة فهابه المقوقس لسواده وقال نحوا عني هذا الاسود وقدموا
غيره يكلمني فقالوا جميعا ان هذا الاسود افضلنا رايا وعلما وهو سيدنا وخيرنا

والمقدم علينا وانما نرجع جميعًا الى قوله ورايه وقد امره الامير دوننا بما امره وامرنا
الا نخالف رايه وقوله قال وكيف رضيتم ان يكون هذا الاسود افضلكم وانما
كان ينبغي ان يكون هو دونكم قالوا كلا وان كان اسود كما ترى فانه من افضلنا موضعًا
وافضلنا سابقة وعقلا ورايا وليس ينكر السواد فينا فقال المقوقس لعبادة
تقدم يا اسود وكلمني برفق فاني اهاب سوادك وان اشتد كلامك علي ازددت
لك هيبة فتقدم اليه عبادة فقال اني قد سمعت مقالتك وان فيمن خلفت من
اصحابي الف رجل اسود كلهم اشد سوادا مني وافظع منظرا ولو رايتهم لكنت
اهيب لهم منك لي وانا قد وليت وادبر شبابي واني مع ذلك بحمد الله ما اهاب
مائة رجل من عدوي لو استقبلوني جميعا وكذلك اصحابي وذلك انا انما رغبتنا
وهمتنا الجهاد في الله واتباع رضوانه وليس غزونا عدونا ممن حارب الله لرغبة
في دنيا ولا طلبا للاستكثار منها الا ان الله عز وجل قد احل لنا ذلك وجعل
ما غنمنا من ذلك حلالا وما يبالي احدنا اكان له قنطار من ذهب ام كان لا
يملك الا درهما لان غاية احدنا من الدنيا اكلة ياكلها يسد بها جوعته لليله
ونهاره وشملة يلتحفها فان كان احدنا لا يملك الا ذلك كفاه وان كان له قنطار
من ذهب انفقه في طاعة الله واقتصر على هذا الذي بيده ويبلغه ما كان في
الدنيا لان نعيم الدنيا ليس بنعيم ورخاها ليس برخا انما الرخا والنعيم في
الاخرة وبذلك امرنا الله وامرنا به نبينا وعهد الينا ان لا يكون همة احدنا من
الدنيا الا ما يمسك جوعته ويستر عورته ويكون همه وشغله في رضا ربه
وجهاد عدوه فلما سمع المقوقس ذلك منه قال لمن حوله هل سمعتم مثل
كلام هذا الرجل قط لقد هبت منظره وان قوله لاهيب عندي من منظره ان
هذا واصحابه اخرجهم الله لخراب الارض ما اظن ملكهم الا سيغلب على الارض كلها
ثم اقبل المقوقس على عبادة بن الصامت فقال ايها الرجل الصالح قد سمعت مقالتك
وما ذكرت عنك وعن اصحابك ولعمري ما بلغتم ما بلغتم الا بما ذكرت وما ظهرتم
على من ظهرتم عليه الا لحبهم الدنيا ورغبتهم فيها وقد توجه الينا لقتالكم من
جمع الروم ما لا يحصى عدده قوم معروفون بالنجدة والشدة ما يبالي احدهم
من لقي ولا من قاتل وانا لنعلم انكم لن تقووا عليهم ولن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم
وقد اقمتم بين اظهرنا اشهرا وانتم في ضيق وشدة من معاشكم وحالكم ونحن نرق
عليكم

عليكم لضعفكم وقلتكم وقلة ما بايديكم ونحن تطيب انفسنا ان نصالحكم على ان نفرض لكل
رجل منكم دينارين دينارين ولاميركم مائة دينار ولخليفتكم الف دينار فتقبضونها
وتنصرفون عن بلادنا قبل ان يغشاكم ما لا قوام لكم به فقال عبادة يا هذا لا تغرن
نفسك ولا اصحابك اما ما تخوفونا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وانا لا نقوى عليهم
فلعمري ما هذا بالذي تخوفونا به ولا بالذي يكسرنا عن ما نحن فيه ان كان ما قلتم حقا
فذلك والله ارغب ما يكون في قتالهم واشد لحرصنا عليهم لان ذلك اعذر لنا عند
ربنا اذا قدمنا عليه ان قتلنا من اخرنا كان امكن لنا في رضوانه وجنته وما من
شيء اقر لاعيننا ولا احب الينا من ذلك وانا منكم حينئذ لعلى احدى الحسنيين
اما ان تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا ان ظفرنا بكم او غنيمة الاخرة ان ظفرتم بنا
وانها لاحب الخصلتين الينا بعد الاجتهاد منا وان الله عز وجل قال لنا في كتابه
كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وما منا رجل
الا وهو يدعو ربه صباحا ومساء ان يرزقه الشهادة ولا يرده الى بلده ولا الى ارضه
ولا الى اهله وولده وليس لاحد منا هم فيما خلفه وقد استودع كل واحد منا ربه
اهله وولده وانما همنا ما امامنا واما قولك انا في ضيق وشدة من معاشنا
وحالنا فنحن في اوسع السعة لو كانت الدنيا كلها لنا ما اردنا منها لانفسنا اكثر
مما نحن عليه فانظر الذي تريد فبينه لنا فليس بيننا وبينك خصلة نقبلها
منك ولا نجيبك اليها الا خصلة من ثلث فاختر ايها شئت ولا تطمع نفسك في
الباطل بذلك امرني الامير وبها امره امير المومنين وهو عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قبل الينا اما اجبتم الى الاسلام الذي هو الدين الذي
لا يقبل الله غيره وهو دين انبيائه ورسله وملائكته امرنا الله تعالى ان نقاتل
من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه فان فعل كان له ما لنا وعليه ما علينا وكان
اخانا في دين الله فان قبلت ذلك انت واصحابك فقد سعدتم في الدنيا والاخرة ورجعنا
عن قتالكم ولم نستحل قتالكم ولا اذاكم وان ابيتم الا الجزية فادوا الينا الجزية عن يد
وانتم صاغرون نعاملكم على شيء نرضى به نحن وانتم في كل عام ابدا ما بقينا وبقيتم
ونقاتل عنكم من ناواكم وعرض لكم في شيء من ارضكم ودمائكم واموالكم ونقوم بذلك
عنكم اذ كنتم في ذمتنا وكان لكم به عهد علينا وان ابيتم فليس بيننا وبينكم الا
المحاكمة بالسيف حتى نموت من اخرنا او نصيب ما نريد منكم هذا ديننا الذي

ندين الله تعالى به ولا يجوز لنا فيما بيننا وبين غيره فانظروا لانفسكم فقال المقوقس له
هذا اما لا يكون ابدا ما تريدون الا ان تتخذونا لكم عبيدًا ما كانت الدنيا فقال له عبادة
هو ذاك فاختر ما شئت فقال له المقوقس افلا تجيبونا الى خصلة غير هذه الثلث
خصال فرفع عبادة يديه فقال لا ورب هذه السماء ورب هذه الارض ورب كل شي
ما لكم عندنا خصلة غيرها فاختاروا لانفسكم فالتفت المقوقس عند ذلك الى
اصحابه فقال قد فرغ القوم فما تريدون فقالوا او يرضى احد بهذا الذل اما
ما ارادوا من دخولنا في دينهم فهذا ما لا يكون ابدا ان نترك دين المسيح بن مريم وندخل
في دين غيره لا نعرفه واما ما ارادوا من ان يسبونا ويجعلونا عبيدًا فالموت ايسر
من ذلك لو رضوا منا ان نضعف لهم ما اعطيناهم مرارًا كان اهون علينا فقال
المقوقس لعبادة قد ابى القوم فما ترى فراجع اصحابك على ان نعطيكم في مرتكم
هذه ما تمنيتم وتنصرفون فقام عبادة واصحابه فقال المقوقس عند ذلك
لمن حوله اطيعوني واجيبوا القوم الى خصلة من هذه الثلث فوالله ما لكم
به طاقة ولئن لم تجيبوا اليها طائعين لتجيبنهم الى ما هو اعظم كارهين فقالوا
واي خصلة نجيبهم اليها فقال اذا اخبركم اما دخولكم في غير دينكم فلا امركم به
واما قتالهم فانا اعلم انكم لن تقووا عليهم ولن تصبروا صبرهم ولا بد من الثالثة
قالوا افنكون لهم عبيدا ابدا قال نعم تكونوا عبيدا مسلطين في بلادكم امنين على
انفسكم واموالكم وذراريكم خير لكم من ان تموتوا من اخركم وتكونوا عبيدا تباعوا
وتمزقوا في البلاد مستعبدين ابدا انتم واهلوكم وذراريكم قالوا ان الموت اهون علينا
وامروا بقطع الجسر من الفسطاط وبالجزيرة وبالقصر من جمع القبط والروم كثير فالح
عليهم المسلمون عند ذلك بالقتال على من في القصر حتى ظفروا بهم وامكن الله منهم
فقتل منهم خلق كثير واسر من اسر وانحازت السفن كلها الى الجزيرة وصار المسلمون
قد احدق بهم الماء من كل وجه لا يقدرون ان يتقدموا نحو الصعيد ولا الى غير ذلك
من المداين والقرى والمقوقس يقول لاصحابه الم اعلمكم هذا واخافه عليكم
ما تنتظرون فوالله لتجيبنهم الى ما ارادوا طوعا او لتجيبنهم الى ما هو اعظم منه
كرها فاطيعوني من قبل ان تندموا فلما راوا منهم ما راوا وقال لهم المقوقس ما
قال اذعنوا بالجزية ورضوا بذلك على صلح يكون بينهم يعرفونه وارسل المقوقس
الى عمرو بن العاص اني لم ازل حريصا على اجابتك الى خصلة من تلك الخصال
التي

التي ارسلت الي بها فابا علي من حضرني من الروم والقبط فلم يكن لي ان افتات عليهم في
اموالهم وقد عرفوا نصحي لهم وحبي صلاحهم ورجعوا الى قولي فاعطني امانا اجتمع انا
وانت في نفر من اصحابي وانت في نفر من اصحابك فان استقام الامر بيننا وبينكم تم ذلك جميعا وان لم يتم رجعنا
الى ما كنا عليه فاستشار عمرو اصحابه في ذلك فقالوا لا نجيبهم الى شي من الصلح ولا
الجزية حتى يفتح الله علينا وتصير كلها لنا فيا وغنيمة كما صار لنا القصر وما فيه فقال
عمرو قد علمتم ما عهد الي امير المومنين في عهده فان اجابوا الى خصلة من الخصال
الثلث التي عهد الي فيها اجبتهم اليها وقبلت منهم مع ما قد حال هذا الماء بيننا وبينكم
وبين ما نريد من قتالهم فاجتمعوا على عهد بينهم واصطلحوا على ان يفرض على جميع
من بمصر اعلاها واسفلها من القبط ديناران عن كل نفس منهم شريفهم
ووضيعهم من بلغ منهم الحلم ليس على الشيخ الفاني ولا الصغير الذي لم يبلغ الحلم ولا
على النساء شي وعلى ان للمسلمين عليهم النزل لجماعتهم حيث نزلوا ومن نزل عليه ضيف
واحد من المسلمين او اكثر من ذلك كانت لهم ضيافة ثلثة ايام مفترض عليهم وان
لهم ارضهم واموالهم لا يعرض لهم في شي منها فشرط ذلك كله على القبط خاصة واحصوا
عدد القبط يومئذ خاصة من بلغ منهم الجزية وفرض عليه الديناران رفع ذلك
عرفاهم بالايمان المؤكدة فكان جميع من احصي بها يومئذ بمصر اعلاها
واسفلها من جميع القبط فيما احصوا وكتبوا ورفعوا اكثر من ستة الاف الف
نفس فكانت فريضتهم يومئذ اثني عشر الف الف دينار في كل سنة وقال
ابن لهيعة عن يحيى بن ميمون الحضرمي لما فتح عمرو مصر صالح عن جميع من فيها
من الرجال من القبط ممن راهق الحلم الى ما فوق ذلك ليس فيهم امراة ولا
شيخ ولا صبي فاحصوا بذلك على دينارين دينارين فبلغت عدتهم ثمانية الاف
الف قال وشرط المقوقس للروم ان يخير ومن احب منهم ان يقيم على
مثل هذا اقام على ذلك لازما له مفترضا عليه ممن اقام بالاسكندرية وما
حولها من ارض مصر كلها ومن اراد الخروج منها الى ارض الروم خرج وعلى ان للمقوقس
الخيار في الروم خاصة حتى يكتب الى ملك الروم يعلمه ذلك فان قبل ذلك ورضيه
جاز عليهم والا كانوا جميعا على ما كانوا عليه وكتبوا به كتابا وكتب المقوقس الى ملك
الروم كتابا يعلمه بالامر كله فكتب اليه ملك الروم يقبح رايه ويعجزه ويرد عليه
ما فعل ويقول في كتابه انما اتاك من العرب اثنا عشر الفا وبمصر من بها من كثرة عدد

القبط ما لا يحصى فان كان القبط كرهوا القتال واحبوا اداء الجزية الى العرب واختاروهم
علينا فان عندك بمصر من الروم وبالاسكندرية ومن معك اكثر من مائة الف
معهم العدة والقوة والعرب وحالهم وضعفهم على ما قد رايت فتعجز عن قتالهم
ورضيت ان يكون انت ومن معك من الروم في حال القبط الا تقاتلهم انت
ومن معك من الروم حتى تموت او تظهر عليهم فانهم فيكم على قدر كثرتكم وقوتكم
وعلى قدر قلتهم وضعفهم كاكلة فناهضهم القتال ولا يكون لك راي غير ذلك
وكتب ملك الروم بمثل ذلك كتابا الى جماعة الروم فقال المقوقس لما اتاه
كتاب ملك الروم والله انهم على قلتهم وضعفهم اقوى واشد منا على كثرتنا وقوتنا
ان الرجل الواحد منهم ليعدل مائة رجل منا وذلك انهم قوم الموت احب الى احدهم
من الحياة يقاتل الرجل منهم وهو مستقبل يتمنى الا يرجع الى اهله ولا بلده ولا
ولده ويرون ان لهم اجرا عظيما فيمن قتلوا منا ويقولون انهم ان قتلوا دخلوا الجنة
وليس لهم رغبة في الدنيا ولا لذة الا قدر بلغة العيش من الطعام واللباس
ونحن قوم نكره الموت ونحب الحياة ولذتها فكيف نستقيم نحن وهؤلاء وكيف
صبرنا معهم واعلموا معشر الروم والله اني لا اخرج مما دخلت فيه ولا صالحت العرب
عليه واني لاعلم انكم سترجعون غدا الى قولي ورايي وتتمنون ان لو كنتم اطعتموني
وذلك اني قد عاينت ورايت وعرفت ما لم يعاين الملك ولم يره ولم يعرفه ويحكم
اما يرضى احدكم ان يكون امنا في دهره على نفسه وماله وولده بدينارين في
السنة ثم اقبل المقوقس الى عمرو فقال له ان الملك قد كره ما فعلت
وعجزني وكتب الي والى جماعة الروم الا نرضى بمصالحتك وامرهم بقتالك حتى
يظفروا بك او تظفر بهم ولم اكن لاخرج مما دخلت فيه وعاقدتك عليه وانما سلطاني
على نفسي ومن اطاعني وقد تم صلح القبط فيما بينك وبينهم ولم يات من قبلهم نقض
وانا متم لك على نفسي والقبط متمون لك على الصلح الذي صالحتهم عليه وعاقدتهم
واما الروم فانا منهم بريء وانا اطلب اليك ان تعطيني ثلاث خصال لا تنقض
بالقبط وادخلني معهم والزمني ما لزمهم وقد اجتمعت كلمتي وكلمتهم على ما عاهدتك
عليه فهم متمون لك على ما تحب واما الثانية ان سالك الروم بعد اليوم ان
تصالحهم فلا تصالحهم حتى تجعلهم فيئا وعبيدا فانهم اهل ذلك لاني نصحتهم
فاستغشوني ونظرت لهم فاتهموني واما الثالثة اطلب اليك ان انا مت ان
تامرهم

تامرهم يدفنوني في ابي يحنس بالاسكندرية فانعم له عمرو بذلك واجابه الى
ما طلب على ان يضمنوا له الجسرين جميعا ويقيموا لهم الانزال والضيافة والاسواق
والجسور ما بين الفسطاط الى الاسكندرية ففعلوا وصارت لهم القبط اعوانا كما
جاء في الحديث قال ابن وهب في حديثه عن عبد الرحمن بن شريح فسار عمرو بمن
معه حتى نزل على الحصن فحاصرهم حتى سالوه ان يسير منهم بضعة عشر اهل
بيت ويفتحوا له الحصن ففعل ذلك ففرض عليهم عمرو لكل رجل من اصحابه دينارا
وجبة وبرنسا وعمامة وخفين وسالوه ان ياذن لهم ان يهيئوا لاصحابه وليمة
صنيعا ففعل وامر عمرو اصحابه فتهيئوا ولبسوا البرود ثم اقبلوا فلما فرغوا
من طعامهم سالهم عمرو كم انفقتم قالوا عشرين الف دينار قال عمرو لا حاجة
لنا بصنيعكم بعد اليوم ادوا الينا عشرين الف دينار فجاءه النفر من القبط
فاستاذنوه الى قراهم واهليهم فقال لهم عمرو كيف رايتم امرنا قالوا لم نر الا
حسنا فقال الرجل الذي قال في المرة الاولى انكم لن تزالوا تظهرون على
كل من لقيتم حتى يقتلوا خيركم رجلا فغضب عمرو وامر به فطلب اليه اصحابه
واخبروه انه لا يدري ما يقول حتى خلصوه فلما بلغ عمرا قتل عمر بن الخطاب
رضي الله عنه ارسل في طلب ذلك القبطي فوجدوه قد هلك فعجب عمرو من قوله
فقال ان عمرو بن العاص قال فلما طعن عمر بن الخطاب قلت هو ما قال القبطي
فلما حدثت انه انما قتله ابو لؤلؤة رجل نصراني قلت لم يعن هذا انما عنى من
قتله المسلمون فلما قتل عثمان عرفت انما قال الرجل حق فلما فرغ القبط من
صنيعهم امر عمرو بن العاص بطعام فصنع لهم وامرهم ان يحضروا لذلك فصنع لهم
الثريد والعراق وامر اصحابه بلباس الاكسية واشتمال الصماء والقعود على الركب
فلما حضرت الروم وضعوا كراسي الديباج فجلسوا عليها وجلست العرب
الى جوانبهم فجعل الرجل من العرب يلتقم اللقمة العظيمة من الثريد وينهش من
ذلك اللحم فيتطاير على من الى جنبه من الروم فبشعت الروم بذلك وقالت
اين اولئك الذين كانوا اتونا قبل فقيل لهم اولئك اصحاب المشورة وهؤلاء
اصحاب الحرب قال الكندي وذكر يزيد بن ابي حبيب ان عدد الجيش الذين
كانوا مع عمرو بن العاص خمسة عشر الفا وخمسمائة وذكر عبد الرحمن بن سعيد
بن مقلاص ان الذي جرت سهامهم في الحصن من المسلمين اثنا عشر الفا

وثلثمائة بعد من اصيب منهم في الحصار من القتل والموت ويقال ان الذين قتلوا في
هذا الحصار من المسلمين دفنوا في اصل الحصن وذكر القضاعي ان مصر فتحت يوم
الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين وقيل فتحت سنة ست عشرة وهو قول
الواقدي وقيل فتحت والاسكندرية سنة خمس وعشرين والاكثر على انها فتحت
قبل عام الرمادة وكانت الرمادة في اخر سنة سبع عشرة واول ثمان عشرة

ذكر ما قيل في مصر هل فتحت بصلح او عنوة

وقد اختلف في فتح مصر فقال قوم فتحت صلحا وقال اخرون انما فتحت مصر عنوة
فاما الذين قالوا كان فتح مصر بصلح فان حسين بن شفي قال لما فتح عمرو بن العاص
الاسكندرية بقي من الاسارى بها ممن بلغ الخراج واحصي يومئذ ستمائة الف
سوى النساء والصبيان فاختلف الناس على عمرو في قسمتهم فكان اكثر المسلمين
يريدون قسمها فقال عمرو لا اقدر على قسمها حتى اكتب الى امير المؤمنين فكتب
اليه يعلمه بشانها وخبرها وفتحها وان المسلمين طلبوا قسمها فكتب اليه عمر رضي الله
عنه لا تقسمها وذرهم يكون خراجهم فيئا للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم
فاقرها عمرو واحصى اهلها وفرض عليهم الخراج فكانت مصر كلها صلحا بفريضة
دينارين دينارين الا انه يلزم بقدر ما يتوسع فيه من الارض والزرع الا الاسكندرية
فانهم كانوا يؤدون الخراج والجزية على قدر ما يرى من وليهم لان الاسكندرية فتحت
عنوة بغير عهد ولا عقد ولم يكن لهم يومئذ صلح ولا ذمة وقال الليث عن يزيد بن
ابي حبيب مصر كلها صلح الا الاسكندرية فانها فتحت عنوة وقال عبد الله بن ابي
جعفر حدثني رجل ممن ادرك عمرو بن العاص قال للقبط عهد عند فلان وعهد
عند فلان باسمائهم ثلثة نفر وفي رواية ان عهد اهل مصر كان عند كبرائهم وفي
رواية سالت شيخا من القدماء عن فتح مصر قلت له فان ناسا يذكرون انه
لم يكن لهم عهد فقال ما يبالي الا يصلي من قال انه ليس لهم عهد فقلت فهل كان
لهم كتاب فقال نعم كتب ثلثة كتاب عند طلما صاحب اخنا وكتاب عند قزمان
صاحب رشيد وكتاب عند يحنس صاحب البرلس قلت كيف كان صلحهم قال
ديناران على كل انسان جزيته وارزاق المسلمين قلت فتعلم ما كان من الشروط قال
نعم ستة شروط لا يخرجون من ديارهم ولا ينزع نساؤهم ولا كنوزهم ولا اراضيهم ولا
يزاد عليهم وقال يزيد بن ابي حبيب عن ابي جمعة مولى عقبة قال كتب عقبة
بن عامر

بن عامر الى معوية بن ابي سفين رضي الله عنه يسله ارضا يسترفق بها عند قرية
عقبة فكتب له معوية بالف ذراع في الف ذراع فقال له مولى له كان عنده اصلحك
الله ارضا صالحة فقال عقبة ليس لنا ذلك ان في عهدهم شروطا ستة لا يوخذ
من انفسهم شي ولا من نسائهم شي ولا من اولادهم ولا يزاد عليهم ويدفع عنهم موضع
الخوف من عدوهم وانا شاهد لهم بذلك وعن يزيد بن ابي حبيب عن عوف بن
حطان انه كان لقريات من مصر منهن ام دنين عهد وبلهيب وان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه لما سمع بذلك كتب الى عمرو يامره ان يخيرهم فان دخلوا في الاسلام فذاك
وان كرهوا فاردهم الى قراهم وقال يحيى بن ايوب وخالد بن حميد فتح الله ارض
مصر كلها بصلح غير الاسكندرية وثلث قريات ظاهرت الروم على المسلمين سلطيس
ومصيل وبلهيب فانه كان للروم جمع فظاهروا الروم على المسلمين فلما ظهر عليها
المسلمون استحلوها وقالوا هولاء النافي مع الاسكندرية فكتب عمرو بن العاص
بذلك الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب اليه عمر ان يجعل الاسكندرية
وهولاء الثلث قريات ذمة للمسلمين ويضربون عليهم الخراج ويكون خراجهم وما
صالح عليه القبط كله قوة للمسلمين لا يجعلون فيئا ولا عبيدا ففعلوا ذلك الى اليوم
وقال اخرون بل فتحت مصر عنوة بلا عهد ولا عقد قال سفين بن وهب الخولاني
لما افتتحنا مصر بغير عهد ولا عقد قام الزبير بن العوام فقال اقسمها يا عمرو بن
العاص فقال عمرو والله لا اقسمها فقال الزبير والله لتقسمنها كما قسم رسول
الله صلى الله عليه وسلم خيبر قال عمرو والله لا اقسمها حتى اكتب الى امير المؤمنين
فكتب الى عمر فكتب اليه عمر اقرها حتى يغزو منها حبل الحبلة وصولح الزبير على شي
ارضي به وقال ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة ان مصر فتحت عنوة وعن
عبد الرحمن بن زياد بن انعم قال سمعت اشياخنا يقولون ان مصر فتحت عنوة
بغير عهد ولا عقد منهم ابي حدثنا عن ابيه وكان ممن شهد فتح مصر وعن ابي
الاسود عن عروة ان مصر فتحت عنوة وعن عمرو بن العاص انه قال لقد قعدت
مقعدي هذا وما لاحد من قبط مصر علي عهد ولا عقد الا اهل انطابلس
فان لهم عهدا يوفى به ان شئت قتلت وان شئت خمست وان شئت بعت وعن
ربيعة بن عبد الرحمن ان عمرو بن العاص فتح مصر بغير عهد ولا عقد وان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه حبس درها وضرعها ان يخرج منه شي نظرا للاسلام واهله

وعن زيد بن اسلم قال كان تابوت لعمر بن الخطاب فيه كل عهد كان بينه وبين احد ممن عاهده
فلم يوجد فيه لاهل مصر عهد فمن اسلم منهم اقامه ومن اقام منهم قومه وكتب حيان بن
شريح الى عمر بن عبد العزيز يساله ان يجعل جزية موتى القبط على احيائهم فسال عمر عراك
بن مالك فقال عراك ما سمعت لهم بعهد ولا عقد وانما اخذوا عنوة بمنزلة العبيد فكتب
عمر الى حيان ان يجعل جزية موتى القبط على احيائهم وقال يحيى بن عبد الله بن بكير خرج
ابو سلمة بن عبد الرحمن يريد الاسكندرية في سفينة فاحتاج الى رجل يقذف فسخر رجلا
من القبط فكلم في ذلك فقال انما هم بمنزلة العبيد ان احتجنا اليهم وعن ابن لهيعة
عن الصلت بن عاصم انه قرا كتاب عمر بن عبد العزيز الى حيان بن شريح ان مصر فتحت
عنوة بغير عهد ولا عقد وعن عبيد الله بن ابي جعفر ان كاتب حيان حدثه انه احتاج
الى الخشب لصناعة الجزيرة فكتب حيان الى عمر بن عبد العزيز يذكر ذلك له وانه وجد
خشبا عند بعض اهل الذمة وانه كره ان ياخذه منهم حتى يعلمه فكتب اليه عمر خذها
منهم بقيمة عدل فاني لم اجد لاهل مصر عهدا افي لهم به وقال عمر بن عبد العزيز
لسالم انت تقول ليس لاهل مصر عهد قال نعم وعن عمرو بن ابي شعيب عن ابيه عن
جده ان عمرو بن العاص كتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في رهبان يترهبون
بمصر فيموت احدهم وليس له وارث فكتب اليه عمر ان من كان منهم له عقب فادفع
ميراثه الى عقبه وان لم يكن له عقب فادفع ميراثه الى بيت مال المسلمين فان ولاءه للمسلمين
وقال ابن شهاب كان فتح مصر بعضها بعهد وذمة وبعضها عنوة فجعلها عمر بن الخطاب
رضي الله عنه جميعا ذمة وحملهم على ذلك فمضى ذلك فيهم الى اليوم واشترى الليث
بن سعد شيا من ارض مصر لانه كان يحدث عن يزيد بن ابي حبيب ان مصر فتحت صلحا
وكان مالك بن انس ينكر على الليث ذلك وانكر عليه ايضا عبد الله بن لهيعة ونافع
بن يزيد لان مصر عندهم كانت عنوة

ذكر من شهد فتح مصر من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين

قال ابن عبد الحكم وكان من حفظ من الذين شهدوا فتح مصر من الصحابة من قريش
وغيرهم ومن لم يكن له من رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبة الزبير بن العوام وسعد
بن ابي وقاص وعمرو بن العاص وكان امير القوم وعبد الله بن عمرو وخارجة
بن حذافة العدوي وعبد الله بن عمر بن الخطاب وقيس بن ابي العاص السهمي والمقداد
بن الاسود وعبد الله بن سعد بن ابي سرح العامري ونافع بن عبد قيس الفهري

وقال

ويقال بل هو عقبة بن نافع وابو عبد الرحمن يزيد بن انيس الفهري وابو رافع مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عبدة وعبد الرحمن وربيعة ابنا شرحبيل بن حسنة
ووردان مولى عمرو بن العاص وكان حامل لواء عمرو بن العاص وقد اختلف في سعد
بن ابي وقاص فقيل انما دخلها بعد الفتح وشهد الفتح من الانصار عبادة بن الصامت
وقد شهد بدرا وبيعة العقبة ومحمد بن مسلمة الانصاري وهو الذي شهد بدرا
وهو الذي بعثه عمر بن الخطاب الى مصر فقاسم عمرو بن العاص ماله وهو احد من كان
صعد الحصن مع الزبير بن العوام ومسلمة بن مخلد الانصاري يقال له صحبة وابو
ايوب خالد بن زيد الانصاري وابو الدرداء عويمر بن عامر وقيل عويمر بن زيد
ومن افناء القبائل ابو بصرة حميل بن بصرة الغفاري وابو ذر جندب بن
جنادة الغفاري وشهد الفتح مع عمرو بن العاص وهبيب بن مغفل واليه
ينسب وادي هبيب الذي بالمغرب وعبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي وكعب
بن ضنة العبسي ويقال كعب بن يسار بن ضنة وعقبة بن عامر الجهني وهو كان
رسول عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى عمرو بن العاص حين كتب اليه يامره
ان يرجع ان لم يكن دخل ارض مصر وابو زمعة البلوي وبرح بن حسكل ويقال
برح بن عسكر وشهد فتح مصر واختط بها وجنادة بن ابي امية الازدي وسفيان
بن وهب الخولاني وله صحبة ومعوية بن حديج الكندي وهو كان رسول عمرو
بن العاص الى عمر بن الخطاب بفتح الاسكندرية وقد اختلف فيه فقال قوم له
صحبة وقال اخرون ليست له صحبة وعامر مولى جمل الذي يقال له عامر
جمل شهد الفتح وهو مملوك وعمار بن ياسر ولكن دخل بعد الفتح في ايام عثمن وجهه
اليها في بعض اموره قال ابن عبد الحكم منهم من اختط بالبلد فذكرنا خطته ومنهم
من لم يذكر له خطة قال فاختط عمرو بن العاص داره التي عند باب المسجد بينهما
الطريق وداره الاخرى اللاصقة الى جنبها وفيها دفن عبد الله بن عمرو فيما زعم
بعض مشايخ البلد لحدث كان يوميذ في البلد والحمام الذي يقال له حمام الفار
وانما قيل له حمام الفار ان حمامات الروم كانت ديماس اكنة كبار فلما بني
هذا الحمام وراوا صغره قالوا من يدخل هذا هذا حمام الفار

ذكر السبب في تسمية مدينة مصر بالفسطاط

قال ابن عبد الحكم
عن يزيد بن ابي حبيب ان عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية وراى بيوتها وبناها

مفروغا منها هم ان يسكنها وقال تساكن قد كفيناها نكتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه نستاذنه
في ذلك فسال عمر الرسول هل يحول بيننا وبين المسلمين ماء قال نعم يا امير المومنين اذا جرى
النيل فكتب عمر الى عمرو اني لا احب ان ينزل بالمسلمين منزلا يحول الماء بيني وبينهم في شتا ولا
صيف فتحول عمرو من الاسكندرية الى الفسطاط قال وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه
الى سعد بن ابي وقاص وهو نازل بمداين كسرى والى عامله بالبصرة والى عمرو بن العاص
وهو نازل بالاسكندرية ان لا تجعلوا بيني وبينكم ماء متى اردت ان اركب اليكم راحلتي حتى
اقدم عليكم قدمت فتحول سعد من مداين كسرى الى الكوفة وتحول صاحب البصرة من
المكان الذي كان فيه فنزل البصرة وتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية الى
الفسطاط قال وانما سميت الفسطاط ان عمرو بن العاص لما اراد التوجه الى الاسكندرية
لقتال من بها من الروم امر بنزع فسطاطه فاذا فيه يمام قد فرخ فقال عمرو لقد تحرم
منا بمتحرم فامر به فاقر كما هو واوصى به صاحب القصر فلما قفل المسلمون من الاسكندرية
قالوا اين ننزل قال الفسطاط لفسطاط عمرو الذي كان قد خلفه وكان مضروبا في
موضع الدار التي تعرف اليوم بدار الحصا عند دار حمزة الصغيرة قال الشريف محمد بن
اسعد الجواني كان فسطاط عمرو عند درب حمام شمول بخط الجامع وقال ابن قتيبة في
كتاب غريب الحديث في حديث النبي عليه السلام انه قال عليكم بالجماعة فان يد الله
على الفسطاط يرويه سويد بن عبد العزيز عن النعمان بن المنذر عن مكحول عن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم الفسطاط المدينة وكل مدينة فسطاط ولذلك
قيل لمصر فسطاط وفستاط قال المطرز وفسطاط وفساط ويكسر اوايل جميعها فهي
عشر لغات وقال ابن قتيبة كل مدينة فسطاط وذكر حديث عليكم بالجماعة فان يد
الله على الفسطاط واخبرني ابو حاتم عن الاصمعي انه قال حدثني رجل من بني تميم قال
قرات في كتاب رجل من قريش هذا ما اشترى فلان بن فلان من عجلان مولى زياد اشترى
منه خمس مئة جريب حيال الفسطاط يريد البصرة ومنه قول الشعبي في الابق اذا اخذ
في الفسطاط عشرة واذا اخذ خارجا من الفسطاط اربعون واراد ان يد الله على اهل الامصار
وان من شذ عنهم وفارقهم في الراي فقد خرج عن يد الله وفي ذلك اثار

ذكر الخطط التي كانت بمدينة الفسطاط

اعلم ان الخطط التي كانت بمدينة فسطاط مصر بمنزلة الحارات التي هي اليوم بالقاهرة
فقيل لتلك في مصر خطة وقيل لها في القاهرة حارة وقال القضاعي ولما رجع عمرو

من

من الاسكندرية ونزل موضع فسطاطه انضمت القبايل بعضها الى بعض وتنافسوا في المواضع
فولى عمرو على الخطط معوية بن حديج التجيبي وشريك بن سمي الغطيفي وعمرو بن قحزم
الخولاني وحيويل بن ناشرة المعافري وكانوا هم الذين نزلوا الناس وفصلوا بين
القبايل وذلك في سنة احدى وعشرين خطة اهل الراية وهم جماعة من قريش
والانصار وخزاعة واسلم وغفار ومزينة واشجع وجهينة وثقيف ودوس وعبس
بن بغيض وجرش من بني كنانة وليث بن بكر والعتقا منهم الا ان منزل العتقا في غير
الراية وانما سموا اهل الراية ونسبت الخطة اليها لانهم جماعة لم يكن لكل بطن منهم من
العدد ما ينفرد بدعوة من الديوان فكره كل بطن منهم ان يدعى باسم قبيل غير قبيله
فجعل لهم عمرو بن العاص راية ولم ينسبها الى احد وقال يكون موقفكم تحتها فكانت
لهم كالنسب الجامع وكان ديوانهم عليها وكان اجتماع هذه القبايل لما عقده رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الولاية بينهم وهذه الخطة محيطة بالجامع من جميع جوانبه
ابتدانا بالمضاف الذي كانوا عليه من حصارهم الحصن وهو باب الحصن الذي
يقال له باب الشمع ثم مضوا بخطتهم الى حمام الفار وشرعوا بغربيه الى السراج فاذا
بلغت الى المحاسن فالجانبان لاهل الراية الى باب المسجد الجامع المعروف بباب
الوراقين ثم تسلك على حمام شمول وفي هذه الخطة زقاق القناديل الى تربة عفان
الى سوق الحمام الى باب القصر الذي بدانا بذكره خطة مهرة بن حيدان بن
عمرو بن الحاف بن قضاعة بن مالك بن حمير وخطة مهرة هذه تلي خطة الراية
واختطت مهرة ايضا على سفح الجبل الذي يقال له جبل يشكر مما يلي الخندق
الشرقي العسكر الى حيان بني مسكين ومن جملة خطة مهرة الموضع الذي يعرف
اليوم بمصاطب الطباخ واسمه احمد ويقال ان الخطة التي لهم تلي الراية كانت
حوزا لهم يربطون فيها خيلهم اذا راحوا الى الجمعة ثم اقتطعوا اليها وتركوا منازلهم
بيشكر خطة تجيب وتجيب هم بنو عدي وسعد ابني الاشرس بن شبيب
بن السكون بن الاشرس بن كندة فمن كان من ولد عدي وسعد يقال لهم تجيب وتجيب
امهم وهذه الخطة تلي خطة مهرة وفيها درب المنصوصة اخذه حايط من الحصن
الشرقي وخطط لخم في موضعين فيها خطة لخم بن عدي بن مرة بن ادد ومن
خالطها من جذام فابتدات لخم بخطتها من الذي تنتهي اليه خطة الراية واصعدت
ذات الشمال وفي هذه الخطة سوق بربر وشارعه مختلط فيما بين لخم والراية

ولهم خطتان اخريان احداهما منسوبة الى بني ربه بن عمرو بن الحرث بن وايل بن راشدة
من لخم واولها شرقي الكنيسة المعروفة بميكاييل التي عند خليج بني وايل وهذا الموضع
اليوم دراقات تعمل فيها الورق بالقرب من باب القنطرة خارج مصر والخطة
الثانية خطة راشدة بن ادب بن جزيلة من لخم وهي متاخمة للخطة التي قبلها وفي هذه
الخطة جامع راشدة وجنان كهمس بن معمر الذي عرف بالماردانى ثم عرف بجنان الامير
تميم وهو اليوم يقال له المعشوق بجوار رباط الاثار النبوية ولهم موضع ومواضع
مع اللفيف وخطط ايضا بالحمرا **خطط** اللفيف انما سموا بذلك لالتفات بعضهم ببعض
وسبب ذلك ان عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية اخبر ان مراكب الروم قد
توجهت الى الاسكندرية لقتال المسلمين فبعث عمرو بعمرو بن جمالة الازدي الحجري
لياتيه بالخبر فمضى وتسرعت هذه القبايل التي تدعا باللفيف وتعاقدوا على اللحاق
به واستاذنوا عمرو بن العاص في ذلك فاذن لهم وهم جمع كبير فلما راهم عمرو بن جمالة
استكثرهم وقال تالله ما رايت قوما قد سدوا امثلكم وانكم لكما قال الله تعالى
فاذا جاء وعد الاخرة جينا بكم لفيفا فسموا يومئذ اللفيف وسالوا عمرو بن العاص
ان يفرد لهم دعوة فامتنعت عشايرهم من ذلك فقالوا لعمرو فانا نجتمع في المنزل
حيث كنا فاجابهم الى ذلك فكانوا مجتمعين في المنزل متفرقين في الديوان اذا دعى كل
بطن منهم انضم الى بني ابيه وقال قتادة ومجاهد والضحاك بن مزاحم في قوله جينا بكم
لفيفا قال جميعا وكان عامتهم من الازد من الحجر ومن غسان ومن شجاعة والنف
بهم نفر من جذام ولخم وانواحاف وتنوخ من قضاعة فهم مجتمعون في المنزل متفرقون
في الديوان وهذه الخطة اولها مما يلي الراية سالكا ذات الشمال الى نقاشي البلاط
وفيها دار بن عشرات الى الخوخ من سوق وردان **خطط** اهل الظاهر انما سمي هذا
المنزل بالظاهر لان القبايل التي نزلته كانت بالاسكندرية ثم قفلت بعد قفول
عمرو بن العاص وبعد ان اختط الناس خططهم فخاصمت الى عمرو فقال لهم معاوية
بن حديج وكان ممن يتولى الخطط يومئذ ارى لكم ان تظهروا على اهل هذه القبايل فتتخذوا
منزلا فسمي الظاهر بذلك وكانت القبايل التي نزلت الظاهر العتقا وهم جماع من
قبايل كانوا يقطعون على ازواد النبي صلى الله عليه وسلم فبعث اليهم فاتي بهم اسرى
فاعتقهم فقيل لهم العتقا وديوانهم مع اهل الراية وخطتهم مع اهل الظاهر متوسطة
منه وكان منهم طوايف من الازد فهم واول هذه الخطة من سر في خطة لخم ويتصل
بموضع

بموضع العسكر ومن هذه الخطة سويقة العراقيين وعرفت بذلك لان زياد المادولاه
معاوية بن ابي سفيان البصرة غرب جماعة من الازد الى مصر وبها مسلمة بن مخلد في شهر
سنة ثلث وخمسين فنزل منهم هنا نحوا من مايه وثلثين فقيل لموضعهم من خطة الظا
سويقة العراقيين **خطط** غافق هو غافق بن الحرث بن عك بن عدنان بن عبد الله
بن الازد وهذه الخطة تلي خطة لخم الى خطة الظاهر بجوار درب الاعلام **وخطط**
السهل واسمه مالك بن سهل بن عمرو بن قيس بن حمير ودعوتهم مع كندة **وخطط**
خولان بن عمرو بن مالك بن زيد بن عرب وهذه الخطة تتصل بالقطايع **وخطة**
الفارسيين واستند بخطة خولان من حضر فتح مصر من الفارسيين وهم بقايا جند
باذان عامل كسرى على اليمن قبل الاسلام اسلموا بالشام ورغبوا في الجهاد فنفروا
مع عمرو بن العاص الى مصر فاختطوا بها واخذوا في سفح الجبل الذي يقال له
جبل باب البون وهذا الجبل اليوم شرف من وراء خطة جامع بن طولون
تعرف ارضه بالارض الصفرا وهي من جملة العسكر **خطة** مذحج الحانة
الجيم وهو مالك بن مرة بن ادد بن زيد بن كهلان **وخطة** غطيف بن مراد وخطة
وعلان بن قرن بن ناجية بن مراد وكلهم من مذحج فاختطت وعلان من الزقاق
الذي فيه الصنم المعروف بسرية فرعون وهذا الزقاق اوله باب السوق
الكبير واختطت ايضا خولان ثم انفردت وعلان بخططها مقابل المسجد
المعروف بالديبوري واستندت الى خولان وهذه الخطة اليوم كيمان تطل
على قبر القاضي بكار **وخطة** محصب بن مالك بن اسلم بن زيد بن غوث وهذه
الخطة موضعها كيمان وهي تتصل بالشرف الذي يعرف اليوم بالرصد المطل
على راشدة **وخطة** رعين بن زيد بن سهل وخطة ذي الكلاع بن شرحبيل بن
سعد بن حمير وخطة المعافر بن يعفر بن مرة بن ادد وهذه الخطة من الرصد
الى سقاية بن طولون وهي القناطر التي تطل على عفصه وتتصل بين القرافتين
والقناطر للمعاصر ولهم الى المصلى خولان والى الكوم المشرف على المصلى وخطة شبا
وخطة الرحبة بن زرعة بن كعب وخطة السلف بن سعد فيما بين الكوم المطل
على القاضي بكار وبين المعافر وخطة بني وايل بن زيد مناة بن افصى بن ابا بن
بن حزام بن جذام بن عدي وهي من سفح الشرف المعروف بالرصد الى خطة خولان
وخطة القبض بالتحريك بن مرثد وهي بجانب خطة بني وايل الى الخوخ ركة الحبش الى

وكان سبب نزول بني وايل والقبض وريه وراشده والفارسيين هذا الموضع قبل الفتح

خطط الحمراوات الثلث قال الكندي وكانت الحمرا على ثلثة قواديه وروبيل
والازرق وكانوا ممن سار مع عمرو بن العاص من الشام الى مصر من عجم الشام ممن كان
رغب في الاسلام من قبل اليرموك ومن اهل قيسارية وغيرهم قال القضاعي وانما قيل
الحمرا لنزول الروم بها وهي خطط بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة وفهم وعدوان
وبعض الازد وهم ثراد وبني بحر وبني سلامان ويشكر بن لخم وهذيل بن مدركة بن
الياس بن مضر وبني نبه وبني الازرق وهم من الروم وبنوا روبيل وكان يهوديا فاسلم
فاول ذلك الحمرا الدنيا خطة بلي بن عمرو بن الحاف بن القضاعة ومنها خطة ثراد من
الازد وخطة فهم بن عمرو بن قيس عيلان ومنها خطة بني بحر بن سوادة من الازد
ومن ذلك الحمرا الواسطى منها خطة بني نبه وهم قوم من الروم حضروا الفتح منهم
مايه رجل ومنها خطة هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر ومنها خطة بني سلامان
من الازد ومنها خطة عدوان ومن ذلك الحمرا القصوى وهي خطة بني الازرق
وكان روميا حضر الفتح منهم اربعمايه وخطة بنو روبيل وكان يهوديا فاسلم وحضر
الفتح منهم الف رجل وخطة بني يشكر بن جزيلة من لخم وكانت منازل يشكر مفترقة
في الجبل قد دثرت قديما وعادت صحرا حتى جات المسودة يعني جيوش بني العباس
فعمروها وهي الان خراب وقال ابن المتوج الحمراوات ثلثة اولى ووسطى واخرى
فاما الاولى فتجمع جامع الاوز وعقبة العداسين وسوق وردان وخطة الزبير الى
نقاشين البلاط طولا وعرضا على نحو ذلك واما الوسطى فمن درب نقاشين البلاط
الى درب معالي طولا وعرضا على نحوه واما القصوى فمن درب معالي الى القنطرة
الظاهرية يعني قناطر السباع وهي حد ولاية مصر من القاهرة وكانت هذه
الحمراوات جل عمارة مصر في زمن الروم فاذا الحمرا الاولى والوسطى هما الآن
خراب وموضعهما فيما بين سوق المعاريج وحمام طن من شرقيهما الى ما يقابل المراغة
في الشرق واما الحمرا الدنيا فهي الان يعرف بخط قناطر السباع وبخط السبع
سقايات وبحكر الحليلي وحكر اقبغا والكوم حيث الاسرى والكوم ومنها ايضا
خط الكبش وخط الجامع الطولوني والعسكر ومنها حدرة بن قميحة الى حيث
قنطرة السد وبستان الطواشي وما في شرقيه الى مشهد الراس المعروف
بزين العابدين وسياتي لذلك مزيد بيان ان شا الله تعالى عند ذكر العسكر

وكانت

وكانت مدينة الفسطاط على قسمين عمل فوق وعمل اسفل فعمل فوق له طرفان غربي
وشرقي فالغربي من شاطي النيل في الجهة القبلية وانت مار الى الشرف المعروف
اليوم بالرصد الى القرافة الكبرى والشرقي من القرافة الكبرى الى العسكر وعمل
اسفل ما عدا ذلك الى حد القاهرة

اعلم ان عدة من ولي مصر من الامرا في الاسلام منذ فتحت مصر وسكن الفسطاط الى
ان بني الفسطاط سبعة وعشرين اميرا في مدة مايه وثلث عشرة سنة وسبعة
اشهر اولها يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين من الهجرة وهو يوم فتح مصر
واخرها سلخ شهر رجب سنة ثلث وثلثين ومايه اخر ولاية صالح بن علي بن عبد
الله بن عباس على مصر واول ولاية بن عون عبد الملك وهو اول من سكن العسكر
من امرا مصر واول امرا الفسطاط بعد الفتح على ما ذكر الكندي وغيره

عمرو بن العاص

بن وايل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لوي بن غالب
بن فهر بن مالك ابو عبد الله كان تاجرا في الجاهلية وكان يختلف بتجارته الى مصر
وهي الادم والعطر ثم ضرب الدهر ضربانه حتى فتح المسلمون الشام فخلا بعمر
بن الخطاب رضي الله عنه فاستاذنه في المسير الى مصر فسار في سنة تسع عشرة
واتى الحصن فحاصره الى ان فتحه سبعة اشهر في يوم الجمعة مستهل المحرم سنة
عشرين وقيل كان فتح مصر في ثاني عشر بونه سنة سبع وخمسين وثلثماية
لدقلطيانوس فعلى هذا يكون فتح مصر في سنة تسع عشرة من الهجرة وتحرير ذلك
ان الذي بين يوم الجمعة اول يوم من تاريخ دقلطيانوس وبين يوم الخميس اول سنة
الهجرة ثمان وثلثون وثلثماية سنة فارسية وتسعة وثلثون يوما فاذا القينا
ذلك من تاريخ فتح مصر في ثاني عشر بونه سنة سبع وخمسين وثلثماية بقي ثمانية
عشر سنة وثمانية اشهر وثلثة ايام وهذه سنون شمسية عنها من سني القمرية
تسع عشرة سنة وشهران وثلثة عشر يوما فيكون ذلك في ثالث عشر ربيع الاول
سنة عشرين فلعل الوهم وقع في الشهر القبطي وحاز الحصن بما فيه وسار الى
الاسكندرية في ربيع الاول منها فحاصرها ثلثة اشهر ثم فتحها عنوة وهو الفتح
الاول ويقال بل فتحها مستهل سنة احدى وعشرين ثم سار عنها الى برقة

فافتتحها عنوة في سنة اثنتين وعشرين وقيل في سنة ثلث وعشرين وقدم على امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فذ ثنتين استخلف في احداهما زكريا بن جهم العبدري وفي الثانية ابنه عبد الله وتوفي عمر رضي الله عنه في ذي الحجة سنة ثلث وعشرين وبويع امير المومنين عثمن بن عفان رضي الله عنه ثم وفد عليه عمرو وساله عزل عبد الله بن سعد بن ابي سرح عن صعيد مصر وكان عمرو ولاه الصعيد فامتنع من ذلك عثمن وعقد لعبد الله بن سعد على مصر كلها فكانت ولاية عمرو على مصر صلاتها وخراجها منذ افتتحها الى ان صرف عنها اربع سنين واشهر **عبد الله بن سعد** بن ابي سرح واسمه الحسام بن الحرث بن حبيب بن جذيمة بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لوي ولي من قبل امير المومنين عثمن رضي الله عنه فجاءه الكتاب بالفيوم فجعل لاهل اطواب جعلا فقدموا به الفسطاط ثم ان منويل الخصي سار الى الاسكندرية في سنة اربع وعشرين فسال اهل مصر عثمن ان يرد عمرو بن العاص لمحاربته فرده واليا على الاسكندرية فحارب الروم بها حتى افتتحها وعبد الله بن سعد مقيم بالفسطاط حتى فتحت الاسكندرية الفتح الثاني عنوة في سنة خمس وعشرين ثم جمع لعبد الله بن سعد امر مصر كله صلاتها وخراجها ومكث اميرا ولاية عثمن رضي الله عنه كلها محمودا في ولايته وغزا ثلث غزوات كلهن لها شان وذكر غزا افريقية سنة سبع وعشرين وقتل ملكها جرجير وغزا غزوة الاساود حتى بلغ دمقلة في سنة احدى وثلثين وغزا الصواري في سنة اربع وثلثين فلقيهم قسطنطين بن هرقل في الف مركب وقيل في سبع مائة مركب والمسلمون في مائتي مركب فهزم الله الروم وانما سميت غزوة ذي الصواري لكثرة صواري المراكب واجتماعها ووفد على عثمن حين تكلم الناس بالطعن على عثمن واستخلف عقبة بن عامر الجهني وقيل السايب بن هشام العامري وجعل على خراجها سليم بن عتر التجيبي وكان ذلك سنة خمس وثلثين في رجب

محمد بن ابي حذيفة

ابن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف انتزى في شوال سنة خمس وثلثين على عقبة بن عامر خليفة عبد الله بن سعد فاخرجه من الفسطاط ودعا الى خلع عثمن واسعر البلاد وحرض على عثمن بكل شي يقدر عليه فاعتزله شيعة عثمن ونابذوه وهم معاوية بن حديج وخارجة بن حذافة وبسر بن ارطاة

ارطاة

ارطاة ومسلمة بن مخلد في جمع كثير وبعثوا الى عثمن بامرهم وبصنيع ابن ابي حذيفة فبعث سعد بن ابي وقاص ليصلح امرهم فخرج اليه جماعة فتقلبوا عليه فسطاطه وشجوه وسبوه فركب وعاد راجعا ودعا عليهم واقبل عبد الله بن سعد فمنعوه ان يدخل فانصرف الى عسقلان وقتل عثمن رضي الله عنه وابن سعد بعسقلان ثم اجمع ابن ابي حذيفة على بعث جيش الى عثمن فجهز اليه ستمائة رجل عليهم عبد الرحمن بن ابي عديس البلوي ثم قتل عثمن في ذي الحجة منها فثار شيعة عثمن بمصر وعقدوا لمعوية بن حديج وبايعوه على الطلب بدم عثمن وساروا الى الصعيد فبعث اليهم ابن ابي حذيفة خيلا فهزمت ومضى ابن حديج الى برقة ثم رجع الى الاسكندرية فبعث اليه ابن ابي حذيفة بجيش اخر فاقتتلوا بخربتا اول شهر رمضان سنة ست وثلثين فانهزم الجيش واقامت شيعة عثمن بخربتا وقدم معوية بن ابي سفين يريد الفسطاط فنزل سلمنت في شوال فخرج اليه ابن ابي حذيفة في اهل مصر فمنعوه ثم اتفقا على ان يجعلا رهنا ويتركا الحرب فاستخلف ابن ابي حذيفة على مصر الحكم بن الصلت وخرج في الرهن هو وابن عديس وعدة من قتلة عثمن فلما بلغوا لدا سجنهم معوية بها وسار الى دمشق فهربوا من السجن وتبعهم امير فلسطين فقتلهم في ذي الحجة سنة ست وثلثين

قيس بن سعد بن عبادة الانصاري ولاه امير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما بلغه مصاب ابن ابي حذيفة وجمع له الخراج والصلاة فدخل مصر مستهل ربيع الاول سنة سبع وثلثين فاستمال الخارجية بخربتا شيعة عثمن وبعث اليهم اعطياتهم ووفد عليه وفدهم فاكرمهم وكان من ذوي الراي فجهد عمرو بن العاص ومعوية بن ابي سفين على ان يخرجاه من مصر ليغلبا على امرها فانها كانت من جيش علي رضي الله عنه فامتنع منهما بالدهاء والمكايدة فلم يقدرا على مصر حتى كاد معوية قيسا من قبل علي رضي الله عنه فاشاع ان قيسا من شيعته وانه يبعث اليه بالكتب والنصيحة سرا فسمع ذلك جواسيس علي رضي الله عنه وما زال به محمد بن ابي بكر وعبد الله بن ابي جعفر حتى كتب الى سعد يامره بالقدوم اليه فوليها الى ان عزل اربعة اشهر وخمسة ايام وصرف لخمس خلون من رجب سنة سبع وثلثين فوليها **الاشتر** مالك بن الحرث بن خالد النخعي من قبل امير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه فلما قدم القلزم شرب عسلا فمات فبلغ ذلك عمرا ومعوية فقال عمرو ان لله جنودا من عسل ثم ولي **محمد بن ابي بكر الصديق** من قبل علي رضي الله عنه

وجمع له صلاتها وخراجها فدخلها للنصف من رمضان سنه سبع وثلثين فقدم دود
شيعة عثمن ونهب اموالهم وهجم دارهم فنصبوا له الحرب ثم صالحهم على ان يسيرهم
الى معوية فلحقوا بمعوية بالشام فبعث معوية عمرو بن العاص في جيوش اهل الشام
الى مصر فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزم اهل مصر ودخل عمرو باهل الشام الى الفسطاط
وتغيب بن ابي بكر فظفر به معوية بن حديج فقتله ثم جعله في جيفة حمار ميت واحرقه
بالنار لاربع عشرة خلت من صفر سنه ثمان وثلثين فكانت ولايته خمسة اشهر ثم وليها
عمرو بن العاص ولايته الثانية من قبل معوية بن ابي سفين رضي الله
عنه فاستقبل بولايته شهر ربيع الاول سنه ثمان وثلثين وجعل اليه الخراج
والصلاة جميعا وجعلت مصر له طعمة بعد عطا جندها والنفقة في مصلحتها ثم خرج
عمرو للحكومة واستخلف على مصر ابنه عبد الله وقيل بل خارجة بن حذافة ورجع
الى مصر وتعاقد بنو ملجم عبد الرحمن وقيس ويزيد على قتل علي ومعوية وعمرو
وتواعدوا الليلة من رمضان سنة اربعين فمضى كل منهم الى صاحبه وكان يزيد
هو صاحب عمرو فعرضت لعمرو علة منعته من حضور الجماعة فصلى خارجة بالناس
فشد عليه يزيد فضربه حتى قتله فدخل به على عمرو فقال اما والله ما اردت
غيرك يا عمرو قال عمرو ولكن الله اراد خارجة ولله در القائل
وليتها اذ فدت عمرا بخارجة فدت عليا بمن شاءت من البشر
وعقد عمرو لشريك بن سمي على غزو لواتة من البربر فغزاهم في سنة اربعين وصالحهم
ثم انتقضوا فبعث اليهم عقبة بن نافع في سنة احدى واربعين فغزاهم حتى
هزمهم وعقد لعقبة ايضا على غزو هوارة وعقد لشريك بن سمي على غزو لبدة
فغزوها في سنه ثلث واربعين فقفلا وعمرو اشد ما يكون في مرض موته وتوفي
ليلة الفطر فغسله عبد الله بن عمرو واخرجه الى المصلى وصلى عليه فلم يبق احد
شهد العيد الا صلى عليه ثم صلى بالناس صلاة العيد وكان ابوه استخلفه وخلف
عمرو بن العاص فيما ذكر ثلثمائة الف دينار وجلد ثور مملوء اردبا من المصري فلما
حضرته الوفاة اخرجه وقال من ياخذه بما فيه فابى ولداه اخذه وقالا حتى
يرد الى كل ذي حق حقه فقال والله ما اجمع بين اثنين منهم فبلغ معوية فقال
نحن ناخذه بما فيه ثم وليها عتبة بن ابي سفين من قبل اخيه معوية
بن ابي سفين على صلاتها فقدم في ذي القعدة سنه ثلث واربعين واقام شهرا

ثم وفد على اخيه واستخلف عبد الله بن قيس بن الحرث وكانت فيه شدة فكرهه الناس
ولايته واستعفوا منها فبلغ ذلك عتبة فرجع الى مصر وصعد المنبر وقال يا اهل مصر
قد كنتم تعذرون ببعض المنع منكم لبعض الجور عليكم وقد وليكم من ان قال
فعل فان ابيتم درأكم بيده فان ابيتم درأكم بسيفه ثم رجا في الاخير ما ادرك في الاول
ان البيعة شايعة لنا عليكم السمع ولكم علينا العدل وايّنا غدر فلا ذمة له عند صاحبه
فناداه المصريون من جنبات المسجد سمعا سمعا فناداهم عدلا عدلا ثم نزل ثم جمع له
معاوية الصلاة والخراج وعقد عتبة لعلقمة بن يزيد على الاسكندرية في اثنى عشر
الفا من اهل الديوان يكونون بها رابطة ثم خرج اليها مرابطا في ذي الحجة سنه اربع
واربعين فمات بها واستخلف على مصر عقبة بن عامر الجهني فكانت ولايته سنه واشهر
ثم وليها عقبة بن عامر بن عبس الجهني من قبل معاوية وجمع له صلاتها وخراجها
وكان قاريا فقيها مفرضا شاعرا له الهجرة والصحبة والسابقة ثم وفد مسلمة بن
مخلد الانصاري على معاوية فولاه مصر وامره ان يكتم ذلك عن عقبة بن عامر
وجعل عقبة على البحر وامره ان يسير الى رودس فقدم على مسلمة فلم يعلم بامرته
وخرج مع عقبة الى الاسكندرية فلما توجه سائرا استوى مسلمة على سرير
امرته فبلغ ذلك عقبة فقال اخلعا وغربة وكان صرفه لعشر بقين من ربيع
الاول سنه سبع واربعين وكانت ولايته سنتين وثلثة اشهر ثم وليها
مسلمة بن مخلد بن صامت بن نيار الانصاري من قبل معاوية وجمع له الخراج
والصلاة والمغرب فانتظمت غزواته في البر والبحر وفي امرته نزلت الروم الى
البرلس في سنة ثلث وخمسين فاستشهد يومئذ وردان مولى عمرو بن العاص
في جمع من المسلمين وهدم ما كان عمرو بن العاص بناه من المسجد فبناه وامر بابتنا
منار المساجد كلها الا خولان وتجيب وخرج الى الاسكندرية في سنه ستين واستخلف
عابس بن سعيد فكتب اليه يزيد بن معاوية فاقر مسلمة واسر اليه باخذ البيعة فبايعه الجند الا عبد الله
بن عمرو بن العاص فدعا عابس عليه بالنار ليحرق بابه عليه فحينئذ بايع ليزيد
وقدم مسلمة من الاسكندرية فجمع لعابس من الشرط القضا في اول سنه احدى
وستين وقال مجاهد صليت خلف مسلمة بن مخلد فقرا سورة البقرة فما
ترك الفا ولا واوا وقال بن لهيعة عن الحرث بن يزيد كان مسلمة بن مخلد يصلي
بنا فيقوم في الظهر فربما قرا الرجل البقرة وتوفي مسلمة وهو وال لخمس بقين من

رجب سنه اثنين وستين فكانت ولايته خمس عشره سنة واربعة اشهر واستخلف
عابس بن سعيد ثم وليها **سعيد بن يزيد** بن علقمة بن يزيد بن عوف الازدي
من اهل فلسطين فقدم مستهل رمضان سنة اثنين وستين فلقاه عمرو بن
حزم الخولاني فقال يغفر الله لامير المومنين اما كان فينا مائة شاب كلهم
مثلك يولي علينا احدهم ولم تزل اهل مصر على الشنان له والاعراض عنه والتكبر
عليه حتى توفي يزيد بن معويه ودعا عبد الله بن الزبير رضي الله عنه الى نفسه
فقامت الخوارج الذين بمصر واظهروا دعوته وساروا منهم اليه فبعث بعبد الرحمن
بن جحدم فقدم واعتزل سعيد بن يزيد وكانت ولايته سنتين غير شهر ثم وليها
عبد الرحمن بن عتبة بن جحدم من قبل عبد الله بن الزبير فدخل في شعبان سنه
اربع وستين في جمع كثير من الخوارج فاظهروا التحكيم ودعوا اليه فاستعظم الجند
ذلك وبايعه الناس على غل في قلوب شيعة بني امية ثم بويع مروان بن الحكم بالخلا
فة في اهل الشام واهل مصر معه في الباطن فسار اليها وبعث ابنه عبد العزيز في الجيش
الى ايلة ليدخل مصر من هناك واجمع ابن جحدم على حربه وحفر الخندق في شهر
وهو الذي في شرقي القرافة وقدم مروان فحاربه ابن جحدم وقتل بينهما اكثر من
الناس ثم اصطلحا ودخل مروان لعشرة جمادى الاولى سنة خمس وستين فكانت
مدة ابن جحدم تسعة اشهر ووضع مروان العطا فبايعه الناس الا نفرا من المعافر
قالوا لا نخلع بيعة ابن الزبير فضرب اعناقهم وكانوا ثمانين رجلا وذلك للنصف
من جمادى الاخرة ويومئذ مات عبد الله بن عمرو بن العاص فلم يستطع ان يخرج
بجنازته الى المقبرة لشغب الجند على مروان وجعل مروان صلاة مصر وخراجها الى
ابنه عبد العزيز وسار وقد اقام بها شهرين لهلال رمضان **عبد العزيز**
بن مروان بن الحكم بن ابي العاص ابو الاصبغ ولي من قبل ابيه لهلال رجب
سنه خمس وستين على الصلاة والخراج ومات ابوه فبويع من بعده عبد الملك
بن مروان فاقر اخاه عبد العزيز ووقع الطاعون بمصر في سنه سبعين فخرج
عبد العزيز منها ونزل حلوان فاتخذها وسكنها وجعل بها الحرس والاعوان وبنا
بها الدور والمساجد وعمرها احسن عمارة وغرس نخلها وكرمها وعرف بمصر وهو
اول من عرف بها في سنة احدى وسبعين وجهز البعث في البحر لقتال ابن الزبير في
سنه اثنين وسبعين ثم مات لثلث عشره خلت من جمادى الاولى سنة ست وثمانين

فكانت

فكانت ولايته عشرين سنة وعشرة اشهر وثلثه عشر يوما فولي **عبد الله بن عبد**
الملك بن مروان من قبل ابيه على صلاتها وخراجها فدخل يوم الاثنين لاحدى عشرة
خلت من جمادى الاخرة سنه ست وثمانين وهو ابن سبع وعشرين سنة وقد تقدم
اليه ابوه ان يتبع اثار عمه عبد العزيز فاستبدل بالعمال والاصحاب ومات عبد
الملك وبويع ابنه الوليد بن عبد الملك فاقر اخاه عبد الله وامر عبد الله بنسخة
دواوين مصر بالعربية وكانت بالقبطية وفي ولايته غلت الاسعار فتشام الناس
به وهي اول شدة راوها بمصر وكان يرتشي ثم وفد على اخيه في صفر سنه ثمان وثمانين
واستخلف عبد الرحمن بن عمرو بن حزم الخولاني واهل مصر في شدة عظيمة ورفع
سقف المسجد الجامع في سنه تسع وثمانين ثم صرف فكانت ولايته ثلث سنين وعشره
اشهر فولي **قرة بن شريك** بن مرثد بن الحرث العبسي للوليد بن عبد
الملك على صلاة مصر وخراجها فقدمها يوم الاثنين لثلثه عشر خلت من ربيع
الاخر سنه تسعين وخرج عبد الله بن عبد الملك عن مصر بكل ما ملكه فاحيط
به في الاردن واخذ سائر ما معه وحمل الى اخيه وامر الوليد بهدم ما بناه عبد
العزيز في المسجد فهدم اول سنه اثنين وتسعين وبني واستنبط قرة بركة
الحبش من الموات واحياها وغرس فيها القصب فقيل لها اصطبل قرة واصطبل
القاس ثم مات وهو وال ليلة الخميس لست بقين من ربيع الاول سنه ست وتسعين
واستخلف على الجند والخراج عبد الملك بن رفاعه وكانت ولايته ست سنين الا
اياما ثم ولي **عبد الملك بن رفاعه** بن خالد بن ثابت الفهمي من قبل الوليد
بن عبد الملك على صلاتها وتوفي الوليد واستخلف سليمن بن عبد الملك فاقر
بن رفاعه وتوفي سليمن وبويع عمر بن عبد العزيز فعزل ابن رفاعه فكانت ولايته
ثلث سنين ثم ولي **ايوب بن شرحبيل** بن اكشوم بن ابرهة بن الصباح من قبل
عمر بن عبد العزيز على صلاتها وخراجها في ربيع الاول سنه تسع وتسعين فورد
كتاب امير المومنين عمر بن عبد العزيز بالزيادة في اعطيات الناس عامة وحرمت
الخمور وكسرت وعطلت حاناتها وقسم للغارمين خمسة وعشرين الف دينار ونزعت
حوانيت القبط عن الكور واستعمل المسلمون عليها ومنع النسا الحمامات وتوفي عمر
بن عبد العزيز واستخلف يزيد بن عبد الملك فاقر ايوب على الصلاة الى ان مات
لاحدى عشره وقيل لسبع عشرة خلت من رمضان سنة احدى ومائة فكانت

ولايته سنتين ونصفا فولي بشر بن صفوان الكلبي من قبل يزيد بن عبد الملك فقدمها
لسبع عشرة خلت من رمضان سنة احدى ومائة وفي امرته نزلت الروم تنيس ثم
ولاه يزيد على افريقية فخرج اليها في شوال سنة اثنتين ومائة واستخلف اخاه حنظلة
فولي حنظلة بن صفوان باستخلاف اخيه فاقره يزيد بن عبد الملك
وخرج الى الاسكندرية في سنة ثلث ومائة واستخلف عقبة بن مسلم التجيبي
وكتب يزيد بن عبد الملك في سنة اربع ومائة بكسر الاصنام والتماثيل فكسرت
كلها ومحيت التماثيل ومات يزيد بن عبد الملك وبويع هشام بن عبد الملك فصرف
حنظلة في شوال سنة خمس ومائة فكانت ولايته ثلث وولي
محمد بن عبد الملك بن مروان
بن الحكم من قبل اخيه هشام بن عبد الملك على الصلاة فدخل مصر لاحدى عشرة
خلت من شوال سنة خمس ومائة ووقع وباء شديد بمصر فترفع محمد الى الصعيد
هاربا من الوباء اياما ثم قدم وخرج عن مصر لم يلها الا نحوا من شهر وانصرف
الى الاردن فولي الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم من قبل هشام بن
عبد الملك على صلاتها فدخلها لثلث خلون من ذي الحجة سنة خمس ومائة
وفي امرته كان اول انتقاض القبط في سنة سبع ومائة ورابط بدمياط
ثلثة اشهر ثم وفد الى هشام بن عبد الملك واستخلف حفص بن الوليد وقدم
في ذي القعدة من سنة سبع وانكشف النيل عن ارض فبنى فيها وانصرف في
ذي القعدة سنة ثمان ومائة باستعفائه لمغاضبة كانت بينه وبين عبد
الله بن الحبحاب متولي خراج مصر فكانت ولايته ثلث سنين سوا وولي
حفص بن الوليد بن سيف بن عبد الله من قبل هشام بن عبد الملك
ثم صرف بعد جمعتين يوم الاضحى بشكوى ابن الحبحاب منه وقيل صرف سلخ سنة
ثمان ومائة فولي عبد الملك بن رفاعة ثانيا على الصلاة فقدم من الشام
عليلا لاثنتي عشرة بقيت من المحرم سنة تسع ومائة وكان اخوه الوليد يخلفه من اول
المحرم وقيل بل ولي اول المحرم ومات للنصف منه فكانت ولايته خمس عشرة
ليلة ثم ولي اخوه الوليد بن رفاعة باستخلاف اخيه فاقره هشام بن
عبد الملك على الصلاة وفي ولايته نقلت قيس الى مصر ولم يكن بها احد منهم
وخرج وهيب اليحصبي شاريا في سنة سبع عشرة ومائة من اجل ان الوليد

اذن

اذن للنصارى في ابتنا الكنيسة بالحمراء فتوفي وهو وال اول جمادى الاخرة سنة سبع
عشرة واستخلف عبد الرحمن بن خالد فكانت امرته تسع سنين وخمسة اشهر فولي
عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمي ابو الوليد من قبل هشام بن عبد الملك
على صلاتها وفي امرته نزلت الروم على تنيس فحاصروها ثم اقبلوا فاسروا فصرفه
هشام فكانت ولايته سبعة اشهر وولي حنظلة بن صفوان ثانيا فقدم
لخمس خلون من المحرم سنة تسع عشرة ومائة فانتقض القبط وحاربهم في سنة
احدى وعشرين ومائة وقدم راس زيد بن علي الى مصر في سنة اثنتين وعشرين
ومائة ثم ولاه هشام افريقية فاستخلف حفص بن الوليد بامر هشام وخرج
لسبع خلون من ربيع الاخر سنة اربع وعشرين ومائة فكانت ولايته هذه
خمس سنين وثلثة اشهر وولي حفص بن الوليد الحضرمي ثانيا باستخلاف
حنظلة له على صلاتها فاقره هشام بن عبد الملك الى ليلة الجمعة لليلة عشر
خلت من شعبان سنة اربع وعشرين فجمع له الصلاة والخراج جميعا واستسقى
بالناس وخطب ودعا ثم صلى بهم ومات هشام بن عبد الملك واستخلف من
بعده الوليد بن يزيد فاقر حفصا على الصلاة والخراج ثم صرف عن الخراج بعيسى
بن ابي عطا لسبع بقين من شوال سنة خمس وعشرين ومائة وانفرد بالصلاة
ووفد على الوليد بن يزيد واستخلف عقبة بن نعيم الرعيني وقتل الوليد
بن يزيد وحفص بالشام وبويع يزيد بن الوليد بن عبد الملك فامر حفصا
باللحاق بجنده وامره بفرض ثلثين الفا ففرض الفروض وبعث ببيعة اهل
مصر الى يزيد بن الوليد ثم توفي يزيد وبويع ابراهيم ابن الوليد وخلعه مروان
بن محمد الجعدي فكتب حفص يستعفيه من ولاية مصر فاعفاه مروان
فكانت ولاية حفص هذه ثلث سنين الا شهرا وولي حسان بن عتاهية
بن عبد الرحمن التجيبي وهو بالشام فكتب الى خير بن نعيم باستخلافه فسلم حفص
الى خير ثم قدم حسان لاثنتي عشرة خلت من جمادى الاخرة سنة سبع وعشرين
ومائة على الصلاة وعيسى بن ابي عطا على الخراج فاسقط حسان فروض حفص
كلها فوثبوا به وقالوا لا نرضى الا بحفص وركبوا الى المسجد ودعوا الى خلع
مروان وحصروا حسان في داره وقالوا له اخرج عنا فانك لا تقيم معنا
ببلدنا واخرجوا عيسى بن ابي عطا صاحب الخراج وذلك في اخر جمادى الاخرة

واقاموا حفصا فكانت ولاية حسان ستة عشر يوما فولي **حفص بن الوليد**
الثالثة كرها اخذه قواد الفروض بذلك فاقام على مصر رجب وشعبان ولحق
حسان بمروان وقدم حنظلة بن صفوان من افريقية وقد اخرجه اهلها فنزل
الجيزة وكتب مروان بولايته على مصر فامتنع المصريون من ولاية حنظلة واظهروا
الخلع واخرجوا حنظلة الى الحوف الشرقي ومنعوه من المقام بالفسطاط وهرب
ثابت بن نعيم من فلسطين يريد الفسطاط فحاربوه وهزموه وسكت مروان
عن الحكم مصر بقية سنة سبع وعشرين ومائة ثم عزل حفصا مستهل سنة
ثمان وعشرين وولي **الحوثرة بن سهيل** بن العجلان الباهلي فسار
اليها في الاف وقدم اول المحرم وقد اجتمع الجند على منعه فابى عليهم حفص
فخافوا حوثرة وسالوه الامان فامنهم ونزل ظاهر الفسطاط وقد امنوا اليه
فخرج اليه حفص ووجوه الجند فقبض عليهم وقيدهم فانهزم الجند ودخل
ومعه عيسى بن ابي عطا على الخراج لثنتي عشرة خلت من المحرم وبعث في طلب
رؤسا الفتنة فجمعوا له وضرب اعناقهم وقتل حفص بن الوليد ثم صرف
في جمادى الاولى سنة احدى وثلثين ومائة وبعثه مروان الى العراق فقيل
واستخلف على مصر حسان بن عتاهية وقيل ابا الجراح بشر بن اوس وخرج
لعشر خلون من رجب وكانت ولايته ثلث سنين وستة اشهر وولي بعده

المغيرة بن عبيد الله

بن المغيرة الفزاري على الصلاة من قبل مروان فقدم لست بقين من رجب
سنة احدى وثلثين وخرج الى الاسكندرية واستخلف ابا الجراح الجرشي
وتوفي لثنتي عشرة خلت من جمادى الاولى سنة اثنتين وثلثين ومائة وكانت
ولايته عشرة اشهر واستخلف ابنه الوليد بن المغيرة ثم صرف الوليد في النصف
من جمادى الاخرة وولي **عبد الملك بن مروان** بن موسى بن نصير
من قبل مروان على الصلاة والخراج وكان واليا على الخراج قبل ان يولى الصلاة
في جمادى الاخرة سنة اثنتين وثلثين ومائة فامر باتخاذ المنابر في الكور ولم يكن
قبله وانما كانت ولاة الكور يخطبون على العصي الى جانب القبلة وخرج القبط
فحاربهم وقتل كثيرا منهم وخالف عمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان على
مروان فاجتمع عليه جمع من قيس في الحوف الشرقي فبعث اليهم عبد الملك
بجيش

بجيش فلم يكن حرب وسار مروان بن محمد الى مصر منهزما من بني العباس فقدم يوم
الثلثا لثمان بقين من شوال سنة اثنتين وثلثين ومائة وقد سود اهل الحوف
الشرقي واهل الاسكندرية واهل الصعيد واسوان فعزم مروان على تغدية
النيل واحرق دار مروان المذهبة ثم دخل الى الجيزة وحرق الجسر وبعث
بجيش الى الاسكندرية فاقتتلوا بالكريون وخالفت القبط برشيد فبعث اليهم
وهزمهم وبعث الى الصعيد فقدم صالح بن علي بن عبد الله بن عباس في طلب مروان
هو وابو عون عبد الملك بن يزيد يوم الثلثا للنصف من ذي الحجة فادرك
صالح مروان ببوصير من الجيزة بعد ما استخلف على الفسطاط معاوية بن بحير
بن ريسان فحارب مروان حتى قتل ببوصير يوم الجمعة لسبع بقين من ذي الحجة ودخل
صالح الى الفسطاط يوم الاحد لثمان خلون من المحرم سنة ثلث وثلثين ومائة
وبعث براس مروان الى العراق وانقضت ايام بني امية فولي

صالح بن علي

بن عبد الله بن عباس ولي من قبل امير المؤمنين ابي العباس عبد الله بن محمد
السفاح فاستقبل بولايته المحرم سنة ثلث وثلثين ومائة وبعث بوفد اهل مصر
الى ابي العباس السفاح ببيعة اهل مصر واسر عبد الملك بن موسى بن نصير
وجماعة وقتل كثيرا من شيعة بني امية وحمل طائفة منهم الى العراق فقتلوا
بقلنسوة من ارض فلسطين وامر للناس باعطياتهم وللقوابل والعيال وقسمت
الصدقات على اليتامى والمساكين وزاد صالح في المسجد وورد عليه كتاب امير
المؤمنين السفاح بامارته على فلسطين والاستخلاف على مصر فاستخلف ابا عون
مستهل سنة ثلث وثلثين وسار ومعه عبد الملك بن نصير مكرما وعدة من
اهل مصر صحابة لامير المؤمنين واقطع الذين سودوا قطائع منها منية بولاق
وقرى اهناس وغيرها ثم من بعد صالح بن علي سكن امرا مصر العسكر واول من
اسكنه ابو عون والله اعلم

ذكر العسكر الذي بني بظاهر مدينة فسطاط مصر

اعلم ان موضع العسكر قد كان يعرف في صدر الاسلام بالحمرا القصوى وقد
تقدم ان الحمرا القصوى كانت خطة بني الازرق وبني روبيل وبني يشكر بن
جزيلة ثم دثرت هذه الخطط بعد العمارة فتلك القبائل حتى صارت صحرا فلما

قدم مروان بن محمد اخر خلفا بني اميه الى مصر منهزما من بني العباس نزلت
عساكر صالح بن علي وابي عون عبد الملك بن يزيد في هذه الصحرا حيث جبل يشكر
حتى ملووا الفضا وامر ابو عون اصحابه بالبنا فيه فبنوا وذلك في سنة
ثلث وثلثين ومايه فلما خرج صالح بن علي من مصر خرب اكثر ما بني فيه الى زمن
موسى بن عيسى الهاشمي فانه بنى فيه دارا انزل فيها حشمه وعبيده وعمر الناس
ثم ولي السري بن الحكم فاذن للناس في البنا فاقتنوا فيه وصار مملوكا بايديهم
واتصل بناوه ببنا الفسطاط وبنيت به دار الامارة ومسجد جامع عرف بجامع
العسكر ثم عرف بجامع ساحل الغلة وعملت الشرطه ايضا في العسكر وقيل لها
الشرطه العليا والى جانبها بنى احمد بن طولون جامعه الموجود الان وسمي
حينيذ ذلك الفضا بالعسكر وصار امرا لمصر اذ اولوا ابن طولون فيه من بعد
ابي عون فقال الناس من يوميذ كنا بالعسكر وخرجنا الى العسكر وكتب من
العسكر وصارت مدينه ذات محال واسواق ودور عظيمه وفيه بنى احمد
بن طولون مارستانه فانفق عليه وعلى مستغله ستين الف دينار وكان
بالقرب من بركة قارون التي صارت كيمانا وبعضها بركة على يسرة من سار من
حدرة بن قميحة يريد قنطرة السد وعلى بركة قارون هذه كانت جنان بني
مسكين وبنى كافور الاخشيدي عليها دارا انفق فيها مايه الف دينار وسكنها
في رجب سنه ست واربعين وثلثمايه واستقل منها بعد ايام لوبا وقع في
غلمانه من بخار البركه وعظمت العمارة في العسكر جدا الى ان قدم احمد بن طولون
من العراق الى مصر فنزل بدار الامارة من العسكر وكان لها باب الى جامع العسكر
وينزلها الامرا منذ بناها صالح بن علي بعد قتله مروان وما زال بها احمد ابن
طولون الى ان بنا القصر والميدان بالقطايع فتحول من العسكر وسكن قصره بالقطايع
فلما ولي ابو الجيش خمارويه بن احمد بن طولون بعد ابيه جعل دار الامارة
ديوان الخراج ثم فرقت حجرا بعد دخول محمد بن سليمان الكاتب الى مصر وزوال
دولة بني طولون فسكن محمد بن سليمن بدار في العسكر عند المصلى القديم حيث
الكوم المطل الان على قبر القاضي بكار وما زالت الامرا تنزل بالعسكر الى ان
قدم القايد جوهر من الغرب وبنى القاهرة المعزية ولما بنى احمد بن طولون
القطايع اتصل بناها بالعسكر وبنى جامعه على جبل يشكر فعمر ما هنالك
عمارة

عمارة عظيمة تخرج عن الحد في الكثرة وقدم جوهر القايد بعساكر مولاه المعز لدين الله
في سنه ثمان وخمسين وثلثمايه والعسكر عامر الا انه منذ بنيت القطايع هجر اسم العسكر
وصار يقال مدينة الفسطاط والقطايع وربما قيل والعسكر احيانا فلما خرب
محمد بن سليمن قصر بن طولون وميدانه بقي في القطايع مساكن جليلة حيث كان
العسكر وانزل المعز لدين الله ابا علي في دار الامارة فلم يزل اهله بها الى ان
خربت القطايع في الشدة العظمى التي كانت في خلافة المستنصر اعوام بضع وخمسين
واربعمايه ويقال انه كان هناك زيادة على مايه الف دار سوى البساتين وما هذا
ببعيد فان ذلك ما بين سفح الشرق الذي عليه الان قلعة الجبل وبين ساحل مصر
القديم حيث الان الكبارة خارج مصر وما على سمتها الى كوم الجارح ومن كوم الجارح
الى جامع بن طولون وخط قناطر السباع وخط السبع سقايات الى قنطرة السد
ومراغة مصر الى المعارج بمصر والى كوم الجارح ففي هذه المواضع كان العسكر
والقطايع وبعض العسكر من ذلك ما بين قناطر السباع وحدرة بن قميحة الى
كوم الجارح حيث الفضا الذي يتوسط ما بين قنطرة السد وبين سور القرافه
الذي يعرف بباب الخدم فهذا هو العسكر ولما استولى الخراب في المحنة امر
ببنا حايط يستر الخراب عن نظر الخليفة اذا سار من القاهرة الى مصر فيما بين
العسكر والقطايع وبين الطريق وامر ببنا حايط اخر عند جامع بن طولون فلما
كان في خلافة الامر باحكام الله ابي علي منصور بن المستعلي امر وزيره ابو عبد
الله محمد بن فاتك المنعوت بالاجل المامون بن البطايحي فنودي مدة ثلثة
ايام في القاهرة ومصر بان من كان له دار في الخراب او مكان فليعمره ومن عجز
عن عمارته يبيعه او يوجره من غير نقل شي من انقاضه ومن تاخر بعد ذلك
فلا حق له ولا حكر يلزمه واباح تعمير جميع ذلك بغير طلب حق وكان سبب
هذا الندا انه لما قدم امير الجيوش بدر الجمالي في اخر الشدة العظمى وقام بعمارة
اقليم مصر اخذ الناس في نقل ما كان بالقطايع والعسكر من انقاض المساكن
حتى اتى على معظم ما هنالك الهدم وصار موحشا وخرب ما بين القاهرة ومصر من
المساكن ولم يبق هنالك الا بعض البساتين فنادى الوزير المامون عمر الناس
ما كان من ذلك مما يلي القاهرة من جهة المشهد النفيسي الى ظاهر باب زويلة
كما يرد خبر ذلك في موضعه من هذا الكتاب ان شا الله تعالى وتقلبت انقاض

العسكر كما تقدم فصار هذا الفضا الذي يتوصل اليه من مشهد السيدة نفيسة ومن
الجامع الطولوني ومن قنطرة السد ومن باب المجدم في سور القرافة ويسلك في
هذا الفضا الي كوم الجارح ولم يبق الان من العسكر ما هو عامر سوى جبل يشكر الذي
عليه جامع بن طولون وما حوله من الكبش وحدره من قبحه الي السبع سقايات وخط
قناطر السباع الي جامع بن طولون واما سوق الجامع من قبليه وما وراذلك الي
المشهد النفيسي ومن المشهد النفيسي الي القبيبات والرميله تحت القلعة فانما
هو من القطايع كما ستقف عليه ان شا الله تعالي عند ذكر القطايع وعند ذكر هذه
الخطط وطالما سلكت هذا الفضا الذي بين جامع بن طولون وكوم الجارح
حيث كان العسكر وتذكرت ما هنالك من الدور الجليله والمنازل العظيمه
والمساجد والاسواق والحمامات والبساتين والبركة البديعة والمارستان العجيب
وكيف بادت حتي لم يبق لشي منها اثر البته فانشد قول

، وبادوا فلا مخبر عنهم ، وماتوا جميعا وهذا الخبر ،
، فمن كان ذا عبرة فليكن ، فطينا ففيمن مضي معتبر ،
، وكان لهم اثر صالح ، فاين هم ثم اين الاثر ،

وسياتي لذلك مزيد بيان عند ذكر القطايع وعند ذكر خط قناطر السباع من
هذا الكتاب ان شا الله تعالي

ذكر من نزل العسكر من امرا مصر من حين بني الي ان بنيت القطايع

اعلم ان امرا مصر ما برحوا ينزلون فسطاط مصر منذ اختط بعد
الفتح الي ان بني ابو عون العسكر فصارت امرا مصر من عهد ابي عون انما ينزلون
بالعسكر وما برحوا علي ذلك الي ان انشا الامير ابو العباس احمد بن طولون القصر
والميدان والقطايع فتحول من العسكر الي القصر وسكن فيه وسكنه الامرا من
اولاده بعده الي ان زالت دولتهم فسكن الامرا بعد ذلك العسكر الي ان
زالت دولة الاخشيد بقدوم جوهر القايد من المغرب واول من سكن
العسكر من امرا مصر **ابو عون** عبد الملك بن يزيد من اهل جرجان
ولي صلاة مصر وخراجها باستخلاف صالح بن علي له في مستهل شعبان سنه ثلث وثلثين
ومايه ووقع الوبا بمصر فخرج ابو عون الي شكر واستخلف صاحب شرطته عكرمه
بن عبد الله بن قحزم فخرج الي دمياط في سنه خمس وثلثين ومايه واستخلف عكرمه

وجعل

وجعل علي الخراج عطا بن شرحبيل وخرج القبط بسمنود فبعث اليهم وقتلهم وورد
الكتاب بولاية صالح بن علي علي مصر وفلسطين والمغرب جمع له ذلك ووردت الجيوش
من قبل امير المومنين السفاح لغزو المغرب فولي **صالح بن علي** الثانيه
علي الصلاه والخراج فدخل لخمس خلون من ربيع الاخر سنه ست وثلثين ومايه
فاقر عكرمة علي شرطة الفسطاط وجعل علي شرطته بالعسكر يزيد بن هاني
الكندي وولي ابا عون جيوش المغرب وقدم امامه دعاة لاهل افريقية
وخرج ابو عون في جمادي الاخره وجهزت المراكب من الاسكندرية الي برقه
فمات السفاح في ذي الحجة واستخلف ابو جعفر عبد الله بن محمد المنصور
فاقر صالح وكتب الي ابي عون بالرجوع ورد الدعاة وقد بلغوا اسرت وبلغ
ابو عون برقه فاقام بها احد عشر شهرا ثم دعا الي مصر في جيشه فجهزه
صالح الي فلسطين لحرب ثعلب وسير الي مصر ثلثة الاف راس ثم خرج صالح
الي فلسطين واستخلف ابنه الفضل فبلغ بلبيس ورجع ثم خرج لاربع خلون
من رمضان سنة سبع وثلثين فلقي ابا عون بالفرما فامره علي مصر صلاتها
وخراجها ومضي فدخل ابو عون الفسطاط لاربع بقين من رمضان فولي
ابو عون ولايته الثانيه من قبل صالح بن علي ثم افرده ابو جعفر
بولايتها وقدم ابو جعفر بيت المقدس وكتب الي ابي عون بان يستخلف
علي مصر ويخرج اليه فاستخلف عكرمة علي الصلاة وعطا علي الخراج وخرج
للنصف من ربيع الاول سنة احدي واربعين ومايه فلما صار الي ابي جعفر
ببيت المقدس بعث ابو جعفر بموسى بن كعب فكانت ولاية ابي عون هذه
ثلث سنين وستة اشهر فوليها **موسى بن كعب** بن عيينة بن عايشة
ابو عيينة من تميم من قبل ابي جعفر المنصور وكان احد نقبا بني العباس فدخلها
لاربع عشرة بقيت من ربيع الاخر سنه احدي واربعين ومايه علي صلاتها
وخراجها ونزل العسكر ونهي الناس من الجند ان يغدون ويروحون اليه
كما كانوا يفعلون بالامرا قبله فانتهوا عنه حتي لم يكن احد يلزم بابه وكان
قد اتهم في خراسان بامر ابي مسلم فامر به اسد بن عبد الله البجلي والي
خراسان فالجم بلجام ثم كسرت اسنانه فكان يقول بمصر كانت لنا اسنان
وليس عندنا خبز فلما جا الخبز ذهبت الاسنان وكتب اليه ابو جعفر

اني عزلتك بغير سخطة ولكن بلغني ان عاملا يقتل بمصر يقال له موسى فكرهت ان
يكونه فكان ذلك موسى بن مصعب زمن المهدي كما ياتي ان شا الله تعالى فولي
موسى بن كعب سبعة اشهر وصرف في ذي القعدة واستخلف على الجند خالد بن حبيب
وعلى الخراج نوفل بن الفرات وخرج لست بقين منه فولي محمد بن الاشعث
بن عقبة الخزاعي من قبل ابي جعفر على الصلاة والخراج وقدم لخمس خلون من ذي
الحجة سنة احدى واربعين ومائة وبعث ابو جعفر الى نوفل بن الفرات ان اعرض
على محمد بن الاشعث ضمان خراج مصر فان ضمنه فاشهد عليه واشخص الي وان ابي
فاعمل على الخراج فعرض عليه ذلك فابى فاستقل نوفل الدواوين فافتقد ابن
الاشعث الناس فقيل له هم عند صاحب الخراج فقدم على تسليمه وعقد على
جيش بعث بهم الى المغرب لحرب فانهزم وخرج بن الاشعث يوم الاضحى سنة
اثنين واربعين وتوجه الى الاسكندرية واستخلف محمد بن معاوية بن بحير بن
ريسان صاحب شرطه فانصرف بن الاشعث فكانت ولايته سنة وشهرا وولي
حميد بن قحطبة بن شبيب بن خالد بن معدان الطائي من قبل ابي
جعفر على الصلاة والخراج فدخل في عسكر من العافرة الجند لخمس خلون من
رمضان سنة ثلث واربعين ومائة ثم قدم عسكر اخر في شوال وقدم علي بن
محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن داعية لابيه وعمه فدس اليه حميد فتغيب
فكتب بذلك الى ابي جعفر فصرفه في ذي القعدة وخرج لثمان بقين من ذي القعدة
سنة اربع واربعين فولي يزيد بن حاتم ابن قبيصة بن المهلب بن ابي صفرة
من قبل ابي جعفر على الصلاة والخراج فقدم على البريد للنصف من ذي القعدة
فاستخلف على الخراج معوية بن مروان بن موسى بن نصير وفي امرته ظهرت دعوة بني
الحسن بن علي بمصر وتكلم بها الناس وبايع كثير منهم لعلي بن محمد بن عبد الله وطرق
المسجد لعشر خلون من شوال سنة خمس واربعين كما ذكر في موضعه من هذا
الكتاب ان شا الله تعالى ثم قدمت الخطبا براس ابراهيم بن عبد الله بن حسن
بن الحسن بن علي في ذي الحجة فنصب في المسجد وورد كتاب ابي جعفر يامر
يزيد بن حاتم بالتحول من العسكر الى الفسطاط وان يجعل الديوان في كنايس
القصر وذلك في سنة ست واربعين ومائة من اجل ليلة المسجد ومنع
يزيد اهل مصر من الحج سنة خمس واربعين فلم يحج منهم احد ولا من اهل الشام
لما

لما كان بالحجاز من الاضطراب بامر بني حسن ثم حج يزيد في سنة سبع واربعين واستخلف
عبد الله بن عبد الرحمن بن معوية بن حديج صاحب شرطه وبعث جيشا لغزو
الحبشة من اجل خارجي ظهر هناك فظفر به الجيش وقدم راسه في عدة
روس فحملت الى بغداد وضم يزيد برقة الى عمل مصر وهو اول من ضمها الى
مصر وذلك في سنة ثمان واربعين وخرج القبط بسخا في سنة خمسين ومائة
فبعث اليهم جيشا فبيتهم القبط ورجع منهزما فصرفه ابو جعفر في ربيع
الاخر سنة اثنين وخمسين ومائة فكانت ولايته سبع سنين واربعة اشهر
وولي عبد الله بن عبد الرحمن بن معوية بن حديج من قبل ابي
جعفر على الصلاة لاثنتي عشرة بقيت من ربيع الاخر وهو اول من خطب
بالسواد وخرج الى ابي جعفر لعشر بقين من رمضان سنة اربع وخمسين
ومائة واستخلف اخاه محمد اورجع في اخرها ومات وهو وال مستهل صفر سنة
خمس وخمسين ومائة واستخلف اخاه محمدا فكانت ولايته سنتين وشهرين
فولي محمد بن عبد الرحمن بن معوية بن حديج باستخلاف اخيه فاقره
ابو جعفر على الصلاة ومات وهو وال للنصف من شعبان فكانت ولايته خمسة
اشهر ونصف واستخلف موسى بن علي فولي بنلهيب في سنة ست وخمسين ه
فبعث اليهم وهزمهم وكان يروح الى المسجد ماشيا وصاحب شرطته بين يديه
يحمل الحربة واذا امام صاحب الشرطة الحدود فيقول له ارحم اهل البلا فيقول
ايها الامير لا يصلح للناس الا ما يفعل بهم وكان يحدث فيكتب الناس عنه ومات
ابو جعفر لست خلون من ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة وبويع ابنه
المهدي فاقر موسى بن علي الى سابع عشر ذي الحجة سنة احدى وستين ومائة
فكانت ولايته ست سنين وشهرين وولي عيسى بن لقمن بن محمد الجمحي
من قبل المهدي على الصلاة والخراج فقدم لثلث عشرة بقيت من ذي الحجة
سنة احدى وستين ومائة وصرف لثنتي عشرة بقيت من جمادي الاولى
سنة اثنين وستين ومائة ولها اربعة اشهر ثم ولي واضح مولى ابي جعفر من
قبل المهدي على الصلاة والخراج فدخل لست بقين من جمادي الاولى وصرف
في رمضان فولي منصور بن يزيد بن منصور الرعيني وهو ابن خال
المهدي من قبل المهدي على الصلاة فقدم لاحدى عشرة خلت من رمضان

سنه اثنين وستين ومايه وصرف للنصف من ذي القعدة فكان مقامه شهرين وثلثة
ايام ثم ولي يحيى بن داود ابو صالح من اهل خراسان من قبل المهدى على
الصلاة والخراج فقدم في ذي الحجه وكان ابوه تركيا وهو من اشد الناس واعظمهم
هيبة واقدمهم على دم واحكمهم عقوبة فمنع من غلق الدروب بالليل ومن
غلق الحوانيت حتى جعلوا عليها شراع القصب يمنع الكلاب ومنع حراس الحمامات
ان يجلسوا فيها وقال من ضاع له شي فعلي اداه وكان الرجل يدخل الحمام
فيضع ثيابه ويقول يا ابا صالح احرسها فكانت الامور على هذه مدة ولايته واخذ
الاشراف والفقها واهل البيوتات بلبس القلانس الطوال والدخول بها على
السلطان يوم الاثنين والخميس بلا اردية وكان ابو جعفر المنصور اذا ذكره
قال هو رجل يخافني ولا يخاف الله فولي المحرم سنة اربع وستين وقدم سالم
بن سوادة التميمي من قبل المهدي على الصلاة ومعه ابو قطيفة اسمعيل بن ابراهيم
على الخراج لثنتي عشرة خلت من المحرم ثم ولي ابراهيم بن صالح بن علي بن عبد الله
بن عباس من قبل المهدي على الصلاة والخراج فقدم لاحدى عشرة خلت من المحرم
سنة خمس وستين وابتنا دارا عظيمة بالموقف من العسكر وخرج دحية بن
المصعب بن الاصبغ بن عبد العزيز بن مروان بالصعيد ونابذ ودعا الى نفسه
بالخلافة فتراخا عنه ابراهيم ولم يحفل بامره حتى ملك عامة الصعيد فسخط المهدي
لذلك وعزله عزلا قبيحا لسبع خلون من ذي الحجة سنة سبع وستين فوليها
ثلث سنين ثم ولي موسى بن مصعب بن الربيع من اهل الموصل على الصلاة والخراج
من قبل المهدي فقدم لسبع خلون من ذي الحجة المذكور فورد ابراهيم واخذ منه
ومن عماله ثلثماية الف دينار ثم سار الى بغداد وتشدد موسى في استخراج الخراج
وزاد على كل فدان ضعف ما تقبل منه وارتشا في الاحكام وجعل خراجا على اهل
الاسواق وعلى الدواب فكرهه الجند ونابذوه بالصعيد وخرج في جند مصر
كلهم لقتال اهل الحوف فلما التقوا انهزم عنه اهل مصر باجمعهم واسلموه فقتل
من غير ان يكلم احدا من اهل مصر لتسع خلون من شوال سنة ثمان وستين
ومايه فكانت ولايته عشرة اشهر وكان طالما غاشما سمعه الليث بن سعد
يقرا في خطبته انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها فقال الليث اللهم لا
تمقتنا ثم ولي عسامة بن عمرو باستخلاف موسى بن مصعب وبعث

الى

الى دحية جيشا مع اخيه بكار بن عمرو فحارب يوسف بن نصير وهو على جيش دحية
فتطاعنا ووضع يوسف الرمح في خاصرة بكار ووضع بكار الرمح في خاصرة يوسف
فقتلا معا ورجع الجيشان منهزمان وذلك في ذي الحجه وصرف عسامة لثلث
عشرة خلت من ذي الحجة بكتاب ورد عليه من الفضل بن صالح بانه ولي مصر
وقد استخلفه فخلفه الى سلخ المحرم سنة تسع وستين ومايه ثم قدم الفضل
بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس سلخ المحرم المذكور في جيوش الشام ومات
المهدي في المحرم هذا وبويع موسى الهادي فاقر الفضل وقدم ومصر تضطرب
من اهل الحوف ومن خروج دحية فان الناس كانوا قد كاتبوه ودعوه فسير
العساكر حتى هزم دحية واسر وسيق الى الفسطاط فضربت عنقه وصلب
في جمادى الاخرة سنة تسع وستين فكان الفضل يقول انا اولى الناس بولاية
مصر لقيامي في امر دحية وقد عجز غيري عنه فعزل وندم على قتل دحية والفضل
هو الذي بنى الجامع بالعسكر في سنة تسع وستين فكانوا يجمعون فيه ثم ولي علي
بن سليمن بن علي بن عبد الله بن عباس من قبل الهادي على الصلاه والخراج
فدخل في سنة تسع وستين ومايه ومات الهادي للنصف من ربيع الاول
سنة سبعين ومايه وبويع هرون بن محمد الرشيد فاقر علي بن سليمن فاظهر
علي في ولايته الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنع الملاهي والخمور وهدم الكنايس
المحدثه بمصر وبذل له في تركها خمسون الف دينار فامتنع وكان كثير الصدقة
في الليل واظهر انه تصلح له الخلافة وطمع فيها فسخط عليه هرون الرشيد وعزله
لاربع بقين من ربيع الاول سنة احدى وسبعين ومايه ثم ولي موسى بن
عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلاة
فاذن للنصارى في بنيان الكنايس التي هدمها علي بن سليمن فبنيت بمشورة
الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة ثم صرف لاربع عشرة خلت من رمضان
سنة اثنين وسبعين ومايه فكانت ولايته سنه وخمسة اشهر ونصفا ثم ولي
مسلمة بن يحيى بن قرة بن عبيد الله البجلي من اهل جرجان من قبل الرشيد
على الصلاه ثم صرف في شعبان سنة ثلث وسبعين فوليها احد عشر شهرا ثم ولي
محمد بن زهير الازدي على الصلاة والخراج لخمس خلون من شعبان فثار الجند
بعمرو بن غيلان صاحب الخراج فلم يدفع عنه فصرف بعد خمسة اشهر في سلخ ذي

الحجه سنه ثلث وستين ومايه فولي داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب
بن ابي صفرة وقدم هو وابراهيم بن صالح بن علي فولي داود الصلاة وبعث بابراهيم لاخراج
الجند الذين ثاروا من مصر فدخلا لاربع عشرة خلت من المحرم سنة اربع وسبعين
ومايه فاخرج الجند القديمة الي المغرب والمشرق في عالم عظيم فسادوا وافي
البحر فاسرتهم الروم وصرف لست خلون من المحرم سنة خمس وسبعين فكانت
ولايته سنه وبضعة شهور ثم ولي موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي
بن عبد الله بن عباس علي الصلاة والخراج من قبل الرشيد فدخل لسبع خلون من
صفر سنه خمس وسبعين وصرف لليلتين بقيتا من صفر سنه ست وسبعين
ومايه فولي سنة واصلا ثم ولي موسى ابراهيم ابن صالح بن علي بن عبد
الله بن عباس ثانيا من قبل الرشيد فكتب الي عسامة بن عمرو فاستخلفه
ثم قدم مصر بن كلثوم خليفة علي الخراج مستهل ربيع الاول وتوفي عسامة
لسبع بقين من ربيع الاخره فقدم روح بن روح بن زنباع خليفة لابراهيم
علي الصلاة والخراج ثم قدم ابراهيم للنصف من جمادي الاولى وتوفي وهو وال
لثلث خلون من شعبان فكان مقامه بمصر شهرين وثمانية عشر يوما وقام
بالامر بعده ابنه صالح بن ابراهيم مع صاحب شرطته خالد بن يزيد ثم ولي
عبد الله بن المسيب بن زهير بن عمرو الضبي من قبل الرشيد علي الصلاة لاحدى
عشرة بقيت من رمضان سنه ست وسبعين ومايه وصرف في رجب سنه
سبع وسبعين ومايه فولي اسحق بن سليمن بن علي بن عبد الله بن عباس ٥
من قبل الرشيد علي الصلاة والخراج مستهل رجب فكشف امر الخراج وزاد
علي المزارعين زيادة اجحفت بهم فخرج عليه اهل الحوف فحاربهم فقتل كثير من
اصحابه فكتب الي الرشيد بذلك فعقد لهرثمة بن اعين في جيش عظيم وبعث
به فنزل الحوف فتلقاه اهله بالطاعة واذعنوا فقتل منهم واستخرج الخراج
كله فكان صرف اسحق في رجب سنه ثمان وسبعين ومايه فولي هرثمة بن
اعين من قبل الرشيد علي الخراج والصلاة لليلتين خلتا من شعبان ثم سار
الي افريقية لثنتي عشرة خلت من شوال فاقام بمصر شهرين ونصفا ثم ولي
عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد علي الخراج
والصلاة فلم يدخل مصر واستخلف عبد الله بن المسيب بن زهير الضبي وصرف
في

في رمضان فولي تسعة اشهر ثم ولي خرج من مصر لليلتين خلتا من شوال فاعاد
الرشيد موسى بن عيسى وولاه مرة ثالثة علي الصلاة فقدم ابنه يحيى بن
موسى خليفة له لثلث خلون من رمضان ثم قدم اخر ذي القعدة وصرف
في جمادي الاخره سنة ثمانين ومايه فولي الرشيد عبيد الله بن المهدي
ثانيا علي الصلاة فقدم داود بن حباش خليفة له لسبع خلون من جمادي الاخره
ثم قدم لاربع خلون من شعبان وصرف لثلث خلون من رمضان سنة احدى
وثمانين ومايه فولي اسمعيل بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس علي
الصلاة لسبع خلون من رمضان فاستخلف عون بن وهب الخزاعي ثم قدم
لخمس بقين منه [illegible] بن عمرو ما رايت علي هذه الاعواد اخطب من اسمعيل
بن صالح ثم صرف في جمادي الاخره سنه اثنين وثمانين ومايه فولي اسمعيل
بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد علي
الصلاة فقدم لاربع عشرة بقيت من جمادي الاخره وصرف في رمضان فولي
الليث بن الفضل الابيوردي من اهل ابيورد علي الصلاة والخراج وقدم
لخمس خلون من شوال ثم خرج الي الرشيد لسبع خلون من رمضان سنه
ثلث وثمانين ومايه بالمال والهدايا واستخلف اخاه الفضل بن علي ثم عاد
في اخر السنة وخرج ثانيا بالمال لتسع بقين من رمضان سنه خمس وثمانين
واستخلف هاشم بن عبد الله بن عبد الله بن معوية بن حديج وقدم لاربع عشرة
خلت من المحرم سنه ست وثمانين فكان كلما اغلق خراج سنة وفرغ من حسابها
خرج بالمال الي امير المومنين هرون بن الرشيد ومعه الحساب ثم خرج عليه
اهل الحوف وساروا الي الفسطاط فخرج اليهم في اربعة الاف ليومين بقيا
من شعبان سنه ست وثمانين ومايه واستخلف عبد الرحمن بن موسى بن
علي بن رباح علي الجند والخراج فواقع اهل الحوف وانهزم عنه الجند فبقي
في نحو المايتين فحمل بهم وهزم القوم من ارض الجب الي غيفة وبعث الي بيان
الفسطاط ثمنين راسا وقدم فرجع اهل الحوف ومنعوا الخراج فخرج ليث مخرج
الي الرشيد وساله ان يبعث معه بالجيوش فانه لا يقدر علي استخراج الخراج
من اهل مصر والاحواف فرفع محفوظ بن سليمن تضمن خراج مصر عن اخره
بغير سوط ولا عصا فولاه الرشيد الخراج وصرف ليثا عن الصلاة والخراج

وبعث باحمد بن اسحق على الصلاة مع محفوظ وكانت ولايته ليث اربع سنين وسبعة
اشهر فولي احمد بن اسمعيل بن علي بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد
على الصلاة وقدم لخمس بقين من جمادى الاخرة سنة سبع وثمانين ثم صرف لثماني
عشرة خلت من شعبان سنة تسع وثمانين فولي سنتين وشهرا ونصفا ثم ولي
عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس على الصلاة واستخلف
لهيعة بن عيسى بن لهيعة الحضرمي ثم قدم للنصف من شوال وصرف لاحدى
عشرة بقيت من شعبان سنة تسعين ومائة وخرج واستخلف هاشم بن عبد الله
بن عبد الرحمن بن معوية بن حديج فولي الحسين بن جميل من قبل
الرشيد على الصلاة وقدم لعشر خلون من رمضان ثم جمع له الخراج مع الصلاة
في رجب سنة احدى وتسعين وخرج اهل الحوف وامتنعوا من اداء الخراج وخرج
ابو النداء بايلة في نحو الف رجل فقطع الطريق بايلة وشغب ومدين واغار
على بعض قرى الشام وضوى اليه من جذام جماعة فبلغ من النهب والقتل
مبلغا عظيما فبعث الرشيد من بغداد جيشا لذلك وبعث الحسين بن جميل من
مصر بعبد العزيز بن الوزير بن صابي الجروي في عسكر فالتقى العسكران
بايلة فظفر عبد العزيز بابي النداء وسار جيش الرشيد الى بلبيس في شوال
سنة احدى وتسعين فادعن اهل الحوف بالخراج وصرف بن جميل لليلتي عشرة
خلت من ربيع الاخر سنة اثنين وتسعين ومائة فولي مالك بن دلهم
بن عمرو الكلبي على الصلاة والخراج وقدم لسبع بقين من ربيع الاخر وفرغ
يحيى بن معاذ امير جيش الرشيد من امر الحوف وقدم الفسطاط لعشر بقين
من جمادى الاخرة فكتب الى اهل الاحواف ان اقدموا حتى اوصي بكم مالك
بن دلهم فدخل الرؤساء من اليمنية والقيسية فاخذت عليهم الابواب وقيدوا
وسار بهم للنصف من رجب وصرف مالك لاربع خلت من صفر سنة ثلث
وتسعين ومائة فولي الحسن بن التختاخ بن البجكان على الصلاة والخراج
فاستخلف العلا بن عاصم الخولاني وقدم لثلث خلون من ربيع الاول ثم
مات الرشيد واستخلف ابنه محمد الامين فثار الجند بمصر ووقعت فتنة
عظيمة قتل فيها عدة وسير الحسن مال مصر فوثب اهل الرملة فاخذوه
وبلغ الحسن عزله فسار من طريق الحجاز لفساد طريق الشام لثمان بقين من
ربيع الاول

ربيع الاول سنة اربع وتسعين ومائة واستخلف عوف بن وهب على الصلاة ومحمد بن زياد
بن طبق القيسي على الخراج فولي حاتم بن هرثمة بن اعين من قبل الامين على الصلاة والخراج
وقدم في الف من الابنا فنزل بلبيس فصالحه اهل الاحواف على خراجهم وثار عليه اهل
تنو وتمي وعسكروا فبعث اليهم جيشا فانهزموا ودخل حاتم الى الفسطاط ومعه نحو
مائة من الرهاين لاربع خلون من شوال وصرف في جمادى الاخرة سنة خمس وتسعين
ومائة فولي جابر بن الاشعث بن يحيى الطائي من قبل الامين على الصلاة
والحرب لخمس بقين من جمادى الاخرة وكان لينا فلما حدثت فتنة الامين والمامون
قام السري بن الحكم غضبا للمامون ودعا الناس الى خلع الامين فاجابوه وبايعوا
المامون لثمان بقين من جمادى الاخرة سنة ست وتسعين واخرجوا جابر بن الاشعث
وكانت ولايته سنة فولي عباد بن محمد بن حيان ابو نصر من قبل المامون
على الصلاة والخراج لثمان خلون من رجب بكتاب هرثمة بن اعين وكان وكيله على
ضياعه بمصر في الثامن من رجب سنة ست وتسعين فبلغ الامين ما كان
بمصر فكتب الى ربيعة بن قيس بن الزبير الجرشي رئيس قيس الحوف بولاية
مصر وكتب الى جماعة بمعاونته فقاموا ببيعة الامين وخلعوا المامون وساروا
لمحاربة اهل الفسطاط فخندق عباد وكانت حروب فقتل الامين وصرف عباد
في صفر سنة ثمان وتسعين ومائة فكانت ولايته سنة وسبعة اشهر فولي
المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي من قبل المامون على الخراج والصلاة
فدخل من مكة للنصف من ربيع الاول فكانت في ايامه حروب وصرف في شوال
بعد سبعة اشهر فولي العباس بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن
علي بن عبد الله بن عباس من قبل المامون على الصلاة والخراج فقدم ابنه
عبد الله ومعه الحسن بن عبيد بن لوط الانصاري في اخر شوال فسجن المطلب
فثار الجند مرارا فمنعهم الانصاري اعطياتهم وتهددهم وتحامل على الرعية
وعسفها وتهدد الجميع فثاروا واخرجوا المطلب من الحبس واقاموه لاربع
عشرة خلت من المحرم سنة تسع وتسعين ومائة واقبل العباس فنزل
بلبيس ودعا قيسا الى نصرته ومضى الى الجروي بتنيس ثم عاد فمات في
بلبيس لثلث عشرة بقيت من جمادى الاخرة ويقال ان المطلب دس اليه
سما في طعامه فمات منه وكانت حروب وفتن فكانت ولاية العباس عنه

سنه وثمانيه اشهر ثم ولي السري بن الحكم بن يوسف من قوم من الزط ومن
اهل بلخ باجماع الجند عليه عند قيامه علي المطلب في مستهل رمضان سنة مايتين
ثم ولي سليمن بن غالب بن جبريل البجلي علي الصلاة والخراج بمبايعة الجند له
لاربع خلون من ربيع الاول سنه احدي ومايتين فكانت حروب ثم صرف
بعد خمسة اشهر واعيد السري بن الحكم ثانيا من قبل المامون علي الصلاة
والخراج تقدمت ولايته فاخرجه الجند من الحبس لثنتي عشرة خلت من شعبان
وتتبع من حاربه وقوي امره ومات وهو وال لانسلاخ جمادي الاولي سنه
خمس ومايتين فكانت ولايته هذه ثلث سنين وتسعة اشهر وثمانية
عشر يوما ثم ولي ابنه محمد بن السري ابو النصر اول جمادي الاخرة علي الصلاة
والخراج وكان الجروي قد غلب علي اسفل الارض فجرت بينهما حروب ثم مات
لثمن خلون من شعبان سنه ست ومايتين فكانت ولايته اربعة عشر يوما
شهرا ثم ولي عبيد الله بن السري بن الحكم بمبايعة الجند لتسع خلون
من شعبان علي الصلاة والخراج فكانت بينه وبين الجروي حروب الي ان قدم
عبد الله بن طاهر وادعن له عبيد الله في اخر صفر سنة احدي عشرة ومايتين
ثم ولي عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب من قبل المامون علي الصلاة
والخراج فخرج يوم الثلثا لليلتين خلتا من ربيع الاول سنة احدي عشرة
ومايتين واقام في معسكره حتي خرج عبيد الله بن السري الي بغداد للنصف
من جمادي الاولي ثم سار الي الاسكندرية مستهل صفر سنه اثنتي عشرة واستخلف
عيسى بن يزيد الجلودي فحصرها بضع عشرة ليلة ورجع في جمادي الاخرة
وامر بالزيادة في الجامع العتيق تزيد فيه مثله وركب النيل متوجها الي العراق
لخمس بقين من رجب وكان مقامه بمصر والاسكندرية عشر شهرا وعشرة ايام
ثم ولي عيسى بن يزيد الجلودي باستخلاف ابن طاهر علي صلاتها الي سابع
عشر ذي القعدة سنه ثلث عشرة فصرف ابن طاهر وولي الامير ابو اسحق
بن هرون الرشيد مصر فاقر عيسى علي الصلاة فقط وجعل علي الخراج صالح
بن شيرزاد فظلم الناس وزاد عليهم في خراجهم فانتقض اهل اسفل الارض
وعسكروا فبعث عيسى بابنه محمد في جيش فحاربوه فانهزم وقتل اصحابه
في صفر سنه اربع عشرة وولي عمير بن الوليد التميمي باستخلاف ابي
اسحاق

اسحق بن الرشيد علي الصلاة لسبعة عشر خلت من صفر وخرج ومعه عيسى الجلودي ٥
لقتال اهل الحوف في ربيع الاخر واستخلف ابنه محمد بن عمير فاقتتلوا وكانت بينهما
معارك قتل فيها عمير لست عشرة خلت من ربيع الاخر فكانت مدة امرته ستين
يوما ثم ولي عيسى الجلودي ثانيا لابي اسحق الي مصر في اربعة الاف من اتراكه
فقاتل اهل الحوف في شعبان ودخل الي مدينة الفسطاط لثمان بقين منه وقتل
اكابر اهل الحوف ثم خرج الي الشام غرة المحرم سنة خمس عشرة ومايتين في
اتراكه ومعه جمع من الاساري في ضر وجهد شديد وولي علي مصر عبدويه
بن جبلة من الابنا علي الصلاة فخرج ناس بالحوف في شعبان فبعث اليهم وحاربهم حتي
ظفر بهم ثم قدم الافشين حيدر بن كاوس الصغدي الي مصر لثلث خلون من ذي
الحجة ومعه علي بن عبد العزيز الجروي لاخذ ماله فلم يدفع اليه شيا فقتله وصرف
عبدويه وخرج الي برقة وولي عيسى بن منصور بن موسى بن عيسى الرافقي
فولي من قبل ابي اسحق اول سنه ست عشرة علي الصلاة فانتقضت اسفل الارض
عربها وقبطها في جمادي الاولي واخرجوا العمال لسوء سيرتهم وخلعوا الطاعة فقدم
الافشين من برقة للنصف من جمادي الاخرة وخرج هو وعيسى في شوال فاوقعا
بالقوم واسرا منهم وقتلا ومضي الافشين ورجع عيسى فسار الافشين الي الحوف
وقتل جماعتهم وكانت حروب الي ان قدم امير المومنين عبد الله المامون لعشر
خلون من المحرم سنه سبعة عشرة ومايتين فسخط علي عيسى وحل لواءه واخذه
بلباس البياض ونسب الحدث اليه والي عماله وسير الجيوش واوقع باهل الفساد
وسبي القبط وقتل مقاتلتهم ثم رحل لثمان عشرة خلت من صفر بعد تسعة
واربعين يوما وولي كيدر وهو نصر ابو عبد الله ابو مالك الصغدي
فورد كتاب المامون عليه باخذ الناس بالمحنة في جمادي الاخرة سنة ثمان عشرة
والقاضي بمصر يوميذ هرون بن عبد الله الزهري فاجاب واجاب الشهود ١٠
ومن وقف منهم سقطت شهادته واخذ بها القضاة والمحدثون والمودنون فكانوا
علي ذلك من سنه ثمان عشرة الي سنه اثنين وثلثين ومات المامون في رجب
ثمان عشرة وبويع ابو اسحق المعتصم فورد كتابه علي كيدر ببيعته وبامره باسقاط
من في الديوان من العرب وقطع العطايا عنهم ففعل ذلك فخرج يحيي بن الوزير
الجروي في جمع من لخم وجذام ومات كيدر في ربيع الاخر سنه تسع عشرة ومايتين

فولي ابنه المظفر بن كيدر باستخلاف ابيه وخرج الى يحيى بن وزير فقاتله واسره
في جمادي الاخرة ثم صرفت مصر الى ابي جعفر اشناس فدعي لهما وصرف مظفر في
شعبان فولي موسى بن ابي العباس ثابت من قبل اشناس على الصلاة مستهل
شهر رمضان سنة تسع عشرة وصرف في ربيع الاخر سنة اربع وعشرين ومايتين
فكانت ولايته اربع سنين وسبعة اشهر فولي مالك بن كيدر بن عبد الله الصغدي
من قبل اشناس على الصلاة وقدم لسبع بقين من شهر ربيع الاخر وصرف لثلث خلون
من ربيع الاخر سنة ست وعشرين فولي سنتين واحد عشر يوما وتوفي لعشر خلون
من شعبان سنة ثلث وثلثين ومايتين فولي علي بن يحيى الارمني من قبل اشناس
على الصلاة وقدم لسبع خلون من ربيع الاخر سنة ست وعشرين فولي سنتين
واحد ومايتين ومات المعتصم في ربيع الاول سنة سبع وعشرين وبويع الواثق
بالله فاقره الى سابع ذي الحجة سنة ثمان وعشرين ومايتين فكانت ولايته
سنتين وثلثة اشهر ثم ولي عيسى بن منصور الرافقي من قبل اشناس على
صلاتها فدخل لسبع خلون من المحرم سنة تسع وعشرين ومايتين ومات اشناس
سنة ثلثين وجعل مكانه ايتاخ فاقر عيسى ومات الواثق بالله وبويع المتوكل
فصرف عيسى للنصف من ربيع الاول سنة ثلث وثلثين ومايتين وقدم علي
بن مهرويه خليفة هرثمة بن النضر ثم مات عيسى في قبة الهوا بعد عزله لاحدى
عشرة خلت من ربيع الاخر فولي هرثمة بن نصر الجبلي من اهل الجبل لايتاخ
على الصلاة وقدم لست خلون من رجب سنة ثلث وثلثين ومايتين ثم ورد كتاب
المتوكل بترك الجدال في القران لخمس خلون من جمادي الاخرة سنة اربع وثلثين
فاستخلف ابنه حاتم بن هرثمة فولي حاتم بن هرثمة بن النضر باستخلاف
ابيه له على الصلاة وصرف لسبع خلون من رمضان فولي علي بن يحيى الارمني
الثانية من قبل ايتاخ على الصلاة لست خلون من رمضان وصرف ايتاخ في المحرم
سنة خمس وثلثين واستصفيت امواله بمصر وترك الدعا له ودعي للمنتصر مكانه
وصرف علي في ذي الحجة منها فولي اسحق بن يحيى بن معاذ بن مسلم الختلي من
قبل المنتصر ولي عهد ابيه المتوكل على الله على الصلاة والخراج فقدم لاحدى
عشرة خلت من ذي الحجة ثم ورد كتاب المتوكل والمنتصر باخراج الطالبيين من مصر
الى العراق فاخرجوا ومات اسحق بعد عزله اول ربيع الاخر سنة سبع وثلثين

ومايتين

ومايتين فولي خوط عبد الواحد بن يحيى بن منصور بن طلحة بن زريق من قبل
المنتصر على الصلاة والخراج فقدم لتسع بقين من ذي القعدة سنة ست وثلثين
ومايتين وصرف عن الخراج لتسع خلون من صفر سنة سبع وثلثين واقر على الصلاة
ثم صرف سلخ صفر سنة ثمان وثلثين خليفة عنبسة على الصلاة والتركة في الخراج
مستهل ربيع الاول فولي عنبسة بن اسحق بن شمر بن عمرو ابو اجابر من قبل المنتصر
على الصلاة وشريكا لاحمد بن خالد الصريفيني صاحب الخراج فقدم لخمس خلون
من ربيع الاخر سنة ثمان وثلثين ومايتين واخذ العمال برد المظالم واقامهم
للناس وانصف منهم واظهر من العدل ما لم يسمع بمثله في زمانه وكان يروح ماشيا
الى المسجد الجامع من العسكر وكان ينادي في شهر رمضان بالسحور وكان يرمي
بمذهب الخوارج وفي ولايته نزل الروم دمياط وملكوها وما فيها وقتلوا بها
جمعا كثيرا من المسلمين وسبوا النسا والاطفال فنفر اليهم يوم النحر من سنة ثمان
وثلثين في جيشه وكثير من الناس فلم يدركهم وافرد بالخراج مع الصلاة ثم صرف
عن الخراج اول جمادي الاخرة سنة احدى واربعين وافرد بالصلاة وورد الكتاب
بالدعا للفتح بن خاقان في ربيع الاول سنة اثنتين واربعين فدعي له وعنبسة هذا
اخر من ولي مصر من العرب واخر امير صلى بالناس في المسجد الجامع وصرف
اول شهر رجب منها فقدم العباس بن عبد الله بن دينار خليفة يزيد بن عبد
الله بولاية يزيد وكانت ولاية عنبسة اربع سنين واربعة اشهر وخرج الى
العراق في رمضان سنة اربع واربعين فولي يزيد بن عبد الله بن دينار
ابو خالد من الموالي ولاه المنتصر على الصلاة فقدم لعشر بقين من رجب سنة
اثنتين واربعين واخرج المؤنثين من مصر وضربهم وطاف بهم ومنع من النداء على
الجنائز وضرب فيه وخرج الى دمياط مرابطا في المحرم سنة خمس واربعين ورجع
في ربيع الاول فبلغه نزول الروم الفرما فرجع اليها فلم يلقهم وعطل الرهان
وباع الخيل التي تتخذ للسلطان فلم يجر الحلبة سنة تسع واربعين وتتبع الروافض
وحملهم الى العراق وبنى مقياس النيل في سنة سبع واربعين وجرت على العلويين
في ولايته شدايد ومات المتوكل في شوال وبويع ابنه محمد المنتصر ومات
الفتح بن خاقان فاقر المنتصر يزيد على مصر ثم مات المنتصر في ربيع الاول سنة
ثمان واربعين وبويع المستعين فورد كتابه بالاستسقا للقحط كان بالعراق

فاستسقوا لسبع عشرة خلت من ذي القعدة واستسقى اهل الافاق في يوم واحد وخلع
المستعين في المحرم سنة اثنتين وخمسين وبويع المعتز فخرج جابر بن الوليد بارض
الاسكندرية وكانت هناك حروب ابتدات من ربيع الاخرة فقدم مزاحم بن خاقان
من العراق معينا ليزيد في جيش كثيف لثلث عشرة بقيت من رجب فواقعهم حتى
ظفر بهم ثم صرف يزيد وقد كانت مدته عشر سنين وسبعة اشهر وعشرة ايام
فولي مزاحم بن خاقان بن عرطوج ابو الفوارس التركي لثلث خلون من ربيع
الاول سنة ثلث وخمسين ومايتين على الصلاة من قبل المعتز وخرج الى الحوف
فاوقع باهله وعاد ثم خرج الى الجيزة فسار الى تروجة فاوقع باهلها واسر عدة
من اهل البلاد وقتل كثيرا وسار الى الفيوم وطاش بسيفه وكثر ايقاعه بسكان
النواحي وعاد وولى الشرطة ارجوز فمنع النسا من الحمامات والمقابر وسجن
المونثين والنوائح ومنع من الجهر بالبسملة في الصلاة بالجامع في رجب سنة ثلث
وخمسين ولم يزل اهل مصر على الجهر بها في الجامع منذ الاسلام الى ان منع منها ارجوز
واخذ اهل الجامع بتمام الصفوف ووكل بذلك رجلا من اهل العجم يقوم بالسوط
من موخر المسجد وامر اهل الحلق بالتحول الى القبلة قبل اقامة الصلاة ومنع
من المساند التي يستند اليها من الحصر التي كانت للمجالس في الجامع وامر ان
يصلي التراويح في رمضان خمس تراويح ولم تزل اهل مصر يصلونها ستا الى شهر
رمضان سنة ثلث وخمسين ومايتين ومنع من التثويب وامر بالاذان يوم الجمعة
في موخر المسجد وان يغلس بصلاة الصبح ونهى ان يشق ثوب على ميت او يسود وجه
او يحلق شعر او تصيح امراة وعاقب في ذلك وشدد فيه ثم مات مزاحم لخمس
خلون من المحرم سنة اربع وخمسين واستخلف ابنه احمد بن مزاحم فولي
باستخلاف ابيه على الصلاة الى ان مات لسبع خلون من ربيع الاخرة فكانت ولايته
شهرين ويوما واستخلف ارجوز بن اولغ طرخان التركي على الصلاة فولي خمسة
اشهر ونصفا وخرج اول ذي القعدة بعد ان صرف باحمد بن طولون في شهر رمضان
سنة اربع وخمسين ومايتين واليه كان امر البلد جميعه من ايام مزاحم وفي ايام
ابنه احمد والله تعالى اعلم

ذكر القطايع ودولة بني طولون

اعلم ان القطايع قد زال اثرها ولم يبق لها رسم يعرف وكان موضعها من قبة الهوا
الذي

الذي صار مكانها قلعة الجبل الى جامع ابن طولون وهذا اشبه ان يكون طول القطايع
واما عرضها فانه من اول الرميلة تحت القلعة الى الموضع الذي يعرف اليوم بالارض
الصفرا عند مشهد الراس الذي يقال له الان زين العابدين وكانت مساحة
القطايع ميلا في ميل فقبة الهوا كانت في سطح الجرف الذي عليه قلعة الجبل
وتحت قبة الهوا قصر ابن طولون وموضع هذا القصر الميدان السلطاني تحت
القلعة والرميلة التي تحت القلعة مكان سوق الخيل والحمير والجمال كانت
بستانا ويجاورها الميدان في الموضع الذي يعرف اليوم بالقبيبات فيصير الميدان
فيما بين القصر والجامع الذي انشاه احمد بن طولون وبحذا الجامع دار الامارة
في جهة القبلة ولها باب من جدار الجامع يخرج منه الى المقصورة المحيطة بمصلى
الامير الى جوار المحراب وهناك ايضا دار الحرم والقطايع عدة قطع يسكن فيها
عبيد ابن طولون وعساكره وغلمانه وكل قطيعة لطايفة منهم فيقال قطيعة
السودان وقطيعة الروم وقطيعة الفراشين ونحو ذلك فكانت كل قطيعة لسكن
جماعة بمنزلة الحارات التي بالقاهرة وكان ابتدا عمارة هذه القطايع
وسببها ان امير المومنين المعتصم بالله ابا اسحق محمد بن هرون الرشيد لما
اختص بالاتراك ووضع من العجم واخرجهم من الديوان واسقط اسمايهم ومنعهم
العطا وجعل الاتراك انصار دولته واعلام دعوته كان ممن عظمت عنده منزلته
قلده الاعمال الجليلة الخارجة عن الحضرة فيستخلف على ذلك العمل الذي يقلده
من يقوم بامره ويحمل اليه ماله ويدعى له على منابره كما يدعى للخليفة وكانت
مصر عندهم بهذه السبيل وقصد المعتصم ومن بعده من الخلفا بذلك العمل
مع الاتراك المحاكاة لما فعله الرشيد بعبد الملك بن صالح والمامون بطاهر
بن الحسين ففعل المعتصم مثل ذلك بالاتراك فقلد اشناس وقلد الواثق ايتاخ
وقلد المتوكل بغا ووصيف وقلد المهتدي باركوج وغيرهم ممن ذكرنا اعمال
الاقاليم ما قد تضمنه كتاب التاريخ فتقلد باكباك مصر وطلب من يخلفه عليها
وكان لاحمد بن طولون قد مات ابوه في سنة اربعين ومايتين ولاحمد عشرون
سنة منذ ولد من جارية كانت تدعى قاسم وكان مولده في سنة عشرين
ومايتين وولدت ايضا اخاه موسى وحبشية وسمانة وكان طولون من الطغرغز
مما حمله نوح بن اسد عامل بخارا الى المامون فيما كان موظفا عليه من المال

والوثيق والبرادين وغير ذلك في كل سنة وذلك في سنة مائتين فنشا احمد بن طولون
نشوا جميلا غير نشو اولاد العجم فوصف بعلو الهمة وحسن الادب والذهاب بنفسه
عما كان يترامى اليه اهل طبقته وطلب الحديث واحب الغزو وخرج الى طرسوس
مرات ولقي المحدثين وسمع منهم وكتب العلم وصحب الزهاد واهل الورع فتادب
بادابهم وظهر فضله فاشتهر عند الاولياء وتميز على الاتراك وصار في عداد من
يوثق به ويؤتمن على الاموال والاسرار فزوجه بايكباك ابنته وهي ام ابنه العباس
وابنته فاطمة ثم انه سال الوزير عبيد الله ان يكتب له برزقه على
الثغر فاجابه وخرج الى طرسوس فاقام بها وشق على امه مفارقته فكاتبته
بما بلغه فلما قفل الناس الى سر من راى سار معهم الى لقا امه وكان في القافلة
نحو الخمس مائة رجل والخليفة اذ ذاك المستعين بالله احمد بن المعتصم وكان
قد انفذ خادما الى بلاد الروم لحمل اشيا نفيسة فلما دعي بها وهي في بغل
الى طرسوس خرج مع القافلة وكان من رسم الغزاة ان يسيروا متفرقين فطرق
الاعراب بعض سوادهم وجا الصائح فبدر احمد بن طولون لقتالهم وتبعوه فوضع
السيف في الاعراب ورمى بنفسه فيهم حتى استنقذ منهم جميع ما اخذوه وهزموا
منه وكان من جملة ما استنقذ من الاعراب البغل المحمل بمتاع الخليفة فعظم
احمد بما فعل عند الخادم وكبر في اعين اهل القافلة فلما وصلوا الى العراق
وشاهد المستعين ما احضره الخادم خروج الاعراب واخذهم البغل بما
عليه وما كان من صنيع احمد بن طولون فامر له بالف دينار وسلم عليه مع الخادم
وامره ان يعرفه به اذا دخل مع المسلمين ففعل ذلك وتوالت عليه صلات الخليفة
حتى حسنت حالته ووهب له جارية اسمها مياس استولدها ابنه خمارويه في
النصف من المحرم سنة خمسين ومائتين فلما خلع المستعين وبويع المعتز اخرج
بالمستعين الى واسط واختار الاتراك احمد بن طولون ان يكون معه فسلم اليه
ومضى به فاحسن عشرته واطلق له التنزه والصيد وخشي ان يلحقه منه احتشام
فالزمه كاتبه احمد بن محمد الواسطي وهو اذ ذاك غلام حسن الشاهد حاضر
النادرة فانس به المستعين ثم ان قبيحة ام المعتز كتبت الى احمد بن طولون
بقتل المستعين وقلدته واسط فامتنع من ذلك وكتب الى الاتراك يخبرهم بانه
لا يقتل خليفة له في رقبته بيعة فزاد محله عند الاتراك بذلك ووجهوا سعيد
ن

الحاجب وكتبوا الى بن طولون بتسليم المستعين له فتسلمه منه وقتله فولاه بن
طولون فقلده خلافته وضم اليه جيشا وسار الى مصر فدخلها يوم الاربعا لسبع
بقين من شهر رمضان سنة اربع وخمسين ومائتين متقلدا للقصبة دون غيرها
من الاعمال الخارجة عنها كالاسكندرية ونحوها ودخل معه احمد بن محمد الواسطي
وجلس الناس لرؤيته فسال بعضهم غلام ابي قبيل صاحب الملاحم وكان
مكفوفا عما يجده في كتبهم فقال هذا رجل نجد صفته كذا وكذا وانه يتقلد الملك
هو وولده قريبا من اربعين سنة فما تم كلامه حتى اقبل احمد بن طولون واذا هو
على النعت الذي قال ولما تسلم احمد بن طولون مصر كان على الخراج احمد بن محمد
بن مدبر وهو من دهاة الناس وشياطين الكتاب فاهدى الى احمد بن طولون
هدايا قيمتها عشرة الاف دينار بعد ما خرج الى لقائه هو وشقير الخادم غلام
قبيحة ام المعتز وهو متقلد البريد فراى بن طولون بين يدي بن المدبر مائة غلام
من الغور قد انتخبهم وصيرهم عدة وجمالا وكان لهم خلق حسن وطول اجسام وبأس
شديد وعليهم اقبية ومناطق بحلق عراض وبايديهم مقارع غلاظ على طرف
كل مقرعة مقمعة من فضة وكانوا يقفون بين يديه في حافتي مجلسه اذا جلس
فاذا ركب ركبوا بين يديه فيصير له بهم هيبة عظيمة في صدور الناس فلما
بعث بن المدبر بهديته الى بن طولون ردها عليه فقال بن المدبر ان هذه لهمة
عظيمة من كانت هذه همته لا يؤمن على طرف من الاطراف فخافه وكره مقامه
بمصر معه وصار الى شقير الخادم صاحب البريد واتفقا على مكاتبة الخليفة بازالة
بن طولون فلم يكن غير ايام حتى بعث ابن طولون الى ابن المدبر يقول له قد كنت
اعزك الله اهديت لنا هدية وقع الغنا عنها ولم يجز ان نغتنم مالك كثره الله
فرددناها توفيرا عليك ونحب ان نجعل العوض منها الغلمان الذين رايتهم بين
يديك فانا اليهم احوج منك فقال بن المدبر لما بلغته الرسالة هذه اخرى
اعظم مما تقدم قد ظهرت من هذا الرجل اذ كان يرد الاعراض والاموال
ويستهدي الرجال ويتنافس عليهم ولم يجد بدا من ان بعث بهم اليه فتحولت هيبة
بن المدبر الى بن طولون ونقصت مهابة بن المدبر بمفارقة الغلمان الى مجلسه
فكتب ابن المدبر فيه الى الحضرة يغري به ويحرض على عزله فبلغ ذلك ابن
طولون فكتم في نفسه ولم يبده واتفق موت المعتز في رجب سنة خمس وخمسين

وقيام المهتدي بالله محمد بن الواثق وقتل باكباك ورد جميع ما كان بيده الى بارجوج التركي حمو ابن طولون فكتب اليه تسلم من نفسك لنفسك وزاده الاعمال الخارجة عن قصبة مصر وكتب الى اسحق بن دينار وهو يتقلد الاسكندرية ان يسلمها لاحمد بن طولون فعظمت لذلك منزلته وكثر قلق ابن المدبر وعمه ودعته ضرورة الخوف من ابن طولون الى ملاطفته والتقرب من خاطره وخرج ابن طولون الى الاسكندرية وتسلمها من اسحق بن دينار واقره عليها وكان احمد بن عيسى بن شيخ الشيباني يتقلد جندي فلسطين والاردن فلما مات وثب ابنه على العمل واستبد به فبعث ابن المدبر سبعمائة الف وخمسين الف دينار حملا من مال مصر الى بغداد فقبض ابن شيخ عليها وفرقها في اصحابه وكانت الامور قد اضطربت ببغداد فطمع ابن شيخ في التغلب على الشامات وشنع انه يريد مصر فلما قتل المهتدي في رجب سنة ست وخمسين وبويع المعتمد بالله احمد بن المتوكل لم يدع ابن شيخ له ولا بايع هو ولا اصحابه فبعث اليه بتقليد ارمينية زيادة على ما معه من بلاد الشام وفسح له في الاستخلاف عليها والاقامة على عمله فدعا حينئذ للمعتمد وكتب الى ابن طولون ان يتاهب لحرب ابن شيخ وان يزيد في عدته وكتب الى ابن المدبر ان يطلق له من المال ما يريد فعرض ابن طولون الرجال وانتقى من يصلح واشترى العبيد من الروم والسودان وعمل سائر ما يحتاج اليه وخرج في تجمل كبير وجيش عظيم وبعث الى ابن شيخ يدعوه الى طاعة الخليفة ورد ما اخذ من المال فاجاب بجواب قبيح فسار لست خلون من جمادى الاخرة واستخلف اخاه موسى بن هرون طولون على مصر ثم رجع من الطريق بكتاب ورد عليه من العراق ودخل الفسطاط في شعبان وقدم من العراق ماجور التركي لمحاربة ابن شيخ فلقيه اصحاب ابن شيخ وعليهم ابنه فانهزموا منه وقتل الابن واستولى ماجور على دمشق ولحق ابن شيخ بنواحي ارمينية وتقلد ماجور اعمال الشام كلها وصار احمد بن طولون من كثرة العبيد والرجال والالات بحال يضيق به داره ولا يتسع له فركب الى سفح الجبل في شعبان وامر بحرث قبور اليهود والنصارى واختط موضعها فبنى القصر والميدان وتقدم الى اصحابه وغلمانه واتباعه ان يختطوا لانفسهم حوله فاختطوا وبنوا حتى اتصل البناء بعمارة الفسطاط ثم قطعت القطائع وسميت كل قطيعة باسم من سكنها فكان للنوبة

قطعة

قطعة مفردة تعرف بهم وللروم قطعة مفردة تعرف بهم وللفراشين قطعة مفردة تعرف بهم ولكل صنف من الغلمان قطعة مفردة تعرف بهم وبنا القواد مواضع متفرقة فعمرت القطائع عمارة حسنة وتفرقت فيها السكك والازقة وبنيت فيها المساجد الحسان والطواحين والحمامات والافران وسميت اسواقها فقيل سوق العيارين وكان يجمع العطارين والبزازين وسوق الفاميين ويجمع الجزارين والبقالين والشوايين وكان في دكاكين الفاميين جميع ما في دكاكين نظرائهم في المدينة واكثر واحسن وسوق الطباخين ويجمع الصيارف والخبازين والحلوانيين ولكل من الباعة سوق حسن عامر نبيل فصارت القطائع مدينة كبيرة اعمر من اكثر مدن الشام واحسن وبنا ابن طولون قصره ووسعه وحسنه وجعل له ميدانا كبيرا يضرب فيه بالصوالجة فسمي القصر كله الميدان وكان كل من اراد الخروج من صغير وكبير اذا سيل عن ذهابه يقول الى الميدان وعمل الى الميدان ابوابا لكل باب اسم وهي باب الميدان ومنه كان يدخل ويخرج معظم الجيش وباب الصوالجة وباب الخاصة ولا يدخل منه الا خاصة ابن طولون وباب الجبل لانه مما يلي الجبل المقطم وباب الحرم ولا يدخل منه الا خادم خصي او حرمة وباب الدرمون لانه كان يجلس عنده حاجب اسود عظيم الخلقة يتقلد حجابات الغلمان السودان فقط يقال له الدرمون وباب دعناج لانه كان يجلس عنده حاجب يقال له دعناج وباب الساج لانه عمل من خشب الساج وباب الصلاة لانه كان في الشارع الاعظم ومنه كان يتوصل الى جامع ابن طولون وعرف هذا الباب ايضا بباب السباع لانه كان عليه صورة سبعين من جبس وكان الطريق الذي يخرج منه ابن طولون وهو الذي يخرج منه الى القصر طريقا واسعا فقطعه بحائط وعمل فيه ثلثة ابواب كاكبر ما يكون من الابواب وكانت متصلة بعضها ببعض واحد بجانب اخر وكان ابن طولون اذا ركب يخرج منه عسكره متكاثف الخروج على ترتيب حسن بغير زحمة ثم يخرج ابن طولون من الباب الاوسط من الابواب الثلثة بمفرده من غير ان يختلط به احد من الناس وكانت الابواب المذكورة تفتح كلها في يوم العيد او يوم عرض الجيش او يوم صدقة او ما عدا هذه العرض ويوم الصدقة لينظر من اعلاه من يدخل ويخرج وكان الناس يدخلون من باب الصوالجة ويخرجون من باب السباع وكان على باب السباع مجلس يشرف منه ابن طولون ليلة العيد على

الناس والقطايع ليري حركات الغلمان وتاهبهم وتصرفهم في حوايجهم فاذا راي في حال احد
منهم نقصا او خللا امر له بما يتسع به ويزيد في تجمله وكان يشرف منه ايضا علي البحر وعلي
باب مدينة الفسطاط وما يلي ذلك فكان منتزها حسنا وبنا الجامع المعروف بالجامع
الجديد وبنا العين والسقاية بالمعافر وبنا تنور فرعون فوق الجبل واتسعت
احواله وكثرت اصطبلاته وكراعه وعظم صيته فخافه ماجور وكتب فيه الي
الحضرة يغري به وكتب فيه ابن المدبر وشقير الخادم وكانت لابن طولون اعين
واصحاب اخبار ببطانة العونه بساير ما يحدث فلما بلغه ذلك تلطف اصحاب الاخبار
له ببغداد عند الوزير حتي سير الي ابن طولون بكتب ابن المدبر وكتب شقير من غير
ان يعلما بذلك فاذا فيه ان احمد بن طولون في التغلب علي مصر والعصيان بها فكتم
خبر الكتب وما زال بشقير حتي مات وكتب الي الحضرة يساله صرف ابن المدبر
علي الخراج وتقليده ذلك فاجيب الي ذلك وقبض علي ابن المدبر وحبسه وكانت
له معه امور الت الي خروج ابن المدبر عن مصر وتقلد ابن طولون خراج مصر مع
المعونه والثغور الشاميه فاسقط المعاون والمرافق وكانت بمصر خاصة في كل
سنه مايه الف دينار فاظفره الله عقيب ذلك بكنز فيه الف الف دينار فبنا
منه المارستان وخرج الي الشام وقد تقلدها فتسلم دمشق وحمص وناذل
انطاكيه حتي اخذها وكانت صدقاته علي اهل المسكنة والستر وعلي الضعفا
والفقرا واهل التجمل متواترة وكان راتبه لذلك في كل شهر الفي دينار سوي ما
يطرا عليه من النذور وصدقات الشكر علي تجديد النعم وسوا مطابخه التي
اقيمت في كل يوم للصدقات في داره وغيرها يذبح فيها البقر والكباش ويغرف
للناس في القدور الفخار والقصاع علي كل قدر او قصعة لكل مسكين اربعة
ارغفة في اثنين منها فالوذج والاثنين الاخر علي القدر وكانت تعمل في داره وينادي
من احب ان يحضر دار الامير فليحضر وتفتح الابواب ويدخل الناس الميدان وابن
طولون في المجلس الذي تقدم ذكره ينظر الي المساكين ويتامل فرحهم بما ياكلون
ويحملون فيسره ذلك ويحمد الله علي نعمته وقد قال له مرة ابراهيم بن قراطغان
وكان علي صدقاته ايد الله الامير انا نقف في المواضع التي نفرق فيها الصدقة
فيخرج الينا الكف الناعمة المخضوبة نقشا والمعصم الرايع فيه الحديد والكف
فيه الخاتم فقال يا هذا كل من مد يده فاعطه فهذه هي الطبقة المستورة التي
ذكرها

ذكرها الله تعالي في كتابه فقال يحسبهم الجاهل اغنيا من التعفف فاحذر ان ترد يدا
امتدت اليك واعط كل من يطلب منك فلما مات احمد بن طولون وقام من بعده
ابنه خمارويه واقبل علي قصر ابيه وزاد فيه واخذ الميدان الذي كان لابيه فجعله
كله بستانا فزرع فيه انواع الرياحين واصناف الشجر ونقل اليه الودي اللطيف
الذي ينال ثمره القايم ومنه ما يتناوله الجالس من اصناف خيار النخل وحمل
اليه كل صنف من الشجر المطعم العجيب وانواع الورود وزرع فيه الزعفران
وكسا اجسام النخل نحاسا مذهبا حسن الصنعة وجعل بين النحاس واجساد
النخل مزاريب الرصاص واجري فيها الما المدبر فكان يخرج من تضاعيف قايم
النخل عيون الما فتنحدر الي فساقي معمولة ويفيض منها الما الي مجاري تسقي
ساير البستان وغرس فيه من الريحان المزروع علي نقوش معمولة وكتابات
مكتوبة يتعاهدها البستاني بالمقراض حتي لا تزيد ورقة علي ورقة وزرع
فيه النيلوفر الاحمر والازرق والاصفر والجنوي العجيب واهدي اليه من
خراسان وغيرها كل اصل عجيب وطعموا له شجر المشمش باللوز واشباه ذلك
من كل ما يستظرف ويستحسن وبنا فيه برجا من الخشب الساج المنقوش
بالنقر النافذ ليقوم مقام الاقفاص وزوقه باصناف الاصباغ وبلط ارضه
وجعل في تضاعيفه انهارا لطافا جدا ولها مجاري يجري فيها الما مدبرا من
السواقي التي تدور علي الابار العذبة ويسقي منها بالاشجار وغيرها وسرح في
هذا البرج من اصناف القماري والدباسي والنوبيات وكل طاير مستحسن
حسن الصوت فكانت الطير تشرب وتغتسل من تلك الانهار الجارية في البرج
وجعل فيه اوكارا في قواديس لطيفة ممكنة في جوف الحيطان لتفرخ الطيور
فيها وعارض لها فيه عيدانا ممكنة في جوانبه لتقف عليها اذا تطايرت حتي
تجاوب بعضها بعضا بالصياح وسرح في البستان من الطير العجيب كالطواويس
ودجاج الحبش ونحوها شيا كثيرا وعمل في داره مجلسا برواقه سماه بيت الذهب
طلا حيطانه كلها بالذهب المجاول باللازورد المعمول في احسن نقش واظرف
تفصيل وجعل فيه علي مقدار قامة ونصف صورا في حيطانه بارزة من
خشب معمول علي صورته وصور حظاياه والمغنيات التي تغنيه باحسن
تصوير وابهج تزويق وجعل علي رووسهن الاكاليل من الذهب الخالص

الابريز الرزين والكوادن المرصعة باصناف الجواهر وفي اذانها الاخراص الثقال
الوزن المحكمة الصنعة وهي مسمرة في الحيطان ولونت اجسامها باصناف اشباه
الثياب من الاصباغ العجيبة فكان هذا البيت من اعجب مباني الدنيا وجعل بين
يدي هذا البيت فسقية مقدرة وملاها زيبقا وذلك انه شكا الى طبيبه كثرة
السهر فاشار عليه بالتغمير فانف من ذلك وقال لا اقدر على وضع يد احد علي
فقال له تامر بعمل بركة من زيبق فعمل بركة يقال انها خمسين ذراعا طولا في
خمسين ذراعا عرضا وملاها من الزيبق فانفق في ذلك اموالا عظيمة وجعل في
اركان البركة سككا من الفضة الخالصة وجعل في السكك زنانير من حرير
محكمة الصنعة في حلق من الفضة وعمل فرشا من ادم يحشا بالريح حتى ينتفخ فيحكم
حينئذ شده ويلقى على تلك البركة الزيبق وتشد الزنانير الحرير التي في الحلق
بالسكك الفضة وينام على هذا الفرش فلا يزال الفرش يرتج ويتحرك بحركة
الزيبق ما دام عليه وكانت هذه البركة من اعظم ما سمع به من همم الملوك
وكان يرى لها في الليالي المقمرة منظرا عجيبا اذا تالف نور القمر بنور الزيبق ولقد
اقام الناس بعد خراب القصر مدة يحفرون لاخذ الزيبق من شقوق البركة
وما عرف ملك قط تقدم خمارويه في عمل مثل هذه البركة وبنا ايضا في القصر
قبة تضاهي قبة الهوا سماها الدكة فكانت احسن شي بني وجعل لها الستر
التي تقي الحر والبرد فتسدل اذا شا وترفع متى احب وفرش ارضها بالفرش السرية
وعمل لكل فصل فرشا يليق به وكان كثيرا ما يجلس في هذه القبة ليشرف منها
على جميع ما في داره من البستان وغيره ويرى الصحرا والنيل والجبل وجميع المدينة
وبنا ميدانا اخر اكبر من ميدان ابيه وكان احمد بن طولون قد اتخذ حجرة
يقرب منه فيها رجال سماهم بالمكبرين عدتهم اثني عشر رجلا يبيت في كل ليلة
منهم اربعة يتعاقبون الليل نوبا يكبرون ويسبحون ويحمدون ويهللون
ويقرون القران تطريبا بالحان ويتوسلون بقصايد زهدية ويوذنون اوقات
الاذان فلما ولي خمارويه اقرهم على حالهم واجراهم على رسمهم وكان اذا جلس
للشرب في الليل مع حظاياه وستايره يغنينه فاذا سمع اصوات هولا يذكرون الله
تعالى والقدح في يده وضعه بالارض واسكت مغنياته وذكر الله معهم ابدا حتى
يسكت القوم لا يضجره ذلك ولا يغيظه ان قطع عليه ما كان فيه من لذته
بالسماع

بالسماع وبنا ايضا في داره دارا للسباع عمل فيها بيوتا بازاج كل بيت يسع سبعا ولبوته
وعلى تلك البيوت ابواب تفتح من اعلاها بحركات ولكل بيت منها طاق صغير يدخل منه
الرجل الموكل بخدمة ذلك البيت لفرشه بالزبل وفي جانب كل حوض بيت من
رخام بميزاب من نحاس يصب فيه الماو بين يدي هذه البيوت قاعة فسيحة متسعة
فيها رمل مفروش بها وفي جانبها حوض كبير من رخام يصب فيه ما من ميزاب
كبير فاذا اراد سايس سبع من تلك السباع تنظيف بيته او وضع وظيفة اللحم التي
لغذايه رفع الباب بحيلة من اعلا البيت وصاح بالسبع فيخرج الى القاعة
المذكورة ويرد الباب ثم ينزل الى البيت من الطاق فيكنس الزبل ويبدل
الرمل بغيره مما هو نظيف ويضع الوظيفة من اللحم في مكان معد لذلك بعد ما يخلص
ما فيه من الغدد ويقطعه لهما ويغسل الحوض ويملاه ما ثم يخرج ويرفع الباب
من اعلاه وقد عرف السبع ذلك فحال ما يرفع السايس باب البيت دخل اليه
الاسد فاكل ما هيي له من اللحم حتى يستوفيه ويشرب من الما كفايته فكانت
هذه مملوة من السباع ولهم اوقات تفتح فيها ساير بيوت السباع فتخرج الى
القاعة وتتشمس فيها وتمرح وتلعب وتهارش بعضهم بعضا فيقيم يوما كاملا الى
العشي فيصيح بها السواس فيدخل كل سبع الى بيته لا يتخطاه الى غيره وكان
من جملة هذه السباع سبع من السبعين ازرق العينين يقال له زريق قد
انس بخمارويه وصار مطلقا في الدار لا يوذي احدا ويقام له بوظيفته من الغدا
في كل يوم فاذا انصبت مايدة خمارويه اقبل زريق معها وربض بين يديه
فيرمي اليه بيده الدجاجة بعد الدجاجة والفضلة الصالحة من الجدي ونحو
ذلك مما على المايدة فيتفكه به وكانت له لبوة لم تانس كما انس فكانت مقصورة
في بيت ولها وقت معروف يجتمع معها فيه فاذا نام خمارويه جا زريق ليحرسه
فان كان قد نام على سرير ربض بين يدي السرير وجعل يراعيه ما دام نايما
وان كان انما نام على الارض بقي قريبا منه وتفطن لمن يدخل او يقصد خمارويه
لا يغفل عن ذلك لحظة واحدة وكان على ذلك دهره قد الف ذلك ودرب
عليه وكان في عنقه طوق من ذهب فلا يقدر احد ان يدنو من خمارويه ما دام
نايما لمراعاة زريق له وحراسته اياه حتى اذا شا الله انفاذ قضايه في خمارويه
كان بدمشق وزريق غايب عنه بمصر ليعلم انه لا يغني حذر من قدر وبنا

ايضا دار الحرم ونقل اليها امهات اولاد ابيه مع اولادهن وجعل معهن المعزولات
من امهات اولاده وافرد لكل واحدة حجرة واسعة نزل في كل حجرة منها بعد زوال
دولتهم فايد جليل في سعته وفضل عنه منه شي واقام لكل حجرة من الازاك والوظايف
الواسعة ما كان يفضل عن اهلها منه شي كثير فكان الخدم الموكلون بالحرم من
الطباخين وغيرهم يتصل لكل منهم مع كثرة عددهم بعد التوسع في قوته الزلة
الكبيرة التي فيها العتق من الدجاج فمنها ما تقلع فخذها ومنها ما قد تشعث صدرها
ومن الفراخ مثل ذلك مع القطع الكبار من الجدي ولحوم الضان والغدة
من الوان عديدة والقطع الصالحة من الفالوذج والكبير من اللوزينج والقطايف
والهبرات من العصيدة التي تعرف اليوم في وقتنا هذا بالمامونية واشباه ذلك
مع الارغفة الكبار واشتهر بمصر بيعهم لذلك وعرفوا به فكان الناس يتبايعونهم
لذلك واكثر ما تباع الزلة الكبيرة منها بدرهمين ومنها ما يباع بدرهم فكان
كثير من الناس يتفكهون من هذه الزلات وكان شيا موجودا في كل وقت
لكثرته واتساعه بحيث ان الرجل اذا طرقه ضيف خرج من فوره الى باب
دار الحرم فيجد ما يشتريه ليتجمل به لضيفه مما لا يقدر على عمل مثله ولا يمكنه
له من اللحوم والفراخ والدجاج والحلوى مثل ذلك واتسعت ايضا اصطبلات
خمارويه فجعل لكل صنف من الدواب اصطبلا مفردا فكان للخيل الخاص اصطبل
مفرد ولدواب الغلمان اصطبلات عدة ولبغال القباب اصطبلات ولبغال
الثقل غير بغال القباب اصطبلات وللنجايب والنجاتي اصطبلات لكل
صنف اصطبل مفرد للاتساع في المواضع والتنوق في الاتقان وعمل للنمور
دارا مفردة وللفهود دارا مفردة وللفيلة دارا وللزرافات دارا كل ذلك
سوى الاصطبلات التي بالجيزة فانه كان له في عدة ضياع من الجيزة اصطبلات
مثل نهيا ووسيم وسفط وطهرمس وغيرها وكانت هذه الضياع لا يزرع الا
القرط برسم الدواب وكان للخليفة ايضا بمصر اصطبلات سوى ما ذكر تنتج فيها
الخيل لحلبة السباق وللرباط في سبيل الله برسم الغزو وكان لكل دار من الدور
المذكورة ولكل اصطبل وكلا لهم الرزق السني والوظايف الكبيرة والارزاق
المتسعة وبلغ رزق الجيش في ايام خمارويه سبع مائة الف دينار في كل سنة
وقام مطبخه المعروف بمطبخ العامة بثلثة وعشرين الف دينار في كل شهر سوى

ما هو موظف لجواريه وارزاق من يخدمهن ويتصرف في حوايجهن وكان قد اتخذ
لنفسه من مجلس الحوف وتناية الضياع قوما معروفين بالشجاعة والباس
لهم خلق تام وعظم اجسام وادار عليهم الارزاق ووسع عليهم في العطا وشغلهم
عما كانوا فيه من قطع الطريق واذية الناس بخدمته والبسهم الاقبية والحقايب
الديباج وصاغ لهم المناطق العراض الثقال وقلدهم السيوف المحلاة يضعونها
على اكتافهم اذا مشوا بين يديه وسماهم المختارة فكان اذا ركب ومضى الحجاب بين
يديه وموكبه على ترتيبه ومضت اصناف العسكر وطوايفه تلاهم السودان
وعدتهم الف اسود لهم درق من حديد محكم الصنعة وعليهم اقبية سود وعمايم
سود فيخالهم الناظر اليهم بحرا اسود يسير لسواد الوانهم وسواد ثيابهم ويصير
لبريق درقهم وحلى سيوفهم والبيض التي تلمع على روسهم من تحت العمايم زي
بهج فاذا امضى السودان قدم خمارويه وقد انفرد عن موكبه وصار بينه وبين
الموكب نحو نصف غلوة سهم والمختارة تحف به وكان تام الطول يركب فرسا
تاما فيصير كالكوكب اذا اقبل لا يخفى على احد كانه قطعة جبل في وسط
المختارة وكان مهابا ذا سطوة قد وقع في قلوب الكافة انه متى اشار اليه
احد باصبعه او تكلم او قرب منه لحقه مكروه عظيم فكان اذا اقبل كما ذكرنا
لا يسمع من احد كلمة ولا سعلة ولا عطسة ولا تنحنحة البتة كانما على روسهم
الطير وكان يتقلد يوم العيد سيفا بحمايل ولا يزال يتفرج ويتنزه ويخرج
الى مواضع لم يكن ابوه يهش اليها كالاهرام ومدينة العقاب ونحو ذلك لاجل
الصيد فانه كان مشغوفا به لا يكاد يسمع بسبع الا قصده ومعه رجال عليهم
لبود فيدخلون الى الاسد ويتناولونه بايديهم من غابه عنوة وهو سليم فيضعونه
في اقفاص من خشب محكمة الصنعة يسع الواحد منها السبع وهو قايم فاذا
قدم خمارويه من الصيد سار القفص وفيه السبع بين يديه وكانت حلبة السباق
في ايامهم تقوم مقام الاعياد لكثرة الزينة وركوب ساير الغلمان والعساكر على
كثرتهم بالسلاح التام والعدد الكاملة فيجلس الناس لمشاهدة ذلك كما
يجلسون في الاعياد وتطلق الخيل من غايتها فتمر متفاوتة يتقدم بعضها بعضا
حتى يتم السبق قال القضاعي المنظر بناه احمد بن طولون في ولايته
لعرض الخيل وكان عرض الخيل من عجايب الاسلام الاربعة التي منها هذا العرض

ورمضان بمكة والعيد كان بطرسوس والجمعة ببغداد فبقي من هذه الاربعة شهر
رمضان بمكة والجمعة ببغداد وذهبت اثنتان قال كاتبه وقد ذهبت الجمعة
من بغداد ايضا بعد القضاعي بقتل هولاكو للخليفة المستعصم وزوال شعاير
الاسلام من العراق وبقيت مكة شرفها الله تعالى وليس في شهر رمضان الان
ما يقال فيه انه من عجايب الاسلام ولما تكامل عز خمارويه وانتهى امره
بدا يسترجع منه الدهر ما اعطاه فاول ما طرقه موت حظيته بوران التي من اجلها
بنا بيت الذهب وصور فيه صورتها وصورته كما تقدم وكان يرى ان الدنيا لا
تطيب له الا بها وبسلامتها ونظره اليها وتمتعه بها فكدر موتها عيشه وانكسر
انكسارا بان عليه ثم انه اخذ في تجهيز ابنته فجهزها جهازا ضاهى به نعم
الخلافة فلم يبق خطيرة ولا طرفة من كل لون وجنس الا حمله معها فكان من
جملته دكة اربع قطع من ذهب عليها قبة من ذهب مشبك في كل عين من
التشبيك قرط معلق فيه حبة جوهر لا يعرف لها قيمة ومائة هاون من ذهب
قال القضاعي وعقد المعتضد النكاح على ابنته يعني ابنة خمارويه قطر
الندى فحملها ابو الجيش خمارويه مع ابي عبد الله بن الجصاص وحمل معها ما لم
ير مثله ولا سمع به ولما دخل اليه ابن الجصاص يودعه قال له خمارويه هل
بقي بيننا وبينك حساب فقال لا فقال انظر حسنا فقال كسر بقي من الجهاز فقال
احضروه فاخرج ربع طومار فيه ثبت ذكر النفقة فاذا هي اربعمائة الف دينار
قال محمد بن علي المادرايي فنظرت في الطومار فاذا فيه ط والف
تكة الثمن عنها عشرة الاف دينار فاطلق له الكل قال القضاعي وانما ذكرت
هذا الخبر ليستدل به على اشيا منها سعة نفس ابي الجيش ومنها كثرة ما كان
يملكه ابن الجصاص حتى انه قال كسر بقي من الجهاز وهو اربعمائة الف دينار لو لم
يقتضه ذلك لم يذكره له ومنها ان مصر في ذلك الزمان لما طلب فيها الف تكة
من اثمان عشرة دنانير عشرة دنانير قدر عليها في ايسر وقت واهون سعي ولو
طلب اليوم خمسون لم يقدر عليها قال كاتبه ولا يعرف اليوم في اسواق القاهرة
ومصر تكة بعشرة دنانير اذا طلبت توجد في الحال ولا بعد شهر الا ان يعتنى
بعملها فتعمل ولما فرغ خمارويه من جهاز ابنته امر فبني لها على راس كل مرحلة
تنزل فيها قصر فيما بين مصر وبغداد واخرج معها اخاه خزرج بن احمد بن طولون

جماعة

في جماعة مع احمد بن طولون فكانوا يسيرون بها سير الطفل في المهد فاذا وافت المنزل وجدت
قصرا قد فرش فيه جميع ما تحتاج اليه وعلقت فيه الستور واعد فيه كل ما يصلح لمثلها
في حال الاقامة فكانت في حال مسيرها من مصر الى بغداد على بعد الشقة كانها في
قصر ابيها تنتقل من مجلس الى مجلس حتى قدمت بغداد اول المحرم سنة اثنتين
وثمانين ومايتين فزفت على الخليفة المعتضد وبعد ذلك قتل خمارويه بدمشق وكانت
مدة بني طولون بمصر سبعا وثلثين سنة وستة اشهر واثنين وعشرين يوما وولي
منهم خمسة امرا اولهم **احمد بن طولون** ولي مصر من قبل المعتز على صلاتها
فدخل يوم الخميس لسبع بقين من شهر رمضان سنة اربع وخمسين ومايتين وخرج
بغا الاصغر وهو احمد بن محمد بن عبد الله بن طباطبا فيما بين برقة والاسكندرية في
جمادى الاولى سنة خمس وخمسين وسار الى الصعيد فقتل في الحرب وحمل راسه
الى الفسطاط لاحدى عشرة بقيت من شعبان وخرج ابن الصوفي العلوي وهو ابراهيم
بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن ابي طالب ودخل اسنا في ذي
القعدة فنهب وقتل فبعث اليه ابن طولون جيشا فهزم الجيش في ربيع الاول سنة
ست وخمسين فبعث بجيش اخر فواقعه باخميم في ربيع الاخر فانهزم ابن الصوفي الى
الواح فاقام به وخرج احمد بن طولون يريد حرب عيسى بن الشيخ ثم عاد فابتدا في
بنا الميدان وقدم العباس وخمارويه من ابنا احمد بن طولون الى العراق على
طريق مكة اول سنة سبع وخمسين وورد كتاب باركوج بتسليم احمد بن طولون
الاعمال الخارجة عن يده من ارض مصر فتسلم الاسكندرية وخرج اليها لثمان
خلون من شهر رمضان واستخلف طغلج صاحب الشرط ثم قدم لاربع عشرة بقيت
من شوال وسخط على اخيه موسى وامره بلباس البياض وخرج الى الاسكندرية ثانيا
لثمان بقين من شعبان سنة تسع وخمسين واستخلف ابنه العباس وقدم لثمان
خلون من شوال وامر ببنا المسجد الجامع على الجبل في صفر سنة تسع وخمسين
وبنا المارستان للمرضى وورد كتاب المعتمد يستحثه في حمل الاموال فكتب
اليه لست اطيق ذلك والخراج بيد غيري فانفذ المعتمد نفيس الخادم
بتقليد احمد الخراج وبولايته الثغور الشامية فاقر ابا ايوب احمد بن محمد
بن شجاع على الخراج خليفة له عليه وعقد لطخشي بن بلبرد على الثغور فخرج
في جمادى الاولى سنة اربع وستين وتقدم ابو احمد الموفق لموسى بن بغا

في صرف احمد بن طولون وتقليدها ماجور التركي والي دمشق فكتب اليه بذلك
فتوقف لعجزه عن مقاومة بن طولون فخرج موسى بن بغا ونزل الرقه فبلغ ابن
طولون انه سائر اليه فابتدا في بنا الحصن بالجزيرة ليكون معقلا لماله وحرمه
في سنة ثلث وستين واجتهد في عمل المراكب الحربية واطافها بالجزيرة فاقام
موسى بالرقه عشرة اشهر واضطربت اموره ومات في صفر سنة اربع وستين
ومات ماجور بدمشق واستخلف ابنه علي بن ماجور فتحرك لذلك احمد بن طولون
على المسير وكتب الى ابن ماجور انه سائر اليه وامره باقامة الانزال والميرة
فاجاب بجواب حسن وتشكا اهل مصر الى ابن طولون ضيق المسجد الجامع يوم الجمعة
بجنده وسوده فامر ببنا المسجد الجامع بجبل يشكر فابتدا في بنايه في سنه
اربع وتم في سنة ست وستين وستين وخرج في جيوشه لثمان بقين من
شعبان سنة اربع وستين واستخلف ابنه العباس وضم اليه احمد بن محمد
الواسطي مدبرا ووزيرا فبلغ الرمله فتلقاه محمد بن رافع واليها واقام له بها الدعوة
فاقر ومضى الى دمشق فتلقاه علي بن ماجور واقام له بها الدعوة فاقام بها حتى
استوسق امر هاله ومضى الى حمص فتسلمها وبعث الى سيما الطويل وهو
بانطاكيه يامره بالدعا له فابا فسار اليه في جيش عظيم وحاصره ورماه بالمجانيق
حتى دخلها في المحرم سنة خمس وستين فقتل سيما واستباح امواله ورحاله
ومضى الى طرسوس فدخلها في ربيع الاول فضاقت به وغلا السعر بها فنابذه
اهلها فقاتلهم وامر اصحابه ان ينهزموا عن اهل طرسوس ليبلغ طاغية الروم
فيعلم ان جيوش ابن طولون مع كثرتها وشدتها لم تقم لاهل طرسوس فانهزموا
وخرج عنهم واستخلف عليها طخشي فورد الخبر عليه بان ابنه العباس قد
خالف عليه فازعجه ذلك وسار فخاف العباس وقيد الواسطي وخرج بطايفته
الى الجيزه لثمان خلون من شعبان سنة خمس وستين فعسكر بها واستخلف
اخاه ربيعة بن احمد واظهر انه يريد الاسكندرية وسار الى برقة فقدم احمد
بن طولون من الشام لاربع خلون من رمضان فانفذ القاضي بكار بن قتيبة في نفر
بكتابه الى العباس فصاروا اليه ببرقة فابا ان يرجع وعاد بكار في اول ذي الحجة ومضى
العباس يريد افريقيه في جمادى الاولى سنة ست وخمسين فنهب لبدة وقتل
عدة من اهلها وفضحت نساهم فاجتمع عليه جيش ابن الاغلب والاباضيه فقاتلهم

بنفسه

بنفسه وحسن بلاه يوميذ وقال

لله دري اذا اعدوا على فرسي ✽ الى الهياج ونار الحرب تستعر
وفي يدي صارم افري الرووس به ✽ في حده الموت لا يبقي ولا يذر
ان كنت سايلة عني وعن خبري ✽ فها انا الليث والصمصامة الذكر
من الطولون اصلي ان سالت فما ✽ فوقي لمفتخر بالجود مفتخر
لو كنت شاهدة كري بلبدة اذ ✽ بالسيف اضرب والهامات تبتدر
اذا لعاينت مني ما تبادره ✽ عني الاحاديث والانبا والخبر

وقتل يوميذ صناديد عسكره ووجوه اصحابه ونهبت امواله وفر الى برقه
في ضر فعقد احمد بن طولون على جيش وبعث به الى برقة في رمضان سنة سبع وستين
ثم خرج بنفسه في عسكر عظيم يقال انه بلغ مائة الف لثنتي عشرة من ربيع
الاول سنة ثمان وستين واقام بالاسكندرية وفر اليه احمد بن محمد الواسطي
من عند العباس فصغر عنده امر العباس فعقد على جيش سيره الى برقه
فواقفوا العباس واصحابه وهزموهم وقتلوا منهم كثيرا وادركوا العباس لاربع
خلون من صفر رجب وعاد الى الفسطاط لثلث عشرة خلت منه وقدم العباس
والاسرى في شوال ثم اخرجوا اول ذي القعدة وقد بنيت لهم دكة عالية فضربوا
والقوا من اعلاها ثم بعث بلولو في جيش الى الشام فخالف على احمد ومال مع
الموفق وصار اليه واستخلف ابنه خمارويه في صفر سنة تسع وستين فنزل
دمشق ومعه ابنه العباس مقيدا لخالف عليه اهل طرسوس فخرج يريد
محاربته ثم توقف لورود كتاب المعتمد عليه انه قادم عليه ليلتجي اليه فخرج
كالمنصيد عاد الى سامرا ووكل به جماعة وعقد لاسحق بن كنداج الخزري
على مصر وبلغ ذلك بن طولون فرجع الى دمشق واحضر القضاة والفقها من الاعمال
وكتب الى مصر كتابا يقرى على الناس بان ابا احمد الموفق نكث بيعة المعتمد واسره
في دار احمد بن الخصيب وان المعتمد قد صار الى ما لا يجوز ذكره وانه بكا بكا
شديدا لما خطب الخطيب يوم الجمعة ذكر ما نيل من المعتمد وقال اللهم
فاكفه من حصره وظلمه وخرج من مصر بكار بن قتيبة وجماعة الى دمشق
وقد حضر اهل الشامات والثغور فامر ابن طولون بكتاب خلع فيه الموفق من
ولاية العهد لمخالفته المعتمد وحصره اياه وكتب فيه ان ابا احمد الموفق قد

خلع الطاعة وبري من الذمة فوجب جهاده على الامة وشهد على ذلك جميع من حضر الا
بكار بن قتيبة واخرين وقال بكار لم يصح عندي ما فعله ابو احمد ولم اعلمه وامتنع
من الشهادة والخلع وكان ذلك لاحدى عشرة خلت من ذي القعدة فبلغ ذلك
الموفق فكتب الى عماله بلعن احمد بن طولون على المنابر فلعن عليها بما صيغته
اللهم العنه لعنا يفل حده ويتعس جده واجعله مثلا للغابرين انك لا تصلح عمل
المفسدين ومضى احمد الى طرسوس فنازلها وكان البرد شديدا ثم رحل عنها الى
اذنه وسار الى المصيصة فنزلت به علة الموت فامر بالمسير يريد مصر حتى
بلغ الفرما فركب النيل الى الفسطاط فدخل لعشر بقين من جمادى الاخرة سنة
سبعين فاوقف بكار بن قتيبة وبعث به الى السجن وتزايدت به العلة حتى
مات ليلة الاحد لعشر خلون من ذي القعدة سنة سبعين ومائتين فلما بلغ
المعتمد موته اشتد وجده وجزعه عليه وقال يرثيه

الى الله اشكو اسى عراني كوقع الاسل
على رجل اروع يرى فيه فضل الرجل
شهاب خبا وقده وعارض غيث افل
شكت دولتي فقده وكان زين الدول

فقام بعده ابنه **ابو الجيش خمارويه**
بن احمد بن طولون وبايعه الجند يوم الاحد لعشر خلون من ذي القعدة فامر
بقتل اخيه العباس لامتناعه من مبايعته وعقد لابي عبد الله احمد الواسطي
على جيش الى الشام لست خلون من ذي الحجة وعقد لسعد الاعسر على جيش اخر
وبعث بمراكب في البحر لتقيم بالسواحل الشامية فنزل الواسطي فلسطين وهو خايف
من خمارويه ان يوقع به لانه كان اشار عليه بقتل اخيه العباس فكتب الى احمد
الموفق يصغر امر خمارويه ويحرضه على المسير اليه فاقبل من بغداد وانضم اليه
اسحق بن كنداج ومحمد بن ابي الساج ونزل الرقة فتسلم قنسرين والعواصم وسار
الى شيزر فقاتل اصحاب خمارويه وهزمهم ودخل دمشق فخرج خمارويه في جيش
عظيم لعشر خلون من صفر سنة احدى وسبعين فالتقى مع احمد ابن الموفق ب
بنهر ابي فطرس المعروف بالطواحين من ارض فلسطين واقتتلا فانهزم اصحاب
خمارويه وكان في سبعين الفا وابن الموفق في نحو اربعة الاف واحتوى على
عسكر

عسكر خمارويه بما فيه ومضى خمارويه الى الفسطاط واقبل كمين كان له عليه سعد
الايسر ولم يعلم بهزيمة خمارويه فحارب ابن الموفق حتى ازاله عن العسكر وهزمه
اثني عشر ميلا ومضى الى دمشق فلم تفتح له ودخل خمارويه الى الفسطاط لثلث
خلون من ربيع الاول وسار سعد الايسر والواسطي فملكا دمشق وخرج خمارويه
من مصر لتسع بقين من رمضان فوصل الى فلسطين ثم عاد لاثنتي عشرة بقيت
من شوال ثم خرج في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين فقتل سعد الايسر ودخل
دمشق لسبع خلون من المحرم سنة ثلث وسبعين وسار لقتال ابن كنداج فكانت
على خمارويه فانهزم اصحابه وثبت هو في طايفة فهزم ابن كنداج واتبعه حتى بلغ
اصحابه سر من راى ثم اصطلحا وتصاهرا واقبل الى خمارويه فاقام في عسكره
ودعا له في اعماله التي بيده وكاتب خمارويه ابا احمد الموفق في الصلح فاجابه
الى ذلك وكتب له بذلك كتابا فورد فايق الخادم الى مصر في رجب ذكر فيه ان
المعتمد والموفق وابنه كتبوه بايديهم بولاية خمارويه وولده ثلثين سنة
على مصر والشامات ثم قدم خمارويه سلخ رجب فامر بالدعا لابي احمد الموفق
وترك الدعا عليه وجعل على المظالم بمصر محمد بن عبدة بن حرب وبلغه مسير
محمد بن ابي الساج الى اعماله فخرج اليه في ذي القعدة ولقيه بثنية العقاب
من دمشق فانهزم اصحاب خمارويه وثبت هو فحاربه حتى هزمه اقبح هزيمة
وعاد الى مصر فدخلها لست بقين من جمادى الاخرة سنة ست وسبعين ثم خرج
الى الاسكندرية لاربع خلون من شوال وورد الخبر انه دعي له بطرسوس في
جمادى الاخرة سنة ست وسبعين ثم خرج الى الاسكندرية سنة سبع وسبعين
وخرج الى الشام لسبع عشرة من ذي القعدة ومات الموفق في سنة ثمان وسبعين
ثم مات المعتمد في رجب سنة تسع وسبعين وبويع المعتضد ابو العباس احمد
بن الموفق فبعث اليه خمارويه بالهدايا وقدم من الشام لست خلون من ربيع
الاول سنة ثمانين فورد كتاب المعتضد بولاية خمارويه على مصر هو وولده
ثلثين سنة من الفرات الى برقة وجعل اليه الصلاة والخراج والقضا وجميع الاعمال
على ان يحمل في كل عام مايتي الف دينار عما مضى وثلثماية الف للمستقبل ثم قدم
رسول المعتضد بالخلع وهي اثنتا عشرة خلعة وسيف وتاج ووشاح مع خادم
في رمضان وعقد المعتضد نكاح قطر الندا ابنة خمارويه في سنة احدى وثمانين

وفيها خرج خمارويه الى نزهته بسربوط في شعبان ومضى الى الصعيد فبلغ اسيوط ثم رجع
في الشرق الى الفسطاط اول ذي القعدة وخرج الى الشام لثمان خلون من شعبان
سنة اثنين وثمانين واقام بمنية الاصبغ ومنية مطر ثم رحل حتى اتى دمشق فقتل
بها على فراشه ذبحه جواريه وخدمه وحمل في صندوق الى مصر وكان لدخول
تابوته يوم عظيم استقبله جواريه وجواري غلمانه ونساء قواده ونساء القطائع
بالصياح وما يصنع في المآتم وخرج الغلمان وقد حلوا اقبيتهم وفيهم من سود ثيابه
وشققها وكان في البلد ضجة عظيمة وصرخة تقطع القلوب حتى دفن وكانت
مدته اثني عشر سنة وثمانية عشر يوما ثم ولي

ابو العساكر جيش بن خمارويه

بن احمد بن طولون لليلة بقيت من ذي القعدة سنة اثنين وثمانين ومائتين
بدمشق فسار الى مصر واشتمل على امور انكرت عليه فاستوحش من عظماء الجند
وسكرهم فخافوه ودبوا في الفساد فخرج منهم الى منية الاصبغ نفر جماعة
من عظماء الدولة الى المعتضد وخلعه احمد بن طغان وكان على الثغر وخلعه
طغج بن جف بدمشق فوثب جيش على عمه مضر بن احمد بن طولون فقتله
ووثب عليه الجيش وخلعوه وجمعوا القضاة والفقهاء فتبرأوا من بيعته وحللهم
منها وكان خلعه لعشر خلون من جمادى الاخرة سنة ثلث وثمانين فولي ستة
اشهر واثني عشر يوما ومات في السجن بعد ايام ثم ولي

ابو موسى هرون

بن خمارويه يوم خلع جيش فقام طائفة من الجند وكاتبوا ربيعة بن احمد بن
طولون وكان بالاسكندرية ودعوه ووعدوه بالقيام معه فجمع جمعا كثيرا من
اهل البحيرة من البربر وغيرهم وسار حتى نزل ظاهر الفسطاط فحاربه القوم
وخرج اليه القواد فقاتلوه واسروه لاحدى عشرة خلت من شعبان سنة احدى اربع
وثمانين وضرب الف سوط ومائتي سوط ومات المعتضد في ربيع الاخر سنة
تسع وثمانين وبويع ابنه محمد المكتفي بالله وخرج القرمطي بالشام في سنة تسعين
فخرج القواد من مصر وحاربوه فهزمهم وبعث المكتفي محمد بن سليمن الكاتب
فنزل حمص وبعث بالمراكب من الثغور الى سواحل مصر واقبل الى فلسطين
فخرج هرون يوم التروية سنة احدى وتسعين وسير المراكب الحربية

فالتقوا

فالتقوا بمراكب محمد بن سليمان في تنيس فغلبوا وملك اصحاب محمد بن سليمن تنيس ودمياط
فسار هرون الى العباسة ومعه اهله واعمامه في ضيق وجهد فتفرق عنه كثير من
اصحابه وبقي في نفر يسير وهو متشاغل باللهو فاجمع عماه شيبان وعدي ابنا احمد
بن طولون على قتله فدخلا عليه وهو ثمل فقتلاه ليلة الاحد لاحدى عشرة بقيت
من صفر سنة اثنين وتسعين وسنه يومئذ اثنان وعشرون سنة فكانت ولايته
ثماني سنين وثمانية اشهر واياما ثم ولي

شيبان

بن احمد بن طولون ابو المقانب لعشر بقين من صفر فرجع الى الفسطاط وبلغ طغج
بن جف وغيره من القواد قتل هرون فانكروه وخالفوا على شيبان وبعثوا الى محمد
بن سليمن فامنهم وحركوه على المسير الى مصر فسار حتى بلغ العباسة فلقيه طغج في
ناس من القواد كثير فسار بعده الى الفسطاط واقبل اليهم عامة اصحاب شيبان
فخاف جنيد شيبان وطلب الامان فامنه محمد بن سليمن وخرج اليه لليلة
خلت من ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين ومائتين وكانت ولايته اثني عشر يوما
ودخل محمد بن سليمن يوم الخميس اول ربيع الاول سنة اثنين وتسعين ومائتين
وكانت ولايته اثني عشر يوما ودخل محمد بن سليمن يوم الخميس اول ربيع الاول
فالقى النار في القطائع ونهب اصحابه الفسطاط وكسروا السجون واخرجوا من
فيها وهجموا الدور واستباحوا الحريم وهتكوا الرعية وافتضوا الابكار وساقوا
النساء وفعلوا كل قبيح من اخراج الناس من دورهم وغير ذلك واخرج ولد
احمد بن طولون وهم عشرون انسانا واخرج قوادهم فلم يبق بمصر منهم احد يذكر
وخلت منهم الديار وعفت منهم الاثار وتعطلت منهم المنازل وحل بهم الذل
بعد العز والتطريد والتشريد بعد اجتماع الشمل ونضرة الملك ومساعدة
الايام ثم سيق اصحاب شيبان الى محمد بن سليمن وهو راكب فذبحوا بين يديه
كما تذبح الشياه وقتل من السودان اصحاب القطائع خلقا كثيرا فقال احمد
بن محمد الحبيشي

الحمد لله اقرارا بما وهبا ... قد لم بالامن (الحق) شعب الامن فانشعبا
الله اصدق هذا الفتح لا كذب ... فسوء عاقبة المثوى لمن كذبا
فتح به فتح الدنيا محمدها ... ومزج الظلم والاظلام والكربا
لا ريب ريب هياج يقتضي دعة ... وفي القصاص حياة تذهب الريبا

رمي الامام به عذرا غادرة * فانقض عذرتها بالسيف وانقضبا
محمد بن سليمن اعزهم * نفسا واكرمهم في الذاهبين ابا
سري باسد الشرى لو لم يروا بشرا * اضحى عرينهم الخطي لا القصبا
حم القضا على النجوم حتى نزلوا * منك الدنا يمحون الرتبة الدانيا
ايما علوت على الايام رتبة * اما على ترى من دونها الرتبا
لما اطاك بني طولون خطبهم * بين الخطوب وعافت منهم الخطبا
هرت بهرون من ذكراك بغتة * وشيب الرعب شيبانا وقد رعبا
فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم * كانما من زمان غابر ذهبا
وكم ترى لهم من جنة انف * ومن نعيم جنا من عندهم عطبا

وقال احمد بن ابي يعقوب

ان كنت تسال عن جلالة ملكهم * فارتع وعج بمرابع الميدان
وانظر الى تلك القصور وما حوت * واسرح بزهرة ذلك البستان
وان اعتبرت ففيه ايضا عبرة * تنبيك كيف تصرف الازمان
بامل هرون اخذت اصولهم * واشتت راس امرهم شيبان
لم تغن عنه باس قيس اذ عدا * في جحفل لجب ولا غسان
وعطية البطل الكمي وخزرج * لم ينصرا ما جمعا عدنان
ذهبت الى آل النبوة والهدى * ونزت عن شيعة الشيطان

وقال اسمعيل بن ابي هاشم

قف وقفة بفنا باب الساج * والقصر ذي الشرفات والابراج
وربوع قوم ازعجوا عن دارهم * بعد الاقامة ايما ازعاج
كانوا مصابيحا لدى ظلم الدجا * يسري بها السارون في الادلاج
وكان اوجههم اذا ابصرتهم * من فضة مصنوعة او عاج
كانوا ليوثا لا يرام حماهم * في كل ملحمة وكل هياج
فانظر الى اثارهم تلقاهم * علما بكل ثنية وفجاج
وعليهم ما عشت لا تدع البكا * مع كل ذي نظر وطرف ساج

وقال سعيد القاص

جرى دمعه ما بين سحر الى نحر * ولم يجر حتى اسلمته يد الصبر

وبانه

وبانه وفيدا للذي ظاهر الحشى * بان كما ان الاسر من الاسر
وهل يستطيع الصبر من كان ذا اسى * يبيت على جمر ويضحي على جمر
تتابع احداث يحيفن صبره * وغدر من الايام والدهر
اصاب على رغم الانوف وجدعها * ذوي الدين والدنيا بقاصمة الظهر
طوى زينة الدنيا ومصباح اهلها * بفقد بني طولون والانجم الزهر
وفقد بني طولون في كل موطن * اضر على الاسلام فقدا من القطر
فبادوا واضحوا بعد عز ومنعة * احاديث لا تخفى على كل ذي حجر
وكان ابو العباس احمد ماجدا * جميل المحيا لا يبيت على وتر
كان ليالي الدهر كانت لحسنها * واشراقها في عصره ليلة القدر
يدل على فضل ابن طولون همة * محلقة بين السماكين والغفر
فان كنت تبغي شاهدا ذا عدالة * يخبر عنه بالجلي من الامر
فبالجبل الغربي خطة يشكر * له مسجد يغني عن المنطق الهذر
يدل ذوي الالباب ان بناءه * وبانيه لا بالعيي ولا الغمر
بناه باجر وساج وعرعر * وبالمرمر المسنون والجص والصخر
بعيد مدى الاكام سامي بناؤه * وثيق المباني من عقود ومن جدر
فسيح رحاب يحسر الطرف دونه * دقيق النسيم طيب العرف والنشر
وتنور فرعون الذي فوق قلة * على جبل عال على شاهق وعر
يناسبه امنه رونق بناه * ويهدي به في الليل ان ضل من يسري
يجال سنا قنديله وضياه * سهيلا اذا ما لاح في الليل للسفر
وعين معين الشرب عين زكية * وعين اجاج للرواة وللطهر
كان وفود النيل في جنباتها * تروح وتغدو بين مد الى جزر
فارفاقها مستنبط لمعينها * من الارض من بطن عميق الى الصدر
بنا الوان الجزجات بمثله * لقيل لقد جاءت بمستفظع نكر
تمر على ارض المعافر كلها * وشعبان والاحمور والحي من يشر
فبالا لا ان السيحان يمدها * ولا النيل يرويها ولا جدول يجري
ولا ينس مارستانه واتساعه * وتوسعة الارزاق للحول والشهر
وما فيه من قوامه وكفاته * ورفقهم بالمعتفين ذوي الفقر

فللمبيت المعمور حسن جمانه ، وللجد رفق في علاج وفي جبر
وان جيت راس الجسر فانظر تاملا ، الى الحصن او فاعبر الى الجيزة
ترى اثرا لم يبق من يستطيعه ، من الناس في بدو البلاد ولا حضر
مآثر لا تبلى وان باد اهلها ، ومجد يودى وارثه الى الفخر
لقد ضمن العبد المقدر درهم ، احل اذا ما قيس من عنى حجر
وقام ابو الجيش ابنه بعد موته ، كما قام ليث الغاب في الاسل السمر
اتته المنايا وهو في امن داره ، فاصبح مسلوبا من النهي والامر
كذاك الليالي من اعارته بهجة ، فيالك من باب جديد ومن ظفر
وورث هرون ابنه تاج ملكه ، كذاك ابو الاشبال ذو الناب والظفر
ومكان جيش ابنه في محله ، ولكن جيشا كان مستقصر العمر
فقام بامر الملك هرون مدة ، على كظظ من ضيق باع ومن حصر
وما زال الجيش والدهر كاشح ، تعاوده من كل ناحية بشر
يذكرنهم لما مضوا فتتابعوا ، كما ارفض سلك من جمان ومن شذر
فمن يبك ما ضاع من بعد اهله ، لفقدهم فليبك حزنا على مصر
ليبك بني طولون اذ بان عصرهم ، فبورك من دهر وبورك من عصر

ثم امر الحسن بن احمد المادراني متولي خراج مصر بهدم الميدان فابتدي في هدمه في شهر رمضان سنة ثلث وتسعين ومائتين وبيعت انقاضه ودثر كان لم يكن فقال محمد بن طشويه

من لم ير الهدم للميدان لم يره ، تبارك الله ما اعلا واقدره
لوان عين الذي انشاه تبصره ، والحادثات تعاديه لاكبره
كانت عيون الورى تعشو لهيبته ، اذا اضاف اليه الملك عسكره
اين الملوك الذي كانت تحل به ، واين من كان بالاتقان دبره
واين من كان يحميه ويحرسه ، من كل ليث يهاب الليث منظره
صاح الزمان بمن فيه ففرقهم ، وحط ريب البلى منه فدعثره
واطلق الدهر منه حين صيرته ، مثل الكتاب محا العصران اسطره
دكت مناظره واجتث جوسقه ، كانما الخسف فاجاه فدمره
او هب اعصار نار في جوانبه ، فعاد معروفه للعين منكره

كم كان يأوي اليه في مقاصره ، احوى اغن غضيض الطرف احوره
كم كان فيه لهم من مشرب غدق ، فغص صرف الردى فيه فكدره
اين ابن طولون بانيه وساكنه ، اماته الملك الاعلى فاقبره
ما اوضح الامر لو صحت لنا فكر ، طوبى لمن خصه رشد فذكره

وقال احمد بن اسحق الجعفر

واذا ما اردت اعجوبة الدهر ، فتى فانظر الى الميدان
تنظر البث والهموم وانواعا ، توالى به من الاحزان
تعلم العالم المبصر ان الدهر ، فيما تراه ذو الوان
اين ما فيه من نعيم ومن عيش ، رخي ونضرة وحسان
اين ذاك المسك الذي ذيف بالعنبر ، يجاد على بالزعفران
اين ذاك الخز المضاعف والوشي ، وما استخلصوا من الكتان
اين تلك القيان تسعدوا على القرس ، بما استحسنوا من الالحان
حوز الدهر آل طولون في هوة ، قعر مسكونها غير دان
واعاض الميدان من بعد اهله ، دبابا تعوى بتلك المغاني

وقال سعيد القاص

وكان الميدان تحلى اصيبت بحبيب ، صباح ليلة عرس
تتغشى الرياح منه محلا ، كان للصون في صدور الدمقس
ولفرش الاصرع والبسط الديباج ، في نعمة وفي لين مس
ووجوه من الوجوه حسان ، وخدود مثل اللئالي ملس
كل مجلا كالغزال ونجلا ، رواح من بين حور ولعس
ال طولون كنتم زينة الارض ، فاضحى الجديد اهدام لبس

وقال ابن ابي هاشم

يا منزلا لبني طولون قد دثرا ، سقاك صوب الغوادي القطر والمطرا
يا منزلا صرت اجفوه واهجره ، وكان يعدل عندي السمع والبصرا
بالله عندك علم من احبتنا ، ام هل سمعت لهم من بعدنا خبرا

وقال

الا فاسيل الميدان ثم اسيل الجبل ، عن الملك الماضي بن طولون ما فعل
وعن ابنه العباس اذ كنت سايلا ، وابن ابو الجيش الغضا نضه البطل
وجيش وهرون الذي قام بعده ، وشيبان بالامس الذي خابه الامل
ومن قبلهم اودي دبيعة بومه ، وكان هزبر الابطال اذا احتمل
وابن ذراريهم وابن حمو عهم ، وكيف تقضي عنهم الملك فاضمحل
وابن بناه القصر والجوسق الذي ، عهدناه معمور الساله وحل
لقد ملكوه برهة من زماننا ، بدولتهم ثم انقضوا بانقضا الدول
فما منهم خلق يحس ولا يري ، يذكر طول الدهر لما انقضي الاجل
وصاروا احاديثا لمن جا بعدهم ، وكان بهم في ملكهم يضرب المثل

وقال

تف وقفة فانظر الي الميدان ، والقصر ذي الشرفات والايوان
والجوسق العالي المنيف بناه ، ما باله يغرق في السمان
ابن الذين لهم صوابه وعنوابه ، زمنا مع الفتيان والنسوان
يجبي الخراج اليهم في دارهم ، لا يرهبون عوايل الحدثان
جمعوا الجموع مع الجموع وكثروا ، واستاثروا بالروم والسودان
فانظر الي ما شيدوا من بعدهم ، هل فيه غير البوم والغربان
ابن الاولي حصروا العيون بارضهم ، وتنوقوا فيه وفي البنيان
غرسوا صنوف النخل في ساحته ، وغرايب الاعناب والرمان
والزعفران مع البهار تارضه ، والورد بين الاس والريحان
كانوا ملوك الارض في ايامهم ، كبرا بكل مدينة ومكان
فتمزقوا وتفرقوا فهناك هم ، تحت الثري يبلون في الاكفان
الا عيالهم اساري بعدهم ، في دار مصبحة وذار هوان
متلذذين باسرهم قد شردوا ، ونفوا عن الاهلين والاوطان
واسه وارث كل حي بعدهم ، وله البقا وكل شي فان

وقال

ان في قبة الهوي الذي الليث مخبر ، والقصور المشيدات مع الدور والحجر
والبساتين والمجالس ذي النبت والزهر ، والجواري المغنيات ذي الدل والخفر

يتبخترون

يتبخترون في الحرير وفي الوشي والحبر ، وملوك عبيدهم عدد الشوك والشجر
وجيوش مبيدون لذي الباس والظفر ، من صنوف السودان والروم والترك والخزر
عمروا الارض مدة ثم صاروا الي الحفر ، واستبدل الزمان من عاش منهم فلم يذر
فهم في الهوان والذل اسري علي خطر ، وهم بعد صفو عيش من الذل في كدر
يا ال طولون ما لكم صرتم للوري سمر ، يا ال طولون كنتم خبرا فانقضي الخبر

وقال

مررت علي الميدان معتبرا به ، فناديته اين الجبال الشوامخ
حمار وعباس واحمد قبلهم ، واين تري شبانهم والمشايخ
واين ذراري الطولون بعدهم ، اما فيك منهم ايها الربع صارخ
واين ثياب الخز والوشي والحلي ، واربابها ام اين تلك المطابخ
واين فتات المسك والعنبر الذي ، عنيت به دهرا فتلك المخانح
لقد غالك الدهر الخؤون بصرفه ، فاصبحت محطا وغيرك باذخ

وقال

مررت علي الميدان بالامس صاحبا ، فابصرته قفر الجناب فراعني
فناديته يا الطولون ما لكم ، هموا فما خلق يحرف جانبي
فاديت عينا ذات دمع غزيرة ، ورحت كييب القلب مما اصابني
واني عليهم ما بقيت لموجع ، ولست ابالي من لحاني وعابني

وحدث محمد بن ابي يعقوب الكاتب قال لما كانت ليلة عيد الفطر من سنة اثنين وتسعين ومايتين تذكرت ما كان فيه ال طولون في مثل هذه الليلة من الزي الحسن بالسلاح وملونات البنود والاعلام وشهير الثياب وكثرة الكراع واصوات الابواق والطبول فاعترتني لذلك فكرة ونمت في ليلتي فسمعت هاتفا يقول

دهب الملك والتملك والزينة لما مضي بن طولون

قال القاضي ابو عمرو عثمن النابلسي في كتاب حسن السيرة في اتخاد الحصن بالجزيرة رايت كتابا قد راتني عشرة كراسة مضمونه فهرست شعرا الميدان الذي لاحمد بن طولون قال فاذا كان اسم الشعرا في ثنتي عشرة كراسة كم يكون شعرهم مع انه لم يوجد من ذلك الان ديوان واحد وقال ابو الخطاب بن دحية في كتاب النبراس وخربت قطايع احمد بن طولون يعني في الشدة العظمي

زمن المستنصر وذهب جميع من كان بها من الساكنين وكانت تبقا على مائة الف دار
نزهة للناظرين محدقة بالجنان والبساتين والله يرث الارض ومن عليها وهو خير
الوارثين

ذكر من ولي مصر من الامرا بعد خراب القطائع الى ان بنيت قاهرة المعز على يد القايد جوهر

وكان اول من ولي مصر بعد زوال دولة بني طولون وخراب القطائع محمد بن سليمان
الكاتب كاتب لولو غلام احمد بن طولون دخل مصر يوم الخميس مستهل ربيع الاول
سنة اثنتين وتسعين ومائتين ودعي على المنبر لامير المومنين المكتفي بالله وحده
وجعل ابا علي الحسين بن احمد الماذراني على الخراج عوضا عن احمد بن علي الماذراني
ثم ورد كتاب المكتفي بولاية عيسى بن محمد النوشزي ابي موسى فولي على الصلاة
ودخل خليفته لاربع عشرة خلت من جمادى الاولى فتسلم الشرطتين وساير
الاعمال ثم قدم عيسى لسبع خلون من جمادى الاخرة وخرج محمد بن سليمن
مستهل رجب وكان مقامه بمصر اربعة اشهر واخرج كل من بقي من الطولونية
فلما بلغوا دمشق احتبس عنهم محمد بن علي الخليج في جمع كثير ممن كره مفارقة
مصر من القواد فعقدوا له عليهم وبايعوه بالامرة في شعبان ورجع الى مصر
فبعث اليه النوشزي بجيش اول رمضان وقد دخل ارض مصر ثم خرج
اليه النوشزي وعسكر بباب المدينة اول ذي القعدة وسار الى العباسة
ثم رجع لثلث عشرة خلت منه وخرج الى الجيزة من غده واحرق الجسرين
وسار يريد الاسكندرية ففر عنه طائفة الى ابن الخليج فبعث اليه بجيش فهزمه
وسار الى الصعيد ودخل محمد بن الخليج الفسطاط لاربع عشرة بقيت من
ذي القعدة فوضع العطا وفرض الفروض وقدم ابو الاغر من قبل المتوكل
في طلب ابن الخليج فخرج اليه لثلث خلون من المحرم سنة ثلث وتسعين وحاربه
فانهزم منه ابو الاغر واسر من اصحابه جمعا كثيرا وعاد لثمان بقين منه فقدم
فاتك المعتضدي من بغداد في البر فعسكر وقدم دميانة في المراكب فنزل
فاتك النويرة فخرج ابن الخليج وعسكر بباب المدينة وقام في الليل باربعة الاف
من اصحابه ليبيت فاتكا فضلوا الطريق واصبحوا قبل ان يبلغوا النويرة فعلم
بهم فاتك فنهض باصحابه وحارب ابن الخليج فانهزم عنه اصحابه وثبت في طائفة
ثم انهزم الى الفسطاط لثلث خلون من رجب فاستتر ودخل دميانة في مراكب

الثغور

الثغور واقبل عيسى النوشزي ومعه الحسين الماذراني ومن كان معهما لخمس خلون منه
فعاد النوشزي الى ما كان عليه من الخراج وعرف النوشزي بمكان ابن الخليج فقبض عليه
وقيده لست خلون من رجب وكانت مدة ابن الخليج بمصر سبعة اشهر وعشرين يوما
ودخل فاتك في عسكره الى الفسطاط لعشر خلون من رجب فاخرج ابن الخليج في
البحر لست خلون من شعبان فلما قدم بغداد طيف به وباصحابه وهم ثلثون
نفرا فكان يوما مذكورا وابتدي في هدم ميدان بني طولون في شهر رمضان
وبيعت انقاضه وخرج فاتك الى العراق للنصف من جمادى الاولى سنة اربع وتسعين
وامر النوشزي بنفي المونثين ونفي النوح والندا على الجنائز وامر باغلاق المسجد
الجامع فيما بين الصلاتين ثم امر بفتحها بعد ايام ومات المكتفي في ذي القعدة سنة
خمس وتسعين فشغبت الجند بمصر وحاربوا النوشزي على طلب مال البيعة
فظفر بجماعة منهم وبويع جعفر المقتدر فاقر النوشزي على الصلاة وقدم
زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب امير افريقية مهزوما من ابي عبد الله الشيعي
في رمضان سنة ست وتسعين الى الجيزة فمنعه النوشزي من العبور
وكانت بين اصحابه وبين جند مصر مناوشة ثم اذن له ان يعبر وحده ومات
النوشزي لاربع بقين من شعبان سنة سبع وتسعين وهو وال فكانت
ولايته خمس سنين وشهرين ونصفا منها مدة ابن الخليج سبعة اشهر
وعشرين يوما وقام من بعده ابنه ابو الفتح محمد بن عيسى ثم ولي تكين
الخزري ابو منصور من قبل المقتدر على الصلاة فدعي له بها يوم الجمعة لاحدى
عشرة خلت من شوال وقدم خليفته لتسع بقين منه ثم قدم تكين لليلتين
خلتا من ذي الحجة وتقدم اليه في الجد في امر المغرب والاحتراس منه فبعث
جيشا الى برقة عليه ابو اليمن فحاربه حباسة بن يوسف بعساكر المهدي
عبيد الله الفاطمي صاحب افريقية واستولى على برقة وسار الى الاسكندرية
في زيادة على مائة الف فدخلها في المحرم سنة اثنين وثلثمائة فقدمت الجيوش
من العراق مددا لتكين في صفر وقدم الحسين الماذراني واحمد بن كيغلغ
في جمع من القواد وبرزت العساكر الى الجيزة في جمادى الاولى وخرج تكين فكانت
واقعة حباسة قتل فيها الاف من الناس وعاد حباسة الى المغرب وقدم
مونس الخادم من بغداد في جيوشه للنصف من رمضان ومعه جمع من الامرا

منزل الحمراء ولقي الناس منهم شدايد وخرج ابن كيغلغ الى الشام في رمضان وصرف
تكين لاربع عشرة خلت من ذي القعدة صرفه مونس فخرج لسبع خلون من ذي
الحجة واقام مونس يدعا ويخاطب بالاستاد ثم ولي **ذكا** الرومي ابو ا
الحسن الاعور من قبل المقتدر على الصلاة فدخل لثنتي عشرة خلت من صفر سنة
ثلث وثلثماية وخرج مونس بجميع جيوشه لثمان خلون من ربيع الاخر وخرج ذكا الى
الاسكندرية في المحرم سنة اربع وثلثماية ثم عاد في ثامن ربيع الاول وتتبع كل من
يومي اليه بمكاتبة المهدي صاحب افريقية فسجن منهم وقطع ايدي الناس وارجلهم
وجلا اهل لوبية ومراقية الى الاسكندرية خوفا من صاحب برقة وسير العساكر
الى الاسكندرية ثم فسد ما بينه وبين الرعية بسبب ذكر الصحابة ومن ليس منهم
وبسبب القران ودخلت عساكر المهدي صاحب افريقية الى لوبية ومراقية
عليها ابو القاسم فدخل الاسكندرية لثمان من صفر سنة سبع وثلثماية وفر الناس من
مصر الى الشام في البر والبحر فهلك اكثرهم وخرج ذكا والجند مخالفون له فعسكر
بالجيزة وقدم ابو الحسن بن احمد المادراني واليا على الخراج فوضع الخراج وجد
ذكا في امر الحرب واحتفر خندقا على عسكره بالجيزة فمرض ومات لاحدى عشرة خلت
من ربيع الاول بالجيزة فكانت امرته اربع سنين وشهرا فولي **تكين** مرة ثانية
من قبل المقتدر وقدمت جيوش العراق عليها محمود بن حمك وابراهيم بن كيغلغ في
ربيع الاول ودخل تكين لاحدى عشرة خلت من شعبان فنزل الجيزة وحفر خندقا
ثانيا واقبلت مراكب المغرب فظفر بها في شوال وقدم مونس الخادم من بغداد
بعساكره لخمس خلون من المحرم سنة ثمان وثلثماية فنزل الجيزة وكان في نحو ثلثة
الاف وسير ابن كيغلغ الاشمونين فمات بالبهنسا اول ذي القعدة وملك اصحاب
المهدي الفيوم وصاروا الى الاشمونين فقدم جني الخادم من بغداد في عسكر
اخر ذي الحجة فعسكر بالجيزة فكانت حروب مع اصحاب المهدي بالفيوم والاسكندرية
ورجع ابو القاسم بن المهدي الى برقة وصرف تكين لثلث عشرة خلت من ربيع الاول
سنة تسع وثلثماية فولي مونس ابا قابوس محمود بن حمك فاقام ثلثة ايام وعزله م
ورد تكين لخمس بقين من ربيع الاول ثم صرفه بعد اربعة ايام واخراجه الى الشام
في اربعة الاف من اهل الديوان ثم ولي **هلال** بن بدر من قبل المقتدر
على الصلاة فدخل لست خلون من ربيع الاخر وخرج مونس لثمان عشرة خلت
منه

منه ومعه ابن حمك فشغب الجند على هلال وخرجوا الى منية الاصبغ ومعهم محمد بن
طاهر صاحب الشرط فكثر النهب والقتل والفساد بمصر الى ان صرف عنها في ربيع الاخر
سنة احدى عشرة وثلثماية وخرج في نفر من اصحابه فولي **احمد** بن كيغلغ من قبل
المقتدر على الصلاة وقدم ابنه ابو العباس خليفة له اول جمادى الاولى ثم قدم
ومعه محمد بن الحسين بن عبد الوهاب المادراني على الخراج في رجب فاحضر الجند
ووضع العطا واسقط كثيرا من الرجالة وكان ذلك بمنية الاصبغ فثار الرجالة
فنفر الى فاقوس وادخل المادراني الى المدينة لثمن خلون من شوال اقام ابن كيغلغ
بفاقوس الى ان صرف بقدوم رسول تكين في ثالث ذي القعدة فولي **تكين**
المرة الثالثة من قبل المقتدر على الصلاة وخلفه ابن منجور الى ان قدم يوم عاشورا
سنة اثنتي عشرة وثلثماية فاسقط كثيرا من الرجالة وكانوا اهل الشر والنهب
ونادى ببراة الذمة ممن اقام منهم بالفسطاط وصلى الجمعة في دار الامارة بالعسكر
وترك حضور الجمعة في مسجد العسكر والمسجد الجامع العتيق في سنة سبع عشرة
ولم يصل قبله احد من الامرا في دار الامارة الجمعة ثم اقبل المقتدر في شوال
سنة عشرين وبويع ابو منصور القاهر بالله فاقر تكين حتى مات في سادس
عشر ربيع الاول سنة احدى وعشرين وثلثماية وحمل الى بيت المقدس وكانت
امرته هذه تسع سنين وشهرين وخمسة ايام فقام ابنه محمد بن تكين موضعه
وقام ابو بكر محمد بن علي المادراني بامر البلد كله ونظر في اعماله فشغب الجند
عليه في طلب ارزاقهم واحرقوا دوره ودور اهله فخرج ابن تكين الى منية الاصبغ
فبعث اليه المادراني يامره بالخروج من ارض مصر وعسكر بباب المدينة واقام
هناك بعد ما رحل ابن تكين الى السلخ ربيع الاول فلحق ابن تكين بدمشق ثم اقبل بريد
مصر فمنعه المادراني فولي **محمد** بن طغج بن جف الفرغاني ابو بكر من قبل القاهر
بالله على الصلاة فورد كتابه لسبع خلون من رمضان سنة احدى وعشرين ودعي
له وهو بدمشق مدة اثنين وثلثين يوما الى ان قدم رسول **احمد** بن كيغلغ
بولايته الثانية من قبل القاهر بالله لتسع خلون من شوال واستخلف ابا الفتح
بن عيسى النوشري فشغب الجند في ارزاقهم على المادراني صاحب الخراج فاستتر
منهم فاحرقوا دوره ودور اهله وكانت بينهم وقتل منهم جماعة الى ان اتاهم محمد بن
تكين من فلسطين لثلثة عشر خلت من ربيع الاول سنة اثنين وعشرين

فانكروا المادرائي ولايته وتعصب له طائفة فدعي له بالامارة وخرج قوم الى الصعيد
منهم ابن الموشري فامروه عليهم وهم على الدعا لابن كيغلغ وكانت حروب قتل فيها
جماعة واقبل احمد بن كيغلغ فنزل منية الاصبغ لثلث خلون من رجب ولحق به كثير
من اصحاب ابن تكين ففر ابن تكين ليلا ودخل ابن كيغلغ المدينة لست خلون منه وكان من
مقام ابن تكين بالفسطاط مائة يوم واثني عشر يوما وخلع القاهر وبويع ابو العباس
الراضي بالله فعاد ابن تكين واظهر ان الراضي ولاه فخرج اليه العسكر وحاربوه
فيما بين بلبيس وفاقوس فانهزم واسر وجي به الى المدينة فحمل الى الصعيد فورد
الخبر بان محمد بن طغج سار الى مصر بولاية الراضي له فبعث اليه ابن كيغلغ بجيش
ليمنعوه من دخول الفرما فاقبلت مراكب ابن طغج الى تنيس وسارت مقدمته
في البر وكانت بينهما حروب في تاسع عشر شعبان واقبل بعسكر ابن كيغلغ للنصف
من رمضان ووافاه لسبع بقين منه فسلم ابن كيغلغ الى محمد بن طغج من غير
قتال وولي **محمد بن طغج** الثانية من قبل الراضي على الصلاة والخراج
فدخل لست بقين من رمضان وقدم ابو الفتح الفضل بن جعفر بن محمد بن
فرات بالخلع لمحمد بن طغج وكانت حروب مع اصحاب ابن كيغلغ انهزموا منها الى برقة
وصاروا الى القائم بامر الله محمد بن المهدي بالمغرب فحرضوه على اخذ مصر فجهز
جيشا سار الى مصر فبعث ابن طغج عسكرا الى الاسكندرية والصعيد ثم ورد
الكتاب من بغداد بالزيادة في اسم الامير محمد بن طغج ولقب الاخشيد ودعي
له بذلك على المنبر في رمضان سنة سبع وعشرين وسار محمد بن رائق الى الشام فانه
يتعرض للاخشيد العروض وبعث بمراكبه الى الشام ثم سار في المحرم سنة ثمان
وعشرين واستخلف اخاه الحسن بن طغج فنزل الفرما وابن رائق بالرملة فسفر بينهما
الحسن بن طاهر بن يحيى العلوي في الصلح حتى تم وعاد الفسطاط مستهل جمادى
الاولى ثم اقبل ابن رائق من دمشق في شعبان فسير اليه الاخشيد الجيوش ثم
خرج لست عشرة خلت من شعبان فالتقيا النصف من رمضان بالعريش
فكانت بينهما وقعة عظيمة انكسرت فيها ميسرة الاخشيد ثم حمل بنفسه
فانهزم اصحاب ابن رائق واسر كثير منهم واثخنهم اسرا وقتلا ومضى ابن رائق
فقتل الحسين بن طغج باللجون ودخل الاخشيد الرملة بخمسمائة اسير فتداعا
ابن طغج وابن رائق الى الصلح فمضى ابن رائق الى دمشق على صلح وقدم الاخشيد
محمد

محمد بن طغج الى مصر لثلث خلون من المحرم سنة تسع وعشرين ومات الراضي بالله وبويع
المتقي لله ابراهيم في شعبان فاقر الاخشيد وقتل محمد بن رائق بالموصل
قتله بنو حمدان في شعبان سنة ثلثين وثلثمائة فبعث الاخشيد بجيوشه الى
الشام ثم سار لست خلون من شوال واستخلف اخاه ابا المظفر الحسن بن طغج
ودخل دمشق ثم عاد لثلثة عشر من جمادى الاولى سنة احدى وثلثين فنزل
البستان الذي يعرف اليوم بالكافوري من القاهرة ثم دخل داره واخذ البيعة
لابنه ابي القاسم انوجور على جميع القواد اخر ذي القعدة وسار المتقي لله الى
بلاد الشام ومعه حمدان فسار الاخشيد لثمان خلون من رجب سنة اثنتين
وثلثين واستخلف اخاه الحسن فلقي المتقي ثم رجع فنزل البستان لاربع خلون
من جمادى الاولى سنة ثلث وثلثين وخلع المتقي وبويع عبد الله المستكفي
لسبع خلون من جمادى الاخرة فاقر الاخشيد وبعث الاخشيد بجانك
وكافور في الجيوش الى الشام ثم خرج لخمس خلون من شعبان سنة ست وثلثين
واستخلف اخاه الحسن فلقي علي بن عبد الله بن حمدان بارض قنسرين وحاربه فمضى
فاخذ منه حلب وخلع المستكفي ودعي للمطيع لله الفضل بن جعفر في شوال
سنة اربع وثلثين فاقر الاخشيد الى ان مات بدمشق يوم الجمعة لثمان خلون من
ذي الحجة فولي بعده ابنه **انوجور** ابو القاسم باستخلافه اياه وقبض
على ابي بكر محمد بن علي بن مقاتل في ثالث المحرم سنة خمس وثلثين وجعل مكانه
على الخراج محمد بن علي الماذرائي وقدم العسكر من الشام اول صفر فلم يزل
انوجور واليا الى ان مات لسبع خلون من ذي القعدة سنة تسع واربعين
وثلثمائة وحمل الى القدس فدفن عند ابيه وكان كافور متحكما في ايامه ويطلق
له في السنة اربعمائة الف دينار ولما مات قوي كافور وكانت ولايته
اربع عشرة سنة وعشرة اشهر فاقام كافور اخاه **علي بن الاخشيد**
ابا الحسن لثلث عشرة خلت من ذي القعدة فاقره المطيع لله على الحرب والخراج
بمصر والشام والحرمين وصار خليفته على ذلك كافور غلام ابيه واطلق له ما
كان يطلق لاخيه في كل سنة وفي سنة احدى وعشرين نزع السعر واضطربت
الاسكندرية والبحيرة بسبب المغاربة الواردين اليها وخرا وتزايد الغلا
وعز وجود القمح وقدم القرمطي الى الشام في سنة ثلث وخمسين وقتل ما

النيل ونهبت ضياع مصر وتزايد الغلا وسار ملك النوبة الى اسوان ووصل الى اخميم
فقتل ونهب واحرق واستد اضطراب الاعمال وفسد ما بين كافور وبين علي بن
الاخشيد فمنع كافور من الاجتماع به واعتل علي بعد ذلك علة اخيته ومات لاحدى
عشرة خلت من المحرم سنة خمس وخمسين وثلثماية فحمل الى القدس وبقيت مصر بغير
امير اياما ولم يدع بها الا للمطيع لله وحده وكافور يدبر امورها ومعه ابو الفضل
جعفر بن الفرات ثم ولي **كافور** الخصي الاسود مولى الاخشيد من قبل
المطيع على الحرب والخراج وجميع امور مصر والشام والحرمين فلم يغير لقبه وانما كان
يدعى ويخاطب بالاستاذ واخرج كتاب المطيع بولايته لاربع بقين من المحرم سنة
خمس وخمسين فلم يزل الى ان توفي لعشر بقين من جمادى الاولى سنة سبع وخمسين
وثلثماية فولي **احمد** بن علي الاخشيد ابو الفوارس وسنه احدى
عشرة سنة في يوم وفاة كافور وجعل الحسن بن عبيد الله بن طغج يخلفه وابو ا
الفضل جعفر بن الفرات يدبر الاحوال وشمول الاخشيدي على العساكر الى ان
قدم جوهر القايد من المغرب بجيوش المعز لدين الله في سابع عشر شعبان سنة
ثمان وخمسين وثلثماية ففر الحسين بن عبيد الله وتسلم جوهر البلاد كما
سياتي ان شا الله فكانت مدة الدعاة لبني العباس بمصر منذ ابتدا دولتهم
الى ان قدم القايد جوهر الى مصر مايتي سنة وخمس وعشرين سنة ومدة الدولة
الاخشيدية بها اربعا وثلثين سنة وعشرة اشهر واربعة وعشرين يوما
ومنذ اختطت مصر الى ان انتقل كرسي الامارة منها الى القاهرة ثلثماية سنة وسبع
وثلثون سنة واشهر

ذكر ما كانت عليه مدينة الفسطاط من كثرة العمارة

قال ابن يونس عن الليث بن سعد ان حكيم بن ابي راشد حدثه عن ابي سلمة
بن عبد الرحمن انه وقف على جزار فساله عن السعر فقال اربعة افلس بالرطل
فقال له ابو سلمة هل لك ان تعطينا بهذا السعر ما بدا لنا وبدا لك قال نعم فاخذ
منه ابو سلمة وصر في القصبة حتى اذا اراد ان يوفيه بعثني بدينار فقال
اصرفه فلوسا ثم وفيه وقال الشريف ابو عبد الله محمد بن اسعد الجواني النسابة
في كتاب النقط على كتاب الخطط سمعت الامير ناييد الدولة تميم بن محمد المعروف
بالصمصام يقول في سنة تسع وثلثين وخمسماية وحدثني القاضي ابو الحسين

علي

علي بن الحسين الحلبي عن القاضي ابي عبد الله القضاعي قال كان في مصر الفسطاط من
المساجد ستة وثلثون الف مسجد وثمانية الاف شارع مسلوك والف ومايه
وسبعون حماما وان حمام جنادة في القرافة ما كان يتوصل اليها الا بعد عنا من
الزحام وان ما لبهنا في كل يوم جمعة خمس ماية درهم وقال القاضي ابو عبد
الله محمد بن سلامة القضاعي في كتاب الخطط انه طلب لفطر الندا ابنة خمارويه
بن احمد بن طولون الف تكة بعشرة الاف دينار من اثمان كل تكة بعشرة دنانير
فوجدت في السوق في ايسر وقت واهون سعي وذكر عن القاضي ابو عبيد
انه لما صرف عن قضا مصر كان في المودع مايتا الف دينار وان فايق مولى
احمد بن طولون اشترى دارا بعشرين الف دينار وسلم الثمن الى البايعين واجلهم
شهرين فلما انقضى الاجل سمع فايق صياحا عظيما وبكا فسال عن ذلك فقيل
هم الذين باعوا الدار قد عاهم وسالهم عن ذلك فقالوا انما نبكي على جوارك
فاطرق وامر بالكتب فردت عليهم ووهب لهم الثمن وركب الى احمد بن
طولون فاخبره فاستصوب رايه واستحسن فعله وقال انه كان لفايق
ثلثماية فرش لكل فرش لحظته منه وان دار الحرم بناها خمارويه لحرمه
وكان ابوه اشتراها له فقام عليه الثمن واجرة الصناع والبنا سبعماية
الف دينار وان عبد الله بن احمد بن طباطبا الحسيني دخل الجامع فلم يجد
مكانا في الصف الاول فالتفت ابو حفص بن الجلاب فلما راه تاخر وتقدم الشريف
مكانه فكافاه على ذلك بنعمة حملها اليه ودارا ابتاعها له ونقل اهله اليها بعد
ان كساهم وحلاهم **وذكر** غير القضاعي انه دفع اليه خمس ماية دينار
قال وقيل انه اهدى الى ابي جعفر الطحاوي كتبا قيمتها الفا دينار وان
رشيق الاخشيدي استحجبه ابو بكر محمد بن علي المادراني فلما مضت عليه
سنة رفع اليه انه كسب عشرة الاف دينار فخاطبه على ذلك فحلف بالايمان
الغليظة على بطلان ما ذكر عنه فاقسم ابو بكر المادراني بمثل ما اقسم به لين
خرجت سنتنا هذه ولم يكسب هذه الجملة لا صحبتني ولم يزل في صحبته
الى ان صودر ابو بكر فاخذ منه ومن رشيق مال جزيل وذكر ان الحسن
ابن ابي المهاجر موسى بن اسمعيل بن عبد الحميد بن بحر بن سعد كان على البريد
في زمن احمد بن طولون وقتله خمارويه وسبب ذلك ما كان في نفس علي

بن احمد المادرائي منه فاغرى خمارويه به وقال قد نفى لابيك مال عظيم الذي
ذكره في وصيته ولم تقف عليه غير ابن مهاجر فطالبه فلم تزل خمارويه بابن مهاجر
الى ان وصف له موضع المال من دار خمارويه فاخرج فكان مبلغه الف الف دينار فلما
سلمه الى احمد المادرائي فحمله الى داره واقبلت توقيعات خمارويه ترد اليه بالصلات
والنفقات يخرجها من فضول اموال الضياع والمرافق وحصلت له تلك الاموال
لم يضع يده عليها الى ان قتل وصودر ابنه ابو بكر محمد بن علي في ايام الاخشيد وقبضت
ضياعه ثم عاد الى تلك الالف الف دينار مع ما سواها من ذخايره واعراضه وغلته
وما ظنك برجل ذخيرته الف الف دينار سوى ما ذكر وذكر عن ابي بكر
محمد بن علي المادرائي انه قال بعث الي ابو الجيش خمارويه ان اشتري له ازد بجه
واتبعه للجواري وعمل دعوة خلا فيها بنفسه وبهم وغدوت متعرفا الخبر فقيل لي
انه طرب لما هو فيه فنثر دنانير على الجواري والغلمان وتقدم اليهم ان ما سقط
من ذلك في البركة فهو لمحمد بن علي كاتبي فلما حضرت وبلغني ذلك امرت
الغلمان فاصعدوا الى البركة فاطلعوا الي منها سبعين الف دينار فما ظنك بمال
نثر على اناس فتطاير منه سبعون الف دينار وقال ابن سعيد في كتاب المغرب
في حلى المغرب وفي الفسطاط دار تعرف بعبد العزيز يصب فيها لمن بها في كل
يوم اربعمايه راويه ماء وحسبك من دار واحدة يحتاج اهلها في كل يوم الى
هذا القدر من الماء قال ابن المتوج في كتاب ايقاظ المتغفل واتعاظ المتامل
عن ساحل مصر ورايت من نقل عمن راي الاصطبلات التي كانت بالطاقات
المطلة على النيل وكان عددها ستة عشر اصطبلا موبدة بكرو واطناب
بها ترجي وتملى اخبرني بذلك من اثق بنقله قال وكان بالفسطاط في جهته
العزيه حمام من بنا الروم عامره زمن احمد بن طولون قال الراوي دخلتها
في زمن خمارويه بن احمد بن طولون وطلبت بها صانعا يخدمني فلم اجد فيها صانعا
متفرغا لخدمتي وقيل لي ان مع كل صانع اثنين يخدمهم وثلثه فسالت كم فيها
من صانع فاخبرت ان بها سبعين صانعا اقل من معه دون ثلثه سوى من قضى
حاجته وخرج قال فخرجت ولم ادخلها لعدم من يخدمني بها ثم طفت غيرها
فلم اقدر على من اخدمه فادرنا الابعد اربع حمامات وكان الذي خدمني فيه ثالث
فانظر رحمك الله ما اشتمل عليه هذا الخبر مع ما ذكره القضاعي من عدد الحمامات

وانها الف

وانها الف ومايه وسبعون حماما يعرف ذلك كثره ما كان من الناس بمصر هذا
والسعر راخ فالقمح كل خمسة اراد ب بدينار واربع عشرة اراد ب بدينار في ايام
احمد بن طولون قال ابن المتوج خط مسجد عبد الله ادركت به اثارا عظيمة
قيل انها كانت دار كافور الاخشيدي وقيل ان هذه الخطة تعرف بسوق العسكر
وكان به مسجد الوكرة وقيل انه كان منه قصبة سوق متصلة الى جامع احمد
بن طولون واخبرني بعض المشايخ العدول عن والده وكان من اكابر الصلحا انه قال
عددت من مسجد عبد الله الى جامع ابن طولون ثلثماية وستين قدر حمص مصلوق
في قصبة هذا السوق بالارض سوى المقاعد والحوانيت التي بها الحمص فتامل
اعزك الله ما في هذا الخبر مما يدل على عظمة مصر فان هذا السوق كان في
خارج مدينة الفسطاط وموضعه اليوم الفضا الذي بين كوم الجارح وبين
جامع ابن طولون ومن المعروف ان الاسواق التي تكون بداخل المدينة اعظم من
الاسواق التي من خارجها ومع ذلك بقي هذا السوق من صنف واحد من الماكل
هذا القدر فكم ترى تكون جملة ما فيه من ساير اصناف الماكل وقد كان اذ
ذاك بمصر عشرات اسواق واكثرها اجل من هذا السوق قال ودرب
السقافين به بين زقاق بني النصارى الرصاص كان به جماعة اذا عقد عندهم
عقد لا يحتاجون الى غيرهم وكانوا هم واولادهم نحوا من اربعين نفسا وقال
ابن زولاق في كتاب سيره المادراس ولما قدم الاستاذ مونس الخادم من بغداد
الى مصر استدعا ابو علي الحسين بن احمد المادرائي المعروف بابن زنبور الدقاق
وهو الذي تسميه اليوم الطحان وقال ان الاستاذ مونس قد اولى بمشتو
نحو ستين الف اردب قمحا فاذا وافاهم له بالوظيفة فكان يقوم له بما يحتاج
اليه من دقيق حواري مدة شهر فلما كمل الشهر قال كاتب مونس للدقاق
كم لك حتى ندفعه اليك فاعلمه الخبر فقال ما احسب الاستاذ يرضى ان يكون
في ضيافة ابي علي واعلم مونس بذلك فقال انا اكل خبز حسين لا يبرح الرجل
حتى يقبض ما له فمضى الدقاق واعلم ابا زنبور فقام من فوره الى مونس فاكب
على رجليه فاحتشم منه وقال والله لا اجيبك الا هذا الشهر الذي مضى ولا بعد
ثم رجع وقال للدقاق تحمله بالوظيفة في المستقبل واعمل ما تريد ونحو قال
نحينه وقد فرغ القمح وجي الحساب وادعا اثنا دينارا فقال انش هذا الليلة ذلك

التمح فقال اغنى منه وتركه لي فتاملوا ما اشتمل عليه هذا الخبر من سعة حال
كاتب من كتاب مصر كيف كان له في قرية واحدة هذا القدر من صنف القمح وكيف صار
مما يفضل عنه حتى يجعله ضيافة وكيف لم يبعها باربعماية الف دينار حتى وهبها الدقاق
قمح وما ذاك الا من كثرة الغنا وقس عليه باقي الاحوال وقال عن ابي بكر محمد بن
علي المادراني انه حج اثنين وعشرين حجة متوالية انفق في كل حجة ماية الف دينار و
خمسين الف دينار وانه كان يخرج معه بتسعين ناقة لقبته يعني التي يركبها او دعما
لجماله وميرته ومعه المحامل فيها احواض البقل واحواض الرياحين وكلاب الصيد
وينفق على الاشراف واولاد الصحابة ولهم عنده ديوان باسمايهم وانه انفق في خمس
حجات اخر الف الف دينار وماتي الف دينار وكانت جاريته تواصل معه الحج ومعها
لنفسها ثلثين ناقة لقبتها وماية وخمسين عربيا لجهازها واحصي ما يعطيه كل شهر
لحاشيته واهل الستر وذوي الاقدار وجراياته من الدقيق الحواري فكان بضعا
وثمانين الف رطل وكان سنة القرمطي بمكة فحمل ما ذهب له بها ما بين المخيص
دبيقي مثلها كل ثوب منها خمسون دينارا او قال مية وهو في عطلته اخذ منه
محمد بن طغج الاخشيد عينا وعرضا ما يبلغ بضعا وثمانين ونيفا دنانير فاستعظم
من حضر ذلك فقال ابنه الذي اخذ الكرونا او فتنه عليه ثم قال لابنه البسر
يكتب ثلث مرات قال بلى قال اليس اخرجت ضياعك بالشام قال نعم قال
فكم ثمنها قال الف الف دينار قال وضياعك بمصر قال قريب منها قال
وعروض وعين قال كذا فامر بعض الحساب بضبط ذلك فجا ما ينيف عن ثلثين
اردبا من ذهب فانظر ما تضمنه اخبار المادراني وقس عليه بقية احوال العصر
مما كان سوي كاتب الخراج وهذه احوال كما رايت وقال الشريف الجواني ان ابا
عبد الله محمد بن ميسر قاضي مصر سمع بان في ايامه عمل المادراني الكعك المحشي
بالسكر والغرض الصغار المسمى افطن له فامر هو بعمل الفستق الملبس بالسكر
الابيض الفانيد المطيب بالمسك وعمل منه في اول الحال اشيا عوض لبه لب
ذهب في صحن واحد فمضى عليه حمله وخطف قدامه فخاطفه الحاضرون ولم يعد
لعمله بل الفستق الملبس وكان قد سمع في سيرة المادراني انه عمل له هذا ا
لافطن له وفي كل واحدة خمسة دنانير ووقف استاد على السماط فقال لاحد
الجلسا افطن له وكان على السماط عدة صحون من ذلك الجنس لكن ما فيها ما فيه
الدنانير

الدنانير الا صحن واحد فلما رمز الاستاد ذلك الرجل بقوله افطن واشار الي ذلك
الصحن تناول ذلك الرجل منه فاصاب الذهب واعتمد عليه فحصل له جمله فراه
الناس وهو اكل يخرج من فمه ويجمع بيده ويحط في حجره فتنبهوا له وتزاحموا عليه
فقيل اذ ذلك من يومئذ افطن له وقال ابو سعيد عبد الرحمن بن احمد بن
يونس في تاريخ مصر حدثني بعض اصحابنا بتفسير رويا راها غلام بن عقيل الحساب
عجيبة فكانت حقا كما فسر فسالت غلام بن عقيل عنه فقال لي انا اخبرك كان
ابي في سوق الخشابين فانفق بضاعته فرثت حاله ومات فاسلمتني امي الى ابن
عقيل وكان صديقا لابي فكنت اخدمه وافتح حانوته واكنسها ثم افرش له ما
يجلس عليه فكان يجري علي رزق القوت به فانا يوما في الحانوت وقد جلس استادي
ابن عقيل فجا ابن الغسال مع رجل من اهل الريف يطلب عمودا خشبا
لطاحونته فاشترى من ابن عقيل عمود طاحونه بخمسة دنانير فسمعت قوما
من اهل السوق هذا ابن الغسال المعبر للرويا عند ابن عقيل فجا منهم
قوم وقصوا عليه منامات راوها فعبروها لهم فذكرت رويا رايتها في ليلتي
فقلت له اني رايت البارحة في نومي كذا وكذا فقصصت عليه الرويا فقال
اي وقت رايتها من الليل [illegible] فقلت له انتبهت بعد روياي
وقت كذا فقال لي هذه رويا لست افسرها الا بدنانير كثيرة فالحف عليه فقال
استادي ابن عقيل ويح عنه هذا غلام ضعيف فقير لا يملك شيا فقال لست
اخذ الا عشرين دينارا فقال له ابن عقيل ان قرات علينا وزنت انا لك ذلك
من عندي فلم يزل به ينزله حتى قال والله لست اخذ اقل من ثمن العمود
الخشب خمسة دنانير فقال له ابن عقيل ان صحت الرويا دفعت اليك العمود
بلا ثمن فقال له ياخذ مثل هذا اليوم الف دينار فقال استادي فان لم يصح
هذا قال يكون العمود عندك الي مثل هذا اليوم فان اخذ ما قلته في
ذلك اليوم والا فليس لي عندك شي ولا افسرد وبا ابدا فقال له استادي
نذا بغت ومضت الجمعة فلما كان مثل ذلك اليوم غدوت كما كنت اغدو الي
دكان استادي ففتحتها ورششته واستلقيت على ظهري افكر فيما قال
ومن اين يمكن ان يصير الي الف دينار فقلت لعل سقف المكان يتفتح فيخرج
من خشبة الله هذا المال وجعلت احيل فكري الى ذلك واني كذلك الي ه

تالها

ضحى اذ وقف علي جماعة من اعوان الخراج معهم فارس فقالوا هذه دكان بن عقيل ثم قالوا
لي قم فقلت لهم لست بن عقيل انا غلامه فقالوا لي بل انت ابنه وجبذوني فاخرجوني
من الدكان فقلت الى اين فقالوا الى ديوان الاستاذ ابي علي الحسن بن احمد يعنون ابا
زنبور فقلت وما يصنع بي فقالوا اذا جيت سمعت كلامه وما يريد منك وكنت نقيه
علة ضعيف البدن فقلت ما اقدر امشي فقالوا اكترِ حمارا تركبه ولم يكن معي ما
اكتري به حمارا فنزعت تكة سراويلي من وسطي ودفعتها على جر حمير لمن اكراني الحمار
ومضيت معهم فجاوا بي الى دار ابي زنبور فلما دخلت قال لي انت ابن عقيل فقلت
لا يا سيدي انا غلام في حانوته قال افليس تبصر قيمة الخشب قلت بلى قال
فاذهب مع هولا تقوم لنا هذا الخشب وانظر بحيث لا يزيد ولا ينقص فمضيت معهم
فجاوا بي الى شط الحمرا الى خشب كثير من اثل وسنط جاف وغير ذلك مما يصلح لبنا
المراكب فقومته تقويم حزر حتى بلغت قيمته الفي دينار فقالوا لي انظر هذا الموضع
الاخر فيه من الخشب ايضا فنظرت فاذا هو اكثر مما قومت بنحو مرتين فاعجلوني
ولم اضبط قيمة الخشب فردوني الى ابي زنبور فقال لي قومت الخشب كما امرتك فقرعت
فقلت نعم فقال هات كم قومته فقلت الفا دينار فقال انظر لا تغلط فقلت
هو قيمته عندي فقال لي تاخذه انت بالفي دينار فقلت انا فقير لا املك دينارا
واحدا فكيف لي بقيمته قال السلطان يحسن تدبيره وبيعه فقلت بلى قال
فدبره وبعه ونحن نصبر عليك بالثمن الى ان تبيع شيا فشيا وتؤدي ثمنه فقلت
افعل فامر بكتاب يكتب علي في الديوان بالمال فكتب علي ورجعت الى الشط
اعرف عدد الخشب فقالوا لي ايش صنعت قومت الخشب قلت نعم قالوا كم قومته
قلت بالفي دينار فقالوا لي وانت تحسن تقوم لا يساوي هذا هذه القيمة فقلت
لهم قد كتب علي كتاب في الديوان وهو عندي يساوي اضعاف هذا فقالوا لي
اسكت لا يسمعك احد وكانوا قد قوموه قبلي لابي زنبور بالف دينار فقال
بعضهم لبعض اعطوا هذا ربحه وتسلموه انتم من قابل اعطوه ربح خمسماية
دينار فقلت لا والله لا اخذ فقالوا قد راى ربحا فزيدوه فقلت لا والله لا اخذ
اقل من الف دينار قالوا املك الف دينار نحول اسمك من الديوان نعطك اذا
بعنا الف دينار فقلت لا والله لا افعل حتى اخذ الالف دينار في وقتي هذا
فمضوا الى حوانيتهم والى منازلهم حتى جاوني بالف دينار فقلت لا اخذها الا
بنقد

بنقد الصيرفي وميزانه فمضيت معهم الى صيرفي بالناحية حتى وزنوا الي عنده الف دينار
وانتقدها واخذتها فشددتها في طرف رداي ومضيت معهم الى الديوان وحولت
اسماهم مكان اسمي ووزنوا حق الديوان من عندهم ورجعت وقت الظهر الى استادي
فقال لي قبضت الف دينار منهم فقلت نعم ببركتك وتركت الدنانير بين يديه
وقلت له يا استاد خذ ثمن العمود الخشب فقال لا والله لا اخذ منك شيا انت
عندي مقام ابني وجاني الوقت ابن الغسال فدفع اليه استادي العمود الخشب
فمضى فهذا خبر رويناه وتفسيرها فتامل يا عزك الله ما اشتمل عليه من عظم
ما كانت عليه مصر وسعة حال الديوان وكيف فضل فيه خشبا يساوي الافا
من الدنانير ونحن اليوم في زمن اذا احتيج فيه الى عمارة شي من الاماكن السلطانية
بخشب او غيره اخذ من الناس اما بغير ثمن او بابخس الثمن مع ما يصيب مالكه
من الخوف والخسارة من الاعوان وكيف لما قوم هذا الخشب لم يكلف المشتري الى
دفع المال في الحال وفي زمننا اذا طرحت البضاعة السلطانية على الباعة يكلفون
الى حمل ثمنها بالسرعة حتى ان فيهم من يبيعها باقل من نصف ما اشتراها به ويحمل
الثمن لما من ماله او يقترضه بربح وكيف لما علم اهل السوق ان الخشب ابيع بدون
القيمة لم يمضوا الى الديوان ويدفعوا فيه زيادة اما لقلة شر الناس اذ ذاك
وتركهم الاخلاق الرذيلة من الحسد ونحوه او لعلمهم بعدل السلطان وانه لا
ينكث ما عقده وفي زمننا لو ادعي عدو على عدوه ان البضاعة التي كان
اشتراها من الديوان قيمتها اكثر مما اخذها به لتقبل قوله وعوجل بزيادة على
ما ادعاها عدوه من قلة القيمة جملة اخرى لا جرم انه تظاهر بسوها الناس
بكل رذيلة وذميمة من الاخلاق فاذا الملكسوف يجي اليه ما ينفق به وكيف
لما علم ابن عقيل ان غلامه استفاد الف دينار على اسمه لم يشره الى اخذها بل
دفع عنه الخمسة دنانير وما ذاك الا من انتشار الخير في الناس وكثرة اموالهم
وسعة حال كل احد بحسبه وطيب نفوس الكافة ولعمري لو سمع احد من
الامرا والوزرا فضلا عن الباعة ان غلاما من غلمانه اخذ من على اسمه عشر
هذا المبلغ لفاتت نيابته وكيف انتقضت احوال الخشابين حتى وزنوا الف
دينار في ساعة واحدة وانه ليعسر اليوم على الخشابين ان يزنوا في يوم ماية
دينار وهذا كله من وفور غنا الناس بمصر وعظم امرهم وكثرة سعادتهم وكان

الفسطاط نحو ثلث بغداد ومقداره فرسخ على غاية العمارة والخصب والطيبة واللذة
وكان مساكن اهلها خمس طبقات وست وسبع وربما سكن في الدار الواحدة المايتان
من الناس وكان فيها دار عبد العزيز بن مروان يصب فيها لمن فيها في كل يوم
اربعمائة راوية ما وكان فيها خمسة مساجد وحمامان وعدة افران يخبز فيها عجين
اهلها وقد قال ابو داود في كتاب السنن شبرت قثاة بمصر ثلثة عشر
شبرا ورايت اترجة على بعير قطعت قطعتين وصيرت على مثله عدلين ذكره
في باب صدقة الزرع من كتاب الزكاة قلت ـــــ وقد ذكر ان هذا كان في جنان
بني سنان المصري خارج مدينة الفسطاط وكانت بحيث لم ير ابدع منها
فلما قدم امير المومنين عبد الله المامون بن هرون الرشيد مصر سنة سبع
عشرة ومايتين راى جنان بني سنان هذه فاعجب بها وسال ابراهيم بن سنان
كم عليه من الخراج لجنانه فذكر انه يحمل الى الديوان في كل سنة عشرين الف
دينار فقال المامون وكم ترد عليك هذه الجنان قال لا استطيع حصرها الا انها زاد
على مائة الف دينار انصرف فيه ولابراهيم هذا ولد اسمه احمد بن ابراهيم بن سنان
يوصف بعلم وزهد والله اعلم

ذكر خراب الاثار الواردة في خراب مصر

روى قاسم بن اصبغ عن كعب الاحبار قال الجزيرة امنة من الخراب حتى
تخرب ارمينية ومصر امنة من الخراب حتى تخرب الجزيرة والكوفة امنة من
الخراب حتى تكون الملحمة ولا يخرج الدجال حتى تفتح القسطنطينية وعن
وهب بن منبه انه قال الجزيرة امنة من الخراب حتى تخرب ارمينية وارمينية
امنة من الخراب حتى تخرب مصر ومصر امنة من الخراب حتى تخرب الكوفة ولا تكون
الملحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة فاذا كانت الملحمة الكبرى فتحت القسطنطينية
على يد رجل من بني هاشم وخراب الاندلس من قبل الريح وخراب افريقية من قبل
الاندلس وخراب مصر من انقطاع النيل واختلاف الجيوش فيها وخراب العراق من
قبل الجوع والسيف وخراب الكوفة من قبل عدو من ورايهم يحصرهم حتى لا يستطيعوا
ان يشربوا من الفرات قطرة وخراب البصرة من قبل الغرق وخراب الايلة من
قبل عدو يحصرهم مرة برا ومرة بحرا وخراب الري من قبل الديلم وخراب خراسان
من قبل التبت وخراب تبت من قبل الصين وخراب الصين من قبل الهند
وخراب

وخراب اليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من قبل الحبشة وخراب المدينة من
قبل الجوع وفي رواية وخراب ارمينية من قبل الرجف والصواعق وخراب الاندلس
والجزيرة من سنابك الخيل واختلاف الجيوش وعن عبد الله بن الصامت قال
ان اسرع الارضين خرابا البصرة ومصر قيل له وما يخربهما ومنهما عيون الرجال
والاموال قال يخربهما النيل الاحمر والجوع الاغبر كاني بالبصرة وكانها نعامة
جاثمة واما مصر فان نيلها ينضب او قال ييبس فيكون ذلك خرابها وعن
الاوزاعي اذا دخل اصحاب الرايات الصفر مصر فليحفر اهل الشام اسرابا تحت
الارض وعن كعب علامة خروج المهدي الوية تقبل من قبل المغرب عليها
رجل من كندة اعوج فاذا ظهر اهل المغرب على مصر فبطن الارض يومئذ خير
لاهل الشام وعن سفين الثوري قال قال يخرج عنق من البربر فويل
لاهل مصر وقال ابن لهيعة عن ابي الاسود عن مولى لشرحبيل بن حسنة
او لعمرو بن العاص قال سمعته يوما واستقبلنا فقال ايها لك مصر اذا
رميت بالقسي الاربع قوس الاندلس وقوس الحبشة وقوس الترك وقوس الروم
وعن قاسم بن الاصبغ حدثنا احمد بن زهير نا هرون بن معروف نا ضمرة عن
السيباني قال تهلك مصر غرقا او حرقا وعن عبد الله بن معلا انه قال
لامته اذا بلغك ان الاسكندرية قد فتحت فان كان حمارك بالمغرب فلا
تاخذنه حتى تلحق بالمشرق وذكر مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن
عباس يرفعه قال انزل الله تعالى من الجنة الى الارض خمسة انهار سيحون
وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات وهما نهرا العراق
والنيل وهو نهر مصر انزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة من
اسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل عليه السلام واستودعها الجبال
واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في اصناف معايشهم وذلك قوله
عز وجل وانزلنا من السما ما بقدر فاسكناه في الارض فاذا كان عند خروج ياجوج
وماجوج ارسل الله تعالى جبريل عليه السلام فرفع من الارض القران والعلم
كله والحجر من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار
الخمسة فيرفع كل ذلك الى السما فذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون
فاذا رفعت هذه الاشيا من الارض فقد اهلها خير الدين والدنيا وقال

بن لهيعة عن عقبة بن عامر الحضرمي عن حبان بن الاعين عن عبد الله بن عمرو قال ان اول
مصر خرابا اطرابلس وقال الليث بن سعد عن يزيد بن ابي حبيب عن سالم بن ابي سالم
عن عبد الله بن عمرو قال اني لاعلم السنة التي يخرجون فيها من مصر ولو تغلبت له
ما يخرجنا منها يا محمد اعدو قال لا ولكن يخرجكم منها نيلكم هذا يغور فلا ينبغي منه قطرة
حتى يكون فيه الكثبان من الرمل وتاكل سباع الارض حيتانه

ذكر خراب الفسطاط

وكان لخراب مدينة فسطاط مصر سببان احدهما الشدة العظمى التي كانت في خلافة
المستنصر بالله الفاطمي والثاني حريق مصر في وزارة شاور بن مجير السعدي
فاما الشدة العظمى فان سببها ان السعر نزع بمصر في سنة ست واربعين واربعمائة
وتبع الغلاء فانبعث الخليفة المستنصر بالله ابو تميم معد بن الظاهر لاعزاز دين الله
ابي الحسن علي الى متملك الروم بقسطنطينية ان يحمل الغلال الى مصر فاطلق اربعمائة
الف اردب وعزم على حملها الى مصر فادركه اجله ومات قبل ذلك فقام في الملك
بعده امراة وكتبت الى المستنصر تسأله ان يكون عونا لها ويمدها بعساكر مصر
اذا ثار عليها احد فابا ان يسعفها في طلبتها فجردت لذلك وعاقت الغلال عن
المسير الى مصر فحنق المستنصر وجهز العساكر وعليها مكين الدولة الحسن بن ملهم
وسارت الى اللاذقية فحاصرتها بسبب نقض الهدنة ومسك الغلال عن الوصول
الى مصر وامدها بالعساكر الكثيرة ونودي في بلاد الشام بالغزو فنزل ابن ملهم
قريبا من فامية وضايق اهلها وجال في اعمال انطاكية نهبا وسبيا فاخرج صاحب
قسطنطينية ثمانين قطعة في البحر فحاربها ابن ملهم عدة مرار وكانت عليه واسر هو
وجماعة كثيرة في شهر ربيع الاول منها فبعث المستنصر في سنة سبع واربعين
ابا عبد الله القضاعي برسالة الى القسطنطينية فوافا اليها رسول طغرلبك
السلجوقي من العراق بكتابه يامر متملك الروم بان يمكن الرسول من الصلاة في
جامع القسطنطينية فاذن له في ذلك فدخل اليه وصلى فيه صلاة الجمعة
وخطب للخليفة القائم بامر الله العباسي فبعث القاضي القضاعي الى المستنصر
يخبره بذلك فارسل الى كنيسة قمامة ببيت المقدس وقبض على جميع ما فيها
وكان شيا كثيرا من اموال النصارى فتفسد من حينئذ ما بين المصريين
والروم حتى استولوا على بلاد الساحل كلها وحاصروا القاهرة كما يرد في موضعه

ان شا الله واشتد في هذه السنة الغلا وكثر الوبا بمصر والقاهرة واعمالها الى
سنة اربع وخمسين واربعمائة فحدث مع ذلك الفتنة العظيمة التي خرب بسببها
اقليم مصر كله وذلك ان المستنصر لما خرج على عادته في كل سنة على النجب
مع النسا والحشم الى ارض الجب خارج القاهرة جرد بعض الاتراك سيفا وهو
سكران على احد عبيد الشرا فاجتمع عليه كثير من العبيد وقتلوه فحنق لقتله
الاتراك وصاروا بجمعهم الى المستنصر وقالوا ان كان هذا عن رضاك فالسمع
والطاعة وان كان من غير رضى امير المومنين فلا نرضى بذلك فتبرا المستنصر
مما جرى وانكره فتجمع الاتراك لمحاربة العبيد وكانت بينهما حروب شديدة بناحية
كوم شريك قتل فيها عدة من العبيد وانهزم من بقي منهم فشق ذلك على ام
المستنصر فانها كانت السبب في كثرة العبيد السود بمصر وذلك انها كانت
جارية سودا فاحبت الاستكثار من جنسها واشترتهم من كل مكان وعرفت
رغبتها في هذا الجنس فجلب الناس الى مصر منهم حتى يقال انه صار في مصر
اذ ذاك زيادة على خمسين الف عبد اسود فلما كانت وقعة كوم شريك
امدت العبيد بالاموال والسلاح سرا وكانت ام المستنصر قد تحكمت في الدولة
وحقدت على الاتراك قتلهم مولاها ابا سعيد التستري فقويت العبيد لذلك
حتى صار الواحد منهم يحكم بما يختار فكرهت الاتراك ذلك وكان مما ذكر فظفر
بعض الاتراك يوما بشي من المال والسلاح قد بعثت به ام المستنصر الى العبيد
تمدهم به بعد انهزامهم من كوم شريك فاجتمعوا باسرهم ودخلوا على المستنصر
واغلظوا في القول فحلف انه لم يكن عنده علم بما ذكر وصار الى امه فانكر ما
فعلت وخرج الاتراك فصار السيف قايما ووقعت الفتنة ثانيا فانتدب المستنصر
ابا الفرج بن المغربي ليصلح بين الطائفتين فاصطلحا على غل وخرج العبيد
الى شبرا دمنهور فكان هذا اول اختلال احوال مصر ودبت عقارب العداوة
بين الفئتين الى سنة تسع وخمسين فتقوت شوكة الاتراك وصروا على المستنصر
وزاد طمعهم فيه وطلبوا منه الزيادات في واجباتهم وضاقت احوال العبيد واستدت
ضروراتهم وكثرت حاجتهم وقل مال السلطان واستضعف جانبه فبعثت ام
المستنصر الى قواد العبيد تغريهم بالاتراك فاجتمعوا بالجيزة وخرج اليهم الاتراك
ومقدمهم ناصر الدولة حسين بن حمدان فاقتتلا عدة مرار ظهر في اخرها الاتراك

على العبيد وهزموهم الى بلاد الصعيد فعاد بن حمدان الى القاهرة وقد عظم امره وقوي
جاشه وكبرت نفسه واستخف بالخليفة فجاءه الخبر انه قد تجمع من العبيد ببلاد
الصعيد خمسة عشر الف فارس فقلق وبعث لمقدمي الاتراك الى المستنصر وانكروا ما
كان من اجتماع العبيد وجفوا في خطابهم وفارقوه على غير رضى منهم فبعثت ام المستنصر
الى من بحضرتها من العبيد تامرهم بالايقاع على حين غفلة بالاتراك فتجمعوا عليهم وقتلوا منهم
عدة فبادر بن حمدان الى الخروج ظاهر القاهرة وتلاحق به الاتراك وبرز اليهم العبيد
المقيمون بالقاهرة ومصر وحاربوهم مدة ايام فحلف ابن حمدان انه لا ينزل عن
فرسه حتى ينفصل الامر اما له او عليه وجد كل من الفريقين في القتال فظهرت
الاتراك على العبيد واثخنوا في قتلهم واسرهم فعادوا الى القاهرة وتتبع بن
حمدان من في البلدين منهم حتى افنا معظمهم هذا والعبيد ببلاد الصعيد
على حالهم وبالاسكندرية ايضا منهم جمع كثير فسار بن حمدان الى الاسكندرية
وحاصرهم فيها مدة حتى سالوه الامان فاخرجهم واقام فيها من يثق به وانقضت
هذه السنة كلها في قتال العبيد ودخلت سنة ستين واربعماية وقد خرق
الاتراك ناموس المستنصر واستهانوا به واستخفوا بقدره وصار مقررهم في
كل شهر اربعماية الف دينار بعد ما كان ثمانية وعشرين الف دينار ولم يبق
في الخزاين مال فبعثوا يطالبونه بالمال فاعتذر اليهم بعجزه عما طالبوه فلم يعذروه
وقالوا بع ذخايرك فلم يجد بدا من اجابتهم واخرج ما كان في القصر من الذخاير
فصاروا يقومون ما يخرج اليهم باحسن القيم واقل الاثمان ويأخذون ذلك
في واجباتهم وتجهز بن حمدان وسار الى الصعيد يريد قتال العبيد وكانت شرورهم
قد كثرت وضررهم وفسادهم قد تزايد فلقيهم واوقعهم غير مرة والاتراك
تنكسر منهم وتعود الى محاربتهم الى ان حمل العبيد عليهم حملة انهزموا منها الى
الجيزة فاحتشوا عند ذلك في امر المستنصر ونسبوه الى مباطنة العبيد
وتقويتهم فانكر ذلك وحلف عليه فاخذوا في اصلاح شانهم ولم شعثهم وساروا
لقتال العبيد وما زالوا يلحون في قتالهم حتى انكسرت العبيد كسرة شنيعة
وقتل منهم خلق كثير وفر من بقي فذهبت شوكتهم وزالت دولتهم ورجع بن حمدان
وقد كشف قناع الجفا وجهر بالسو للمستنصر واستبد بسلطنة البلاد ودخلت سنة
احدى وستين وبن حمدان مستبد بالامور مجاف للمستنصر فثقل مكانه على

الاتراك

الاتراك ونفروا من العبيد والتفتوا اليه وقد استبد بالامور دونهم واستاثر بالاموال
عليهم ففسد ما بينهم وبينه وشكوا امره الى الوزير خطير الملك فاغراهم به وانهم على ما
كان من نفورهم منه وحسن لهم الثورة به فصاروا الى المستنصر واوقفوه على ذلك
فبعث الى بن حمدان يامره بالخروج عن مصر وتهدده ان امتنع فلم يقدر على الامتناع
منه لفساد الاتراك عليه وميلهم مع المستنصر فخرج الى الجيزة وانتهب الناس دوره
ودور حواشيه فلما جن عليه الليل عاد من الجيزة سرا الى دار القايد تاج الملوك
شادي وترامى عليه وقبل رجله وساله النصرة على الدكز والوزير الخطير فانهما ما
بهذه الفتنة فاجابه الى ذلك وعاد فقتل المذكورين وفارقه بن حمدان فلما كان من
الغد ركب شادي في اصحابه واخذ يسير بين القصرين بالقاهرة واقبل الوزير
الخطير في موكبه فبادره شادي على حين غفلة وقتله ففر الدكز الى القصر
والتجا بالمستنصر فلم يكن باسرع من قدوم بن حمدان وقد استعد للحرب في من
معه فركب المستنصر بلامة حربه واجتمع اليه الاجناد والعامة وصار في
عدد لا يحصر وبرزت الفرسان فكانت بين الخليفة وبن حمدان حروب آلت
الى هزيمة بن حمدان وقتل كثير من اصحابه فمضى في طايفة الى البحيرة ونزل
على بني سنبس وتزوج منهم فعظم الامر بالقاهرة ومصر من شدة الغلا
وقلة الاقوات لما قد فسد من الاعمال بكثرة النهب وقطع الطريق حتى اكل
الناس الجيف والميتات ووقفوا ارباب الفساد في الطرقات فصاروا يقتلون
من ظفروا به في ازقة مصر فهلك من اهل مصر في هذه الحروب والفتن ما لا
يمكن حصره وامتد ذلك الى ان دخلت سنة ثلث وستين فجهز المستنصر
عساكره لقتال بن حمدان بالبحيرة فسارت اليه ولم يوفق في محاربته فكسرها
كلها واحتوى على ما كان معها من سلاح وكراع ومال فتقوى به وقطع الميرة
عن البلد ونهب اكثر الوجه البحري وقطع منه الخطبة للمستنصر ودعا
للخليفة القايم بامر الله العباسي بالاسكندرية ودمياط وعامة الوجه البحري
فاشتد الجوع وتزايد الموتان بالقاهرة ومصر حتى انه كان يموت الواحد من
اهل البيت فلا يمضي يوم او ليلة من موته حتى يموت سائر من في ذلك البيت
ولا يجد من يستولي عليه ومدت الاجناد ايديها الى النهب فخرج الامر عن الحد
وغدا اهل القوة بانفسهم من مصر وساروا الى الشام والعراق وخرج من خزاين

القصر ما يحل وصفه وقد ذكرت طرفا من ذلك في اخبار القاهرة عند ذكر خزاين القصر فاضطر
الاجناد ما هم فيه من شدة الجوع الي مصالحة بن حمدان على شرط ان يقيم في مكانه ويحمل اليه
مال مقرر ويكون عنده شادي بالقاهرة فرضي بذلك وسير الغلال الى القاهرة
ومصر فسكن ما بالناس من شدة الجوع قليلا ولم يكن ذلك الا نحو شهر ووقع الاختلاف
عليه فتقدم من البحيرة الي مصر وحاصرها وانتهبها واحرق دورا عدة بالساحل
ورجع الي البحيرة فدخلت سنة اربع وستين والناس على ذلك وشادي قد استبد
بامر الدولة وفسد ما بينه وبين ابن حمدان ومنعه من المال الذي تقرر لهم وقع
به عليه فلم يوصله الا القليل فحرك ذلك من ابن حمدان وجمع العربان وسار الي
الجيزة وخادع شادي حتى صار اليه ليلا في عدة من الاكابر فقبض عليه وعليهم
وبعث اصحابه فنهبوا مصر واطلقوا فيها النار فخرج اليهم عسكر المستنصر من
القاهرة وهزموهم فعاد الي البحيرة وبعث رسولا الي الخليفة القايم ببغداد
يخبره باقامة الخطبة له ويساله الخلع والتشاريف فاضمحل امر المستنصر
وتلاشى ذكره وتفاقم الامر في الشدة من الغلا حتى هلكوا فسار ابن حمدان الى البلد
وليس في احد قوة يمتنعه بها فملك القاهرة وامتنع المستنصر بالقصر فسير اليه
رسولا يطلب منه المال فوجده وقد ذهب ساير ما كان يعهد من ابهة الخلافة
حتى جلس على حصير ولم يبق معه سوى ثلثة من الخدم فبلغه رسولا عن رسالة
بن حمدان فقال بن حمدان للرسول ما يكفي ناصر الدولة ان اجلس في مثل هذا
البيت على هذه الحالة فبكا الرسول رقة له وعاد الي بن حمدان فاخبره بما شاهد
من ايضاع امر المستنصر وسوء حاله فكف عنه واطلق له في كل شهر مائة دينار
وامتد تحكمه وبالغ في اهانة المستنصر مبالغة عظيمة وقبض على امه وعاقبها
اشد العقوبة واستصفى اموالها فحاز منها شيا جليلا تتفرق حينيذ جميع اقاربه
واولاده من الجوع فمنهم من سار الى المغرب ومنهم من سار الي الشام والعراق قال
الشريف محمد بن اسعد الجواني النسابه في كتاب النقط حل بمصر غلا شديد في
خلافة المستنصر في سنة سبع وخمسين واربعماية واقام الي سنة اربع وستين
واربعماية وعم مع الغلا وباء شديد فاقام ذلك سبع سنين والنيل يمد وينزل
فلا يجد من يزرع وشمل الخوف من العسكرية وفساد العبيد فانقطعت الطرقات
برا وبحرا الا بالخفارة الكثيرة مع ركوب الغرر ونزل المارقون بعضهم على بعض واستولى

الجوع

الجوع لعدم القوت وصار الحال الي ان ابيع رغيف من الخبز الذي وزنه رطل بزقاق القناديل
كبيع الطرف في النداء باربعة عشر درهما وابيع اردب من القمح بثمانين دينارا ثم عدم ذلك
واكلت الكلاب والقطاط ثم تزايد الحال حتى اكل الناس بعضهم بعضا وكان يتحرز طوايف
من اهل الفساد قد سكنوا بيوتا قصيرة السقوف قريبة ممن يسعى في الطرقات ويطوف
وقد اعدوا سلبا وخطاطيف فاذا مر بهم احد شالوه في اقرب وقت ثم ضربوه بالاخشاب
وشرحوا لحمه واكلوه قال وحدثتني بعض نسايا الصالحات قالت كانت لنا من
الجارات امراة ترينا افخاذها وفيها كالحفر فكنا نسالها فتقول انا ممن خطفني اكلة الناس
في الشدة فاخذني انسان وكنت ذات جسم وسمن فادخلني الي بيت فيه سكاكين
واثار الدما وزفرة القتلي فاضجعني على وجهي وربط في يدي ورجلي سلبا الي اوتاد
حديد عريانة ثم شرح من افخاذي شرايح وانا استغيث فلا احد يجيبني ثم
اضرم الفحم وشوى من لحمي واكل اكلا كثيرا ثم سكر حتى وقع على جنبه لا يعرف اين
هو فاخذت في الحركة الي ان تخلى احد الاوتاد واعان الله على الخلاص وتخلصت وحللت
الرباط واخذت خرقا من داري ولففت بها افخاذي وزحفت الي باب الدار
وخرجت ادحف الي ان وقعت الى المامن وجيت الى بيتي وعرفتهم بموضعه فمضوا
الى الوالي فكبس عليه وضرب عنقه واقام الدوا في افخاذي سنة الى ان ختم
الجرح وبقي كذا حفرا وبسبب هذا الغلا خرب الفسطاط وخلى موضع العسكر
والقطايع وظاهر مصر مما يلي القرافة حيث الكيمان الان الي بركة الحبش فلما قدم امير
الجيوش بدر الجمالي الى مصر وقام بتدبير امرها نقلت انقاض ظاهر مصر مما يلي
القرافة حيث كان العسكر والقطايع وصار فضاء وكيمانا فيما بين مصر والقاهرة وفيما
بين مصر والقرافة وتراجعت احوال الفسطاط بعد ذلك حتى قارب ما كان عليه
من الشدة **واما حريق مصر** فكان سببه ان الفرنج لما تغلبوا على ممالك
الشام واستولوا على السواحل حتى صار بايديهم ما بين ملطية الي بلبيس الا مدينة
دمشق فقط وصار امر الوزارة بديار مصر لشاور بن مجير السعدي والخليفة يومئذ
العاضد لدين الله عبد الله بن يوسف اسم لا معنى له وقام في منصب الوزارة بالقوة
في صفر سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وتلقب بامير الجيوش واخذ اموال بني رزيك
وزراء مصر وملوكها من قبله فلما استبد بالامر حسده ضرغام وجمع جموعا كثيرة
وغلب شاور على الوزارة في شهر رمضان منها فسار شاور الى الشام واستعد

ضرغام بسلطنة مصر فكان بمصر في هذه السنة ثلث وزرا العادل بن رزيك بن طلايع بن
رزيك وشاور بن مجير وضرغام فاساء ضرغام السيرة في قتل امرا الدولة فضعفت من
اجل ذلك دولة الفاطميين بذهاب رجالها الاكابر ثم ان شاور استنجد بالسلطان
نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام فانجده وبعث معه عسكرا كبيرا في جمادى
الاولى سنة تسع وخمسين وقدم عليه اسد الدين شيركوه على ان يكون لنور
الدين اذا عاد شاور الى منصب الوزارة ثلث خراج مصر بعد اقطاعات العساكر
وان يكون شيركوه عنده بعساكره في مصر ولا يتصرف الا بامر نور الدين فخرج
ضرغام بالعسكر وحاربه في بلبيس فانهزم وعاد الى مصر ونزل شاور ومن معه
عند التاج خارج القاهرة وانتشر عسكره في البلاد وبعث ضرغام الى اهل
اهل البلاد فاتوه خوفا من الترك القادمين معه واتته الطايفة الريحانية
والطايفة الجيوشية فامتنعوا بالقاهرة ونطارد وامر طلايع شاور بارض الطالة
فنزل شاور في المقس وحارب اهل القاهرة فغلبوه حتى اندفع الى بركة الحبش
فنزل على الرصد واستولى على مدينة مصر واقام اياما فمال الناس اليه واخرقوا
عن ضرغام لامور فنزل شاور باللوق وكانت بينه وبين ضرغام حروب اليت
الى احراق الدور من باب سعادة الى باب القنطرة خارج القاهرة وقتل كثير من
العرنيين واختلال امر ضرغام وانهزامه فملك شاور القاهرة وقتل ضرغام
اخر جمادى الاولى سنة تسع وخمسين فاخلف شيركوه ما وعد به السلطان نور الدين
وامره بالخروج عن مصر فابا عليه وامتلا وكان شيركوه قد بعث بابن اخيه صلاح
الدين يوسف الى بلبيس ليجمع له الاموال فحشد شاور وقاتل الشاميين فجرت
وقايع واحترق وجه الخليج خارج القاهرة باسره وقطعة من حارة زويلة فبعث
شاور الى الفرنج واستنجد بهم فطمعوا في البلاد وخرج ملكهم مري من عسقلان فبلغ
ذلك شيركوه فرحل عن القاهرة بعد طول محاصرتها ونزل بلبيس فاجتمع على قتاله
بها شاور وملك الفرنج وحصره بها وكانت حصينة ذات اسوار فاقام محصورا مدة ثلثة
اشهر وبلغ ذلك نور الدين فاغار الى ما قرب منه من بلاد الفرنج واخذ حارم من
ايديهم فخافوه ووقع الصلح مع شيركوه على عوده الى الشام فخرج في ذي الحجة ولحق بنور
الدين واقام وفي نفسه من مصر امر عظيم الى ان دخلت سنة اثنين وستين فجهزه
نور الدين الى مصر في جيش قوي في ربيع الاول فبلغ ذلك شاور فبعث الى مري ملك
الفرنج

الفرنج يستنجد به فسار بجموع الفرنج حتى نزل بلبيس فوافاه شاور ووافاه حتى قدم
شيركوه اطراف مصر فلم يطق لقا القوم فسار بجموع الفرنج حتى نزل بلبيس فوافاه شاور
واقاما حتى قدم شيركوه اطراف مصر فسار حتى خرج من اطفيح الى جهة بلاد الصعيد من
ناحية بحر القلزم فبلغ شاور ان شيركوه قد ملك بلاد الصعيد فسقط في يده ونهض بالعرب
من بلبيس فكان من حروبه ما كان حتى انهزم بالاشمونين وصار منهزما بعد الهزيمة الى
الاسكندرية فملكها واقر بها ابن اخيه وخرج الى الصعيد فخرج شاور بالفرنج وحصر
الاسكندرية فسار شيركوه من قوص ونزل على القاهرة وحاصرها فرحل اليه شاور
وكانت امور الت الى الصلح وسار شيركوه بمن معه الى الشام في شوال فطمع مري في
البلاد وجعل له شحنة بالقاهرة وصارت اسوارها بيد فرسان الفرنج وتقرر لهم في كل سنة
مائة الف دينار ثم رحل الى بلاده ونزل بالقاهرة من الفرنج من يثق به وصار شيركوه
الى الشام فتحكم الفرنج في القاهرة حكما جايرا وركبوا المسلمين بالاذى العظيم وتيقنوا عجز الدولة
عن مقاومتهم وانكشفت لهم عورات الناس الى ان دخلت سنة اربع وستين فجمع مري جمعا
عظيما من اجناس الفرنج واوطمهم بلاد مصر وسار يريد اخذ مصر فبعث اليه شاور رسالة عن
سبب مسيره فاعتل بان الفرنج غلبوه على قصد ديار مصر وانه يريد الفي الف دينار
يرضيهم بها وسار فنزل على بلبيس وحاصرها حتى اخذها عنوة في صفر فسبا اهلها وقصد
القاهرة فسير العاضد كتبه الى نور الدين وفيها شعور نسايه وبناته يساله انقاذ المسلمين
من الفرنج وسار مري من بلبيس فنزل على بركة الحبش وقد انضم الناس من الاعمال الى
القاهرة فنادى شاور بمصر ان لا يقيم بها احد وازعج الناس في النقلة منها فتركوا اموالهم
واثقالهم ونجوا بانفسهم واولادهم وقد ماج الناس واضطربوا كانما خرجوا من قبورهم
الى المحشر لا يعبا والد بولده ولا يلتفت اخ الى اخيه وبلغ كرا الدابة من مصر الى القاهرة
بضعة عشر دينارا ونزلوا بالقاهرة في المساجد والحمامات والازقة والطرقات فصاروا
مطروحين بعيالاتهم واولادهم وقد سلبوا سائر اموالهم وينتظرون هجوم العدو على القاهرة
بالسيف كما فعل بمدينة بلبيس وبعث شاور الى مصر بعشرين الف قارورة نفط وعشرة
الاف مشعل نار فرق ذلك فيها فارتفع لهب النار ودخان الحريق الى السما وصار منظرا
مهولا فاستمرت النار تاتي على مساكن مصر من يوم التاسع والعشرين من صفر لتمام اربعة
وخمسين يوما والنهابة من العبيد ورجال الاسطول وغيرهم تهد المنازل في طلب الخبايا
فلما ارتفع الحريق بمصر رحل مري من بركة الحبش ونزل بظاهر القاهرة مما يلي البرقية وقاتل

327

اهلها فنا لا كبيرا حتى زلزلوا زلزالا شديدا وضعفت نفوسهم وكادوا يوخذون لهم عنوة
فعاد شاور الى مقاتلة الفرنج وجرت امور آلت الى الصلح على مال فبيناهم في جبايته اذ
بلغ الفرنج مجي اسد الدين شيركوه بعساكر الشام من عند السلطان نور الدين فرحلوا
في سابع ربيع الاخر الى بلبيس وساروا منها الى فاقوس فساروا الى بلادهم بالساحل ونزل
شيركوه بالمقس خارج القاهرة وكان من قتل شاور واستيلا شيركوه على مصر ما كان
فمن ثم خربت مصر الفسطاط هذا الخراب الذي هو الان كيمان مصر وتلاشى امرها
وافتقر اهلها وذهبت اموالهم وزالت نعمهم فلما استبد شيركوه بولاية العاضد
امر باحضار اعيان اهل مصر الذين خلوا عن ديارهم في الفتنة وصاروا الى القاهرة
وتنمر لمصابهم وسفه راي شاور في احراق المدينة وامرهم بالعود اليها فشكوا
اليه ما بهم من الفقر والفاقة وخراب المنازل وقالوا الى اي موضع نرجع وفي اي مكان
ننزل وناوي وقد صارت كما ترى وبكوا وابكوا فوعدهم جميلا وترفق بهم واخذ ينودي
في الناس بالرجوع الى مصر فتراجع اليها الناس قليلا قليلا وعمروا ما حول الجامع
الى ان كانت المحنة من الغلا والوبا العظيم في سلطنة الملك العادل ابي بكر بن ايوب
لسنتي خمس وستين وتمايه فخربت من مصر جانب كبير ثم تحايا الناس بها واكثروا
العمارة بجانب مصر الغربي على شاطي النيل لما عمر الملك الصالح نجم الدين ايوب
قلعة الروضة وصار بمصر عدة ادر جليلة واسواق ضخمة فلما كان غلا مصر والوبا
الكاين في سلطنة الملك العادل كتبغا سنة ست وتسعين وتمايه خرب كثير من
مساكن مصر وتراجع الناس بعد ذلك في العمارة الى سنة تسع واربعين وسبعماية فحدث
الفنا الكبير الذي فقر منه معظم دور مصر وخربت ثم تحايا الناس من بعد الوبا
وصار ما يحيط بالجامع العتيق وما على شط النيل عامرا الى سنة ست وسبعين وسبعماية
فشرقت بلاد مصر وحدث الوبا بعد الغلا فخرب كثير من عامر مصر ولم تزل تخرب
شيا بعد شي الى سنة تسعين وسبعماية فعظم الخراب في خط زقاق القناديل وخط النخالين
وشرع الناس في هدم دور مصر وبيع انقاضها حتى صارت على ما هي عليه الان
وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا تم الجزء الاول بحمد الله وعونه
وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه والتابعين يتلوه ان شا الله في الجزء الثاني
ذكر ما قيل في مدينة مصر والحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين
وان تجد عيبا فسد الخللا جل من لا عيب فيه وعلا ه ه ه ه ه ه ه